موسوعة العقيدة والأديان

١١

الخلاص المسيحي

ونظرة الإسلام إليه

د. أحمد علي عجيبة
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشر - توزيع - طباعة

٥٥ - ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٣٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
E-mail : daralafk@yahoo.com

اسم الكتاب : الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه
اسم المؤلف : د. أحمد علي عجيبة

رقم الإيداع : ١٥٨٣٨/٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 7 - 123 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٦م





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد

فلقد حبب إلى منذ التحاقى بالكلية قراءة الكتب التى خصصت للرد على النصارى، فكنت بعد قراءة هذه الكتب يتجدد لدى ما اعتقده، من حلاوة ديننا وقوة بنيانه، وصلابة أسسه، وربانية مصدره، ووضوح عقيدته، وواقعية شرائعه، وملائمته للفطرة الإنسانية.

لذلك اعتزمت منذ أن التحقت بقسم الأديان والمذاهب أن أساهم بشىء من هذا النوع من الدراسة، وكان لابد من أجل ذلك أن أدرس المسيحية دراسة واسعة مستفيضة، وأحاول أن أكتب فى بعض عقائدها بحثا وبيان موقف الإسلام منها، ولكن كان يقلق بالى هل أجد إلى الآن فى المسيحية ما لم يبحث أو يكتب فيه خاصة وأن هذه الديانة قد تناولها الدارسون فى القديم والحديث بالبحث والدراسة والرد عليها وبيان ما فيها.

فلقد اجتذبت دراسة النصرانية وعقائدها انتباه العلماء المسلمين وكثرت فيها مؤلفاتهم. وضعت هذا فى اعتبارى.. ولكن رغبتى العلمية كانت تلح علىّ فى الكتابة عن المسيحية وبيان ما فيها، ومع هذه الرغبة كان يثور فى ذهنى أسئلة كثيرة.. كيف أبدأ؟ ومن أين؟

والوضع الطبيعى أن البداية لابد وأن تكون من المصدر الأساسى للنصرانية وهو العهد الجديد. بدأت والأمر لم يطل بى كثيرًا.. فحينما هممت بقراءة العهد الجديد استوقفنى العنوان الأول له وهو (العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح).

لفت نظرى، وشد انتباهى، وأيقظ فى دواعى البحث حيث أخذت أسأل نفسى:

ما المقصود **بهذا العنوان**؟ وماذا يعنى ربنا ومخلصنا؟

ثم أخذت فى القراءة - هذه المرة - وفى ذهنى هذا العنوان وماذا يعنى؟ - وحاولت الاستعانة خلال هذه القراءة ببعض التفاسير والمؤلفات المسيحية - وبعد فترة بسيطة وجدت أن هذا العنوان يعنى جوهر المسيحية **ويعنى العقيدة الأولى فى المسيحية**، لذلك فهو قلب الكتاب المقدس.

يقول عوض سمعان (**موضوع الخلاص** من الخطية والتوافق مع الله والتمتع إلى الأبد هو أعظم الموضوعات أهمية لأنه جوهر الكتاب المقدس وخلاصته)[1].

ويقول (من المعلوم أن الديانة النصرانية بجملتها تقوم أو تسقط **بقيام** فكرة الخلاص **من الخطيئة أو سقوطها**)[2].

ويقول القس **صموئيل حبيب** (إن الخلاص **عقيدة مركزية** فى الكتاب المقدس، فالرسالة المسيحية هى رسالة **للخلاص، والإنجيل هو قوة الله** للخلاص)[3].

وجاء فى كتاب (الخلاص فى الكتاب المقدس) ما نصه:

"موضوع الخلاص هو قلب الكتاب المقدس"[4].

وجدت أن **هذه العقيدة** هى الأساس الأول والأخير الذى قامت عليه كل عقائد النصارى، فعلى أساسها جعلوا عيسى إلها تجسد، وصلب، وقام... إلى غير ذلك.

وهنا ثبت فى ذهنى أن هذه العقيدة هى جوهر البحث والدراسة لبيان موقف الإسلام منها، بشرط ألا تكون قد بحثت من قبل أو كانت مجال دراسة سابقة.

وقد توقفت قليلاً للنظر فى بعض المؤلفات التى كتبت للرد على النصارى عسى أن أجد مؤلفا كتب خصيصًا لبيان موقف الإسلام من عقيدة الخلاص المسيحية

---

(١) عوض سمعان: الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية ص ٤.

(٢) عوض سمعان: فلسفة الغفران ص ١٩٢.

(٣) القس صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص ٣.

(٤) نادية منيس: الخلاص فى الكتاب المقدس ص ٧.

ولكنى لم أجد، صحيح أننى وجدت بعض المؤلفات التى تتناول بعض جوانب[1] هذه العقيدة ولكن لم أجد ـ فيما اطلعت عليه ـ أحدًا كتب عن عقيدة الخلاص بأطرافها وتاريخها من آدم وأكله من الشجرة حتى قيامة المسيح ـ على ما يدّعون ـ وانتصاره على الموت.

وهنا وجدت لزامًا علىّ أن أدرس هذه العقيدة بأطرافها لبيان موقف الإسلام منها ولقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب وخاتمة

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية هذا الموضوع وخطة البحث ومنهج الباحث فى هذه الدراسة.

وأما المدخل فقد جعلته لبيان مصادر المسيحيين فى إثبات عقائدهم.

أما الباب الأول فكان عنوانه "**الخلاص والإنسان فى نظر المسيحية**".

وقد اشتمل هذا الباب على أربعة فصول.

الفصل الأول بينت فيه معنى الخلاص ونشأته، وبيان مدى اختلاف الخلاص المسيحى عن الخلاص اليهودى القائم على ما أصاب اليهود من تشريد وتقتيل وتدمير الأمر الذى جعلهم يتمنون أن يرسل الله إليهم مخلصا يخلصهم من أيدى الأعداء ويعيد إليهم ملكهم وسيطرتهم على الشعوب المجاورة:

أما الخلاص المسيحى فيقوم على خطيئة آدم التى انتقلت فى نظرهم بالوراثة إلى أبنائه.

ثم بينت فيه نشأة الخلاص المسيحى وكيف انتشرت هذه العقيدة؟ وكيفية نوال هذا الخلاص؟

ولما كان الخلاص المسيحي يبتدأ من آدم ووضعه فى الجنة فقد جعلت **الفصل الثانى** لحالة الإنسان (آدم) قبل السقوط فى التصور المسيحى.

وبينت فى هذا الفصل طبيعة الإنسان الجسدية والنفسية والروحية وبيان معنى الإنسان على صورة الله ـ فى نظر النصارى ـ وشبهه، وعمل الإنسان فى الجنة وحالته قبل العصيان ووضحت المذاهب فى ذلك.

---

(١) وأقربها إلى هذا الموضوع بعض المقالات التى كتبها محمد رشيد رضا بعنوان "الصلب والفداء" وجمعت هذه المقالات فى كتيب صغير، وطبعت بمطبعة دار المنار.

أما الفصل الثالث فقد تحدثت فيه عن سقوط آدم وحالته بعد السقوط فى التصور المسيحى وقد وضحت فى هذا الفصل معنى الخطيئة وأنواعها، وعامل السقوط فى الخطيئة فى التصور المسيحى، وماهى العقوبات التى حكم الله بها ـ فى نظرهم ـ نتيجة لسقوط آدم، وفى نهاية هذا الفصل عرضت المذاهب اللاهوتية فى الخطية، وما سببته، وما الطريق إلى الخلاص منها؟.

أما الفصل الرابع فعنوانه (عهد الله للإنسان بعد السقوط بالخلاص).

وعرضت فيه الاعتقاد المسيحى فى العهد القديم بعهد الله للإنسان بعد السقوط بأنه سيرسل له من يخلصه من هذه الخطيئة، ومهدت فى نهاية هذا الفصل للباب الثانى.

أما الباب الثانى وعنوانه (المسيح والخلاص)

فقد اشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: ألقاب المسيح باعتباره مخلصا.

ووضحت فيه أن النصارى لقبوا المسيح بألقاب تدل على المهمة التى ألصقوها به وهى الخلاص للبشر، ولما كانت هذه الألقاب كثيرة فقد اخترت منها ما هو مشهور بينهم والتى يتمسكون بها فى الدلالة على ألوهية المسيح.

ولما كان الخلاص المسيحى قائمًا على التجسد الإلهى فقد جعلت الفصل الثانى لدعوى التجسد الإلهى وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى وبينت فيه معنى التجسد، وما يحتويه هذا المعنى من جانب جسدى وجانب إلهى وأهمية كل منهما بالنسبة للمخلص، وتبع ذلك كيفية التجسد، وأهمية التجسد بالنسبة للخلاص المسيحى.

وهذا الإله المتجسد لابد ـ فى نظرهم ـ لكى يكون مخلصا أن يتحمل خطايا البشر فيصلب ويعذب.

لذلك فقد جعلت الفصل الثالث لدراسة دعوى صلب المسيح وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى. وقد تناولت فى هذا الفصل مقدمات الصلب وأحداث الصلب ـ كما يعتقدون ـ وشهود الصلب، وبيان موقف التلاميذ من الصلب كما توضحه الأناجيل، وأهمية الصلب بالنسبة للخلاص المسيحى.

ثم إن الخلاص المسيحى لا يقف عند حد صلب هذا المخلص حيث إنه لابد فى نظرهم لكى يتم الخلاص أن ينتصر هذا المخلص على الموت بقيامته من الأموات. لذلك جعلت الفصل الرابع: لدراسة دعوى قيامة المسيح وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى.

تناولت فى هذا الفصل أحداث القيامة كما روتها الأناجيل، وشهود القيامة وأدلتهم عليها، وأهمية هذه العقيدة بالنسبة للخلاص المسيحى.

ولقد ارتبطت عقيدة الخلاص المسيحية ببعض الشعائر. لذلك خصصت فصلاً كاملاً وهو الفصل الخامس: للشعائر المصاحبة لعقيدة الخلاص المسيحية.

تناولت فيه بإيجاز أهمية الشعائر فى المسيحية، ولم أتناول فى هذا الفصل بالتفصيل إلا الشعائر المتفق عليها بين الكنائس المسيحية، والتى يظهر فيها الارتباط بعقيدة الخلاص.

تحدثت فى هذا الفصل عن المعمودية، والعشاء الربانى وأهميتهما بالنسبة للخلاص المسيحى.

ثم تحدثت فى الباب الثالث عن موقف الإسلام من عقيدة الخلاص المسيحية وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: موقف الإسلام من أكل آدم من الشجرة.

ووضحت فيه كيف أكل آدم من الشجرة؟ وبينت فيه عصمة آدم كنبى ورسول والأدلة عليها، ورد الشبهات على هذه العصمة، ثم وضحت الملابسات التى صاحبت أكل آدم من الشجرة وأعقبتها ببيان توبة آدم. وقبول الله سبحانه وتعالى لتوبته.

ثم وضحت المعنى الصحيح لإهباط آدم إلى الأرض

والفصل الثانى: موقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره

تحدثت فى بداية هذا الفصل عن تكريم الإسلام للإنسان بإيجاز ووضحت بعد ذلك أنه من هذا التكريم: ولادة الإنسان على الفطرة، وأنه يحاسب على الأعمال

التى فعلها هو لا غيره، وأنه لا يتحمل أوزار غيره، ولا غيره يتحمل أوزاره إلا بقدر مشاركته فى هذا الوزر.

أما الفصل الثالث فقد جعلته لبيان موقف الإسلام من عيسى بن مريم، وبينت فيه أن عيسى إنما هو ابن مريم لا ابن الله، وأنه رسول الله، وأن رسالته هى التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شائبة.

ثم تحدثت فى هذا الفصل عن إبطال القرآن الكريم لألوهية المسيح ورد شبهات النصارى فى الاستدلال على الألوهية. والمعنى الصحيح لولادة المسيح من عذراء، ولمعجزاته. ثم تحدثت عن موقف الإسلام من دعوى الصلب والقيامة.

أما الخاتمة: فتلقى نظرة مجملة عن البديل الإسلامى للخلاص المسيحى بمعناه العام وهو غفران الخطايا، ورصدت فيها أهم نتائج هذه الدراسة.

أما منهجى فى هذه الدراسة فهو كما يلى:

أولاً: برغم صعوبة المراجع المسيحية وتعقيدات العقيدة المسيحية إلا أننى اعتمدت على المراجع المسيحية فى تصوير عقائدهم.

فلقد أوردت النصوص من مصادرها الأصلية غالبًا، فلم أعتمد على أقوال الغير فى بيان عقائدهم، وإنما رجعت إلى المراجع الأساسية عندهم، ولم أحاول أن ـ أتدخل فى النصوص التى أوردتها بالحذف أو التغيير أو التبديل ولكننى أوردتها كما كتبها أصحابها لذلك جاء فى هذا البحث بعض النصوص الطويلة.

ثانيًا: التعليق على ما أوردته من نصوص بأسلوب الحوار الهادئ الذى لا يجنح إلى الانفعال، وبروح المنهج العلمى الجاد والمنطق العقلى السليم بعيدين كل البعد عن الهوى والتعصب لأنه لا غرض لنا إلا إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ثالثًا: ولقد حاولت فى بعض الأحيان إرخاء العنان للخصم، أو التسليم ببعض الأفكار والاحتجاج بما هو مسلم به عندهم حتى يكون ألزم فى الحجة وأتم فى الإقناع. لذلك كثرت عبارة ـ على فرض التسليم بصحة كذا ـ فى هذه الدراسة.

رابعًا: إن الأقوال التى نسبتها فى هذا البحث إلى المسيح أو إلى الحواريين فإنما هى على تقدير تسليم أنها أقوالهم لأنه غير ثابت عندنا أنها أقوال المسيح والحواريين لأجل فقدان إسناد الكتب المنسوبة إليهم.

خامسًا: وقد لجأت أحيانًا إلى التعليق فى الهامش لتوضيح بعض المصطلحات والأفكار المسيحية حتى لا يكون ذكرها فى صلب البحث حائلاً دون اتصال أفكاره وتسلسله لذلك كثرت الهوامش فى هذا البحث.

وقد التزمت فى هذا البحث بوصاية الله لنا (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) ولم أخرج عن طوق هذه الوصاية حتى لا أكون قد ارتكبت ذنبا بمخالفتى لوصاية الله لنا.

وبعد..

فأرجو أن يكون هذا البحث قد جاء على الصورة اللائقة بالأبحاث العلمية كما أرجو أن أكون قد وفقت فى إبراز موقف الإسلام من عقيدة الخلاص المسيحية.

وفى ختام هذه المقدمة أتقدم بوافر الشكر الجزيل لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم حسن فرغل الذى غمرنى بكثير من توجيهاته العلمية النافعة.

فجزاه الله عنى خير الجزاء.

نفع الله تعالى بما كتبت وأثابنى بقدر نيتى وغفر لى زلتى إنه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المدخل
مصادر المسيحيين فى إثبات عقائدهم

العهد القديم

يعتبر النصارى أن الكتاب المقدس هو المصدر الأساسى لهم فى إثبات عقائدهم.

والكتاب المقدس مكون من قسمين يطلق على القسم الأول: العهد القديم وعلى القسم الثانى العهد الجديد.

وكلمة العهد: تعنى الميثاق.

والعهد القديم[١] كما يقول د/ ألفريد مارتن ـ عهد الله مع الإنسان قبل مجئ الرب يسوع إلى العالم. والعهد الجديد: هو عهد الله مع الإنسان بواسطة ابنه الرب يسوع[٢] وسمى بالجديد للتميز بينه وبين العهد القديم.

والعهد القديم يتكون من أربعة[٣] أقسام رئيسية[٤].

القسم الأول: أسفار موسى الخمسة (أو التوراة)[٥] وهى :ـ

١ـ سفر التكوين (أو سفر الخلق) وسمى بهذا الاسم لاشتماله على قصة خلق العالم وخلق الإنسان، ويشمل هذا السفر ـ بالإضافة إلى هذا ـ قصة الخطيئة التى ارتكبها آدم ونزوله إلى الأرض عقابًا له، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم،

---

(١) وتسمية القسم الأول من الكتاب المقدس ـ بالعهد القديم تسمية متأخرة لاحقة لظهور المسيحية وأطلقها النصارى للتميز بينهم وبين اليهود. راجع د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام ص ٧٥.

(٢) د/ ألفرد مارتن: دراسة أسفار الكتاب المقدس. الكتاب الأول ص ١٥.

(٣) هناك ثلاث نسخ للعهد القديم، النسخة السامرية وهى المعتبره عند السامرين وتختلف هذه النسخة عن بقية النسخ الأخرى من كتب العهد القديم فى أنها تحتوى على خمسة أسفار فقط وهى التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.

النسخة العبرية وتتكون هذه النسخة من تسعة وثلاثين سفرا ـ وهى النسخة المعتبرة عند البروتستانت وبعض كنائس الشرق. النسخة اليونانية وهى النسخة المعتبرة عند النصارى الأرثوذكس والكاثوليك. وهى النسخة المترجمة عن النسخة العبرية ـ وهى المسماه بالترجمة السبعينية وزادوا على أسفار النسخة العبرية أسفارًا أخرى (راجع التوراة السامرية) ص٢٢ ـ ٢٣، د/ بدران محمد بدران (التوراة) ص ٢٢.

(٤) راجع (دراسة أسفار الكتاب المقدس) ص١٢.

(٥) التوراة يراد بها فى عرف اليهود: مجموعة الأسفار الخمسة المنزلة على موسى عليه السلام أى ليست إلا جزءًا من العهد القديم، وقد تطلق التوراة على الجميع من إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى لأنه أبرز أنبياء بنى إسرائيل. د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢٣٨.

فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده، ثم قصة إبراهيم وتجواله ونسله إلى إسحاق ويعقوب وأولاده وبخاصة يوسف وما جرى له إلى أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وأخوته وبموت يوسف ينتهى هذا السفر.

٢ ـ سفر الخروج: وسمى بذلك لتناوله خروج بنى إسرائيل من مصر. ويحوى هذا السفر قصة بنى إسرائيل بعد يوسف وما عانوه من الفراعنة وظهور موسى وخروجه بهم من مصر. ويستمر هذا السفر فى قص تاريخ بنى إسرائيل حتى يصل إلى شرق الأردن وفى هذا السفر الوصايا العشر التى يدّعون أن الله أعطاها لموسى، وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية، ومنها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد وما حدث من بنى إسرائيل.

٣ ـ سفر اللاويين: سمى بهذا نسبة إلى أسرة (لاوى) أحد أبناء يعقوب ويحوى هذا السفر كثيرًا من التشريعات والوصايا والأحكام ويحتوى أيضًا على كثير من الأمور المتصلة بالعبادات والأوامر الدينية.

٤ ـ سفر العدد: وسمى بذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بنى إسرائيل وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم، فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بنى إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم، ويحتوى هذا السفر على سيرة بنى إسرائيل فى برية سيناء وما بعدها فهو بذلك استمرار لما ورد فى سفر الخروج وفيه كثير من التنظيمات والتعليمات الطقسية والكهنوتية والاجتماعية.

٥ ـ سفر التثنية ـ أو تثنية الشريعة ـ ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم. وسمى بهذا الاسم لأنه يعيد ذكر التعاليم التى تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بنى إسرائيل. وفى هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضا جديدًا، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام وعن نظام القضاء والملك عند بنى إسرائيل، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة كما تحدث عن انتخاب

يشوع بن نون خلفا لموسى. وينتهى هذا السفر بخبر وفاة موسى ودفنه فى جبال مؤاب[١].

القسم الثانى: ويسمى بالأسفار التاريخية وهى اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث الباردة فى شئونهم.

وهذه الأسفار هى: يشوع ـ القضاة ـ راعوت ـ صوئيل الأول ـ صموئيل الثانى الملوك الأول ـ الملوك الثانى ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثانى ـ عزرا ـ نحميا ـ أستير.

القسم الثالث: ويسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية.

وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى مؤلفة تأليفا شعريا وعددها خمسة أسفار وهى :ـ سفر أيوب، مزامير داود ـ أمثال سليمان ـ والجامعة من كلام سليمان ـ نشيد الأناشيد لسليمان.

القسم الرابع: ويسمى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرًا وهى :ـ

أسفار إشعياء ـ إرمياء ـ مرائى إرمياء ـ حزقيال ـ دانيال ـ هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عوبديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجى ـ زكريا ـ ملاخى. وعلى ذلك فمجموع هذه الأسفار فى الأقسام السابقة تسعة وثلاثون سفرا وجميع النصارى يقدسون هذه الأسفار، والكنيسة البروتستانيتية تقف عند هذه الأسفار فقط من أسفار العهد القديم. ولكن النصارى الأرثوذكس والكاثوليك يضيفون سبعة أسفار هى :ـ طوبيا ـ يهوديت ـ الحكمة ـ يشوع بن سيراخ ـ باروخ ـ المكابيين الأول ـ المكابيين الثانى.

هذا إلى جانب تتمه سفر أستير من الإصحاح العاشر إلى الإصحاح السادس عشر، وسفر دانيال بالإصحاح الثالث عشر والرابع عشر[٢].

---

(١) راجع د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢٤١ ـ ٢٤٣، د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص١٣.

(٢) من مقدمة د/ أحمد السقا: التوراة السامرية ص٣٢.

فيكون بذلك مجموع أسفار العهد القديم المقدسة لدى الكاثوليك والأرثوذكس ستة وأربعون سفرا.

أهمية العهد القديم لدى النصارى:ـ

العهد القديم من المصادر الأساسية لدى النصارى. فهو كما يقول د/ فهيم عزيز (الكتاب المقدس للكنيسة الأولى وللمسيح من قبل)[١].

ويقول (وكان المسيح يدافع عن العهد القديم فى مقابل التقليد مقتبسا من الأنبياء)[٢]. والكنيسة اتخذت من العهد القديم مصدرًا للتعبير عن خبرتها وشهادتها. ولقد اتخذته مصدرًا للسلطة فى أمر السلوك والعقائد مقتفية فى ذلك أثر سيدها)[٣] فالعهد القديم هو المصدر الأول للنصارى وهو ـ كما يقول كلايد تارنر ـ بمثابة الأساس للعهد الجديد)[٤]. حيث إنه يشتمل ـ كما يعتقدون ـ على الناموس[٥] الذى سبق فهيأ الإنسان لاستقبال المخلص، وعلى النبوءات والرسوم التى تشير إلى النعمة الإنجيلية[٦]. لذلك يقول المسيح (لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأ نقض بل لأكمل)[٧].

(ينفى السيد المسيح نفيا قاطعا أنه جاء لينقض الناموس أو الأنبياء أى أنه يقدس العهد القديم على أنه كلام الله ولا يمكن أن يزيله ولا يمكن أن يمحو سلطانه بل سوف يبقى إلى أن يكون الكل. والتكميل ليس معناه الزياده ولكن إتمام الهدف منه والغرض الذى جاء من أجله فهو بذلك يشرح المعنى الحقيقى له[٨].

---

(١) د/ فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص١٠١.

(٢) راجع مرقس ٧: ٦ ـ ١٣.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص١٤٦.

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧.

(٥) ناموس اسم يونانى الأصل معناه شريعة أو قانون، وأطلق على ناموس موسى وهو الشريعة التى وضعها موسى بوحى من الله فى الحقول المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية، وسميت شريعة موسى ناموسا لأن فيها صفات الناموس أى أنها تكون مجموعة قوانين للسلوك تضعها سلطة عليا منفذة وتشرف على تطبيقها ومعاقبة من يخرج عنها وقد جاء الناموس من الله على يد موسى، ومع أن لفظة الناموس لوحدها تعنى فى بعض الأحيان العهد القديم كله فإنها ترمز إلى ناموس موسى. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٧٨).

(٦) أفلاطون مطران موسكو: الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٧.

(٧) متى ٥: ١٧.

(٨) المدخل إلى العهد الجديد ص٢٦٦.

وبرغم أن المسيح كان يقدس العهد القديم وبين لأتباعه أنه ما جاء لينقضه إلا أننا نجد أن النصارى نقضوه. حيث إنهم بدلوا عقيدة العهد القديم ولم يلزموا حدوده. فمعلوم أن العهد القديم يصرح بالتوحيد ويدعو إليه ويحث عليه وينهى عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله بل يدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما ثقفوا[١] ولكن النصارى نقضوا هذه العقيدة فدعوا الناس إلى التثليث.

وكذلك أيضًا نقض بولس العهد القديم فقال بعدم الختان ويدل على ذلك قوله (دُعى أحد وهو مختون فلا يصير أغلف ودعى أحد فى الغرلة فلا يختتن ليس الختان شيئًا وليست الغرلة شيئًا بل حفظ وصايا الله)[٢].

وطالما صرح فى رسائله بقوله ـ ما فائدة الختان؟[٣].

فالنصارى نقضوا العهد القديم مع أن المسيح بين لهم أنه ما جاء لينقضه. فكيف يعتبر العهد القديم مصدرًا لهم، مع أنهم اختلفوا معه فى العقيدة؟

ولماذا نقض مع أن المسيح قال لهم ماجئت لأنقضه؟

العهد الجديد

أما العهد الجديد فيتكون من ثلاثة أقسام رئيسة :ـ[٤].

القسم الأول: الأسفار التاريخية وهى خمسة أسفار وهى الأناجيل الأربعة إنجيل متى ـ إنجيل مرقس ـ إنجيل لوقا ـ إنجيل يوحنا.

وتتناول حياة المسيح من وقت الحمل إلى وقت صلبه ـ فى اعتقادهم ـ وقيامته ورفعه بعد أربعين ليلة أى أنها تشتمل على حياة المسيح وصلبه وقيامته.

أما السفر الخامس فهو سفر أعمال الرسل وموضوعه تاريخ حياة الحواريين وتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير فى المسيحية مثل بولس وغيره.

---

(١) راجع د/ أحمد السقا: الله وصفاته فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص١٤ ـ ٢٠.
(٢) كورنثوس الأولى ٧: ١٨ ، ١٩.
(٣) راجع رومية ٣: ١.
(٤) راجع الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٩ ـ ١٠دراسة أسفار الكتاب المقدس ص١٣.

ويدل على ذلك اسم السفر نفسه فالكلمة الأولى من عنوان هذا السفر هى أعمال. ومعناها تاريخ حياتهم أو ما عملوه وما أثر عنهم، والكلمة الثانية من عنوان السفر (الرسل) ومعناها فى اصطلاح المسيحية الحواريون لأنهم يعتقدون أن هؤلاء أرسلهم الرب وهو عيسى ليبشروا بالمسيحية وينشروها.

ولما كان هذا الكتاب يتفق مع الأناجيل فى أن موضوعه الأساسى موضوع تاريخى ـ لأن الموضوع الأساسى للأناجيل تاريخ حياة المسيح والموضوع الأساسى لهذا الكتاب هو تاريخ أنصاره من بعده ـ لذلك جرت العادة بأن تطلق كلمة الأسفار التاريخية على الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل[١].

القسم الثانى: الأسفار التعليمية:ـ

وهى رسائل بولس وعددها أربعة عشر سفرا منها عشر رسائل إلى بعض البلاد وبعض الشعوب وهى: رسالة إلى أهل رومية، ورسالتان إلى أهل كورنثوس، ورسالة إلى أهل غلاطية، ورسالة إلى أهل أفسس، ورسالة إلى أهل فيلبى، ورسالة إلى أهل كولوسى، ورسالتان إلى أهل تسالونيكى، ورسالة إلى العبرانيين.

وأربع رسائل إلى بعض تلاميذه وهى رسالتان إلى تيموثاوس، ورسالة إلى تيطس، ورسالة إلى فيليمون.

وهذه الرسائل تعرض فى صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطًا كبيرًا من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله والتثليث إلى غير ذلك من العقائد المسيحية.

هذا إلى جانب أن الأسفار التعليمية تشمل الرسائل المسماة بالرسائل السبع الجامعة وهى كما يلى: رسالة يعقوب، ورسالتان لبطرس، وثلاث رسائل ليوحنا، ورسالة ليهوذا، وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية.

من أجل ذلك يطلق على رسائل بولس والرسائل السبع الأخرى اسم الأسفار التعليمية للعهد الجديد.

القسم الثالث: رؤيا يوحنا وتسمى إعلانا[٢]

---

(١) د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٩٩.

(٢) رؤيا يوحنا ١: ١.

وهو السفر الأخير من العهد الجديد ويتضمن هذا السفر حسب تعبير كاتبه في بداية الإصحاح الأول (إعلان يسوع المسيح الذى أعطاه إياه الله ليرى عبيده ما لابد أن يكون عن قريب)[١]. وقد وجه الحديث إلى سبع كنائس فى آسيا (يوحنا إلى السبع كنائس التى فى آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن والذى كان والذى يأتى ومن السبعة الأرواح التى أمام عرشه ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض)[٢].

أما الغاية الرئيسة من هذا السفر فهى تعزية الكنيسة وتحذيرها وسط صراع العالم وإعدادها لمجئ الرب الثانى)[٣][٤].

وكان الأجدر بالنصارى أن يحذفوا هذه الرؤيا من كتابهم المقدس لأنها ـ كما يقول د/ أحمد شلبى ـ بالخرافات أقرب[٥] حيث يصور فيها الكاتب السيد المسيح فى صورة الخروف المذبوح[٦] ويكرر هذا التصوير. وهو ذوق ناب فى التشبيه، وعن هذا التشبيه يقول الروائى الإنجليزى المعاصر (لورنس) إننى أشمئز من الربط بين المسيح وبين الخروف المذبوح مع أن الخراف أغبى وأجشع ما فى مملكة الحيوان[٧].

اعتقاد النصارى بأن الكتاب المقدس موحى به من عند الله

ففى إقرار الإيمان النصرانى ما نصه (نؤمن بأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو كلمة الله الموحى بها وهو الدستور الوحيد المنزه عن الخطأ والشامل

---

(١) رؤيا يوحنا ١ : ١.

(٢) رؤيا يوحنا ١ : ٤ ـ ٥.

(٣) أما معنى مجئ الرب الثانى فإن النصارى يعتقدون أن ابن الله سيجئ ثانية بالمجد مجيئًا حقيقيًا منظورًا والحوادث التى تسبق هذا المجئ ـ كما يقولون ـ انتشار الأناجيل فى كل العالم. ورجوع اليهود إلى الديانة المسيحية إلى غير ذلك ـ أما الحوادث التى تصاحب مجئ المسيح الثانى فهى ـ كما يقولون ـ القيامة، الدينونة الأخيرة، منتهى العالم. راجع علم اللاهوت النظامى ص١١٩٢.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٣٩٤.

(٥) راجع الإصحاح الثانى من سفر الرؤيا

(٦) راجع الإصحاح الخامس الفقرة السادسة وما بعدها من سفر الرؤيا.

(٧) د/ أحمد شلبى : المسيحية ص٢٠٣.

للحق الإلهى الكامل والقانون المعصوم الذى به تقاس جميع التصرفات والآراء والتعاليم الدينية وهو أيضًا مركز وحدة المسيحية)[١].

يقول بولس (كل الكتاب موحى به من عند الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهبًا لكل عمل صالح)[٢].

فالنصارى يعتقدون أن الكتاب المقدس كله موحى به من عند الله لكتبة الأسفار المقدسة (أى أن الله نفخ فيهم بالكتاب المقدس أو ساق أناس الله القديسين بروحه الذى سيطر عليهم وحركهم ودفعهم دفعا لكتابة الوحى الإلهى)[٣] ويدل على ذلك ما جاء فى رسالة بطرس الثانية (تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس)[٤].

فالكتبة الذين كتبوا الأسفار المقدسة أناس مختلفوا المواهب والملكات والوزنات وقد دفعهم الله ـ كما يقولون ـ وحركهم وساقهم ونفخ بروحه فيهم فأشعل ما فيهم من مواهب أوو زنات واستغل جميع ما لهم من ملكات أو إمكانيات[٥].

فالأسفار المقدسة لدى النصارى مكتوبة بالوحى ـ كما يعتقدون ـ وهى كلام الله[٦]

وقد اختلف النصارى حول طريقة الوحى فى الكتاب المقدس.

يعتقد البعض بالوحى الحرفى: أى أن كل كلمة فى الكتاب قد أملاها الروح القدس بصورة مباشرة أو غير مباشرة وقد كتب الناس ما أمرهم الله أن يكتبوه حرفيا[٧].

أى "أن كل أسفاره موحى بها فى كل عباراته بدون استثناء وعلى كل ما تحتويه فلا يقتصر على الحقائق الأدبية والدينية بل يشمل كل ما ذكر فيه من الأمور العلمية والتاريخية والجغرافية"[٨]. واستدلوا على ذلك بما يأتى :ـ

---

(١) القس : صموئيل مشرقى : المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص ٥.
(٢) ٢ تيموثاوس ٣ : ١٦ ـ ١٧.
(٣) إلياس مقار : قضايا المسيحية الكبرى ص٢٥٩.
(٤) ٢ بطرس ١ : ٢١.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٢٦٠.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص١٠٣.
(٧) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص٨.
(٨) علم اللاهوت النظامى ص١١٢.

١ ـ أن كتبة الكتاب هم آلات بيد الله فإن كانت أقوالهم بالإجمال أقوال الله يلزم أن تكون معصومة من الغلط.

ففى سفر الخروج (فكتب موسى جميع أقوال الرب)[١].

وفى سفر إرميا (الكلام الذى صار إلى إرميا من قبل الرب قائلاً هكذا تكلم الرب إله إسرائيل قائلاً: اكتب كل الكلام الذى تكلمت به إليك فى سفر)[٢].

ويقول بولس (ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التى نتكلم بها أيضًا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس)[٣].

٢ ـ من قول المخلص ـ المسيح ـ لا يمكن أن ينقض المكتوب[٤] أى أن المكتوب صحيح بكليته.

٣ ـ وبمصادقة المسيح ورسله فإنهم اعتبروا الناموس والأنبياء والأسفار التاريخية والشعرية أنها كلام الله على حد سواء واقتبسوا من كل ما جاء فيه من الأمور سواء كان أدبيًا أم تاريخيًا، مهما إلى الغاية أم قليل الأهمية[٥].

ثم قالوا (والحاصل أن روح الله عامل فى كل جزء من الكتاب سواء كان تاريخيًا أو مزمورًا أو نبوة أو مثلاً أو تعليما، كما أن الحياة النباتية فى كل النبات أى فى الجذور والساق والأغصان والأزهار، وكما أن حياة الجسد هى فى الأطراف كما هى فى القلب.

نعم إن بعض أسفار الكتاب أو بعض أجزاء سفر واحد منه أكثر فائدة من غيرها كما أن بعض أجزاء الجسد تفيد أكثر من البعض الآخر ولكن جميع أجزاء كل سفر منه وكل أسفاره مكتوبة بروح الله بلا ريب[٦].

---

(١) خروج ٢٤: ٤.
(٢) أرميا ٣٠: ١ ـ ٢.
(٣) ١ـ كورنثوس ٢: ١٢.
(٤) يوحنا: ١٠: ٣٥.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص١١٢.
(٦) المرجع السابق ص١١٣.

فالوحى على هذا الرأى عم الألفاظ والأفكار لجميع أجزاء الكتاب المقدس. ويعتقد البعض الآخر بما يسمى بالوحى الفكرى أى ما يعارض الإيحاء الحرفى. وهو يعنى أن الكلمات كانت من وضع الكاتب واختياره ولكن الحقيقة المدونة كانت من الله أى أن الفكرة فكرة الله والصيغة التى صيغت بها هى من وضع الكاتب، وهذا ما يعطى الكتاب مجالاً لتبيان شخصيتهم وهذا ما يفسر تنوع الأساليب فى الكتابات المتعددة الحاضرة[١].

ولم يرق هذا الرأى فى أعين الكثيرين منهم فأبطلوه وردوه وقالوا فى رده:

١ ـ إن الاعتراض على ألفاظ الكتبة الأطهار هو بمثابة الاعتراض على أفكارهم أو قدرتهم على إيضاح أفكارهم وبالتالى على الوحى ذاته.

٢ ـ عدم إمكان فصل المعانى عن الألفاظ التى تدل عليها لأن الألفاظ هى الواسطة لإيضاح المعنى، ومن المعلوم أن ضبط المعنى يستلزم ضبط الألفاظ ولذلك لاتصح نسبة العصمة إلى الأفكار دون الألفاظ التى توضحها، ولما كانت غاية الوحى هى تقدير الموحى إليه على التعليم وذكر الحوادث على غاية الضبط وكان ذلك يستلزم ضبط الألفاظ على المعانى المقصودة كان اعتقاد الوحى بالألفاظ نظير المعانى مما لا ريب فيه، فإنه لو كان استعمال لفظة كاهن، أو ذبيحة أو كفارة نحوها من الألفاظ المهملة فى الكتاب المقدس بدون إرشاد الوحى لكان ما تتضمنه تلك الألفاظ من المعانى بدون إرشاد الوحى أيضًا، لأن المعنى المعصوم يجب أن يكون طبق المقصود وهو يستلزم ألفاظًا تفى به ولذلك يتعذر على العقل البشرى التمييز بين كلمة معصومة وكلمة غير معصومة فى الكتاب المقدس وذلك يلقى دارس الكتاب فى بحر الشك والتشويش[٢].

ولذلك فالوحى ـ فى نظرهم ـ يشمل ألفاظ الكتاب ومعانيه. وهو أيضًا مردود بما سيأتى.

---

(١) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٩.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص١١٣ ـ ١١٤.

نقد المصادر النصرانية

إن مصادر العقائد النصرانية لا تقف أمام النقد، ولقد وجه إليها كثيرًا من أوجه النقد التى تثير الشكوك والريبة فى صحة هذه المصادر.

ونحن لا نريد هنا أن نورد هذه الأوجه كلها فذلك يحتاج إلى مجلدات ضخمة ولكننا سنقتصر هنا على بعض أوجه النقد التى يتبين منها أن هذه المصادر ليست من عند الله.

نقد العهد القديم

أولاً: تنسب سبينوزا العهد القديم إلى الأسماء التى لصقت بها، ولكن الحقيقة أن هذه التسمية غير صحيحة وأن هؤلاء الذين نسبت لهم الأسفار أو أكثرهم لم يكتبوها أو لم يكتبوا حرفا منها.

يقول سبينوزا (والواقع أننا نجهل تمامًا مؤلفى كثير من هذه الأسفار المقدسة أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها. ومن ناحية أخرى لا ندرى فى أية مناسبة وفى أى زمان كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقيين ولا نعلم فى أيدى من وقعت وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى وجد لها عدد من النسخ المتباينة)[١].

فأسفار العهد القديم لا يعلم الأشخاص الذين كتبوها وسطروها. وإليك البيان.

فعن الأسفار الخمسة التى تنسب إلى موسى نقرر أنه لا يوجد من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذى جاء بها أو أنزلت عليه بل على العكس من ذلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى[٢].

ويدل على ذلك أنها لم تترك على ما كانت فى الألواح التى كتبها الله تعالى لموسى، ولا على ما انتسخها لهم موسى، بل زيد فيها ما ليس منها، ولا كان فى الألواح التى كتبها الله لموسى. ويدل على ذلك ما جاء فى آخر السفر الخامس[٣] (فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه فى الجواء

---

(١) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٥٥.

(٢) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢٥٩.

(٣) أى سفر التثنية:

فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات موآب ثلاثين يوما فكملت أيام بكاء مناحة موسى. ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى)(١).

ولا يشك الواقف على هذا التاريخ وهذه الوفاه أنها ليست مما أنزل الله لموسى ولا مما كتبها موسى عن نفسه، وإنما هى من إثبات من أراد أن يثبتها بعد وفاة موسى بزمان، ويدل على ذلك (ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم) يريد به اليوم الذى كتب فيه هذا فليس أحد من اليهود والنصارى يقول إن التوراة زيد فيها شيء بعد موسى ولا يفرق بين هذا الكلام وغيره بل هى كلها عندهم كلام الله وهذا جهل عظيم وخطب جسيم(٢).

فهم بين أمرين: إما أن يقولوا إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى وأخبر به موسى. أو يقولوا إنه ليس مما أخبر الله به موسى ولم يخبر به موسى.

فإن قالوا الأول كذبهم مساق الكلام فإن المفهوم منه على القطع أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان.

وإن قالوا بالقول الآخر قيل لهم فلأى شىء خلطتم كلام الله بكلام غيره وأجريتموهما فى نسق واحد وزدتم على كلام الله ولم تشعروا بذلك بل نسبتم كل ذلك إلى أن الله أنزله. وإذا جاز زيادة مثل هذا ولم يتحرز منه جاز أن يكون كل حكاية فيها لا يصح نسبتها إلى الله زائدة. ولاسيما الحكايات الركيكة التى تحكى عن الأنبياء والتى لا يليق ذكرها بسفلة الناس)(٣).

فنسبة الأسفار الخمسة إلى موسى نسبة خاطئة ذلك أنه ليس من المعقول أن يكتب بعد الوفاة عن وفاته وهذا يدل على أن موسى لم يكتب هذه الأسفار وإنما كتبت

(١) تثنية ٣٤: ٥ ـ ٩.
(٢) القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص١٨٨.
(٣) المرجع السابق ص١٨٩.

بعده بزمن طويل ولا أدل على ذلك مما جاء فى الرواية السابقة (ولم يعرف أحد قبره إلى اليوم).

- ويدل على ذلك أيضًا أن كثيرًا مما يجئ فيها ـ أى فى هذه الأسفار ـ (وكلم الرب موسى وقال له) [١] ومثل هذا كثير وهذا يدل أنه ليس مما قاله الرب ولا قاله موسى لهم ـ أعنى لفظ (وكلم الرب موسى) وما أشبهه من لفظ الحكاية عنه ـ وإنما هو شىء حكى عنه بعد انقراضه وأضيف إلى كلام الله ثم لا يعرفون من الحاكى؟ وإذا جاز مثل هذا ولا يشعرون به جاز أن يكون أكثرها مغيرًا ومبدلاً وليس من كلام الله ولا من كلام موسى) [٢].
- ويدل على ذلك أيضًا أن الأسفار الخمسة تروى أن موسى فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده (ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى الذى عرف الرب وجها لوجه) [٣] هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة بل شخص عاش بعده بقرون عديدة[٤].
- هذا إلى جانب أن الأسفار الخمسة تطلق على بعض الأماكن أسماء لم تعرف بهذه الأسماء فى زمان موسى. يقول سبينوزا (يجب أن نذكر أيضًا أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التى عرفت بها فى زمن موسى بل أطلقت عليها أسماء عرفت بعده بوقت طويل إذ يقال إن إبراهيم تبع أعداءه حتى دان[٥] وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة[٦].

من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة) [٧] تقدر بنحو خمسة أو ستة قرون على الأقل.

---

(١) راجع سفر العدد ٤ : ٢١ / ١٥ : ١ ـ ٢، عدد ١٨ : ٢٥.
(٢) الإعلام بما فى دين النصارى ص ١٨٩.
(٣) تثنية ٣٤ : ١.
(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٦٩.
(٥) تكوين ١٤ : ١٤.
(٦) القضاة ١٨ : ٢٩.
(٧) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٧٠.

ولقد ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (يقع عصر موسى على الأرجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألف حوالى القرن التاسع قبل الميلاد (أى بعد موسى بنحو خمسة قرون أو ستة قرون) وأن سفر التثنية قد ألف فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أى بعد النفى البابلى ـ وهو إجلاء بنى إسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ ق.م ـ وأنها جميعها مكتوبة بأقلام اليهود. وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم الطويل.

فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن توراة موسى[(١)].

فإذا تركنا الأسفار الخمسة إلى من عداها من الأسفار وجدنا نفس النتيجة. فإن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جدًا عمن نسبت لهم هذه الأسفار وقد قرر الكتاب الغربيون هذه الحقيقة[(٢)].

فسفر يشوع ليس من وضع يشوع نفسه بل إن شخصًا آخر هو الذى شهد ليشوع بأن شهرته قد طبقت آفاق الأرض[(٣)] وبأنه لم يغفل شيئًا مما أوصى به موسى[(٤)]، وبأنه عندما تقدم به السن دعا الجميع إلى المجمع ثم قضى نحبه، وفضلاً عن ذلك فإن الرواية تمتد إلى **الوقائع التى حدثت بعد موته** إذ أنه يذكر على وجه التحديد أنه بعد موته كان الإسرائيليون يعظمون الله ما عاش المسنون الذين عرفوا يشوع.

---

(١) د/ على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود ص١٤ ـ ١٥، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام ص ١٦.

(٢) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢٦١.

(٣) يشوع ٦ : ٢٧.

(٤) انظر الفقرة الأخيرة من الإصحاح الثامن والإصحاح التاسع الفقرة الخامسة عشرة.

ويذكر الإصحاح السادس عشر[1] أنهم أى (أفرائيم ومنسى) لم يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر. ويضيف فأقام الكنعانيون بين أفرائيم إلى هذا اليوم وكانوا عبيدا يؤدون الجزية وتوجد هذه الرواية نفسها فى سفر القضاة[2]. وتدل هذه الطريقة فى الحديث باستعمال "إلى يومنا هذا" على أن من يكتب ذلك يتحدث عن شىء قديم للغاية[3]. لذلك يقول رحمت الله الهندى (لم يظهر لهم إلى الآن بالجزم اسم مصنف سفر يشوع ولا زمان تصنيفه. يرى بعضهم أن سفر يشوع كتبه إرميا، وبين إرميا ويشوع أكثر من ثمانية قرون، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فينحاس ووقوع هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على عدم صحة سند هذا السفر عندهم)[4]. فنسبة سفر يشوع إليه غير صحيحة.

وكذلك أيضًا سفر القضاة.

يقول سبينوزا (لا أظن أن شخصًا سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه لأن نهاية القصة كلها فى الإصحاح الحادى والعشرين[5] تبين بوضوح أن مؤرخًا واحدًا هو الذى كتبه كله.

ومن جهة أخرى فلما كان مؤلفه يكرر دائمًا أنه لم يكن هناك فى عصره أى ملك لإسرائيل فلاشك أنه لم يكتب بعد أن استولى الملوك على السلطة)[6].

ويقول رحمت الله الهندى (وسفر القضاة الذى هو السفر الثالث فيه اختلاف عظيم، لم يعلم مصنفه ولا زمان تصنيفه. قال بعضهم إنه تصنيف فينحاس، وقال بعضهم إنه تصنيف حزقيا. وعلى هذين القولين لا يكون هذا الكتاب إلهاميا، وقال بعضهم إنه تصنيف إرميا، وقال بعضهم إنه تصنيف حزقيال، وقال بعضهم إنه تصنيف عزرا.

---

(١) يشوع ١٦ : ١٠.
(٢) قضاة ١ : ٢٨ ـ ٣٠.
(٣) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٧٤.
(٤) رحمت الله الهندى: إظهار الحق ص٩١ بتصرف شديد.
(٥) قضاة ٢١ : ٢٥.
(٦) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٧٥.

وبين عزرا وفينحاس زمان أزيد من تسعمائة سنة، ولو كان عندهم سند لما وقعوا فى هذا الاختلاف الفاحش)[١].

وكذلك أيضًا سفرا صموئيل.

يقول سبينوزا (ليس هناك ما يدعو إلى التوقف عندهما طويلاً لأن القصة تستمر بعد وفاة صموئيل بوقت طويل)[٢]

وهكذا فإن مثل هذا يقال عن كل أسفار العهد القديم فقد كتبها مؤلفون آخرون غير هؤلاء الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم.

وهذا يوحى بعدم الاطمئنان إلى صحة العهد القديم ويجعل الشك يتطرق إليه مما يفقده الثقة الكاملة به.

ثانيًا: إن هذه الكتب مليئة بالأخطاء التاريخية ومشتملة على كثير من التضارب والتناقض ـ وهذا يعنى أن هذه الكتب ليست وحيا من عند الله؛ لأنها لو كانت من عند الله لما وقع فيها شىء من الأخطاء والتناقض والتضارب.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى نذكر بعضًا منها.

١ ـ وقع فى الفقرة الأربعين من الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أن مدة إقامة بنى إسرائيل فى مصر كانت ٤٣٠ سنة ـ وهذا غلط لأن هذه المدة ٢٢٥ سنة وقد أقر مفسروهم ومؤرخوهم بهذا[٣].

٢ ـ وفى سفر التكوين الإصحاح السادس الفقرة الثالثة يقرر الله قبل الطوفان بقليل أن يحد عمر الإنسان بمائة وعشرين سنة (وتكون أيامه مائة وعشرين سنة).

وهذا غلط لأن سفر التكوين[٤] بعد ذلك يبين أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من ١٤٨ ـ إلى ٦٠٠ سنة.

---

(١) إظهار الحق ص٩٣.
(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٧٥.
(٣) إظهار الحق ص١٣٥ ـ ٢٤٣.
(٤) تكوين ١١ : ١٠ ـ ٣٣.

فهذه الأغلاط تدل على أن أسفار العهد القديم ليست من عند الله وإلا لصح نسبة الخطأ إلى الله وهو مالا يقول به عاقل.

٣ ـ يعلم من سفر التكوين من الإصحاح السادس الفقرة ١٩ ، ٢٠ ، ومن الإصحاح السابع الفقرة ٨ ، ٩ أن الله كان قد أمر نوحًا بأن يأخذ من كل طير وبهيمة وحشرات الأرض اثنين اثنين ذكرًا وأنثى.

بينما يعلم من الإصحاح السابع الفقرة ٢ ، ٣ أنه كان قد أمر نوحًا أن يأخذ من كل بهيمة طاهرة ومن كل طير طاهر كان أو غير طاهر سبعة أزواج سبعة أزواج، ومن كل بهيمة غير طاهرة اثنين اثنين. وواضح تمامًا تضارب الروايتين فى سفر واحد.

٤ ـ تنص الفقرة الثانية من الإصحاح السابع من سفر التكوين على أن الطوفان استمر أربعين يومًا وأربعين ليلة، بينما تنص الفقرة الرابعة والعشرين من نفس الإصحاح أنه استمر مائة وخمسين يومًا.

٥ ـ من قابل الإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال ـ بالإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد وجد اختلافًا صريحًا فى الأحكام.

إلى غير ذلك من الاختلافات والتناقضات[1] المليئة بها أسفار العهد القديم والتى لا يمكن التسليم معها بأن هذه الأسفار موحى بها من عند الله، أو أن أصحابها كتبوها بإلهام من الله؛ لأنها لو كانت كذلك لما وقع فيها هذه الأخطاء وتلك التناقضات، ولا شك أن هذه التناقضات تثير الشكوك والريبة فى صحة هذه الأسفار وفى نسبتها إلى الله.

ثالثًا: إن هذه الأسفار مليئة بالأكاذيب والسخافات الباطلة المنسوبة إلى الله ورسله، وهذا ما يؤكد بطلان كونها وحيا من الله.

(١) راجع فى ذلك، إظهار الحق، د/ بدران محمد بدران (التوراة)، موريس بوكاى: دراسة فى الكتب المقدسة، وغيرها.

١ـ فلقد صورت الأسفار الإله بصورة بشرية، يسير ويمشى ويتعب ويستريح ويجهل بعض الأمور ثم يعلمها بعد ذلك.

تصور هذه الأسفار أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، ثم استراح فى اليوم السابع، ثم نزل إلى الجنة بعد أن وضع فيها آدم ومشى فيها واختبأ آدم منه ولم يعرف مكانه فناداه، وكذلك لم يعرف أن آدم أخطأ إلا بعد أن ناداه ورآه، وبعد أن علم أن آدم أخطأ ندم وحزن لأنه خلق الإنسان لأن الإنسان أصبح شريرًا[١].

هكذا صورت أسفار العهد القديم الله بصورة لا تليق به ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرًا ـ جعلته يستريح لأنه تعب، ويمشى ولا يدرك مكان آدم، ولا يعرف أنه أخطأ إلا بعد أن رآه، وجعلته أيضًا غير مدرك لإبعاد ما يصنعه، غير دار بما سيحدث من الإنسان مستقبلاً فلذلك ندم على خلقه للإنسان..... أيليق هذا بالذات الإلهة؟ وهل يصح أن نقول إن هذا مما أنزله الله على الأنبياء أو علمه للأنبياء؟

هذا إلى جانب أن هذه الأسفار تروى لنا قصة لا يجرؤ أى إنسان أن يكتبها ولكن كتبته هذه الأسفار كتبوها والقصة تقول إن الله لم يقدر على يعقوب بعد صراع دام من أول الليل حتى الفجر[٢].

إن ذلك مما لا يصح نسبته إلى الله سبحانه وتعالى؛ فهو سبحانه يتصف بكل كمال إلهى ويستحيل عليه كل نقص بشرى.

٢ـ ولقد وصفت أسفار العهد القديم أيضًا أنبياء ورسل الله بمالا يليق بهم، من ذلك ما روى فى سفر التكوين من أن نوحًا شرب الخمر حتى انكشفت عورته[٣] وما روى عن نبى لله لوط ـ ذلك أن هذه الكتب لوثته ورمته بالزنا، ومع من؟ مع ابنتيه... ذلك أن لوطا خرج مع ابنتيه وسكن الجبل وما كان من ابنتي لوط إلا أن فكرتا فى إنجاب الأطفال من أبيهما لأن الجبل موحش فسقياه خمرًا حتى غاب

---

(١) راجع سفر التكوين الإصحاح الثانى والثالث.
(٢) تكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٠.
(٣) تكوين ٩: ٢٠ ـ ٢٧.

عن الوعى وضاجعتاه وأنجبتا منه ذكرين[١]... أليس هذا غريبًا؟ وأليس هذا عجيبًا؟ وهل يليق برسل الله ذلك؟ إن مثل هذا لا يفعله أخس الناس فهل يوصف أنبياء الله بما لا يوصف به السقطاء؟ إن هذا لعجيب وغريب!!.

ومن ذلك ما روى من نسبة الكذب إلى يعقوب حيث كذب على أبيه وسرق بركة أبيه من أخيه عيسو[٢].

ومن ذلك افتراؤها على هارون حين اتهمته بأنه هو الذى صنع العجل لبنى إسرائيل ليعبدوه وذلك عندما صعد موسى للجبل ليأخذ التعاليم من الله[٣].

إلى غير ذلك من الحماقات والخرافات التى لا يمكن نسبتها إلى أنبياء الله ورسله، ذلك أنهم ما جاءوا إلا بتنزيه الله وحده لا شريك له ومحاربة الشرك ومحاربة تلك الموبقات، فكيف ينهون الناس عنها وهم يأتونها؟

إن هذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الأسفار ليست من عند الله وليست من أسفار الأنبياء. وعلى ذلك فلا ثقة فى العهد القديم حيث إنه لا سند له متصل ولا نسق ذاتى ولا تعاليم مستقيمة.

هذا هو المصدر الأول من مصادر العقائد النصرانية وهو كما ترى بعيد كل البعد عن أن يكون وحيا من عند الله أو كتابا من كتب أنبياء الله.

نقد العهد الجديد

أولاً: بادئ ذى بدء نقول بأن أسفار العهد الجديد ـ سواء كانت الأناجيل أم غيرها لم يكتبها المسيح ولم يملها ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى إليه، ولكنها كتبت بعده؛ لذلك فهى نسبت لمن كتبها. وهم يسلمون بذلك، فهذه الأناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام، وليست منسوبة له، ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ومن

(١) تكوين ١٩: ٣٠ ـ ٣٨.
(٢) تكوين ٢٧: ١ ـ ٤٠.
(٣) خروج ٣٢: ١ ـ ٦.

ينتمى إليه. وهذا يعنى أن هذه الكتب ليست سماوية أى ليست من عند الله وإنما هى من وضع البشر كتبت بأيدى البشر وفكر البشر.

ثانيًا: وعلى فرض التسليم بنظريتهم فى الوحى ـ التى تعنى أن هؤلاء البشر كتبوا بوحى من الله وأن الله عصمهم من الخطأ[١] ـ فإن هذه الكتب ليست متصلة السند، فإن الكتاب لا يكفى فى إسناده إلى شخص ذى إلهام، بل لابد أن يثبت نسبة هذا الكتاب إلى هذا الشخص بسند متصل.

والسند المتصل الذى يجب توافره فى الكتاب الدينى هو أن يروى الثقة عن الثقة حتى يصل السند إلى من لقى المؤلف فيقول سمعته منه أو تلقيته عنه أو قرأته عليه ويكون كل راوٍ فى تلك السلسلة المتصلة حلقاتها عدلا ثقة ضابطا حافظا للكل[٢]. أو أن يروى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب حتى يصل إلى الرسول الذى أسند إليه الكتاب ونسب إليه.

وهذا السند لا يوجد عندهم وقد طلب علماؤنا من علمائهم السند فاعتذروا بفقده وقالوا إن سبب فقده توالى وقوع المصائب والفتن على المسيحيين حتى القرن الرابع الميلادى.

يقول العلامة رحمت الله الهندى (طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال إن سبب فقدان السند وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن وقد قلت إن الظن فى هذا الموضوع لا يغنى شيئًا فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا)[٣].

---

(١) وهى دعوى واضحةالبطلان؛ لأنهم ليسوا برسل الله. فمن أين جاءتهم العصمة فى هذا المقام؟ وإلا لو أفسحنا مجال العصمة لغير الأنبياء والرسل لادعى الأدعياء والدخلاء ذلك. فالعصمة لرسل الله، وهم غير رسل الله فكتابتهم ليست وحيا من الله.

(٢) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص١٠٧.

(٣) إظهار الحق ص٨٣.

ويبين ذلك بتفصيل الإمام محمد أبو زهرة فيقول:

(إن نسبة هذه الكتب إلى من نسبت إليهم على ما فيها وعلى أنها فى ذاتها ليست حجة هى موضع شك كثير فإنه ليس لهم سند متصل يصل هذه الكتب فى أقدم العصور التى عرفت فيها بالكاتبين لها فهى لم تعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقية الذى كان فى سنة ٣٢٥ م، ولم يجئ ذكر لها قبل ذلك إلا على لسان أرينيوس سنة ٢٠٠م وكليمنس سنة ٢١٦ م.

بل إن مجمع نيقية لم يعترف بكثير منها فإن ذلك المجمع لم يعترف[1] بما يأتى: رسالة بولس إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، ورسالتى يوحنا الثانية والثالثة، رسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا.

ولم يحكم بصحة هذه الكتب إلا فى مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤[2].

ويقول (فقبل سنة٣٦٤ م لم يعترف بصحة هذه الرسائل السبع، وقبل سنة ٣٢٥م لم تكن الكتب كلها معروفة أو مختصة بذلك التقديس وآخر كتاب من هذه الكتب كتب فى القرن الأول فبين آخر كتبهم تدوينا فى زعمهم ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لاراوى يرويها وقد وقع بهم من الأحداث فى هذه المدة ما يذهب باللب ويضيع الرشد وينسى المرء معه كل شيء، وإن الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد.

فقد أصدر أحد أباطرة الروم سنة ٣٠٣ م أمرًا بهدم الكنائس، وإحراق الكتب، وعدم اجتماع المسيحيين لأداء عباداتهم، فنفذ الولاة الأمر، فهدموا الكنائس، وحرقوا الكتب، وأتوا على كل ما للمسيحيين من بيوت وعبادة هدمًا وتحريقًا، ومن سبق إلى ظنهم إنه أخفى كتابًا عذبوه عذابًا شديدًا حتى يعلنه فيحرق)[3].

ويقول (ومن قبل ومن بعد أنزلوا البلاء بعلمائهم فما تركوا عالمًا منهم بالديانة إلا قتلوه وكان الولاة يتفننون فى طرق إبادة المسيحية من الوجود، أبادوا العلماء حتى

(١) راجع د/ فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ١٥٤ علم اللاهوت النظامى ص ٩٨.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٦.

(٣) المرجع السابق ص١٠٧ .

لا يوجد من يرشد إليها ويتوارث العلم بها، وأبادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة فى الصدور أو السطور. ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذى دام إلى صدر القرن الرابع الميلادى يجعل الكتب التى رويت قبل ذلك موضع شك فى نسبتها إلى قائليها حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة، ولم يقيموا أى دليل، لأن السند منقطع بينها وبين من تنسب إليهم والحبل بينهم وبينها غير متصل بأوهى أنواع الاتصال)[١].

فالكتب النصرانية غير متصلة السند. وإذا كان السند غير متصل بين ذيوع هذه الكتب واشتهارها وبين قائليها ـ فقد ذاعت بعد سنة ٣٦٤ ومن نسبت إليهم كتابتها كانوا فى وسط القرن الأول ـ فالعقل يتشكك فى هذه النسبة ولا يثبت مع الشك كتاب يكون حجة لديانة.

ثالثًا: إن هذه الكتب مليئة بالتناقضات المختلفة، والاختلافات، والأغلاط الكثيرة. والتى لا يمكن التسليم معها بأن هذه الكتب كتبت بوحى أو بإلهام.

من ذلك: التناقض بين إنجيل متى ولوقا فى نسب المسيح. فمن قابل بين نسب المسيح الذى فى إنجيل متى بنسبه الذى فى (لوقا) وجد ستة اختلافات واضحة ظاهرة[٢]. وسنبين ذلك بالتفصيل فى الباب الثانى من هذه الدراسة.

ومن ذلك التناقض ما جاء فى الإنجيل المنسوب إلى (متى) عن المسيح عليه السلام مخبرا عن يوحنا المعمدان (هذا هو إيليا)[٣]، وحكى خلافه فى إنجيل يوحنا، من يوحنا المعمدان نفسه. سأله اليهود هل أنت إيليا؟ فأجابهم (أنا لست إيليا)[٤] فهذا ولا شك تناقض[٥] واضح يوحى بعدم صحة الروايتين، إذ لو كانت من عند الله لما وقعت فى مثل هذا التناقض الذى يتحرى منه أقل البشر فى كتاباتهم، فكيف يصح نسبتها إلى الله وهى مليئة بهذا التناقض وأكثر؟.

(١) المرجع السابق ص١٠٧.
(٢) إظهار الحق ص١١٤.
(٣) متى ١١ : ١٤.
(٤) عبد الرحمن باجة: الفارق بين المخلوق والخالق ص١٢.
(٥) يوحنا ١١ : ١ ـ ٣.

ومن ذلك أيضًا: ما جاء فى الإصحاح الثالث من إنجيل متى[١] جاء عيسى إلى يحيى ـ عليهما السلام ليعتمد منه فمنعه يحيى قائلاً إنى محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى، ثم اعتمد عيسى منه وصعد من الماء فنزل عليه الروح مثل حمامة[٢].

وفى الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا (لم أكن أعرفه وعرفته بنزول الروح مثل حمامة).

وفى الإصحاح الحادى عشر من إنجيل متى أنه لما سمع يحيى بأعمال المسيح أرسل تلميذين إليه (وقال له أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر)[٣].

فعلم من الأول : أن يحيى كان يعرفه قبل نزول الروح.

ومن الثانى: ما عرفه إلا بعد نزول الروح.

ومن الثالث: أنه لم يعرفه بعد نزول الروح أيضًا[٤].

إلى غير ذلك من التناقضات.

هذا إلى جانب أن الأناجيل فيها كثير من الأغلاط التى لا يمكن أن تكون فى كتب مقدسة كتبت بوحى أو بإلهام.

❖ من هذه الأغلاط ما جاء فى الإصحاح الأول من إنجيل متى[٥] أن زربابل ابن شألتيل وهو غلط لأنه ابن فدايا وابن الأخ لشألتيل كما جاء فى السفر الأول من أخبار الأيام[٦].

❖ ومن ذلك أيضًا ما جاء فى الإصحاح الثانى من إنجيل متى هكذا:ـ

وكان هناك إلى وفاة هيردوس لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى[٧]. والمراد بالنبى القائل هو هوشع عليه السلام وأشار الإنجيلي إلى

---

(١) متى ٣: ١٣ ـ ١٧.
(٢) يوحنا ١ : ٣١ ـ ٣٣.
(٣) متى ١١ : ١ ـ ٣.
(٤) إظهار الحق ص ١٢٤.
(٥) متى ١ : ١٢.
(٦) أخبار الأيام الأول ٣: ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨؟
(٧) متى ٢ : ١٥.

الفقرة الأولى من الإصحاح الحادى عشر من سفره، وهذا غلط لأنه لا علاقة لهذه الفقرة بعيسى ـ عليه السلام ـ لأنها هكذا (إن إسرائيل منذ كان طفلاً أنا أحببته ومن مصر دعوت أولاده) لأن الفقرة فى بيان الإحسان الذى فعله الله فى عهد موسى ـ عليه السلام ـ على بنى إسرائيل وحرف الإنجيلي صيغة الجمع بالمفرد وضمير الغائب بالمتكلم وحرف ما حرفه[١].

من ذلك أيضًا ما جاء فى إنجيل[٢] متى (حينئذ لما رأى هيردوس أن المجوس سخروا به غضب جدًا فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحقق من المجوس) وهذا أيضًا غلط نقلاً وعقلاً.

أما نقلاً فلأنه ما كتب أحد من المؤرخين المعتبرين غير المسيحيين هذه الحادثة، لا يوسيفوس ولا غيره من علماء اليهود، الذين كانوا يكتبون فضائح هيردوس ويتصفحون عيوبه وجرائمه، وهذه الحادثة ظلم عظيم وعيب جسيم، فلو وقعت لكتبوها على أشنع حالة، وإن كتبها أحد من المؤرخين المسيحيين فلا اعتماد على تحريره لأنه مقتبس من هذا الإنجيل.

وأما عقلاً فلان بيت لحم كان بلدة صغيرة لا كبيرة، وكانت قريبة من أورشليم لا بعيدة، وكانت فى تسلط هيردوس لا فى تسلط غيره فكان يقدر قدرة تامة على أسهل وجه أن يحقق أن المجوس كانوا قد جاءوا إلى بيت فلان وقدموا هدايا لفلان ابن فلان وما كان محتاجا إلى قتل الأطفال الأبرياء[٣].

فكتب النصارى مليئة بالتناقضات[٤] والأخطاء والأغلاط[٥].

---

(١) إظهار الحق ص ١٥٥،

(٢) متى ٢ : ١٦.

(٣) راجع إظهار الحق ص١٥٦، عبد الله الترجمان: تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص ٦٠.

(٤) ولقد أود الشيخ رحمت الله الهندى ما يزيد على السبعين من التناقضات فى الأناجيل من ص١١٤ ـ ص ١٣٥. فارجع إليه إذا أردت الاستزادة.

(٥) ولقد أود الشيخ رحمت الله الهندى ما يزيد أيضًا على السبعين من الأغلاط الموجودة فى الأناجيل ص١٥١ ـ ص ١٧٣.

والكتب السماوية أقدس من أن يكون فيها تناقض أو أخطاء، كل ذلك يجعلنا نشك فى هذه المصادر ولا نثق فيها.

فمن أى ناحية تأتى الثقة إلى هذه الكتب؟

فالسند منقطع، والروايات متناقضة، والحقائق التاريخية خاطئة. هل يبقى بعد ذلك أى نوع من الثقة فى هذه المصادر؟

وكيف تكون إلهاما أو وحيا وهى مليئة بالتناقض والأغلاط والأخطاء؟

إنها لو كانت وحيا أو إلهامًا لما وقع فيها شىء من هذا التناقض ومن هذه الأخطاء. إن التناقض من الصفات التى تسقط الكلام من مجال الاعتبار، ولذلك يحاول الكتاب العاديون فى كتاباتهم ألا يقعوا فيه، فما بالك بكتاب يدعى أصحابه أنه كتاب سماوى.. فهل يليق به التناقض؟

وهل من الممكن أن يكون سماويا مع وجود التناقض؟

إن القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة حين يؤكد أن التناقض ووحى السماء لا يجتمعان إطلاقًا حيث يقول عن القرآن:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ سورة النساء آية ٨٢.

والاختلاف هو التناقض والتباين الموجود فى الأناجيل[1].

(١) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص ١٩٠.

الباب الأول

الخلاص وصورة الإنسان فى المسيحية
ويشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول :ـ معنى الخلاص ونشأته.

الفصل الثانى :ـ حالة الإنسان قبل السقوط فى الخطيئة فى التصور المسيحى.

الفصل الثالث :ـ سقوط الإنسان فى الخطيئة فى التصور المسيحى.

الفصل الرابع :ـ عهد الله للإنسان بعد السقوط بالخلاص.

الفصل الأول

معنى الخلاص ونشأته

تعريف الخلاص

إن ضرورة البحث تقتضينا التعرف على معانى اللفظ الذى نتناوله بالبحث والدراسة، والطريق الطبيعى والوضع المنطقى هو الرجوع إلى كتب اللغة أولاً.

الخلاص فى اللغة:

يقول الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى(١) المعروف بالجوهرى :ـ خلص الشىء ـ بالفتح ـ يخلص خلوصًا أى صار خالصًا.

وخلص إليه الشىء: وصل

وخلصته من كذا تخليصًا أى نجيته فتخلص(٢).

ويقول أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور(٣):

خلص الشىء ـ بالفتح ـ يخلص خلوصًا وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم. وأخلصه وخلصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشىء: اختاره. والمخلص: الذى أخلصه الله أى جعله مختارًا خالصًا من الدنس.

والمخلص: الذى وحد الله تعالى خالصًا ولذلك قيل لسورة "قل هو الله أحد" سورة الإخلاص.

والتخليص: التنجية من كل مَنْشَب، تقول: خلصته من كذا تخليصًا أى نجيته تنجية فتخلص، وتخلَّصه وتخلُّصا كما يتلخص الغزل إذا التبس.

---

(١) نسبة إلى أنه ولد بفاراب سنة ٣٣٣هـ. وفاراب: إقليم كبير وراء نهر "جيحون" على تخوم بلاد الترك وتوفى سنة ٣٩٣هـ. د/ إبراهيم محمد نجا: المعاجم اللغوية ص٩٦، ص١٠٠.

(٢) الصحاح فى اللغة (تجديد صحاح العلامة الجوهرى) إعداد/ نديم مرعشلى، أسامة مرعشلى، المجلد الأول ص٣٦٢ دار الحضارة العربية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م.

(٣) ولد بن منظور فى شهر المحرم ٦٣٠هـ وتوفى فى شعبان ٧١١هـ. د/ إبراهيم محمد نجا: المعاجم اللغوية ص ١٢٢.

وخلص إليه الشيء: وصل. وخلص الشيء يخلص خلوصًا أى صار خالصًا، وخلص الشيء خلاصا. والخلاص يكون مصدرا للشيء الخالص. يقال: خلص فلان إلى فلان أى وصل إليه، وخلص إذا سلم ونجا.

وفى حديث على رضى الله عنه: إنه قضى فى حكومة بالخلاص، أى الرجوع بالثمن على البائع إذا كانت العين مستحقة، وقد قبض ثمنها، أى قضى بما يتخلص به من الخصومة[١].

وما جاء فى أساس البلاغة، والمعجم الوسيط لا يخرج عن دائرة هذه المعانى[٢] وعلى هذا فلفظ "خلص" يحمل معنى التخليص، والخلاص: مصدر بمعنى السلامة والنجاة.

ولقد وردت كلمة الخلاص فى مصادر وكتابات المسيحيين بمعانى تشبه هذه المعانى اللغوية وزادوا عليها معانى تخدم فكرتهم عن عقيدة الخلاص كما سيظهر.

ففى "قاموس الكتاب المقدس": يراد بالخلاص فى العهد القديم: النجاة من الشر أو الخطر "خروج ١٤: ١٣"[٣]، "مزمور ١٠٦: ٨ ـ ١٠"[٤] أما فى العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر وهو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح[٥].

يقول القس/ لبيب ميخائيل: "الواقع أن كلمة الخلاص" فى اللغتين العبرية واليونانية تعنى: النجاة، والأمان، والحفظ، والشفاء، والصحة، فالإنسان الخاطئ فى حاجة إلى النجاة من سلطان الشيطان، والأمان من دينونة الله العادلة، والحفظ فى يد المسيح القوية، والشفاء من لعنة الخطية، والصحة الروحية التى تكفل لهم القوة والانتصار وهو يجد فى خلاص الله كل هذه المعانى[٦].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ص١٢٢٨ ط دار المعارف.

(٢) أساس البلاغة: الزمخشرى ص١٧٢ دار بيروت للطباعة والنشر، المعجم الوسيط جـ١ ص٢٤٩.

(٣) "فقال موسى للشعب لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم".

(٤) "فخلصهم ربهم من أجل اسمه ليعرف بجبروته وانتهر بحر سُوفٍ فيبس وسيرهم فى اللجج كالبرية. وخلصهم من يد المبغض".

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٤.

(٦) القس لبيب ميخائيل: يقين الخلاص ص٨.

ويقول آخر "قد وردت كلمة" خلاص" فى الكتاب المقدس بمعانى مختلفة منها :

١ـ **خلاص بمعنى الإنقاذ من العدو:** عند البحر الأحمر قال موسى للشعب "لاتخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم"(١).

ورنم موسى وبنو إسرائيل قائلين "الرب قوتى ونشيدى. وقد صار خلاصى"(٢).

وقال شاول "لا يقتل أحد فى هذا اليوم لأنه فى هذا اليوم صنع الرب خلاصا"(٣).

وقال الشعب لشاول "أيموت يوناثان الذى صنع هذا الخلاص العظيم"(٤).

وتحدث شمشون عن نفسه مصليا لله "إنك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم"(٥) وفى المزمور التاسع والستين "لأن الله يخلص صهيون ويبنى مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها"(٦).

وتنبأ زكريا قائلاً "أقام لنا قرن خلاص فى بيت داود... وخلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا"(٧).

فلقد وردت كلمة الخلاص فى كل هذه الأماكن بمعنى النصر والإنقاذ من أيدى الأعداء.

٢ ـ **خلاص بمعنى الإنقاذ من مخاطر الحياه.**

عندما كان التلاميذ فى القارب وهم فى رعب عظيم تقدموا نحو المسيح وأيقظوه قائلين "يا سيد نجنا فإننا نهلك"(٨) وكلمة "نجنا" هنا جاءت فى الأصل اليونانى بمعنى "خلصنا"(٩) وتحت هذا المعنى السابق أورد ـ القس/ صموئيل حبيب ـ معانى كثيرة فجعل منها :

---

(١) خروج ١٢ : ١٣.
(٢) خروج ١٥ : ٢.
(٣) صموئيل الأول ١١ : ١٣.
(٤) صموئيل الأول ١٤ : ٤٥.
(٥) قضاة ١٥ : ١٨.
(٦) مزمور ٦٩ : ٣٥.
(٧) لوقا ١ : ٦٩ ـ ٧١.
(٨) متى ٨ : ٢٥.
(٩) القس صموئيل حبيب : الخلاص فى مفهومه الكتاب والتطبيقى ص ٩ ، ١٠.

❖ الخلاص من الموت:

جاء فى المزمور الثامن والستين "الله لنا خلاص وعند الرب السيد للموت مخارج"[١] وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يحدثنا عن نوح "بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكا لخلاص بيته فبه دان العالم وصار وارثا للبر الذى حسب الإيمان"[٢].

❖ الخلاص من ضيقات الحياة:

"لماذا أنت منحنية يانفسى ولماذا تئنين فىَّ ترجى الله لأنى بعد أحمده خلاص وجهى وإلهى "[٣].

وقال إشعياء "ويقال فى ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه"[٤] فالخلاص هنا بمعنى انقاذ الإنسان من أتعاب الحياة.

❖ الخلاص من المرض والأرواح الشريرة:

"الذين رأوا كيف خلص المجنون"[٥] فقد خرجت منه الشياطين ودخلت فى قطيع الخنازير "[٦].

❖ الخلاص بمعنى الأمن والضمان:

غنى داود "إله صخرتى به أحتمى، ترسى وقرن خلاصى. ملجأى ومناصى مخلصى من الظلم تخلصنى"[٧] وهنا نجد كلمة "تخلصنى" بمعنى حمايتى فى المستقبل.

---

(١) مزمور ٦٨ : ٢٠.
(٢) عبرانيين ١١ : ٧.
(٣) مزمور ٤٢ : ١١.
(٤) إشعياء ٢٥ : ٩.
(٥) لوقا ٨ : ٣٦.
(٦)وذلك على أساس فكرتهم أن الأرواح الشريرة تسبب الأمراض الجسدية من الجنون والعمى والصرع، كما سنبين ذلك فى الفصل الثالث من هذا الباب.
(٧) صموئيل الثانى ٢٢ : ٣.

٣ ـ خلاص بمعنى الإنقاذ من الخطية :

قال يسوع للمرأة الخاطئة التى دهنت رجليه بالطيب (إيمانك قد خلصك اذهبى بسلام)[(١)].

وقال بولس "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله"[(٢)(٣)].

ولقد وردت كلمة "الخلاص" فى الكتاب المقدس بمشتقاتها زهاء خمس وأربعين وأربعمائه"[(٤)] ووردت فى العهد الجديد فقط مائة مرة منها أربع عشرة مرة عن الشفاء من المرض وإخراج الشياطين، وعشرين مرة عن الإنقاذ من الموت والمخاطر، وست وستين مرة بالمعنى الروحى[(٥)].

يقول "باركلى" فى تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية :

المقصود بالخلاص : إنه الخلاص من المرض الجسدى وهو نجاة للجسد والنفس.

إنه الخلاص من الخطر، وليس هذا الخلاص يحفظ حياة الإنسان من الخطر لكنه يمنحه الاطمئنان والأمان حتى وسط الخطر.

إنه الخلاص من العدوى من العالم الأعوج الشرير وكل من عنده هذا الخلاص يملك مطهرا إلهيا يحفظه من عدوى وفساد هذا العالم الشرير.

إنه خلاص من الضياع : لقد جاء يسوع ليطلب ويخلص ما قد هلك، إن الإنسان غير المخلص يسير فى الطريق الخاطئ الذى يقوده للهلاك أما المخلص فهو الذى وجد الطريق الصحيح.

إنه خلاص من الخطية : الإنسان كعبد مستعبد لسيد لا يقدر أن يهرب منه إنه كالمريض الذى شخص الداء ويعرف العيب ولكنه لا يملك العلاج والخلاص المسيحى ينقذه من ذل الخطية.

---

(١) لوقا ٧ : ٥٠.
(٢) أفسس ٢ : ٨.
(٣) الخلاص فى مفهوم الكتابى والتطبيقى ص١١ ـ ١٢.
(٤) د/ جورج بوست : فهرس الكتاب المقدس ص١٧٩، ١٨٠.
(٥) الخلاص فى مفهوم الكتابى والتطبيقى ص١٣، ويقصد بالمعنى الروحى : هو الإنقاذ من الخطية.

إنه خلاص من غضب الله: إن فى العالم قانونًا أخلاقيًا لا يمكننا أن نتجاهله وإن فى الإيمان المسيحى فكرة الدينونة وبدون الخلاص الذى فى المسيح يقف الإنسان تحت العقوبة"(١).

ويقول بنيامين بنكرتن فى تفسير "إنجيل متى"

قد تعودنا أن نجعل معنى كلمة "خلاص" قاصرًا على خلاص النفس من الدينونة الأبدية ولكنها وردت فى مواضع كثيرة بمعنى الشفاء لكونه خلاصًا من الأمراض وبمعنى الإنقاذ من الأخطار والاضطهاد وما شاكل ذلك"(٢).

كل هذه المعانى السابقة لكلمة الخلاص معانى عامة وضعها المسيحيون لتوسيع دائرة الخلاص.

المعنى الاصطلاحى:

أما المعنى الدقيق الاصطلاحى لكلمة الخلاص فهو (ينصب على الخلاص من الخطيئة)(٣) حتى أصبح هذا المعنى لازمًا للخلاص.

يقول القس إلياس مقار: "إن الخلاص كما هو واضح من رسالة المسيح والمسيحية هو خلاص الإنسان من الخطيئة(٤). إذ قال الملاك عن العذراء" فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم(٥).

فالخلاص: هو التحرر من الخطيئة والتحرر بالتالى من آثارها(٦) أى أن "الخلاص من قصاص الخطيئة لا يترتب عليه النجاة من دينونتها إلى الأبد فقط بل يترتب عليه أيضًا تبرير الخطاة وتطهيرهم وتقديسهم ومصالحتهم مع الله وتمتعهم معه بالحياة الأبدية(٧).

وعليه فالخلاص من الخطيئة ـ فى نظرهم ـ يشمل الأزمنة الثلاثة:

---

(١) باركلى: تفسير العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل رومية ص٣٤.
(٢) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص١٦٨.
(٣) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص١٨٣.
(٤) القس إلياس مقار: "إيمانى" أو قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٦.
(٥) متى ١: ٢١.
(٦) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص١٣١.
(٧) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٢٥.

الماضى، والحاضر، والمستقبل.

الخلاص من الماضى: وهو ما يعبر عنه بغفران الخطية التى ورثها الإنسان، والتجديد.

الخلاص فى الحاضر: وهو ما يعبر عنه بالتقديس.

الخلاص فى المستقبل: وهو ما يعبر عنه بالتمجيد.

لذلك يقول كلايد تارنر:

للخلاص ثلاث مراحل:

اختبار أولى: تجديد

اختيار نام: تقديس

اختبار نهائى: تمجيد

أى خلاص من لعنة الخطيئة

خلاص من سلطان الخطيئة

وأخيرا الخلاص من الخطيئة

والخلاص من الخطيئة له ثلاث صيغ:

(ماضى) (تخلصنا) وهذا هو التجديد[١].

"حاضر" "نحن نخلص" وهذا هو التقديس"[٢].

"مستقبل" "سنخلص" وهذا هو التمجيد[٣][٤].

والتجديد: هو غفران الخطيئة التى ولد بها الإنسان والخطايا التى فعلها الإنسان فى ماضى حياته. **والتقديس:** هو الحصول على الخلاص كل يوم بالتطهير فى ضعف الإنسان وزلاته بروح القدس[٥].

يقول: عوض سمعان: والتقديس يراد به أمران:

الأول: التكريس أو التخصيص فقول المسيح عن نفسه "لأجلهم أقدس أنا ذاتى"[٦] يراد به أن يخصص ذاته لرعايتهم والعناية بهم.

---

(١) أفسس ٢ : ٥ ـ ٨.
(٢) فيلبى ٢ : ١٢.
(٣) رومية ٥ : ٩ ، ١٣ : ١١.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص١١٢ ، القس بخيت متى: قضاء الله ومسئولية الإنسان ص١٥٥.
(٥) نادية منيس: الخلاص فى الكتاب المقدس ص٩.
(٦) يوحنا ١٧ : ٩.

الثانى: التكميل فقول بولس إلى أهل تسالونيكى "إن السلام نفسه يقدسكم بالتمام"[١] يراد به أن الله يكملهم إلى التمام ولذلك فتقديس المؤمنين لا يراد به فقط تخصيصهم لله بل وأيضًا جعلهم كاملين أمامه[٢].

والتمجيد: هو الحصول على الحياة الأبدية عن طريق الحصول على جسد ممجد وارث السماء مع المسيح[٣].

يقول القس/ صموئيل حبيب:

إن دعوة الله للخلاص تحمل المفاهيم الآتية:

أولاً: دعوة للتحرر من الخطيئة وعقابها:

وهذا هو المعنى الأساسى للخلاص إنه يعنى إنقاذ الإنسان من الخطيئة وأسرها واستعبادها وبالتالى فهو إنقاذ من عقابها.

ثانيًا: دعوى للتقديس:

ويقصد بالتقديس "التخصيص والفرز" كما يقصد به التطهير[٤] الروحى والأدبى.

ثالثًا: دعوة للمجد:

يقول بولس "نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا"[٥] فإن الخلاص هنا يعنى الخلاص من الجسد أى ـ التمجيد[٦].

وعلى ذلك يتبين لنا أن الخلاص من الخطيئة لكى يكون تامًا ـ فى نظرهم ـ لابد وأن يكون:

أولاً: خلاصًا من دين الخطيئة

ثانيًا: خلاصًا من سلطان الخطيئة

---

(١) ١ـ تسالونيكى ٥ : ٢٣.
(٢) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٣٠.
(٣) الخلاص فى الكتاب المقدس ص٩.
(٤) والتطهير يراد به إزالة كل أثر للخطية من المؤمنين من أمام الله حتى يظهروا أمام الله بلا عيب على الإطلاق (طريق الخلاص ص٢٩).
(٥) رومية ٨ : ٢٣.
(٦) صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٦٦.

١ ـ الخلاص من دين الخطيئة:

يقول القس إلياس مقار: الكتاب المقدس يفيد بأن الجنس البشرى ورث الأبوين الأولين فى سقوطهما وفساد الطبيعة، ألم يقل داود فى ذلك "هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى"[١] فإذا أضيف إلى هذا أننا خطاة ومدنيون ليس على أساس الخطيئة الأصيلة[٢] فحسب بل على أساس ما نرتكب من خطايا فعلية مستمرة دائمة أمام الله أضحى مركز كل بشرى مركز المدين أمام الله بدين الخطية الأصلى والفعلى معا. والمسيح فى أكثر من مثل عبر عن الخطية كدين إذ قال فى مثل العبد الشرير: "فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم إليه واحد مديون"[٣] وفى المثل الذى تحدث به إلى سمعان الفريسى (وكان لمداين مديونان)[٤].

لقد خلق الله الإنسان وربطه بطبيعته تعالى ونظامه وناموسه الأدبى وكل خروج على هذه الطبيعة وحكمها الأدبى وعدالتها وحقها وقداستها لابد أن ينال الجزاء، والإنسان بهذا المعنى مدين من هامة رأسه إلى أخمص القدم وفى حاجة إلى الخلاص من دين الخطيئة[٥].

يقول بولس فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس "الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح"[٦].

وجاء فى أعمال الرسل عن المسيح (ليس بأحد غيره الخلاص. لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص)[٧].

---

(١) مزمور ٥١ : ٥.

(٢) ويقصد بالخطية الأصيلة: خطيئة آدم.

(٣) متى ١٨ : ٢٤.

(٤) لوقا ٧ : ٤١.

(٥) القس إلياس مقار: (إيمانى أو قضايا المسيحية الكبرى) ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ بتصرف.

(٦) ٢ تيموثاوس ١ : ٩.

(٧) أعمال الرسل ٤ : ١٢.

وفى رسالة بولس إلى أهل رومية (لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت)[١] وهذا الخلاص يتم فى الحال على اعتبار أن الخطيئة دين[٢].

فالخلاص فى هذه الفقرات معناه ـ عند المسيحيين ـ: الخلاص من خطيئة آدم التى ورثها لأبنائه وذريته والجنس البشرى من بعده، وهذا هو الشطر الأول للخلاص من دين الخطيئة.

أما الشطر الثانى فهو الخلاص من الخطايا الأخرى وهذا هو المقصود مما جاء فى رسالة أعمال الرسل "أن كل من يؤمن به ـ أى المسيح ـ ينال باسمه غفران الخطايا"[٣] وفى رسالة يوحنا الأولى (قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه)[٤] وفى رسالة بولس إلى أهل كولوسى (مسامحا لكم جميع الخطايا)[٥] وغفران الخطايا بالجمع يراد به ـ عندهم ـ غفران جميع الخطايا وليس خطيئة آدم فحسب. ونظرًا لأن هذا الخلاص تم بكفارة المسيح ويحصلون عليه كما يقولون بالإيمان لذلك ترد أفعال الخلاص فى صيغة الماضى والحاضر[٦].

٢ ـ الخلاص من سلطان الخطيئة:

يقول القس إلياس مقار "وهذا ما يحتاجه الإنسان بكل يقين وتأكيد إلى جانب تحرره من دينها البغيض إذ أن طبيعة الإنسان الفاسدة طبيعة مريضة، والمريض المنحرف لا يمكن أن يتصرف تصرفا سليمًا بل هو مكبل ومقيد بالعادات الشريرة والغرائز الفاسدة وكلما أمعن وأوغل فى الخطيئة كلما ازدادت قسوة هذه العادات والغرائز فى حياته ومنهاج سلوكه ومن ثم رأيناه يصرخ فى أحايين متعددة هذه الصرخة المؤثرة المحزونة" لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل.. لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد... ويحى أنا الإنسان الشقى[٧] وكل هذا لأنه مريض بأقسى مرض، وعنه يقول المسيح

(١) رومية ١٠ : ٩.
(٢) المرجع السابق ص٢٨٧.
(٣) أعمال الرسل ٢٦ : ١٨.
(٤) ١ ـ يوحنا ٢ : ١٢.
(٥) كولوسى ٢ : ١٣.
(٦) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٢٥ ـ ٢٦.
(٧) رومية ٧: ١٥ ـ ٢٤.

"لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى"(١) ومن ثم فهو ـ أى الإنسان ـ فى حاجة لا إلى الخلاص من الخطيئة كدين بل كمرض أيضًا(٢).

وهذه الفكرة مبنية عندهم على أساس أن الطبيعة الإنسانية طبيعة فاسدة نتيجة لتعلقها بالخطيئة الموروثة عن طريق التوالد الجسدى. وهى فكرة سنناقشها فيما بعد.

يقول عوض سمعان (والمسيح لم يخلصنا فى الماضى من عقوبة الخطيئة الأبدية ويخلصنا فى الوقت الحاضر من سلطة الخطية وتأثيرها على نفوسنا فحسب ولكنه وعد أيضًا أنه سيخلصنا من الطبيعة الخاطئة نفسها أو بالحرى يغير أجسادنا إلى صورة جسد مجده)(٣).

فقد قال بولس "هكذا المسيح أيضًا بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرة سيظهر ثانية بلا خطية (أو بالحرى بدون أى عمل خاص بالخطيئة) للذين ينتظرونه"(٤) وهذا ما يعبر عنه بالخلاص فى المستقبل عندما يتحرر الإنسان من كل رواسب الخطيئة عندما يصل إلى المجد الأبدى(٥) وهذا ظاهر من قول بولس (فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا)(٦) وقول يوحنا "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"(٧).

ونخلص من هذا كله إلى تعريف عام للخلاص فى اصطلاح المسيحيين: هو كما يقول أحدهم: تحرير الإنسان الكامل من دين الخطية ومرضها وسلطانها واستعبادها نفسًا وروحًا وجسدًا والأخذ بيده حتى يقف أمام الله فى كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبدين الآبدين(٨) ويقول آخر: فخلاص الإنسان معناه ليس فقط

(١) متى ٩: ١٢.
(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٧.
(٣) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٣٣.
(٤) عبرانيين ٩: ٢٨.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٧.
(٦) رومية ١٣: ١١.
(٧) يوحنا ٣: ١٦.
(٨) المرجع السابق ص٣٨٨.

غفران الخطية ولكن أيضًا خلقة الإنسان خلقة جديدة، ولا يستطيع المخلوق أن يخلق بل لابد أن يخلقه كلمة الله الذى خلقه فى الأصل، وهذا الخلق الجديد لابد أن يتم فى داخل طبيعة الإنسان التى فسدت، بل لابد من إبطال الخطية وإلغاء الفساد والموت داخل الإنسان نفسه لذلك كان لابد للخالق أن يأخذ طبيعة الإنسان ويوحدها بنفسه أى يصير إنسانًا لكى يمكنه من أن يموت بهذا الجسد الذى اتخذه[١].

وجاء فى كتاب (شرح أصول الإيمان).

المراد بالخلاص: نجاة كلية من كل خطية وقوتها ونتائجها ونوال كمال السعادة والراحة الأبديتين[٢]. هذا هو الخلاص فى اصطلاح المسيحيين وهو كما رأينا يختص أساسًا بالخلاص من الخطيئة فى جميع أدوارها وأزمانها ونتيجة لهذا الخلاص ينال الإنسان الحياة الأبدية.

تعريف الفداء:

إن كلمة الفداء قريبة المعنى من كلمة الخلاص وغالبا ما نجد علماء المسيحيين يطلقون على الخلاص فداء وعلى الفداء خلاصًا لذلك كان لابد من تعريف "الفداء حتى يتبين ما بينهما من ارتباط.

الفداء فى اللغة:

يقول ابن منظور (فدى: فديته وفداء، افتديته)

قال الشاعر: **فلو كان ميت يفتدى لفديته   بما لم تكن عنه النفوس تطيب**

وإنه لحسن الفدية، والمفاداة: أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً

والفداء: أن تشتريه، فديته بمالى وفديتى بنفسى. وفى التنزيل العزيز ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية ٨٥].

(١) باسيليوس: سر الفداء ص١٨.

(٢) د/أأندرو وطسون، د/ القس إبراهيم سعيد: شرح أصول الإيمان ص٤٥١.

وقرئ (تفدوهم)[١]. قال أبو معاذ: من قرأ "تفدوهم" فمعناه تشتروهم من العدو وتنقذوهم وأما "تفادوهم" فيكون معناه: تماكسون من هم فى أيديهم فى الثمن ويماكسونكم.

قال الوزير ابن المغربى: فدى إذا أعطى مالا وأخذ رجلاً

وأفدى إذا أعطى رجلاً وأخذ مالا، وفادى إذا أعطى رجلاً وأخذ رجلاً[٢].

وجاء فى المعجم الوسيط. الفداء: ما يقدم من مال ونحوه لتخليص المفدى[٣] فالفداء كلمة تعنى فى معاجم اللغة الاشتراء والإنقاذ والخلاص.

الفداء فى اصطلاح المسيحيين:

جاء فى قاموس الكتاب المقدس، تشير لفظة الفداء فى العهد القديم فى أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد، فى سفر التثنية (بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر)[٤] "الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية"[٥].

أما فى العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة (الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم)[٦] ومن نتائجها "لأن ابن الإنسان أيضًا لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[٧] وإلى الخلاص من رق الناموس "ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى"[٨][٩].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر "أسارى" بألف، و"تفدوهم" بغير ألف، وقرأ نافع وعاصم والكسائى ويعقوب الحضرى "أسارى تفادوهم" بألف فيهما، وقرأ حمزة "أسرى تفدوهم" بغير ألف فيهما. ص٣٣٦٦ لسان العرب.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ص٣٣٦٦ ط دار المعارف.

(٣) المعجم الوسيط جـ٢ ص٦٧٨.

(٤) تثنية ٧: ٨.

(٥) تثنية ١٣: ٥.

(٦) تيطس ٢: ١٤.

(٧) مرقس ١٠: ٤٥.

(٨) غلاطية ٤: ٤، ٥.

(٩) قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٢.

وفى علم اللاهوت النظامى[١] المراد بالفداء: الإنقاذ من الشر والبلية بتأدية الفدية المعبر بها عن هذا المعنى. فى الأصل اليونانى معناها الأول اشترى ثم اشترى بدفع الثمن فدية (لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه)[٢][٣] فلفظة الفداء يعبر بها عن نتيجة كفارة المسيح باعتبار نسبتها إلى الإنسان لأنه نال بها الفداء أى التخلص من لعنة الشريعة ومن عبودية الخطية ومن القصاص الأبدى بواسطة عمل المسيح الذى دفع عنه فدية دمه[٤] كما قيل "إن ابن الإنسان أتى ليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[٥] فالمسيح قدم نفسه ـ كما يقولون ـ فدية عن خطايا العالم أجمع[٦].

وعلى هذا يتبين لنا مدى القرب الشديد لمعنى الفداء من معنى الخلاص فهما يحملان معانى قريبة الشبه وإن كان الفداء كما هو واضح ثمنا للخلاص أو بتعبير آخر مقدمة للخلاص. يقول د/ أندرو وطسون: يراد بالفداء كل بركات الخلاص المعلن فى الكتاب المقدس للخطاة الهالكين[٧].

ويقول آخر: إن عمل الفداء وعمل الخلاص شيء واحد فإن الذى يقال له فى الكتب المقدسة خلاص يقال له أيضًا أحيانًا فداء، وهكذا يقال عن المسيح إنه مخلص شعبه وفاديه، أما عمل الفداء فقد يراد به على حصر المعنى مشترى الخلاص بإعطاء البدل، وعلى ذلك لم يكن زمانه طويلاً لأنه ابتدأ من تجسد المسيح وانتهى عند وقوعه تحت سلطة الموت إلى يوم قيامته الذى فيه أكمل عمل الفداء فتمم المشترى.

---

(١) علم اللاهوت النظامى هو عنوان كتاب أصدرته الهيئة القبطية الإنجيلية بمصر، وهو كما جاء فى التقديم له ـ يعتبر المرجع الوحيد لعلم اللاهوت النظامى فى اللغة العربية وإن كانت قد ظهرت بعض الكتب التى تناقش موضوعات محددة إلا أنه لا يوجد مرجع شامل للبحث اللاهوتى النظامى المتكامل سوى هذا الكتاب، وقد بلغت صفحات هذا المرجع خمسا وعشرين ومائتين بعد الألف. وسمى علم اللاهوت النظامى لأن غايته ـ كما جاء فيه ـ نظام علم اللاهوت على ما يوافق بيان الحق ودفع الضلال. راجع ص١٦.

(٢) سفر أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٨٥٨.

(٤) المرجع السابق ص٨٢٩.

(٥) متى ٢٠ : ٢٨.

(٦) يوحنا ٣ : ١٦.

(٧) د/ أندرو وطسون، د/ القس إبراهيم سعيد: (شرح أصول الإيمان) ص٢١٠.

وقد يراد أحيانًا بعمل الفداء على غير وجه الحصر جميع ما يعمله الله لهذه الغاية فلا ينحصر ذلك فى المشترى فقط بل يشمل جميع أعمال الله المعدة للمشترى والمتممة لنجاحه، وعلى ذلك يراد على هذا المعنى بعمل الفداء جميع ما عمله الله فى استعداد فداء المسيح ومشتراه وتخصيصه ونجاحه(١).

فعمل الفداء يراد به بالمعنى الخاص: الثمن الذى اشترى به الخلاص أى أن الخلاص نتيجة لعمل الفداء لذلك غالبًا ما نجد دائمًا عبارة "خلص بالفداء"، وبالمعنى العام يضاهى الخلاص فى معناه، وعلى هذا المعنى ـ المعنى العام ـ لا فرق بينهما.

ويمكن القول إنهما إن اجتماعا فى كلمة واحدة فيكون ذلك مثارًا لأن يكون لكل منهما معنى خاصًا به يترتب على أحدهما الآخر. وإن افترقا يحمل كل منهما معنى الآخر.

(نشأة الخلاص)

تمهيد:

إن الخلاص بمعناه اللغوى العام شائع فى الديانات، لا تخلو ديانة من وجود هذه المعانى، من النجاة من الخطر، والسلامة من الأخطار، سواء أكانت دينية أم دنيوية. والديانات الوثنية التى تسير على غير هدى تجد فى فكرة الخلاص بمعناه الخاص الدينى مرتعًا خصبًا للأمانى الدينية والدنيوية فى المستقبل، وكثيرًا ما تكون هذه الأمانى مرتبطة بالأزمات وأوقات الضيق والشدة.

يقول العقاد: "يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص فى زمن مقبل، وظهر من عقائد القبائل الحمر فى القارة الأمريكية أن القبائل التى تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة من الأمريكتين وليس فى هذا عجب.. لأن الرجاء فى الخير أصل من أصول الديانة والأمل فى الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية فى طلب الكمال والخلاص من العيوب وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه، فكان المصريون الأوائل يترقبون "المخلص" المنقذ بعد زوال الدولة القديمة، وكان البابليون يؤمنون بعودة "مردخ" إلى الأرض فترة لقمع الفتنة وتطهيرها

---

(١) القس إنسطاسى شفيق: الفداء فى إنجيل لوقا ص٢٦.

من الفساد، وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل ألف سنة ينبعث في جسد إنسان وقيل إنه هو زرادشت[١].

قالديانات وإن اتفقت في الرجاء في الخير كمعنى عام للخلاص إلا أنها تختلف في المعانى الاصطلاحية والتفصيلية التى تجعلها معنى خاصًا بها.

الخلاص اليهودى:

مما لاشك فيه أن المسيحية حلقة من حلقات ديانة بنى إسرائيل، وأن المسيح عيسى بن مريم واحد من أنبياء بنى إسرائيل فهو يقول وهو يحدد معالم دعوته للاثنى عشر "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٢] ثم يعلنها المسيح صراحة حين خرجت عليه هو وتلاميذه امرأة كنعانية[٣] تلتمس منه الشفاء لابنتها "فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٤].

فهذه الفقرة أفادت أن المسيح مرسل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفى نفس الوقت نفت إرسال المسيح إلى غيرهم، لقد حددت هذه الفقرة التى قالها المسيح من هم المرسل إليهم. والمسيح بين لتلاميذه أن دعوته ليس المقصود منها ديانة جديدة وشريعة جديدة وإنما بين لهم أنه يسير فى نفس الطريق الذى رسمه أنبياء بنى إسرائيل فهو يقول (لا تظنوا أنى جئت لأ نقض الناموس بل لأكمل)[٥].

يقول بنيامين بنكرتن فى تفسير هذه الفقرة:

كان الناموس نيرا لم يستطع إسرائيل أن يحمله (أعمال ١٥ : ١٠) وطالما وبخهم الأنبياء على مخالفتهم إياه ولكن بدون نتيجة حسنة، ولم يزل الناموس حاكما عليهم (غلاطية ٣ : ١٠) وأما الآن فقد حضر المسيح بينهم ليعلمهم، فهل يا ترى

---

(١) العقاد: حياة المسيح ص٢٨.

(٢) متى ١٠ : ٦.

(٣) امرأة كنعانية كما فى إنجيل متى ١٥ : ٢١ ولكن إنجيل مرقس قال إنها فينيقية أى سورية ٧: ٢٦.

(٤) متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٤.

(٥) متى ٥ : ١٧ ـ ١٨.

ينسخ الناموس؟ أو يخفف مطالبه عنهم؟ إنه لا يعمل هذا ولا ذاك لأن الناموس صالح ومقدس وعادل[١] وليس اللوم عليه بل عليهم. إذن لم يأت المسيح لينقض شيئًا من الناموس أو الأنبياء، أما قوله "لأكمل" فمعناه:

أولاً: أنه لا يبطل سلطان الناموس أو الأنبياء بل يبقيه فى وضعه الإلهى.

ثانيًا: أنه هو بذاته تكميل الناموس أو الأنبياء[٢].

وعلى ذلك: فإن أى تاريخ لأى فكرة من أفكار العقائد المسيحية لابد أن يبدأ أولاً بما لدى اليهود من معان لهذه العقيدة حتى يتبين لنا مدى تطبيق "لم آت لأنقض الناموس"، وحتى يظهر لنا: هل قبل المسيحيون عقيدة الخلاص اليهودى أم لا؟ وما سبب القبول أو عدم القبول؟

والخلاص اليهودى يقوم على أساس أن هناك مخلصا منتظرًا يأتى ليخلصهم "وكان اليهود يحدثون مواطنيهم عن النبى المنتظر وكانوا يعللون أنفسهم بهذا الحديث كلما ضاقت بهم السبل"[٣].

أسباب قول اليهود بالخلاص على يد المخلص

السبب الأول: كان السبب الأول الذى جعل اليهود ينتظرون مخلصا هو اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار اختارهم وحدهم شعبًا خالصًا له دون سائر الشعوب.

ففى سفر الخروج "أنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة"[٤].

وفى سفر التثنية "مباركًا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لا يضعها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم"[٥].

---

(١) رومية ٧: ١٢.
(٢) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص٧٣ ـ ٧٤.
(٣) د/ رفقى زهران: قصة الأديان ص١٨٩.
(٤) خروج ١٩: ٦.
(٥) تثنية ٧: ١٤ ـ ١٦.

فقد رأوا أن يتحدثوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله الذى اختارهم على علم على العالمين وأنهم أبناء الله وأحباؤه فأطلقوا على الله لقب "الآب" وأطلقوا على أنفسهم لقب "الأبناء" وكتبوا فى توراة موسى عليه السلام أن الله خاطبهم بقوله "أنتم أولاد للرب إلهكم. لا تخمشوا أجسادكم ولا تجعلوا قرعة[١] بين أعينكم لأجل ميت. لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"[٢]،[٣].

يقول العالم الإنجليزى (ولز):

إن فكرة المسيح عند اليهود كانت خطوة طبيعية ناشئة عن خطوات سبقتها، وتلك الخطوات هى الاعتقاد بأن الخلق أجمعين ليسوا من أبناء إبراهيم وإنما هم أمم وقبائل، وأن الشعب اليهودى أرقى هذه الأجناس وتلك الأمم وأن إلههم يهوه أعظم وأقوى آلهة القبائل خطرًا، وانتهى الأمر بالشعب اليهودى أن اقتنعوا ـ على بكرة أبيهم ـ بأنهم الشعب المختار للرب الأوحد للأرض قاطبة.

ونشأت عن هذه الأفكار الثلاثة فكرة المسيح المنقذ رجاء أن يحقق لليهود ما ترامى به الزمن من وعود يهوه التى طال عليها الأمد[٤].

ويضاف إلى ذلك أن فكرة انتظار المخلص لدى اليهود كانت مرتبطة بفكرة تجديد العهد مع الرب لكى تصبح أمة الله جديرة به وتصبح أورشليم مدينة لا تبارى"[٥].

فاليهود اعتقدوا أنهم شعب مميز اختاره الرب ليكون شعبه المقدس لذلك كان لابد أن يرسل الرب ـ فى نظرهم ـ مخلصًا لهم ليجدد العهد وليبرأهم مما هم فيه كما سيأتى فى السبب الثانى.

---

(١) أى حلق شعر الرأس، وكان حلق شعر الرأس عند العبرانيين من علامات الحزن (إشعياء ٣ : ٢٤) أو الخجل (حزقيال ٧ : ٨) أو إتمام نذر (عدد ٦ : ١٩) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧١٧.

(٢) تثنية ١٤ : ١ ، ٢.

(٣) د/ أحمد السقا: أقانيم النصارى ص١١ ، ١٢.

(٤) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ص٢٩٩ ، ٣٠٠.

(٥) نورمان كانتو: التاريخ الوسيط. ترجمة د/ قاسم عبده قاسم ص٥٦.

استولت هذه الفكرة ـ القائلة بالانتساب إلى شعب مختار ـ على لب اليهود الذين ظلوا فى بابل ووصل الأدب الخاص بها إلى اليهود الذين كانوا مستقرين فى مصر آنذاك كما أنها أثرت فى الشعب المختلط الذى أسكن السامرة (وهى العاصمة القديمة لملوك إسرائيل) "عندما أبعدت القبائل العشر[١] إلى ميديا وهى التى أوحت إلى عدد كبير من البابليين وغيرهم أن يدعوا فى إبراهيم أبا لهم وأن يفرضوا أنفسهم على اليهود العائدين"[٢].

ويشير العلامة (ولز) إلى أن فترة السبى البابلى كان لها أكبر الأثر فى ترسيخ هذه الفكرة فى أذهان اليهود فيقول:

"والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هى أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا وعادوا منها ممدنين، خرجوا جمهورًا مختلطًا منقسمًا على نفسه لا يربطه وعى ذاتى بوطنه وعادوا بروح قومية شديدة وجنوح إلى الاعتزال جعلهم ينأون بجانبهم عمن عداهم"[٣].

ويبين د/ القس فهيم عزيز أن اليهود تأثروا بالأدب اليونانى فى إطلاق لفظ الآب على الله فيقول (أما فى اليهودية فإننا نجد فى كتب الأبوكريفا[٤]

---

(١) المراد بالقبائل العشر: الأسباط العشرة إذ المعروف أن بنى إسرائيل اثنا عشر سبطا ولم يكن سبط لاوى محسوبا منهم لأنه قد تعين للخدمة. وبقى الأسباط الاثنا عشر مرتبطين فى مملكة واحدة حتى مات الملك سليمان فحدثت بينهم مشاحنات وحدثت خصومة بين يهوذا وأفرايم (٢ صموئيل ٢: ٤ ـ ٩، ١٩: ٤١ ـ ٤٣) انتهت إلى انقسام المملكة إلى قسمين فانحاز يهوذا وبنيامين إلى رحبعام ابن الملك سليمان ودعوا مملكتهما باسم مملكة يهوذا أو المملكة الجنوبية. وانحاز الأسباط العشرة الباقون إلى يربعام ابن نباط ودعوا أنفسهم مملكة "إسرائيل" أو المملكة الشمالية "وأسماء أسباط بنى إسرائيل حسب الترتيب الأبجدى: أشير، أفرايم، بنيامين، جاد، دان، رأوبين، زبولون، شمعون، لاوى، منسى، نفتالى، يساكر، يهوذا، راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٥٦، تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٢.

(٢) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ص٣٠٠.

(٣) المرجع السابق ص٢٩٨.

(٤) أبو كريفا: كلمة يونانية معناها "مخفى" أو "مخبأ" أو "سرى" وقد وردت فى سفر دانيال فى الترجمة السبعينية فى ١١: ٤٣ للتعبير عن الكنوز المخفية؛ كما وردت فى دانيال ٢: ١٩ للدلالة على معرفة الأسرار المخفية عن علم البشر.

وقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان فى ذلك الحين. النوع الأول كان يشمل عقائد وطقوسا عامة لجميع طبقات البشر معرفتها وممارستها. أما النوع الثانى: فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدرك كنهها إلا قلة من الخاصة ولذلك بقيت "مخفية" أو "أبو كريفية" عن العامة. وقد أطلقت فى العصور المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية فى العهد القديم وكذلك فى العهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس ص ١٨.

وغيرها بضعة شواهد حيث ينادى الله بلقب الآب ولكنها متأثرة بالأدب اليونانى)[١].

ولعل اختلاط اليهود بالشعوب المختلفة فى فترة السبى كان لها أكبر الأثر فى تأثر اليهود بعقائد وأفكار هذه الشعوب. ولعل اليهود أيضًا تأثروا ببعض أطراف فكرة ـ شعب الله المختار ـ وذلك مثل إطلاق لفظ الآب وغير ذلك.

السبب الثانى: ما أصاب اليهود من نكسات ومن هزائم وقتل وتشريد على يد البابليين والرومانيين مما جعلهم يفكرون ـ بعد اعتقادهم أنهم شعب متميز ـ فى هذا المخلص المنتظر وجعلوه خاصًا بهم، فبعد أن مات سليمان فى سنة ٩٣٥ ق.م انقسمت المملكة إلى قسمين[٢]:

مملكة الجنوب وتدعى يهوذا وعاصمتها أورشليم ولقد ملك عليها من سنة ٩٣٥ ق.م إلى سنة ٥٨٦ق.م عشرون ملكا وكلهم من عشيرة داود إذا استثنينا أخزيا بن يهورام إذ أن أمه عثليا كانت بنت عمرى ملك إسرائيل[٣] وقد شمل هذا القسم كل بيت يهوذا وسبط بنيامين.

والقسم الثانى: هو مملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة، وكان هذا القسم يشمل عشرة أسباط، وأول ملك على إسرائيل بعد الانقسام فى مملكة الشمال هو يربعام الذى عمل عجلى ذهب وقال لإسرائيل "هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر. ووضع واحدًا فى بيت إيل وجعل الآخر فى دان"[٤].

وبذلك أراد يربعام أن يمنع شعب إسرائيل عن الذهاب إلى أورشليم وتقديم الذبائح هناك، حتى لا يرجع قلب هذا الشعب إلى رحبعام، وأن يقطع كل صلة

---

(١) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص١٩١.

(٢) نبدأ هنا بعهد الانقسام: إذ هو الذى يهمنا فى بحثنا. المعروف أن تاريخ بنى إسرائيل القديم فى فلسطين ينقسم إلى ثلاثة أقسام ـ أو عصور ـ متميزة هى: ١ـ عهد القضاة ٢ـ. عهد الملوك ٣ ـ عهد الانقسام فزوال ملك بنى إسرائيل.

(٣) الملوك الثانى ٨: ٢٥ ـ ٢٨.

(٤) الملوك الأول ١٢: ٢٨، ٢٩.

يمكنها أن تربط شعب الجنوب (يهوذا) بشعب الشمال (إسرائيل)، وبذلك ازدادت شقة الخلاف واتسعت الفجوة بين الشعبين، وأصبحا كفريستين بين مخالب الأمم التى تحيط بهما[١].

لقد كان الصراع بين هذين الشعبين فى أحيان كثيرة عنيفًا حتى إنه تطور إلى حروب وقتال وتشريد، وهكذا نرى أن إسرائيل ويهوذا المملكة المنقسمة عاشت فى صراع وحروب وقتال ولم تعرفا السلام إلا فى فترات قصيرة وعابرة "وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام"[٢] ولقد استمرت هذه الحالة وسيطرت على المملكة المنقسمة من سنة ٩٣٥ إلى ٧٢١ق.م أى سنة السبى الأول لإسرائيل[٣].

يتحدث سفر الملوك الأول والثانى وسفر الأيام بإفاضة عن المعارك التى تكاد تكون متصلة بين دولتى اليهود من جانب ومجاوريهم من جانب آخر، وكذلك عن الوقائع الغادرة بين دولة يهوذا ودولة إسرائيل وطالما استعانت إحدى هاتين الدولتين على الأخرى بدولة مجاورة، وكان وقوع دولتى اليهود بين مصر من جهة وآشور وبابل من جهة أخرى مثارًا لحروب طويلة[٤].

وبعد أن ذاق هذا الشعب مرارة الانقسام والانشقاق الذى دام أكثر من مائتى عام (٩٣٥ ـ ٧٢١ ق. م) نراه يدخل فى محنة جديدة أو بالمعنى الأصح يزج به فى معصرة تعصر لحمه وعظمه بلا شفقة ولا رحمة، ولقد بدأت هذه الكارثة بشعب إسرائيل أولاً عندما جاء "تغلث فلاسر" ملك آشور وهجم على إسرائيل "وأخذ عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى آشور[٥]. هذا هو السبى الأول الذى سبى فيه حوالى ٢٧.٢٩٠ يهوديا فيما بين سنتى ٧٣٤ ـ ٤٣٢ ق. م ولم يكن هذا السبى إلا فاتحة لسلسلة طويلة من السباء فى المملكتين. (ثم فى سنة ٧٢٤ ق. م) جاءت الجيوش الآشورية وحاصرت مدينة السامرة

---

(١) د/ القس حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٢.

(٢) الملوك الأول ١٤ : ٣٠، ١٥ : ٦ أخبار الأيام الثانى ١٢ : ١٥.

(٣) المصدر السابق ص٤٣.

(٤) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٨٨.

(٥) الملوك الثانى ١٥ : ٢٩.

التى بذلت كل ما فى وسعها للمقاومة والصمود ضد العدو، إلا أن الحصار استمر حوالى ثلاث سنوات فلم تستطع المدينة مقاومة الأعداء الذين كانوا يحصرونها من الخارج وإمداد السكان بالطعام والشراب من الداخل فاضطرت السامرة فى نهاية الأمر إلى أن تسلم للعدو الآشورى، وهكذا سقطت السامرة فى يد سرجون الثانى سنة ٧٢١ ق. م بعد حصار طويل، ولم يكتف الآشوريون بدخول المدينة وتخريبها بل سبوا الإسرائيليين وطردوهم من بلادهم[١].

وفى سنة ٦٠٨ ق. م زحف "نخاو" فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها[٢] وأصبح ملك يهوذا تابعًا يدفع الجزية لمصر[٣] واستمر فى زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التى كانت قد سقطت تحت سلطة الآشوريين وقد ثار لذلك ملك بابل (نبوخذ نصر) الذى آل له السلطان على آشور وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل صدقيا بن يواقيم آخر ملوك يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار وأقام بختنصر على فلسطين واليًا من قبله[٤] "ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعًا إلى بابل، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس"[٥].

وحدث أن تعرضت المملكتين بعد السبى الأول إلى سبى ثان فى سنة ٥٩٧ ق. م وسبى ثالث ٥٨١ ق. م وتعرضت البلاد فيها إلى أنواع التدمير وتعرض أهلها للقتل وسفك الدماء وللتشريد خارج بلادهم.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٣ ، ٤٤.
(٢) اليهودية ص٨٩.
(٣) إرميا ٤٦ : ٢.
(٤) د/ أحمد شلبى : اليهودية ص٨٩ ، ٩٠.
(٥) أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٧ ـ ١٩.

وقد استمرت الإمبراطورية البابلية الثانية تحت حكم نبوخذنصر الملقب بالثانى (بختنصر) وخلفائه حتى سنة ٥٣٨ ق. م حين انهارت أمام هجمات كورش مؤسس الدولة الفارسية[١]، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا وسمح كورش لليهود بالعودة إلى بلادهم ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية وامتدت بها أعراقهم وعرفوا بها خصب العيش والتجارة الرابحة ومن ثم فقد ترددوا طويلاً فى العودة للقفار والصراع حول المدينة المقدسة وبعد هذا التردد استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقاء، ولم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجئ كورش[٢].

ولم ينعم اليهود كثيرًا بحكم بلادهم فقد دخل الإسكندر الأكبر فلسطين واحتل القدس سنة ٣٣٢ ق. م، وبعد وفاته سنة ٣٢٣ ق. م صارت فلسطين فى أيدى السلوقيين وظلت مسرحًا للاضطرابات يتداولها السلوقيون والبطالسة حتى وقعت البلاد تحت حكم الإمبراطورية الرومانية. وفى فترة السبى تلك وبسببه أيضًا تولدت، أو ثبتت ـ لدى اليهود فكرة المخلص الذى يخلصهم مما هم فيه.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "وهناك فى السبى بدأ الشعب يحلم بمخلص وبملك يخلصهم من سبيهم ويحررهم من عبوديتهم ويخرجهم لا من مصر وحدها كما كان يحلم الشعب قديما بل من بابل والمدن الأخرى التى تشتتوا فيها[٣] فإرميا يقول: "ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلاً فى الأرض. فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا"[٤].

يقول العقاد: "ثبتت فكرة (المسيح المنتظر) فى عقائد بنى إسرائيل بعد زوال ملكهم وانتقالهم إلى الأسر البابلى"[٥] "كما أن الحوادث الجسام التى تعرض لها اليهود أثناء السبى البابلى جعلتهم يتعلقون بهذه الفكرة"[٦] حيث كانوا يترقبون

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول ص١٦٣.
(٢) اليهودية ص٩٢.
(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٥٠.
(٤) إرميا ٢٣ : ٥ ، ٦.
(٥) العقاد: الله ص١١١.
(٦) التاريخ الوسيط ص٥٦.

مخلصا معينا: مسيحا يخلص البشرية بطريقة محببة إليهم تنطوى على استرجاع ما كان لداود وسليمان من مجد أسطورى ووضع العالم آخر الأمر تحت أقدام اليهودية[١]، مخلصا يجمع شتاتهم ويرد عليهم ما سلبت يد الدهر منهم بعد أن وقع بهم ما وقع على أيدى جيرانهم الأقوياء من أسر وتقتيل وتشريد[٢].

إن المخلص المنتظر بحسب المفهوم اليهودى يجب أن يكون إنسانًا ومولودًا بطريقة بشرية، ولم يفكر أى يهودى فى أية لحظة من لحظات تاريخه فى السبى أو بعده بأن المخلص هو كائن سماوى أو آت من عالم آخر، بل كان الأمر المهم بالنسبة لكل يهودى أن المسيا المنتظر لابد وأن يكون من نسل داود؛ لكى يحرر الشعب من الاستعباد والاحتلال الأجنبى ويجلس على كرسى داود أبيه[٣].

ولما كانت فكرتهم عن المخلص تتركز أساسًا على الخلاص من الوهدة السياسية ومما هم فيه من ضعف وذلة ومهانة تحت أيدى البابليين فإنه لما أتى كورش المجوسى مؤسس الإمبراطورية الساسانية فى بلاد فارس وحارب البابليين وهزمهم وفك أسرى اليهود فى بابل وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل فرح اليهود بذلك فرحًا شديدًا واعتقدوا أن كورش الوثنى هو المسيح المخلص الذى أرسله يهوه لإنقاذهم من أيدى البابليين فأطلقوا عليه لقب المسيح فهو مسيح الله - فى نظرهم - الذى أمسك الرب بيمينه ليدوس به الأمم ويحطم الملوك.

يقول إشعياء "هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أممًا وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق"[٤].

ولم يهنأ اليهود بفترة الهدوء والراحة والحرية طويلاً إذ نهضت الإمبراطورية الرومانية وقامت بشتى الحروب على الشعوب المجاورة بقصد التوسع، فضمت بلاد اليهودية ضمن ما ضمت من مستعمرات، وأذاقوا اليهود من العسف الكثير، كما

---

(١) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ص٦٨٦.
(٢) عبد الكريم الخطيب: المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص٥٢٥.
(٣) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٢.
(٤) إشعياء ٤٥: ١.

قتلوا الرجال، واستحيوا النساء، وحرموا عليهم أى نقاش فى السياسة وشئون الحكم، يحسبون على الناس كلماتهم وألفاظهم وحركاتهم وسكناتهم، بل ويعدون عليهم الأنفاس والخلجات، فعادت باليهود أفكارهم وسرحت بهم أحلامهم إلى ظهور الشخص المخلص، أى مسيحا من سلالة ملوكهم يخلصهم من ظلم الرومان واستعبادهم، ويعيد إليهم مجدهم وحريتهم، ويعود بهم شعبًا ممتازًا، وعنصرًا مميزًا بين شعوب الأرض، حتى يعيدوا مملكة داود وعرش سليمان التى قاعدتها فى أورشليم. تجددت باليهود الأحلام والأوهام وكثرت الأقاويل والتكهنات، وتعددت الأساطير والأقاصيص فى هذا المسيح المخلص[١].

يقول د/ رأفت عبد الحميد "تشتت اليهود فى كل ولايات الإمبراطورية الرومانية، وضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا، ونظر اليهود إلى ماضيهم فأنفوا أنفسهم وقد تعرضوا لتاريخ طويل من الإذلال والشتات، بدأ بالآشوريين فالبابليين فالفرس فالإغريق ثم فى النهاية الرومان، ومن ثم تولد لدى اليهود كبير أمل وتوقع محدد صريح أن إلههم لابد وأن يخلصهم يومًا من التبعية السياسية للسيد الأجنبى. والوسيلة الوحيدة لذلك ـ حسبما جاء فى نبوءات أنبياء بنى إسرائيل ـ أن يرسل يهوه مسيحا مخلصا لهذا الغرض؛ يخرجهم من الظلمات إلى النور ـ المادى والحسى ـ ويعيد لهم على الأرض مملكة داود وسليمان، ويحقق لهم عهدًا جديدًا من السلام والرخاء، من القوة والعظمة، وينهى بقوته وإلى الأبد حالات الحزن والقنوط والتبعية والإذلال، وأن يهوه لابد وأن يعيد إلى شعبه ميراثه الصحيح ووضعه المرموق"[٢].

ونستطيع أن نقول إنه تجدد الأمل لدى اليهود فى أن يرسل الله مخلصا يخلصهم بعد أن تولدت لديهم هذه الفكرة أثناء وبعد السبى البابلى، وليس صحيحا ما قاله الدكتور رأفت عبد الحميد بأن فكرة المخلص تولدت أثناء تشتتهم فى ولايات

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص١٥، ١٦، محمد عزت الطهطاوى: الإسلام والنصرانية ص٢٢٣، إبراهيم خليل أحمد: محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص٥٥.

(٢) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة جـ٢ ص٢٣، ٢٢ ط دار المعارف.

الإمبراطورية الرومانية، والأصح كما قلنا إنه تجدد لدى اليهود الأمل فى المخلص ليخلصهم من الخضوع للأجنبى، ومخلصا لهم من التبعية لغيرهم، لذلك عندما جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لم يعتبروه مخلصا "إذ أن المخلص كان فى نظر اليهود منقذًا قوميًا"[١] غير أن اليهود أصيبوا بخيبة أمل بالغة عندما جاءهم المسيح يزين لهم ملكوت المسيح، ويعدهم وعدًا حسنًا فى الدار الآخرة، ومن ثم كفروا بالمسيح وراحوا يألبون عليه[٢]. لم يؤمن اليهود به وتعللوا بأن الشروط التى وردت عند الأنبياء السابقين حول المخلص المنتظر لم تتحقق فيه[٣].

رفض اليهود الدعوة الجديدة حيث تعارضت تمامًا مع آمالهم وأحلامهم:

١ـ فلم تحقق لهم الملك المادى الذى كانوا يحلمون به حيث انتظروا بناء دولة إسرائيل على يد النبى الجديد فلم يحقق لهم هذا المطلب.

٢ـ ولم يخلصهم من الأسر الرومانى والذل والاستعباد وغير ذلك... ومن أجل هذا كله دخل اليهود فى صراع مع عيسى[٤].

وهذه الفكرة ـ فكرة المخلص كما فهمها اليهود ـ ليست خالصة لهم وحدهم بل هناك من سبقوهم وخاصة الفارسيين الذين اختلط بهم اليهود.

إن فكرة المخلص برزت فى الفكر اليهودى فى وقت متأخر، ومراجعة الكتاب المقدس تقرر لنا أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم فى بابل ثم خضوعهم إلى الفرس[٥] وهذا التوقيت دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التى يدين بها الفرس، ويشرح "جوجنبيرت" العلاقة بين الفكر الفارس والفكر اليهودى فى مسألة المخلص فيقول: إن الاتجاه الفارسى كان يبرز انتصار الخير على الشر فى الصراع الطويل بينهما وذلك الذى سماه الفرس خيرًا هو نفسه ما أسماه اليهود (المسيح)[٦].

---

(١) نورمان كانتو: التاريخ الوسيط ص٥٦.
(٢) الدولة والكنيسة جـ٢ ص٢٣.
(٣) التاريخ الوسيط ص٥٦.
(٤) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص٥٢.
(٥) راجع سفر دانيال.
(٦) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢١٩ بتصرف شديد.

والعالم الإنجليزى (ولز) يقرر أن تأثر اليهود بفترة السبى واضح فيقول: ولكن الأسر البابلى وحدهم فعادوا إلى بلادهم شديدى اليقظة إلى أدبهم، عادوا شعبًا متأجج الوعى الذاتى مشربًا بالنزعات السامية[١] ويقرر ـ كما سبق أن أوردنا ـ أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا وعادوا منها ممدينين، والعقل اليهودى ما لبث فى أثناء مدة الأسر أن خطا إلى الأمام خطوة عظيمة.

وإذا تقرر تأثر اليهود بفترة السبى فإننا نضيف: لعل من الأفكار التى تأثر بها اليهود فكرة المخلص خاصة وأنها تولدت فى تلك الفترة.

يقول د/ عزت زكى "وإبان السبى الفارسى يبدو أن اليهودية قد تمثلت شيئًا من ديانة فارس"[٢].

تعليق عام على الخلاص اليهودى

إن الدلائل فى التوراة التى أنزلت على موسى ـ وحتى بعد تحريفها ـ والتى تدل على بعث نبى منتظر كانت شائعة بين اليهود، وكانت هذه الدلائل والبشائر مما يقلق بال اليهود؛ لأن من أهم صفات النبى المنتظر أنه من أبناء إسماعيل جد العرب وليس من أبناء إسحاق جد اليهود، فما أن وقعت باليهود الجرائم من أسر وتقتيل وتشريد، وحدث لهم ما حدث على يد الآشوريين فالبابليين فالفرس حتى وجدوا الفرصة قد هيأت لهم بعد أن اطلعوا على الأفكار العامة لدى الأديان الشرقية التى كانت تؤمن بالمنقذ المخلص، وما أن عاد اليهود بعد فترة السبى إلى بلادهم إلا وقد تهيأت أذهانهم لقبول أفكار تعلموها على يد من اختلطوا بهم، وجدوا الفرصة سانحة لهم لأن لقبول موازين الأمور، ويقلبوا فكرة النبى المنتظر إلى مسيح مخلص منقذ على هيئة المنقذين لدى الأديان الشرقية، والتمسوا لها الأسباب حتى تم لهم ذلك، خاصة وأن كثيرًا من المؤرخين قرروا أن اليهود ضاعت منهم التوراة الأصلية وكتبوا التوراة الجديدة بعد فترة السبى البابلى وأضافوا إليها ما يتفق وأفكارهم الجديدة.

---

(١) ولز: موجز تاريخ العالم ص٩٠.

(٢) د/ عزت زكى: الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات ص١٢٠.

ولما كان لقب المسيح (مسيح الله لقبًا معظمًا في بني إسرائيل يتفاخر بحمله الملوك والعلماء والأنبياء لقبوا النبي المنتظر الذي تحدث عنه موسى ـ عليه السلام ـ بقوله: "يقيم لك الرب إلهك نبيا.." [١] لقبوه بلقب المسيح وقالوا: نحن في انتظار المسيح، وفي مدينة بابل أراد اليهود قصر شريعة التوراة وأرادوا أن يصدوا الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاء، كرها في العرب الذين خذلوهم في حربهم "لبنوخذنصر" ملك بابل، فأوهموا الناس أن المسيح الذي ينتظرونه ليس من العرب أبناء إسماعيل، بل سيظهر من اليهود، ونشروا الإشاعة هذه في كل مكان حلوا فيه، وهذا أول مكان ظهرت فيه فكرة المسيح المنتظر في العالم على أنه سيظهر من اليهود[٢].

أساس عقيدة الخلاص المسيحي

إن الخلاص المسيحي يختلف في أسسه وأسبابه عن الخلاص اليهودي، فبينما كان الخلاص اليهودي يقوم أساسًا على التخلص من الوهدة السياسية والقسوة التي كان يعامل بها اليهود نجد الخلاص المسيحي يعتمد على أسس أخرى أهمها ما يلي:-

الأساس الأول: وحدة الجنس البشري:

الأساس العام الذي تقوم عليه عقيدة الخلاص المسيحية يتلخص في أن البشر من أصل واحد وهذا الأصل هو "آدم وحواء" وهما قد أخطآ نتيجة أكلهم من الشجرة المحرمة، والبشر مخطئون لأنهم متوالدون منهما.

جاء في "علم اللاهوت النظامي":

إن للبشر أصلاً واحدًا أي أن جميعهم متناسلون من رجل وامرأة اسم الرجل (آدم) ومعناه إنسان (تكوين ٥: ٢) واسم المرأة حواء وسميت بذلك لأنها أم كل حي (أي كل حي من البشر) تكوين ٣: ٢٠. وإنه لما كان الجنس البشري كله متناسلاً منهما سقط بسقوطهما بدليل قول بولس "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم

---

(١) تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢.

(٢) د/ أحمد السقا في مقدمته لكتاب "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" للقرطبي ص٢٩.

والموت نتيجة تلك الخطية اجتاز إلى كل البشر"[١] وقيل "إن الله خلق من دم واحد كل أمة من الناس"[٢].

فيتضح من ذلك أن تعليم المسيحية فى الخطية وكيفية دخولها فى العالم وتأثيرها فى كل البشر مبنى على أنهم من أصل واحد ونوع واحد وكذلك تعليمها فى المسيح أنه تجسد ومات لأجل جنس واحد هو الإنسان.

وقد اعتقدت الكنيسة المسيحية ذلك منذ نشأتها وحسبته من تعاليم الكتاب المقدس. يقول د/ فهيم عزيز: إن الخطية دخلت إلى العالم بإنسان واحد والذى هو آدم"[٣]. ويقول، (فالخطية قد ملكت على العالم نتيجة لخطيئة آدم لأن البشرية كانت واحدة فيه، هذه الوحدة بين البشرية فى آدم عنصر هام جدًا فى مفهوم بولس فهو يؤكد أن الجميع سواء أكان لديهم ناموس أو بدون ناموس مكتوب عليهم[٤] "قد ملك عليهم الموت نتيجة للخطية لأنهم أخطأوا بخطيه آدم"[٥].

وعلى ذلك فالخلاص المسيحى لازم للإنسان لأنه سقط بسقوط آدم وحواء.

ولنا أن نقول: إن البشر وإن كان لهم أصل واحد - وهو آدم وحواء - فإن صفاتهم ونواياهم وأهدافهم تختلف من إنسان لآخر.

فمن ناحية الصفات الجسدية والمادية نرى اختلافا كبيرا من إنسان لآخر، ففى الوقت الذى نرى فيه إنسانا أبيض اللون، نرى آخر أسود اللون، وآخر أحمر اللون وهكذا. وفى الوقت الذى نرى فيه إنسانا طويلا، نرى آخر قصيرا، نرى إنسانا سمينا، والآخر نحيفا، وهذا ظاهر وواضح.

وكذلك أيضا نرى اختلافا كبيرا فى نوايات وأهداف بنى الإنسان، حيث تختلف أعمالهم من إنسان لآخر، ففى الوقت الذى نرى فيه رجلا يعمل الخير، نرى آخر يعمل الشر ويصر عليه إصرارا.

---

(١) رومية ٥ : ١٢.

(٢) أعمال الرسل ١٧ : ٢٦.

(٣) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٣٨٦.

(٤) رومية ٥ : ١٢.

(٥) المصدر السابق ص٣٨٧.

وإذا اختلف بنو الإنسان فى الصفات الجسدية ـ التى توالدت من آدم وحواء ـ فبالأولى والأحرى أن يختلفوا فى مدى صلتهم بالأعمال الحسنة والأعمال السيئة، وليس ذلك لأن أصلهم آدم وحواء، بل لأن طبيعتهم المركبة من الخير والشر تقتضى ذلك/ فالأصل واحد، والنوع واحد، لكن الصفات الجسدية والنفسية تختلف من إنسان لآخر، وهذا أدعى إلى الاختلاف فى الأعمال والأفعال التى تصدر عن الإنسان، وسنناقش بالتفصيل فى الفصول التالية فكرة توارث الخطيئة.

المهم هنا أن نقول: إن التوالد الطبيعى لا يمكن أن يكون مقياسا لصلاح إنسان أو فساده.

ففى الوقت الذى نرى فيه رجلا صالحا وبارا، نرى ابنه غير صالح، وغير بار، نراه فاسدا كل الفساد، ولا يمت إلى الصلاح بأى صلة.

وفى الوقت الذى نرى فيه رجلا فاسدا كل الفساد، نرى ابنًا له يتصف بكل صفات الصلاح والهدى والتقى.

وفى تاريخ الأنبياء السابقين ما يشير إلى هذه الحقيقة الواضحة.

الأساس الثانى: التوافق بين صفتى العدل والرحمة:

يعتقد المسيحيون أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة ـ فى نظرهم ـ إلا بتوسط ابن الله وحيده وقبوله أن يظهر فى صورة إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلمًا ليكفر عن خطيئة البشر.

يقول القس/ إبراهيم لوقا: إن المسيحية تعلم أن الله ـ لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه ـ دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة، فنال البشر العفو والغفران[١].

---

(١) القس/ إبراهيم لوقا: المسيحية فى الإسلام ص١٧١.

ويقول القس/ إلياس مقار: لماذا يهتم الله بهذا الخلاص وتدبيره وترتيبه للإنسان مهما تكن مشقة هذا التدبير والثمن الذى يبذل أو يدفع فيه؟ ولماذا لا يترك الله الإنسان الساقط ليتحمل جزاء خطيئته؟. من الواضح أن الله باعتبار الحاكم الأدبى كان من الممكن أن يترك الجنس البشرى لينال جزاءه العادل على ما يرتكب من خطايا وآثام دون أن تكون هناك أدنى شبهة من حيف أو ظلم. ولكن المعلوم أن الله ليس هو الحاكم الأدبى فقط، بل هو الآب المحب أيضًا، فإذا كانت عدالته تحتم وتؤكد عقاب الخطية، فإن رحمته وجوده وحنانه ولطفه ومحبته تحتم وتؤكد تدبير الخلاص أيضًا، فإذا كان من المسلم به أن عدالة الله كاملة وأن محبته كاملة كذلك وأنه لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين العدالة والمحبة كان لنا أن نتوقع حتمًا أن العدالة تعمل حيث يكون الجزاء، وإن المحبة تعمل حيث يكون الفداء والخلاص أيضًا، وإذا كان من الواضح أنه بسبب أكلة واحدة تعدى فيها آدم أمر الله ألحقت العدالة الإلهية بالجنس البشرى كله ما نرى من جزاء وعقوبة كان لابد لنا أن نتصور أن محبة الله من الجانب الآخر تبذل كل شىء لفداء الإنسان[1].

وتعليق بسيط على هذه الفكرة حتى لانتركها هكذا لأننا سنناقش فيما بعد بالتفصيل أطراف عقيدة الخلاص.

إن ما أورده المسيحيون من أجل تحقيق العدل والرحمة لا يتحقق فيه العدل والرحمة؛ حيث إن المسيح الذى لم يرتكب خطأ عوقب، وهل فى عقاب غير المخطئ عدالة أو رحمة؟

إن المسرحية التى ألفوها لتحقيق العدل والرحمة لم تفلح لا فى تحقيق العدل ولا الرحمة، فلم يتحقق واحد منهما، بل انتفى كلاهما، وبدلاً من أن يوصف الإله بالعدل والرحمة معا وصم بالظلم والقسوة جميعًا ـ تعالى الله على ذلك علوا كبيرًا ـ أما العدل فلم يتحقق؛ لأن ألف باء العدالة تقتضى أن يتحمل الجانى مسئولية جنايته فلا ينزل العقاب بغيره، بل ينزل به هو فإذا ما خرج الأمر عن ذلك كان ظلمًا وليس عدلاً. فإذا ما تصورنا ـ أن زيدًا من الناس قد ارتكب جناية ثم نزل عقابها على

---

(١) القس إلياس مقار: "إيمانى" أو "قضايا المسيحية الكبرى" ص٣٨٨.

عمرو فإن أقل العقول ذكاء تجزم بأن ذلك ليس من العدل فى شىء على الإطلاق، وكذلك لم تتحقق الرحمة؛ لأن الرحمة تقتضى العفو عن الجانى بمعنى أن يكون هناك جان يستحق العقاب فنعفو عنه كلية أو نخفف عن عقابه المستحق شيئًا. ولكن القضية التى معنا ترك فيها الجانى الحقيقى، ثم أخذ مكانه البرئ وتحمل العقاب من لا يستحق، فأين هى الرحمة؟ إن تحمل البرئ عقاب ذنب لم يرتكبه لا يسمى رحمة[1].

نشأة الخلاص المسيحى

قد تبين مما سبق أن اليهود كانوا يؤمنون بمخلص منقذ ينقذهم مما هم فيه من الضعف والانحلال الذى صاحبهم خلال أسرهم وخضوعهم للإمبراطوريات الثلاث الآشورية فالبابلية فالرومانية، ولم يؤمن اليهود بالمسيح لأنه لم تتوافر فيه ما يرغبون منه، والفرق بين اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح واليهود الذين آمنوا به أن هؤلاء لم يؤمنوا بالمسيح لأنه ليس هو المنقذ، أما الذين آمنوا به فإنهم آمنوا به كمخلص منقذ ولكن بنوع آخر يختلف عن الخلاص الذى كان يؤمن به اليهود لذلك فإن للخلاص المسيحى نشأة أخرى.

والخطوة الأولى فى نشأة الخلاص المسيحى هو النظر فى أقوال المخلص نفسه عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ هل نسب إلى نفسه الخلاص أم لا؟ إننا إذا نسبنا إلى شخص عقيدة معينة لابد وأن يقرر الشخص هذه العقيدة وإلا فيكون هذا القول افتراء عليه. فالطريق الطبيعى أولاً هو النظر فى أقوال المسيح عيسى عليه السلام.

يقرر أكثر الباحثين أنه لم توجد كلمة للمسيح يفسر فيها الخلاص.

يقول ولز: (يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسّر فيها مبادئ الكفارة والفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو تناول سر مقدس.

كذلك لا يبرز هو دعواه أنه "المسيح" ولا يضفى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز، ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمرا فى

---

(١) د/ محمود مزروعة: دراسات فى النصرانية ص١١٢.

الدرجة الأولى من الأهمية، ومن أشد ما يحير اللب قوله "حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح"[١] فمن العسير أن يفهم الإنسان السر فى هذا المنع إذا فرضنا أنه كان يعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص[٢].

وفى تعليق لصاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) على ما جاء فى إنجيل متى (حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح) يقول: وهنا "دقيقة" تاهت فيها أفكار الأولين وتحيرت عندها آراء الآخرين وهى معرفة السبب الذى ألجأ المسيح لكتمان حاله على الناس عمومًا مع أن خلاص الناس متوقف على الإيمان بمعرفة أنه رسول الله ليتبعوا قوله وفعله، وأى شيء أراد بهذا وإنجيل يوحنا يصرح أن الله تعالى أرسل يوحنا المعمدان ليصرخ فى البرية بظهوره[٣]، فهل نسى الإله ذلك أم بدا له غير ما هنالك، وقد نسى المترجم[٤] أنه ذكر عن عيسى عليه السلام قوله (لاتخافوهم لأن ليس مكتوم لن يُستعلن ولا خفى لن يعرف. الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور والذى تسمعونه فى الأذن نادوا به على السطوح[٥]،[٦].

ويقول (لو صحت فى عيسى عليه السلام دعواكم الباطلة من كونه إلها تجسد فى بطن العذراء من أجل خطيئة آدم لكان ذلك أول أوامره ومفتاح تعليمه لأنها أساس العقيدة الدينية بزعمكم وهذه الأناجيل على أنها محرفة ـ لم يكن فيها شيء من دعواكم الباطلة[٧].

ويقول ولز: "لو اطلعنا على الأناجيل الأربعة لوجدنا فيها شخصية عيسى وتعاليمه ولم نعثر إلا على النزر اليسير من مذاهب الكنيسة المسيحية"[٨].

(١) متى ١٦ : ٢٠.
(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٦٩٢ ـ ٦٩٣.
(٣) يشير بذلك إلى ما جاء فى إنجيل يوحنا ١ : ٢٣.
(٤) يقصد مترجم إنجيل متى لأنه يعتقد أن المترجم هو الذى كتب إنجيل متى وليس متى الحوارى.
(٥) متى ١٠ : ٢٦ ـ ٢٧،
(٦) عبد الرحمن باجة جى زادة: الفارق بين المخلوق والخالق ص١٢١.
(٧) المرجع السابق ص٦٩ بتصرف شديد.
(٨) ولز: موجز تاريخ العالم ص١٧٨.

ويشير "أدولف هرنك" ـ أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ـ إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أى ذكر للصلب ونظرية الفداء والكفارة فيقول:

"لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثنى عشر أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح وحتى إعلان الإنجيل (المتعلق بموته وقيامه) لم يلاحظ شىء عنه.

إن كتابات "هرمس"[1] المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثًا وقع ولا يوجد فيها أى ذكر على الإطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته.. إلخ رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التى يذكرها فيها ذلك إنه يصف عمل يسوع بأنه:

١ ـ حفظ الشعب الذى اختاره.

٢ ـ تنقية الشعب من الخطية.

٣ ـ تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهى"[2].

يقول د/ رؤوف شلبى "وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنهم فكروا فى إنشاء كنيسة فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى"[3] ومعروف أن قوام الكنيسة هو التركيز على ألوهية المسيح وصلبه وقيامته الذى هو أساس عقيدة الخلاص.

إن عقيدة الخلاص هى أساس المسيحية ورسول المسيحية هو المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ فإذا لم يبين عيسى ولا الحواريون أساس الديانة فلابد أنها جاءت من مصدر آخر له نفس منزلة عيسى بن مريم سواء أكانت هذه المنزلة أصيلة أم مفتعلة وإن كانت فيما نحن بصدده مفتعلة[4].

إن الباحثين المسيحيين وغير المسيحيين يتفقون على أن لبولس منزلة كبرى فى المسيحية. تأسست المسيحية على يده بنوع خاص مخالف لتأسيس المسيح لها.

---

(١) إن كتاب هرمس هذا كما يقول أحد علمائهم (كان إيرينوس يقتبس منه باعتباره واحدًا من الكتب المقدسة واعتقد أوريجين أنه من أكثر الكتب فائدة وأنه كتب بوحى إلهى. ويقرر إيزيبوس أنه على الرغم من عدم قانونيته فقد كان يقرأ علانية فى الكنائس وهو الأمر الذى عززه جيروم وكذلك نجد اثناسيوس ينقل عنه ويعتبره أهم عمل ذا فائدة. نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٥.

(٢) أحمد عبد الوهاب: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٥.

(٣) د/ رؤوف شلبى: المسيحية الرابعة ص١١٦.

(٤) (مفتعلة) لأن تقرير عقيدة لابد وأن يكون لرسول بوحى من الله.

يقول بنيامين بنكرتن: "ولو جاز إنتساب الكنيسة لأحد من الرسل لانتسبت ـ لبولس لأنها تأسست على يده بنوع خاص"[١] ويقول ولز: "إن كثيرًا من الثقات العصريين يعتبرون بولس المؤسس الحقيقى للمسيحية"[٢] ويقول "مايكل هارت": المسيحية لم يؤسسها شخص واحد وإنما أقامها اثنان: المسيح عليه السلام، والقديس بولس ولذلك يجب أن يتقاسما شرف إنشائها هذان الرجلان.

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنسانى، أما مبادئ اللاهوت فهى من صنع بولس، فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية ولكن بولس أضاف إليها عبادة المسيح كما أنه هو الذى ألف جانبًا كبيرًا من "العهد الجديد" وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد. إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة هو بولس وليس السيد المسيح وليس واضحًا ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا بولس[٣].

ويقول: "وبولس هذا هو المسئول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى... وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح... بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذى أقام المسيحية وليس المسيح"[٤]. ويقول السير آرثر فندلاى: "إن بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى"[٥].

ويقول د/ أحمد شلبى فيما ينقله عن (بيرى) من كتاب (أديان العالم): كان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبدا ولكن شاول كون المسيحية على حساب عيسى، فشاول ـ الذى سمى فيما بعد بولس ـ هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية[٦].

ويقول شارل جنيبير: ولكن بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية[٧] فبولس فى نظر الباحثين الثقات يعتبر المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية وإذا كان

---

(١) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص١٦٠.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٧٠٥.

(٣) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله (ص): ترجمة أنيس منصور ص٢٣ ، ٢٤.

(٤) المصدر السابق ص٣٦.

(٥) آرثر فندلاى: الكون المنشود ترجمة د/ على على راضى ص١١٧.

(٦) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص٨٤.

(٧) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص١١١.

الأمر كذلك فإننا ولا شك نجد عنده العقيدة الأساسية للمسيحية الحالية وهى عقيدة الخلاص.

يقول د/ القس فهيم عزيز (إن مركز فكر بولس يتلخص فى تحقق العصر الجديد عصر الفداء الذى فيه يتمم المسيح عمله، بل إن العنصر الأساسى والرئيسى فى كرازة[١] العهد الجديد هو إتمام النبوات الخاصة بالخلاص التاريخى الذى بدأ بمجئ المخلص)[٢].

ويعلن الأسقف المسيحى (بولس إلياس الخورى) فى جرأة أن بولس هو مبتدع عقيدة الخلاص وقد حمل هو وتلميذه الحبيب (لوقا) لواء الدعاية لها فقال: "ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا"[٣].

ويقول (بيرى): "إن بولس بدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة"[٤].

ويقول (ولز): "علم بولس الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ولا زعيم اليهود الموعود فقط بل إن موته كان تضحية ـ مثل ممات الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة أيام الحضارات البدائية ـ من أجل خلاص البشر"[٥].

ويقول مايكل هارت: "نجح بولس فى تبشيره بالمسيحية بين غير اليهود حتى وصفوه بأنه داعية الأمميين أى غير اليهود ولم يستطع أحد أن يقوم بمثل هذا الدور

---

(١) الكرازة: تقديم الإنجيل إلى الناس وإعلان ما فعله الله فى المسيح لكى يصالح العالم نفسه (المدخل إلى العهد الجديد ص٨٧).

(٢) د/ القس فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص٥٣.

(٣) نقلاً عن النصرانية والإسلام: محمد عزت الطهطاوى ص٤٨.

(٤) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص٨٤.

(٥) ولز: موجز تاريخ العالم ص١٧٨.

من قبله أو من بعده... ومن أهم أفكاره: أن يسوع المسيح لم يكن فقط نبيا بشرًا بل كان إلها حقا وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر"(١).

ويقول: هنتر ـ عميد كلية المسيح بجامعة ابردين بإنجلترا ـ عن مفهوم بولس للمسيحية "إن شخص المسيح يقف فى قلب مفهوم بولس للمسيحية كعقيدة خلاص"(٢).

ويقول فرويد: ويبدو أن جوهر الخلاص هو ما أضافه بولس إلى المسيحية فقد كان إنسانًا له موهبة الدين بأصدق معنى الجملة"(٣) ويقول: "وصارت الخطيئة الأصلية والخلاص بالموت الكفارى أساس الديانة الجديدة التى أرسى بولس قواعدها"(٤).

ويقول برتراندرسل "تشتمل رسائل بولس على كثير من اللاهوت خصوصًا فيما يتعلق بالخلاص"(٥) فبولس الذى له منزلة كبرى فى المسيحية وبين المسيحيين هو الذى ظهرت عقيدة الخلاص على يده فى المسيحية، وكانت أفكاره الرئيسية تقوم على خدمة هذه العقيدة ـ عقيدة الخلاص ـ من حيث الخطيئة وإرثها ومن حيث تأليه المسيح وصلبه وقيامته فداء للبشر من الخطيئة(٦).

يقول أرنست دى بونس الألمانى فى كتابه عن "الإسلام": إن روايات الصلب والفداء من مخترعات بولس ومن شابهه"(٧).

ومن الثابت أن بولس لم يكن تلميذا من تلاميذ المسيح ـ فى حياة المسيح ـ ولا من رسله ولم ير المسيح ولو مرة واحدة.

---

(١) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد (ص) ص٣٦.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر: ص٤٣.

(٣) فرويد: موسى والتوحيد، ترجمة د/ عبد المنعم الحفنى ص١٧٩.

(٤) نفس المصدر ص٢٦١.

(٥) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص٣٩.

(٦) راجع فى هذا: د/ رؤوف شلبى: المسيحية الرابعة ص٨١ ـ ٨٨، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٩٧ ـ ١٠١، د/ محمود مزروعة دراسات فى النصرانية ص٩٩، أحمد عبد الوهاب: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٥.

(٧) الفارق بين المخلوق والخالق ص١٥ ـ ٢٨٨.

يقول ولز: "وكان بولس من أعظم من أنشأوا المذهب المسيحى وهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يبشر الناس"[١]:

"والثابت لدى الباحثين بوجه عام أن بولس لم ير المسيح ولم يعرفه وإن كان يدعى أنه عرف المسيح من قبل"[٢] فهذا قول منه يخالف ما أجمع عليه الباحثون من عدم معرفته له[٣]. يقول شارل جنيبير (ويجب أن نشير هنا إلى أن بولس لم يلتق بالمسيح مدة حياته لذلك لم تكن تأملاته عن شخص الأستاذ وتعاليمه لتحدها آفاق الذكريات والواقع كما كان الحال بالنسبة للاثنى عشر من الحواريين الذين بدأوا الدعوة)[٤].

فبولس ليس من تلاميذ المسيح ولكنه اشتهر فى زمانه بتعصبه ليهوديته واضطهاده للمسيحيين، وكان فى صدر حياته من أشد أعداء المسيحية. وسفر الأعمال يذكر ذلك الاضطهاد فى مواضع كثيرة منها قوله "وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل. وحمل رجال أتقياء إستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة. وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن"[٥].

وفى تفسير (باركلى) لأعمال الرسل يقول عن هذه الفقرة:

"وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة، وكلمة "السطو" فى اللغة الأصلية تفيد عملاً وحشيًا كما ينقض وحش على فريسته"[٦].

---

(١) ولز: موجز تاريخ العالم ص١٧٨.
(٢) وذلك إشارة إلى قول بولس (وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد) ٢ كورنثوس ٥ : ١
(٣) د/ محمد أبو الغيط الفرت: بولس المسيحية ص٣٦.
(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص٦٩ ـ ٧٠.
(٥) أعمال الرسل ٨: ١ ـ ٣.
(٦) باركلى: تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص١٠٦.

ومنها: أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم[١].

عرف بولس أن بعض المسيحيين هربوا إلى دمشق فطلب رسائل للتعريف بمهمته ليذهب إلى دمشق لتسليم هؤلاء الفارين[٢].

ويعترف بولس بهذا الاضطهاد للمسيحيين كما فى سفر أعمال الرسل ـ فيقول (أنا رجل يهودى ولدت فى طرطوس كيليكية ولكن ربيت فى هذه المدينة عند رجلى غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوى، وكنت غيورًا لله كما أنتم جميعكم اليوم. واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدًا ومسلمًا إلى السجون رجالاً ونساء كما يشهد لى أيضًا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذت أيضًا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا)[٣] وهو إنما يذكر ذلك ليبرز لقارئيه تحوله المفاجئ من العداوة الشديدة لهم إلى الدعوة الخاصة بالمسيح[٤] ولكن سفر الأعمال يقول إن ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الإيذاء قد انتقل من الجبت والطاغوت إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ولا تمهيدات مهدت له[٥] "وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلاً له شاول، شاول: لماذا تضطهدنى؟ فقال: من أنت يا سيد، فقال الرب أنا يسوع الذى تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب قم وادخل إلى المدينة فيقال لك ماذا

(١) أعمال الرسل ٩: ١، ٢.

(٢) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص١١٦.

(٣) أعمال الرسل ٢٢: ٣ـ ٥.

(٤) د/ محمد الفرت: بولس والمسيحية ص٣٧.

(٥) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص٨٥.

ينبغى أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا. فنهض شاول عن الأرض وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وبقى ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب"[١].

وهنا وقفه لابد منها ذلك أن سفر أعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة أخرى عن تلك الرؤيا ـ التى اقتحم بها بولس ليجعل نفسه مبشر المسيحية الأكبر فيما بعد ـ فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة فهو يقول هذه المرة على لسان بولس "أبرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا: قال إنى أنا يسوع الناصرى... والذين كانوا معه نظروا النور... لكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى"[٢].

فعلى حسب الرواية الأولى نجد أن المسافرين مع بولس: سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور. أما حسب الرواية الثانية: فإنهم نظروا النور ولكنهم لم يسمعوا الصوت[٣].

فأيهما أصح الرواية الأولى أم الثانية؟ ثم ننتقل بعد ذلك إلى الواقعة ذاتها يقول ول ديورانت وهو يصف الحالة التى كان عليها بولس: "وليس فى وسع أحد أن يعرف العوامل التى أحدثت هذه التجربة وما أعقبها من انقلاب أساسى فى طبيعة الرجل، ولعل ما قاساه من التعب فى سفره الشاق[٤] الطويل فى شمس الصحراء اللافحة، أو لعل ومضة برق فى السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعل شيئًا من هذا أو ذاك كله قد أثر فى جسم ضعيف ربما كان مصابًا بالصرع وفى عقل يعذبه الشك والإجرام فدفع بالعملية التى كانت تجرى فى عقله الباطن إلى غايتها، وأصبح ذلك

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٣ ـ ٩.
(٢) أعمال الرسل ٢٢: ٦ ـ ٩.
(٣) أحمد عبد الوهاب: الوحى والملائكة ص٥٢.
(٤) يقول باركلى: الطريق من أورشليم إلى دمشق حوالى ١٤٠ ميلاً، والرحلة تأخذ أسبوعًا تقريبًا (تفسير العهد الجديد: أعمال الرسل ص١١٦).

المفكر الشديد الإنفعال أقدر الداعين إلى مسيح **استفانوس**[١] **وكان الجو اليونانى** الذى يحيط به بولس فى طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية كما كانت علوم بنى جنسه من اليهود تتحدث عن حياة (مسيح) منتظر، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة الفتانة الذى لا يتردد الناس فى استقبال الموت من أجله هو ذلك المسيح المنتظر؟ فلما أحس فى آخر سفره وهو لا يزال ضعيفًا وأعمى بيدى يهودى مهتد رحيمتين تلمسان وجهه وتسكنان ألمه "فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد وتناول طعامًا فتقوى "وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها إن عيسى ابن الله"[٢].

---

(١)استفانوس: اسم معناه "تاج" أو "إكليل من الزهور" وهو اسم أول شهداء المسيحية وبما أن اسمه يونانى فيرجح أنه كان هيلينيا (أى أنه لم يكن يونانى الجنس بل يونانى اللغة والثقافة) أو أنه كان يهوديا يتكلم اليونانية، ولما اشتكى الهيلينيون المسيحيون فى أورشليم من أن أراملهم كن يهملن (أعمال ٦ : ١) انتخب سبعة رجال من ضمنهم إستفانوس ليقوموا بأمر الخدمة اليومية وتوزيع التقدمات على الفقراء المسيحيين (أعمال ٦ : ٢ ـ ٦) وهؤلاء الرجال السبعة يعرفون بأول شمامسة فى الكنيسة المسيحية ويصف الكتاب المقدس إستفانوس بأنه رجل ممتلئ من الإيمان والروح القدس (أعمال ٦ : ٥) وأنه كان يصنع قوات وعجائب (أعمال ٦ : ٨) وكان ينادى بالرسالة بحكمة (أعمال ٦ : ١٠) ولما لم يتمكن بعض من هؤلاء اليهود الهيلينيين أن يجاوبوا إستفانوس ويقاوموا قوة الحكمة والروح التى كانت فيه اخترعوا ضده شكايات زور فدسّوا رجالاً مأجورين يقولون: إننا سمعناه يجدف على الله وعلى موسى وأنه تكلم ضد الشريعة وضد الهيكل وقدمت هذه الشكاوى إلى مجمع السنهدريم (أعمال ٦ : ٩ ـ ١٤) وقد سجل لنا سفر أعمال الرسل ملخصًا للدفاع الذى قدمه إستفانوس (أعمال ٧ : ١ ـ ٥٣) وقد رفض المجلس أن يستمع لإستفانوس بعد هذا، أما هو فقال إنه يرى السموات مفتوحة وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله (أعمال ٧ : ٥٤ : ٥٦) عندئذ أخرجوه خارج المدينة ربما من الباب الذى يدعى اليوم باب إستفانوس ورجموه وكانوا وهم يرجمونه يقول (أيها الرب يسوع اقبل روحى) ثم طلب من الرب غفران خطيئتهم بسبب رجمه، وشاول الذى أصبح فيما بعد بولس كان راضيًا برجم إستفانوس (أعمال ٨ : ١) وكان يحرس ثياب الذين رجموه (أعمال ٧ : ٥٨) ولقد كانت شهادة إستفانوس من أكبر العوامل لإعداد شاول لكى يقبل المسيح (أعمال ٢٢ : ٢٠)أ. هـ قاموس الكتاب المقدس ص٦٢ ـ ٦٣. وتعليق بسيط على هذه الحادثة أنهم رجموه وذلك من أجل الأفكار التى كان ينادى بها، وكان أهمها المناداة بأن يسوع هو ابن الإنسان قائمًا عن يمين الرب وقالوا عنه إنه كان يجدف على الله وعلى الشريعة وهذا دليل على أن مسيحى تلك الفترة كانوا لازالوا على إيمانهم بدين عيسى الحقيقى لذلك حين خرج إنسان بأفكار جديدة رجموه.

(٢) ول ديوارنت: قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٥٣.

فبولس بعد أن كان من ألد أعداء المسيحية، ولاقى المسيحيون على يديه ألوانا عدة من التعذيب والتنكيل، نجده ينقلب فجأة وبدون مقدمات إلى إعلان أن المسيح "ابن الله".

وبعد أن حدث لبولس ما حدث رجع إلى أورشليم وذلك بعد مدة تزيد على الثلاث سنوات وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح لكنهم أوجسوا منه خيفة ولم يصدقوا إيمانه ولكن برنابا شهد له، يقول سفر الأعمال: (ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع، فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم)[١].

وفى تفسير هذه الفقرة يقول "باركلى": ففى حين وقف الجميع من حوله ينظرون إليه شذرا فى شك ويظنون به الظنون أخذه برنابا بيده ووقف مسندا له، فبينما نظر الباقون إلى بولس على اعتبار أنه جاسوس أو عميل مدسوس عليهم وثق به برنابا كمؤمن حقيقى أمين"[٢] فلولا برنابا لما استطاع بولس حتى الاتصال بهذا المجتمع[٣]. ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال. وهنا نجد حلقة مفقودة فلم يبين لنا سفر الأعمال على من تلقى مبادئ المسيحية الذى أخذ يبشر بها والتى دونها فى رسائله؟ ولعلهم يعتقدون أنه ليس فى حاجة إلى التلقى لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ إلى مرتبة الرسل فى المسيحية وصار ملهما ينطق بالوحى فى اعتقادهم فلم يكن فى حاجة إلى التعليم والدراسة[٤].

هذا هو بولس الذى يعتبر من المؤسسين الحقيقيين للمسيحية الحالية، كان كافرًا بالمسيح وأذاق أتباعه ألوانًا من العذاب انقلب إلى المسيحية وصار أكبر دعاتها بل

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٢٦ ـ ٢٨.
(٢) تفسير العهد الجديد (سفر أعمال الرسل) ص١٢٤.
(٣) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٢.
(٤) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص٨٦.

ورأس الدعاة. وعلامة استفهام توضع: كيف يكون لبولس هذا القدر الرفيع والنصيب الكبير فى المسيحية وهو لم ير المسيح وليس تلميذا من تلاميذه؟

وكذلك ما رأى بولس أحدًا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب وذلك بعد مدة تزيد على الثلاث سنوات كان قد بدأ فيها الدعوة إلى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ أو تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله[١] وفى هذا يقول بولس عن نفسه:

"ولكن لما سر الله الذى أفرزنى فى بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضًا إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يومًا ولكن لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب"[٢] ولقد استمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد على أربعة عشر عامًا حتى حدث ما اضطره أن يعود مرة ثانية إلى أورشليم ليعرض على كبار التلاميذ التعاليم التى بشر بها.

يقول بولس (ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضًا إلى أورشليم مع برنابا آخذًا معى تيطس أيضًا وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى وقد سعيت باطلاً)[٣].

إننا نريد أن نسأل النصارى عن الإعلان الذى بموجبه صعد بولس إلى أورشليم ليعرض عليهم الإنجيل الذى يعظ به ويبشر به بين أمم العالم؟ ولماذا عرض بولس إنجيله الذى كتبه بنفسه على الرؤساء المعتبرين؟ ولماذا يريد أن يحظى بتأييدهم ومساعدتهم إياه، كما قال؟ مما لا مراء فيه: أن اجتماعه سرًا وعلى انفراد بالمعتبرين - ليعرض عليهم مبادئه الجديدة التى بشر بها فى رحلته التبشيرية الأولى[٤] ونتائجها

(١) أحمد عبد الوهاب: الوحى والملائكة ص٥٣.
(٢) غلاطية ١: ١٥ - ٢٢.
(٣) غلاطية ٢: ١ - ٣.
(٤) إن عودة بولس هذه المرة إلى أورشليم كانت بعد رحلته التبشيرية الأولى حيث إن هذه العودة كما قلنا كانت بعد أربع عشر سنة والتى تجول فيها فى إنطاكية وقبرص (أعمال ١٤: ٥٤) ومدن آسيا الصغرى ترواس، مقدونية، فيلبى، تسالونيكى، أثينا، كورنثوس. أعمال إصحاح (١٦، ١٧، ١٨) ثم انتقل بولس إلى أورشليم سنة ٥٣م ليسلم على الإخوة هناك (أعمال ١٨: ١ - ٢١).

من دخول عدد كبير فى المسيحية قبل أن يذيعها بين الأمم الأخرى ـ دليل على أن المبادئ الجديدة تختلف تمامًا عن المبادئ التى جاء من أجلها المسيح، وإلا لماذا صعد؟ ولماذا انفرد؟ ولماذا على انفراد؟

ويصرح بولس بأن الإنجيل الجديد الذى يبشر به ليس هو الإنجيل الذى تركه المسيح ـ عليه السلام ـ بل هو إنجيل تلقاه بإلهام من المسيح أى أنه لا يبشر بما ترك المسيح بل يدعى أنه يبشر بإلهام المسيح له بالتعاليم الجديدة[١].

يقول بولس "وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح"[٢].

وهؤلاء المعتبرون الذين اجتمع بهم بولس على انفراد لم يحظ بتأييدهم كلهم[٣] "ولا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة يستكفون كثيرًا من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها ترددًا قويًا إلا أنه فرضها عليهم فرضًا إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمدًا على تحليل أوجه النجاح الذى لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى فى ربوع آسيا الصغرى، ثم إن مجتمع القدس كان يظن أن روحًا إلهية تسير الحوارى الثالث عشر فيما يقوم به من أعمال، وكان هذا المجتمع فقيرًا وكانت كنائس بولس تضم أحيانًا بين أتباعها ثراة القوم وكرامتهم.. وكان بولس خبيرًا بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم"[٤].

وهنا نرى أن جل اعتماد بولس على إقناع الحواريين هو نجاحه فى دعوته بين الأمم التى بشر فيها، وكان نجاحه بالتبشير وسط هذه الأمم يرجع إلى أن الأفكار والعقائد التى كان يبشر بها كانت هى السائدة فى هذه المجتمعات.

ويكفى أن نقول هنا: إن بولس الذى ظهرت على يديه عقيدة الخلاص لم يلتق بالمسيح مدة حياته ولم يتتلمذ عليه، بل لم ير من تلاميذ المسيح سوى بطرس

---

(١) من تعقيب د/ أحمد السقا على كتاب الإمام الجوينى: شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل ص٦٨ ـ ٦٩.
(٢) غلاطية ١ : ١١ ـ ١٢.
(٣) المصدر السابق ص٦٩.
(٤) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٤.

ويعقوب، ولقد عمل بولس على أن يضع تلاميذ المسيح أمام الأمر الواقع، خرج يبشر بتعاليمه، ثم رجع بعد أربع عشرة سنة ليعرض عليهم نجاحه بتعاليمه لا نجاحه بالدعوة إلى دعوة عيسى، وكان انتشار دعوة بولس بين الأمم التى بشر فيها بالمسيح سبيلاً إلى الغلبة على تلاميذ المسيح المعتبرين.

انتشار عقيدة بولس فى الخلاص

إن عقيدة الخلاص التى قال بها بولس كان لها نصيب من الانتشار الواسع حتى أصبحت أساس المسيحية؛ وذلك يرجع إلى الأسلوب الذى استخدمه بولس فى نشر المسيحية والطريقة التى سار عليها، إذ أنه رأى أن يخرج بالمسيحية من دائرتها الضيقة فى بيت المقدس إلى الميدان الواسع فى البيئات غير اليهودية من ناحية، وبين اليهود الذين يعيشون خارج دائرة أورشليم من ناحية أخرى، إذ أنهم وجدوا فيها ـ بعد الإصلاحات التى أدخلها بولس فى نظره ـ ديانة تفى بحاجاتهم من حيث الانتساب إلى دين يستوعب كل مزايا ديانات العصر جميعًا[١].

التبشير بالمسيحية بين غير اليهود[٢]:

يقول شارل جنيبير: "كان أصحاب عيسى يهودًا سذجًا بسطاء، ليس لهم شأن فى قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة، فآفاقهم الفكرية لم تكن بأوسع أو أبعد حدودًا من أفق عيسى، واقتصر طموحهم على الرغبة فى دفع "الخراف الضالة من بيت إسرائيل" نحو طريق النجاة، وجميع الدلائل تحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا شديدى التعصب لبنى جلدتهم من اليهود ـ على الأقل فى بدء الدعوة ـ وفاقوا فى ذلك عيسى نفسه، وكانت فكرة تبشير الوثنيين بعيدة كل البعد عن عقولهم، بل الواقع أنه كان من ضروب المستحيل أن يتصوروا إمكان انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية قبل ذلك[٣].

---

(١) نورمان كانتو: التاريخ الوسيط ترجمة د/ قاسم عبده قاسم ص٥٩.
(٢) وقولنا "غير اليهود" عامة تشمل غير اليهود أصلا وغير اليهود المحافظين على يهود يتهم.
(٣) المسيحية نشأتها تطورها ص٥٥ ـ ٥٦.

إن التبشير بالمسيحية بين غير اليهود كان بعيدًا عن فكر تلاميذ عيسى ؛ **لأنهم** سمعوا من عيسى : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[١].

يقول برتراند رسل : كان الذين يبشرون بالمسيحية أول الأمر هم اليهود أنفسهم : يبشرون بها اليهود على أنها العقيدة اليهودية دخلها الإصلاح ، وقد أراد القديس جيمس (يعقوب) كما أراد القديس بطرس بدرجة أقل ـ أن يقف أمر المسيحية عند هذا الحد ، وقد كان من الجائز أن يسود رأيهما لولا بولس الذى صمم على قبول غير اليهود[٢] ويقول : "ولا شك فى أن الجماعات المسيحية التى أنشأها بولس فى أماكن كثيرة قد كان قوامها المرتدين عن اليهودية من جهة ، وغير اليهود الذين كانوا ينشدون دينا جديدًا من جهة أخرى"[٣].

والمرتدون عن اليهودية الذين مهدوا قبول المسيحية لغير اليهود هم : "الذين أقاموا زمنًا طويلاً بمختلف البلاد اليونانية ، ثم عادوا إلى وطنهم ليعيشوا فيه ما بقى لهم من عمر ، وكانوا أيضًا وعلى الأخص من يهود المهجر الذين يتوافدون إلى القدس فى الأعياد الكبرى والمواسم ، **وامتازوا جميعًا بروح أكثر مرونة وتقبلاً للتجديدات من إخوانهم** الفلسطينيين ، فلا غرابة إذن فى أن يكون عدد معين منهم قد استمع إلى أحاديث أصحاب عيسى وآمن بدعوتهم ولكنهم عندما اعتنقوا الإيمان بعيسى المسيح لم يتخلوا من أجل ذلك عن روحهم المرنة المجددة"[٤].

"لقد كان هناك نوعان من اليهود" :

يهود أورشليم ، ويهود فلسطين. أما يهود أورشليم فهم أولئك الذين كانوا يتكلمون الآرامية المنحدرة من لغتهم الأصلية وكانوا يفتخرون بأنهم لم يختلطوا بأحد.

---

(١) متى ١٠ : ٦.
(٢) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص٣٦.
(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة.
(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص٨٨ ـ ٨٩.

أما اليهود الآخرون فكانوا من بلاد أخرى، جاءوا يوم الخمسين، وبقوا فى أورشليم، واختبروا شخص المسيح، وعدد كبير منهم عاش خارج فلسطين أجيالاً طويلة، فنسوا لغتهم العبرية، وكانوا يتكلمون باليونانية، وكان طبيعيًا أن اليهود الأصليين يحتقرونهم لأنهم أجنبيون[١].

فاليهود الذين لم يعودوا إلى بلادهم بعد السبى البابلى الذين ألفوا الحياة البابلية كان تمسكهم بيهوديتهم أقل تعصبًا من هؤلاء الذين عادوا إلى فلسطين، ولذلك كان قبولهم للأفكار الجديدة على اليهودية أكثر من الجامدين على يهودية عيسى، وكان تحررهم عن اليهودية أصبح مألوفًا لديهم، بسبب الفترة التى عاشوها فى بلاد اليونان والفرس. وبسبب مجاورتهم ومشاهداتهم لآلهتهم وعباداتهم. "فاليهود فى بعض مناطق المهجر لم يكتفوا بالتطور الاجتماعى وفقا للبيئة التى يعيشون فيها، ولم يكتفوا بإعادة تنظيم عقيدتهم الدينية أو - على الأقل - تفسيرها لأنفسهم بما يتفق وثقافتهم مع صيانة جوهرها كاملاً، لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يخلطون باليهودية بعضًا من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم، فى نفس الوقت الذى كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من المعتقدات اليهودية الأساسية لتمزجها بأديانها المختلفة"[٢] وكان قبول هؤلاء اليهود للمسيحية ودخولهم فيها بداية طريق آخر لهذه الديانة فقد انتشرت بانتشارهم فى البلاد التى عاشوا فيها، وكان هذا تمهيدًا لقبول غير اليهود من الأمميين واليونانيين لها، لذلك بدأ بولس حياته التبشيرية فى بلاد طرسوس وإنطاكية وبلاد اليونان ووجد تربة خصبة لإثراء المسيحية بالأعداد الكبيرة: يقول سفر أعمال الرسل عن بولس (فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب ويسوع وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه فلما علم الإخوة أحد روه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس)[٣]:

---

(١) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ٨٦.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص٦١.
(٣) أعمال الرسل ٩: ٢٨ - ٣٠.

"قدم بولس تصوره عن المسيح بالصورة التى رسم صورتها الهيلينيون فى موطنه، وهى التى رسمت فى ذهنه، ولكن هذه الصورة رفضها اليهود فى أورشليم، وأثارت ضجة أدت إلى تعقبه لقتله مما اضطر معه إلى الهروب مرتحلاً إلى طرسوس وإنطاكية.

ولكن بولس لم تهن عزيمته فى دعوته لعيسى فى صورته الجديدة، فإذا كان مجتمع اليهود[١] رفضه لفكرته الجديدة عن المسيح فإن هناك من يقبل هذه الدعوة، فبدأ حياة عنيفة كمبشر بهذه الدعوة فى آسيا الصغرى وبلاد اليونان[٢].

ومن خلال رحلات بولس التبشيرية[٣] فى إنطاكية وآسيا الصغرى دخل المسيحية عدد كبير من غير اليهود فأحدث بذلك "ترددًا قويا من الشيوخ بالنسبة لقبول هؤلاء فى زمرة المؤمنين، ولكن بولس بما أوتى من قوة الحجة وصلابة العزم أقنعهم من خلال تجربته التبشيرية بأنه إذا لم تنتشر دعوة المسيح فى غير اليهود فإن الدعوة ستظل حبيسة بين فئة اليهود فقط سوف يقضى عليها فى هذا الانحصار الضيق فى وقت قصير"[٤] هكذا أقنع بولس تلاميذ المسيح معتمدًا على النجاح الملموس الذى حققه من خلال رحلاته التبشيرية من ناحية، ومن ناحية أخرى على ما كان يساعد به الكنيسة الأم من مال عن طريق هؤلاء الأغنياء والأثرياء الذين كانوا ينتمون إلى كنيسة بولس.

بعض الإصلاحات التى أدخلها بولس على المسيحية لتخدم عقيدته:

ولكى تكون الدعوة المسيحية مقبولة لدى غير اليهود أجرى بولس بعض الإصلاحات فى نظره ـ إن صح هذا التعبير ـ فى الديانة المسيحية لكى تناسب هذا المجتمع الجديد.

---

(١) أى يهود أورشليم المتعصبين ليهوديتهم.
(٢) بولس والمسيحية ص٥١.
(٣) لقد ذكر سفر أعمال الرسل رحلات بولس التبشيرية بالتفصيل.
(٤) المصدر السابق ص٥١ ـ ٥٢.

وكانت أفكار بولس ـ كما سبق أن بينا ـ تدور حول فكرة الخلاص وكانت هى العقيدة الأساسية التى كان يبشر بها خارج أورشليم. ولما كان الهدف قبول عدد كبير فى المسيحية والسبيل إلى ذلك إرضاء هؤلاء تبعًا لأفكارهم فإن التساهل فى ـ العقائد الموروثة من موسى وعيسى أصبح واضحًا، وإن استدعى الأمر تغييرها فلا مانع مادام ذلك يرضى هؤلاء.

فلقد رأى بولس بوضوح: أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول (فضيحة الصليب) وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة، تفسيرًا مرضيًا يجعل منها واقعة ذات مغزى دينى عميق.

لقد تجاهل فكرة "عيسى الناصرى" التى أغرم بها الاثنا عشر ولم يتجه إلا إلى "عيسى المصلوب" فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود وتمثل نوعًا من التشخيص لروح إله تصوره "رجلاً... رجلا سماويًا" احتفظ به إلى جانبه أمدا طويلاً حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها حقًا بشرية جديدة يكون هو "آدمها"[(١)].

هكذا أصبح موت عيسى فى تصور بولس واضح المفهوم:

إن بنى الإنسان لينؤون بثقل خطاياهم فلا يجدون سبيلاً إلى النور الإلهى، وقد أراد المسيح أن يهديهم السبيل فحمل عنهم آثامهم وكفرّ عنهم بعذابه وموته، وهكذا أصبحت (الفضيحة الكبرى) المزعومة هى هى: السر الأعظم والهدف والعلة الأولى لمجئ عيسى برسالته[(٢)].

يقول ولز: "أمد بولس الناصريين بقوة جارفة، لأنه جاءهم بتفسيره هذا المقنع تمامًا لكارثة الصلب وكان تفسيره ذاك نورًا ساطعًا وسط دياجير الحيرة المطلقة التى رانت على عقول الناس"[(٣)].

---

(١) المسيحية نشاتها وتطورها ص١٠٥.

(٢) المصدر السابق ص١٠٨.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٧٠٦.

ويقول القس/ دوم كولومبا مرميون: "إذا أمعنا النظر فى التصميم الإلهى على ضوء رسائل بولس نرى أن الله يريد ألا نبحث عن الخلاص والقداسة إلا فى دم ابنه، لأنه لا فادى سواه، ولأن لموته فاعلية عجيبة"[١].

وهكذا فسر بولس (الصلب) تفسيرًا رضى به هؤلاء، ولكى تكتمل الحلقة كاملة جاء بولس إلى الشعائر والطقوس وفسرها تفسيرًا تكميليا لعملية الصلب". "وشعر بولس بضرورة الكشف عن المغزى العميق لتقليد (تناول الخبز جماعة)، ولقد وجد له تفسيرًا ربطه برباط لا ينفصم عن عذاب عيسى الذى تحمله لتخليص البشرية، وغمره غمرًا بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير ومن أجل التقرب والمشاركة فى الذات الإلهية، فجعل منه غاية لسر رفيع وتذكرة ورمزًا حيًا ـ أرادهما عيسى لنفسه ـ فيما زعم بولس لنا فيه من عذاب الصليب"[٢].

يقول بولس (إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسر وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكرى، كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشّوا قائلاً هذه الكأس هى العهد الجديد، بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ)[٣].

وكذلك أيضًا اتخذت طقوس التعميد معنى يقرب من معنى العشاء الربانى.

يقول "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"[٤] وعلى هذا فقد ظهرت معالم عقيدة الخلاص بعد التعديلات التى أدخلها بولس فى المسيحية وقوامها: (المسيح تجسد وصلب وقام من أجل الخلاص) المسيح إله متجسد فى صورة بشرية، تحمل ذنوب البشر على الصليب وذلك من أجل أن يخلصهم.

---

(١) دوم كولومبا مرميون: المسيح حياة النفس. ترجمة: المطران نصر الله صغير. ص٧٥.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٩.
(٣) رسالة كورنثوس الأولى ١١: ٢٣ ـ ٢٦.
(٤) غلاطية ٣: ٢٧.

والتعميد والعشاء الربانى يمثلان صلة روحية بعقيدة الخلاص. وأصبحت هى العقيدة الأساسية والركيزة الأولى للمسيحية، لأنها تمثلت فى رسائل كتبها بولس بينما كانت السمة الغالبة على تعاليم عيسى والحواريين أحاديث شفهية.

يقول ول ديورانت: ولم يشعر معاصرو بولس بأثره فى التو والساعة لأن الجماعات التى أنشأها كانت أشبه بجزائر صغرى فى بحر الوثنية الواسع الخضم ولأن كنيسة رومة كانت من صنع بطرس وبقيت وفية لذاكره ومن أجل هذا ظل بولس مائة عام كاملة بعد موته لا يكاد يذكره إنسان فلما انقضت الأجيال الأولى من المسيحيين وأخذت أحاديث الرسل الشفهية تضعف ذكراها فى الأذهان وأخذ العقل المسيحى يضطرب بمئات من عقائد الزيغ والضلال، لما حدث هذا أضحت رسائل بولس إطارًا لمجموعة من العقائد أضفت على الجماعات المتفرقة اتزانا وألفت منها كنيسة واحدة قوية[١] وآلت القيادة لرسائل بولس لدحض أفكار الخارجين والمارقين عن هذه المسيحية.

إن الدعوة المسيحية بعد السيد المسيح كانت ترجع إلى مركزين: أحدهما برئاسة جيمس (يعقوب)[٢] المسمى بأخى الرب ومقره بيت المقدس والثانية برئاسة بولس ومريديه ومقرها خارج فلسطين بعيدًا عن سلطان الهيكل. وقد كانت شعبة بيت المقدس أقرب إلى المحافظة والحرص على شعائر العهد القديم ملحوظة المكانة فى العالم المسيحى داخل فلسطين وخارجها من بلاد الدولة الرومانية كما يظهر من وصايا ومن أجوبة المسيحيين فى الخارج عليها وكلها وصايا تحث على رعاية الشعائر الإسرائيلية.

وظلت الرئاسة على العالم المسيحى معقودة لهذه الشعبة المقيمة فى بيت المقدس حتى تهدم الهيكل[٣] وتقوضت مدينة بيت المقدس وتبددت الجماعة فى أطراف البلاد، وآلت قيادة الدعوة إلى الشعبة التى كانت تعمل فى خارج فلسطين فكان لذلك أثر كبير فى أسلوب الدعوة وفى اختيار وسائل الإقناع إذ اختلف الأسلوبان

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٦٩.
(٢) أشار العقاد إلى اليهود المحافظين على يهوديتهم، ولقد ذكر (ول ديورانت) فى النص السابق على رأس هؤلاء المحافظين (بطرس) ووضع (العقاد) على رأسهم (يعقوب) وهو الصواب ـ فى نظرنا ـ حيث إن يعقوب كان أكثر حرصًا على يهوديته من بطرس.
(٣) وذلك فى سنة ٧٠م حيث هدمه الرومان.

بين الخطاب الموجه إلى اليهود وحدهم، والخطاب الموجه إلى الأمميين النافرين من اليهود، فبينما كان الخلاص على يد فرد من بنى إسرائيل لإنقاذهم دون غيرهم أمرًا مفروغًا منه بين اليهود، كان العالم الخارجى بحاجة إلى صفات إلهية فى الرسول المخلص يقبلها الأمميون ولا يتقيدون فى قبولها بالشروط والعلاقات التى يلتزمها المتشبثون بحرف الناموس(١).

وظل أمر هذه الشعبة الثانية فى القيادة والدفاع بهذه الأفكار حتى قننت لاهوتيا وأصبح لها قداسة العقائد اللاهوتية وذلك فى القرن الرابع الميلادى حين قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ألوهية المسيح وتجسده من أجل الخلاص.

ونص دستور الإيمان المسيحى الذى قرره مجمع نيقيه والمجامع التى تلته: "نؤمن بإله واحد ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوللآب فى الجوهر، الذى به كان كل شيء فى السماء وعلى الأرض، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد، من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبروقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وأيضًا يأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات الذى لافناء لملكه، وبالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر الآتى"(٢).

فالقضايا الأساسية فى شأن الله والمسيح انجلت بواسطة البحث المستوفى من أشخاص أكثرهم من الأصل اليونانى وحكم بها قانونيا فى المجامع التى التأمت فى الشرق فى غضون القرن الرابع وما يتلوه، فتحدد لاهوت المسيح ومساواته للآب فى

---

(١) العقاد: حياة المسيح ص١٩.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص١٧٣، سر التدبير الإلهى (التجسد) ص١٠٤ ـ ١٠٥، تاريخ الفكر المسيحى ص٦٣١.

الجوهر فى مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م وأقنومية الروح القدس ولاهوته فى المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م[١] وتوالت بعد ذلك المجامع لتناقش الآراء حول طبيعة السيد المسيح. وفى الفترة الواقعة بين ما بعد عصر بولس ومجمع نيقية حدث أن ظهرت عقائد كثيرة خاصة بالمسيح تباعدت وتقاربت أطلق المسيحيون عليها هرطقات ولم يتقرر لاهوت فى تلك الفترة لذلك يقول المسيحيون: "فى القرون الثلاثة الأولى كان جل اهتمام أهل الكنيسة قائمًا بالمحاماة عن حقائق المسيحية وحمايتها من قذف غير المؤمنين ومناضلة الارتقات الغنوصتية التى تولدت من أصول الفلسفة الشرقية وحل القضايا التى دار عليها الجدال عن أقانيم اللاهوت الأقدس وتقريرها.

ولا يظهر للباحثين فى تاريخ تلك القرون أن أهلها قرروا شيئًا بالضبط من التعاليم اللاهوتية فى أصل خطية الإنسان وشأنها ونتائجها ولا فى شأن النعمة الإلهية وعملها ولا فى حقيقة المسيح وكيفية تخصيصه بواسطة الروح القدس والحصول عليه بواسطة الإيمان[٢].

وكان ظهور هذه الأفكار بسبب عدم وجود النص الأساسى للإنجيل وبسبب - الاضطهادات والأحداث التى وقعت بالمسيحيين الأوائل والتى كان لها الأثر الواضح فى أن يحتفظ كل مسيحى بتعاليمه وعقائده سرًا لا يجاهر بها أحدًا حتى المسيحى (ومادام قوم يتسترون ولا يجهرون بدعوتهم ولا عقيدتهم فإن هذه العقيدة سيدخلها كثير من الباطل ولذلك لما رفع عنهم البلاء وجهر كل إنسان بعقيدته وجدوا أن بينهم من الخلاف مالا يقل عن الخلاف الموجود بين دين ودين)[٣].

فلقد قالوا فى المسيح - عليه السلام - قبل مجمع نيقية أقوالاً كثيرة حتى اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعدت مسافات الخلف تباعدا شديدًا لا يمكن أن يكون معه وفاق، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح أهو

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٣٤.

(٢) المرجع السابق ص١٣٢.

(٣) د/ بركات عبد الفتاح دويدار: الوحدانية ص١٤٧ ، ١٤٨.

رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزله أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول فهو من الله بمنزله الابن وأنه خلق من غير أب ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله لأنه هو كلمته، ومن قائل إنه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت وكل يزعم أن نحلته هى المسيحية الصحيحة التى جاء بها المسيح ودعا تلاميذه من بعده[١].

ولما كان هذا الاختلاف العقائدى الواسع المدى كان لابد من نصرة لأحدهم على الآخر ومادام قد فقد النص المقدس السماوى فإن الغلبه لمن معه اليد القوية التى لها قوة السلطان. "أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه، وابتداء من مطلع القرن الرابع برزت هذه الميول، وأصبحت تأييدًا صريحًا لاتجاهات بولس وإلزاما للناس باتباعها"[٢].

فمنذ ظهور المسيحية مرت الكنيسة بأوقات عاصفة وأوقات هادئة إلى أن جاء قسطنطين[٣] "ولو كان قسطنطين أبى أن يعترف بالديانة المسيحية ضمن الديانات المسموح بها فى الدولة أو لو أنه لم يعقد مجمع نيقية الذى حدد مذهب ألوهية المسيح لتغير مجرى التاريخ كله تغيرًا تامًا"[٤] وليس فى استطاعة باحث أن يجرؤ على الجزم بأن ذلك الإمبراطور العسكرى القادر الفاره كان على الدين المسيحى[٥] مع أن الإمبراطور لم يعتنق المسيحية رسميًا ولم يسمح بتعميده ألا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م [٦] فإنه بذل كل ما لديه من سلطة ونفوذ فى خدمة الديانة التى جاءت له بالظفر بأرجاء إيطاليا من تورين إلى فيرونا[٧] ولذا أدت به الضرورة السياسية إلى أن

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص١٤٦.
(٢) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١١٣.
(٣) د/ القس حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٦١٨.
(٤) فشر: تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ترجمة د/ محمد مصطفى زيادة، والأستاذ السيد الباز ص٢.
(٥) المصدر السابق ص٦.
(٦) نفس المصدر ونفس الصفحة، موجز تاريخ العالم ص١٨١.
(٧) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ص٦.

يجعل من نفسه راعيًا للمجامع الدينية وفيصلاً فى المنازعات بين المذاهب ومشيرًا مطاعًا فى تقرير عقائد الكنيسة[١] فكان قسطنطين يرى فى هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية عاملاً خطيرا وهداما لوحدة الإمبراطورية الرومانية[٢].

كان قسطنطين هو الفيصل بين المسيحيين فى تقرير عقائد الكنيسة.

وهنا يرد على الذهن سؤال:

كيف يكون الوثنى هو المشير المطاع فى تقرير عقائد المسيحية وهى الديانة التى ينسبونها إلى أنها أنزلت من عند الله؟ ولقد ساعد تقرير قسطنطين العقائد الكنيسة أن أصبح التحول من الوثنية إلى المسيحية أمرًا عاديًا.

يقول: فشر: "غير أنه ليس ثمة شك فى اتخاذ المسيحية ـ فيما بعد ـ ديانة رسمية للبلاد ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة لاسيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة أو شعور بانقلاب باغت مفاجئ بل بدا الولوج فى المسيحية عملية رقيقة فى كثير من التدرج الشعورى أو العاطفى إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار"[٣].

وعلا صوت المسيحية بلاهوتها الجديد المشابه للديانات السائدة بفضل يد السلطان القوية ونفوذه ورغبته فى أن تسود آراء المسيحيين التى تتفق ومفهومه عن الدين "إذ بات الإمبراطور يؤمن بالمسيح وبإله الشمس القهار، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم، وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانية الوثنية، ثم إن العملة فى أيام قسطنطين ضربت وعلى وجه منها علامة الصليب، وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس"[٤].

وعلى أساس هذه العقيدة ـ عقيدة مجمع نيقية ـ انتشرت المسيحية واندثرت العقائد الأخرى، إذ أن هذا المجمع هو الذى فرض على الناس الأناجيل والرسائل التى تتفق وهذه العقيدة وأمر بحرق الكتب[٥] الأخرى التى تخالف العقيدة التى اتخذها المجمع.

---

(١) المصدر السابق ص٩.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٦٢٥.
(٣) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ص٨.
(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.
(٥) محاضرات فى النصرانية ص١٥٣.

دعوى أن الخلاص هبة الله

يعتقد المسيحيون أنه كان من الضرورى بل من اللازم لإتمام عمليه الخلاص أن يكون هناك مخلص، وأن يكون فى هذا المخلص مشتركًا من اللاهوت ومشتركًا أيضًا من الجنس البشرى، كان لابد أن يكون إلها وإنسانًا فى نفس الوقت حتى يستطيع أن يصالح الإنسان والله[١].

وهذا المخلص هو المسيح ولا خلاص بدون المسيح.

يقول لوقا (وليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحًا للناس به ينبغى أن نخلص)[٢].

والإنسان فى حاجة إلى الخلاص يقول القس إلياس مقار: "وما من شك بأن الحاجة إلى الخلاص حاجة عامة عند جميع الناس"[٣] وذلك على أساس ـ دعواهم ـ أن الإنسان متلبس بالخطية، وهذه الحاجة ـ فى نظرهم ـ ليست مجرد حاجة جماعية عامة بل هى حاجة كل إنسان على حدة من المهد إلى اللحد فى حاجة إلى الخلاص، فالملك والصعلوك والذكر والأنثى والمتعلم والجاهل والغنى والفقير والكبير والصغير والأبيض والأسود جميعهم فى حاجة متساوية إلى الخلاص من غير تمييز أو تفرقة أو استثناء[٤] وذلك على أساس أن الخلاص يتناول الحياة الحاضره الأبدية.

كما أن قول متى (أن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك)[٥] يدل ـ فى نظرهم ـ على أن الصغار كالكبار يحتاجون إلى مخلص لأنهم على حالة الهلاك وذلك لنسبتهم إلى آدم الأول ووراثتهم لطبيعته الساقطة (روميه ٥ : ١٢) وهم يدعون أنه لا يجوز أن ننسب خلاص الذين يموتون فى طفوليتهم إلى طهارة طبيعية فيهم لأن ذلك ضد كلمة الله على خط مستقيم (من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد)[٦] ويدعون أن شهادات أخرى تصرح أن الجميع هالكون بحسب حالتهم الطبيعية ويصدق عليهم قول الرب (ينبغى أن تولدوا من فوق)[٧]

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٣٤.

(٢) أعمال الرسل ٤ : ١٢.

(٣) القس إلياس مقار : قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٢.

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٥) متى ١٨ : ١١.

(٦) أيوب ١٤ : ٤، (انظر أيضًا مزمور ٥١ : ٥).

(٧) يوحنا ٣ : ٧.

ويقولون لا نقدر أن نعلق خلاصهم أيضًا على إيمان والديهم لأن الرب إنما يعلق ذلك على شخصه قائلاً (لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك)[١] وعلى هذا فالخلاص ـ فى نظرهم ـ هبة من الله لاحتياج البشر إلى الله ولأن أى فرد لا يستطيع أن يقوم به إلا الله.

يقول القس/ فهيم عزيز: وهبات الله نوعان:ـ هبات عامة.. وهبات خاصة. من الهبات العامة: الخلاص من الخطية[٢]. هذا الخلاص مع كل ما يتعلق به من بركات روحية وذلك فى مقابل ما ورثناه من آدم من خطية وموت.

ويلخص بولس ذلك فى قوله: (لأن أجرة الخطية هى موت وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع)[٣]،[٤].

وعلى ذلك أيضًا فالخلاص لجميع الناس على أساس أنه هبة من الله والهبة من الله عامة، ولكننا نجد لدى المسيحيين ما قد يقلل من شأن هذه الهبة وهو ما يسمى "بعقيدة الاختيار للخلاص" وهى تعنى أن الله اختار أناسا لكى يخلصهم المسيح من خطاياهم. وكلمة "اختيار" كما وردت فى رسالة بولس إلى رومية هى كما يذكر فهيم عزيز[٥]:

كلمة تعبر عن الطريقة التى بها يجرى الله قصده الأسمى لفداء البشرية فإذا كانت كل الخليقة تفدى من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله فذلك مبنى على قصد الله فى الاختيار. ولكن هناك اختيار فى الاختيار ففى العهد القديم اختار الله أناسا من الشعب لخدمته كإبراهيم، وموسى، وداود. وفى هذا المعنى فقد اختيرت إسرائيل نفسها لكى تحمد الرب، كورش اختاره الرب وهو لم يكن يعرف الرب[٦]، وبهذه الكيفيه يعلن العهد القديم الاختيار الذى يفوق عقولنا. فالاختيار العام ـ أى ـ للفداء

---

(١) بنيامين بنكرتن: تفسيرات إنجيل متى ص٣١٩.

(٢) يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية (ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة لأنه إن كان بخطيه واحدة مات الكثيرون فبالأولى كثيرًا نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت لكثيرين، وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية لأن الحكم من واحد للدينونة وأما الهبة فمن جرّى خطايا كثيرة للتبرير. رومية ١٠:٥ -١٧..

(٣) رومية ٦ : ٢٣.

(٤) د/ القس فهيم عزيز: مواهب الروح القدس ص٨.

(٥) رومية ٨ : ١٨ ـ ٣٠، ٩: ٢٩ ـ ٣٦.

(٦) إشعياء ٤٥ : ٤.

والخلاص. أما الخاص فإنما يشير إلى الوراء إلى السر الأزلى لسلطان الله ومعرفته السابقة وتعيين النعمه المتفاضلة ولكن الاختيار يشير أيضًا إلى المستقبل إلى مجد الكمال أى إلى الوقت الذى تصبح فيه الكنيسة فى صورة ابنه[(١)،(٢)].

يقول كلايد تارنر:

إن عقيدة الاختيار فى الكتاب المقدس كانت حجر عثرة للكثيرين، فالأسفار المقدسة تعلن أن الله قد اختار أفرادا معينين للخلاص حتى قبل أن يولدوا. ثم يذكر الدلائل على ذلك ففى الرسالة إلى رومية: لأنه هما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرًا أو شرًا لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو، قيل لها إن الكبير يستعبد للصغير، كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو)[(٣)].

والعبارة الواردة فى "أفسس" أقوى من هذه العبارة أيضًا "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قد يسين وبلا لوم قدامه فى المحبة، إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته"[(٤)] وفى رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكى "وأما نحن فينبغى لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوه المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق"[(٥)] وهناك فقرات أخرى كثيرة يمكن اقتباسها من الكتاب المقدس تظهر فيها عقيدة أو تعليم الاختيار.

ثم يعلق على ذلك قائلا: ترى هل يبين لنا مثل هذا التعليم محاباة من جانب الله وهدمًا لحرية الفرد، لا ينكر أحد أن هناك بعض الغموض فى هذه العقيدة وهذا التعليم، وبالطبع لا يستطيع أحد الادعاء بشرحها شرحًا وافيًا، ولكن الأسفار المقدسة تقول إن الاختيار قائم على سابق علم الله[(٦)] واختيار الله لا يلغى حرية

---

(١) رومية ٨: ٩.

(٢) القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٣) رومية ٩: ١١ ـ ١٣.

(٤) أفسس: ١: ٤ ـ ٥.

(٥) ٢ تسالونيكى ٢: ١٣.

(٦) رومية ٨: ٢٩ (لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين).

الإنسان فى الاختيار كما أنه عالم بما سيختار الإنسان وهذه الفقرات المأخوذه من الأسفار المقدسة تلقى بعض الضوء على هذه العقيدة الصعبة ولكن لا تشرحها شرحًا وافيًا[١].

فعقيدة الاختيار كما هى لدى المسيحيين لم يستطيعوا شرحها شرحا وافيا، وهى قائمة بجانب علم الله على إيمان المخلصين بالمسيح، فهى خاصة بالمسيحيين.

تعقيب:

وأفهم مادام الخلاص هبة عامة فلابد أن يكون للبشر أجمعين، كالماء والهواء، لا ينحصر بفئة دون أخرى، ولا بقوم دون آخرين، حتى ولو لم يؤمنوا بالمسيح، لأنهم لم يكونوا مع آدم حين أخطأ، وأنتم قد نسبتم خطيئة آدم إلى البشر أجمعين فلابد أن يأتى المسيح بالخلاص للبشر أجمعين لا لقوم مختارين، وإلا فما ذنب هؤلاء الذين ورثوا الخطيئة عن آدم ولم يخلصوا؟ يقولون: ذنبهم أنهم لم يؤمنوا بالمسيح!!!

نقول وما ذنب هؤلاء الذين ماتوا قبل المسيح ولم يعرفوه حتى يؤمنوا؟

وما ذنب هؤلاء الصغار الذين ماتوا قبل أن تنضج عقولهم فيؤمنوا بالمسيح؟ خاصة وأنكم تقولون إن خلاصهم يكون بإيمانهم لا بإيمان آبائهم.

يقولون عن هؤلاء الذين ماتوا قبل المسيح إن المسيح نزل إلى الجحيم وخلصهم. يقول د/ القس حنا جرجس الخضرى (يعتقد بعض المسيحيين ـ الكاثوليك والأرثوذكس[٢] ـ أن المسيح بعد قيامته وقبل صعوده وجلوسه عن يمين الرب أنه نزل إلى الجحيم لتبشير المسجونين، وأن تبشيره فى الجحيم كان موجها إلى كل من الأموات يهودا كانوا أم أمما، بل لقد ذهب كل من هرمس وإكليمندوس الاسكندرى إلى أبعد من ذلك، فلقد نادى كل منهما بأن الرسل أنفسهم قد بشروا بعد موتهم وأثناء إقامتهم فى الشيول ـ أى الجحيم ـ برسالة الخلاص وعمدوا كل الذين قبلوا

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص١١٦ ـ ١١٧.

(٢) وموقف الكنيسة الإنجيلية يختلف عن هؤلاء فى هذا الاعتقاد حيث إنهم لا يقولون بذلك (تاريخ الفكر المسيحى ص٣٦٧).

الخلاص وأحضروهم معهم إلى السماء)[١] ويقول "إن الله سيقدم فرصة أخرى فى العالم الآخر حتى يوصل رسالة الخلاص إلى كل الذين لم تتح لهم فرصة سماع إنجيل المسيح على الأرض فى أثناء حياتهم لأن مسرة قلب الله الآب هى خلاص كل البشر" الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"[٢]،[٣].

وهل هذا مقبول ومعقول فكيف تكون دار الجزاء دارًا للإيمان؟ والمسيح فى أناجيلكم يقول "فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى"[٤].

فالمسيح يقول لهم إنه فى وقت الدينونة يكون الثواب لمن عمل صالحًا، والجزاء لمن عمل سيئًا، وأنه لا يستطيع أن يغير شيئًا، لأن دينونته دينونة عادلة لأن الله عادل وهو لا يطلب مشيئة أحد وإنما يطلب مشيئة الله.

ويقول بولس "عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، فى نار لهيب معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن مجد قوته"[٥] فهو يجازى الذين لا يعرفون الله ولا يؤمنون بإنجيله بنار ملتهبة خالدين فيها أبدا، فلا مجال للقول بأنه يعرض على الأموات إنجيله وإلا فلا عدالة ولا مساواة بين إنسان عاش طوال حياته متمردا غير مؤمن بالله متنعما بالمعاصى، وإنسان عاش طوال حياته مؤمنا بالله محافظًا على شعائره وعباداته يجد المشقة فى العبادة والطاعة، ثم يأتى يوم الحساب يدخل هذا وذاك الذى آمن بالمسيح بعد الموت الجنة، فلا مساواة إذن ولا عدالة حتى ولو قالوا إن هناك تفاوتا فى درجات النعيم.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.
(٢) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ٤.
(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٦٨.
(٤) يوحنا ٥ : ٢٨ ـ ٣٠.
(٥) رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكى ١ : ٧ ـ ٩.

وهناك تساؤل أهم: وهو هل تتاح فرصة الخلاص ـ بعد الموت ـ لمن لم يؤمن بالمسيح فى حياته لكى يتساوى مع من مات قبل ظهور المسيح، فى فرصة الإيمان بعد معاينته الجحيم؟ إذا كان الجواب نعم: فما فائدة ظهور المسيح فى الدنيا؟ وإذا كان لا فالظلم واضح فى وقوعه على من ظهر لهم المسيح فى هذه الدنيا، وكان يكفى للخلاص أن يذهب المسيح إلى "الجميع" فى "الجحيم".

أما قول بعضهم إن المسيح نزل إلى الجحيم بعد صلبه لتبشير المسجونين وتخليصهم فإننا نرد عليهم بقول القس عوض سمعان:

"ليست هناك فقرة فى الكتاب المقدس تدل على أن المسيح نزل إلى الجحيم بعد موته الكفارى على الصليب، وأن الفرصة التى يمكن للمرء أن يتمتع فيها بالخلاص هى فرصة الحياة الحاضرة؛ لأنها هى الفرصة التى يستطيع فيها أن يتوب عن الخطيئة ويؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيًا يولد به من الله ولادة روحية"(١) وإذا لم يكن هناك نص ولا دليل من الكتاب المقدس فبأى دليل يستدلون؟.

طريقة نوال الخلاص

اختلف المسيحيون فى طريق نوال الخلاص اختلافًا كبيرًا، والاختلاف ينحصر فى هل يكون الخلاص بالإيمان؟ أو بالأعمال؟ يقول القس لبيب ميخائيل:

هل الخلاص بالإيمان؟ أو بالأعمال؟ أو بالإيمان والأعمال معًا؟

حاول أن تسأل الكثيرين من المسيحيين الاسميين هذا السؤال وستسمع ألوانًا من الإجابات الخاطئه تتردد على شفاههم.

يجيبك واحد قائلاً:

إن الشخص ينال الخلاص بأعمال البر والصلاح، وأنه ليس على المرء إلا أن يصوم ويصلى ويدفع صدقات للفقراء والمساكين ويعمل الخير للناس ثم ينتظر بعد ذلك الرحمة من الله فإما أن يرسله إلى السماء أو يلقى به فى الجحيم...

---

(١) عوض سمعان: الخلاص بين المفاهيم البشرية ص١٠٠.

ويقول لك آخر: إن الإنسان يخلص إذا حفظ ناموس الوصايا العشر ولم يحد عنها.

ويقول لك ثالث: إن الإنسان يخلص بالإيمان والأعمال معًا[١].

وهذا الاختلاف بين المسيحيين حول طريق نوال الخلاص. هل هو بالإيمان أو الأعمال؟ ليس حديث النشأة وإنما يرجع إلى العصور الأولى للمسيحية وذلك حين ألغى بولس "الختان".

يقول سفر الأعمال "وانحدر قوم من اليهودية، وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة"[٢].

اجتمع رؤساء الكنيسة ومشايخها لينظروا فى هذا الأمر... وكان بطرس ويعقوب يخالفان بولس فى هذا الأمر. ويحكى بولس ذلك فى رسالته إلى أهل غلاطية فيقول: "فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشىء بل العكس إذ رأوا أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة[٣] كما بطرس على إنجيل الختان، فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضًا للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله. ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكيه قاومته مواجهة لأنه كان ملومًا لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفًا من الذين هم من الختان. وراءى معه باقى اليهود أيضًا حتى إن برنابا أيضًا انقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودى تعيش أمميًا لا يهوديًا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا. نحن بالطبيعة يهود ولسنا

---

(١) القس لبيب ميخائيل: يقين الخلاص ص٩.

(٢) أعمال الرسل ١٥: ١ ـ ٣.

(٣) أغرل: غير المختون، والغرلة: غير الختان (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٧).

من الأمم خطاة. إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضًا بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"[١].

خالف بطرس ويعقوب بولس لأنه خالف ما جاء فى ناموس موسى الذى قال عنه المسيح (ما جئت لأ نقض المسيح).

يقول الأب/ متى المسكين (اكتشاف بولس هذا يعتبر خطيرًا للغاية لأنه أحدث نقطة التحول العظمى من العبادة اليهودية إلى العبادة المسيحية التى أنهت على التبرير[٢] بالناموس إلى الأبد، ولقد كانت وقفة بولس فى وجه بطرس فى هذا الأمر من أخطر الوقفات فى تاريخ الكرازة باسم المسيح إذ أعلن فى صراحة ولأول مرة فى الإنجيل كله "وإذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح.." [٣]. وعليه فبولس قد أعلن أن الخلاص ليس بأعمال الناموس بل بالإيمان وسار على رأيه معظم المسيحيين. يقول سبينوزا: ولكى يثبت بولس الناس فى الدين ويبين لهم أن الخلاص لا يتم إلا بالفضل الإلهى علمهم إنه لا يحق لأحد أن يتفاخر بأفعاله بل بإيمانه فقط وأن الأعمال لا تنقذ أحدًا[٤] ويقول مايكل هارت وهو يعدد أهم أفكار بولس: ومن أهم أفكاره أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع وإذا آمن الإنسان بيسوع فسوف تغفر خطاياه[٥].

يقول د/ فهيم عزيز: كيف ينال الإنسان الخلاص؟

إن الجواب الوحيد لبولس على ذلك هو الإيمان. إنه يكرر هذه الكلمة فى هذا الجزء ـ رسالته إلى أهل رومية ٣: ٢١ ـ ٣١ أكثر من سبع مرات: الإيمان بيسوع

(١) غلاطية ص٢: ٧ـ١٧.

(٢) برّ، ويبرر، تبريرًا: تتضمن كلمة التبرير القانون الأساسى للإيمان المسيحى وهى عكس الدينونة، والتبرير خلاف البراءة أى الحكم بعدم ارتكاب الجريمة. قاموس الكتاب المقدس ص١٦٩.

(٣) الأب/ متى المسكين: التبرير بين الماضى والحاضر ص١٥.

(٤) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٣٥.

(٥) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم ص٣٦.

المسيح[١]، الإيمان بدمه[٢]، ثم يكرر كلمة الإيمان مطلقة وذلك لأهميتها القصوى عنده، والذى جعله يشدد هكذا هو جهل اليهود الذين ظلوا يؤكدون على الأعمال... وإتمام الفرائض والطقوس لنوال التبرير[٣].

ويقول: "عندما يتكلم بولس عن الخلاص فإنه يذكر أنه ليس من الأعمال بل هى نعمة الله فى المسيح منذ الأزل"[٤].

ولقد تبع بولس فى هذه العقيدة أكثر المسيحيين. يقول كلايد تارنر: جعل الله طريقة واحدة لجميع البشر "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله"[٥] الخلاص بنعمة الله ممكن بالإيمان الشخصى بالرب يسوع هذا، وليس لدى الله طريق آخر للخلاص.

يريدنا البعض أن نؤمن بأن الناس فى العهد القديم كانوا يخلصون بحفظ الناموس ولكن بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية يصحح هذا الرأى الخاطئ[٦].

ويقول القس/ صموئيل حبيب: الخلاص من جانب الإنسان إيمان فقط لا أعمال فإن الكثيرين يظنون أنهم عندما يعملون الأعمال الصالحة يخلصون.

ليس الخلاص بالأعمال الصالحة التى تصدر عن طبيعة الفساد والتى فى الإنسان فتكون باطلة فى حد ذاتها فإن يسوع "هو الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل

---

(١) رومية ٣: ٢٢ ـ ٢٦.
(٢) رومية ٣: ٢٥.
(٣) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٣٩٠.
(٤) نفس المصدر ص٥٤٣.
(٥) أفسس ٢ : ٨.
(٦) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص١٠٠ ـ ١٠١.

الأزمنة الأزلية"[١] فإنه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى[٢]،[٣].

ويقول القس/ مرقس عبد المسيح فى جوابه على سؤال طرحه وهو: كيف ينال الخلاص؟ يضع أمامنا بولس فى فقرة فى رسالته إلى أهل أفسس[٤] أمرين.

الأول: سلبى وهو أن الخلاص لا ينال بشىء داخلى فينا أى أننا نحن لسنا مصدر أو سبب هذا الخلاص وأنه ليس بأعمال تقوم نحن بها.

والثانى: إيجابى وهو أن الإنسان يحصل على الخلاص بالنعمة وهذا جانب الله المعطى بالإيمان، وهذا جانب الإنسان الذى ينال العطية[٥].

وبينما يشدد معظم المسيحيين على القول بأن الخلاص إنما يكون بالإيمان نجد أن هناك قولاً آخر ليعقوب فى رسالته عارض به بولس وهو أن الخلاص إنما يكون بالأعمال.

يقول سبينوزا: "أما يعقوب فإنه على العكس من ذلك يدعو فى رسالته إلى أن خلاص الإنسان يتم بأعماله لا بإيمانه فقط"[٦].

يقول يعقوب فى رسالته فى الإصحاح الثانى:

"إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه، إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوها حاجات الجسد فما المنفعة؟ هكذا الإيمان أيضًا إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته، لكن يقول قائل: أنت لك إيمان وأنا لى أعمال. أرنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالى إيمانى. أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا

---

(١) ٢ تيموثاوس ١ : ٩.

(٢) تيطس ٣ : ٥.

(٣) القس/ صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٧٦ وفى هذا المعنى يراجع تفسير إنجيل متى ص١٠٧، ١٠٨.

(٤) وهى "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" أفسس ٢ : ٨، ٩.

(٥) القس مرقص عبد المسيح: الخلاص ص٣٤.

(٦) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٣٥.

تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون، **ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت**، ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح[١] فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان، وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا ودعى خليل الله، ترون إذًا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده كذلك راحاب[٢] الزانية أيضًا أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضًا بدون أعمال ميت[٣]

لقد عارض يعقوب بولس فى قوله إن الخلاص بالإيمان، ووصف يعقوب هذا القائل بقوله فى الفقرة السابقة "أيها الإنسان الباطل".

ومعروف أن يعقوب أقرب إلى المسيح من بولس، وأزهد وأعبد، ومع ذلك فقد تبع معظم المسيحيين قول بولس.

يقول القس داود حداد عن "يعقوب"[٤]:

"يعقوب" "أخو الرب"[٥] وكان رأس الكنيسة فى أورشليم فى العصر الرسولى، وكان يلقب "بالبار"، بسبب شدة غيرته على الشريعة، وكان موقفه من المسيح فى حياته على الأرض كموقف إخوته فلم يؤمن به[٦] وقد تضاربت أقوال المسيحيين فى حقيقة نسبة هؤلاء الأخوة إلى المسيح: فمن قائل إنهم أبناء يوسف من زوجة كانت له قبل مريم، ومن قائل إنهم أولاد أخت لمريم، أو أولاد أخ يوسف، وهؤلاء فى عرف اليهود وفى لغتهم يحسبون أخوة.

ومن قائل إنهم أخوة يسوع من يوسف ومن مريم، وبعد "ولادة ابنها البكر" استنادًا إلى بعض الأقوال كالقول "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" والقول "ابنها

---

(١) وذلك على أساس عقيدتهم أن الذبيح هو إسحاق. وسنتعرض لهذه الدعوى فى الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) يشير إلى ما جاء فى سفر يشوع (راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما) ٦ : ١٧.

(٣) يعقوب ٢ : ١٤ ـ ٢٥.

(٤) أى يعقوب الذى رجح النصارى أن يكون هو كاتب هذه الرسالة.

(٥) متى ٢٣ : ٥٥، مرقس ٦ : ٣.

(٦) متى ١٢ : ٤٦ ـ ٥٠، مرقس ٣ : ٣١ ـ ٣٥، لوقا ٨ : ١٩، يوحنا ٧ : ٣ ـ ٥.

البكر". والمسيحيون يقولون: لسنا نعلم بالضبط متى وكيف تغير يعقوب واهتدى وصار "عبد المسيح" وعلى الأرجح أن يعقوب اقتيد إلى الإيمان بظهور خاص ظهره له المسيح بعد قيامته، وكانت ليعقوب مكانة مرموقة فى أورشليم عندما زارها بولس للمرة الأولى بعد دخوله المسيحية وكان رئيس المجمع الرسولى وأزال الانشقاق بين المتنصرين من الأمم(١) ولازم التقاليد اليهودية وخدمة الهيكل طالما كان له رجاء بإدخال الأمة اليهودية بأسرها إلى ديانة المسيح، ولكن المتطرفين من اليهود حكموا عليه وقتلوه رجما وكان ذلك على ما يرجح حوالى سنة ٦٢م(٢).

يقول باركلى عن "يعقوب":ـ

وكان يشغل مركزًا هامًا إذ كان قائد كنيسة أورشليم، ولكنه لم يكن قائدًا معينًا كموظف يقوم بعمل، بل كان قائدًا بحكم شخصيته كرجل مرموق أحبه الناس وأسلموا له القيادة وهو أخو الرب ولقد ظهر له الرب ظهورًا خاصًا(٣) وكان عمودًا فى كنيسة الرب(٤) ولقد كان مواظبًا على الصلاة راكعًا طول الوقت حتى قيل إن ركبتيه كانتا كركبتى الجمل.

ولقد كان يتمتع بسمعة ممتازة حتى اشتهر بيعقوب العادل ولكن الأهم من ذلك أنه كان رجلاً محافظا يحفظ الناموس(٥).

وليس هذا فحسب ـ كون يعقوب أقرب إلى المسيح من بولس ـ بل إن رأى يعقوب يتفق ويتوافق مع نصوص العهد القديم والجديد، فأمثلة العهد القديم ذكرها يعقوب فى قوله السابق.

ومن أمثلة العهد الجديد ما جاء فى إنجيل متى فى الإصحاح التاسع عشر: وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعونى صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله، ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له: أية وصايا؟ فقال يسوع: **لا تقتل، لا**

(١) أعمال الرسل الإصحاح الخامس عشر.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧٦.
(٣) ١ـ كورنثوس ١٥ : ٧.
(٤) غلاطية ١ : ١٩.
(٥) تفسير العهد الجديد سفر أعمال الرسل ص١٨٦ ـ ١٨٧.

تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك، فقال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتى، فماذا يعوزنى بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى[١].

فبين له المسيح أن الحياة المقصود بها الحياة الأبدية تكون عن طريق أن يفعل الأعمال الصالحة.

ويقول متى "ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريبًافآويتمونى، عريانًا فكسوتمونى، مريضًا فزرتمونى، محبوسًا فأتيتم إلى.

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا فأطعمناك، أو عطشانًا فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبًا فآويناك؟ أو عريانًا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟

فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء ـ الصغار فبى فعلتم... إلى آخره"[٢].

فبين المسيح أن إرث الملكوت في السموات يوم الحساب والجزاء إنما يكون لمن سلك الطريق المستقيم وعمل صالحًا. ويقول المسيح فيما جاء فى إنجيل متى مدللاً على أن إرث الملكوت إنما يكون لمن حفظ الوصايا وعمل بها "لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات أما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا فى ملكوت السموات"[٣].

---

(١) متى ١٩: ١٦ ـ ٢١.
(٢) متى ٢٥: ٣١ ـ ٤١.
(٣) متى ٥: ١٨ ـ ١٩.

ومما يدل أيضًا على القول بأن الإيمان والأعمال هما أساس الخلاص المسيحى ما جاء أيضًا فى إنجيل متى ولوقا قول المسيح "فكل من يسمع أقوالى ويعمل بها أشبه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسسًا على الصخر، وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيمًا"[١].

فنصوص العهد القديم والجديد صريحة فى أن الإيمان والأعمال بهما ينال المرء الحياة الأبدية - التى هى إحدى معانى الخلاص كما سبق - وبها يرث المرء الملكوت فى السموات.

هذا هو قول العهد القديم والجديد وهما المصدران الأسياسيان للمسيحية فى نوال الخلاص، وهو قول يعقوب الذى قال به.

لكن لما كان بولس هو عقل المسيحية المفكر، وراعيها المدبر، فإن أقواله هى السائدة - حتى لو خالفت نصوص المصادر الأساسية - حتى إنه كان من دواعى رفض الكنيسة لرسالة يعقوب فى أول الأمر[٢] أنها لا تتناسب مع أفكار بولس. يصرح بذلك الدكتور القس/ فهيم عزيز فيقول:

والتردد فى قبولها - أى رسالة يعقوب - كان مبنيا على أمرين:

الأول: أنه لا يعرف أى يعقوب بقصد بكاتبها[٣].

الثانى: أنها تختلف عن رسائل بولس فى مسألة التبرير بالإيمان[٤].

---

(١) متى ٧: ٢٤ - ٢٨، لوقا ٦: ٤٥ - ٤٩ (واللفظ لمتى).

(٢) المعروف تاريخيًا أن الكنيسة فى مجمع نيقية رفضت سبع رسائل مما يحتويه العهد الجديد الآن ولم تعترف بها وتحكم بصحتها إلا فى مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤م وهى رسالة بولس إلى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا (راجع المدخل إلى العهد الجديد ص١٥٤، علم اللاهوت النظامى ص٩٨).

(٣)ذلك أن النصارى لا يعرفون من هو "يعقوب" كاتب هذه الرسالة، ذلك أن كاتبها قال فى فاتحتها (يعقوب عبد الله) ١: ١. فلقد أطلق هذا الاسم على ثلاثة أشخاص فى العصور الأولى للمسيحية: يعقوب الكبير ابن زبدى وأحد الاثنى عشر، والأخ الأكبر ليوحنا الرسول (متى ٤: ٢١)، ويعقوب الصغير ابن حلفى وأحد الاثنى عشر أيضًا) (متى ١٠ : ٣٤، مرقس ٣: ١٨، لوقا ٦: ١٥)، يعقوب أخو الرب (متى ٢٣: ٢٥) ولقد رجح النصارى أن يعقوب أخو الرب هو كاتب هذه الرسالة وهو قائم على الظن.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص١٥٤.

ولنا أن نقول: إن القول بأن الإنسان ينال الخلاص بالإيمان فقط إنما هو قول يحرض على الانحلال والتحلل من الشريعة إذ أن الإيمان بدون أعمال لا فائدة فيه، فالمقصود من الإيمان أن يوقظ القلب والعقل، وأن يهذب السلوك ويطهر الجوارح حتى العبادات المفروضة المقصود منها أساسا قمع الشهوات، وضبط الجوارح عن الأعمال السيئة.

وعلى الجانب الآخر: الأعمال بدون إيمان إنما هو تخبط فى مهاوى الضلال من غير هدى، فالإيمان هو المشعل الذى يضئ طريق الخير، وبالإيمان يستطيع الإنسان التمييز بين سبيل الرشد وسبيل الغى.

وعلى هذا فإن طريق نوال الحياة السعيدة فى الدنيا والآخرة إنما يكون عن طريق الإيمان والأعمال. وإذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من قول المسيحيين أن المسيح نزل ليخلص البشرية من الخطايا؟

سنرى فى الفصول القادمة مدى الفائدة فى نظرهم، ولكن لن نترك هذه الفقرة حتى ننبه: إذا كان الإنسان يستطيع أن ينال النعيم والفوز فى الدنيا والآخرة بالإيمان والأعمال فلا فائدة من الطريق الذى رسمه المسيحيون؛ لأن كل فرد ينال حياته السعيدة بإيمانه هو وعمله هو، لا بإيمان ولا بأعمال المسيح.



هذا ولما كان الخلاص المسيحى يقوم على خطيئة آدم التى ورثها نسله كما يدعى المسيحيون فإننا رأينا أن ننظر فى خلق آدم وصورته وإيمانه قبل المعصية وبعدها حتى نوازى بينهما وننظر فى طريق الخلاص وماذا ورث نسل آدم منه؟ وطريق الخلاص من هذا الإرث؟



الفصل الثانى

حالة الإنسان قبل السقوط
فى الخطيئة
فى التصور المسيحى

تمهيد:

إن تاريخ الخلاص المسيحى يبدأ من آدم ـ عليه السلام ـ والسمة البارزة لطبيعته والصورة الحقيقية لهيكله الإنسانى والروحى.

ولما كانت الدراسة خاصة بالخلاص المسيحى فإن البداية للدراسة يجب أن تبدأ من حيث البداية التاريخية له.

يقول فيكتور هيكو:

تاريخ الخلاص يبدأ بما قبل التاريخ يبدأ بآدم الأب الأول لإسرائيل والجد الأول للمسيح[١].

ودراستنا لآدم ـ عليه السلام ـ دراسة تقتصر على ما يتصل بعقيدة الخلاص.

(خلق الله للعالم)

لقد احتوت الإصحاحات الثلاث الأولى من سفر التكوين على خلق الله للعالم والإنسان. والمراد بالخلق: الإيجاد من العدم لا إبداع شيء من مادة موجودة على مثال جديد، ولذلك يختلف عن النشوء والاستحالة.

لأن الأول: يدل على نمو موجود وتقدمه.

والثانى: يدل على تحول موجود من حال إلى حال، وذلك على وفق طبيعة الناشئ أو المستحيل، وبموجب نواميس مقررة.

والمراد بالخليقة ما خلقه الله[٢].

---

(١) فيكتور هيكو: تاريخ الخلاص ص٥.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص٤٢٧.

يقول القس/ حبيب سعيد: قد يكون معنى الخليقة كل المخلوقات[١] أو فعل الخلق ذاته[٢]،[٣]

وتنقسم قصة الخليقة إلى جزءين كل جزء يكمل الآخر.

فالجزء الأول يشتمل على خلق العالم كله من حيوان ونبات وجماد وغيرهم عدا الإنسان، والجزء الثانى يشتمل على خلق الإنسان وإعداده.

أما بالنسبة لخلق العالم: فإننا نجده فى سفر التكوين بروايتين.

يقول موريس بوكاى (يلاحظ الأب ديفو أن سفر التكوين يبدأ بروايتين عن الخلق كل منهما موضوعة بجانب الأخرى[٤].

وتبين الرواية الأولى أن الله خلق السموات والأرض، ثم خلق النباتات، وخلق الشمس والقمر والكواكب والنجوم، ثم خلق الطيور، فالحيوانات، وأخيرًا خلق الله الإنسان الذى هو رأس الخليقة.

وفى الرواية الثانية للخليقة نجد أنفسنا وكأننا أمام قصة أخرى رويت فى كتاب آخر، حيث إنها تبدأ بخلق الإنسان بعد خلق السموات والأرض، ثم خلق النباتات، فالحيوانات. تقول الرواية كما جاءت فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين:

يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض، ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض، وجبل الرب الإله آدم........ وأنبت الرب الإله من الأرض من كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل....... وجبل الرب الإله من الأرض كل الحيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها[٥].

---

(١) رومية ٨: ١٩ (لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله) رومية ٨ :١٩.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٥.
(٣) (ولكن من بدء الخليقة ذكرًا أو أنثى خلقهما الله) مرقس ٦ :١٠ .
(٤) موريس بوكاى: دراسة فى الكتب المقدسة ص٤٠.
(٥) تكوين ٢: ٤ ـ ١٩.

يعلق جيمس فريزر على هاتين الروايتين قائلا: "الذين يقرءون الكتاب المقدس قراءة فاحصة لا يمكن أن يغيب عنهم التناقض الصارخ بين قصتى الإنسان اللتين تقعان فى كل من الإصحاحين: الأول والثانى فى سفر التكوين. ففى الإصحاح الأول نقرأ كيف أن الله خلق فى اليوم الخامس من بدء الخليقة السمك والطيور بل كل الكائنات التى تعيش فى الماء والهواء، وكيف أنه خلق فى اليوم السادس كل صنوف الحيوان التى تعيش على وجه الأرض، وأخيرًا خلق الإنسان الذكر والانثى كليهما على صورته.

ثم يذكر أنه من هذه القصة نستنتج أن الله خلق صنوف الحيوان الدنيا أول الأمر ثم أعقبها بخلق الإنسان، وأن الإنسان قد انقسم إلى ذكر وأنثى ثم خلقهما فى آن واحد معا وأن كلا منهما كان يعكس بنفس الدرجة عظمة أصلهما الإلهى، هذا ما نقرؤه فى الإصحاح الأول من سفر التكوين.

فإذا نحن انتقلنا إلى الإصحاح الثانى انتابتنا الحيرة على نحو ما عندما نفاجأ برواية تختلف تمامًا عن هذه الرواية الخطيرة، بل إنها لتتناقض معها كل التناقض إذ نفاجأ فيها بما يثير فينا الدهشة وهو أن الله خلق الإنسان أولاً، ثم خلق صنوف الحيوان الدنيا من بعده أما المرأة فقد خلقها بعد فراغه من كل هذا وشكلها من ضلع انتزعه من الرجل أثناء نومه.

وواضح أن نظام خلق الكائنات من حيث قيمتها معكوس فى كلتا الحالتين[١].

ثم يقول "هذا التناقض البين بين القصتين يفسره ببساطة أن القصتين قد استمدهما الكاتب من مصدرين مختلفين مستقلين أصلاً ثم جمع بينهما فى كتاب واحد ونقلهما معا دون أن يجهد نفسه فى أن يخفف من حدة التناقض فيهما أو يوائم بينهما، فقصة الخلق فى الإصحاح الأول مستمدة مما يسمونه بالمصدر الكهنوتى الذى ألفه كتاب كهنوتيون فى أثناء السبى البابلى أو بعده.

---

(١) جيمس فريزر: الفلكور فى العهد القديم (التوراة) ترجمة د/ نبيلة إبراهيم. الجزء الأول ص٧٩، ٨٠ بتصرف شديد.

وأما قصة الخلق فى الإصحاح الثانى فمستمدة مما يسمى بالمصدر اليهودى الذى ألف قبل المصدر الكهنوتى بمئات السنين أى أنه ألف ـ فيما يبدو ـ فى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. والاختلاف بين بين وجهات النظر الدينية لدى كل من الكاتبين"[١]

يقول موريس بوكاى عن هذه الرواية الثانية:

ولنذكر بأن هذه الرواية ترجع إلى تاريخ أكثر قدمًا من الأولى بحوالى ثلاثة قرون، هى رواية قصيرة جدًا ولكنها أكثر إفاضة فيما يخص خلق الإنسان وجنة الأرض مما يخص خلق الأرض والسماء الذى تذكره بإيجاز شديد[٢]. ويقول:

"تلك هى الرواية اليهوية[٣] الموجودة فى نصوص كتب العهد القديم التى نملكها حاليًا، هذه الرواية التى أضيفت إليها فيما بعد الرواية الكهنوتية، هل كانت على هذا القدر من القصر؟

لا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كان النص اليهودى قد قطع عبر الأزمنة ولا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كانت السطور القليلة التى فى حوزتنا تمثل فعلاً كل ما كان يمكن أن يحتوى عليه أقدم نص للتوراة عن الخلق"[٤].

وعلى كل حال فإن قصة الخلق فى روايتى سفر التكوين ـ بجانب ما فيها من تناقض واضح ـ تشتمل على كثير من الأخطاء العلمية.

فالرواية الأولى على سبيل المثال تذكر أن الله خلق الليل والنهار فى اليوم الأول[٥]، وظهر الليل والنهار بالفعل على الأرض. ثم ذكرت بعد ذلك أن الله خلق الشمس فى اليوم الرابع[٦].

---

(١) المصدر السابق ص٨١.
(٢) دراسة فى الكتب المقدسة ص٤٥.
(٣) أى المنسوبة إلى "يهوا" أى المنسوبة للرب.
(٤) المصدر السابق ص٤٦.
(٥) تكوين ١ : ٢-٥.
(٦) تكوين ١ : ١٤-١٩.

والثابت علميا أن تكوّن الليل والنهار إنما يكون نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، مع أن الشمس التى تحجبها الأرض فى دورانها وينتج عنه ليل ونهار لم تكن قد خلقت بعد طبقا لهذه الرواية، فكيف يتكون الليل والنهار قبل وجود السبب وهو الشمس ؟[١].

وفى الرواية الثانية على سبيل المثال أيضا يأتى ذكر خلق النبات مع خلق الإنسان أو بعده [٢] وهذا من الناحية العلمية خطأ، فالعلم يثبت أن الإنسان ظهر على الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة للنباتات وإن كنا لا نستطيع أن نقول كم من مئات ملايين السنين قد مرت بين الحدثين[٣].

إن التناقض والأخطاء العلمية الواردة فى قصة الخلق فى العهد القديم تعنى أنها بهذه الصورة ليست وحيا من عند الله؛ إذ لو كانت من عند الله لما وقع فيها مثل هذه الأغلاط والأخطاء.

إننا نعتقد ونؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام التوراة، وفيها قصة الخلق الصحيحة الموحى بها من عند الله، لكن اليهود ضاعت منهم تلك التوراة الصحيحة فى فترة السبى البابلى، فكتبوا توارتهم بأيديهم وأدخلوا فيها ما ليس منها ونسبوها إلى الله ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ٧٩).

(خلق الله للإنسان آدم)

إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، وإن خلق الإنسان كما فى الإصحاح الأول من سفر التكوين داخل فيما خلق الله فى اليوم السادس[٤].

---

(١) راجع: مصطفى عبد اللطيف درويش: المتناقضات العلمية فى أسفار العهد القديم والجديد ص١٢، دراسة فى الكتب المقدسة صـ٤١.
(٢) تكوين ٢ : ٨، ٩.
(٣) راجع: دراسة فى الكتب المقدسة ص٤٦.
(٤) راجع تكوين ١ : ٢٤ ـ ٣١.

ثم إن هذا الإنسان هو آدم كما فى الإصحاح الثانى من السفر نفسه (وجبل الرب الإله آدم)[١].

يقول كلايد تارنر: "الإنسان هو الاسم الذى أطلقه الله على أسمى خلائقه وهى بالعبرية (آدم) وهذه الكلمة ليست اسمًا علمًا كقايين أو هابيل[٢] ولو أنها استعملت أحيانًا كذلك كما فى سفر أخبار الأيام الأول[٣].

وآدم كلمة عبرية ترجمت بكلمة إنسان.

وكلمة "آدم" لا تعنى "الرجل" أى للتمييز بين الذكر والانثى، فهناك كلمة أخرى للدلالة على هذا المعنى. أما "آدم" فإنها تعنى كلا الجنسين الرجل والمرأة أى أنها أطلقت لتعنى الجنس البشرى، وهذا واضح فى عبارة سفر التكوين[٤] وقد ترددت الحقيقة ذاتها فى سفر التكوين (يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكرًا و أنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق)[٥].

أما المعنى الجذرى للكلمة فهى "التراب الأحمر" وقد يدل هذا على حقيقة خلقه من تراب الأرض"[٦].

ويتضح من هذا القول أمران:-

الأول: أن "آدم" ليس علمًا على المخلوق الأول الذى خلقه الله الذى هو رأس الجنس البشرى.

الثانى: أن "آدم" لا تعنى التمييز بين الذكر والأنثى.

أما الأول: فإذا لم يكن (آدم) هو اسم هذا المخلوق فما هو اسمه؟

---

(١) تكوين ٢ : ٧.
(٢) تكوين ٤ : ١.
(٣) أخبار الأيام الأول ١ : ١.
(٤) تكوين ١ : ٢٧،
(٥) تكوين ٥ : ١ ـ ٢.
(٦) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٤٦.

وإذا قال إن اسمه هو "إنسان" قلنا: إن "إنسانا" ليس علمًا على شخص بعينه إنما يطلق على كل من الرجل والمرأة وإذا لم يكن إنسان هو اسم هذا المخلوق فما هو؟ ثم إن الكاتب نفسه يقول إنها استعملت علمًا فى الكتاب المقدس فى سفر أخبار الأيام الأول: أليس هذا يعتبر تناقضًا؟

ولا مبالغة فى القول إذا قلنا ـ إن المؤلف قال هذا القول ليخدم فكرة معينة وأصلية فى العقيدة المسيحية والتى تبين أنه إذا كان المخلوق الأول أطلق عليه آدم ـ للدلالة على الجنس البشرى كله فإن المسيح هو "آدم الثانى" كما أعلن ذلك بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس "وصار آدم الإنسان الأول نفسًا حية وآدم الأخير روحًا محييا"[١].

وكذلك فى رسالته إلى أهل رومية[٢].

يقول د/ حنا جرجس الخضرى (ولقد أعطى بولس ألقابًا أخرى للمسيح مثل آدم الأخير والإنسان الثانى)[٣].

وهذه الفكرة يوضحها د/ فهيم عزيز فى تحليله لرسالة بولس إلى أهل كورنثوس فيقول:

"فالإنسان الواحد هو فى آدم الخليقة الجديدة إنسان مائت ولكنه فى المسيح بروح المحيى والخليقة الجديدة إنسان حى"[٤].

أما الثانى: وهو القول بأن (آدم) لا يعنى تمييزًا بين ذكر وأنثى فالمقصود من هذا القول أيضًا أن يخدم الفكرة المسيحية التى سبق أن ذكرناها لأن "آدم الأول به مات الجنس البشرى كله ذكرا وأنثى".

وآدم "الثانى" به حياة الخليقة كلها ذكر وأنثى.

ونلمس فى الاسم "آدم" أنه يطلق على الذكور دون الإناث.

---

(١) ١ـ كورنثوس ١٥: ٤٥.

(٢) رومية ٥: ١٢ ـ ٢١.

(٣) د/ القس حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٨٨.

(٤) د/ القس / فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٤٤٣.

وإذا أطلق هذا الاسم علم أن المقصود به ذكر فهو لا شك فيه تمييز بينه وبين اسم "حواء" التى هى أنثى.

أما معنى اللفظ (آدم) فهو ـ كما يقول القس منسى يوحنا ـ معناه أحمر، وقد قال يوسيفوس إنه سمى بذلك؛ لأنه صنع من التراب الأحمر، وقال غيره لأن جلده كان أحمر أى حسنا[١].

ويقول آخر: إن معنى "آدم" الأحمر أو الترابى؛ لأنه جبل من أديم الأرض من التراب الأحمر لكى يكون متواضعًا ومتذكرًا للموت على الدوام، لأنه خلق من تراب وإلى التراب يعود[٢].

(طبيعة آدم الجسدية)

يقول كلايد تارنر:ـ

إن للإنسان طبيعة مزدوجة جسدية وروحية، أى أن للإنسان جسدًا ونفسًا، ويقول بعض علماء الكتاب المقدس/ بأن للإنسان طبيعة ثلاثية تتألف من جسد ونفس وروح ففى رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى (وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملاً بلا لوم عند مجئ ربنا يسوع)[٣].

وفى الرسالة إلى العبرانيين "إلى معرفة النفس والروح"[٤].

وبناء على هذا التفسير فإن كلمة "النفس" تشير إلى الإنسان ككائن حى أو كائن ذى وعى ذاتى، بينما تدل "الروح" على أنه كائن ذو إدراك بوجود الله.

وعلى أية حال فإن كلمتى "روح" و"نفس" غير مميزتين بوضوح فى الكتاب المقدس ويظهر أحيانًا أنهما استعملتا مترادفين.

---

(١) القس/ منسى يوحنا: حياة آدم ص٧.
(٢) د/ القس/ إبراهيم سعيد ونخبة من علماء المسيحية: الدين المسيحى ص٢٧.
(٣) ١ ـ تسالونيكى ٥: ٢٣.
(٤) عبرانيين ٤: ١٢.

والدكتور ا. هـ. سترونغ يقول: إن طبيعة الإنسان ليست بيتًا مؤلفًا من ثلاث طبقات بل بيت من طبقتين تحوى الطبقة العلوية منه نوافذ تطل على ناحيتين نحو الأرض ونحو السماء.

إن الوصف الوارد فى سفر التكوين يظهر لنا أن للإنسان طبيعة مزدوجة الجسد والنفس يتحدان فيؤلفان شخصية واحدة[١].

وأن الاسم "آدم" ومعناه السابق يدل على طبيعة آدم الجسدية فهى من تراب كما جاء فى سفر التكوين "وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض"[٢].

ويقول "علينا ألا نفكر بأن الله جمع كومة من التراب ثم مثل بها شكل إنسان ثم نفخ فيها الحياة.

ففى وصف هذا الأمر يقول دلتش: "إن صنع الإنسان من التراب ونفخ نسمة الحياة فيه يجب ألا يفهمها فهمًا ميكانيكيًا كأنما الله بنى أولاً شكلاً آدميًا من التراب ثم نفخ نسمة الحياة فى هذه الكتلة الترابية التى صنعها على هيئة الإنسان جاعلاً منها كائنًا حيًا: : : بقدرته الإلهية الغلابة قام الإنسان من التراب وفى ذات اللحظة التى بها أصبح التراب بقوة الله الخلاقة الغلابة على شكل إنسان منح نسمة الحياة الإلهية وخلق كائنًا حيًا..... وهكذا لا يمكننا القول إن الجسد خلق قبل الروح"[٣].

وهذا القول يكاد يكون مخالفًا لظاهر فقرات سفر التكوين التى تبين أن آدم جبل ترابًا من الأرض، ونفخ الرب فى أنفه، أى أنه كان مكونًا جسديًا حتى إن أعضاءه كانت قد تكونت فيه، فنفخ الرب فى أنفه التى هى أحد أعضاء جسم الإنسان فصار آدم بعد النفخ فى أنفه نفسًا حية (ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية)[٤].

(١) كلايرتارنر: هذه عقائدنا ص٤٩ - ٥٠.
(٢) تكوين ٢ : ٧.
(٣) المصدر السابق ص٤٨.
(٤) تكوين ٢ : ٧.

وهذه الفقرة لا تحتاج إلى تعليق لأنها واضحة المخالفة لقول المؤلف المسيحى السابق وإن كان الواضح من الفقرة التى أوردناها من سفر التكوين أن آدم خلق جسديًا مرة واحدة بدون أطوار من تراب فطين فصلصال فحمأ مسنون.

أما اختصاص الأنف بالنفخ فإن الأستاذ/ عصام الدين حفنى يبين لنا أن البدائى كان يظن أن موطن الروح هو الرأس أو الأنف. وأن يكون مخرجها عند الموت من الأنف والفم فى أثناء التنفس. وأن يكون مدخلها منهما إلى الجسم لذلك كانت العرب تقول: مات فلان "حتف أنفه" أو "حتف فيه" أى مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب. وأن القول بأن مدخل الروح هو الأنف أو الفم ـ كما يقول الباحث السابق ـ شبيه بما حدث للرجل الطينى (ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية)، وبما حدث فى الطوفان "كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات"[(١)، (٢)].

أما حواء التى هى أم كل حى فإن طبيعتها الجسدية ـ كما يذكر المسيحيون ـ أنها جزء من آدم وضلع من أضلاعه يقول سفر التكوين: "فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت"[(٣)].

(طبيعة آدم الروحية)

لقد انفرد الإنسان عن باقى المخلوقات بأن خلقه الله على صورته "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرًا و أنثى خلقهم"[(٤)].

---

(١) تكوين ٧: ١٢.
(٢) عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص١١ ، ١٢.
(٣) تكوين ٧: ٢٢ ، ٢٣.
(٤) تكوين ١ : ٢٦ ، ٢٧.

يقول المسيحيون:

وهنا نلاحظ:

١ ـ أن كلمة "نعمل" بالجمع تشير إلى الأقانيم الثلاثة.

٢ ـ أن عبارة "على صورتنا كشبهنا" لا يقصد بها الصورة الجسدية لأن الله روح، بل الصورة الروحية والنفسية، فللإنسان روح خالدة لا تفنى، وعقل يدرك الخير والشر، وشعور حسى، وإرادة حرة تقدر على اختيار البر والقداسة، وفى هذا يمتاز الإنسان على سائر الخلائق[(١)].

أما القول بأن "نعمل" على صيغة الجمع تشير إلى الأقانيم الثلاثة فإن ذلك على أساس أن الأقانيم الثلاثة مشتركة فى عملية الخلق، والاستدلال بلفظ "نعمل" على أساس أنها تدل على الجمع.

ونحن نقول إنها لا تدل على الجمع إذ المعروف لغويا أن النون فى الفعل المضارع فى مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم[(٢)].

إذ لا دلالة على الجمع هنا، لأن الفقرات السابقة على هذا القول، والفقرات التى جاءت بعد هذا القول التى تشير إلى عملية الخلقية، تدل بوضوح على أن الخلق من فعل الله وحده.

(خلق الإنسان[(٣)] على صورة الله وشبهه)

اختلفت الكنائس حول قول الله ـ حسب رواية سفر التكوين ـ (نعمل الإنسان كصورتنا وشبهنا)

---

(١) د/ القس/ إبراهيم سعيد ونخبه من اللاهوتيين: الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص٢٧.

(٢) يقول العلامة علاء الدين الباجى: كيف يحسن أن يقال: وقال الله لنصنع إنسانًا كصورتنا وشبهنا فإن قوله "لنصنع صيغه أمر متوجهة نحو الآمر المتكلم لأن النون فى الفعل المضارع فى مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم" (على التوراة ص٢٥).

(٣) يقول اسبيروجبور: إن "آباء الكنيسة لا يفرقون بين الرجل والمرأة فى الخلق على صورة الله ومثاله ويعتبرون الرجل أقنوما والمرأة أقنومًا ويكرمون طبيعتهما بالتساوى ففضائلهما متساوية ومكافأتهما متعادلة وكذلك دينونتهما، وليست المرأة بضعيفة إذ أن الضعف من فعل الجسد" سر التدبير الإلهى (التجسد) ص٧٨.

هل المراد بهما لفظ واحد فمعناها واحد أما أنهما لفظان لكل منهما معنى خاصًا به؟ فالكنيسة الإنجيلية[١] تقول بأن المراد بلفظتى صورتنا وشبهنا هو واحد، والكنيسة البابوية[٢] تقول لا بل المراد باللفظة الواحدة غير المراد بالأخرى، وأن المراد بصورة الله كون الإنسان عاقلاً مختارًا. وبشبه الله ما ناله من موهبة القداسة الأصلية.

وبنت على هذا التمييز تعليمها أن البر الأصلى وهب للإنسان بعد خلقه على صورة الله.

فالكنيسة الإنجيلية تعتقد أن صورة الله التى خلق عليها الإنسان أصلاً تشمل البر والقداسة.

---

(١) أى الكنيسة البروتستانية وتسمى بالإنجيلية، لأنها نادت بأن الكتاب المقدس هو القانون الوحيد المعصوم الموصى به من عند الله وأنه يحتوى على الإعلان النهائى فعلاً دون توقع لوحى آخر أو إعلان جديد، ولأجل ذلك فإنها رفضت أية محاولة لأية إضافة على هذا الكتاب (القس صموئيل مشرفى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٢٦، وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق فى فهمه، وجميعهم متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التى تعتبر فهم الإنجيل وقفًا على رجال الكنيسة والتى لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التى يتناقلها البابوات واحدًا عن الآخر. د/ أحمد شلبى: المسيحية ص٢٤٠. ولقد ظهرت "البروتستانتينية" عندما نمت سلطة الإكليروس فى تربة الجهل، ووصلت إلى حد ظهور صكوك الغفران وبيعها، الأمر الذى جعل المؤرخين يطلقون وصف "العصور المظلمة" على العصور الوسطى التى دخلتها الكنيسة وتدهورت حالتها فيها، كما يصفون قيام "لوثر" مع مجموعة رفاقه من المصلحين ببدء "عصر الإصلاح" ويحمل الاسم الظاهرى للبروتستاتينية معنى (الاحتجاج) ولكن عند تحليل اللفظة نفسها نجده يعنى الشهادة لأجل.

القس صموئيل مشرفى: "المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٨.

(٢) والكنيسة البابوية هى الكنيسة الكاثوليكية وتسمى بالباباوية، لأنها تتبع النظام البابوى ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير فى تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسى الذى يصدر إرادات بابوية سامية هى إرادات إلهية - حسب اعتقادهم - لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو مثل الله ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل والمناقشة (محمد فؤاد الهاشمى: الأديان فى كفة الميزان ص٤٤.

وتسمى بالكاثوليكية - أى العامة - ، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التى تنشر المسيحية فى العالم. وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لإمتداد نفوذها إلى الغرب اللاتينى خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم والبابوات فى روما خلفاؤه. المسيحية د/ أحمد شلبى ص٢٣٧.

والكنيسة البابوية تنكر ذلك وتقول بأن البر والقداسة وشح الله بهما الإنسان بعد خلقه إياه على صورته تعالى(١).

أما الكنيسة الأرثوذكسية(٢) فإنها لا خلاف بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية فى المعنى الخاص بصورة الله وشبهه.

ففى كتاب الخلاصة الشهية فى أخص العقائد الأرثوذكسية يقول المؤلف: بعد أن خلق الله العالم أجمع خلق الإنسان أخيرًا على صورته ومثاله وأعطاه نفسًا غير جسمانية وغير مائتة وجعله شريكًا فى صلاحه الإلهى. وأما صورة الله فتوجد فى ذات طبيعة نفسنا وهى تقوم بالنطق والحرية وبالقوى الروحية الموجودة فى الله تعالى نفسه غير أن الإنسان بحسب كونه محدودًا توجد فيه هذه القوى على قدر محدود، فكما أن الله مثلاً هو روح عاقل مطلقًا وبنوع غير محدود كذلك قد زين الإنسان بعقل محدود على نسبة حاله، وكما أن الله طبعًا يختار الخير ويمقت الشر كذلك قد غرس فى الإنسان نزعة غريزية شديدة إلى الرغبة فى الخير ومقت الشر.

كما أن المولى سبحانه هو الولى الأعظم أو السيد الأعلى لجميع البرايا كذلك قد جعل الإنسان أيضًا سيدًا على كل ما فى الأرض، وقس على ذلك باقى القوى الروحية على أنه لما كان الله عز وجل غير جسمانى لم يكن فى الإمكان أن يشترك

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٦١.

(٢) كانت الكنيسة القديمة إلى أوائل القرن الرابع الميلادى كنيسة واحدة تحمل اسم كنيسة الله ولا تحمل اسما آخر سواه، ولكن بعد أن أضحت المسيحية دين الدولة الرسمى فى عهد قسطنطين بعد عصر الاضطهاد بدأ التحالف بينها وبين الدولة، وحين ظهرت الخلافات العقائدية وخشية أن تؤثر هذه الخلافات فى وحدة الدولة قام الإمبراطور قسطنطين وخلفاؤه من بعده بدعوة أساقفة الكنيسة إلى مجامع مسكونية لمناقشة الأمور التى كانت موضع الخلاف، ظهرت حينئذ لفظة الأرثوذكسية وهى تعنى "استقامة الرأى" للتعبير عن كل من وقف عند حدود ما أقرته تلك المجامع العامة وتمييزهم عن أتباع الهراطقة الخارجين على قوانين إيمانها، وظهرت الكاثوليكية فيما بعد وهى لفظة تعنى (الجامعة) بسبب الخلاف الذى تفاقم حول عبارات جدلية فى العقيدة أثناء بحثها فى المجامع المسكونية، وقد بدأ هذا الخلاف بالأكثر فى مجمع خليقدونية المنعقد فى سنة ٤٥١ م بالجدل الذى ثار حول موضوع "الطبيعتين والمشيئتين فى السيد المسيح" ١. هـ القس/ صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٧ ولعل القس متعاطف جدًا حين قال (حول عبارات جدلية فى العقيدة) إنما هى اختلافات كبيرة بين الطبيعة الواحد والطبيعتين والمشيئة الواحدة والمشيئتين.

جسدنا فى صورته، وتشمل صورة الله عموم الجنسين[١] أى الرجال والنساء كما يتضح ذلك من الكتاب المقدس[٢].

وأما مثال الله فيعبر به بحسب تعليم آباء الكنيسة عن تقوية وترقية القوى الروحية التى أخذها من الله وذلك يصير بواسطة الفضيلة والقداسة[٣]. فالكاثوليك والأرثوذكس يتفقون فى أن لكل من (صورة الله وشبهه) معنى خاصًا به. أما الكنيسة الإنجيلية فتعتبر الصورة والشبه بمعنى واحد. يقول القس إلياس مقار: "وإذا كان الإنسان قد انفرد فى الخليقة عن سائر المخلوقات فإنه قد اقترب إلى الخالق وصنع على صورته وشبهه والسؤال القائم ولا شك هو: كيف يمكن أن يكون الإنسان على صورة الله وشبهه، وإذا كان من المتفق عليه أن الصورة والشبه يفيدان معنى واحدًا، وإذا كانت كلمة (الشبه) تعتبر تأكيدًا وتخصيصًا للصورة؛ إذ تعبر عن التماثل القوى الكائن بين الأصل والصورة، إلا أن الخلاف قام على نوع التماثل القائم بين الإنسان والله، وقد اتفق الجميع على استبعاد التماثل فى الجانب المادى إذ أن الله منزه عن اللحم والدم وهذا أمر بديهى ولا شك لا يمكن أن يثور معه نزاع"[٤].

ثم يقول:

والرأى المسلم به أن التماثل قائم أولاً بين الإنسان كشخص وبين الله كشخص. وأن الإنسان له مقومات الشخصية الثلاثية: الفكر، الشعور، الإرادة. مع هذا الفارق الحاسم أن الله له هذه المقومات فى كمالها اللانهائى. بينما يحوزها الإنسان فى المعنى الجزئى المحدود.

ويكفى الإنسان مجدًا أن يكون على صورة الله وشبهه فى هذه كلها مهما يكن الفرق بينهما كالفرق بين شعاعة النور والشمس الكاملة[٥].

---

(١) يشير بذلك إلى ما جاء فى تكوين ١ : ٢٧ (صنع الله الإنسان على صورة الله ذكرا وأنثى).

(٢) أفلاطون مطران موسكو: الخلاصة الشهية فى آخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ترجمة الخورى يوحنا خربون ص٣٦، ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص٣٧.

(٤) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٥٩.

(٥) المرجع السابق ص٣٦٤، رجال الكتاب المقدس للمؤلف السابق ص٩، ١٠.

ويقول كلايد تارنر: "لا يظهرأن هناك فرقًا واضحًا بين "صورة" و"مثال" فالإنسان مخلوق على شبه الله. فكيف صنع الإنسان على شبه أو مثال الله؟ هذا بالتأكيد لا يعنى أنها مشابهة جسدية لأن الله روح بلا شكل جسدى فالمشابهة إذن فى طبيعته الروحية"(١).

وقبل أن نشرح المعنى العام لقولهم إن الإنسان مخلوق على صورة(٢) الله لنا على ما سبق من أقوال بعض التعليقات.

لا شك أن الإنسان أفضل مخلوقات الله، ولقد ميزه الله سبحانه وتعالى عن باقى المخلوقات بمميزات لا تتوافر فى المخلوقات الأخرى، وذلك يرجع إلى أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، وهو الذى حمل لواء التكليف ومهما كانت قيمة وقدرة هذه المميزات فإنها لا ترفعه إلى أن يكون إلها أو كإله فالله سبحانه منزه أن يكون له صورة أو شبه.

يقول العلامة: الباجى: كيف يحسن أن يقال "كصورتنا وشبهنا" مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصورة بل هو خالق الصور كلها، والخالق مغاير للمخلوق ومستغن عنه؟ فإن قيل: المراد خلق الإنسان له قدرة على الخير والشر وإرادة.

قلت: هذا إن سلم فلفظ الصورة لا يدل عليه، لأن لفظ الصورة مدلوله الهيئة والشكل كما يقال فلان صورته حسنة، والصورة فى الحائط مليحة، واللفظ الدال على هذا أن يقال: صفاته صفاتنا، فلم عدل عن "اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إيهام للباطل إلى ما يوهمه"(٣).

على أنه إن سلم بأن الإنسان مخلوق على صورة الله على أساس (إن صورة الله عز وجل هى صورة كاملة من الصفات الحسنى فى مثلها الأعلى رحمة وكرم وعلم

---

(١) هذه عقائدنا ص٥٠.

(٢)وبحب أن ننبه أن الحديث النبوى الذى رواه الإمام مسلم (أن الله خلق آدم على صورته) يختلف كل الاختلاف عن اعتقاد النصارى ذلك أنهم يعتقدون أن آدم على صورة الله ولكن الحديث يعنى أن الله خلق آدم على صورته (والضمير يعود على آدم لا على الله تعالى).

(٣) الباجى: على التوراة ص٢٥ ـ ٢٦.

وعمل ومشيئة ومجد وعظمة وفتح وإبداع وإنشاء وكل صفة من هذه الصفات مطلوبة من الإنسان على غاية ما يستطيع لا يرتقى ذلك المرتقى الذى لا يدرك بالإبصار ولا بالعقول ولكنه يرتقى قادرًا على الارتقاء من التراب إلى السماء أوجا فوق أوج فى طريق عسر طويل هو طريق النهوض بأمانة التكاليف. مخلوق تهبط به أمانة التكليف إلى أسفل سافلين وترتفع إلى أعلى عليين[١].

إنه إن سلم ذلك فإن كلمة (كشبهنا) تنقض هذا المعنى لذلك يقول ابن حزم:ـ

"لو لم يقل إلا" كصورتنا" لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق، كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرد وللقبيح والحسن هذه صورة الله، أى تصوير الله والصفة التى انفرد بملكها وخلقها، لكن قوله (كشبهنا) منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولابد ضرورة، وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل، إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبه"[٢].



أما إذا كان المراد بصورة الله هو المسيح كما يقول المسيحيون فغير مسلم على المعنى الذى أراده المسيحيون.

يقول المسيحيون "إن المسيح هو صورة الله الحقيقية"[٣].

وبولس يخبرنا أن آدم الأول هو "مثال الآتى"[٤] لذلك يسمى المسيح "آدم الأخير"[٥] كما أنه أخبر فى رسالته إلى أهل أفسس[٦] أن المرأة رمز الكنيسة التى سيحضرها المسيح لنفسه بلا عيب ولا لوم، فآدم إذن ـ كما يقولون ـ رمز المسيح صورة الله والمرأة رمز الكنيسة وهى على صورة الله[٧].

---

(١) العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص٩٤.
(٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل جـ١ ص١١٧، ١١٨.
(٣) ف. وجرنت: سفر التكوين فى ضوء العهد الجديد ص٣١.
(٤) رومية ٥: ١٤.
(٥) ١ ـ كورنثوس ١٥: ٤٥.
(٦) أفسس ٥: ٢٥ ـ ٣٢.
(٧) المصدر السابق ص٤٣.

ويرد على ذلك الباجى فيقول: "ولئن قيل: المراد صورته سبحانه التى يظهر فيها عندما يحل فى بدن عيسى ـ عليه السلام ـ كما يزعمون، أى صورة عيسى، قلت: هذا ممنوع، وإن سلم على معتقدهم لكان حاصله: قدرته سبحانه على حلوله فى زمن مستقبل فى صورة من الصور، وقدرته سبحانه على هذا التقدير ليست مخصوصة بحلوله فى بدن عيسى عليه السلام ـ وحده، بل هو سبحانه قادر على حلوله فى كل صورة، وظهوره فى كل مظهر، وأن كنا ننزهه عن ذلك.

فإن كانت قدرته على حلوله فى صورة عيسى ـ عليه السلام ـ موجبة لجعل صورة عيسى صورة له سبحانه لزم جعل جميع الصور صورة له سبحانه لعموم القدرة ـ كما بينا ـ فيفوتهم المعنى المقصود.

وأيضًا: فإنه على مقتضى معتقدهم لا يمكن أن يقال: إن صورة عيسى صورة متأصلة لله سبحانه حتى يتفرع على ذلك: أن يخلق آدم على صورتها[١] فلا اختصاص للمسيح بما ذكر على كل تقدير حق وباطل، بأى تفسير فسر قوله (سنخلق بشرًا على صورتنا وشبهنا) لم يخص ذلك المسيح[٢].

"والقول بكون المسيح هو صورة الله يعنى أن المسيح هو غير الله سبحانه وتعالى لأن كون الشىء على صورة شىء لا يقتضى أنه هو، بل بالعكس يفيد أنه غيره، فمثلاً صورة الآلهة المعبودة من دون الله هى بالقطع ليست عين الإله المعبود، بناء على هذا المثال فإن القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه"[٣].



أما استدلالهم بهذه الفقرة من سفر التكوين على الثالوث فى المسيحية بمعنى أن التماثل بين الله والإنسان من ناحية ثلاثية الأقانيم والإنسان فهو غير صحيح ويظهر ذلك من قول القس إلياس مقار السابق الذى يذكر فيه أن البعض فسر هذا التماثل بين الله والإنسان من ناحية أن الإنسان له نفس وروح وجسد وهى تشبه الثلاثة أقانيم: الآب، والابن، والروح القدس. والثلاثة تكون شخصًا واحدًا.

---

(١) الباجى: على التوراة ص٢٦.

(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٣١.

(٣) بحث للمستشار عزت الطهطاوى فى مجلة الوعى الإسلامى العدد ٢٢٤ شعبان سنة ١٤٠٣ ص٣٣.

ويبين أن الكثيرين أبوا أن يسلموا بهذا التشبيه، لقصوره شكلاً وموضوعًا عن تعيين التماثل بين الإنسان والله، إذ أن النفس والروح والجسد ليست فى ذات المساواة القائمة بين الآب والابن والروح القدس فى الجوهر الإلهى العظيم، كما أن العلاقة القائمة بينهما جميعًا تقوم على التدرج فالجسد أدنى الجميع وفى خدمة الجميع وفى خدمة الكل، والروح أعلاها مما يمتنع معه التشبيه من هذا القبيل...

يضاف إلى ذلك أن الكثيرين لا يسلمون على الإطلاق بأن الإنسان ثلاثى الطبيعة يقوم على ثلاثة عناصر هى النفس والروح والجسد، بل هو ثنائى يقوم على اثنين لا ثالث لهما هما الجسد والروح، وأنه إذا كان قد جاء فى الكتاب ألفاظ مختلفة عن النفس والروح فإن الاثنين يفيدان معنى واحد[١].

وكفانا المؤلف المسيحى بهذا ردًا على من يقول بأن التماثل قائم بين الله والإنسان على أساس أن الإنسان له نفس وروح وجسد ويجعل من هذا دليلاً على القول بالتثليث من العهد القديم.

ثم بعد ذلك نجد أن هذا القس يجعل التماثل الثلاثى بينهما من نوع آخر فيقول: الرأى المسلم به أن التماثل قائم أولاً بين الإنسان كشخص وبين الله كشخص، وأن الإنسان له مقومات الشخصية الثلاثية الفكر والشعور والإرادة"[٢].

وتعقيبنا على مثل هذا القول يتلخص فى :-

أولاً : جاء فى قاموس الكتاب المقدس الذى أسهم فى تأليفه سبع وعشرون باحثًا مسيحيًا متخصصًا - تحت لفظ تثليث (والكلمة نفسها "التثليث" أو "الثالوث" لم ترد فى الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو "ترتليان" فى القرن الثانى للميلاد، ثم ظهر سبيليوس ببدعته فى منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول "إن التثليث ليس أمرًا حقيقيًا لكنه مجرد إعلان خارجى فهو حادث مؤقت وليس أبديا" ثم ظهرت بدعة "أريوس" الذى نادى بأن الآب وحده هو الأزلى بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة، وأخيرًا ظهر

---

(١) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٥٩ بتصرف شديد.
(٢) المصدر السابق ص٣٦٣.

اثناسيوس داحضًا هذه النظريات وواضعًا أساس العقيدة السليمة التى قبلها واعتمدها مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م[١].

وواضح من النص السابق أن لفظ "الثالوث" لم يرد فى الكتاب المقدس ولم يظهر هذا اللفظ إلا بعد عصر المسيح والحواريين، ويظهر أيضًا من النص: أن التثليث من اختراع أفراد واجتهادات فردية تمت الموافقة عليها فى مجمع نيقية الذى لم يسلم من النقد بينما رفضت الأفكار السائدة بتنزيه الله.

والسؤال الآن: كيف تكون عقيدة أساسية ثم لم تذكر فى كتابهم المقدس؟

كيف تكون عقيدة أساسية ثم لم يذكرها عيسى ولا الحواريون؟ ولا تكفى الإشارات ولا تغنى التلميحات لأنها من أسس الديانة. وكيف تؤسس ديانة على إشارات وتلميحات؟

على أن هذه الإشارات وتلك التلميحات لا تسلم من النقد العلمى من جهة أن هناك تصريحًا بالتوحيد الذى يناقض الإشارات إلى التثليث.

وهنا نقول: لماذا قبلت هذه العقيدة دون غيرها فى مجمع نيقية وليس لها دليل من الكتاب المقدس إلا الإشارات مع أن عقيدة الوحدانية نصوصها صريحة فى الكتاب المقدس.

فالله واحد ودلائل ذلك كثيرة منها على سبيل المثال: (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[٢].

(الرب هو الإله ليس آخر سواه)[٣].

وقال داود عليه السلام "يا رب ليس مثلك ولا إله غيرك حسب كل ما سمعناه"[٤].

وقال إشعياء "أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض"[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٢٣٢، ص٢٣٣.
(٢) تثنية ٦ : ٤.
(٣) تثنية ٤ : ٣٥.
(٤) أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠.
(٥) إشعياء ٣٧ : ١٦.

وقال نحميا: "أنت هو الرب وحدك" [١]

الرب سبحانه لا يرى ولا يقدر أن يراه أحد:

ففى كتبهم أن موسى طلب من الله أن يراه قال موسى لله (أرنى مجدك).

فقال الله (لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش)[٢].

وأكد ذلك سفر إشعياء (حقا أنت الله محتجب يا إله إسرائيل)[٣].

والله ليس كمثله شيء:

ففى سفر التثنية "ليس مثل الله"[٤].

وفى سفر الأخبار "أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض)[٥].

إلى غير ذلك من الفقرات البينات الواضحات التى لا تحتمل التأويل ولا التلويح

ثانيا: قوله " إن التماثل قائم أولا بين الإنسان كشخص، وبين الله كشخص، وأن الإنسان له مقومات الشخصية الثلاثية: الفكر، والإرادة، والشعور" هذا التماثل غير صحيح من وجوه عدة:

فمن ناحية لا يليق بالعظمة الإلهية أن يطلق عليه لفظ "شخص"

إذ أن الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور - وغلب فى الإنسان[٦]، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون جسما.

وعند الفلاسفة يطلق على الله لفظ "الذات"[٧].

ومن ناحية أخرى فإن منطقة قياس ثلاثية الإنسان على الثالوث الإلهى غير صحيح.

---

(١) نحميا ٩: ٦.
(٢) خروج ٣٣: ١٧ - ٢٠.
(٣) إشعياء ٤٥: ١٥.
(٤) تثنية ٣٣: ٢٦.
(٥) أخبار الأيام الثانى ٦: ١٤.
(٦) المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٧٥.
(٧) المعجم الفلسفى (مجمع اللغة العربية) ص١٠١.

ولذلك نجد الباحث المسيحى الذى أسلم ـ محمد مرجان ـ يرد على مثل هذا القياس فيذكر أن دعاة الثالوت ينظرون إلى الله العظيم الذى ليس كمثله شيء والمنزه عن مشابه الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان. إن الله فى نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماما والله ناطق بكلمته كالإنسان، وكذلك هو حى بروحه كالإنسان ومن هذه الأقانيم، أو العناصر الثلاثة يتكون الله كما يتكون الإنسان تماما (الذات ـ النطق ـ الروح) [١].

ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر الثلاثة السابقة، هذا إذا لم تكن تفوقها أهمية، منها مثلاً أن الإنسان مبصر بعينيه، سميع بأذنيه، رحيم بقلبه، مفكر بعقله، مشير بيده، وهكذا نستطرد فى ذكر العناصر والأجزاء التى يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنها قد تفوق فيها على خالقه[٢] لذلك نجد المؤلف المسيحى (كلايد تارنر) يقول:

يقترح الدكتور ملنز ثمانية أشياء تظهر كون الإنسان مخلوقًا على صورة الله: له طبيعة مفكرة، وطبيعة أدبية، وطبيعة عاطفية، وإرادة، وكيان حر، وميل إلى البر، وتسلط على الخلائق الدنيا، وخلود[٣].

فلو قصرنا التشابه بين الله والإنسان على الثلاثة التى ذكرها القس إلياس مقار ـ ليؤخذ عليه: أن الإنسان موصوف بصفات لم يتصف بها الثالوث المسيحى، والله سبحانه منزه عن الشبيه فضلاً عن أنه هو الخالق والإنسان هو المخلوق، وفرق كبير بين الخالق والمخلوق.

على أنه إذا اعتبر أن هذه الصفات الثلاث شبيهة بالأقانيم الثلاثة أى أن كل أقنوم خاص بصفة أو شبيه بصفة من الصفات الثلاث، لأخذ عليهم "أنهم قد قسموا الله إلى ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر، فى

---

(١) أو الفكر ـ والإرادة ـ والشعور ـ كما فى قول القس إلياس مقار.

(٢) محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث ص١٤.

(٣) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٥٠.

حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها فى الإنسان الواحد ولا تجتمع فى الله"[١] وعلى ذلك فإنه لا يفهم من الفقرة التى تقول (نعمل الإنسان كصورتنا وشبهنا) إلا أن الإنسان أرقى مخلوقات الله، لأن الله نفخ فيه من روحه ومنحه السيطرة على الخلائق الأخرى.

ثالثًا: إن الاستدلال بالفقرة السابقة ـ من كلام القس إلياس مقار ـ على التشابه الثلاثى بين الله والإنسان من ناحية التعدد الثلاثى: الفكر والإرادة والشعور فى الإنسان. والآب، والابن، والروح القدس فى الإله. استدلال خطأ من ناحية أن الفكر والإرادة والشعور تكون ذاتا واحدة ومنها جميعًا يكون إنسان فلا يطلق على الفكر وحده إنسان ولا يطلق على الإرادة وحدها إنسان، ولا يطلق على الشعور وحده إنسان وإنما يطلق عليها مجتمعة إنسان. فليست كل واحدة من هذه الصفات ذاتا وإنسانًا. بينما يطلق على الآب ذات وإله، فيقال (الله الآب) وكذلك على الابن فيقال (الله الابن) (والله الروح القدس) فيطلق على كل واحد منهم أنه أقنوم وإله وكل منهم ذات قائمة بنفسها، بينما الشعور ـ والفكر والإرادة ليسوا بذوات قائمة بنفسها فالقياس خاطىء كل الخطأ.

(مسكن آدم بعد خلقه قبل المعصية)

يذكر المسيحيون أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق آدم فى حالته الجسدية والروحية وضعه فى جنة عدن (وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله)[٢].

وتحت لفظ "جنة" جاء فى قاموس الكتاب المقدس:

الفردوس الأصلى الذى رتبه الله للإنسان قبل سقوطه [٣] ووضع فى وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان فى قصور الملوك)[٤].

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص١٥.
(٢) تكوين ٢ : ٧ ـ ٨.
(٣) تكوين ٢ : ١٠ (وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة).
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٢٧٥.

وتحت لفظ (عدن) جاء:ـ

"عدن: اسم عبرى معناه (بهجة) حيث غرس الله فى الأرض شجرًا شهيًا للنظر وجيدًا للأكل، وعمل حديقة سميت بجنة عدن من أجل آدم ليسكن فيها قبل الخطية، وكان يسقيها نهر يشق مجراه لنفسه فى عدن، ويتفرع إلى أربعة رؤوس: فيشون، وجيحون، وحد اقل، والفرات "(١).

أما موقع جنة عدن ـ فى نظرهم ـ فلا يزال غير مجمع عليه حاليًا كما قال غالبية الجغرافيين واللاهوتيين، وبعض منهم يعتبرون أرمينيا أنها عدن، لأن الفرات والدجلة ينبعان فى أرمينيا، وهناك من يرى أن نهر عدن الذى تفرع إلى رؤوس ما هو إلا نهر الفرات ـ دجلة الذى يصب فى شط العرب (فى الخليج الفارسى) منقسمًا على نفسه إلى عدة فروع، فجنة عدن بحسب رأيهم هى القسم الجنوبى من العراق حيث الخصب، ويعتقدون أنه أقرب الأمكنة إلى الصواب لأن فيه الصفات التى وردت فى الكتاب المقدس لعدن: شرق فلسطين فيه دجلة والفرات، وكوش التى بقربها هى عيلام المعروفة قديمًا باسم كاشو، كما أن سهل بابل كان معروفًا منذ القدم باسم عدنو، وموقع الحويلة هى جزء من جزيرة العرب الذى يجاور العراق إلى الجانب الغربى منه"(٢). وهى ـ أى جنة عدن، كما فى سفر التكوين ـ من غرس الله ذاته(٣) ويدل هذا على أن جنة عدن واقعة الغرس فعلاً لآدم، بينما هناك رأى آخر لبعض طلاب الكتاب المقدس بأن القصة رمزية ترمز إلى وقائع معينة.

يقول كلايد تارنر: ينظر بعض طلاب الكتاب المقدس إلى قصة الخليقة بكاملها نظرتهم إلى قصة رمزية، فالجنة بالنسبة لهم شىء رمزى ترمى إلى بعض الحقائق الخاصة.

---

(١) وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع، واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث حداقل، وهو الجارى شرقى أشور، والنهر الرابع الفرات. تكوين ٢ : ١٠ ـ ١٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٦١٣، ٦١٤.

(٣) تكوين ٢ : ٨.

ولكن القصة كما يرويها الكتاب المقدس تمثل حقائق واقعة. كانت الجنة واقعة حتمًا فى عدن شرقًا. إن لفظتى عدن و"الجنة" ليستا لفظتين مترادفتين "فعدن" ومعناها "السرور" هى البلاد التى جعلت فيها الجنة، أما أين تقع تلك هذه البلاد فليس واضحًا تمامًا، ولو أن الوصف المعطى والأنهار المذكور تشير إلى أنها واقعة فى أواسط آسيا)[١].

يقول الشيخ الباجى فى تعليق على الفقرة السابقة من سفر التكوين :-

فإن ظاهره أن الأرض التى نحن عليها[٢] متصلة بأرض الحبشة[٣] فيمكن أن تجرى الأنهار من الجنة إلى أرضنا. ولو كان كذلك لا تصل بالجنة بعض الناس السالكين فى الأرض مع تطاول السنين.

وأيضًا فإن ظاهر حال جريان هذه الأنهار وهيئتها أن الجنة محيطة بالأرض فتكون أرضنا التى نحن فيها فى وسط الجنة فنكون نحن فى وسط الجنة وهو ظاهر الفساد[٤].

(وصف الجنة التى عاش فيها آدم قبل السقوط)

يذكر سفر التكوين أن الجنة التي غرسها الله بيده ووضع آدم فيها كان فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين (وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل) [٥] يقول جيمس فريزر: "يصور الكاتب اليهودى عن طريق إلقاء قليل من الضوء ولكن بريشة فنان ماهر الحياة السعيدة التى عاشها الأبوان الأولان فى جنة السعادة التى خلقها الرب لهما ليسكنا فيها، هناك نمت فى وفرة كل الأشجار التى تعطى الثمار الطيبة وتسعد العين بمرآها، وهناك عاشت صنوف الحيوان فى وئام مع الإنسان ومع بعضها بعضًا"[٦].

(١) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٥٣.
(٢) يقصد أرض مصر، لأنه من أهلها، كما ذكر الزركلى (راجع : الأعلام جـ٥ صـ ٥٥).
(٣) وذلك على أساس أن النهر الثانى (هو المحيط بجميع أرض كوش) أى التى هى بلاد الحبشة كما جاء فى قاموس الكتاب المقدس ص٧٩٨.
(٤) على التوراة ص٣٠.
(٥) تكوين ٢ : ٨.
(٦) جيمس فريزر: الفلكور فى العهد القديم (التوراة)، ترجمة د/ نبيلة إبراهيم جـ١ ص١٠٥.

وكان أهم ما يميز هذه الجنة ـ كما يقولون ـ أنه فى وسطها غرس الله شجرتين عجيبتين هما "شجرة الحياة التى جعلها لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ، وشجرة معرفة الخير والشر التى جعلت لامتحان مقدار ولاء الإنسان لله"[١].

وفي سفر التكوين (وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر)[٢].

(شجرة الحياة)

هى "شجرة وسط ثمرها ـ كما يدعون ـ يمنح الإنسان حياة خالدة". ولذلك عندما أخطأ آدم وحواء يقولون طردهما السيد من الجنة لئلا يأكلا من شجرة الحياة ويعيشا إلى الأبد.

وسرعان ما صار التعبير بـ "شجرة الحياة" تعبيرًا شعريًا استخدمه كاتب الأمثال[٣] إشارة إلى مصادر البركة العظيمة فى حياة الإنسان ثم استخدمها يوحنا الرائى[٤] مشيرًا إلى الامتيازات المجيدة العظيمة التى تنتظر المفديين فى العالم الآخر".[٥]

واختلف شراح المسيحية حول خاصية ثمرة هذه الشجرة، هل لها قوة ذاتية لتجديد قوة الإنسان؟ أم أنها رمز إلى الحياة الأبدية الموعود بها آدم؟

قال بعضهم: أنه كان لهذه الشجرة خاصية تجديد قوة الإنسان حتى أنه مع كون جسده قابلاً للفناء لأنه من تراب الأرض فإنه لو تناول من هذه الشجرة لعاش إلى الأبد بدليل قوله (لعله يمد يده ويأخذه من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد)[٦].

---

(١) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٥٤.

(٢) تكوين ٢ : ٩.

(٣) أمثال ٣ : ١٨ (هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط).

(٤) (من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس: من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله) رؤيا يوحنا ٢ : ٧ في وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتى عشرة ثمرة وتعطى كل شهر ثمرها وورق الشجرة لشفاء الأمم) ٢٢ : ٢ (طوبى للذين يصنعون وصاياه لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة)٢٢ : ١٤.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٧.

(٦) تكوين ٣ : ٢٢.

وذهب بعضهم إلى أن هذه الشجرة الدائمة الخضرة والنضارة كانت رمزًا إلى الحياة الأبدية الموعود بها آدم بشرط الطاعة الكاملة ، وأن أبوينا الأولين كانا يتناولان منها كأنها سر مقدس مدة برهما الأصلى[١].

يقول د/ راغب عبد النور ـ وهو من القائلين بالرأى الأول.

وعاش الإنسان الحياة أسعد ما تكون الحياة ولكى يحفظ له الرب هذه القامة الشامخة في السمو والترفع فإنه علمه بوصية ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى لا يقع في المخالفة ـ وتكون عقوبته الموت (يوم تأكل منها موتًا تموت) [٢] وفى نفس الوقت أعطاه شجرة الحياة التى تثبته فى مكانه من الحياة وقداسة الحق[٣].

ويقول "ولست أظن أن شجرة الحياة كانت إشارة مجازية ولكنى أظنها أنها كانت شجرة حقيقية خصها الرب بخصائص تثبيت الحياة فى المقبلين إليها"[٤].

وعن الرأى الثانى جاء فى (علم اللاهوت النظامى).

كانت شجرة الحياة إشارة إلى الحياة، وكان للإنسان أن يأكل من ثمرها مادام فى كماله، **ولا نقدر أن نقطع بأنه** كان **لثمرها قوة ذاتية لمنح الحياة** أى لتحفظ جسد الإنسان فى نشاطه أو لتجعله بالتدريج مثل جسد المسيح الممجد الآن، ولا بأن العلاقة بين أكل ثمرها والخلود نظير العلاقة بين العلة والمعلوم، ولكن نعلم أن الأكل من تلك الشجرة كانت واسطة للتمتع بالحياة الأبدية[٥].

ولقد ذهب هؤلاء الشراح إلى القول بأن هذه الشجرة كانت رمزًا إلى المسيح ـ عليه السلام ـ الذى به الحياة الأبدية.

يقول القس منسى يوحنا : (وأنها ـ أى شجرة الحياة ـ كانت رمزًا إلى المسيح لأن فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس) [٦][٧].

(١) القس/ منسى يوحنا : حياة آدم ص٥٩.
(٢) تكوين ٢ : ١٧.
(٣) د/ راغب عبد النور : شجرة الحياة ص٨.
(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص٦١٩.
(٦) يوحنا ١ : ٤.
(٧) حياة آدم ص٩.

ويقولون إن تلك الشجرة كانت رمزًا إلى المسيح أصل الحياة للمؤمنين، وتشبهه فى منح الحياة أى أن المسيح صار ينبوع الحياة الروحية والأبدية لشعبه كما كانت تلك الشجرة ينبوع حياة لأبوى جنسنا الأولين ولكل ذريتهما لو لم يعصيا الله(١).

وكانت الشجرة التى كان لآدم إذا أطاع أن ينال الحياة الخالدة بواسطتها فى ذلك الفردوس الأرضى رمزًا إلى ذلك الذى هو ينبوع الحياة الروحية والأبدية لشعبه في الفردوس الأعلى أى كانت رمزًا إلى المسيح أصل كل حياة روحية(٢).

وتعليقنا على ما سبق ينحصر فيما يأتى: ـ

أما القول بأن لشجرة الحياة قوة ذاتية لتجديد قوة الإنسان. وأن الإنسان (آدم) أعطى هذه الشجرة لتثبيته فى مكانه (وهو جنة عدن) وأنه لم يأكل من هذه الشجرة لأنه لو أكل منها لنال الحياة الأبدية ولبقى فى الفردوس فإنه مردود على أهله لأنه: كيف يعطى الإنسان شجرة تمنحه ثمرها الحياة أو دوام الحياة فى الفردوس الأعلى دون أن يمتحن؟ كيف يعطى الإنسان ذلك وهو المخلوق المكلف كما هو واضح من إشارات سفر التكوين (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها)؟ فبأى معنى يفهم ليعملها ويحفظها إلا القول بأنه كان مكلفا ليعمل ويحفظ هذه الجنة وذلك لا يكون إلا عن طريقة الطاعة

وماذا لو مد آدم يده ليأكل من هذه الشجرة ـ على فرض أنه لم يأكل منها ـ أيكون رد الفعل الحياة الأبدية بدون عناء ومشقة وعمل لحفظ هذه الجنة؟

لذلك يقول (جرها ردوس فوس): أما التمتع بثمارها الحلوة للوصول إلى النتائج المباركة دون امتحان فهو لا يتفق مع طبيعتها المقدسة ولكن بعد أن يتيقن الإنسان من بلوغه الحياة الأسمى فإن الشجرة تصبح حينذاك الواسطة لتوصيل الحياة الأسمى(٣).

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٦١٩.

(٢) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٣) جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى ترجمة عزت زكى ص٥٢.

أما كونها رمزًا إلى الحياة الأبدية فإن من أدلة هذا الرأى ـ كما سبق أن ذكرنا أن الأكل من تلك الشجرة كان واسطة للتمتع بالحياة الأبدية بدليل أن الإنسان طرد بعد معصيته من الفردوس لئلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد[١] ويستدلون بما جاء فى سفر التكوين (وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر والأن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد).

ولادلالة فى النص على الرمزية ولكنه أكثر وضوحًا بأن ذات هذه الشجرة يمنح الحياة لا أنها رمز، إذ المعروف أن النص لا يصرف عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى أو رمزى إلا إذا كانت الألفاظ لا تحتمل المعنى الحقيقى، أما وأن النص واضح بأن الله طرد آدم من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة الحياة فيأكل منها فينال الحياة الأبدية، فما ذلك إلا لأنها تدل حقيقة على منح الحياة لا أنها رمز إلى شىء.

يقول الشيخ على الباجى: كيف يحسن أن يقال (لعله يمد يده فيأخذ...) فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته بل بسبب بعض المأكولات، وأن الله خشى من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبًا لعلم الخير وأكل الثانية موجبًا للحياة الأبدية كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير إذ قد علم الخير والشر، فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلاً[٢].



أما القول بأنها كانت رمزًا إلى المسيح الذى به الحياة الأبدية وذلك عن طريق الإيمان بالمسيح، فإنه يرد عليه بأنه أيضًا لادلالة فى النص على الرمزية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن نوال الحياة الأبدية من شجرة الحياة يكون عن طريق الأكل منها.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٦١٩.

(٢) الباجى: على التوراة ص٣٤.

ونوال الحياة الأبدية من المسيح يكون عن طريق الإيمان به **والطريق الأول** طريق جسدى وطعام جسدى وهو الأكل من الشجرة. **والطريق الثاني**: إيمان بالمسيح وهو طريق روحى وبه التصديق القلبى والإذعان الباطنى.

وفرق كبير بين طعام جسدى وطعام روحى.

وبون شاسع بين طريق الجسد الذى بسببه يكون الشهوات.

وطريق الإيمان الذى به نوال السعادة فى الدنيا والآخرة.

شجرة معرفة الخير والشر

يذكر سفر التكوين أن هذه الشجرة أيضًا فى وسط الجنة (وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر)[١].

"وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منها"[٢].

"وحقيقة هذه الشجرة غير واضحة وكذلك معناها والأرجح ـ لديهم ـ أن المراد بها شجرة أكل ثمرها ينشئ معرفة حسب تعيينها لذلك ويستدلون على ذلك ما يأتى :ـ

١ ـ مشابهتها لشجرة الحياة، فكما وضعت تلك لتحفظ الحياة كذلك وضعت هذه لتنشئ المعرفة، وأكد المجرب للمرأة أن أكل ثمرة تلك الشجرة يفتح عينيها[٣].

٢ ـ ما نشأ عن أكل ثمرها المنهى عنه وهو انفتاح أعين اللذين عصيا[٤].

٣ ـ قول الله تعالى بعد سقوط آدم هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر[٥]. أى بأكله الثمرة المنهى عنها حصل معرفة مشابهة فى بعض الأوجه لمعرفة الله غير أنها تتميز عنها لا محالة فى أوجه أخرى ولا يحسن اعتبار هذا القول تهكما لأنه قول الله بل لا يصح إذ لا محل للتهكم هنا.

---

(١) تكوين: ٢ : ٩.

(٢) تكوين ٣ : ٣.

(٣) تكوين ٣ : ٤ (فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر).

(٤) تكوين ٣ : ٦ (فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل فانفتحت أعينهما...).

(٥) تكوين ٣ : ٢٢.

والخلاصة: أن شجرة المعرفة ـ كما صورها المسيحيون ـ هي شجرة ثمرها ينشئ المعرفة بموجب تعيين الله لا من قوة ذاتية فيها، وليس من الضرورة أن نحسب لثمرها قوة ذاتية على إفساد طبيعة الإنسان الجسدية وأخلاقه الأدبية ،فكل ما يعلم من قوله تعالى لآدم كما ذكرها هو أن المعرفة تبعث بعد أكل تلك الثمرة[١]. أما لماذا سميت بهذا الاسم فيقول أحدهم: إنما سميت شجرة معرفة الخير الشر بهذا الاسم فى الكتاب المقدس لأنها ستكون سببًا وشاهدًا لعصيان الإنسان الأول وأمانته[٢].

ويقول القس منسى يوحنا (ويظن أن هذا الاسم دعيت به الشجرة بعد السقوط، لأنه قبل السقوط لم يكن أبوانا قد عرفا الشر، وما يستطيعان معرفته بمجرد النمو الفعلى، لأن ذلك إما بالشعور بالخطأ وإما بمشاهدته فى آخر)[٣].

وهذا القول ـ أو الظن ـ لا نسلم به، لأن الله أوصاه بعدم الأكل من شجرة وترك له الأخرى بدون تحذير، فكيف يميز آدم إحداهما عن الأخرى إذا لم تكن كل شجرة قد سميت باسم معروف به؟ وإذا لم تكن كل شجرة قد سميت باسم فما نوع التعامل (أو التحذير وعدمه) هل كان بالإشارة؟ أو هل كانت بنوع آخر من التفاهم؟

ثم إن القول بأن معرفة الشر لا يأتى إلا عن طريقة التجربة أو المشاهدة.

قول أيضًا فيه بعض الخطأ، لأن معنى ذلك أن الله حين نهى آدم عن المعصية يكون قد ظلمه من ناحية أن آدم يجرب المعصية ولم يشاهد أحدًا يعصى الله.

تعالى الله عن ذلك وما ربك بظلام للعبيد.

وأخيرًا نقول إن لفظ التحذير واضح (وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها)[٤]. والتسمية للشجرة باسمها واضح من النهى.

ولقد وردت شجرة معرفة الخير والشر فى أقوال المفسرين المسيحيين بثلاثة معان :ـ

---

(١) علم اللاهوت النظامى ٦٢٠.
(٢) القس/ منسى يوحنا: حياة آدم ص٥٤.
(٣) المصدر السابق ص٥٩.
(٤) تكوين ٢: ١٦، ١٧.

الأول: بمعنى المعرفة البسيطة، واستنتجوا هذا المعنى من أن الكتاب يعبر عن جهالة الطفولية بعدم تمييز الطفل بين الخير والشر ومن ذلك قوله (وأما أطفالكم..... الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر) [١] وقوله (لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير) [٢].

وبتعبيره أيضًا عن بلوغ شخص فى المعرفة العقلية أو الروحية بأن له قوة أن يميز بين الخير والشر فجاء في الكلام على المؤمن الكامل والبالغ أنه قد صارت له الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر[٣]. ومن المشابهة بين هذه الفقرات استنتج أن ـ المراد بشجرة معرفة الخير والشر الإشارة إلى المعرفة البسيطة فقط، أى أن آدم قبل السقوط كان فى حال السعادة والبراءة دون هذه المعرفة، ولما أكل من الشجرة المنهى عنها حصل عليها.

لكن هذا التفسير لا يصح لأن آدم كان له تلك المعرفة وكان بالغًا لا طفلاً[٤].

الثانى: بمعنى معرفة التمييز بين الصواب والخطأ.

غير أن هذه المعرفة كانت له منذ البدء وكانت خيرًا لا يسوغ منعه عنه، وقد ذهب البعض إلى أن المراد بذلك معرفة ما هو الخير؟ وما هو الشر؟. ولكن هذا معين لنا بإرادة الله لأن كل ما يأمر به هو خير وما ينهى عنه هو شر فلا نقدر أن نحكم به من نفس الأمر أو من اعتبار الموافقة.

هذا ولا ريب فى أنه كان للإنسان من تلك المعرفة ـ كما يعتقدون ـ قبل سقوطه أكثر مما كان بعده[٥].

الثالث: بمعنى اختبار نتيجة عمل الخير والشر التى هى إما السعادة أو الشقاء وهو الأرجح ـ عندهم ـ أى أن الأكل من الثمر المنهى عنه أوجب آدم أن يعرف بالاختبار الذاتى الفرق بين الخير والشر.

---

(١) تثنية ١ : ٣٩.
(٢) إشعياء ٧: ١٦.
(٣) عبرانيين ٥ : ١٤.
(٤) علم اللاهوت النظامى ص٦٢١.
(٥) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

فإن الله جل شأنه علم طبيعة الشر ونتائجه من علمه بكل شيء، ولكن آدم لم يقدر أن يعرف ذلك إلا بالاختبار الذاتى الذى حصل عليه حين أخطأ[١].

يقول القس: منسى يوحنا (واعلم أن هذه الشجرة لم تدع شجرة معرفة الخير والشر من حيث إنه كان فيها قوة تعطى جدينا الأولين معرفة الخير والشر التى لم يعرفاها، بل من حيث الوصية التى كانت متعلقة بها أنها متى أكلا منها كانا مزمعين أن يختبرا ما بين الخير والشر من الفرق الجسيم.

إنها سميت شجرة معرفة الخير والشر لأن آدم بأكله منها عرف الخير بفقده له وعرف الشر باختباره إياه[٢].

ولعنا لا نسبق أحداث وأفكار البحث إذا قلنا إنه إذا كان المقصود من شجرة معرفة الخير والشر هو الاختبار الذاتى بين الخير والشر وتعليم الإنسان حالة السعادة التى تتبع عمل الخير وحالة الشقاوة التى تتبع عمل الشر فإن آدم ـ على هذا المعنى ـ ضحية هذا الاختبار، لأن النتائج المترتبة على الاختبار علمت آدم ومن جاء بعده، فمن جاء بعد آدم علم نتيجة هذا الاختبار. ولكن آدم لم يكن ـ على حسب القول السابق ـ يعلم نتيجة الاختبار فهو ضحية لغيره، وأيضًا ظلم لآدم لأنه وفر لغيره ما لم يوفر له من بيان معرفة الخير والشر والله سبحانه منزه عن الظلم.

وأخيرًا نورد تعليق عالم الإنثروبولوجيا (جيمس فريزر) على الشجرتين يقول:

من المسلم به بوجه عام فيما يبدو أن حكاية الشجرتين قد اعتراها بعض الخلط، وأن شجرة الحياة لم تلعب فى الحكاية الأصلية هذا الدور المثير السلبى الصرف الذى لعبته فى هذه الحكاية، ومن ثم فقد اعتقد البعض أنه كان هناك فى الأصل حكايتان مختلفتان عن السقوط صورت فى إحديهما شجرة المعرفة على حدة.

كما صورت الأخرى شجرة الحياة منفردة.

---

(١) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٢) حياة آدم ص٥٩.

وإن كاتبا مزج بين الحكايتين فى غير حذق وجعل منها حكاية واحدة، وعلى حين احتفظ بإحداهما فى شكلها الأصلى على وجه التقريب اختصر الحكاية الثانية وشذبها حتى كادت تفقد عالمها(١).

ومن ناحيتنا لا نسلم بكل ما قاله فإنه مجرد فرض لم يصل إلى درجة الحقيقة واليقين حتى نسلم به. وإن كان القول بوجود شجرتين، شجرة تقوم بدور سلبى وشجرة عليها التحذير والوصية بعدم القرب منها مما يحير الباحث المتأمل فى إصحاحات سفر التكوين فإن الرب الإله لم ينه آدم عن الأكل من شجرة الحياة، وفى الوقت ذاته عندما أكل من شجرة معرفة الخير والشر يخشى أن يمد يده لشجرة الحياة مع أنه لم ينهه عن الأكل منها.

عمل الإنسان (آدم) فى الجنة

إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ووضعه فى الجنة وفيها - بجانب شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر - كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، ولما كان الإنسان فى وضع المخلوق المكلف كان له بعض المسئوليات الخاصة فى الجنة التى وضع فيها "فلم يكن للبطالة محل فى برنامج الله للإنسان"(٢).

إنهم يقولون إن الكتاب المقدس يعلمنا بأن الله أسند إلى آدم بعض المسئوليات الإدارية والهامة.

أما المسئولية الأولى: فكانت عنايته بالجنة وحفظها (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها)(٣)(٤).

يذكر المسيحيون أنه لم يكن الإنسان ليأكل من ثمار الجنة ويتمتع بجمالها فقط بل كان عليه أن يعمل فيها ويحفظها، لم يكن مقصد الله مطلقًا أن يعيش بطالاً لا فى

(١) جيمس فريزر: الفلكور فى العهد القديم جـ١ ص١٠٧ - ١٠٨.
(٢) كلايد تارنر: هذه عقائنا ص ٥٤.
(٣) تكوين ٢: ١٥.
(٤) د/ القس/ حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٦.

هذه الحياة ولا فى الأخرى[١] ولذلك أوصاه الله بأن يأكل من شجر الجنة، ولكن حذره بألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر "وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها"[٢].

يعتقدون أيضًا أنه كان على الإنسان ألا يعصى إرادة الله التى أعلنها ـ أعنى الوصية المذكورة ـ ولكى تنطبع هذه الوصية أكثر فى قلب جدينا الأولين قال لهما:ـ

إنه إذا خالفاها سيفقدان ما حصلا عليه ويسقطان إلى الشقاء ويصيران تحت عبودية أهوائهما معرضين للضيق والمحن على اختلافها، وأما جسدهما فبعد أن يكابد أوجاعا وأسقاما كثيرة سينفصل أخيرًا عن النفس ويفسد ويبلى.

وأما نفسهما فسينبذها الله أبديا[٣] لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت[٤].

يقول القس إلياس مقار (ولماذا وضع الله فى طريق آدم هذه الشجرة وحرم عليه فى الوقت ذاته أن يأكل منها؟ وإذا أضيف إلى ذلك أن الله كان ولا شك يعلم مقدمًا بسقوط الإنسان فهل يكون بعد هذا الامتحان مبررًا؟ هل يتفق هذا مع وجود الله وحنانه وحبه ورحمته؟ هذه أسئلة كثيرًا ما تمسك بالفكر البشرى وتتابعه وتلح عليه وتضغط على ملكاته جميعًا، ومع أننا لا نستطيع الإجابة عليها إجابة كاملة شافية شاملة إلا أننا نستطيع مع ذلك أن نؤكد أن هناك على الأقل عاملين أساسيين يلزمان ويحتمان هذا الامتحان:ـ

أولهما: أن امتحان الإنسان أمر تمليه الطبيعة الإنسانية، فالإنسان من حيث هو إنسان كان لابد وأن يمتحن، لأن الإنسان يتميز عن المخلوقات الأخرى بأنه العاقل الحر المريد، وكان لابد أن ينشأ تباعًا لهذا التفرقة بين هذه المخلوقات. فإذا انفرد الإنسان من هذه المخلوقات بملكة الإرادة الواعية العاقلة المقتدرة كان لابد لهذه الإرادة أن توجد بما تختار وأن يظهر فعلها بما تقبل أو ترفض ومن ثم زرع الله مقابلها شجرة معرفة الخير والشر[٥].

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٤.
(٢) تكوين ٢: ١٦ ـ ١٧.
(٣) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٧٨.
(٤) تكوين ٢: ١٧.
(٥) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٦٨ بتصرف شديد.

ولكن لعلم الله أن إرادة الإنسان يمكن أن تميل إلى إحدى الجهتين ـ الخير والشر ـ سبق فدعم النعمة المعطاة له بالوصية التى قدمها إليه والمكان الذى أقامه فيه لأنه أتى به إلى جنته وأعطاه وصية حتى إذا حفظ النعمة واستمر صالحًا استطاع الاحتفاظ بحياته فى الفردوس بلا حزن ولا ألم ولا هم فضلاً عن موعد عدم الفساد فى السماء، أما إذا تعدى الوصية وارتد وأصبح شريرًا فيعلم بأنه يجلب على نفسه الفساد بالموت الذى كان يستحقه بالطبيعة وأنه لا يستحق الحياة فى الفردوس بعد، بل يطرد منه من ذلك الوقت[١].

ثانيهما: إن امتحان الإنسان ضرورة تمليها الطبيعة الإلهية ـ كما يقولون ـ فعدالة الله كان لابد أن تفعله، إذ أن الله يودع ويطلب على الدوام بما يقابل ما يودع، والذى يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر، كما أن العدالة الإلهية التى امتحنت الملائكة لتحدد مصيرهم ومراكزهم كان لابد أن تفعل مع الإنسان ما فعلت معهم، إذ لا يجمل بالله أن يمتحن الملائكة لأنهم[٢] ذووا إرادة ثم يبعد هذا الامتحان أو يمنعه عن الإنسان ذى الإرادة ـ المماثلة. ثم ان محبة الله ورحمته كان من المحال أن تظهر فى أروع صورها وأمجدها من غير هذا التدخل الذى حدث فى حياة الإنسان الساقط، فمن السهل أن نرى محبة الله فى شتى مظاهرها ونحن أبرار قديسون طائعون، ولكن أدق محبة وأعمقها تكشف فقط عند السقوط والانهيار والخطية[٣].

وعليه فإن وضع شجرة معرفة الخير والشر فى وسط الجنة وتحذير الله لآدم بعدم الأكل منها كان ـ فى اعتقادهم ـ من أجل امتحان الإنسان لأن الامتحان أمر تمليه الطبيعة الإلهية وكذا الطبيعة الإنسانية لأنه المخلوق العاقل ذو الإرادة الحرة.

---

(١) القديس الاثناسيوس الرسولى: تجسد الكلمة ص٢٥.

(٢) وذلك على أساس فكرتهم أن الملائكة امتحنوا، وكانوا فى تلك الفترة ذوى إرادة واختيار، فلما أطاعوا الله كانت لهم الحياة الأبدية. أما الذين عصوا الله فكان جزاؤهم الطرد وهم الشياطين، كما يظهر فى الفصل الثالث من هذا الباب.

(٣) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٦٩ بتصرف شديد.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يظهر لآدم أى خصوصية فى وضعه فى الجنة بل كان عليه عبء ومسئولية كبرى وهى كيف يحفظ هذه الحياة التى يعيشها؟

إذا كانت الحياة التى يعيشها كانت عبارة عن امتحان وابتلاء فأى ميزة لآدم عن باقى الجنس البشرى؟ هل يتميز عن باقى الجنس البشرى بأنه كان يعيش فى جنة؟

إن الجنة التى تتحدثون عنها كانت الحياة فيها أكثر امتحانا من الحياة التى يعيشها باقى أفراد الجنس البشرى.

على أن لباقى الجنس البشرى ميزة عن آدم لأن آدم لم يكن يعرف عاقبة عصيانه بينما باقى الجنس البشرى عرف من تاريخ آدم عاقبة العصيان فباقى الجنس البشرى أكثر حظًا ونعيمًا عن آدم.

المسئولية الثانية :ـ يذكر المسيحيون أن الله أحضر إلى آدم جميع الحيوانات ليضع لها اسما "فالله كلفه بأن يعطى اسما لكل حيوان من الحيوانات ولكل طير من الطيور.." "وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها"[(١)] يقول المسيحيون هذه هى المسئولية الثانية التى كلف بها آدم[(٢)].

والمسئولية والتكليف فى الأولى أوضح من الثانية.

لأن المسئولية الأولى (وصية وتحذير) وهو عين المسئولية والتكليف أما الثانية فإن الله أحضر الحيوانات والطيور ليرى آدم ماذا يسميها وليس فى هذا تكليف ولا مسئولية وإنما تكريم (من هذا نرى أن الله أعطى لآدم سلطانًا عظيمًا جدًا).

ففى المزامير (فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده، وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجدٍ وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شىء تحت قدميه)[(٣)] فإن الله أعطى لآدم سلطانًا ليس على حيوانات البرية وطيور السماء فحسب بل على الخليقة كلها[(٤)] "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا

(١) تكوين ٢ : ١٩.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٦.
(٣) مزمور ٨ : ٤ ـ٦
(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٦.

فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض"(١).

وهذا السلطان العظيم أعطاه الله إياه لأنه المخلوق المكلف، ولأنه خليفة الله فى الأرض ولا أدل على ذلك من أن هذا السلطان لم يرفعه الله عن آدم بعد معصيته بل بقى لنسله ولجميع الجنس البشرى من بعده.

* * *

أما عن مدة إقامة آدم فى الجنة فإن القس: منسى يوحنا يقول "رأى أحد الربانيين أن آدم وحواء بقيا فى حال البر والقداسة ست ساعات، وذهب آخر إلى أنهما بقيا كذلك أربعا وعشرين ساعة، ولكن من يذكر أن الله خلق العالم بالترتيب والتوالى وأنه لم يخلقه دفعة واحدة وأن آدم كان يزرع الفردوس وأن الزرع يقتضى وقتًا طويلاً للنمو والنضج إلى غير ذلك، يرى أن آدم أقام بالفردوس أكثر من ذلك فإن ذلك الوقت لم يكن كافيًا لتسمية آدم الحيوانات وغيرها من المخلوقات، ومع كون هذه المدة لا تعرف بالتحقيق إلا أنه لا يوجد شك فى أنها محسوبة ضمن السنين التى عاشها آدم فى الأرض وقررها عنه الكتاب المقدس(٢) وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد ولدا(٣).

وهذه الآراء عبارة عن افتراضات لا ترقى إلى الصواب إلا إذا وجد ما يؤيدها من نصوص صحيحة.

حالة الإنسان المخلوق على صورة الله قبل المعصية

لقد سبق أن قلنا إن المسيحيين يقولون إن الإنسان خلق على صورة الله، ووضعه الله فى الجنة فى حالة من السعادة والابتهاج، والإنسان فى هذه الفترة ـ أى قبل سقوطه فى الخطيئة ـ كان يتصف بصفات أخرى بجانب حالة السعادة التى فقدها بالخطيئة ـ كما يعتقد المسيحيون إذ أن هناك جزءًا من صفات الله فى آدم لازالت باقية فيه وفى نسله حتى بعد سقوطه فى الخطيئة (فالجزء الباقى من صورة الله فى الإنسان

---

(١) تكوين ١ : ٢٦.
(٢) حياة آدم ص٧، ٨.
(٣) تكوين ٥ : ١ ـ٣.

هو **الطبيعة الروحية العقلية** التى لا تزال فى كل بنى جنسنا، والجزء الذى زال بالسقوط هو **الكمال الأدبى الذى فطر الإنسان عليه أي حال** البر والقداسة التى خلق عليها، وبعد السقوط بقى على صورة الله فى طبيعته **العقلية الأدبية** المشابهة لصورته تعالى غير أنه تغير فى **حالته الأدبية** وانحط من حالة البر والطهارة إلى الخطيئة والفساد الأدبى)[١].

ومن أقوال الكتاب المقدس الدالة على ما هو باق من صورة الله فى الإنسان ما جاء فى مواليد آدم من أنه خلق على شبه الله وأنه ولد ولدًا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا[٢] وقوله "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان"[٣].

"وإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده"[٤].

وقوله فى اللسان (به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله)[٥]. فالجزء الباقى فى الإنسان بعد السقوط هو **الطبيعة العقلية**. أما الجزء الذى فقده الإنسان بالسقوط هو **حالة الطهر والكمال والقداسة**.

أما الصفات التى كان عليها الإنسان قبل السقوط وفقدها بعده فهى :ـ

١ ـ الإنسان على صورة الله فى المعرفة :ـ

جاء فى كتاب أصول الإيمان المسيحى: أن الله خلق الإنسان على صورته فى المعرفة وهذا يعنى أن آدم قبل أن يخطئ كان قادرًا على أن يفهم إعلان الله عن نفسه فى العالم فعندما "دعا آدم بأسماء جميع البهائم أو طيور السماء وجميع الحيوانات البرية"[٦] فإنه كان يفعل شيئًا أكثر من مجرد "إعطاء أسماء" فهذه الأسماء كانت وصفًا حقيقيًا للأشياء التى أطلقت عليها. فعندما دعا آدم اسم امرأته حواء إنما فعل ذلك لأنها أم كل حى[٧]، وكذلك عندما تأمل آدم الحيوانات وأعطاها أسماء أظهر أنه

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٧.
(٢) تكوين ٥ : ١ ـ ٢.
(٣) تكوين ٩ : ٦.
(٤) ١ كورنثوس ١١ : ٧.
(٥) يعقوب ٣ : ٩.
(٦) تكوين ٢ : ٢.
(٧) تكوين ٣ : ٢.

قادر على فهم طبيعة الأشياء والتعبير عنها، وبعبارة أخرى إن آدم ـ **قبل أن يخطئ** ـ كان نبيًا فى أسمى معانى النبوة لأن النبى هو من يستطيع أن يرى **الحق الإلهى** وأن يعلن هذا الحق لخير الآخرين[١].

وإذا كانت هذه المعرفة التى أعطيت لآدم **فهمها** الشراح المسيحيون من خلال بعض النصوص فإننا نقول إن نصوص الكتاب المقدس جاءت صريحة وواضحة فى نسبتها لغير آدم.

ففى سفر الخروج (وقال موسى لبنى إسرائيل انظروا قد دعا الرب بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه، وملأه من روح الله بالحكمة **والفهم والمعرفة وكل صنعة**)[٢].

وكذلك أيضًا سأل سليمان الله أن يعطيه **حكمة ومعرفة** (تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك، فقال سليمان لله إنك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه. فالآن أيها الرب الإله ليثبت كلامك مع داود أبى لأنك قد ملكتنى على شعب كثير كتراب الأرض، فأعطنى الآن **حكمة ومعرفة** لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم، فقال الله لسليمان: من أجل أن هذا كان فى قلبك ولم تسأل غنى ولا أموالاً ولا كرامة ولا أَنْفُس مبغضيك ولا سألت أيامًا كثيرة بل إنما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى الذى ملكتك عليه **قد أعطيتك حكمة ومعرفة وأعطيتك** غنى وأموالاً وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك)[٣].

وكذلك أعطى الله غير سليمان ـ ممن هو أهل لذلك ـ الحكمة والمعرفة.

ففى سفر إشعياء (ويخرج قضيب من جذع يسىّ وينبت غصن من أصوله، **ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة**

(١) ج. أ. وليمسن: تفسير أصول الإيمان، ترجمة الشيخ فايز فضيل جـ١ ص٣٩.
(٢) خروج ٣٥: ٣١.
(٣) أخبار الأيام الثانى ١: ٧ ـ ١٢.

الرب، ولذته تكون فى مخافة الرب، فلا يقضى بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضى بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائس الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه)[١].

على أن تلك المعرفة يستطيع أى إنسان أن يحصل عليها وذلك عن طريق الخوف من الله ففى سفر الامثال (مخافة الرب رأس المعرفة)[٢]. وأيضًا (بدء الحكمة مخافة الله ومعرفة القدوس فهم)[٣]. (وبالمعرفة ينجو الصديقون)[٤].

فلا ميزة لآدم ـ قبل المعصية ـ فى هذا الأمر، إذ أن الله أعطى المعرفة لغير آدم، وهى واضحة كما سبق.

وأيضًا فإن الاقتباسات السابقة من الكتاب المقدس تدل على أن الإنسان لم يفقد المعرفة بالخطيئة، بدليل أنها أعطيت لأحدهم وهو من نسل آدم، بل يستطيع كل إنسان عن طريق الإخلاص فى الطاعة والعبادة والخوف من الله ومراقبته أن يحصل على المعرفة والحكمة والفهم، وبهم يكون النجاة.

٢ ـ الإنسان على صورة الله فى القداسة :ـ

والقداسة : صفة من صفاته تعالى: ففى سفر الخروج أن موسى وبنى إسرائيل رنموا قائلين: "يا رب من مثلك معتزا فى القداسة"[٥].

والقداسة ـ كما عرفها المسيحيون ـ : الخلو من الخطيئة والطهارة التامة. وهى أخص صفات الله وتميزه بنوع كلى من جميع آلهة الوثنيين وتجعله يكره المعصية ويعاقب الخاطئ، وقد خلق الله الإنسان على صورته وشبهه، أى فى البر والقداسة على أن آدم فقد قداسته وأدخل الخطيئة إلى العالم فجاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع[٦].

---

(١) إشعياء ١١ : ١ ـ ٥.
(٢) أمثال ١ : ٧.
(٣) أمثال ٩ : ١٠.
(٤) أمثال ١١ : ٩.
(٥) خروج ١٥ : ١١.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص٧١٨.

وقد ورد فى تفسير أصول الإيمان: أن الله خلق الإنسان على صورته فى القداسة وهذا يعنى أن آدم قبل أن يخطئ كان بجملته مكرسًا لله.

وفى العهد القديم نجد هذه الفكرة تنمو باضطراد فى نظام العبادة الذى أعلنه الله لموسى، فكان يوجد رئيس الكهنة وخيمة الاجتماع والتقدمات المختلفة وكانت توجد الشعائر الإلهية، وكانت الفكرة الأساسية للقداسة هى السائدة دائمًا، والقداسة هنا معناها "التخصيص للرب".

وبالنسبة لآدم لم تكن القداسة مسألة شعائر أو ذبائح بل كانت تعبدًا قلبيًا، كان مقدسًا، لأنه كان يجد سروره الأعظم فى الرب، كان (قبل أن يخطئ) لا يعرف الخوف من الرب، فكان يشعر بالسلام فى حضرة الله (فكان مخصصًا للرب فى كل شيء عن رغبة قلبية)[١].

وكون آدم على صورة الله فى القداسة بمعنى أنه كان لا يعرف الخوف من الرب، فإن هذا لا يتوافق مع ما سبق أن أوردناه من أن رأس المعرفة مخافة الله وبدء الحكمة مخافة الله فكيف يكون آدم على صورة الله فى المعرفة ثم هو لا يخاف الله مع أن رأس المعرفة مخافة الله؟

ثم إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى ـ كما ورد فى كتبهم ـ يأمر عباده بأن يعبدوه بخوف ورهبة منه، فقال (تأدبوا يا قضاة الأرض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة)[٢].

"لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة"[٣].

وخوف الله لا يقتصر على وقت دون آخر بل هو ثابت إلى الأبد "وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقى ثابت إلى الأبد"[٤].

---

(١) ج. أ. وليمسن: تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٤٠.
(٢) مزمور ٢: ١١.
(٣) مزمور ٣٣: ٨.
(٤) مزمور ١٩: ٨، ٩.

والله سبحانه وتعالى يعطى الخائفين سر النجاة فالله يوفق الخائفين لطريق الخير ويبارك فيهم وفى نسلهم (من هو الإنسان الخائف الرب. يعلمه طريقًا يختاره، نفسه فى الخير تبيت، ونسله يرث الأرض، سر الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم)[١].

والله سبحانه وتعالى يرعى بعنايته الخائفين منه (هو ذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته)[٢].

ويحفهم بالملائكة (ملاك الرب حالّ حول خائفيه وينجيهم)[٣].

ويشملهم برحمته (قويت رحمته على خائفيه)[٤].

(كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه)[٥]

وعليه فإما أن يكون آدم على صورة الله فى القداسة: بمعنى العبادة والطهارة والتخصيص للرب، والعبادة لا تكون إلا بالخوف من الله الذى به العبادة والطاعة والنجاة والخير والرحمة. وهذا الا خصوصة فيه لآدم قبل السقوط.

وإما أن آدم على صورة الله فى القداسة، ولكن بدون عبادة وخوف، وهذا لا يتناسب مع إنسان على صورة الله فى المعرفة التى لا يمكن إثباتها إلا بالخوف من الله.

وأيضًا لا يتناسب مع إنسان على صورة الله فى البر وهو عنوان الفقرة التالية.

٣ ـ الإنسان على صورة الله فى البر:ـ

يقول المسيحيون: إن الله بعد أن خلق الإنسان جعله فى حال البر والنعمة[٦].

يقول أصول الإيمان (إن الله خلق الإنسان على صورته فى البر.

---

(١) مزمور ٢٥: ١٢ ـ ١٤.

(٢) مزمور ٣٣: ١٨.

(٣) مزمور ٣٤: ٧.

(٤) مزمور ١٠٣ : ١١

(٥) مزمور ١٠٣ : ١٣

(٦) دوم كولومبا مرميون: المسيح حياة النفس ص٦٦.

والبر اسم آخر للطاعة لله، فالذى يعمل ما يريد منه الله أن يعمله إنما يصنع البر.

ومن الصواب أن نقول. إن آدم كان ملكًا (قبل أن يخطئ)، والملك هو من يحكم. كان آدم يحكم كل العالم الذى وضعه الله تحت سلطانه، ولأنه كان يعرف مشيئة الرب (كنبى) كان يرغب فى أن يخدمه وحده (ككاهن) كان أيضًا قادرًا أن يعمل أعمال البر كملك على الخليقة.

وهكذا نرى أنه ليس صحيحًا أن نتكلم عن صورة الله فى الإنسان، ولكن من الصواب أن نتكلم عن الإنسان نفسه كصورة حقيقية الله[١].

ونحن نقول إن آدم كان ملكًا على الخلائق وله سلطان عليها، لأنه خليفة الله فى الأرض، ولا خصوصية لآدم فى أن جميع الخلائق مسخرة له.



وبعد فإن خلاصة ما قاله المسيحيون عن حالة آدم قبل المعصية كما يلى: إن الله خلق الإنسان فى حالة البراءة، وكان الإنسان صورة حقيقية لله فى المعرفة والبر والقداسة ولكن لم يكن قد ثبت بعد فى تلك الحالة المباركة فوضع الله أمام أبوينا الأولين اختيارين :-

فمن جهة كان أمامهما طريق الطاعة الكاملة وهذا الطريق كان يؤدى فقط إلى الحياة الأبدية إذ يقول بولس (الإنسان الذى يفعلها - أى وصايا الله - سيحيا بها)[٢].

ولكن من جهة أخرى كان يوجد طريق العصيان، وهذا الطريق كان يؤدى فقط إلى الموت. إذ قال الرب لآدم متكلمًا عن شجرة معرفة الخير والشرر لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت)[٣].

وهذا هو الذى تجده عندما تقرأ أصول الإيمان[٤].

---

(١) شرح أصول الإيمان جـ١ ص٤٠ ، ٤١.
(٢) غلاطية ٣ : ١٢.
(٣) تكوين ٢ : ١٧.
(٤) تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٥٢.

وما قلناه سابقًا عن حالة الإنسان من المتفق عليه بين الكنائس.

جاء فى علم اللاهوت النظامى :-

من أوجه الاتفاق بين الكنائس الشرقية والغربية (أى البابوية) والإنجيلية بالنسبة للتعليم فى الإنسان :-

(١) البراءة الأصلية أى أن الإنسان خلق صورة الله فى العقل والحرية والطهارة والقداسة على أنه محتاج إلى الامتحان وقابل للسقوط.

(٢) السقوط ومن لوازمه الخطية والموت والفساد والذنب والاحتياج إلى الخلاص (خلافًا للتعليم البيلاحى). وسنتحدث عنه بالتفصيل فى الصفحات التالية.

(٣) الفداء بالمسيح[١]

أما وجه الاختلاف بين الكنيسة البابوية والكنيسة الإنجيلية فهو فى البر الأصلى هل هو طبيعى أم أنه فوق الطبيعة.

جاء فى علم اللاهوت النظامى : (أن بين تعليم الكنيسة البابوية فى حال الإنسان الأصلية وتعليم الإنجيليين موافقة تكاد تكون تامة.

ووجه الخلاف بين الفريقين محصور فى قضية واحدة مهمة وهى أن الإنجيليين يعتقدون أن البر الأصلى فى آدم كان طبيعيًا.

أما الرومانيون فيعتقدون أنه كان فوق الطبيعة. فقالوا إن الله خلق جوهرى طبيعة الإنسان - أى النفس والجد - مائلين إلى المضادة، ولأجل الموافقة بينهما وخضوع الجسد للروح خضوعًا لائقًا أعطاه عطية غير عادية وهى البر الأصلى، فلما سقط آدم فقد بسقوطه هذا البر الفائق الطبيعة، ورفع إلى الحال الطبيعة التى كان عليها قبل تخويله إياه.

أما الإنجيليون فيعتقدون عكس ذلك، أى أن البر الأصلى طبيعى مخلوق مع الإنسان، وأن آدم كان طبعًا يحب الله ويميز مجده تعالى، كما كان طبعًا يحب نفسه ويميز جمال الخليقة، وأنه خلق قادرًا بالطبع، (أى بدون افتقار إلى موهبة جديدة

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٥٤.

فوق ماله من المواهب) أن يتمم غاية وجوده العظمى وهى أن يمجد الله ويتمتع به إلى الأبد[١].

خلاصة تعليم الكتاب المقدس فى حالة الإنسان الأصلية

سنذكر هنا خلاصة تعليم الكتاب المقدس فى حالة الإنسان الأصلية وإن كانت تفهم مما سبق حتى يتبين مدى اختلاف البيلاجيين عن هذا التعليم.

يقول المسيحيون إن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله أبدع الإنسان على ما يأتى :-

أولاً : فى حال البلوغ والكمال :- والمراد ببلوغه أنه لم يخلق طفلاً ، فأخطأ من زعم أنه كان أولاً ضعيفًا عاجزًا مجردًا عن قدرة القيام بما يحتاج إليه وخاليًا من الكمال نفسًا وجسدًا وأنه تقوى عقله وجسده بالتدريج ووضع لنفسه لغة وتنبهت قواه الأدبية ، لأن هذا الزعم مخالف لنص الكتاب على كيفية خلقه وما قام به من العمل بأمر الله وعلى أن الله كان أولاً يكلمه ويعلن له إرادته وهو يفهم كلامه وإعلانه تعالى وكل ذلك يدل على كماله الجسدى والعقلى[٢].

ويستدلون على ذلك بنصوص نذكر منها ما يأتى :-

فعند أول وجود الإنسان على الأرض "باركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا"[٣].

وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : "من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها"[٤].

وكذلك ما ورد من الله أحضر الحيوانات والطيور لآدم[٥] ليرى ماذا يدعوها.

كل ذلك يدل - فى نظر المسيحيين - على بلوغه وكماله الجسدى والروحى.

ثانيًا : على صورته تعالى وشبهه : وهو الكمال الأدبى الذى فطر عليها أى على صورته فى المعرفة والقداسة والبر.

---

(١) المرجع السابق ص٦٠٩.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٤.
(٣) تكوين ١ : ٢٨.
(٤) تكوين ٢ : ١٦.
(٥) تكوين ٢ : ١٩، ٢٠.

ثالثًا: كونه ذا سلطان على الخلائق: "والمراد بذلك هو تخويل الله إياه السلطان على الخلائق، أى جعله رئيسًا على الأرض وحاز هذا السلطان بتخويل الله إياه القوى والمواهب وتفويضه الصريح له"(١) ومن الأقوال التى يستدلون بها على ذلك ما جاء فى الإصحاح الأول من سفر التكوين "فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض"(٢). كل ذلك لأنه ـ كما يقولون ـ خلق على صورة الله.

(التعليم البيلاجى فى(٣) حالة الإنسان الأصلية)

هو تعليم بيلاجيوس وجمهور العقليين الذين خالفوا تعليم الكتاب المقدس ـ كما

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٨.

(٢) تكوين ١: ٢٦.

(٣) التعليم البيلاجى أحد أنظمة اللاهوت الثلاث التى انتشرت على الدوام فى الكنيسة وهى: ١ـ النظام الأوغسطينى ٢ ـ النظام البيلاجى ٣ ـ النظام النصف البيلاجى. ودائمًا يكون النظام الأوغسطينى هو نظام تعليم الكتاب المقدس، والنظام البيلاجى نظام العقلانيين، والنصف البيلاجى بعضه بيلاجى وبعضه أوغسطينى.
وقضايا النظامين الأوغسطينى والبيلاجى المتناقضة برزت أولاً وحددت بسبب ما نشأ من الجدال فى أوائل القرن الخامس الميلادى بين الشهيرين أوغسطينوس الذى كان أسقف هبو فى شمال إفريقية من سنة ٣٩٥ ـ إلى سنة ٤٣٠م، وبيلاجيوس الراهب البريطانى الذى تصحب له تلميذاه، كويلستيوس وبوليانوس من أكلانوم فى إيطاليا.
أما النصف البيلاجى: فإنه لما اشتد الخصام فى شأن النظام البيلاجى شرع يوحنا كاسيانوس ـ وهو سورى الأصل تربى فى الكنيسة الشرقية ثم انتقل إلى مرسيليا فى فرنسا لأجل ترقية مصالح الرهبنة فى ذلك القطر ـ فى إنشاء نظام متوسط بين الأوغسطينى والبيلاجى. وقد سمى المعلمون ذلك النظام بالنصف البيلاجيين.
أما مبادئه الجوهرية فهى نفس مبادئ النظام المسمى الآن بالأرمينى (الذى ينتسب إلى يعقوب أرمينيوس الذى كان أستاذًا لعلم اللاهوت فى مدرسة ليدن الجامعة من سنة ١٦٠٢ م إلى حين سنة ١٦٠٩م (علم اللاهوت النظامى) ص١٣٨.
وهذا المذهب سمى بالنصف البيلاجى لأن بعضه أخذ عن بيلاجيوس وبعضه عن أوغسطينوس. وهو يخالف البيلاجى برفض الاعتقاد أن خطية آدم أضرت نفسه فقط. وهو يعلم أن نتائج تلك الخطية اجتازت إلى كل البشر وأثرت فى النفس والجسد كليهما فجعلت الجسد تحت طائلة الموت والمرض والألم وأضعفت النفس حتى صارت مائلة إلى الشر وعاجزة بدون المعونة الإلهية عن تكميل شىء مما هو محسوب عند الله من الصلاح والخير غير أن هذا الضعف فى النفس والميل إلى الخطية فعلا لا يحسبان عندهم من باب الخطية بل من باب البلية والتعطيل فقط، على أنهم يسلمون أن تلك الحال تؤدى لا محالة إلى ارتكاب الخطايا فعلا وهو يخالف الأوغسطينى فى أنه يعلم (١) أن خطية آدم غير محسوبه على نسله ولم يصب الجنس بسبب سقوط آدم غير الضعف الأدبى وانحراف الصحة الروحية وذلك على قولهم ليس خطية (٢) أن بداءة الخلاص هى من الإنسان أى هو يبتدئ أن يطلب الله ثم يأخذ الله فى مساعدته.(٣) أن رجوع النفس إلى الله من الأعمال الصالحة ذات الاستحقاق. (٤) أن الإنسان يشارك الله فى عمل التجديد والتقديس فنصف العمل محسوب لله والنصف الآخر للإنسان. (علم اللاهوت النظامى ص٦٣٦ ، ٦٣٧ ولقد اشتهر النظام الأوغسطينى بأنه إيمان الكنيسة الغربية الأرثوذكسى، ولم يكن لإنسان غير موحى إليه تأثير عام بين البابا وبين والإنجيليين نظير ما كان لأوغسطنيوس. وكان أهم مسائل الخلاف بين الأوغسطينين الذين يمثلون فى نظر المسيحيين تعاليم الكتاب المقدس وبين البيلاجيين الذين يمثلون وجهة النظر العقلية تدور حول مسائل الخطية والنعمة (علم اللاهوت النظامى ص ١٣٣ ، ١٣٨).

جاء فى علم اللاهوت النظامى ـ فى شأن حال الإنسان الأصلية بعدة أشياء يمكن حصرها فى أمرين :ـ

الأول: أن الإنسان خلق فى الأصل بدون سجية أدبية أى خاليا من كل صفة أدبية خيرًا كان أم شرًا.

الثاني: أنه خلق قابلاً للموت أى كان موته محتومًا سواء خطئ أم لم يخطئ[١] فقد آمن بالإرادة الحرة وشك فى مبدأ الخطيئة الأولى[٢].

وسوف نتحدث عن هذين الأمرين بشئ من التفصيل ـ كما هو وارد فى كتب المسيحيين ـ ثم نعلق على كل واحد منهما.

الأمر الأول: أن الإنسان خلق فاعلاً مختارًا ولكن بدون صفات أدبية، أى ليس بارًا أو غير بار ولا قديسًا ولا غير قديس، غير أنه قابل أن يصير إلى ما شاء من الحالين لأنه خلق عاقلاً مختارًا أى أن سجيته متوقفة على كيفية استعمال عقله وإرادته، فإذا عمل حسنًا صار بارًا والعكس بالعكس، وبما أنهم أنكروا خلق صفة أدبية فى الإنسان رفضوا تعليم البر الأصلى لاعتقادهم أنه مخالف للعقل.

وقد نشأ هذا المذهب عن اعتقادهم أن السجية الأدبية لا تقوم إلا بأعمال الإرادة أو بنتائجها فى فاعلها، أى أن ليس مدحًا أو ذما عند الديان العظيم لسوى الأعمال، وكذلك ليس للأخلاق الداخلية صفة أدبية إلا إذا انتجت من الأعمال الاختيارية.

ولا ريب فى أن هذا المبدأ كما ينفى البر الأصلى فى آدم ينفى الفساد الذاتى الموروث منه المدعو غالبًا بالخطية الأصلية[٣].

وهذا المذهب صائب فى قوله إن الإنسان خلق عاقلاً مختارًا ونتيجة لاستخدام عقله واختياره يصبح بارًا أو غير بار.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٩.

(٢) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية جـ١ ص٩٧.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٩.

ويتضح ذلك مما جاء فى قصة الخليقة من أن الله أوصى آدم بالأكل من جميع شجر الجنة، وحذره من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

ألا يظهر واضحا من هذا التحذير وتلك الوصية أن الله ترك آدم للاختيار، وعن طريق هذا الاختيار يتحدد مصير الإنسان عامة فى نظركم.

فإن آدم لو لم يخطئ لصار فى النعيم بالحياة الأبدية ولكنه أخطأ فوقع فى الضيق والألم، وكان هذا العمل منه واقعًا تحت طائلة عقله واختياره لأن الله قال له (يوم أن تأكل منها موتا تموت) فكان على آدم أن يختار

نعم إن الله ميز آدم عن باقى المخلوقات ولكن فى هذه النقطة بالذات تركه للاختيار.

جاء فى تفسير أصول الإيمان المسيحى(يجب أن نفكر عندما نقرأ أصول الإيمان أن أبوينا الأولين كانا قد تركا لحرية إرادتهما" هذا يعنى أن أبوينا الأولين كان لديهما أمران هامان.

الأول: كانت لهما الحرية أن يتبعا طريق الطاعة للحياة أو طريق العصيان للموت كانت لهما الحرية لأنه لم يكن لهما من يجبرهما على السير فى طريق أو فى آخر، حتى الشيطان لم يكن يستطيع أن يجبرهما على عمل ما يريد منهما أن يعملاه، كان يستطيع فقط أن يجربهما كان يستطيع أن يغويهما لعمل ما يريد منهما أن يعملا بمحض إرادتهما.

الثانى: كانت لهما المقدرة أن يختارا أيا من الاختيارين[(١)].

ومعروف أن هذا الاختيار يقوم على أساس أنه يوجد فى الإنسان (العقل) الذى به يحدد مصيره عن طريق اختياره.

التعليم الثانى فى حال الإنسان الأصلية التى خالف بها البيلاجيون الكنائس المسيحية هو: أن الإنسان خلق قابلاً للموت. أى كان لابد من موته سواء خطئ أم لم يخطئ، ومقصودهم بذلك نفى كون الموت نتيجة المعصية أو قصاصها،

---

(١) تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٥٢ ، ٥٣.

وإثبات أن آدم كان تحت طائلة الموت ولو لم يسقط وذلك بسبب بنية طبيعته الأصلية[١].

وأدلتهم على هذا التعليم مقنعة وفيها ما يوافق بعض فقرات الكتاب المقدس، وأدلتهم هى: ١ ـ بنية آدم الجسدية: قالوا إنها لم تجعل موافقة لدوامه إلى الأبد، بل كانت فى ذاتها قابلة التلاشى، وكان يقتضى لها أن تراح دائمًا بالنوم، وتجدد بالطعام فلزم أن تشيخ وتفسد على طريقة طبيعية.

٢ ـ بنية سائر الحيوانات. قالوا إنه يظهر من تركيب بنية سائر الحيوانات التى تعيش على وجه الأرض أن خالقها لم يقصد بها أن تعيش إلى مالا نهاية، وأنه خلقها ذكرًا وأنثى لأجل دوام جنسها بواسطة التوالد، وقالوا هذا يبرهن أن الخالق أراد توالى الأشخاص لا دوامهم، وهو يصدق على الإنسان كما يصدق على غيره من الحيوانات، فيلزم منه أن الإنسان كان معينا للموت كذلك منذ البدء بدون نظر إلى الخطية.

٣ ـ قول بولس إن الإنسان من أصل ترابى[٢] وأن له جسدًا طبيعيًا وأنه لما كان هذا الجسد غير مؤهل للخلود لأن لحمًا ودمًا كما للإنسان فى هذا العالم لا يقدران أن يرثا ملكوت الله كان نوال الجسد الروحانى بعد القيامة (١ـ كورنثوس ١٥ : ٤٢ ـ ٥٠) فاستدلوا منه أن الله لم يخلق آدم ليكون خالدًا فى هذه الدنيا بدليل أنه لم يؤهله أصلاً كذلك بل ألبسه جسدًا شأنه قبول الفساد[٣].

يقول برتراندرسل (فعلى الرغم من أن هذه الآراء قد تبدو الآن بغير جديد يستوقف النظر إلا أنها قد سببت فى ذلك العصر اضطرابًا شديدًا وأعلن أنها زندقة، وكان ذلك يرجع فى أغلبه إلى جهود بذلها القديس أوغسطين، ومع ذلك فقد صادفت نجاحًا ملحوظًا وإن يكن نجاحًا إلى حين[٤].

---

(١) المرجع السابق ص٦٠٧.

(٢) ويدل على هذا القول ما جاء فى سفر الجامعة (من التراب وإلى التراب يعود) ٣ : ٢٠.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٦٠٧.

(٤) تاريخ الفلسفة الغربية جـ٢ ص٩٧.

ولما كان هذا الرأى ينفى البر الأصلى والخطيئة الأصلية فإنه بالتالى ينفى عقيدة الخلاص المسيحية القائمة على الخلاص من الخطيئة الأصلية.

لذلك نجد أن هذا الرأى يعلم (أن القصد الأعظم فى رسالة المسيح هو أن يعلم ويؤكد الحقائق التى العقل البشرى مرتاب فيها وهذا ما يفعله بواسطة تعليمه.

ووظيفة المسيح الخصوصية هى التعليم، فإنه قد وضع ناموسًا جديدًا، وأعطى مثالاً حسنا للحياة المقدسة، وعلم شخصية الله وأوضح تعليم الحياة العتيدة بقيامته.

وأن موت المسيح كان ضروريًا لأجل الاستعداد لقيامته فقط، وقد قصد منه التأثير الأدبى فى الخطاة واستمالتهم إلى التوبة عن الخطيئة وتأكيد حلم الله لهم، لأن إرضاء العدل الإلهى غير ضرورى بموجب رأيهم وهو لا يمكن بواسطة الآم نيابية)[1].

وهكذا تبين أن هذا التعليم يرفض الخطية الأصلية وما يترتب عليها من فساد الطبيعة الموروثة التى تستدعى الخلاص.

لذلك نجد أنه يؤكد أن وظيفة المسيح هى أنه رسول الله يعلم الناس الطريق إلى الله.



(١) علم اللاهوت النظامى ص١٤١.

الفصل الثالث

سقوط الإنسان فى الخطيئة
فى القصور المسيحى

تمهيد:

يعتقد المسيحيون أن آدم عاش فى الجنة وهو على صورة الله فى المعرفة والقداسة والبر، وقد أعطى من النعم ما يضمن له السعادة والابتهاج، وكان عليه أن يحافظ على صورته التى خلقه الله عليها، وأن يحافظ على النعم التى أعطاه الله إياها فى الجنة التى وضع فيها، وذلك بألا يقرب شجرة معرفة الخير والشر ولا يأكل منها. كانت هذه هى الوصية التى أعطيت لآدم بعد وضعه فى الجنة. ولكن آدم لم يحفظ هذه الوصية وتعداها فسقط وأكل من الشجرة المحرمة وذلك نتيجة لظروف معينة ستظهر واضحة فيما بعد، فلم يبق الإنسان على حالته الأولى كاملاً ـ كما يقولون ـ فسقط من عليائه وتحولت حالته من حال السعادة والراحة إلى حال الشقاوة والتعب.

معنى السقوط[١]:

يقول ابن منظور: سقط: السقطة الوقعة الشديدة

سقط، يسقط، سقوطًا فهو ساقط وسقوط: وقع[٢].

والسقوط يعنى فى المسيحية: الوقوع فى الخطيئة نتيجة لأكل آدم من الشجرة المحرمة، ولكى يتبين هذا المعنى واضحًا لابد من تعريف الخطيئة.

يقول كلايد تارنر "استعملت عدة كلمات فى الكتاب المقدس للدلالة على الانفصال الذى حدث بين الله والإنسان، فقد قيل فيه إنه: تعدّ، إثم، شر، إهانة، معصية، تمرد. ولكن الكلمة المستعملة عادة لوصف سقوط الإنسان هى الخطية، هذه

---

(١) المسيحيون يعبرون عن معصية آدم بالسقوط، وذلك فإن استخدامنا لها باعتبار أنها تعبير مسيحى يصور موقفهم من آدم عليه السلام بعد المعصية.

(٢) لسان العرب ص٢٠٣٧ ط دار المعارف.

هى الكلمة التى استعملها الله ذاته. فعندما أنذر قابين[١] قال إن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة"[٢].

تعريف الخطيئة[٣]:

جاء فى لسان العرب: تحت كلمة "خطأ"

الخطأ، والخطاء: ضد الصواب، وقد أخطأ. وأخطأ الطريق: أى عدل عنه، وأخطأ الرامى الغرض: لم يصبه.

وخطئ الرجل يخطأ خطأ وخطأة على "فعله": أذنب[٤].

فالخطيئة تعنى لغويا: الذنب.

ويقال للفرد الذى أخطأ: حاد عن طريق الصواب. ولقد جاءت كلمة "الخطيئة" فى الكتاب المقدس بمثل بعض هذه المعانى اللغوية.

يقول إلياس مقار: "إن الخطيئة ومشتقاتها فى الأصل اللغوى" تعنى "القصور" أو "عدم بلوغ الهدف" أو "الانحراف" "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"[٥].

وتعنى "البُطل" أو "العدم" كالقول "ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً"[٦].

وكقول بولس "إذا خضعت الخليقة للبطل"[٧].

وتعنى أيضًا "التمرد" أو "العصيان"

---

(١) تكوين ٤: ٧.

(٢)كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٦٤.

(٣) والخطيئة على فعيلة: الذنب ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق ولا هما من نفس الكلمة، فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول فى مقروء: مقروّ، وفى خبيء: خبى بتشديد الواو والياء. لسان العرب ص ١١٩٣، أى يجوز أن يطلق على هذه الكلمة خطيئة وخطية.

(٤) لسان العرب ص١١٩٢، ١١٩٣.

(٥) رومية ٣: ٢٣.

(٦) إرميا ٢: ٥.

(٧) رومية ٨: ٢٠.

كما تعنى أيضًا "عدم الاستقرار" فى القول "أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ أو تقذف مياهه حمأة وطيناً. ليس سلام قال إلهى للأشرار"[١]

وتعنى "الخيانة" "فمات شاول بخيانته التى خان بها الرب من أجل كلام الرب الذى لم يحفظه"[٢].

كما جاءت بمعانى "مرض" أو "ذنب" أو "خراب" أو "ضيق" أو "تعب" أو "تعد" وهذه الألفاظ تساعدنا على الحالة التى وجد فيها آدم بالسقوط، إذ لم يعد الإنسان البار السليم الصحيح، بل الإنسان المريض المنحرف الخائن المتمرد القاصر المتعب المتعدى المذنب غير المستقر[٣].

وهذه المعانى توضح تصور المسيحيين لحالة آدم بعد المعصية، وذلك لأن المعانى اللغوية التى أوردها القس فيها تزايد على المعانى الواردة فى اللغة العربية لكلمة خطيئة، فليس من معانيها فى اللغة العربية (العدم) ولا (الخراب) ولا (والضيق)، وإنما هى معانى تنطبق على تصورهم لحالة آدم بعد الخطيئة.

الخطيئة فى اصطلاح المسيحيين:

والخطيئة بوجه عام تعنى لدى المسيحيين[٤]: التعدى على شريعة الله وأحكامه أو عدم الامتثال لشريعة الله. ويدل على ذلك ما ورد "كل من يفعل الخطية يفعل التعدى أيضًا، والخطية هى التعدى[٥].

يقول القس/ لبيب ميخائيل: إن الكتاب المقدس وضع تعريفات واضحة للخطية نذكرها فيما يلى:

---

(١) أشعياء ٥٧ : ٢٠ ـ ٢١.

(٢) أخبار الأيام الأول ١٠ : ١٣.

(٣) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٤) راجع فى ذلك: قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٤، شرح أصول الإيمان ص١٠٣، تفسير أصول الإيمان جـ ١ ص٥٢، علم اللاهوت النظامى ص٨١٩.

(٥) ١ـ يوحنا ٣ : ٤.

١ ـ الخطية هى التعدى على قانون الله، وهذا يعنى أن الشخص الذى يخطئ يتعدى الحدود المرسومة فى ناموس الله ويدخل فى منطقة محرمة لا يصح له دخولها "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرمًا فى الكل لأن الذى قال لا تزن قال أيضًا لا تقتل فإن لم تزن ولكنك قتلت فقد صرت متعديا الناموس"(١).

٢ ـ الخطية هى إهمال ناحية الخير فى الحياة: يضع يعقوب تعريفًا للخطية فيقول "من يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فذلك خطية له"(٢).

٣ ـ الخطية هى كل ما ليس من الإيمان "كل ما ليس من الإيمان فهو خطية"(٣).

٤ ـ الخطية هى كل إثم نرتكبه. فى رسالة يوحنا الأولى نجد هذا التعريف "كل إثم هو خطية"(٤).

٥ ـ الخطية هى فكر الحماقة: يعرف صاحب الأمثال الخطية فى هذه العبارة "فكر الحماقة خطية"(٥).

٦ ـ الخطية هى نور الأشرار: وهذا تعريف آخر لصاحب الأمثال "طموح العينين وانتفاخ القلب نور الأشرار خطية"(٦) ثم قال"هذا هو التعريف الكتابى للخطية"(٧).

وهذه التعريفات عبارة عن أوصاف للخطيئة أو أوصاف للشخص المخطئ ويجمعها التعريف الذى أوردناه فى قائمة التعريفات التى ذكرها.

---

(١) يعقوب٢: ١٠، ١١.
(٢) يعقوب ٤: ١٧.
(٣) رومية ١٤: ٢٣.
(٤) ١ ـ يوحنا ٥: ١٧.
(٥) أمثال ٢٤: ٩.
(٦) أمثال ٢١: ٤.
(٧) القس لبيب ميخائيل: صوت الاختبار ص٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦ بتصرف شديد، يقين الخلاص ص١١٨.

والخطيئة من الناحية الإيجابية ـ كما يقول عوض سمعان ـ ليست هى عمل الشر فحسب كما يظن كثير من الناس، بل إنها مجرد التفكير فيه، أو الميل إليه، أو التحدث به (فكر الحماقة خطيئة) و"من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه"[١] "وكل من يبغض أخاه فهو قاتل نفسه"[٢] "وكل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين"[٣] "ومن قال يا أحمق يستوجب نار جهنم[٤]" "ولا غرابة فى ذلك فهذه الاعمال تدل على انحراف نفس فاعلها عن كمال الله ـ وانحراف النفس عن كمال الله هو الخطية بعينها"

ومن الناحية السلبية ليست هى التقصير فى عمل الخير فحسب كما يظن كثير من الناس، بل إنها أيضًا الانشغال بأمور الدنيا عن الصلة بالله وتنفيذ مشيئته فى هذه الحياة كما قال "فمن يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فذلك خطية له"[٥].

وقال أيضًا إن محبة العالم ـ أو بالأحرى الانصراف إليه ـ عداوة لله"[٦] وإن "الأشرار يرجعون إلى الهاوية كل الأمم الناسين الله"[٧] ولا غرابة فى ذلك، فالله ليس فقط صالحًا ويطلب الصلاح، بل أيضًا خالقنا وصاحب الفضل علينا. ومن الواجب أن يكون له المقام الأول فى حياتنا[٨].

أقسام الخطية:

والخطيئة فى نظر المسيحية نوعان[٩]:

---

(١) متى ٥ : ٢٨.

(٢) ١ ـ يوحنا ٣: ١٥.

(٣) متى ١٢ : ٣٦.

(٤) متى ٥ : ٢٢.

(٥) يعقوب ٤ : ١٧.

(٦) يعقوب ٤ : ٤.

(٧) مزمور ٩ : ١٧.

(٨) عوض سمعان : طريق الخلاص ص٩ ـ ١٠.

(٩) هذا التقسيم هو السائد بين المسيحيين. ولكن هناك بعض المسيحيين الذين يقسمون الخطيئة إلى ثلاثة أنواع: ١ ـ خطيئة آدم الأولى ٢ ـ فقدان البر الأصلى ٣ ـ المخالفات الفعلية. (شرح أصول الإيمان ص١١٨) وذلك على اعتبار أن فقدان البر الأصلى مرحلة أخرى بعد خطيئة آدم.

أصلية: وهى التى يولد الإنسان بها

وفعلية: وهى التى يرتكبها الفرد.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى" وهى ـ أى الخطية ـ نوعان:

أصلية، وفعلية، أى مالنا بالوراثة، ومالنا بأعمالنا الاختيارية. الأمر الجوهرى فيها هو نسبتها إلى شريعة الله، أى أنها مخالفة لها أو عدم الامتثال لها. وهى تتضمن الفساد والجرم، أى تستحق الدينونة أمام قداسة الله وأمام عدله أيضًا[1].

فالأصلية لا تعنى ـ فى نظرهم ـ أن الإنسان الأول خلق بها (فقد خلق الإنسان الأول بريئًا، ثم دخلت الخطية إلى حياته وفكره عن طريق خطية آدم وحواء، ومن ثم سيطرت على الجنس البشرى كله) كما هو مكتوب: إنه ليس بار ولا واحد، ليس من يفهم. ليس من يطلب الله الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صالحًا ليس ولا واحد[2] ويقولون وصف داود حالته بسبب الخطية الأصلية قائلا: (هأنذا بالإثم صورت، وبالخطية حبلت بى أمى)[3] انتقلت الخطية إلى الجنس البشرى بأسره لكنها لم تخلق فى الإنسان الأول قبل السقوط[4].

يتبين لنا مما سبق أن المسيحين يميزون بين مرحلتين:

المرحلة الأولى: وهى قبل السقوط، وفيها الإنسان بدون خطية.

المرحلة الثانية: وهى ما بعد السقوط، وفى هذه المرحلة دخلت الخطية إلى العالم نتيجة لخطأ آدم وحواء، ثم انتقلت الخطيئة إلى الجنس البشرى كله، فأصبحوا يولدون بخطية أصلية أى سابقة عليهم وأصيلة فيهم.

ولذلك فللخطيئة الأصلية تعريف لدى المسيحيين:

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٨١٩.

(٢) رومية ٣: ١٠ ـ ١٢.

(٣) مزمور ٥١: ٥

(٤) القس صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٢٢.

ففى علم اللاهوت النظامى أن التعريف السلبى هو أن الخطية الأصلية (أى فساد الطبيعة المأخوذ من آدم) ليست:

١ ـ فساد ذات النفس أو جوهرها، فإن جوهر النفس لا يتغير بالسقوط ولا قبل الولادة الثانية ولا بعدها، بل تتغير أميالها وأحوالها، ففسادها الأصلى لا يمس جوهرها، بل أخلاقها وطبائعها وميل الإرادة فيها، لأنها انحرفت عن الصلاح وحادت عن الحق.

٢ ـ ولا عنصرًا مدخلاً إليها ممزوجًا بها كما يمزج السم بالخمر.

٣ ـ ولا فقد شىء من القوى لأنها لا تزال حائزة جميع قواها.

وأما التعريف الإيجابى فهو أن الخطية الأصلية:

١ ـ فساد عام فى أحوال كل قوى النفس، غير أنه لا يمس جوهرها بل أميالها فقط. وهذا يتضمن القضايا الآتية وهى: خلوها من البر الأصلى، وفساد طبيعة الإنسان الأدبية، فسادًا تامًا يشمل الحيدان عن الله، وعن كل خير روحى، والميل إلى كل شر، وأن كل ذلك يحسب خطية بالطبع لا محالة.

٢ ـ أن الخطية غير منفكة عن قلوب البشر حتى المتجددين، بل تحفظ فيهم إلى درجات مختلفة سجيتها الشريرة.

٣ ـ أنها "تميت النفس روحيا فالإنسان الطبيعى أو غير المتجدد[(١)] عاجز كل العجز من لقاء ذاته عن كل عمل صالح لدى الله"[(٢)].

فالخطية الأصلية تعنى عند المسيحيين: الفساد الأصلى لكل أحوال وقوى النفس، بمعنى أن هذه القوى قد أصابها الفساد نتيجة للخطيئة الأولى، وهذا الفساد

---

(١) أى غير المؤمنين بالمسيح، لأنهم يعتبرون أن الذى آمن بالمسيح خلص، وكما قلنا سابقًا فإن من معانى الخلاص: التجديد.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص٦٧٣.

عبارة عن خلو النفس من البر الأصلى والمعرفة الأصلية والقداسة الأصلية تلك التى خلق الإنسان على صورة الله فيها. "والكتاب المقدس يعلم أن هذا الفساد الأصلى موروث أى أنه خاص بالطبيعة البشرية لا مكتسب من معاشرة الأشرار بعد الولادة"(١) أما لماذا يسمى المسيحيون هذه الحال الناقصة والفاسدة التى يولد عليها جميع البشر منذ السقوط بالخطية الأصلية؟ فإنهم يجيبون على ذلك بما يأتى:

١ ـ لأنها خطية بالطبع لا مجرد بلية أو حادثة محزنة.

٢ ـ لأنها صدرت عن آدم باعتبار كونه أصل جنسنا.

٣ ـ لأنها أصل جميع الخطايا الأخرى.

٤ ـ لأنها تمتاز طبعًا عن الخطايا الفعلية(٢).

أما الخطايا الفعلية فهى التى يفعلها المرء بعد ولادته، أى يكتسبها الفرد بعد ولادته. وهذه الخطايا تكون نتيجة للخطية الأصلية، أى نتيجة لحالة الفساد الذاتى لكل أحوال وقوى النفس.

يقول القس/ صموئيل حبيب (إن الخطية ليست مجرد الأعمال الخاطئة التى تصدر عن الإنسان، بل هى حالة الفساد التى فى الإنسان والتى بسببها تصدر الخطايا الأخرى(٣).

عامل السقوط فى الخطيئة فى التصور المسيحى:

إن قصة السقوط كما يرويها الكتاب المقدس يظهر فيها أن عامل السقوط هو الحية(٤).

الحية فى الكتاب المقدس: يفهم من عباراته أن الحية كانت قبل السقوط لها ملامح أخرى وصفات أخرى غير التى نراها بها الآن وذلك نتيجة لأن الله لعنها

---

(١) المرجع السابق ص٦٧٤.
(٢) المرجع السابق ص٦٧٢.
(٣) الخلاص فى مفهومة الكتابى والتطبيقى ص٢١.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٥٤..

لأنها هى التى قامت بعملية الإغواء لحواء وآدم، بل سخطها وجعلها تمشى على بطنها "فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابًا تأكلين"(١).

يفهم من هذه الفقرة أنها كانت قبل اللعنة بوصف آخر غير هذا الوصف.

يقول كلايد تارنر: أما كيف كان شكل الحية ومظهرها وميزاتها الخاصة قبل السقوط فهو على الراجح أمر غامض يصورها البعض مخلوقًا جميلاً يسير منتصبا لا زاحفًا على الأرض(٢).

والحية فى الكتاب المقدس بوجه عام: أحيل جميع حيوانات البرية(٣)، حيوان يزحف على بطنه(٤)، لها رأس وذنب(٥) لكن ليس لها أطراف، تسمى اسمًا شاملاً فى العبرية نحاش، وإذ تتلوى فى سيرها يكون فمها معرضًا للاحتكاك بالتراب الذى تلحسه(٦)، ولدغة بعض أنواعها تصب سمًا مميتًا فى الجرح(٧) وبعضها يمكن أن يرقى(٨).

والحية موجودة فى البرية وفى المناطق المأهولة، وعلى الطرق، وفى السياجات وعلى الصخور وفى الجدران(٩). أما الحيات المحرقة فهى التى أرسلها الرب على شعب إسرائيل فلدغتهم وسببت الموت. جاء فى سفر العدد (فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من بنى إسرائيل)(١٠).

---

(١) تكوين ٣: ١٤.
(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٥٤، ٥٥.
(٣) تكوين ٣: ١.
(٤) تكوين ٣: ١٤.
(٥) تكوين ٣: ١٥.
(٦) ميخا ٧: ١٧، تكوين ٣: ١٤.
(٧) عدد ٢١: ٦، مزمور ٥٨: ٤، أمثال ٢٣: ٣٢.
(٨) جامعة ١٠: ١١.
(٩) تكوين ٤٩: ١٧، أمثال ٣٠: ١٩، جامعة ١٠: ٨، عاموس ٥: ١٩.
(١٠) عدد ٢١: ٦.

أما الحية النحاسية: فهى شكل حية محرقة صنعها موسى وأقامها على عمود فى البرية - حسب ما جاء فى الكتاب المقدس - لكى ينظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم الحيات المحرقة. (فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع هنا الحيات، فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى أصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا)[١].

وفى السنين التالية بدأ العبرانيون يستخدمونها كصنم فحطمها حزقيا (وعمل - حزقيا - المستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل داود أبوه - هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها وَدَعَوْها - أى حزقيا - نُحُشْتان)[٢] أى قطعة نحاس فقط كما فى إحدى الترجمات[٣].

❖ وأما قصة إغواء الحية لحواء وآدم فإننا نترك المجال للكتاب المقدس لوصف هذا الإغواء حيث يقول (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتاه. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة العيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر)[٤].

---

(١) عدد ٢١ : ٧ - ٩.
(٢) ملوك ثانى ١٨ : ٣، ٤.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٣.
(٤) تكوين ٣ : ١ - ٧.

فالحية استخدمت أساليبها فى إغواء حواء، لكى تأكل من شجرة المعرفة، فأكلت حواء منها وأعطت آدم فأكل، فسقطا فى الخطيئة.

ووجهة النظر المسيحية الشائعة تشير إلى أن القوة الشيطانية استخدمت الحية لفعل الإغواء لحواء وآدم "فالشيطان أخفى روحه عن آدم وحواء فى حية"[١].

ويشرح (جرها ردوس فوس) الآراء التفسيرية لاتصال الحية بالروح الشريرة فيقول: هناك أكثر من رأى لتفسير ذلك: أما الرأى العصرى الذى يبغض الاعتراف بصحة الكتاب المقدس فهو يرى أن القصة كلها مجرد قطعة رمزية لم يقصد الكاتب منها وصف حادثة واحدة محدودة بل محاولات مستمرة للخطية للدخول إلى قلب الإنسان، وهكذا تكون الحية رمزًا أو مجازًا مثل بقية القصة.

وهذا الرأى يتنافى مع هدف القصة الواضح والتى تتحدث عن حية فعلية يقارن بينها وبين جميع الحيوانات التى خلقها الله، فإن كانت الحيوانات الأخرى حقيقية فلابد أن يكون الحية حية حقيقية وليست شيئًا آخر.

وفى تكوين ٣: ١٤ نجد العقاب ينطق به بعبارات تستلزم وجود حية حقيقية.

على أن البعض الآخر قد ذهب إلى أقصى الطرف المقابل وهو أنه لم يكن سوى حية والاقتباسات التى أشرنا إليها[٢] قد تتفق مع هذا الرأى أكثر مما مع الرأى الأول، ولكن مما لا يتفق مع تعليم الكتاب المقدس عن الحيوانات أن نرى حية ـ مجرد حية ـ تتكلم.

إن الكتاب يفرق بين الآدميين الذين لهم اللسان الناطق وبين العجماوات التى لا تستطيع البيان وليس هناك سوى استثناء واحد هو أتان بلعام[٣][٤].

---

(١) الأنباسا ويرس: الدر الثمين فى إيضاح الدين ص٣٣.

(٢) أى الاقتباسات من سفر التكوين الإصحاح الثالث (وهى اقتباسات خاصة بإغواء الحية لحواء وآدم وسقوطهما فى الخطيئة).

(٣) وكلام أتان بلعام وارد فى سفر العدد، ذلك أن بلعام ضرب أتانه ثلاث مرات (ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات فقال بلعام للأتان لأنك ازدريت بى لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك، فقالت الأتان لبلعام ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم هل تعودت أن أفعل بك هكذا قال: لا.. إلى آخرة) ٢٢: ٢٨ ـ ٣٠.

(٤) جرها ردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى، ترجمة د/ عزت زكى ص٥٩.

وهكذا يصور لنا هذا الكتاب المسيحى التفسيرات الخاصة بإغواء الحية لحواء، فيذكر أن هناك من ينكر صحة هذه القصة مفسرا إياها بأن الحية رمز أو مجاز، ثم يشير إلى عدم صحة هذا الرأى.

أما الرأى الثانى فيقول بصحة هذه القصة، غير أن الحية لم تكن سوى حية، أى أن أصحاب هذا الرأى ينكرون استخدام الشيطان للحية

وهو ينكر هذا الرأى أيضا

واعتراضه عليه ينحصر في أن خاصية الحيوانات عدم الكلام بلسان يفهمه الآدمي ويقول إن هذا تعليم الكتاب المقدس، ثم يأتي فيستثنى كلام الأتان لبلعام. ونحن بدورنا نقول: لماذا يستثنى كلام الأتان ولا يستثنى كلام الحية أيضًا؟ خاصة وأنه لادلالة صريحة أو غير صريحة في العهد القديم أن وراء ـ الحية روحًا شريرة قد تقمصت فيها: إن هذا تحكم لا أصل له.

وفي علم اللاهوت النظامي "جواب على مثل هذا فيقول:

أما كيف أمكن للحية أن تتكلم؟ فليس في كلام الحية من الصعوبة أكثر مما في سماع كلام مفهوم من سيناء أو لصوت من السماء عند معمودية المسيح، أو كلام أتان بلعام"(١).

والمراد بالكلام المفهوم من سيناء ما جاء في سفر الخروج من أن موسى كان يرعي الغنم في البرية "وجاء إلى جبل الله حوريب ـ أي جبل سيناء ـ وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأ نظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة، وقال موسى موسى. فقال هأنذا فقال لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة"(٢).

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٢.

(٢) خروج ٣: ١ ـ ٥.

والمراد بالصوت المسموع عند معمودية المسيح هو ما جاء في العهد الجديد من أن روح الله نازلة من السماء مثل الحمامة وهي تقول (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) (فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا بالسموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل الحمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)[١].

فليس كلام الحية بأصعب من الكلام الذي وقع لموسى من وسط عليقة والكلام أيضًا للمسيح من الروح التي هي مثل الحمامة.

وعليه فإن اعتراض (جرها ردوس فوس) على الرأى الثانى بحجة أن الحية لا تتكلم ولا تستطيع البيان غير مقبول للأدلة السابقة التى ذكرناها. ويبقى القول بأن الحية هى عامل الإغواء لا إبليس هو ما صرح به الكتاب المقدس عندهم.أما الرأي الذي يرتضيه (جرهاردوس) وأكثر المسيحيين فهو كما يقول: وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا الرأي التقليدي القديم الذي يسلم بوجود حية حقيقية وقوة شيطانية استخدمت هذه الحية مطية لتنفيذ مخططها، وليس هذا أمرًا مستحيلاً، وإننا لنجد في الأناجيل ما يماثل ذلك، حيث استخدم الشيطان الإنسان وتحدث بلسانه والحفريات الأثرية الحديثة قد أيدت صحة هذا الرأي القديم، لأنه في الرموز البابلية تبدو الحية ومن خلفها صورة شيطانية، وبالإضافة إلى ذلك فهناك شهادة الكتاب الواضحة عن وجود روح شرير وراء التجربة، صحيح أن العهد القديم لا يلقي ضوءا على هذا الموضوع، وذلك لسبب مزدوج فمن جانب أنه نادر ما يشار إلى حادث السقوط هناك، ومن الجانب الآخر أن موضوع الأرواح الشريرة بجملته و"الشيطان" و"المقاوم ظل خافيا"[٢].

وخلاصة أدلتهم على أن وراء الحية قوة شيطانية ما يلى:

---

(١) متى ٣: ١٦، ١٧، مرقس ١: ٩ ـ ١١، لوقا ٣: ٢١، ٢٢.
(٢) جرهاردوس: علم اللاهوت الكتابي ص٥٩، ٦٠.

١ ـ أن الأناجيل تشير إلى استخدام الشيطان للإنسان.

٢ ـ الحفريات الحديثة أكدت وجود الصور الشيطانية وراء الحية فى الرموز البابلية.

وفى النهاية يحاول الكاتب المسيحى أن يوجد مبررا لعدم ذكر ذلك فى العهد القديم.

وسوف نناقش ذلك كله فيما يأتى: ـ

إما قوله إن استخدام الشيطان للحية ليس مستحيلاً لأنه يماثل ما جاء في الإناجيل من أن الشيطان استخدم الإنسان وتحدث بلسانه فنحن نقول إن هذا ليس دليلاً على استخدام الشيطان للحية لأن المفارقة بين الأمرين بعيد: **أولاً**: أن الحية حيوان والحيوان لا يستطيع التحدث بينما الإنسان حيوان ناطق يستطيع التحدث.

ثانيًا: أن الإنسان أفضل مخلوقات الله، وأن الله ميزه عن المخلوقات كلها بآلة التمييز وهي العقل للتمييز بين الخير والشر، وذلك لأن طبيعته قابلة للخير والشر. فالله ميزه بالعقل التي هي آله التعقل والتمييز والإدراك حتى يميز بين ما هو خير له وبين ما هو شر له، والطبيعة الإنسانية لاشك أنها مكونة من ناحية روحية وناحية جسدية وكل منهما يحاول إشباع رغباته، فإذا غلبت الناحية الجسدية انحدر الإنسان إلى الناحية الشريرة التي تتمثل في إشباع الرغبات والشهوات والنزعات الجسدية، فإذا دخل الشيطان للإنسان من هذه الناحية فإنه لم يخلق في الإنسان طبيعة جديدة على طبيعته، لأن طبيعته قابلة للخير والشر، والإنسان يعمل الشر وهو يعلم أنه شر.

وذلك بخلاف الحيوانات التي ليس من طبيعتها التعقل والتمييز، بمعنى أنها ليست مكلفة فإن طبيعتها واحدة، وهي بذلك مسخرة للإنسان وحده.

وأما استدلاله على استخدام الشيطان للحية بأن الحفريات الأثرية الحديثة تؤيد ذلك الرأي عن طريق الرموز البابليـة التي تبدو الحية فيها ومن خلفها القوة الشيطانية.

فإننا نقول إنه دليل إدانة، لأن الأساطير البابلية كانت تملأ الجو الذي عاش فيه اليهود خلال السبى البابلي، وتأثرهم بهذه الفترة مسلم به لدى الباحثين إذ أنها كانت بمثابة التحضر لهم.

والثابت تاريخيًا أن اليهود ما كتبوا التوراة إلا بعد رجوعهم من السبى.

معى ذلك أنها كانت توجد في الأساطير البابلية قبل أن توجد بين اليهود ولا شك أن السابق يؤثر على اللاحق.

ويكفي من دليل على أن العهد القديم الذي هو أساس العقائد المسيحية ومصدرها لا يذكر شيئًا عن هذا الاستخدام.

أما ما ساقه الكاتب المسيحى من مبررات فلا تعتبر دلائل إنما هى أعذار لعدم ذكرها، وهذه الأعذار غير مقبولة، وهل تقبل أعذار لعدم ذكر عقيدة في المصدر الأساسي؟

فلا دليل من العهد القديم على أن الموسوس لحواء وآدم هو الشيطان وعمدة الدليل من العهد الجديد ما جاء فى سفر الرؤيا "فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي دخل العالم كله"[(١)].

وأيضًا "فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان"[(٢)].

وكما قلنا سابقًا فإن رؤيا يوحنا مشكوك في صحة نسبتها إلى يوحنا الرسول لذلك اختلف المسيحيون حول كاتبها[(٣)] هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الكنيسة

---

(١) رؤيا يوحنا ١٢ : ٩.

(٢) رؤيا يوحنا ٢٠ : ٢.

(٣) يقول د القس/ فهيم عزيز (هناك شبه اتفاق بين علماء الكتاب المقدس على أن كاتب الإنجيل لا يمكن أن يكون هو نفسه كاتب سفر الرؤيا وهذا الرأي ليس حديثًا ولكنه يرجع إلى أوريجانوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية الذي بنى ذلك على الاختلاف الواضح بينهما). (المدخل إلى العهد الجديد ص٥٧٥ ويقول ول ديورانت) (وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع ذلك أن سفر الرؤيا يهودي وأن الإنجيل فلسفة) قصة الحضارة جـ٣ من المجلد الثالث ص٢٧٤.

ترددت في قبول سفر الرؤيا لكي يكون من الكتب القانونية، فلم تعترف به في مجمع نيقية الذي حدد الكتب القانونية وإنما قبلته في مجمع لوديسا ٣٦٤م[١].

وبرغم أنه اعترف بقانونية هذا السفر إلا أن هناك من الكنائس من لم تعترف به إلا في وقت متأخر.

يقول القس/ فهيم عزيز: أما الكنيسة السريانية فلم تضعه من ضمن الكتب المقدسة إلا في القرن الثاني عشر الميلادي[٢].

وعموم القول فإننا ناقشنا هذه الفكرة لأن البحث العلمي يفرض نفسه علينا، ومع ذلك فإننا نسير مع البحث وننتقل بعد ذلك إلى بيان أنه إذا كان الشيطان هو سبب الإغواء فلابد من معرفة الشيطان في نظر المسيحية، وعداوته لآدم، وسبب عدواته.

الشـــيطان

واسم "الشيطان" بالألف واللام هو أشهر أسماء قوى الشر لأنه ورد في كتب الديانات الثلاث ودخل في تعبيرات اللغات الأوربية بلفظه المنقول عن اللغات السامية[٣].

وهذه الكلمة ترجمة الكلمة العبرية "شطن" ومعناها "مقاوم"[٤].

ولقد ورد الشيطان في الكتاب المقدس بأسماء عديدة مثل:

❖"رئيس سلطان الهواء" يقول بولس "وأنتم إذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية"[٥].

---

(١) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص١٥٤، علم اللاهوت النظامي ص٩٨.
(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص٦٤١.
(٣) العقاد: كتاب إبليس ص٣٢.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٣.
(٥) أفسس ٢: ١ ـ ٣.

❖ وأيضًا سمى "بليعال" يقول بولس "وأي اتفاق بين المسيح وبليعال"[١].

وبليعال: اسم عبري معناه "عديم الفائدة" أو "شرير". وهو اسم كان كتّاب الأسفار المقدسة يلقبون به كل من كان ذميمًا أو لئيما لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا"[٢].

❖ وأطلق عليه "رئيس هذا العالم" يقول يوحنا "أجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم، الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا"[٣].

يقول الأنبا ساويرس: وإن شك أحد أن رؤساء هذا الدهر ليسوا هم إبليس وجنوده، فإن الإنجيل المقدس يزيل شكه، لأنه في عدة مواضع يسمى إبليس رئيس هذا العالم، على أن بولس أيضًا يظهر لنا في رسائله في عدة مواضع أن رؤساء هذا الدهر هم الشياطين، لأنه يقول في رسالته إلى أهل أفسس (إنه من الآن يا أخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته، ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات)[٤] فهذا قول ظاهر أظهر لهم فيه أنهم رؤساء وولاة هذا العالم المظلم لأنهم ملكوه لما ملكوا على آدم وذريته بطاعتهم له[٥].

❖ وأطلق عليه القتال، والكذاب، وأبو الكذاب. يقول المسيح لليهود الفريسيين فيما ينقله يوحنا في إنجيله (أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنه يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب"[٦].

---

(١) ٢ كورنثوس ٦: ١٥.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١٨٩.
(٣) يوحنا ١٢: ٣٠، ٣١.
(٤) أفسس ٦: ١٠ ـ ١٢.
(٥) الأنباساويرس: الدر الثمين في إيضاح الدين ص٤٣.
(٦) يوحنا ٨: ٤٤.

❖ وأشهر أسماء "الشيطان الأكبر" "إبليس".

يقول د/ بطرس عبد الملك: أصل الاسم في اللغة اليونانية "ديابوس"، ومعناه "المشتكي زورا"، أو "الثالب"، والكلمة (ديابوس) في العهد الجديد باللغة اليونانية ترجمت في العربية في معظم الأماكن بكلمة "إبليس"، وفي مواضع قليلة ترجمت "بالشيطان" أو "الثالب" وهو "روح شرير" أو "شيطان"[١] يقول العقاد "يختلف اللغويون في أصله كما يختلفون في نسبة كلمة شيطان إلى إحدى اللغات السامية، والمتكلم العربي يفهم من وصف إنسان من الناس بإنه إبليس كل ما يريده القائل من هذه الصفة، فهي دالة في كلام الخاصة والعامة على الدس والفتنة والدهاء والسعي بالفساد.

ويرى بعض الغربيين أن الكلمة في أصلها يونانية من كلمة (ديابلوس) التي تفيد معنى الاعتراض والدخول بين شيئين كما تفيد معنى الوقيعة، وأصلها في اليونانية من "ديا" بمعنى "أثناء" و"بالين" بمعنى يقذف أو يلقى، ومعنى الكلمتين قريب من معنى الاعتراض والدخول بين الشيئين أو قريب من ثم إلى معنى الوقيعة[٢].

ثم يقول "وعندنا أن هذا التركيب أضعف من قول القائلين إن كلمة "ديفل" أي الشيطان في اللغات السكسونية مأخوذة من فعل الشر أي من كلمة "دو" بمعنى يفعل وكلمة "إيفل" بمعنى الشر"، وقد أجمع اللغويون والدينيون على نبذ هذا التركيب مع أنه أقرب إلى صفة الشيطان من الصفة التي توحي بها الكلمتان اليونانيتان بعد التمحل والاعتساف"[٣].

ولقد وردت الكلمة في الكتاب المقدس في مواضع كثيرة وهي تعني في أغلب الأحيان إلى أنه "روح شريرة" أو "شيطان" ففي إنجيل متى "ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس[٤]..... ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١٥.

(٢) إبليس ص٣٤.

(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٤) متى ٤ : ١.

جناح الهيكل[١].... ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جدًا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها[٢].... ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه"[٣] .

"وهذا هو المثل ، الزرع هو كلام الله والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا[٤]. "والعدو الذي زرعه هو إبليس"[٥].

وفي أعمال الرسل "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرًا ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس"[٦] وكلها تعني "الروح الشريرة" أو "الشيطان".

ويطلق على رؤساء الشياطين "بعلزبوب" : وهو اسم كنعاني.

وفي العهد الجديد جاء "بعزبول".

وأصل هذا الاسم "بعزبوب" فغير اليهود لفظه إلى "بعزبول" ومعناه "بعل الأقذار" لأنهم كانوا يحتقرون آلهة الوثنيين ويعتبرونهم كشياطين، وأما بعلزبوب ومعناه إله الذباب فكان إله عقرون[٧] ،والأرجح أنه كان إله الطب عندهم وهو أكبر جميع آلهتهم ، ولذلك دعى رئيس الشياطين ، وقد ظن البعض أنه بعل المساكين لأنه رئيس الأرواح النجسة التي تدخل بعض الناس وتسبب الجنون كالروح[٨] النجس الذي أخرجه يسوع من الإنسان المجنون حينما دعاه الفريسيون بعزبول رئيس الشياطين[٩].

---

(١) متى ٤ : ٨.
(٢) متى ٤ : ٥.
(٣) متى ٤ : ١١.
(٤) لوقا ٨ : ١١ ، ١٢.
(٥) متى ١٣ : ٣٩.
(٦) أعمال ١٠ : ٣٨.
(٧) ملوك ثاني ١ : ١ ، ٢ (وسقط أخزيا من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض....).
(٨) متى ١٢ : ٢٤.
(٩) قاموس الكتاب المقدس ص١٨٣.

ولقد ورد لفظ "بعلزبول" في العهد الجديد كرئيس للشياطين بلسان الفريسيين ففي إنجيل متى: "إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته"[١] وأيضًا "أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين"[٢].

وفي إنجيل مرقس "وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقال إنه معه بعلزبول وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين"[٣].

وفي إنجيل لوقا "وأما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين"[٤].

وبعد

فلقد أطلق على قوى الشر والأرواح الشريرة أسماء ومعاني كثيرة ولعل أشهرها هو كلمة "الشيطان" الذي هو ـ كما يقول القس صموئيل حبيب ـ كائن حقيقي وهو أعلى شأنا من الإنسان ورئيس رتبة من الأرواح النجسة[٥].

ولا يفوتنا أن نقول: إن قوله عن الشيطان إنه أعلى شأنا من الإنسان قول لا يتناسب مع الصورة الحقيقية للإنسان التي رسمها الكتاب المقدس" فقال الله نعمل الإنسان على صورتنا وشبهنا..."[٦].

وكذلك أيضًا لا يتناسب مع قول يوحنا (من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ)[٧] وواضح من هذه الفقرة أن الذي يرتكب الخطيئة من الإنسان ينحدر إلى مرتبة أقل وهي مرتبة إبليس، فالإنسان بطبيعته أعلى في المرتبة والدرجة من الشيطان.

---

(١) متى ١٠ : ٢٥.
(٢) متى ١٢ : ٢٤.
(٣) مرقس ٣: ٢٢.
(٤) لوقا ١١ : ١٥.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٣.
(٦) تكوين ١ : ٢٦.
(٧) ١ ـ يوحنا ٣ : ٨.

طبيعة الشيطان وصفته

يعتقد المسيحيون أن طبيعة الشيطان روحية "وهو ملاك سقط بسبب الكبرياء، ورغم ذلك فهو يمتاز بكل امتيازات هذه الرتبة من الكائنات سواء كانت عقلية كالإدراك والذاكرة والتمييز، أو حسية كالعواطف والشهوات، أو إرادية كالاختيار، وهو خبيث، فإنه قائد العصاة على الله، يعمل ضد البر والقداسة، ومملوء بالكبرياء والمكر والقساوة، حالته تنطبق على صفاته فلكونه عدو الله وهو مطرود من وجهه، ومحبوس مع رفقائه في موضع العذاب، حيث يعاقب على العواطف النجسة التي فيه، والأعمال الخبيثة الناتجة عنها، غير أن طرده إلى عالم الظلمة لا يمنع اشتغاله في الأرض كإله هذا العالم وعدو الإنسان اللدود"[(١)].

يقول الأنبا ساويرس: أول ما خلق الله السماء والأرض قبل أن يخلق أحدًا على الأرض خلق الملائكة في السماء أرواحًا بغير أجسام، خلقهم فرقًا فرقًا، ولكل فرقة طبقة، أعني مرتبة يسكن فيها، ولكل مرتبة مقدم، فكان مقدم الفرقة في الطبقة التي هي أعلا جميع المراتب ملاك اسمه "سلطانائيل" والملائكة، لأنهم يعيشون بتسبيح الله وتقديسه كما تعيش الأجسام بالطعام، فساعة أن خلقهم الله سبحوه جميعهم وقدسوه بالطبع، فلما نظر سلطانائيل علو مرتبته استكبر نفسه وظن أنه مثل الله فلم يسبحه ولم يقدسه، ومنع جميع العساكر الذين في مرتبته عن التسبيح، فأسقطهم الله معه جميعًا إلى الأرض وصاروا شياطين[(٢)].

ويزيد ذلك وضوحًا فيقول "بعد أن خلق الله السماء والأرض خلق الملائكة بروح قدسه[(٣)] خلقهم من النور روحانيين بغير أجسام[(٤)] خلق الملائكة صفوفًا صفوفًا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤. راجع أيضاً: ١ ـ بطرس ٥ : ٨، ٢ بطرس ٢ : ١١، رسالة يهوذا :٦، ٢ ـ كورنثوس ٢ : ١١.

(٢) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٣٢.

(٣) وذلك إشارة إلى ما جاء في مزمور ٣٣ : ٦ من أن السموات والأرض خلقت بكلمة الله والملائكة خلقت بروح قدسه بكلمة الله قامت السموات وجميع أجنادها بروح فمه) وفي الترجمة الحديثة (وبنسمة فيه كل جنودها).

(٤) مزمور ١٠٤ : ٤ (الصانع ملائكته رياحًا وخدامه نارا ملتهبة).

ولكل صف منزلة في السماء العليا التي هي أول خلقه على قدر مرتبته أعني مرتبة العساكر ولكل صف مقدم، وعدد الصفوف مائة كما يشهد بذلك يسوع المسيح في الإنجيل المقدس عن المائة خروف (متى ١٨ : ١٢)[١] لأن الناس لا يعرفون من الملائكة إلا تسع صفوف التي سمتها الأنبياء وهم: الملائكة، ورؤساء الملائكة، والرؤساء، والسلاطين، والكراسي، والأرباب، والقوات، والكاروبيم والسارافين، وأما رب الأنبياء وخالق الملائكة فقد ذكر أنهم مائة صف والناس لا يعرفون غير تسعة والعاشرة فقط هي التي سقطت.

فلما خلق الملائكة في بدء خلقه النور في أول الأيام الذي هو يوم الأحد سبحوه للوقت جميعهم وقد سوه لأنه لتسبيحه وتقديسه خلقهم ولا حياة لهم ولا نعيم روحانيين إلا بهما وبدونهما لا يتنعمون نعيمًا مؤبدًا ويحيون حياة مؤبدة مع الإله الدائم المؤبد كما يعيش الجسدانيون في الدنيا ويتنعمون بالأطعمة الفانية لحياة فانية ونعيم فان. فكان مقدم المرتبة العليا في المنزلة التي فوق جميع المنازل سلطانائيل وهو كان المقدم للمنزلة التي فوق المائة منزلة لأن المنازل مائة كما قد ذكرت وكما قال يسوع (إن المنازل في بيت أبي كثيرة)[٢] وذلك يحقق تفسير المائة خروف، فلما سبح جميع العساكر وقدسوا خالقهم نظر سلطانائيل مقدم المنزلة العليا أنه فوق الجميع فاستكبرت نفسه ولم يسبح خالقه ولم يمجده مثلهم بل شبه نفسه به فى قلبه ومنع جميع الذين معه في منزلته من التسبيح والتقديس فأطاعوه وللوقت أسقطه الله وإياهم جميعهم من أجل طاعتهم له فيما لا يرضي الله خالقهم[٣].

يقول إشعياء (كيف سقطت من السماء يا زُهَرة بنت الصبح، كيف قُطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم، وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق

(١) يريد بذلك ما ورد في متى ١٨ : ١٢ "ماذا تظنون إن كان لإنسان مئة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال" وهي لا تدل على مقصوده كما سيظهر.

(٢) يوحنا ١٤ : ٢.

(٣) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٤٥ ـ ٤٦.

كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال، أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلى، ولكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب)(١).

ويقول القس/ منسي يوحنا (سقط الشيطان من رتبته باختياره وحريته وتحولت فيه قوات الخير إلى قوات الشر)(٢).

ويقول العقاد (وإنما ـ أي الشيطان ـ كان في الكتب العبرية أو اليهودية واحدًا من الملائكة المغضوب عليهم أو واحدًا من الأرواح المتمردة)(٣).

يقول كلايد تارنر "أما من أين جاء هذا العدد الضخم من الأرواح الشريرة فإن ما نعرفه عنه لا يعدو النزر القليل من الفقرات الواردة في الكتاب المقدس التي تذكر شيئًا عن هذه الأرواح نستنتج منها أنها كائنات مخلوقة كانت في يوم بلا خطية وتحت قيادة الشيطان عصوا الله فطردهم من حضرته.

يقول الكتاب المقدس عنهم (الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم"(٤) وبطرس يقول "لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء"(٥).

وقال يسوع لرسله "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء"(٦).

أما سبب سقوط الشيطان وملائكته فغير مذكور ويبين بولس أنه الكبرياء "لئلا يتصلف(٧) فيسقط في دينونة إبليس" وهكذا(٨) أصبح الشيطان عدو الله وقد قاد أنصاره لمحاربة الله بكل طريقة ممكنة(٩).

---

(١) إشعياء ١٤: ١٢ ـ ١٥.

(٢) حياة آدم ص٦٦.

(٣) إبليس ص٩٠.

(٤) رسالة يهوذا فقرة رقم ٦.

(٥) ٢ بطرس ٢: ٤.

(٦) لوقا ١٠: ١٨.

(٧) صلف الشيء صلفًا: قل خيره يقال: صلف النبات: قل ريعه، وصلف الطعام: قل غذاؤه وصلف السحاب: قل مطره وكثر رعده.. وصلف فلان: لم يحظ عند الناس وأبغضوه فهو صلف وهي صلفة (المعجم الوسيط جـ١ ص٥٢٠).

(٨) ١ـ تيموثاوس ٣: ٦.

(٩) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٥.

فالشيطان في نظرهم ـ له طبيعة روحية وهي طبيعة الملائكة ولكنه سقط من رتبته وانحدر من منزلته بسبب الكبرياء، ثم أخذ يعمل فكره على أن يفسد على الإنسان حياته (ففكره مشتغل على الدوام بالمقاصد والأعمال التي مآلها قلب مقاصد الله وأعماله وهو في ذلك كسائر الملائكة جسور مغامر، أما عمله بين الناس منذ البدء فهو الغدر والمخاصمة والظلم والقساوة وهو بشخصه أو بواسطة ملائكته يجرب الناس للخطيئة أو يصدهم عن القداسة ويشتكي عليهم بالخطيئة والضعف وعدم الثبات نحو بعضهم ونحو الله ويعرضهم للشقاوة الحالية والمستقبلة)[١] وهو قادر على التشكل بأشكال حسنة يقول بولس (ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكلهم إلى شبه ملاك نور فليس عظيمًا إن كان خدامه يغيرون شكلهم كخدام للبر)[٢].

❖ ويتضح من نصوص الكتاب المقدس أن لإبليس سلطانًا على العالم، ويظهر ذلك من التجارب التي امتحن بها إبليس السيد المسيح في البرية، فإبليس من خلال هذه التجارب يحاول إغواءه بما يملكه من العروض والمغريات، ولقد وردت هذه القصة في الأناجيل الثلاثة (متى، مرقس، لوقا). وهي كما جاءت في إنجيل "متى" (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب أن يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع مكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤.

(٢) ٢ كورنثوس ١١ : ١٤ ، ١٥.

وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)[١].

"وهذه القصة أوفى ما جاء في الأناجيل عن سلطان إبليس على ممالك العالم"[٢].

وسلطان إبليس أو الشيطان على العالم يظهر أيضًا من إطلاق الأناجيل عليه أنه رئيس هذا العالم بل لقد أطلق المسيح على الشيطان رئيس هذا العالم. فيروي إنجيل يوحنا إن السيد المسيح قال لتلاميذه ليلة وداعهم "الآن دينونة هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا، وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع"[٣] ويقول يوحنا فيما يرويه عن المسيح (إن أبي أعظم مني، وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء)[٤].

وكذلك ورد على لسان المسيح (وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين)[٥].

❖ وسلطان إبليس على العالم يظهر من تعليلات الإنجيل لحالات المرض التي قد تصيب الإنسان. يقول د/ بطرس عبد الملك (ولإبليس قوة على إعطاء الأرواح النجسة سلطة على البشر)[٦] يقول لوقا في سفر الأعمال "يسوع الذي من الناصرة

---

(١) متى ٤ : ١ ـ ١١.

(٢) إبليس ص٨٧.

(٣) يوحنا ١٢ : ٣١ ، ٣٢.

(٤) يوحنا ١٤ : ٢٨ ـ ٣٠.

(٥) يوحنا ١٦ : ٥ ـ ١١.

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص١٦.

كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرًا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه"[١] ولهذا فقد أطلقت الأناجيل على حالات المرض أنها أرواح شريرة وأن هذه الأرواح الشريرة إنما هي شياطين.

يقول مرقس (وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب. فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه)[٢] فكلمة "أخرج شياطين" بمعنى أنه أخرج الأرواح الشريرة التي تسببت في الأمراض، فكانت النتيجة أن شفى الكثيرون.

ويقول لوقا (وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس)[٣].

يعتقد المسيحيون أن هذه الأرواح الشريرة هي رسل مرسلة من قبل الشيطان وتحت أمره وسلطانه، وهذه الأرواح تدخل في الناس والبهائم فتحدث فيهم أعراض الجنون والصرع والعمى.

يقول القس/ صموئيل حبيب "وكان دخول الشياطين في الناس أمرًا حقيقيًا ظهر على هيئة أمراض جسدية وعقلية وذلك مثل الخرس والعمى والصرع"[٤].

ومن الأمثلة على ذلك مما جاء في الأناجيل قول "متى" عن إنسان أخرس أخرج المسيح الشيطان منه فتكلم (وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس. فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين)[٥].

---

(١) أعمال ١٠ : ٣٨.

(٢) مرقس ١ : ٣٣ ، ٣٤.

(٣) لوقا ٤ : ٣٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤ ، ٥٣٥.

(٥) متى ٩ : ٣٢ ـ ٣٤، وعن أمثلة أخرى فى الأناجيل لحالات الجنون، والعمى، والصرع ، وشفاء المسيح لهم عن طريق إخراج الشياطين والأوراح الشريرة، راجع متى ١٢ : ٢٢ ـ ٢٩ ، وفى ٩ : ١٤ ـ ٢٨ ، متى٨ : ٢٨ـ ٣٤.

يستدل المسيحيون بهذه النصوص وغيرها على مدى سيطرة الشيطان على العالم من خلال تسلطه بأرواحه الشريرة على الناس.

❖ أما أعوان الشيطان في هذه التجارب فهم عصبة الأرواح الساقطة الذين شاركوه في العصيان الأول ويعملون معه لمخالفة إرادة الله وضرر أولاده الأبرياء(١).

يقول بولس للقديسين في أفسس "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"(٢).

ويقول بولس "فإني إن أردت أن أفتخر لا أكون غبيا لأني أقول الحق. ولكني أتحاشى لئلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني. ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع"(٣).

فللشيطان ـ كما قال بولس ـ ملائكة وهم أعوانه وشركائه في إغواء الناس إلى الشر.

❖ وقد سمى المتأصلون في الشر والكذب والقتل أولاد إبليس.

يقول السيد المسيح لليهود فيما ترويه الأناجيل المسيحية (لماذا لا تفهمون كلامي. لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنه يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب)(٤).

ويقول يوحنا (أيها الأولاد لا يضلكم أحد. من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهو من إبليس....)(٥).

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤.

(٢) أفسس ٦ : ١١ ، ١٢.

(٣) ٢ كورنثوس ١٢ : ٦ ، ٧.

(٤) يوحنا ٨ : ٤٣ ، ٤٤.

(٥) ١ يوحنا ٣ : ٧، ٨.

ويقول القس/ صموئيل حبيب (ويظهر أن الشيطان بسماح من الله اكتسب بعض السلطان على عناصر العالم الهيولية، وهو يستخدمها لمقاصده الخبيثة، علمًا بأنه ذكي يعرف صفات الإنسان وطباعه وأمياله، ويستخدمها للإيقاع في الخطيئة، ومن يتشرب بتلك صار وكيلاً للشيطان في التغرير بالآخرين، وإسقاطهم في مهاوي الشر والرذيلة، فمن يصير لهم هذا المشرب وتلك الطباع يلقبون بأبناء الشيطان)(١).

ويدل على هذا المعنى ما ورد عن السيد المسيح - فى الأناجيل - من أنه سمى يهوذا الذي أسلمه "شيطان": ففي إنجيل يوحنا (أجابهم يسوع أليس أني أنا اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان، قال عن يهوذا سمعان الأسخربوطي لأن هذا كان مزمعًا أن يسلمه وهو واحد من الاثنى عشر)(٢).

فلقد سمى يهوذا شيطانا لأنه يعمل بأعمال الشيطان.

ولا ننسى في تعليقنا على الفقرة الأخيرة إن نقول إن تسمية يهوذا "بشيطان" يتناقض مع ما وعده به المسيح فإن المسيح وعد الاثنى عشر تلميذا بالنعيم المقيم ووعدهم بكرسي المجد (فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)(٣) فإن هذا وعد وذاك وعيد وفرق كبير بينهما.

❖ أما نهاية الشيطان: فإنه - كما يعتقدون المسيحيون - سيقبض عليه ويقيد بالسلسلة ويطرح في الهاوية ويختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد، وفي النهاية يطرح في بحيرة من النار والكبريت ويعذب نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين.

يقول يوحنا في رؤياه (ورأيت ملاكًا نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده، فقبض علي التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤.
(٢) يوحنا ٦ : ٧٠ ، ٧١.
(٣) متى ١٩ : ٢٨.

ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يُحل زمانًا يسيرًا)[١].

ثم يقول (ثم متى تمت الألف سنة يُحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين)[٢].

ويحكي "متى" ما سيحدث يوم القيامة حين يجلس السيد المسيح على كرسي الدينونة "ثم يقول للذين عن اليسار اذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته"[٣].

هذا هو إبليس أو الشيطان بداية ونهاية أوردناه مختصرًا حتى يكتمل البحث.

عداوة الشيطان لآدم وأسبابها فى التصور المسيحى

إن الشيطان أكبر عدو لله وذلك نتيجة لخطيئته التي ذكرها بولس وهي الكبرياء وقد عمل الشيطان على أن يوقع الإنسان أيضًا في عصيان الله، لذلك عندما خلق الله الإنسان بدأ الشيطان ـ وذلك على حسب أن وراء الحية قوة شيطانية ـ يسعى ليجلب عليه الخراب والدمار عن طريق إيقاعه في المعصية. وحيث إن الشر قد صار طبعًا له فأراد أن يستخدم هذه القوة الشريرة ليفسد طبع آدم الحسن"[٤].

---

(١) رؤيا يوحنا ٢٠ : ١ ـ ٣.

(٢) رؤيا يوحنا ٢٠ : ٧ ـ ١٠.

(٣) متى ٢٥ : ٤٢، ٤١.

(٤) القس منسي يوحنا : حياة آدم ص٦٦.

يقول كلايد تارنر: اقتاد الشيطان الرجل والمرأة الأولين إلى الخطية ليس لأنه مهتم بخلاصهما أو عدمه ولكن لأن همه الاول كان مقصورًا على أنه بواسطة خطيتهما يستطيع أن يطعن الله وهذا هو مقصوده الأول من وراء كل خطية.

لا يهم الشيطان مبدئيًا أن نخلص أو نهلك ولكن همه الأعظم والأوحد أن يقودنا إلى الخطية فيستطيع من جراء ذلك أن يستخدمنا في حربه ضد الله وهذا ما تعنيه الخطية، إننا بها نضع أنفسنا في يد الشيطان فيستعملنا واسطة لطعنة يوجهها إلى قلب الله[١].

فالقول السابق يوحي بأن السبب الأساسي الذي يجعل الشيطان يوقع الإنسان في الخطيئة هو أن يطعن الله، وهذا القول يقبل لو أن خطيئة الإنسان تنقص من ملك الله شيئًا، أما وأن الطاعة لا تزيد في ملك الله شيئًا وأن المعصية لا تنقص من ملك الله شيئًا فإن هذا القول لا يقبل.

ولو كانت خطيئة الإنسان طعناً لله لما قبل الله توبته إذا رجع إليه، بل يطرده من رحمته كما طرد إبليس وعصابته.

ولكن الأمر غير ذلك والشاهد ما جاء فى الكتاب المقدس (توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم[٢]) فإن المعنى أن الإنسان إذا تاب ورجع إلى الله قبل الله توبته ومحا خطيئته.

وعليه فإن ما ذكره الكاتب المسيحى غير مقبول لما ذكرنا.

وهناك سبب آخر لعداوة الشيطان للإنسان أورده "الأنباساويرس" فقال:

"فلما نظرهما إبليس ـ أي بعد دخولهما الجنة ـ وعلم أنهما لمرتبته خلقا حسدهما[٣] عليها، فقال في نفسه أنا استكبرت وتشبهت بالله فأسقطني بعدله ومتى

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٠.

(٢) أعمال الرسل ٣: ١٩.

(٣) سفر الحكمة ٢: ٢٤ (خلق الله الإنسان خالدًا على صورته في الطبيعة الكاملة ولكن بحسد الشيطان دخل الموت إلى العالم "وسفر الحكمة من الأسفار المحذوفة في الطبعات البروتستانتية.

استكبر هذان وتشبها بالله مثلي أسقطهما بعدله كما أسقطني بعدله أريد أن أحتال عليهما حتى يفعلا كفعلي اختيارًا لا اضطرارًا فيوجب المولى الذنب عليهما دوني ويسقطهما كما أسقطني ولوقته دبر عليهما حيلة حتى سقطا مثله باختيارهما بغير قهر"[١].

يقول القس/ منسي يوحنا: "ومن ثم لما أرى الشيطان الإنسان قائمًا سعيدًا في جنة عدن حسده وغار منه"[٢].

ومع كون هذا السبب "الحسد" مقبولاً من الناحية الطبيعية ذلك أن الذي كان في مرتبة كبيرة ثم انحدر إلى أسفل سافلين ثم نظر فوجد آخر يعتلي عرش منزلة مثل منزلته فإنه يجد نفسه ـ حتى ولو لم يكن شيطانًا ـ منساقًا لأن يحقد عليه ويحسده على ما فيه.

وبرغم هذا فإن دليله قد استقاه من سفر الحكمة وهو غير مسلم به لدى جميع الطوائف المسيحية لذلك نجد هذا السفر من الأسفار المحذوفة في الطبعات البروتستانتية.

وتعليقنا على الفقرة السابقة ينحصر حول قول الأنباساويرس (حتى سقطا مثله) نعم إن آدم وحواء عصيا ربهما ولكن ليس بمثل الشيطان حيث إن معصية الشيطان هي الاستكبار بينما معصية آدم الأكل من شجرة محرمة عن طريق إغواء الشيطان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سياق قصة معصية آدم ينقض قوله (حتى سقطا مثله) حيث إن آدم وحواء حين أخطآ كما يقول الكتاب المقدس (اختبآ من وجه الرب الإله في وسط الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت)[٣].

واليقين أنه ـ أي آدم ـ مادام يخشى الله ويخجل منه فإنه بعصيانه ليس مثل إبليس في عصيانه، فهذا استكبر، والاستكبار فيه معنى التبجح وصفاقة الوجه، بينما آدم

---

(١) الأنباساويرس: الدر الثمين في إيضاح الدين ص٣٣.

(٢) حياة آدم ص٦٦.

(٣) تكوين ٣: ٨ ـ ١٠.

خشى الله وخاف منه وخجل من لقائه فاختبأ، والخشية والخوف والخجل من الله ليس فيها ذرة من الاستكبار، بل فيها معنى الانكسار والندم والحزن.

وهناك أمر ثالث يدل على أن معصية آدم ليست كمعصية إبليس وهو ما فعله الله مع آدم وحواء بعد المعصية وما فعله مع إبليس بعد العصيان. نعم إن الله طرد آدم وحواء من الجنة ولكن صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما[١] فهذا يدل على عدم طردهما من رحمة الله وإلا لما صنع الله لهما الأقمصة. بينما هوى إبليس بعصيانه إلى أسفل السافلين بطرده من رحمة الله.



الأساليب التي استخدمها الشيطان من أجل إغواء آدم

ولما كان الشيطان يهدف إلى أن يوقع الإنسان في الخطيئة فإنه استخدم في سبيل ذلك جميع ما لديه من وسائل وأساليب.

ولقد عدد كتّاب المسيحية كثيرًا من هذا الأساليب نذكر منها ما يلي:

أولاً: إخفاء شخصيته:

يقول كلايد تارنر: إن للشيطان هيئات عديدة يتستر بها ويختبئ خلفها... إنه لا يقرب إنسانًا ليقول له "إنني شيطان" وبولس يقول إنه - أي الشيطان - يظهر أحيانًا كملاك. "ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور"[٢].

وكانت الهيئة التي اختبأ خلفها إبليس من أجل إغواء آدم وحواء هي الحية.

يقول الأنباساويرس (إنه أخفى روحه عنهما في حية)[٣] "إنه لا يأتي للإنسان وجهًا لوجه بل بواسطة فلم يذهب هو بنفسه إلى آدم وحواء ليغويهما بل استخدم الحية للغواية"[٤].

---

(١) تكوين ٣: ٢١.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٦٥.

(٣) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٣٣.

(٤) القس/ منسي يوحنا: حياة آدم ص٦٦.

أما لماذا خص الحية بالذات؟

وذلك لأن الحية ـ كما يقولون ـ أحيل جميع الحيوانات (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية)[١] أي أكثرها حيلة ولهذا وجد فيها الشيطان الإناء المناسب والواسطة الملائمة ذلك أنه لو ظهر الشيطان في صورته الحقيقية لما كان للخطية سحرها[٢] "ولما كانت الحية أكثر الحيوانات مكرًا وخداعًا اتخذها الشيطان أداة لتجربته"[٣].

وهناك تعليل آخر لاستخدام الشيطان الحية بالذات أورده "الأنباساويرس" وهو أن الحية هي الحيوان الوحيد الذي استطاع أن يدخل الجنة.

يقول الأنباساويرس (فأما الحية فإن السبب في دخولها إلى الفردوس هو أن الله لما أحضر إلى آدم جميع الحيوانات لم يكن في جميعها أحسن من الحية فتركها عندهما في الفردوس يتفرجان عليها وبذلك السبب وجد الشيطان فرصة ليطغيهما بها لأنه نظرهما كثيري الأنس إليها باللعب معها ولاسيما حواء[٤].

ويقف الإنسان أمام هذا القول متحيرًا...

هل الحية فعلاً أجمل الحيوانات؟ وإذا كانت أجمل الحيوانات في نظر آدم فإن عقيدتكم تبين أن آدم هذا كان ممثلاً للجنس البشري فلو كان آدم اختارها على أساس أنها أجمل الحيوانات لكان هذا واقعًا من نسله، ومادام ذلك لم يقع فإن في هذا القول بعض الشكوك.

ومن ناحية أخرى: فإن آدم وحواء هما اللذان اختارا الحية لتكون معهما ألا يكون اختيار آدم للحية من جميع الحيوانات لأن تبقى معهما في الجنة يجعلها أكثر وفاء لآدم وحواء منه لإبليس؟

---

(١) تكوين ٣ : ١.

(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٦١.

(٣) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص٣١ سنة ١٩٦٦.

(٤) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٥٠.

ولا أفهم كيف تكون الحيوانات كلها مسخرة بأمر الله للإنسان[١] ثم هي سلاح يسخره الشيطان ضد الإنسان. فهل هي مسخرة للشيطان أم للإنسان؟

إن جواب الكتاب المقدس أنها مسخرة للإنسان ومادامت مسخرة للإنسان فإن الإنسان هو الذي يستخدمها لا غيره. وكذلك فإن الحيوانات خلقها الله غير مكلفة بشيء وذلك في حدود دائرة التسخير للإنسان ـ فكيف لا يكلفها خالقها ثم يكلفها غيره وهو إبليس وهو غير خالق لها؟

ثم إن الحيوانات كلها طائعة بلسان حالها لله خالقها، مسبحة له ومقدسة، وقد ذكر ذلك الكتاب المقدس فى أكثر من موضع[٢].

ولو كانت الحيوانات ـ التى منها الحية ـ غير طائعة لله لأن الشيطان استخدمها لعصيان الله لما قال الله لنوح وقت الطوفان (ومن كل حى ومن كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى. من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها)[٣].

فإن الله أمر نوحا بأن يأخذ من الحية ومن جنسها الذكر والأنثى لاستبقائها، فكيف تستبقى مع أن إبليس اتخذها سلاحا ضد الإنسان من أجل معصية الله؟.

ثم إن المعجزة الأولى لموسى عليه السلام هى قلب العصا حية (فقال له الرب ما هذه فى يدك فقال عصا، فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها، فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده)[٤].

فكيف تكون الحية عامل إغواء استخدمه إبليس من أجل أن يعصى الإنسان ربه، والتى بسبب هذا الإغواء لعنها الله تعالى وقال لها (ملعونة أنت من جميع البهائم

---

(١) تكوين ١ : ٢٤ ـ ٣١..

(٢) راجع : مزمور ١٤٨ : ١٠ ـ ١٣، إشعياء ٤٣ : ٢٠، وراجع أيضا ما حدث من أتان بلعام فى سفر العدد ٢٢ : ٣١ ـ ٣٤.

(٣) تكوين ٦ : ١٩ ـ ٢١.

(٤) خروج ٤ : ٢ ـ ٤.

ومن جميع وحوش البرية)[١] ثم تكون هى - أى الحية - بعد ذلك عامل هداية مع موسى؟

ثانيًا: بذر الشك في محبة الله[٢]:

يصور المسيحيون استخدام الشيطان لهذه الوسيلة بما يلى:- يقولون إن طريقة التجربة تنقسم إلى مرحلتين وفي كليهما نجد أن الهدف الرئيسي للمجرب هو بذر الشك في عقل المرأة.

أما الشك في المرحلة الأولى فقد كان في ظاهره شكًا بريئًا يهدف إلى التشكيك في حقيقة الأمر ولكن تختبئ تحته إشارة خفية ماكرة إلى شك من نوع أخطر يتضمن عدم الثقة في كلمة الله ومفهومها الصريح الواضح.

وفي المرحلة الثانية من التجربة يخلع الشك قناع التنكر الذي يختفي وراءه ذلك لأن المرأة رحبت في المبدأ بالفكر الذي طرح عليها أولاً في خبث. وإذ بدأت في الخطوة الأولى أصبح من المنطقي أن تخطو مع المجرب الخطوة الثانية.

"في المرحلة الأولى يسأل العدو مجرد سؤال" أحقًا قال الله[٣]؟ هل النهي قد صدر حقيقة؟ ثم يضيف هذه العبارة الخبيثة (من كل شجر الجنة)[٤] بمعنى أنه إن كان قد صدر هذا النهي فلربما يكون الله قد ذهب فيه بعيدًا فجعله يشمل جميع أشجار الجنة وبهذا يحرم الإنسان من الاستفادة من ثمر جميع الأشجار.

أما المرحلة الثانية من التجربة والتي فيها يحاول إثارة الشك في قلب المرأة من ناحية عدم الثقة في كلمة الله فيقول (لن تموتا) أي يقينا لن تموتا، ويجب ملاحظة أنه في العبرية ترد أداة نفى في مطلع الجملة فلو كانت الجملة كما وردت في الترجمة الإنجليزية "إنكما بكل تأكيد لن تموتا" لكان هناك مجرد التشكيك في تنفيذ التهديد. ولكن ورود - الصيغة في العبرية بهذه الصورة غير المألوفة يجعلها تعني "ليس صحيحًا ما قاله الله لكما: إنكما موتا تموتا". وفي هذا يتجه بالتكذيب - بكل وضوح - إلى قول

---

(١) تكوين ٣: ١٤.
(٢) علم اللاهوت الكتابى ص ٦١، هده عقائدنا ص ٦٥، علم اللاهوت النطامى ص ٦٢٣.
(٣) تكوين ٣: ١.
(٤) تكوين ٣: ١.

الله نفسه، ولكي يؤكد الشيطان ما يدعيه عن كذب الله يتقدم بأسباب كاذبة تظهر أن الله كانت لديه دوافع خفية تجعل أقواله غير أهل للثقة فيقول: "إن الله بدافع الحسد والأنانية يكذب عليكما: الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"[١]، [٢] "فإن الشيطان ألمح إليها أن الله يمنع عنهما شيئًا لهما كل الحق فيه"، ثم هو يقول لهما "لن تموتا".

إن الشيطان لينال نصرًا كبيرًا إذا ما استطاع أن يشكك أحدًا في صدق كلمة الله، فالله يقول (النفس التي تخطئ هي تموت)[٣] والشيطان يقول: "لن تموتا" يقول الله "أجرة الخطية هى موت"[٤] والشيطان يقول: "لن تموتا"[٥].

أعتقد أن مثل هذه الأمور ـ الشك وعدم الثقة بالله وما ترتب عليهما ـ ما كانت تعتمل فى ذهن آدم وحواء، وأن الفقرات الواردة فى الكتاب المقدس المصورة لهذه الواقعة لا تدل على شئ من هذا.

ثالثًا: استخدام المرأة:

يقول الكتاب المقدس (فقالت الحية للمرأة...)[٦].

ويقول جرهاردوس فوس (وإننا لنجد المجرب يتجه بتجربته إلى المرأة، ليس لأن المرأة أضعف حيلة وأوهن حكمة وأكثر ميلاً للخطية، لأن هذا ليس مفهوم العهد القديم، ولكن ربما كان السبب أن المرأة لم تأخذ الوصية رأسًا من الله مثل آدم[٧] (وأوصى الرب الإله آدم...)[٨] معنى ذلك أن الوصية تختلف من آدم لحواء ذلك لأن آدم هو الذي تلقى الوصية من الله رأسًا. وحواء أخذت الوصية من آدم

---

(١) تكوين ٣: ٤.
(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٦١، ٦٢، ٦٣، بتصرف شديد.
(٣) حزقيال ٨: ٤.
(٤) رومية ٦: ٢٣.
(٥) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٦٦.
(٦) تكوين ٣: ١.
(٧) علم اللاهوت الكتابى ص ٦١.
(٨) تكوين ٢: ١٦، ٧١.

وهذا أدعى إلى أن تكون المرأة أقل تحملاً للوصية. ونحن نقول: إن هذا يصح لو كان الجزاء والعقاب الواقع على حواء بسبب الأكل من الشجرة أقل من العقاب الواقع على آدم ومادام ذلك لم يقع فهما متساويان في الوصية والخطية والعقاب.

"إن المجرب أولاً ـ كما يقول المسيحيون ـ حاول إغواء حواء بعدم الاتكال على جودة الله والريب في صدق النهي عن الأكل من تلك الشجرة وذلك بقوله لها" (أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة) ثم حاول صريحًا إبطال إيمانها وتشكيكها في الله بقوله: (لن تموتا) بل بالحرى "تكونان كالله عارفين الخير والشر"[١].

"وإننا لنجد تجاوب المرأة ـ كما يصورون ـ يتخذ مظهرين":

فنحن نجدها أولاً تجاه حقيقة وصية الله لا تنفي صدور النهي من جانب الله، وفي نفس الوقت تنفي كون هذا المنع يشمل كافة أشجار الجنة "فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل"[٢] ولكننا من نغمة حديثها نستطيع أن نتبين أنها بدأت ترحب بفكرة أن الله كان قاسيًا في وصيته، وهكذا بدأت تفرق في المبدأ بين حقوقها وحقوق الله، وفي عملها هذا فتحت قلبها ليبذر فيه العدو بذار الخطية. بل إننا نرى في قولها غير الدقيق "لا تأكلا منه ولا تمساه"[٣] تأكيدًا لهذه الحقيقة فبإضافة كلمة "لا تمساه" التي لم ترد في وصية الله تظهر المرأة روح الضيق والتذمر من قسوة الوصايا الإلهية[٤].

"وهكذا إذ أعدت حواء إعدادًا تامًا من الناحية الذهنية والقلبية لم يبق سوى إغرائها بمظهر الثمرة الذي يؤكد فوائدها الذي ذكرها عدو الخير لدفع حواء لارتكاب الخطية. فلم تكن مجرد حاسة التذوق هي التي دفعت بالمرأة إلى أن تمد يدها وتقطف منها لأن الدافع كان أكثر تعقيدًا" فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر[٥] لقد كان الدافع الرئيسي لهذا الفعل وهو نفسه

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٣.

(٢) تكوين ٣: ٢.

(٣) تكوين ٣: ٣.

(٤) علم اللاهوت الكتابي ص٦٢.

(٥) تكوين ٣: ٦.

ولو بصورة جزئية الدافع الذي أعطى التجربة قوتها[١] "فالشيطان حاول استمالة رغبة المرأة الطبيعية ثم عمل بواسطة المرأة ليصطاد الرجل[٢] وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل"[٣].

فالمرأة أخطأت ـ كما يقولون ـ وأكلت من ثمرة الشجرة المحرمة وأعطت الرجل فأكل معها.

فنتيجة لهذا أوقع الله عليهما العقوبة التي سنذكرها فيما بعد.

لذلك يقول د/ إبراهيم سعيد (إن حواء هي التي أغرت آدم بالأكل من ثمرة الشجرة فأكل)[٤].

تعقيب على ما سبق:

إن قصة السقوط فى الديانة المسيحية كما سبق أن بينا تتلخص في أن الحية أغوت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، ثم أغرت حواء آدم فأكل منها، هذا هو المعنى الذي يستفاد من رواية الكتاب المقدس لقصة السقوط وهو الرأي الذي ارتضاه البعض من المسيحيين. ولكن الأكثرية منهم فسروا قصة السقوط بأن وراء الحية قوة شيطانية تعمل من أجل أن يعصى آدم وحواء الله.

ولقد ناقشنا هاتين الفكرتين سابقًا من خلال الفقرات التي أوردها المسيحيون أنفسهم، وهنا تتسع دائرة المناقشة لنناقش فقرات المصدر الأساسي للقصة في الكتاب المقدس.

فى البداية يجب أن نذكر بما قررناه سابقا من أن قصة الخلق ـ بوجه عام ـ كما هى واردة فى سفر التكوين عليها كثير من الإشكالات، خاصة بعد أن بينا أن هناك روايتين بينهما من التناقض، وفيهما من الأخطاء والأغلاط ما يجعلنا نفقد الثقة فيما ورد فيهما.

---

(١) المصدر السابق ص٦٣.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٦٦.

(٣) تكوين ٣: ٦.

(٤) د/ إبراهيم سعيد ونخبة من اللاهوتيين: الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص٣١ سنة ١٩٦٦.

يضاف إلى ذلك أن الفقرات التى معنا هنا فى هذا الموضوع والتى نصور الأساليب التى استخدمها الشيطان لإغواء آدم عليها كثير من علامات الاستفهام وذلك على النحو التالى :ـ

كيف يحسن أن يقال "فقالت للمرأة : ليست موتًا تموتان ولكن الله يعلم أنكما يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"(١) أفكانت الحية التى هي من وحوش الأرض أعقل من آدم وحواء وأفهم منهما وأعلم بحقائق الأمور بمراد الله تعالى من آدم وحواء مع تمام علم آدم كما تقدم هذا في قوله (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها به وكل ما دعا آدم ذات نفس حية فهو اسمها)(٢).

فأين هذا من ذاك؟ فإن قيل : لعل الحية تكلمت بهذا عن جهل وادعاء للمعرفة؟ قلنا : تمام الكلام يؤكد أن هذا عن علم منها وجهل من آدم وحواء وهو قوله :

"فأخذت من ثمارها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان"(٣).

وأيضًا : فكيف يحسن أن يقال (وتكونان كالله تعلمان الخير والشر) أفكان آدم وحواء جاهلين لا يعلمان الخير والشر مع تمام علم آدم كما تقدم؟

ولو كانت الحية التي لم تأكل منها جاهلة بالخير والشر ـ وهذا كلامهما وهذا علمهما كما تقدم ـ فإن قيل : لعلها تكلمت بهذا لتعليم إبليس إياها أو لأن إبليس من بين أنيابها تكلم به. قلنا : هذان كلاهما خلاف ظاهر لفظ التوراة.

على أنا نقول: كيف يصح تكلم الحية وليست ناطقة؟ وكيف يحسن أن يقال "ورأت المرأة أن الشجرة طيبة المأكل"(٤) مع أنها لم تأكل منها إلى الآن ولم تعرف طعمها ولا أنها طيبة أم لا؟(٥) .

---

(١) تكوين ٣ : ٤ . ٥.
(٢) تكوين ٢ : ١٩.
(٣) تكوين ٣ : ٦ ، ٧.
(٤) تكوين ٣ : ٦.
(٥) على التوراة ص٣٢ ، ٣٣.

وإذا كانت الحية وحدها هي صاحبة الدور ـ كما هو ظاهر في سفر التكوين ـ فمازال علينا أن نواجه هذا السؤال: لماذا دبرت الحية تلك المكيدة للإنسان؟ وماذا كان هدفها من وراء حرمان الجنس البشري من المميزات الكبيرة التي كان الرب يعتزم أن يخلعها عليه؟ فهل كان تدخلها في هذا الأمر مجرد فضول؟ أم كانت تُكّن هدفًا أبعد من هذا؟ كل هذه الأسئلة لا يجيب عنها سفر التكوين أدنى إجابة: فالحية لم تغنم شيئًا من وراء تلك المكيدة بل إنها كانت على عكس هذا من الخاسرين إذ حلّت عليها اللعنة الإلهية وقضى عليها بأن تزحف على بطنها وأن تلعق التراب وربما لم تكن نياتها سيئة للغاية بل ربما كانت تقوم بعمل لا هدف وراءه كما يبدو من ظاهر القصة)(١).

والقصة توضح أن الحية أحيل جميع الحيوانات فلربما كان مكرها هو الذي جعلها تغوي الإنسان من أجل السقوط.

ولكن إذا كانت القصة تخبرنا بأنها كانت أشد ميلاً للخديعة من أي حيوان آخر فهل شاءت حقًا أن تدل على حكمتها بأن تطيح بآمال الإنسان دون أن تحقق لنفسها شيئًا منها؟ وربما ساورنا الشك ـ كما يقول جيمس فريزر ـ في أن الحية في القصة الأصلية قد أثبتت لنفسها مكانًا مرموقًا بأن استولت على البركة التي حرمت منها الجنس البشري إذ أنها في الواقع أكلت هي نفسها من شجرة الحياة فاكتسبت الخلود في الوقت الذي أغرت فيه الأبوين الأولين أن يأكلا من شجرة الفناء، ويبدو أننا لسنا مغالين في هذا الفرض فنحن نقرأ في حكايات بدائية ليست بالقليلة تحكي عن أصل الموت أن الحيات سعت في تدبير حيلة لتسخر من الإنسان أو لتلقي الروع في قلبه حتى تحتفظ لنفسها بالخلود الذي كان الإنسان معنياً به، فكثير من البدائيين يعتقدون أن الحيات وبعض أنواعها من الحيوان تجدد شبابها وتحيا إلى الأبد وذلك عن طريق تغيير لجلدها مرة في كل عام. ويبدو أن الشعوب السامية قد عرفت هذه العقيدة كذلك، فالحية ـ وفقًا لآراء الكتاب الفينيقيين القدماء ـ كانت أطول الحيوانات عمرًا

---

(١) جيمس فريزر: الفلكور في العهد القديم، ترجمة د/ نبيلة إبراهيم حـ١ ص١١٠.

لأنها كانت تجدد شبابها على الدوام عندما تغير جلدها، وإذا كان الفينيقيون قد اعتقدوا أن الحية معمرة وأن سبب هذا يرجع إلى تغيير جلدها فليس ببعيد أن جيرانهم وأقاربهم العبريين كانوا يعتقدون الاعتقاد نفسه)[١].

ثم يقول "والشيء الذي لا جدال فيه هو أن العبريين كانوا يعتقدون أن النسور تجدد شبابها عندما تغير ريشها، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يعتقدون بالمثل أن الحية كذلك يتجدد شبابها لتغيير جلدها؟ على أن فكرة خداع الحية للإنسان وسلبها منه الخلود عن طريق استيلائها على عشب الخلود الذي كانت الآلهة ـ كما يعتقدون ـ تقصد الاحتفاظ به للجنس البشري ـ تتمثل في الواقع في ملحمة جلجامش[٢] التي تعد معلمًا من المعالم الأدبية القديمة لدى الجنس السامي أكثر قدمًا من سفر التكوين"[٣].

"فالشعوب التي تربط فكرة خلود الجنس البشري بتغيير الحيات أو السحالي أو الخنافس أو ما أشبه ذلك لجلودها تنظر بطبيعة الحال إلى هذه الحيوانات بوصفها منافسًا بغيضًا سلبهم الإرث الذي شاء الإله أن يمنحهم إياه حقًا.. ومن ثم فإن هذه الشعوب تحكي حكايات تذكر فيها كيف أن هذه الكائنات الدنيئة قد دبرت مكيدة لكي تحرم الإنسان من هذا الحق الذي لا يقدر بثمن.

وهذا النوع من الحكايات ينتشر انتشارًا كبيرًا في أنحاء العالم وليس غريبًا أن نجدها منتشرة بين الشعوب السامية.

ويبدو أن قصة سقوط الإنسان التي تروي في الفصل الثالث من سفر التكوين ـ أي السفر الثالث ـ تعد رواية مختصرة لهذه الأسطورة البدائية فهي فى حاجة إلى قليل

---

(١) المصدر السابق ص١١٠ ـ ١١١.

(٢) وفى هذه الملحمة نقرأ كيف كان أو تنابيشتيم الإنسان المؤله أفشى للبطل جلجامش سر وجود نبات له مقدرة سحرية على إعادة الشباب إلى الإنسان يطلق عليه اسم (الرجل الكهل يعود شابًا) وكيف أن جلجامش اهتدى إلى هذا النبات وأصابه الزهو بأنه سيأكل منه ويسترجع شبابه الذي ولى، ثم كيف أن حية تسللت قبل أن يأكل جلجامش من هذا العشب وسرقت النبات السحري بينما كان جلجامش يستحم في المياه الباردة في أحد الينابيع. ثم كيف أن جلجامش بعد أن فقد الأمل في اكتساب الخلود جلس وبكى؟ المصدر السابق ص١١١.

(٣) المصدر السابق ص١١١.

من الإضافة حتى يكتمل تشابهها بمثيلاتها التى لا تزال القبائل البدائية تحكيها في بقاع كثيرة من العالم.

فالجزء المحذوف في الحكاية العبرية، وربما كان الجزء الوحيد، هو الذي يتمثل في سكوت القاص عن ذكر أكل الحية من فاكهة شجرة الحياة وما نتج عن ذلك من حصول هذا الحيوان الدنىء على الخلود، على أنه ليس من العسير علينا أن نفسر سبب وجود هذه الفجوة في الحكاية العبرية، فالاتجاه العقلاني الذي يبدو في ثنايا قصة الخلق العبرية ذلك الاتجاه الذي سلبها كثيرًا من الملامح التي تزين الرواية البابلية المطابقة لها أو تشوهها قد شكل عقبة في سبيل نسبة فكرة الخلود المزعومة إلى الحية. وقد استبعد مؤلف القصة في صنيعتها الأخيرة عاقبة الإساءة هذه من طريق المؤمنين عن طريق عملية بسيطة هي حذف هذه الحادثة كلية من القصة العبرية، ومع ذلك فإن هذه الفجوة الواسعة التي أحدثها الكاتب في القصة العبرية نتيجة تطفله لم تغب عن الدارسين الذين أخذوا يجيلون النظر في غير جدوى في الدور الذي كان يجب أن تلعبه الحية في القصة العبرية[1] ذلك لأن القصة في سفر التكوين ـ حذف منها الدور الذي كانت تلعبه في أساطير الساميين والبابليين.

على أن الحية في الديانات البدائية كانت رمزًا إلى الظلمة الذي يقابل النور.

ففي الديانة اليونانية: كان اليونانيون جميعًا يقدسون معبد دلفي في التلال الواقعة شمال خليج كورينثة وكانوا يحترمون نبؤة دلفي بقدر ما. وكانت دلفي مركز عبادة الإله "أبولو" الذي يرمز لقوتي النور والعقل وتروي ـ الأسطورة القديمة أنه قتل البيثون وهو الحية الأسطورية التي ترمز إلى الظلام وتخليدًا لهذا المعنى بني الناس معبدًا في دلفي[2].

والشاهد من هذا القول: أن الحية في أسطورة اليونان ترمز إلى الظلمة.

(١) المصدر السابق ص١٣٥ ، ١٣٦.

(٢) برتراند رسل: حكمة الغرب حـ١ ص٦٣ ـ ٦٥ سلسلة عالم المعرفة.

وكذلك أيضًا في الديانة المصرية: يقول أدولف أرمان: فإنه من الواجب أن يكون لإله الشمس الذي على شكل آدمي قارب يسبح فيه فوق سطح محيط السماء، وبالفعل كان له قارب جميل من الذهب طوله (٧٧٠) ذراعًا. قام ببنائه الآلهة أنفسهم، تشرف على تسييره النجوم وتصاحب الآلهة العظمى الشمس فيه "إنه الإله العظيم رب السماء" الذي يحكم العالم من قاربه هذا، ولا غرابة في ذلك فإنه إله الشمس وهو سيد الآلهة. واعتقد المصري أن هناك ثعبانًا يلتف حول قرص الشمس الذي يحمله الإله على رأسه. هذا الثعبان هو الخادم الخطر الذي يحرق أعداءه بأنفاسه النارية، وهو بعينه الثعبان الذي يزين جبين الملك الأرضي والذي يعرف باسم الصل[(١)] والذي اعتبر كرمز لأسمى ما وصلت إليه القوة. أما الأعداء الذي يقابلهم الإله أثناء رحلته فهي بطبيعة الحال ولكن "رع" يمزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد "وامتاز الثعبان" "أبوفيس" بإنه أشد أعداء الشمس قوة وخطرًا ومن أجل ذلك اعتبر رمزًا لكل مكروه ودنيء"[(٢)] فالثعابين في الديانة المصرية كانت ترمز إلى القوة ـ وهذه القوة ما تسمى بالقوة النارية ـ وإلى كل مكروه دنيء.

ولو جمع الرمزان في ثعبان واحد لتبين ما يرمز إليه هذا النوع من الحيوانات في ديانة مصر القديمة وهو رمز الظلمة التي كان لها من القوة، والتي تقف أمام قوة النور. بجانب ذلك فإن هذه القوة لا تفعل إلاكل مكروه دنئ.

فالحية في قصة الخليقة الواردة فى العهد القديم تشبه ما جاء في بعض أساطير العالم من حيث الدور الذي قامت به، ومن حيث الرمز إلى الشر وإلى الظلمة، فالشبه قائم، والدواعي متوافرة، حيث إن اليهود كما هو معروف اختلطوا بالأمم السامية في فترة السب البابلي، وكان لهذه الفترة تأثيرها الواضح عليهم. والأستاذ العقاد يبين أن العبرانيين تأثروا بالديانات القديمة في جعل الحية تقوم بالدور الذي

---

(١) صل الشيء صليلاً: أي صوت صوتًا ذا رنين، وقالوا: صل بيض الحديد: رن من مقارعة السيوف، والمسمار: أي صوت عند الدق. والإناء الفارغ: رن عند قرعه، والسِّقاء: أي يبس، واللحم صلولاً: أي تغير ونتن. والماء ونحوه: أجن. والصِّل: الحية من أخبث الحيات. وقالوا هو صل أصلال إذا كان داهية خبيثًا، "المعجم الوسيط حـ١ ص٥٢١".

(٢) أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة ص٢١ ترجمة د/ عبد المنعم أبو بكر، د/ محمد شكري.

قامت به في قصة الخليقة، ولكن هذا التأثر من نوع آخر وهو أن اليهود اعتقدوا أن الحية صاحبة الغواية تأثرًا بالأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية فيقول:

"ولم يكن الشيطان هو الذي أغوى حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، بل كانت الحية هي صاحبة الغواية هنا، جريا على سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية، وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز"(١).

ويقول "فقد كان الضرر والشر بمعنى واحد في العقائد البدائية، وكان الروح الضار كالحيوان الضار في مقاييس الأخلاق، أو مقاييس النعمة والبلاء، وكان من الجائز أن ـ تستقل الحية بالضرر دون أن يلقنها الشيطان غواية آدم، فهي حيوان ضار يؤذي ويخيف وكفى بذلك وصفًا للشرير في العقائد البدائية"(٢).

ويتبين ذلك من أن العبرانيين تأثروا بالديانات القديمة في جعل الحية صاحبة الغواية، وذلك من ناحية أنهم كانوا يوحدون بين الضرر الحس والخطيئة الأخلاقية.

وإذاً فلا مفر من القول بالتأثر سواء من هذا الجانب أو تلك، وإذا كان الأمر كذلك فالقصة التي وردت في الكتاب المقدس عن الخليقة ليست وحيًا من عند الله بقدر ما هي قصة تأثر فيها كاتبها بالأساطير والديانات القديمة.

أما القول الثاني: وهو أن وراء الحية قوة شيطانية بمعنى أن الشيطان نفث في الحية كل ما يريد أن يفعله مع آدم وحواء. فهو برغم أنه يندرج تحت ما قلناه سابقًا من تأثر القصة من ناحية جعل الحية رمزًا إلى الظلمة والشر بالديانات القديمة ومع هذا فإننا أيضًا نجد فكرة دخول الشيطان في الحية في الأساطير القديمة.

يقول الأستاذ/ شوقي عبد الحكيم: أما عن فكرة توحد حواء بالحية التي تتوحد بدورها بالشيطان فتتبدى بكثرة في أغلب أساطير الخلق السامية، وتذكر هذه

---

(١) إبليس ص٧٨.

(٢) المصدر السابق ص٩٢.

الأساطير أن الحية إذ ذاك لم تكن على شكلها الآن، بمعنى أن مسخًا قد حدث لها عقب توحدها بالشيطان إبليس حين وسوس لحواء ـ من فم الحية ـ بالأكل من الشجرة الممنوعة أو المحرمة(١).

والكتاب المقدس يبين لنا أن لعنة أصابت الحية(٢) بعد أن أغوت حواء، ولعل هذه اللعنة هى المرادة بهذا المسخ وسنذكرها فيما بعد.

ثم ننتقل إلى فقرة أخرى في القصة وهي: استخدام الحية للمرأة لكي تغويها بالأكل من الشجرة المحرمة، والمرأة بدورها تغري الرجل للأكل من الشجرة المنهى عنها.

هذا المعنى نجد شبيهاً له فى الديانات الأخرى، "فالعلاقة بين المرأة والشيطان تتواتر بكثرة شديدة خاصة في نصوص وأساطير الخلق الأولى عند عديد من ملل ونحل الشعوب والقبائل السامية العربية"(٣).

فالقصة التي وردت في سفر التكوين لم تسلم من النقدمن جميع الوجوه ومن جميع أطرافها وزواياها ومع ذلك فإننا لا نشك بأنه كانت هناك قصة حقيقية للخليقة أنزلت على موسى من عند الله ولكن هذه القصة الحقيقية اختلطت في أذهان اليهود بالقصص الأخرى لدى الديانات القديمة فكتبوا القصة الجديدة ـ التي هي الآن في الكتاب المقدس ـ وخلطوا فيها بين قصص الخليقة في الأساطير التي سمعوها وقصة الخليقة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.

ما حدث لآدم وحواء بعد السقوط فى التصور المسيحى

إن الحية حين أغوت حواء بالأكل من الشجرة وعدتها بأنها إن أكلت منها هي وزوجها قائلة: (الله عالم أنه يوم تأكلان منه ـ أي من ثمر الشجرة تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر)(٤).

---

(١) الأستاذ شوقي عبد الحكيم: مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية ص١٣٣.
(٢) تكوين ٣: ١٤.
(٣) المصدر السابق ص١٣٥.
(٤) تكوين ٣: ٥.

فما أن أكل آدم وحواء من الشجرة إلا وحدثت المفاجأة لهما (فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزر)[١] جاء في أحد كتب الدين المسيحي (أن معنى انفتحت أعينهما أي أعين قلبيهما فأدركا معصيتهما وعرفا لأول مرة أنهما عريانان)[٢] وهنا يحق لنا أن نسأل مع العلامة "الباجى": كيف يحسن أن يقال "فأكلا فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان"؟ أفكانا أعميين قبل الأكل؟ أو منطبقي الأعين؟ مع قوله قبل هذا: "ورأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأنها شهية للنظر"[٣] فأين هذا من ذاك؟ أم كانا جاهلين بأنهما عريانان مع تمام علم آدم ـ كما تقدم ـ (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها)[٤] فأين هذا الجهل التام مع العلم التام؟؟

فإن قيل: لعل المراد انفتاح أعين البصيرة لا أعين البصر؟ قلنا: هذا تأويل مخالف للظاهر مع أنه لا يصح؛ لأن العاصي لا يناسبه أن يترتب على معصيته انفتاح بصيرته، بل المناسب أن تعمى بصيرته[٥].

ويمكن إجمال ما أحدثته المعصية في آدم وحواء ـ حسب التصور المسيحى ـ فيما يلي:

١ ـ **الخجل**: وهو الذي نشأ عن الشعور بالإثم والانحطاط[٦].

لقد جاءتهما الخطية بالخجل والخزي والعار ـ كما يقولون ـ إذ أدركا أول كل شيء أنهما عريانان ولعل هذا هو الدافع الذي يجعله يرتكب الخطية في الظلام.

يقول يوحنا (وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة وأكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور

---

(١) تكوين ٣: ٧.
(٢) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص٣١ سنة ١٩٦٦.
(٣) تكوين ٣: ٦.
(٤) تكوين ٢: ١٩.
(٥) "على التوراة" ص٣٣.
(٦) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.

ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله)[١] وكلمة الخطية على الدوام مقارنة وملاصقة للعار والخزي إذ أنها تهدر في الإنسان كل ما هو آدمي وإلهي إذ تقتل فيه المروءة والشرف والكرامة والنبل والإنسانية وتسفل به إلى الحيوانية القذرة ألم تعر آدم وتكشف نوح[٢]،[٣].

ونحن نقول: ولكن آدم لم يرتكب الخطيئة في الظلام نعم إن آدم وحواء اختبآ بعد الخطيئة ولكنهما أكلا من الشجرة وهي في وسط الجنة.

٢ ـ **الخوف**: يصورون ذلك بقولهم وإذ سمع آدم وحواء صوت الرب الإله ماشيًا في وسط الجنة عند هبوب ريح النهار فزعا وخافا. وهذا ما تصنعه الخطية بمرتكبها إذ تظهره في مظهر الضعيف الأعزل الذي تمسك به حبال آثامه وشروره فلا يستطيع الهروب من عدل الله مهما حاول إلى ذلك سبيلاً[٤] وهذا المعنى مأخوذ مما جاء في سفر التكوين (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبآ آدم وحواء من وجه الرب في وسط شجر الجنة)[٥].

٣ ـ **العداوة**: فما أحدثته المعصية في آدم وحواء ـ كما يقولون ـ هول سخط الله أو الشعور بالذنب الذي يوجب العقاب ولذلك حاولا الاختفاء من حضرته تعالى[٦].

ثم إن الخطية أحدثت العداوة بين الإنسان آدم والمرأة حواء ـ حسب التصور المسيحى ـ ويتبين ذلك حينما حاول أن يلقي التبعية على حواء بالأكل من الشجرة، قال الله لآدم هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك بعدم الأكل منها فكان جواب آدم المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني فأكلت. وكذلك أيضًا أحدثت الخطية العداوة بين الإنسان والحية ويتبين ذلك حينما سأل الله المرأة لماذا أكلت من الشجرة

---

(١) يوحنا ٣: ١٩ ، ٢٠.
(٢) تكوين ٩: ٢١.
(٣) القس/ إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس حـ١ ص١٣، (القضايا المسيحية الكبرى) ص ٣٧٦.
(٤) المصدر السابق حـ١ ص١٤، ص٣٧٦.
(٥) تكوين ٣: ٨.
(٦) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.

التي أوصيتكما بعدم الأكل منها فكان جواب المرأة أن الحية هي التي غررت بي فأكلت منها.

يقول القس إلياس مقار: "والخطية سر كل نزاع وخصام وعداوة في الأرض إذ لا سلام قال إلهي للأشرار وإذ سقط أبوانا الأولان ضعفت المحبة بينهما فلم تكن في جمالها الأول كما نشأت بينهما وبين الحية عداوة قاسية وأكثر من ذلك قتلت محبتهما لله، أما أن محبتهما لم تكن كالأول فذلك يبدو من محاولة آدم إلقاء التبعية على زوجته دون أن يهتم بحمايتها أو تحمل ذنبها كما كان ينتظر منه كمحب مخلص غيور، ولا ننسى أيضًا أنه عندما ذكرها أمام الله لم يقل "زوجتي" و"حواء" بل قال المرأة التي أعطتني "مما يدل على أن محبته لها لم تعد في قوتها الأولى، أما العداوة للحية فقد أضحت عداوة دائمة مستمره أبدية، ومن المستطاع ملاحظتها إذا ذكرنا العداوة القائمة بين الجسد والروح في الإنسان الواحد وبين المؤمن وغير المؤمن على طول الأجيال، أما العداوة لله فتبدو في البعد عنه وعدم الشوق إليه وفعل كل ما هو آثم وشرير وغير مرضي أمام عينيه"[١].

العقوبات التي حكم الله بها نتيجة السقوط في الخطيئة

وقبل أن نذكر العقوبات التي حكم الله بها نتيجة السقوط في الخطيئة ـ كما يصورها المسيحيون ـ نسأل متى علم الرب بالسقوط؟ وكيف؟ فإن الظاهر من نصوص العهد القديم أن الله عرف عن طريق الصدفة يقول سفر التكوين (وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت)[٢].

---

(١) رجال الكتاب المقدس حـ١ ص١٤ ـ ١٥، قضايا المسيحية الكبرى ص٣٧٧.
(٢) تكوين ٣: ٨ ـ ١٢.

وفى هذه الفقرات عدة إشكالات نذكرها فيما يلى :ـ

كيف يحسن أن يقال (وسمعا صوت الرب..) مع أن الرب سبحانه وتعالى منزه عن الصوت ماشيا، وهم إن جوزوا تجسده في عيسى ـ عليه السلام ـ عند ظهوره ـ على معتقدهم إلا أنهم يسلمون أنه في الجنة لم يتجسد.

وأيضًا فإن آدم أتم علمًا من أن يتوهم أنه يمكنه أن يختفي من الرب سبحانه في شجر الفردوس، وهذان السؤالان واردان بعينهما على قوله بعد هذا "فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فأختبأت".

وكيف يحسن أن يقال: فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه.

وكيف يحسن أن يقال: فقال له من عرفك أنك عريان "أكان آدم محتاجًا في معرفة نفسه أنه عريان إلى من يعرفه ذلك؟ ما على هذا في الجهالة مزيد. ولا يتوهم في حق آدم مثل هذا بل ولا في جهل آحادنا نحن.

وكيف يحسن أن يقال إن آدم اعتذر عن معاتبة الله إياه في أكل الشجرة المنهى عن أكلها في قوله "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك بأن لا تأكل منها" بقوله "إن المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت". وكيف يليق بآدم أن يعتذر عن معصية الله بأن المرأة أعطته فأكل[1] .

وبعد هذه المناقشة نستكمل بقية الحديث عن العقوبات التى حكم الله بها نتيجة السقوط فى المعصية فى التصور المسيحى، حيث يقول المسيحيون إن الله حين علم الله بسقوط آدم وحواء في الخطيئة حكم عليهما وعلى الحية بعقوبات ذكرت في الإصحاح الثالث من سفر التكوين. فحين سأل الرب الإله المرأة قائلاً (ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت)[2] وهنا صدرت العقوبات من الله وهي على حسب ترتيب الكتاب المقدس كما يلي:

---

(١) الباجي: على التوراة ص٣٣.

(٢) تكوين ٣: ١٣.

أولاً: عقوبة الحية:

"قال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه"[١].

حكم الله على الحية أولاً باللعنة

ولعن لعنة: نقيض بارك بركة[٢].

واللعنة وقعت على الحية ـ كما يقولون ـ بسبب خطيئة آدم، وكذلك أيضًا وقعت على الأرض بسبب هذه الخطيئة قال الله لآدم (ملعونة الأرض بسببك) [٣] ولعنة الله للحية والأرض تعني التصريح بحكمه عليهما[٤].

ونحن نقول: أليس ملفتًا للنظر أن يحكم الله على الحية وعلى الارض باللعنة بسبب خطيئة وقعت من مخلوق مكلف غيرهما؟ مع العلم بأنهما ليسا لهما ناقة ولا جمل في هذه الخطيئة.

نعم إن الشيطان ـ على معتقدكم ـ استخدم الحية، ولكن هل الحية مكلفة بأن ترد عن نفسها الشيطان؟ وهل لديها ما ترد به كيد الشيطان؟.

إن للشيطان قوة لا تستطيع الحية أن تقف أمام قوته. أليس من الظلم أن يحكم الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ على الحية باللعنة وهي حيوان لا يستطيع أن يرد كيد الشيطان؟

وما ذنب الأرض باللعنة إذا كان آدم أخطأ وأكل من الشجرة؟

هل الأرض مكلفة بأن تذكر آدم بأن لا يأكل من الشجرة؟ ليست الأرض مكلفة بذلك، وإذا كان كذلك فإنه من الظلم لها ـ تعالى الله عن ذلك ـ أن يحكم عليها باللعنة بدون أن يقع منها ما يستحق هذه اللعنة.

---

(١) تكوين ٣: ١٤، ١٥.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٨١٨.

(٣) تكوين ٣: ١٧.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٨١٨.

والعقوبة الثانية للحية: "على بطنك تسعين" معنى ذلك أن الحية كانت قبل السقوط بمظهر آخر غير هذا المظهر الذي نراها به الآن.

يقول كلايد تارنر (أما كيف كان شكل الحية ومظهرها وميزاتها الخاصة قبل السقوط فهو على الأرجح أمر غامض، يصورها البعض مخلوقًا جميلاً يسير منتصبًا لا زاحفًا على الأرض، والكتاب المقدس يقول إنها كانت أدهى الحيوانات وأمكرها)[١] ويقول القس/ بشاي سعيد بشاي: وحية التجربة كانت في المظهر كحية عادية، ولكنها تفوق وحوش البرية في المكر والدهاء، وقد جعلت طريق زحفها على الأرض ذكرى لا نحطاطها وعلامة على دينونتها[٢].

ومجمل القول فيه أن الحية كانت قبل العقوبة التي وقعت عليها بشكل آخر سواء أكان هذا الشكل قريبًا من مظهرها الذي نراها به الآن، أم أنها كانت مخلوقًا جميلاً يختلف عن مظهرها الآن.

ونحن نقول: إنه لا دلالة فى كتبهم على أن الحية كان لها مظهر مختلف عما هى عليه الآن. فمن أين جاءوا بذلك؟ وما دليلهم عليه؟

إن أقوالهم تدل عى أن مظهرها قبل السقوط أمر غامض وكل ما قيل فى هذا هو مجرد تصورات.

وما دمنا لا نستطيع معرفة مظهرها قبل السقوط، فإننا لا نستطيع أن نجزم ونحكم بأن مظهرها الذى نراها به الآن مخالف لما كانت عليه. ولا نستطيع أيضا أن نجزم بأن سعيها على بطنها عقوبة أو لا.

العقوبة الثالثة للحية: "وترابًا تأكلين كل أيام حياتك"

يفهم من ذلك أن "الحية كانت تتغذى بغذاء يتغذى به غيرها من ضروب الحيوان وأنها غدت الآن تسف التراب وأن التراب وهو خليط من مواد غير عضوية يصلح أن يتخذ غذاء للحيوان يتمثله الجسم الحيواني.

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٣.

ولقد قال إشعياء إن الحيات سوف تأكل التراب تواضعًا وتعففًا في وقت يظلل السلام فيه الأرض وتتغير طبائع الحيوانات وخصائص أسنانها ومعدها (الذئب والحمل يرعيان معا، والأسد يأكل التبن كالبقر، أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسى قال الرب)[(١)،(٢)].

ففرق بين الفقرتين: فالتراب في الفقرة الأولى عقوبة من الله للحية، ولكن في الفقرة الثانية الحية تأكل التراب بكل وداعة لا تؤذي ولا تهلك.

وعلى أية حال فإن أساتذة علم الحيوان يؤكدون أن هذه الفصيلة من الحيوانات "تتغذى على الطيور والضفادع والثدييات"[(٣)].

العقوبة الرابعة للحية: "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه"[(٤)].

بمعنى أن الله جعل العداوة قائمة بين الإنسان وبين الحية (ومن هذه الفقرة رأى كثير من العلماء والمفسرين ـ المسيحيين ـ في هذا النص وعدًا بمجئ ذاك الذي استطاع وحده أن يسحق سحقًا نهائيًا رأس الحية، ويسوع نسل المرأة هو الذي سحق الرأس المسموم رأس ـ الحية الذي سمم البشرية كلها)[(٥)] وهذا يعني أنه ليس وراء الحية قوة شيطانية، بينما الحية هي صاحبة الغواية؛ إذ لو كان وراء الحية قوة شيطانية لكان الخطاب بالوعيد بالسحق يقع أساسًا على الشيطان لا الحية. وهذا مردود بما سبق أن ذكرنا.

أما أن هذه الفقرة تحمل وعدًا بمجئ يسوع المخلص فإن هذا القول فيه مغالاة، لأن النص واضح في أن العقوبة التي وقعت على الحية هي العداوة بين نسل المرأة ونسل الحية. أما لماذا خص نسل المرأة بالذات؟ لأن الحية هي التي أغوت المرأة أولاً،

---

(١) إشعياء ٦٥ : ٢٥.
(٢) عصام الدين حفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٦٠، ١٦١..
(٣) د/ أحمد حماد الحسيني، د/ عطا الله خلف الدويني وغيرهما: علم الحيوان العام ص٨٢٣ ط الأنجلو المصرية.
(٤) تكوين ٣: ٥.
(٥) د/ القس/ حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص٢٧.

فمن باب المقابلة تأتي العقوبة بين نسل المرأة ونسل الحية، وإلا فالجميع من نسل المرأة.

ثانيًا: عقوبة آدم وحواء:

أ ـ عقوبة حواء:

"قال الله لحواء تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادًا. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"[١] فالعقوبة لحواء تتلخص في أن الله سيجعل لها في الولادة التعب الكثير، ويجعلها تجد المشقة في الاشتياق إلى رجلها الذي يسود عليها.

ويعقب الأستاذ/ عصام الدين حفني على هذا قائلاً: (وأما أوجاع الحمل والولادة فهي من معقبات المدنية والترف، ويزداد شعور الناس بها على قدر ازدياد حظهم من رفاهية العيش ورفاهة الشعور على حين لا يشعر بها المتوحشون إلا هونًا منها، ويلاحظ مثل هذا التباين بين الحيوانات الوحشية والمستأنسة.

أما سيادة الذكر على الأنثى فهي القانون الساري في عالم الحيوان باستثناء أنواع قليلة مثل النحل[٢].

ب: عقوبة آدم:

وقال الله لآدم (لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكًا وحسكًا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود)[٣].

يقولون لعن الله الأرض بسبب آدم، وكان من جراء هذه اللعنة أن الإنسان لا يأكل منها إلا بالتعب والمشقة، وأيضًا فإن الأرض أصبحت تنبت "شوكًا وحسكًا" "ولا يراد بهاتين اللفظتين أنواع خاصة من النبات بل كل نبات فيه شوك وحسك يؤذي الإنسان ويعيق عملهم"[٤].

---

(١) تكوين ٣: ١٦.
(٢) عصام الدين حفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص١٦٢.
(٣) تكوين ٣: ١٧ ـ ١٩.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٥٢٩.

وأوعده بأنه لا يجد راحة بل يتعب من أجل الحياة، وقال له وهكذا تكون حالك حتى تعود إلى التراب الذي خلقت منه، وهذا يعني أنه حكم عليه بالموت.

أما أن الشوك[١] والحسك[٢] وغيرهما من النباتات التي تؤذي الإنسان لم تخلق إلا بعد أن لعنت الأرض بسبب معصية آدم فإن هذا القول غير مسلم، إذ أنه يتناقض مع ما جاء فى كتبكم التى تذكر أن الله كان قد خلق كل النباتات والحيوانات في اليوم الثالث من أيام الخليقة الستة، بينما خلق الإنسان في اليوم السادس من أيام الخليقة. ففي اليوم الثالث قال الله (لتنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا كجنسه وشجرًا يعمل ثمرًا بزره فيه كجنسه)[٣].

فلقد خلق الله كل ما تنبته الأرض في هذا اليوم، فأنبتت الأرض الأعشاب والأشجار والبقول، ومعلوم أن من الأعشاب من هو شوكي ومن هو خسك، أي نباتات شوكية ومرة، والشوك والمر يؤذي الإنسان في حياته، لأن اللفظتين رمز إلى كل ما يؤذى الإنسان كما جاء في سفر الخروج عن بني إسرائيل وما يأكلونه ليلة الفصح (ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويًا بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه)[٤] وهذه الأعشاب خلقت في اليوم الثالث بينما الإنسان خلق في اليوم السادس يضاف إلى ذلك أن الشوك والحسك ـ كما سبق ـ يرمزان إلى كل نبات فيه شوك وحسك، ونحن نقول: إن من النباتات التى خلقت فى اليوم الثالث القمح والشعير، ومعلوم أنه فى ثمرة نبات القمح والشعير إبرة شوكية، وهذه الإبرة الشوكية تمتد إلى الثمرة فتحفظها، بمعنى أنها خلقت معها أول خلقها، لا بعد ذلك، وإلا لما أثمرت الشجرة من أول أمرها.

---

(١) الشوك: ما يخرج من الشجر أو النبات دقيقًا صلبًا محدد الرأس كالإبر. المعجم الوسيط حـ١ ص٥٠٠.
(٢) الحسك: نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل. المعجم الوسيط حـ١ ص١٧٣.
(٣) تكوين ١ : ١١ ـ ٣
(٤) خروج ١٢ : ٨.

نقطة أخرى وهى: أن النص الوارد فى كتبهم عن خلق النباتات يذكر أن الله خلق فى اليوم الثالث كل شجر ذا ثمر، ومعلوم أن الحسك والشوك نباتان لهما ثمر فهما مخلوقان قبل الإنسان لا بعده. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن الله خلق الحيوانات أيضًا قبل خلق الإنسان ومعلوم أن من هذه الحيوانات من يتغذى على الشوك والحسك مثل الإبل فإذا لم تكن قد خلقت فأي غذاء كان يتغذى عليه الإبل قبل أن يخلق الله الشوك والحسك بعد معصية آدم؟

حـ ـ العقوبات المشتركة بين آدم وحواء

أولاً: أن الله حكم عليهما بالموت:

(لأن الله قال لآدم يوم تأكل منها موتا تموتا) والوصية هنا لآدم وحواء بدليل ما ورد من حوار بين الحية وحواء

والموت: ضد الحياة.

يقول د/ سيد عويس: ويعرف الموت أحيانًا بأنه "طلوع الروح" أو هو "طلوع سر الحياة" أو هو" الانتقال إلى حياة أخرى" كما نجد من يصف الموت بأنه "حق" أو أنه "نهاية كل إنسان" أو "أنه راحة من تعب الحياة" أو "أنه هازم اللذات مفرق الجماعات" ولكن إذا حاولنا تعريف مفهوم الموت تعريفًا علميًا فإننا نواجه صعوبة كبيرة[1].

ثم يبين أنه حاول الاستعانة ببعض القواميس المتخصصة فلم يجد بها لهذا المفهوم تعريفًا. ثم يقول "ومع هذا فقد يوجد بعض التعاريف العلمية لمفهوم الموت فقد يقال إن الموت هو التوقف الدائم للوظائف الحيوية في أجسام الحيوانات والنباتات، وهو "ظاهرة التوقف عن الحياة" أو هو "ظاهرة توقف أو انقطاع الحياة" وفي قول آخر هو "ظاهرة التوقف النهائي في الحياة" وكل هذه التعاريف تمثل وجهة نظر الطب الشرعي. وتوقف الحياة في ضوء هذه التعاريف نوعان:

الأول: نوع وظيفي وهو خاص بتوقف القلب والتنفس الدائم وهو ما يعبر عنه بموت الفرد.

---

(١) د/ سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري ص٨٧.

الثاني: تبدأ بعد ذلك عندما تبدأ الأنسجة في التوقف عن العمل ويتم ذلك بعد حوالي ساعتين وهو ما يعبر عنه بموت الأنسجة[١] وإذا أخذنا بهذه التعاريف أو بأحدها، وهي في الواقع كلها متشابهة فإننا نواجه صعوبة أكثر، ذلك لأننا في هذه الحالة نواجه تعاريف مفهوم الحياة. وتعريف الحياة ليس بالأمر الهين لأننا نعرف جميعًا ما هو الإحساس بالحياة ومن ثم نعجز عن وصف هذا الإحساس في ضوء شيء آخر[٢].

وعمومًا فإن تعريف الحياة يتوقف على نظرة الإنسان نحو جوهر الحياة، فإذا كان ينظر إلى الحياة نظرة مادية فإنه يحاول تعريف الحياة تعريفًا ماديًا وعلى أساسه يعرف الموت، وكذلك أيضًا من ينظر إلى جوهر الحياة على أنها روحية فهو يعرف الحياة على أساس هذه النظرة وبالتالي كذلك يعرف الموت.

وربما تخضع تعاريف الحياة لنوع التخصص الذي يتخصص فيه الفرد فتختلف نظرة الكيميائي عن نظرة الطبيب وما إلى ذلك.

ومن هنا وجدنا تعريف الموت يختلف من فرد لآخر ومن فيلسوف لآخر.

يقول د/ سيد عويس: ولكن يلاحظ أن المعنى العلمي لمفهوم الموت أو المعنى العلمي لمفهوم الحياة سواء حاول شرح ذلك الطبيب الشرعي أو المتخصص في علم البيولوجيا أو المتخصص في علم الطبيعة يبدوان دائمًا في نظر الرجل البدائي معنيين غامضين. فتفسير الموت لأسباب طبيعية مثلاً تفسير غير مقبول عنده وإذا بدا له أن يتأمل الموت أو يفكر فيه فإنه يفشل حتمًا في اعتباره ظاهرة طبيعية. وعنده إذا مات إنسان ما دون ما سبب ظاهر كالجراح مثلا فإنه يعتبره ضحية من ضحايا السحرة والأرواح الشريرة التي تتعاون معهم، ويعزي سبب موت أي ـ إنسان في بعض بلاد أفريقيا إلى سحر أحد سحرة القبائل المعادية أو إلى فعل أحد الجيران الحاقدين، ويكتشف المذنب أيا كان عادة عن طريق الاستعانة بأحد الكهنة أو عن طريق تعذيب أحدهم إلى أن يعترف[٣].

---

(١) يحيى شريف، محمد عبد العزيز البهنساوي: مبادئ الطب الشرعي والسموم، مكتبة القاهرة الحديثة ص٣ نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) د/ سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري ص١٨.

(٣) المصدر السابق ٢٢.

والمعنى الديني للموت: هو خروج الروح من الجسم وبسببه يصبح الجسم هامدًا لا يحس ولا يشعر ولا يتحرك. فهل الموت لدى المسيحيين مختلف عما سبق؟ هذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:-

والموت في نظر المسيحية إحدى عواقب الخطية لذلك سنشرح تعريف الموت لديهم على أساس التقسيم الذي يذكرونه.

يقول كلايد تارنر: للخطية عواقب عاجلة وأخرى آجلة عواقب روحية وأخرى جسدية. كانت عاقبة آدم وحواء عاجلة فقد أصبحا عرضة للحزن والموت[١].

ويقول: ولكن العاقبة المرعبة لخطية الإنسان يمكن جمعها في كلمة واحدة "الموت". فمنذ اليوم الذي عصى به الإنسان الله أصبح مخلوقًا ميتًا، إن جسده لم يمت يوم أخطأ بالذات ولكنه أصبح عرضة للمرض والوهن التي تنتهي إلى الموت، إلا أن الإنسان قد مات روحيًا منذ اليوم الذي أخطأ فيه ضد الله، إن الموت لا يعني توقف الحياة ولكنه يعني الانفصال أو الانحلال[٢] ويقول الأب/ متى المسكين: منذ أن سقط آدم والموت هو عدو الإنسان الكبير وبرغم أن للإنسان أعداء كثيرين بسبب الخطية ولكن الموت كان أشدها سطوة وبأسًا على نفسية الإنسان[٣].

ويقول جرهاردوس فوس: حسبما ورد في سفر التكوين نعرف أن وصيته هي (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت) وعلى أساس هذا التحذير ساد الاعتقاد في جميع الأجيال بأن الموت هو عقوبة الخطية وأن العالم كله قد أخضع للموت بسبب الخطية[٤].

يقول إبراهيم لوقا: إن الإنسان الأول سقط في عثرة العصيان وبسقوطه هذا أصبح واقعًا تحت حكم الموت الذي أنذره به الله تعالى عندما وضعه في جنة عدن وقضى به عليه[٥] معنى ذلك أن آدم لو لم يخطئ لما حكم عليه بالموت.

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٦.

(٢) المصدر السابق ص٥٧ ـ ٥٨.

(٣) الأب متى المسكين: القيامة والصعود ص٤٩.

(٤) علم اللاهوت الكتابي ص٦٤.

(٥) إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام ص١٥٨.

جاء في "علم اللاهوت النظام" في الجواب على السؤال القائل: هل كان آدم قابلاً للموت لو لم يخطئ؟ لا ريب في أن الجواب الصحيح عليه هو سلبي بدليل نص الكتاب المقدس على أن الموت أجرة الخطية وتهديد الله لآدم بقوله (لأنك في يوم تأكل منها موتا تموت) لما فيه من الدلالة الصريحة على أنه إن كان لا يأكل ـ لا يموت، ثم قوله له: لأنك تراب وإلى تراب تعود، لما فيه من الدلالة البينة على أن الرجوع إلى التراب هو من باب القصاص، وأيضًا قول بولس (إن الموت دخل بالخطية)[١] "وإن في آدم يموت الجميع" أي الموت الجسدي[٢].

فاتضح من الكتاب المقدس أن الموت هو عقاب الخطية وأنه لولا معصية أبوينا الأولين لما حكم به علينا[٣].

وأما قول الآباء في: هل كان جسد آدم أصلاً مؤهلاً للبقاء أم لا؟ فالإجابه عليه كما يلي:

ذهب كثير من الآباء إلى أن آدم وضع في الفردوس الأرضي لكي يصرف مدة امتحانه فيه فإن وجد طائعًا ينقل إلى الفردوس السماوي المرموز إليه بالأرضي.

وذهب لوثيروس[٤]: إلى أن أبوينا الأولين لو لم يخطآ لأذن الله لهما بالأكل من شجر الحياة على الدوام، وأن من شأن ثمر تلك الشجرة حفظ جسديهما في الشبيبة الدائمة[٥].

وذهب آخرون إلى أن آدم لو ثبت في كماله لأصاب جسده وأجساد ذريته تغيير كالتغيير الذي علمهم إياه بولس أن يطرأ على الذين يبقون في الحياة إلى وقت مجئ

---

(١) رومية ٥: ١٢.
(٢) ١ـ كورنثوس ١٥: ٢٢.
(٣) علم اللاهوت النظامي ص٦٠٧، ٦٠٨.
(٤) هو مرتينوس لوثر، ولد في بلدة أسيليين من مقاطعة ثورنجية في جرمانيا سنة ١٤٨٣ م درس علم اللاهوت، وعين معلمًا له في جامعة ورتمبرج، ولما ابتدع البابا (لاون) العاشر أوراق ـ الغفرانات لم يرق هذا العمل في عيني لوثر فأخذ يندد بفساده تنديدا قاسيا، وظل لوثر في مناضلة البابا ومحاجته نحو ٢٨ سنة بعد أن خلع ثوب الرهبنة وتزوج من راهبة تدعى كترين بوريه، وفى آخر حياته مرض بالفالج وتوفي في ١٨ فبراير ١٥٤٦ م (القمص ميخائيل مينا: علم اللاهوت القسم الخاص ص٢٤، ٢٥.
(٥) أي الشباب الدائم.

المسيح الثاني فإنهم لا يموتون بل يتغيرون أي أن الفاسد يلبس عدم فساد، المائت يلزم عدم فساد، المائت يلزم عدم موت. فليزم من ذلك: **أولاً**: أن آدم لو لم يخطئ لم يمت. **ثانيًا**: أنه لو عنى بولس بقوله (لبسنا صورة الترابي) أي أجسادنا الحاضرة تشبه جسد آدم كما كون أصلاً لنتج أن جسد آدم كان كأجسادنا تحتاج إلى التغيير ليؤهل للخلود[١].

وعموم القول فإن الرأي الغالب والسائد بين الآباء هو الرأي الأول.

ويبين جرهاردوس فوس أنه برغم أن الاعتقاد بأن الموت هو عقوبة الخطية هو الاعتقاد السائد بين الآباء في جميع الأجيال إلا أن هناك كتابًا معاصرين يحاولون إعادة النظر في هذا المعتقد، فهناك بعض الآراء التي تنادي بأن الإنسان خلق منذ البداية خاضعًا لناموس الموت.

من هذه الآراء:

أولاً: أن شجرة الحياة تصور لنا في قصة التكوين على أن الإنسان لم يكن قد أكل من ثمارها ـ سواء قبل الامتحان أم بعده ـ أي أنه لم يكن قد نال من الحياة ومن ثم فيسرى عليه ناموس الموت.

ثانيًا: في سفر التكوين ٣: ١٩ نقرأ أن رجوع الإنسان إلى التراب أمر طبيعي "حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود".

ثالثًا: أن سفر التكوين ٢: ١٧ يثبت لنا أن تهديد الله للإنسان لم يكن مداره أن الخطية ستجلب الموت بل إن الخطية سوف تسبب الموت المبكر الفوري "يوم تأكل منها موتا تموتا"[٢].

ويقول عن هذه الآراء: إن كل هذه الآراء تستند إلى تفسير علمي غير دقيق فالفكر الأول يخفق في التمييز بين الحياة التي نالها الإنسان عن طريق الخلق وبين الحياة التي لا تتعرض للفقدان والتي كان مقدرًا للإنسان أن يصل إليها عن طريق الامتحان، والحياة الثانية نجدها ممثلة في شجرة الحياة. وكون الإنسان لم يتناول من ثمارها لا يعني انتفاء هذه الحياة الدائمة بالنسبة له.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٠٨.

(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٦٤ بتصرف شديد.

أما الرأي الثاني فلكي نصل إلى إثباته يلزمنا أن نفصله عن القرينة. إن الكلمات (لأنك تراب وإلى تراب تعود) وردت ضمن منطوق لعنة فلو كانت تشير إلى ناموس طبيعي يسري على الإنسان منذ البداية فأي عقاب أو لعنة فيها، كما أنها لا يمكن أن تعني اللعنة كانت في الموت المبكر الفوري، فالكلمات التي تسبقها تنفي هذا الرأي، فهي تشير إلى عملية تعب متواصل ينتهي بالموت[١] .

فالاعتقاد السائد بين المسيحيين أن أجرة الخطية الموت وعلى أساس ذلك فالموت في المسيحية يعني: الانفصال عن الله حيث إن الخطية أفضت إلى الموت وإلى الطرد من الجنة، فإن كانت الحياة تعني الشركة مع الله فبحسب قاعدة (بضدها تعرف الأشياء) فإن الموت يمكن أن يفسر على أنه انفصال عن الله، وهذه الإشارة نجدها ـ كما يقولون ـ في:

"فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها"[٢] فإن الطرد من الجنة أوالطرد من محضر الله معناه الطرد إلى الموت فأساس الموت هو في كون الإنسان قد طرد من محضر الله"[٣].

فالموت لا يعني توقف الحياة ولكنه يعني ـ لدى المسيحيين ـ الانفصال والانحلال[٤].

يقول د/ راغب عبد النور: وسقط الإنسان وطرد من الجنة وانفصل عن الله والانفصال عن الله هو انفصال عن الحياة وعن النور فعانى الموت ولفه الظلام بأكفانه[٥] .

والموت في نظر المسيحية المترتب على مخالفة آدم لوصية الله وعصيانه لأمره يتضمن الموت الأدبي (الموت الجسدي، الموت الروحي)، الموت الأبدي..

❖ أما الموت الأدبي: فهو معناه العجز عن السلوك بالقداسة والكمال.

---

(١) المرجع السابق ص٦٥ بتصرف شديد.
(٢) تكوين ٣ : ٢٣.
(٣) المرجع السابق ص٦٩.
(٤)كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٨.
(٥) د/ راغب عبد النور: شجرة الحياة ص٩.

فقد قال بولس عن الخطية قبل إيمانه بالمسيح إنها خدعته وقتلته[١] وإنها عاشت فمات هو[٢] كما قال للمؤمنين عن حالتهم قبل الإيمان "وأنتم إن كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا"[٣]،[٤].

وآدم حين سقط في الخطيئة ـ كما يقولون ـ أصبح ميتًا بمعنى أنه أصبح عاجزًا عن السلوك السوي والقداسة والكمال، لأن الخطيئة تميت النفس وتخدعها وتقتلها، وبعد أن كان على صورة الله في المعرفة والقداسة والكمال ماتت المعرفة والقداسة ومات أيضًا كماله الأدبي. فالموت الأدبي: كلّ عام يشمل جميع الموت الجسدي والروحي، وينتهي الموت الجسدي والروحي إلى الموت الأبدى.

- أما الموت الجسدي: فيراد به موت الجسد وكل ما يسبقه[٥] (فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي اعطاها)[٦].

"إن موت الجسد ـ كما يقولون ـ هو جزء من عقاب الخطية فلو لم تكن الخطية لما كان الموت الجسدي، لقد دبر الله تدبيرًا عجيبًا به كان يمكن لآدم وحواء أن ينجوا من الموت لو لم يخطآ. لقد وضع في الجنة شجرة الحياة التي كان يمكن أن يأكلا من ثمرها ويعيشا إلى الأبد وإننا لو أخذنا هذه الكلمات بصورة رمزية أو حرفية فالحقيقة هي هي، لقد دبر الله طريقة بها كان بإمكانها أن يخلصا من الموت.

يقول الكتاب المقدس إن آدم وحواء قد طردا من الجنة ليس لأنهما أخطآ ولكن لكي لا يأكلا من شجرة الحياة[٧] ومنذ ذلك اليوم والموت مخيم على العالم، كل

---

(١) رومية ٧: ١١.
(٢) رومية ٧: ٩.
(٣) أفسس ٢ : ١.
(٤) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٤.
(٥) د/ أندرو وطسون: شرح أصول الإيمان ص٩٦.
(٦) جامعة ١٢ : ٧.
(٧) تكوين ٣: ٢٢ ـ ٢٤.

من عاش على الأرض مات ولم يشذ عن هذه القاعدة غير أخنوخ[١] وإيليا[٢] لقد أصبحت الأرض مقبرة واسعة وفي بعض الحالات يكون الموت هو النتيجة المباشرة للخطية بعينها أو لعدة خطايا، ولكن الموت بوجه عام هو النتيجة غير المباشرة للخطية في الجنس البشري[٣].

❖ ويراد بالموت الروحي: فقدان البر الأصلي وابتعاد الله عن الإنسان بسبب الخطيئة[٤]. يقول كلايد تارنر: ليس المعنى الجوهري للموت هو الانقراض بل الانفصال مع ما يرافقه من دمار.

الموت الجسدي يعني انفصال الروح عن الجسد مما يسبب انحلال الجسم فيعود الجسد إلى التراب وترجع الروح إلى الله.

والموت الروحي هو انفصال النفس عن الله مما يسبب دمار النفس. إن الإنسان بحالته الطبيعية ـ فى نظرهم ـ ميت روحيًا وبعيد عن الله، ويصف بولس حالة أهل

(١) راجع تكوين ٥ : ٢٤ يقول الأب متى المسكين: إن أول نصرة حازها الإنسان ضد الموت بصورة حاسمة ملموسة كانت على يد أخنوخ بشهادة الكتاب المقدس (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) تكوين ٥ : ٢٤ ولكن لم تكن هذه النصرة الباهرة لأخنوخ ضد الموت جزافا فقد أثبت جدارة أمام الله كافأة الله علانية إذ ـ يقول بولس في الرسالة إلى العبرانيين "بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله" عبرانيين ١١ : ٥ لأنه إن كان آدم بسبب عصيان الله وقع تحت سلطان الموت فأخنوخ بسبب إرضاء الله كان أول إنسان بعد آدم يهزم الموت ويطأه بقدميه ويرتفع إلى السماء حيا .أ . هـ (القيامة والصعود) ص٥٠ **ونحن نقول: إن هذا دليل على أن خطيئة آدم خاصة به وحده ولم يرث الخطيئة أبناؤه إذ لوورثها أخنوخ لمات. ولأن الكتاب المقدس يبين أن سبب عدم الحكم على أخنوخ بالموت هو رضاء الله عليه** . فهذا يعنى أن رضاء الله سبحانه وتعالى هو الطريق الصحيح للانتصار على الموت والخلاص منه ـ وليس كما يدعى المسيحيون من أن الخلاص عن طريق ابن الله المخلص.

(٢) راجع الملوك الأول إصحاح ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ "وإيليا أيضًا نجد غلبته على الموت بواسطة إرضاء الله إذ نجاه الله من إيزابل والأنبياء الكذبة. ورفع إلى السماء في موكب سماوي مهيب بمركبة نارية وخيول شاروبيمية أرسلت من السماء خصيصًا لنقل إيليا حيا بجسده كأعظم نصرة على الموت (راجع أيضًا القيامة والصعود ص٥١). وبين نصرة أخنوخ على الموت بواسطة إرضاء الله ونصره شعب إسرائيل بأجمعه على الملاك المهلك بواسطة طاعة وصية الله توجد أمثلة عديدة لنصرات كثيرة ومتوالية فردية وشعبية على الموت سواء إزاء وحوش أو حوادث أو حروب، أو أمراض أو كوارث امتدت فيها جميعًا يد الله وانتشلت الإنسان من موت محقق مثل داود من فم الذئب والأسد ومن سيف جليات الجبار وإيليا من يد إيزابل وكذلك أيضًا نصرة اليشع النبى على الموت ... إلى آخره ص٥١ ـ ٥٢.

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٧ ـ ٧٨.

(٤) شرح أصول الإيمان ص٩٧.

أفسس الروحية قبل إيمانهم (أموات بالذنوب والخطايا) "و بالطبيعة أبناء الغضب"[١] لقد كانوا بعيدين عن الله (إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن الحياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظه قلوبهم)[٢]، هذا هو الموت الروحي ينتهي أخيرًا إلى الموت الأبدي والانفصال الأبدي عن الله، ودمار النفس الأبدي هذا إن لم يأت الإنسان إلى معرفة الله (معطيًا نقمة للذين لا يعرفون بالله.. الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته)[٣] ودمار النفس الأبدي هذا يدعى "الموت الثاني"[٤].

فالموت الروحي ينتهي بالإنسان إلى الموت الأبدى الذي هو العذاب الواقع على الإنسان جسدًا وروحًا في جهنم إلى الأبد[٥] فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية[٦].

وقد ذكر الموت بصوره وأنواعه في مواضع عديدة في أسفار الكتاب المقدس وإصحاحاته فنجد ذكره في الفقرات المتعلقة بالموت الطبيعي (٦٣) مرة وبما يسمى بالموت الروحي (٢٩) مرة وبما يسمى بالموت الأدبي (٤٣) مرة وبموت المسيح (٥٦) مرة وبموت القديسين (٤٢) مرة وبموت الأشرار (٤٤) مرة وبالموت العقابي (٢٠) مرة وبالموت الجسدي (ست مرات) وبالموت للخطية أربع مرات فضلاً عن فقرات أخرى تتعلق بموضوع الميت (٢٤) مرة، أي أن الموت بأنواعه وصوره قد ذكر في الكتاب المقدس (٣٣١) مرة[٧].

وهكذا فقد الإنسان الأول آدم ـ كما يقولون ـ حالة الكمال الأدبي الذي خلقه الله عليهما وأصبح خاضعًا لناموس الفساد وسلطان الخطية[٨] فالخطيئة تهدم الحياة الروحية والاخلاقية والجسدية[٩].

---

(١) أفسس ٢ : ١ ـ ٣.
(٢) أفسس ٤ : ١٨.
(٣) ٢ تسالونيكي ١ : ٨ ، ٩.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٨ ، ٧٩.
(٥) شرح أصول الإيمان ص٥٩٧ ، طريق الخلاص ص١٥.
(٦) متى ٢٥ : ٤٦.
(٧) جمعية الكراريس البريطانية: مغنى الطلاب في مواضيع الكتب الإلهية ص٢٢٣ ـ ٣٢٥ نقلاً عن الخلود في التراث الثقافى المصرى ص١٥٨.
(٨) إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام ص١٥٨.
(٩) أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير ص٥١.

ويتبين مما سبق أن آدم قبل السقوط كان متمتعًا مع حواء بمزايا عديدة منها القداسة والقوة والطمأنينة والراحة فكانت نتائج معصيتهما فقد هذه المزايا بجانب العقوبات التي حكم الله عليها بها وأهمها موت النفس والجسد[١].

يقول إلياس مقار: وأجرة الخطية هي موت وقد مات آدم وحواء في اللحظة التي سقطا فيها وانفصلا عن الله، لقد ماتا في الحال الموت الروحي والأدبي إذ لم تعد لهما الشركة الجميلة الحلوة المقدسة مع خالقهما المحب وأبيهما القدوس بل لم يعد لهما ذلك الإحساس الذي ألفاه ودرجا عليه، إحساس الحنين إليه والشوق إلى رؤياه بل لقد شعرا للمرة الأولى بأن غشية من الظلام استولت على عيونهما فلم يعودا يميزان للمرة الأولى بالفرق بين الحق والباطل والنور والظلام والجمال والقبح والخير والشر بل شعرا بما يشبه السم الزعاف القاتل يسري في بدنيهما فينحدر في كيانهما كل المعاني والحقائق ويقتلهما في بطء وعذاب وقسوة وإلى جانب هذا كله شعرا بالموت المادي يأخذ سبيله إلى جسديهما بالضعف والوهن والتعب والمرض والانحلال وهكذا أدركا صدق القائل (لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت)[٢].

ثانيًا: طرد آدم وحواء من الجنة:

خلق الله الإنسان الأول آدم ووضعه في جنة عدن وكان على آدم مسئولية أن يعمل لحفظ هذه الجنة وهذا النعيم وذلك بأن لا يقرب من شجرة معرفة الخير والشر وبينما كان آدم ـ كما يقولون ـ على صورة الله في المعرفة والقداسة والبر يتنعم بالجنة وما فيها وإذ بالحية تتسلل إلى المرأة حواء وتستغلها وتغويها بالأكل من الشجرة المحرمة فأكلت حواء، وعن طريق حواء امتدت يد آدم إلى الشجرة فأكل منها فكانت نتيجة ذلك ـ بجانب ما سبق ـ أن قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها فطرد الإنسان

(١) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦٦ ص٣٢.

(٢) رجال الكتاب المقدس حـ١ ص١٢، قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٧٨، ٣٧٩.

وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم[١] ولهيب سيف متقلب[٢] لحراسة طريق شجرة الحياة[٣].

فكان طرد الله لآدم وحواء من الجنة ـ كما يقولون ـ لكي لا تمتد أيديهما إلى شجرة الحياة فيأكلا منها وعن طريقها يحيا آدم وحواء إلى الأبد، أي بواسطة ثمر شجرة الحياة يحيا الإنسان إلى الأبد. وأخرجهما الله أيضًا من الجنة ليعملا ويكدا في الأرض (طرد آدم وحواء من الجنة فطردا بذلك من الحياة الوادعة الآمنة المستريحة[٤].

كيف يقال إن الله أخرجهما من الجنة لكى لا يأكلا من شجرة الحياة لكى تتم عقوبة الموت عليهما، مع أنهما وهما فى الجنة لم يكونا يعرفان شجرة الحياة، فكان مصيرها الموت هناك أيضا، حتى ولو لم يأكلا من شجرة المعرفة؟

وكيف يحسن أن يقال: (وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر)، أيتوهم عاقل أن الإلهية تكتسب فضلاً عن أنها تكتسب بالأكل؟

---

(١) كروب. كروبيم (صيغة الجمع العبرية) أو كروبون (صيغ الجمع العربية) والكروبيم: "ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها، ويقال عنهم إنهم ذوو جناحين أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد" وكلم الرب موسى وتصنع كروبيم من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء (خروج ٢٥ : ١٨) وعمل في بيت قدس الأقداس كروبين صناعة الصياغة وغشاهما بذهب، وأجنحة الكروبين طولها عشرون ذراعًا الجناح الواحد خمسة أذرع يمس حائط البيت والجناح الآخر خمسة أذرع يمس جناح الكروب الآخر وجناح الكروب الآخر خمسة أذرع.... إلى آخره. وأجنحة هذين الكروبين منبسطة عشرون ذراعًا وهما واقفان على أرجلهما خمسة إلى داخل (أخبار الأيام الثاني ٣: ١٠ ـ ١٣)، وكان جناحا الكروبين يظللان التابوت.

وكان الكروبيم تحت عرش الله لما ظهر لحزقيال (ثم رفعت الكروبيم أجنحتها والبكرات معها ومجد إله إسرائيل عليها من فوق وصعد مجد الرب من على وسط المدينة ووقف على الجبل الذي على شرقي المدينة) حزقيال ١١ : ٢٢ ـ ٢٣ بالمقابلة مع (فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها وإذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات) حزقيال ١ : ٩. أ. هـ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧٩.

(٢) ولهيب سيف متقلب: هو أداة التأديب والقصاص (الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص ٣٢).

(٣) تكوين ٣: ٢٢ ـ ٢٤.

(٤) قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٧٨.

وكيف يحسن أن يقال عقب ذلك (والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد) فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته بل بسبب بعض المأكولات وأن الله خشى من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبًا لعلم الخير وأكل الثانية موجبًا للحياة كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير، إذ قد علم الخير والشر فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عليه أصلاً.

كيف يحسن أن يقال "وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم..." عقيب قوله "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض" فإن آدم في الأرض خارج الفردوس فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهي داخل الفردوس؟ وأيضًا: فلو كان دخول الفردوس بغير إذن الله ممكنًا لدخله الآن كل واحد منا أو بعضنا، ولكان المناسب له أن يقال: ليحفظ دار الفردوس التي هي دار النعيم لئلا يدخلها آدم العاصي بعد إخراجه منها سواء أكل من الشجرة أم لا[١].

عقوبات الجنس البشري نتيجة لسقوط آدم في الخطيئة فى المسيحية

إن الرأي السائد في الديانة المسيحية أن خطية آدم لم تضر به وحده بل امتدت إلى جميع نسله فشملتهم.

يقول علم اللاهوت النظامي في إجابة على سؤال: هل أضرت خطية آدم به فقط؟ الجواب: قد أجمع المسيحيون[٢] على أن خطية آدم لم تضر به فقط بل بجميع نسله أيضًا، ولكنهم اختلفوا في كيفية علاقة آدم بنسله من هذا القبيل، وسبب اشتراكهم في نتائج معصيته، وفي ماهية الخطية التي ورثها نسله، وفي امتدادها.

---

(١) على التوراة ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) قوله (أجمع المسيحيون) خلاف الواقع فهناك من المذاهب اللاهوتية التي ترفض عقيدة وراثة نسل آدم لخطيئته ، وهم البيلاجيون.

أما التعليم الإنجيلي في ذلك فهو أن خطية الإنسان في الحال التي سقط فيها تقوم باشتراكه في جرم خطية آدم الأولى المحسوب عليه، وبفقد البر الأصلي، وبفساد طبيعته كلها المسمى غالبًا الخطية الأصلية، وبجميع الخطايا الفعلية الصادرة من ذلك. والبشر بسبب هذا الفساد الأصلي فسدوا فسادًا تامًا في كل قوي النفس والجسد، وفي كل أجزائها، ومالوا عن الخير كل الميل، وعجزوا عن عمله وتبعوا الشر، ومن هذا الفساد تصدر كل الخطايا الفعلية. وأيضًا أنه إذ لم يقطع العهد مع آدم من أجل نفسه فقط بل من أجل نسله أيضًا فالجنس البشري جميعه المتناسل منه تناسلاً طبيعيًا قد أخطأ منه وسقط معه بخطيته الأولى ولذلك نسبته إلى آدم هي علة هذه الحالة الردية، وأن هذا السقوط أوصل الجنس البشري إلى حال الخطية والشقاوة[١].

فخطية البشر في الحال التي سقطوا فيها تقوم بإجرامهم - كما يقولون - في خطية آدم الأولى وبفقدان البر الأصلي وبفساد طبيعتهم كلها المسمى غالبًا بالخطية الأصلية وبجميع الخطايا الفعلية الصادرة من ذلك[٢].

يقول حبيب جرجس: إن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشري وصار محكومًا عليهم أن يولدوا أثمة وعبيدًا للخطية والموت وذلك لأن آدم لم يلدهم إلا وهو في حالة الإثم والمعصية والغضب فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثما ومخطئًا وواقعًا في المعصية عليهم كما حسب عليه[٣].

ويقول إبراهيم لوقا: ولما كان الشوك لا يثمر تينا فقد صار جميع نسل هذا الإنسان الأول فاسدًا كفساده واقعًا تحت حكم الموت[٤].

ويقول كلايد تارنر: إن الإنسان بسقوطه لم يجلب الدمار على نفسه فحسب بل على ذريته أيضًا، وأيضًا بما أن آدم هو أبو الجنس البشري فتأثير خطيته قد تعداه إلى نسله لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعة ساقطة. هذه الحقيقة ظاهرة بوضوح في العهدين

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٤٨، تفسير أصول الإيمان حـ١ ص٥٦، شرح أصول الإيمان ص١١٥.

(٢) ج. أ. وليمسون: تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٦١ ترجمة الشيخ/ فايز فضيل.

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٢٣ - ٢٧.

(٤) إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام ص١٥٨.

القديم والجديد فقد قال داود: هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي[١] لم يتهم داود أمه بالخطية ولكنه يعلن أنه قد ولد بطبيعة فاسدة. والعهد الجديد يبين هذه الحقيقة بوضوح أجلى يقول بولس (ومن أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع)[٢].

ويقول "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة"[٣]،[٤].

ويقول كلايد تارنر أيضًا: ومن جراء الخطية أصبح الإنسان فاسدًا بطبيعته وبعد سنين عديدة قال يسوع (هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمار جيدة وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة)[٥] وهكذا فإذا كان رأس الجنس البشري فاسدًا فإنه لا يستطيع أن يثمر إلا نسلاً فاسدًا.

إن البراهين على صدق هذه الحقيقة غير قائمة في الأسفار المقدسة فحسب ولكن يمكن أن نبرهن على صحتها باختباراتنا الخاصة[٦].

وسوف نناقش ذلك كله فيما بعد، ولكننا مع هذا سنعلق تعليقا موجزا على هذه الادعاءات:

أما قوله "هذه الحقيقة ـ وراثه الخطيئة ـ واضحة وظاهرة في الكتاب المقدس فإن هذا القول ليس صائبًا لأن الكتاب المقدس يوضح أنه لا يؤخذ الأبناء بجرائم الآباء" فمن ذلك قوله: "النفس التي تخطئ هي تموت والابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون"[٧] ومثله أيضًا في سفر التثنية: (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان

---

(١) مزمور ٥١ : ٥.
(٢) رومية ٥ : ١٢.
(٣) رومية ٥ : ١٩.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٩.
(٥) متى ٧: ١٧، ١٨.
(٦) نفسه، نفس الصفحة.
(٧) حزقيال ١٨ : ٢٠.

بخطيته يقتل)[١] وكذلك ما جاء على لسان بولس "دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله"[٢] كل ذلك يثبت أن خطيئة الإنسان لا تتعدى نفسه ولا يقع إثم خطيئة الإنسان على غيره ولا يتحمل خطأه سواه"[٣].

فهذه الفقرات توضح أن كل إنسان مسئول عن عمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ولا تزرو وازرة وزر أخرى، وما استدل به (كلايد تارنر) من قول داود فإنه لا يعدو سوى مناجاة من عبد طائع لله، ولا شك أن الإنسان العابد الذى يناجي ربه ويتضرع إليه دائمًا وأبدًا يطلب من الله الرحمة ولا يكون ذلك إلا بالإقرار بالضعف أمام المعاصي ولا أدل على ذلك مما جاء في بداية المزمور الذي جاء منه القول السابق (ارحمني يا الله حسب رحمتك حسب كثرة رأفتك..."[٤].

أما الفقرات الأخرى التي استدل بها من كتابات بولس، فإن بولس هذا ـ كما قلنا سابقًا ـ ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ولكنه كان من أشد أعداء المسيحية وفجأة وبدون مقدمات أصبح المؤسس الحقيقي للمسيحية.

أما استدلاله على وراثة الخطيئة لنسل آدم بأن الجنس البشري متناسل من آدم المخطئ والشجرة الطيبة تنتج ثمرة طيبة والشجرة الردية تنتج ثمرة ردية فإن هذه النظرية تحتاج إلى توضيح ذلك أننا نرى الرجل المؤمن الولي يولد له من يكون فاسقًا، وكذلك الرجل الكافر الفاسق يولد له من يكون مؤمنًا تقيا[٥].

ومن ناحية الأشجار فرغم أن القضية فى المعنويات، وهى لا تخضع للوراثة كالحسيات فإننا نجد الشجرة الطيبة نعم تنتج ثمارًا طيبة ولكننا نجد المذاق يختلف من ثمرة لأخرى فنرى واحدة أقل في الحلاوة وأخرى أكثر في الحلاوة وهذا فيه بعض

---

(١) تثنية ٢٤ : ١٦.

(٢) رومية ٢ : ٦.

(٣) د/ محمد وصفي: المسيح والتثليث ص٣٦٩.

(٤) مزمور ٥١ : ١.

(٥) يشوع ٢٤ : ٢ ـ ١٤ وذلك عن آباء إبراهيم (قاموس الكتاب المقدس) ص١١.

الاختلاف. معنى ذلك أن قوله غير مسلم به لأنه يختلف من شخص لآخر ومن ثمرة لأخرى.

المذاهب اللاهوتية في الخطية[1]

لقد قلنا في الفصل السابق أن هناك ثلاثة مذاهب لاهوتية اشتهرت في الكنيسة على الدوام وهي:

المذهب الأوغسيطني

المذهب البيلاجي

المذهب النصف البيلاجي

ونحن بصدد دراسة الخطية التي هي من أهم الأسباب التي نتجت عنها المذاهب الثلاثة، بل إنها أكثر قضية اختلفت حولها المذاهب الثلاثة نذكر بإيجاز آراء المذاهب الثلاثة في الخطية وما ينتج عنها.

وسنبدأ بالمذهب الأوغسطينى لأن الكنيسة الغربية تؤمن به وكذلك الكنيسة الإنجيلية ولأن الكنائس الأخرى تعتقد أنه يتوافق مع تعاليم الإنجيل.

المذهب الأوغسطينى في الخطية:

ما قلناه سابقًا من وراثة نسل آدم لخطيئة هو عين المذهب الأوغسطينى.

وأهم آراء هذا المذهب:

❖ أن الله خلق الإنسان أصلاً على صورته تعالى في المعرفة والبر والقداسة مختارًا خالدًا وخوله سلطانًا على الخلائق ولذلك كان له قدرة على اختيار الخير والشر وإثبات طبيعته الأدبية.

❖ أن آدم إذ ترك لحرية إرادته أخطأ إلى الله باختياره حين تجرب من إبليس فسقط من الحال التي خلق عليها.

---

(١) اعتمدنا في هذه الفقرة بالذات على كتاب (علم اللاهوت النظامي) حيث إنه الكتاب الأول في علم اللاهوت النطامي المسيحي، ولأن هذه الفقرة شرحت فيه شرحًا وافيًا.

❖ أنه نشأ من معصيته فقد الصورة الإلهية وفساد طبيعته كلها حتى صار ميتًا في الروح غير مائل إلى الخير الروحي وعاجزًا عنه ومضادًا له، وصار أيضًا قابلاً للموت الجسدي وعرضة لكل أسواء هذه الحياة وللموت الأبدي.

❖ أن الاتحاد النيابي بين آدم ونسله هو علة ما حل عليهم من نفس نتائج المعصية التي حلت عليه وأنهم يولدون أبناء الغضب (أى في حال الدينونة) خالين من صورة الله وفاسدين أدبيًا.

❖ أن هذا الفساد الذاتي الموروث هو بالحقيقة من طبيعة الخطية غير أنه ليس من الخطايا الفعلية.

❖ أن فقد البر الأصلي وفساد الطبيعة اللذين نتجا من سقوط آدم هما عقاب لأنهما قصاص خطيته الأولى.

❖ أن التجديد أو الدعوة الفعالة هو عمل الروح القدس العجيب الذي تكون فيه النفس مفعولاً لا فاعلاً وهو متعلق بإرادة الله على الإطلاق فيلزم عن ذلك إن الخلاص هو من النعمة فقط[1] وهو كما ترى لا تختلف عما قلناه سابقًا.

المذهب البيلاجي في الخطية:

وهو مذهب بيلاجوس ومن مبادئه: أن القدرة تحدد الالتزام وأن للإنسان قدرة كافية لعمل كل ما يكلف به الحق، وأن الخطية إنما تقوم بالعمل الصالح وأن القداسة إنما تنشأ عن الأعمال الصالحة. ولذلك الخطية لا تنسب إلى أخلاق النفس وأميالها الراسخة بل إلى أعمالها فقط. وشريعة الله لا تحيط بالأخلاق الراسخة بل باختيار الإرادة وأعمالها فقط. والقاعدة التي يقوم عليها هذا النظام كله هي قولهم: إذا وجب علي قدرت. وعلى ذلك يمكن حصر هذا المذهب في مبدأين:

الأول: أن القدرة تحدد التكليف.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٣٨ ـ ٦٤٠.

الثانى : أن الخطية لا تختص البته بأخلاق النفس وصفاتها الباطنة، بل إنما تقوم بالأعمال الصالحة، وأن القداسة كذلك لا تختص بخصال النفس، بل إنما تقوم بالأعمال الصالحة.

والنتائج اللازمة عن المبدأين اللذين أمكن حصر المذهب البيلاجى فيهما مايلى :-

❖ نفى وجود بر أصلي في آدم وفى كل مخلوق بشري

❖ نفى وجود خطية أصلية في البشر بل عدم إمكانية ولادة البشر في الخطية.

❖ حصر الخطية في الأعمال الاختيارية أي لا خطية إلا ما نشأ عن الأعمال الاختيارية ومن ذلك نشأ المذهب البيلاجي في حرية الإرادة الذي ملخصه أن الحرية التامة تستلزم دائمًا القدرة المطلقة في الإرادة على اختيار الخير والشر والعمل بحسب الاختيار وذلك في كل البشر على الإطلاق.

❖ نفى مبدأ النيابة على الإطلاق سواء كانت في نسبتنا إلى آدم أم إلى المسيح.

❖ إمكان الخلاص بدون الإنجيل وتجديد الروح القدس أي لكل إنسان قدرة على تخليص نفسه.

❖ أن آدم خلق قابلاً الموت الجسدي ولذلك لم يكن موت الجسد عقاب الخطية[١] وهذه الآراء يعتبرها المسيحيون (بدعة).

وأهم ما في هذا المذهب من قول هو الاعتقاد بأن كل إنسان مسئول عن عمله وأن الإنسان لم يحمل من خطيئة آدم شيئًا وهو ما نوافق عليه. وعلى هذا المذهب ليس هناك ما يسمى بالخطية الأصلية.

المذهب النصف البيلاجي:

وهذا المذهب بعضه أخذ عن بيلاجيوس وبعضه عن أوغسطينوس، وهو يخالف البيلاجي برفض الاعتقاد أن خطية آدم أضرت نفسه فقط، وهو يعلم أن نتائج تلك الخطية اجتازت إلى كل البشر وأثرت في النفس والجسد كليهما، فجعلت الجسد تحت طائلة الموت والمرض والألم وأضعفت النفس حتى صارت مائلة إلى الشر وعاجزة

---

(١) المرجع السابق ص ٦٣٢ ، ٦٣٣.

بدون المعونة الإلهية عن تكميل شئ مما هو محسوب عند الله من الصلاح والخير، غير أن هذا الضعف في النفس والميل إلى الخطية فعلا لا يحسبان عندهم من باب الخطية بل من البلية والتعطيل فقط، على أنهم يسلمون أن تلك الحال تؤدي لا محالة إلى ارتكاب الخطايا فعلاً. وهو يخالف الأوغسطيني في أنه يعلم:

- ❖ أن خطية آدم غير محسوبة على نسله ولم يصب الجنس بسبب سقوط آدم غير الضعف الأدبي وانحراف الصحة الروحية وذلك على قولهم ليس خطية.
- ❖ أن بداءة الخلاص هي من الإنسان أي هو يبتدئ أن يطلب الله ثم يأخذ الله في مساعدته.
- ❖ أن الإنسان يشارك الله في عمل التجديد والتقديس، فنصف العمل محسوب لله والنصف الآخر للإنسان(١).



والرأي السائد فى المسيحية هو الاعتقاد بأن خطية آدم أضرت بالجنس البشري وأن نتائج الخطية امتدت إلى نسل آدم وهو عين ما جاء في المذهب الأوغسطيني.

ولقد نتج عن الاعتقاد بأن خطيئة آدم أضرت بنسله ثلاث قضايا رئيسية هي:

١ ـ تعليل حسبان خطية آدم على نسله.

٢ ـ فساد الطبيعة الموروثة من آدم أي (الخطية الأصلية).

٣ ـ عجز الإنسان الساقط عن كل خير روحي.

القضية الأولى: تعليل حسبان خطية آدم على نسله:

لقد اختلف المسيحيون في تعليل حسبان خطية آدم على نسله على مذاهب متعددة أشهرها:

الأول: أن خطية آدم ليست سبب إثم الجنس البشري مطلقًا وأنه ليس بين آدم والبشر نسبة طبيعية ولا جسدية ولا شرعية تسبب فيهم الخطية، ومن أهل هذا المذهب من نسب خطأ البشر إلى قصد أو ترتيب إلهي وهو أنه إن أخطأ آدم يخطئ جميع البشر بدون نسبة بينه وبينهم توجب ذلك، ومنهم من نسبها إلى اختيار الإنسان الحر فقالوا كما اختار آدم أن يخطئ كذلك يختار كل إنسان الخطية بدون

---

(١) المرجع السابق ص٦٣٧.

وجود نسبة طبيعية أو شرعية بينه وبين آدم[١] وعن هذا المذهب جاء في علم اللاهوت النظامي "ولا يخفي أن هذا المذهب غير مطابق لتعليم الكتاب المقدس"[٢] لأن الكتاب المقدس ـ كما يقولون ـ يعلمنا أن خطية آدم أضرت بجميع الجنس البشري حيث إن آدم هو رأس الجنس البشري ونائبهم الشرعي وبخطئه امتدت الخطيئة إلى نسله.

الثاني: مذهب أوريجانوس[٣]: وهو نسبة خطأ البشر الحاضر إلى عمل اختياري من كل إنسان في وجود سابق لا إلى معصية آدم الأولى، أي أن النفوس تولد في هذا العالم في حال الخطية لأنها وجدت سابقًا في كينونة أخرى وأخطأت فيه على الله، وهذا الرأي ـ كما جاء في علم اللاهوت النظامي ـ رأي وهمي لا أساس له في الكتاب المقدس الذي يعلمنا أن الله خلق الإنسان جسدًا ونفسًا ورأى ذلك أنه حسن ـ خلافًا لمضمون هذا المذهب أن آدم هو روح ساقط ـ وأنه خلق على صورته تعالى في المعرفة والبر والقداسة وهو سقط في تلك الحال في هذه الحياة لا في غيرها، وأنه بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ودخل بالخطية الموت وأن الجميع أخطأوا بإنسان واحد، وكل ذلك يناقض هذا المذهب[٤].

الثالث: مذهب الجوهر العام: وهذا المذهب يقوم على: "أن البشر اشتركوا في خطية آدم لأنهم كانوا فيه حقيقة وأرادوا وفعلوا كل ما أراد وفعل هو. وقد سمى هذا

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ٦٤٩.

(٢) نفس المرجع ص٦٤٩.

(٣) أوريجانوس يحتل مكان الصدارة بين القادة الأولين للفكر المسيحي، ويعتبره البعض أعظم بطل مسيحي ظهر في القرون الأولى. بل نفس الذين اختلفوا معه وهاجموه وطعنوا في حياته وفي كتاباته لا ينكرون عليه مكانته كمفكر لم تنبت القرون المختلفة كثيرين مثله. ولد أوريجانوس لويندا س في حوالي سنة ١٨٥ م في مدينة الإسكندرية وكان بكر العائلة كبيرة العدد، وفي سن السابعة عشرة اجتاز هذا الشاب التقي الرقيق الإحساس في اختبار أليم قاس عندما بدأ "سفريوس" اضطهاداته "العنيفة ضد المسيحيين سنة ٢٠٢"م والتي راح ضحيتها والده الرجل التقي لونيداس. ولقد تعرض أوريجانوس لعذابات في أثناء الاضطهاد المريع الذي شنه الإمبراطور ديسيوس (١٤٩ ـ ٢٥١م) والذي شمل الإمبراطورية كلها تقريبًا وقد قيد بسلاسل ثقيلة في يديه ورجليه وعنقه وزج به في سجن مظلم وكوي بالحديد وكان هم القاضي أن يحتفظ به حيًا ليطيل عذابه. كان لهذا الاضطهاد والعذابات التي أضعفت جسده تأثيرها العميق والكبير على صحته حتى بعد أن خرج من السجن فمات هذا المعلم المصري في صور ودفن فيها في سنة ٢٥٣م. (راجع تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص٥٣٩ ـ ٥٤٦، التربية الدينية المسيحية للمرحلة الثانوية ط١٩٧٧ جـ٣ ص٥١ ـ ٦١.

(٤) علم اللاهوت النظامي ص٦٥٠.

المذهب بمذهب الجوهر العام لأنه مبني على الاعتقاد أن كل البشر جوهر واحد وأن كل فرد منهم هو جزء من ذلك الجوهر الجنس العام ومشترك مع جميع الأفراد في حياة واحدة. وبموجب هذا الرأي تكون خطية آدم خطيتنا نحن أيضًا لأننا ارتكبناها بالفعل وقد حسبت علينا باعتبار كونها خطيتنا لا باعتبار كونها خطيته فقط.

وقد استصوب هذا المذهب البعض من اللاهوتيين القدماء غير أن جمهور المحدثين رفضوه من وجهين:

الأول: من جهة عدم صحته في حد ذاته.

الثاني: من جهة عدم مناسبته لإيضاح النسبة بين آدم والبشر فيما يتعلق بحسبان الخطية الأصلية[1].

الرابع: مذهب الحسبان بالواسطة: "وهذا المذهب يعلم: أن البشر خطاة لأنهم يرثون من آدم طبيعة فاسدة آثمة بسببها يحسبهم الله مذنبين ويعاملهم كذلك، أي أنهم خطاة ليس لأن جرم معصية آدم حسب عليهم ولا لأن بينهم وبين آدم نسبة شرعية مع أنهم لا ينكرون تلك النسبة بل لأنهم يولدون خطاة وأن الله يقاص كل إنسان على الخطية لأنه ولد خاطئًا واستحق القصاص لا لأن آدم كان نائبه وهو قد سقط بسقوطه"[2].

الخامس: ويسمى مذهب الحسبان رأسًا بدون واسطة: "وهو الأكثر قبولاً عند جمهور اللاهوتيين.

وحقيقة هذا المذهب: أن آدم هو رأس البشر الطبيعي ونائبهم الشرعي وأن البشر بسبب ذلك امتحنوا فيه ونتج لهم من سقوطه:

أولاً ـ ولادة كل فرد منهم في طبيعة فاسدة.

ثانيًا ـ وتحت طائلة قصاص معصيته.

---

(١) المرجع السابق ص٦٥٠.

(٢) المرجع السابق ص٦٥٠.

فالأمر الأول نشأ عن رئاسته الطبيعية أي أنه فسد فنال زرعه بالولادة طبيعة فاسدة بموجب الناموس العام أن الشيء يلد نظيره بمعنى أن كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية[١]. وقد ناقشنا ذلك فيما سبق.

والأمر الثاني: نشأ عن رئاستهم الطبيعية التي بموجبها كان نائبهم الشرعي (بتعيين رسمي من الله) وحسب عليهم جرم معصيته لأنه نائبهم الشرعي.

وحاصل هذا المذهب: أن جرم خطية آدم الأولى وفقدان بره الأصلي وفساد طبيعته بسقوطه وصل إلى جميع المتناسلين منه لأنه رأسهم الطبيعي ونائبهم الشرعي وأن بين البشر وآدم نسبة طبيعية ونسبة شرعية وأنهم بواسطة الأولى أخذوا منه الطبيعة الفاسدة وبواسطة الثانية حسب عليهم جرم معصيته[٢].

هذا المذهب هو الذي يؤمن به أكثر المسيحيين، ومضمونه أن خطية آدم أضرت به وبنسله حيث إنه كان نائبهم الشرعي والطبيعي.

ونحن نقول إن هذه النسبة لا تجعل الإنسان يتحمل خطيئته نعم إن الشيء يلد نظيره ـ أي في الاستعداد العام ـ ولكن ليس من اللازم أن يكون هذا النظير له مثل صفاته وأفعاله الأخلاقية والدينية من حيث الصلاح وعدمه طالما إننا بازاء مخلوق له حرية الفعل والترك.

القضية الثانية: **فساد الطبيعة الموروثة من آدم**:

الأمر الثاني الناشئ من نسبة البشر إلى آدم لدى المسيحيين هو الخطية الأصلية أو فساد الطبيعة الموروثة من آدم أو الحال التي تولد عليها النفس بقطع النظر عن حسبان جرم معصية آدم عليها. وهو يقوم بما يأتي:

١ ـ خلو النفس من البر الأصلي الذي كان لآدم قبل سقوطه.

٢ ـ وراثتها طبيعة فاسدة من الوالدين.

---

(١) متى ٧: ١٧.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص٦٥١ بتصرف شديد.

٣ ـ عجزها في الأمور الروحية وهو نتيجة ضرورية مما سبق.

وقد سبق قولهم إن حسبان الجرم نشأ من رئاسة آدم النيابية الشرعية لأن الجرم لا يمكن أن ينقل كصفة ذاتية من شخص إلى آخر ولكن كنسبة خاصة إلى الشريعة يمكن أن يحسب من واحد إلى غيره.

وأما القضايا الثلاث الباقية التي ذكرت أعلاه فنشأت ـ كما يقولون ـ من رئاسته الطبيعية، والمراد بذلك أن آدم بعد سقوطه صار يلد أولادًا على شبهه كصورته، أي بدون بر، فاسدي الطبيعة، وعاجزين عن أن يكونوا صالحين، أو يفعلوا الصلاح من مجرد قوتهم وذلك بموجب الناموس العام الموضوع من الله أن الشيء يلد نظيره، وقد أجمع جمهور اللاهوتيين المسيحيين على أن هذه الأحوال الأربع (أي الثلاث المذكورة مع حسبان الجرم) المجتمعة في كل فرد من بني آدم قد جعلت قصاصًا عليهم بسبب معصية آدم.

وأما بعضهم فلم يروا لزومًا لاعتبار غير حسبان الجرم قصاصًا وقالوا: إن الثلاث الباقية نتائج طبيعية عين الله وقوعها بسبب سقوط آدم وأنها نشأت بواسطة الولادة الطبيعية[١].

القضية الثالثة: عجز الإنسان الساقط عن كل خير روحي:

والأمر الثالث الناشئ من نسبة البشر إلى آدم وسقوطه هو عجز الإنسان الساقط عن عمل الصلاح الروحي أمام الله من تلقاء نفسه وبقوته الذاتية وذلك مدلول عليه ضرورة الموت الروحي.

والمذاهب المسيحية المشهورة في شأن قدرة الإنسان الساقط في الأمور الروحية هي:ـ

الأول: المذهب البيلاجي: وهو أن للخطاة قدرة كاملة على عمل ما يكلفهم الله به.

---

(١) المرجع السابق ص٦٧٢.

والثاني: المذهب النصف البيلاجي: (ويوافقه المذهب الأرميني) [(١)] وهو:ـ أن قوى الإنسان ضعفت بسبب سقوط الجنس لكنه لم يفقد كل قدرة على عمل الصلاح الروحي أمام الله. وأصحاب هذا المذهب يسلمون بلزوم النعمة الإلهية لمساعدة الإنسان في حياته الروحية وحفظه من الارتداد ولكنهم ينكرون وجوب تلك النعمة لتقديره على ابتداء الحياة الجديدة فيقولون إن كل إنسان قادر من تلقاء نفسه أن يتوب ويؤمن بالمسيح ويقصد الحياة الروحية لكنه يحتاج إلى مساعدة الله على إتمام ذلك والمواظبة عليه[(٢)].

الثالث: المذهب الأوغسطينى ويقولون عن هذا المذهب إنه المذهب الإنجيلي:ـ

وهو: أن البشر عجزوا منذ السقوط كل العجز باعتبار قدرتهم الذاتية عن الرجوع إلى الله أو عن عمل الصالحات الحقيقية أمامه تعالى للفساد الذاتي الموروث[(٣)].

مما سبق يتبين لنا: أن صورة الإنسان بعد السقوط ـ فى الديانة المسيحية ـ تتجلى بوضوح من خلال العقوبات التي صاحبت سقوط الإنسان.

وعموم القول فإن الإنسان بعد السقوط ـ فى الديانة المسيحية ـ فقد موهبة البر والقداسة بل والصلاح ولم يفقد آدم وحده هذه الكمالات بل امتدت إلى جميع نسله إلى بني البشر جميعًا فأصبحوا يولدون بلا بر وبلا صلاح بل بالخطية الأصلية المتعلقة بظهورهم.

---

(١) ينسب المذهب الأرميني إلى يعقوب أرمينيوس الذي كان أستاذًا لعلم اللاهوت في مدرسة ليدن الجامعة من سنة ١٦٠٢م إلى حين موته سنة ١٦٠٩م مع أنه كان راعيًا لكنيسة هولندا الكلفينية. حامي أولاً سرًا ثم جهرًا عن النظام اللاهوتي الذي دعى من ثم فصاعدًا باسمه وانتشر بغاية السرعة رغمًا عما اعترضه حالاً من المقاومة من المعتبرين في الكنيسة، ثم بعد برهة قصيرة قدم الأرمينيون للرؤساء لأجل تحديد تعليمهم خمس عقائد تعبر عن إيمانهم بالتعيين السابق والنعمة فاشتد الجدال في شأن تلك العقائد بين الكلفينيين والأرمينيين، ولما عجزت كل الوسائط عن تسكيت أهل البدع دعا ديوان الولاية العامة انعقاد سنودس عام في (دورت) من هولندا فالتأمت جلساته من سنة ١٦١٨م إلى سنة ١٦١٩م وحكم فيه بإجماع على التعليم الأرميني وأثبت إيمان الكنائس المصلحة العامة الكلفيني. وليس الآن من يعترف بقانون الإيمان الأرميني من الكنائس الإنجيلية الكبيرة سوى كنيسة المثوديست في إنجلترا وأمريكا (راجع علم اللاهوت النظامي ص١٤٠.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص٦٩١.

(٣) المرجع السابق ص٦٩٢.

يقول القس إنسطاسى شفيق: (وعندما سقط الإنسان تعطلت نفسه فأمحت عنها صورة الله وانفسدت طبيعته وصار ميتاً فى الخطية وتعطل جسده أيضا وصار خاضعاً للموت بسبب السقوط وتعطل العالم أيضًا نظرًا إلى الإنسان تعطيلاً عظيمًا كما لو فقد النظام والتريب ورجع إلى الحالة الخربة التي كان عليها قبل انتظامه)[١].

ويقول د/ حنا جرجس الخضري: (ومن هذا التاريخ ـ تاريخ السقوط ـ ويعد ذلك "فسدت الأرض وامتلأت ظلمًا ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت"[٢]. إن سقوط الإنسان الأول كان عبارة عن الحلقة الأولى لسلسلة طويلة ثقيلة قيدت البشر جميعًا وكانت تطوح بهم بلا رحمة إلى الهلاك الأبدي الذي هو انفصال الخالق عن المخلوق)[٣].

ويقول دوم كولومبا مرميون: ولكن آدم أخطأ فأضاع على نفسه وعلى نسله هذه الهبة الإلهية ـ التي هي مشاركة الطبيعة الإلهية ـ التي جعلها الله لآدم وجعلت منه ابنا لله ـ فأصبحنا لذلك نولد خطاة عارين من هذه النعمة التي تجعل منا أبناء الله وصرنا إذ ذاك أبناء الغضب وأعداء الله[٤].

ويقول بنيامين بنكرتن ـ "يزعم الناس بعض الأحيان أن الداء الوحيد الذي اعتراهم بالخطية هو العجز أو الضعف ولكن وجد فيهم داء آخر أشر وهو عدم الإرادة أو بالأحرى الرفض والعصيان"[٥].

يعتقد المسيحيون أن الإنسان بزلته قد أضاع الكمالات التي كان الله قد وهبه إياها والتي قد دعاها الكتاب المقدس صورة الله، ويؤيد ذلك قول بولس(إن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله)[٦].

لقد سقط الإنسان تحت ثقل غضب الله إذ تعدى الناموس الإلهي[٧].

---

(١) القس إنسطاسى شفيق: الفداء في إنجيل لوقا ص٣٢.
(٢) تكوين ٦: ١١ ـ ١٢.
(٣) د/ القس/ حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي ـ المجلد الأول ص٢٧.
(٤) دوم كولومبا مرميون: المسيح حياة النفس. ترجمة المطران "نصر الله صغير" ص٣٣.
(٥) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص٣٠٦.
(٦) رومية ٣: ٢٣.
(٧) الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٥٢ ـ ٥٣.

وبتعدي وصية الله فقد الإنسان ما اكتسبه من الصورة الإلهية التي أخذها عندما خلق، بمخالفة وصية الله هوى الإنسان إلى حالة يرثى لها، فضعفت قوى عقله وغشيت الظلمة نوره وتدنست قداسة إرادته، وعقب راحته الاضطراب وانفتح إليه سبيل الأهواء التي تدأب على محاربة العقل فأضحى مسرحًا محزنًا لتلك الحروب الداخلية وقد دفعت الأهواء البشر إلى شرور كثيرة وسببت هذه الشرور أمراضًا مختلفة يتعرض لها الإنسان فتضعف جسمه وتضنيه الكوارث والهموم ومن هنا نجم الموت الجسدي الذي هدد الله الإنسان به إذا خالف وصيته. غير أن هذا الموت الجسدي قد اقترن بموت آخر مرعب وهو الموت الروحي أعني فصل الإنسان عن الله لأن المعصية قطعت الرباط الذي به كان الإنسان متحدًا بالله وهو طاهر: نور العقل وقداسة الإرادة البريئة من كل دنس[١].

فهم يرون أن آدم اختار المعصية والشر فدخل الانحلال والفساد إرادته وجرى عليه حكم الله بالموت[٢] بمعنى أن هذا الإنسان عاجز بسبب الخطيئة عن كل خير روحي ومتصف بانحراف العواطف وعصيان الإرادة.

وهذا الإنسان لا يستطيع أن يقوم بأعمال البر والصلاح، لأن قدرته على عمل الصلاح وأعمال البر سلبت منه بخطيئة آدم.

ومقتضى هذا الاعتقاد أن الجنس البشري مكبل بقيود خطية آدم والتي بسببها عجز الإنسان عن كل خير روحي.

وهذه العقيدة تتعارض مع واقع تاريخ الجنس البشري من نصوص الكتاب المقدس حيث إنه من المعروف أن الله قد اختار بعض هؤلاء البشر الآثمين اختارهم رسلاً وأنبياء، اختارهم واصطفاهم ليبلغوا رسالاته للناس ولهداية البشر، اختارهم وأيدهم بمعجزاته وآياته وكتبه ورسالاته، اختارهم لبرهم وصلاحهم ووعدهم جنات الفردوس والنعيم، اختار نوحًا رسولاً بارًا، واختار إبراهيم له خليلاً، واختار لوطا نبيًا، واختار موسى كليمًا، واختار إسماعيل وإسحاق ويعقوب الملقب

---

(١) المصدر السابق ص٧٤.

(٢) سر التدبير الإلهي (التجسد) ص٩٧.

بإسرائيل، واختار داود المبارك جد عيسى الذي طالما تفاخر عيسى بأنه من سلالته واختار ابنه سليمان واختار غيرهم كثيرين كل هؤلاء اختارهم سبحانه رسلا مكرمين وأنبياء مطهرين[١] فهل هؤلاء الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته عاجزين عن كل خير روحي؟ الجواب في نظر المسيحية نعم وذلك بمقتضى اعتقادهم بفساد الطبيعة البشرية التي ورثت لنسل آدم.

ولكن جواب الكتاب المقدس يتعارض مع مايعتقده المسيحيون :-

ففي رسالة بطرس الثانية (إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء. ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحًا ثامنًا كارزا للبر إذ جلب طوفانًا على عالم الفجار)[٢].

وفي الرسالة إلى العبرانيين (بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكًا لخلاص بيته فبه دان العالم وصار وارثًا للبر الذي حسب الإيمان)[٣].

والله سبحانه وتعالى بارك نوحًا وبنيه المؤمنين ففي سفر التكوين (وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض)[٤].

كل ذلك يدل على أن نوحًا كان رجلاً بارًا مؤمنًا بالله يعمل الصلاح بدليل أن الله نجاه ومن معه من المؤمنين، وبدليل أن الله باركه.

وعن سيدنا إبراهيم يقول سفر التكوين (فآمن بالرب فحسبه له برًا)[٥].

وأيضًا "مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض)[٦].

وفي قاموس الكتاب المقدس (وكان إيمان إبراهيم عظيمًا إلى الحد الذي عنده كان مستعدًا أن يقدم ابنه وحيده إسحاق[٧] ذبيحة للرب ولكن الرب منعه من ذلك وقد

---

(١) محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله ص١٥٦ ، ١٥٧.
(٢) ٢ ـ بطرس ٢ : ٤ ، ٥.
(٣) عبرانيين ١١ : ٧.
(٤) تكوين ٩ : ١.
(٥) تكوين ١٥ : ٦.
(٦) تكوين ١٤ : ١٩.
(٧) تكوين ٢٢ : ٢ ـ ١٢ ولقد اعتقد المسيحيون أن الذبيح هو إسحاق وسنناقش ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب.

كانت حياة إبراهيم مع الناس مظهرًا لإيمانه بالله وقد ظهر هذا في كرمه (تكوين ١٣ : ٩ ـ ١٤ : ٢٣) وإضافته للغرباء (تكوين ١٨ : ٢ ـ ٨) وإخلاصه ووفائه وأمانته وحنوه ورقة عاطفته (تكوين ١٤ : ٣ ـ ٢٤، ١٨ : ٢٣ ـ ٣٢ ـ ٢٣ ـ ٢) وشجاعته (تكوين ١٤ : ١٤ ـ ١٦) [١] كل ذلك يدل على البر والصلاح لإبراهيم عليه السلام ولا يدل على وراثة العجز عن كل خير روحي.

ويقول إنجيل لوقا عن زكريا وامرأته (وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم)[٢].

ويقول الإنجيل عنه (كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر) [٣].

وعن دانيال يقول الكتاب المقدس:

"ففاق دانيال هذا على الوزراء والمرازية لأن فيه روحًا فاضلة وفكر الملك في أن يوليه على المملكة كلها. ثم إن الوزراء والمرازية كانوا يطلبون علة يجدونها على دانيال من جهة المملكة فلم يقدروا أن يجدوا علة **ولا ذنبًا لأنه كان أمينًا ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب**[٤]" وتكلم دانيال عن نفسه (إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأني وجدت بريئًا قدامه وقدامك أيضًا أيها الملك لم أفعل ذنبًا)[٥].

وعن النبي داود جاء في الملوك الأول (ولم تكن كعبدي داود ـ الخطاب ليربعام ـ الذى حفظ وصاياي والذي سار ورائي بكل قلبه ليفعل ما هو مستقيم فقط في عيني[٦] وعن الملك حزقيا (وجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلاً آه يا رب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك. وبكى حزقيا بكاء عظيمًا ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي هكذا قال الرب إله داود أبيك قد سمعت

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١١ ـ ١٢.
(٢) لوقا ١ : ٦.
(٣) لوقا ١ : ٧٠.
(٤) دانيال ٦ : ٤.
(٥) دانيال ٦ : ٢٢.
(٦) ملوك أول ١٤ : ٨.

صلاتك. قد رأيت دموعك. هاأنذا أشفيك في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب. وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة وأنقذك من يد ملك آشور[١].

فالله استجاب لدعائه وشفاه بل وزاد له في عمره وذلك لانه كان بارًا صالحًا يعمل الصلاح والخير بقلب سليم.

ويشهد الكتاب المقدس للنبي "أيوب" بأنه كان رجلاً صالحًا تقيًا مستقيمًا "قال الله : عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل مستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر"[٢].

ويقول أيوب عن نفسه (قلت أنا برئ بلا ذنب زكى أنا ولا إثم لي)[٣].

وفي قاموس الكتاب المقدس عن أيوب (ويظهر من خلال المحاورات التي دارت بين أيوب وأصحابه أنه كان يشعر شعورًا قويًا باستقامته ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يدرك سر اليد التي جاءت عليه بقوة وبقسوة، ويزداد التنازع الداخلي القلبي كلما ازداد اليأس من حالته الخارجية الظاهرة ولكنه في كل هذه يبقى ثابتًا على عزمه راسخًا في اعتقاده أنه مهما يقع عليه من سوء ومهما يصيبه من شر فإنه سيبقى على ثقته بالله واتكاله عليه ثم يرى بريقًا من النور عندما يجول بخاطره أنه في وقت ما ووفقا لمسرة الله ورضاه سيظهر بر أيوب وتعلم براءته)[٤].

كل هؤلاء الأنبياء السابقين ثبت برهم وصلاحهم من خلال شواهد الكتاب المقدس والتي تصرح بأن خلاص هؤلاء كان باستقاماتهم وتقواهم وصلاحهم (وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم)[٥].

فالجواب الصحيح للسؤال الذي طرحناه سابقًا :ـ

---

(١) ملوك ثان ٢٠ : ٢ ـ ٦ ، إشعياء ٣٨: ٢ ـ ٦.
(٢) أيوب ١ : ٨ ـ ٩ ، ٢ : ٣.
(٣) أيوب ٣٣ : ٩.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص١٤٨.
(٥) حزقيال ١٤ : ١٤.

أنه قد ثبت البر والصلاح والتقوى لأفراد من البشر أي من نسل آدم. ومادام قد ثبت ذلك فإن معناه أن الله قد وهب هؤلاء الأفراد ما يستطيعون به أن ينالوا رضاه عن طريق توجيه هذه المواهب إلى الله وبها يكون الصلاح والتقوى، وإذا جاز ذلك على أفراد فبالتالي يجوز على جميع الأفراد إذا سلكوا الطريق الصحيح إلى رضاء الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فلا مجال للقول بأن الجنس البشري سلب منه كل خير روحي نتيجة لخطيئة آدم.

على أن الاعتقاد بأن الإنسان الساقط عاجز عن كل خير روحي عقيدة لا تناسب مع الأحداث والوقائع الدينية التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس، ومضمون هذه الأحداث أن الله يفرق في المعاملة، بين المطيعين له والعاصين. فلو كان الجنس البشري الذي ورث الطبيعة الفاسدة من آدم سلب منه كل خير روحي ـ أو عاجز عن كل خير روحي ـ لما كان هناك المطيع والعاصى ولما كانت هناك تفرقة في المعاملة بين المطيع والعاصى لأن كل الأفراد ـ على أساس هذا الاعتقاد ـ سواسية في العجز عن طاعة الله لأن الطاعة تكون بالبر والخير، والبر والخير الروحي رفع عن الإنسان بسبب الطبيعة الفاسدة التي ورثها عن آدم.

من هذه الأحداث :ـ

الأول: قابيل وهابيل:ـ

ونرى في هذه الواقعة أن الله فرق في المعاملة بين ولدي آدم هابيل وقابيل، قدم كل واحد منهم قربانا فقبل سبحانه القربان من أحدهما لصلاحه وتقواه ولم يتقبل من الآخر لعدم صلاحه وتقواه.

فكانت نتيجة ذلك أن مد قابيل يده إلى أخيه هابيل وقتله، فكان جزاء هابيل أن الله وعده سيدخله الجنة لصلاحه وتقواه وجزاء قابيل الخسران والبوار والجحيم.

والقصة كما وردت في سفر التكوين (وكان هابيل راعيًا للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض. وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب. وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه. ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدًا وسقط وجهه. فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك. إن أحسنت أفلا رفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة

وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها، وكلم قايين هابيل أخاه. وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله)[١].

فرق الله في المعاملة وفي الجزاء بين ولدي آدم في الدنيا والآخرة كل حسب عمله ولو كان الله لم يعف عن آدم ـ كما يقولون ـ أو كانت الخطية تتوارث كما يدعون لكان جزاء ولدي آدم وحواء واحدًا.

ولما كان هناك مبرر للرضى عن هذا وللسخط عن ذاك ولا إدخال هذا في الجنة وذاك في السعير وإنما هى العدالة الإلهية لا تأخذ البرئ بجريرة الآثم وإنما تعطي لكل ذي حق حقه[٢].

وأيضًا لو كانت الطبيعة الفاسدة تتوارث والتي عن طريقها يعجز الإنسان عن كل خير روحي لما استطاع هابيل أن يرضي الله لأن رضاء الله بالخير، والإنسان الوارث الخطية والطبيعة الفاسدة عاجز عن هذا الخير، ولو كان الأمر كذلك لما كان هناك من حاجة إلى ثواب وعقاب لأن كل الجنس البشري ساقط في الخطية.

الثاني: الطوفان:

وهو يعني إغراق الكافرين الضالين ونجاة المؤمنين المهتدين. وفيه نجى الله نوحًا ومن آمن معه، وأهلك وأغرق الذين كفروا به وبرسالته، وهو إجابة على السؤال القائل لماذا نجى الله نوحًا وأغرق قومه؟

إن الله نجى نوحًا ومن معه لأنهم قوم صالحون فرضى عنهم ونجاهم، وأغرق غيرهم لأنهم غير صالحين وهذا يدل على أن نجاة الفرد في الدنيا وكذا في الآخرة إنما تكون بإيمانه وصلاحه وبره، وأن عدم النجاة في غير ذلك، فلو كانت الخطية متوارثة لما استطاع الإنسان أن يقوم بالصلاح والبر ولما استطاع أن ينال نجاة الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) تكوين ٤ : ٢ ـ ٨.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٦٧.

ولكن الواقع الذي حدث خلاف ذلك فهذا يدل على عدم توارث الخطية الأصلية. والقصة كما جاءت في سفر التكوين: "ورأي الله الأرض فإذا هي قد فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض. فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكًا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن[١]......

فها أنا آت بطوفان من الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت. ولكن أقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك[٢]..... فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان[٣].....

وكان الطوفان أربعين يومًا على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك. فارتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا على الأرض[٤].... فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط[٥].

وغير ذلك من الأحداث الدالة على أن الله بفضله ينجي المؤمنين ويهلك الكافرين، وذلك مثل نجاة موسى ومن آمن معه وإغراق فرعون ومن معه، ونجاة لوط ومن آمن معه وإهلاك قومه الذين كفروا به، وغير ذلك من أحداث.

لماذا كل هذه العقوبات نتيجة للخطية

والمرء منا يتساءل: لماذا كل هذه العقوبات الكثيرة التي امتدت إلى العالم كله من حيوانات ونباتات بل وإلى بني البشر أجمعين؟ لماذا كل هذه اللعنات التي انصبت

(١) تكوين ٦: ١٢ ـ ١٤.
(٢) تكوين ٦: ١٧ ـ ١٨.
(٣) تكوين ٧: ٧.
(٤) ٧: ١٧ ـ ١٨.
(٥) تكوين ٧ ـ ٢١ ـ ٢٣.

على العالم كله مع أن الأمر كله لا يعد سوى ثمرة شجرة امتدت يد حواء إليها فأكلت وأعطت آدم فأكل؟

جاء "في علم اللاهوت النظامي": وقد اعترض البعض على ذلك بقولهم إن الإنسان لا يفسد كل الفساد بمعصية واحدة.

فنجيب أن هذا يصح بمعنى أن الإنسان لا يبلغ أعظم الشر بخطية واحدة، ولكن معصية واحدة توجب على مرتكبها الموت الروحي بإيجابها عليه غضب الله ولعنته وفقد الاتحاد به تعالى، كما أن ثقبًا واحدً في القلب يميت الجسد أو وخزة واحدة في عين إنسان تعميها طول حياته، وأما البلايا الآخر المختلفة التي نشأت لآدم وحواء من معصيتهما فإنما هي تابعة لتلك[1]. ويقول عوض سمعان: كما أن الخاطئ - في نظر الله - ليس من يعمل خطايا كثيرة فقط بل ومن يعمل خطية واحدة أيضًا، فقد قال الكتاب: (لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل. لأن الذي قال: لا تزن قال أيضًا لا تقتل. فإن لم تزن لكن قتلت فقد صرت متعديا الناموس)[2]. ولذلك لأجل خطية واحدة طرح بعض الملائكة من السماء[3]، ولأجل خطية واحدة طرح آدم وحواء من جنة عدن[4] ولأجل خطية واحدة حرم موسى من دخول أرض كنعان[5] ولأجل خطية واحدة مات حنانيا وسفيره في الحال[6] فضلاً عن ذلك فإن الخطية تحسب خطية حتى إذا كان المرء لا يعلم أنها خطية أولا يشعر بها عند عملها لأن الجهل بالقانون لا يبرئ المعتدي عليه ولأن عدم الشعور بالخطية سهو، والسهو عن وصايا الله خطية، ولذلك قال الكتاب: "ولا تقل قدام الملك إنها سهو"[7] مما تقدم يتضح[8] لنا أنه إذا عاش الإنسان دون أي خطية

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.
(٢) يعقوب ٢: ١٠، ١١.
(٣) ٢ - بطرس ٢: ٤.
(٤) تكوين ٣: ٢٤.
(٥) تثنية ٣٢: ٥.
(٦) أعمال الرسل ٥: ١ - ١١.
(٧) جامعة ٥: ٦.
(٨) الكلام لازال للقس/ عوض سمعان.

إيجابية ولكن لم يعمل كل الصلاح الذي يستطيع القيام به لكن أخطأ خطية واحدة عن طريق الجهل أو السهو يكون خاطئًا كذلك[١].

معنى هذا أنهم يعتقدون أن الخطية الواحدة تؤدي إلى الهلاك الأبدي.

ولنا أن نقول: إنه إذا كانت الخطية الواحدة توجب على الإنسان الفساد فإنه لا يخلو إنسان من ارتكاب خطأ يصح أن يطلق عليه معصية أو عصيان حتى المسيح نفسه وإليك الأدلة:ـ

مثلاً: المسيح حين جاءه قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير فاسق يطلب آية[٢]. وقالها أكثر من مرة. ويظهر من هذا أنه كان معتادا على السب والشتم لأنهم سألوه بكل احترام وخاطبوه بلفظ يا معلم ولكنه ما لبث أن سمع سؤالهم فنزل فيهم بقوارع الكلمات[٣] ومع ذلك فلم يفسد المسيح، علمًا بأن السب معصية يقول المسيح (من قال لأخيه يا أحمق فقد استوجب نار جهنم[٤]).

وأيضًا: إن الله أوصى بإكرام الآباء والأمهات على لسان المسيح فقال:

"أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك"[٥] وبرغم ذلك فإنه خالف أمر الله هذا؛ إذ لم يكرم أمه ولم يلتفت إليها بل بقيت واقفة وزاد على ذلك إذ قال في جواب المخبر من هي أمي وإخوتي؟ يقول متى (وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجًا طالبين أن يكلموه. فقال له واحد هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجًا طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له. من هي أمي ومن هم إخوتي)[٦].

---

(١) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٠ ، ١١.
(٢) متى ١٢ : ٣٩ـ١٦ : ٤.
(٣) جلال الدين شمس أحمدي: البرهان الصحيح في إبطال ألوهية المسيح ص٥٠.
(٤) متى ٥ : ٢٢.
(٥) متى ١٩ : ١٩.
(٦) متى ١٢ : ٤٦ـ٤٨.

ولما قالت له أمه ليست لهم خمر فقال لها مالي ولك يا امرأة يقول يوحنا (وفي اليوم الثالث كان عُرْسٌ في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودعي أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة) [١] أهذا يكون احترام للأم؟ وهل يجوز زجرها بهذه الصورة؟ هل يليق بشأن الصالح أن ينادي أمه بلفظ امرأة؟[٢] .

وهكذا نرى أن المسيح أخطأ إذ خالف أمر الله بإكرام الأمهات[٣].

فالمسيح وقع منه بعض الأخطاء التي يطلق عليها مخالفة ومع ذلك لم يفسد السيد المسيح ـ عليه السلام.

على أن بولس مؤسس المسيحية الحالية وأكبر دعاتها قد ارتكب من المعاصي والخطايا والتي بحسب مضمونها تساوي أضعاف معصية آدم التي لا تعدو سوى تناول ثمرة واحدة من شجرة محرمة، فلو قورنت معاصي وخطايا بولس بمعصية آدم لظهر الفرق الواضح والبون الشاسع بينهما. يقول سفر الأعمال عن بولس (أما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن) [٤] (أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب) [٥] فهي ليست واحدة بل سطو على الكنيسة وسطو على بيوت التلاميذ بل وتسليمهم هم وأبناؤهم ونساؤهم إلى السجن. وتسأل لماذا؟ لأنهم يؤمنون بالله وبرسالة المسيح.

ولم يقتصر الأمر على السجن بل تعداه إلى سفك الدماء وقتل التلاميذ وأبنائهم.

إن هذا الخطايا أفظع بكثير من خطيئة آدم. فإن المسيح قال لتلاميذه:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال

(١) يوحنا ٢ : ١ ـ ٤.

(٢) البرهان الصحيح في إبطال ألوهية المسيح ص٥٠.

(٣) نحن نجل السيد المسيح ونوقره ونؤمن بأن مثل هذه الأمور لا تقع منه.

(٤) أعمال ٨ : ٣.

(٥) أعمال ٩ : ١.

لأخيه رقا[١] يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون يستوجب نار جهنم"[٢].

❖ والخطية الواحدة عامة تستوجب الفساد الكلي في نظر المسيحية وذلك لأن الخطية عندهم موجهه إلى الله ذاته وأن المخطئ بخطئه قد عاند الله.

يقول د/ عزت زكي (الخطيئة في ذاتها هي ثورة وتمرد على الله)[٣].

ويقول باركلي (إن أساس الخطية هو وضع الذات مكان الله فالخطية هي أن يعبد الإنسان نفسه بدلاً من عبادة الله)[٤].

ويقول حبيب سعيد (لم تكن الخطية في نظر كتاب الأسفار المقدسة المسيحية حماقة أو دمامة، ولم تكن داء أو جهلاً بل هي عصيان وإرادة شريرة جامحة وليست موجهة إلى تقليد من التقاليد الاجتماعية المرعية ولا إلى نظام أدبي عاطل عن العنصر الشخصي بل إلى الله الحي ذاته[٥].

ويقول عوض سمعان (إن الاعتقاد السائد بين معظم الناس هو أن من يفعل الخطية يسئ إلى نفسه أو إلى غيره من الناس فحسب لكن الحقيقة الواقعة هو أنه يسئ بها إلى الله قبل كل شيء آخر، لأن الله هو الذي نهى عنها لتعارضها مع طبيعته ومع الكمال الذي يريد أن يراه في خلائقه العاقلة. فقد قال الكتاب عن الله أنه لا يطيق الإثم[٦] وأن عينيه أطهر من أن تنظر الشر[٧] ولذلك فإن من يفعل الخطية علم أم لم

---

(١) رقا: كلمة آرامية معناها "فارغ" أى "خاو" أو "تافه"، وهو تعبير يفيد معنى الازدراء (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠٨).

(٢) متى ٥ : ٢١ ، ٢٢.

(٣) د/ عزت زكي: الأخلاقيات في محيط الفكر الديني ص١٢٧.

(٤) باركلي: (تفسير العهد الجديد) رسالة رومية ص٤٢.

(٥) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٨٠.

(٦) إشعياء ١ : ٣.

(٧) حبقوق ١ : ١٣.

يعلم ـ يرفض شريعة الله[١] وينقض عهده[٢] ويتمرد على شخصه[٣] ويسلبه حقوقه[٤] ويفسد أمامه[٥] ويحتقر اسمه[٦] وينجسه أيضًا[٧].

ويقول دوم كولومبا مرميون (إن الشخص الخاطئ بعمله ينكر على الله حكمته وحقه في سن الشرائع، ويتجاهل قداسته، ويأبى أن يؤدي له ما يجب له من عبادة إنه لا يعترف بقدرته، ولا بحق الطاعة له على من وهبهم الحياة. إنه ينكر عليه صلاحه وسموه على كل ما ليس هو، وينحدر به إلى ما دون الخلائق، وكأنه يقول بعمل لا يفهمه لا أعرفك ولا أخدمك. فالخطية إنكار في الواقع لكمالات الله وغمط لحقوقه)[٨].

وعلى ذلك فإن آدم ـ فى نظرهم ـ حين أخطأ واختار المعصية حريته عاكست حرية الله ومشيئته، ارتكب الخطية فدخل الفساد إرادته وطبيعته[٩] والإنسان الساقط متصف بانحراف العواطف وعصيان الإرادة ولا يجوز للمخلوق أن يعمل بحسب إرادته مطلقًا[١٠].

إننا نعرف أنه لا توجد إرادة معاندة في الكون لإرادة الله، وأن ما يقع من الإنسان من خطيئة أو معصية إنما هو في حد ذاته تقصير من الإنسان، بدليل أن الله سبحانه وتعالى شرع العلاج للخطايا والمعاصي وهي التوبة، فلو كانت الخطيئة معاندة لإرادة الله لكان من الأولى أن يهلك الله من يعانده لا أن يجعل له باب التوبة مفتوحًا أمامه

---

(١) إرميا ٦ : ٩.
(٢) يشوع ٧ : ١١.
(٣) هوشع ١٣ : ١٦.
(٤) ملاخي ٣ : ١٨،
(٥) نحميا ١ : ٧.
(٦) ملاخى ١ : ٦، حزقيال ٣٦ : ٢٠.
(٧) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٢.
(٨) المسيح حياة النفس ص٢٠٥.
(٩) أسبيروجبور : سر التدبير الإلهي (التجسد) ص١٥٠.
(١٠) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص٨١.

على مصراعيه والتوبة تلك هي التي تعيد إلى الإنسان وضعه الطبيعي تجاه الله سبحانه وتعالى.



❖ ومن ناحية أخرى قال بعضهم (إن خطية آدم تستوجب الفساد الكلى لأنها تشبه خطيئة إبليس.

جاء في علم اللاهوت النظامي (فالحالة التي سقط إليها آدم بمعصيته كحالة الملائكة الساقطين في سوء المنقلب العظيم)[١].

فهم يرون أن حالة الإنسان الساقط آدم وما آل إليه نتيجة للمعصية كحالة الملائكة الذين سقطوا في المعصية وأصبحوا شياطين.

وبالموازنة الدقيقة والنظرة الفاحصة يتبين لنا مدى الاختلاف الواسع بينهما.

فقصة سقوط الشياطين تختلف كل الاختلاف عن قصة آدم عليه السلام من جميع النواحي والزوايا :-

أولاً : أن طبيعة الملائكة الساقطين روحية بحتة بمعنى أن عصيانهم يستدعي ما آل إليه حالهم من أنهم أصبحوا أرواحًا شريرة، بينما كانت طبيعة آدم طبيعة جسدية وروحية، والإنسان إذا مال إلى أحدهما بتطرف أصبح مخطئًا، والإنسان يجد المشقة في أن يوفق بين مطالب كل طبيعة منهما وعلى ذلك فإن خطأه يستدعي الرأفة ورحمة الله معه.

ثانيًا: أن معصية هؤلاء الملائكة الساقطين إنما هي التكبر والتعالي على الله والسعي نحو التأله بقدرته الذاتية، بينما كانت معصية آدم لا تتعدى سوى تناول ثمرة من شجرة نهى الله عنها.

وفرق كبير بين الذي ينحو بمعصيته نحو الألوهية، وبين معصية لا تتعدى الخطأ الذي هو بالنسبة لمعصية الشيطان أقل بكثير.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.

ثالثًا: أن معصية آدم كانت بإغراء من الحية أو الشيطان، فكان آدم منساقًا إلى المعصية لا بالحرية الكاملة التي تعشق المعصية، ولكن بالإغراء والوسوسة من الشيطان عن طريق المرأة، بينما معصية الشيطان كانت بالحرية الكاملة لا بمعاكسة أحد له، وفرق بين خطأ صاحبه له الحرية كل الحرية دون أية مشاكسة من أحد وبين خطأ توافرت له دواعي الخطأ من طبيعة جسدية تحاول التغلب على الطبيعة الروحية التي في الإنسان ومن إغراء ووسوسة من الشيطان ومن طبيعة المرأة التي هي أكثر قبولاً لإغراء الشيطان ووسوسته.

رابعًا: أن الحالة التي انتهى إليها الشيطان بسقوطه ـ أن أصبح رئيسًا للأرواح الشريرة في العالم فليس هناك من معصية إلا وهو قد تسبب فيها، ولقد تحولت فيه قوات الخير إلى قوات للشر ليس له فكر سوى عمل الشر وسوق الإنسان إليه، لم يفكر لحظة في أن يعلل لله سبحانه وتعالى سبب خطأه ويرجوه مغفرته، فكانت نتيجة خطيئته الطرد من رحمة الله دون رجعة، بينما كانت الحالة التي انتهى إليها الإنسان أنه أحس بخطئه وحاول أنه يعتذر إلى الله ـ سبحانه بأن المرأة هي التي أغرته.

نعم إن الإنسان طرد من الجنة ولكنه يحاول أن يعود إليها بالتوبة والعمل الصالح بدليل أن يوجد من فصيلة الإنسان من هو بار يحاول إرضاء الله ولكننا لا نجد مثل هذا لدى الملائكة الساقطين.

فلا مجال للمقارنة بينهما من جميع الوجوه.



ما الطريق إلى الخلاص من خطيئة آدم لدى المسيحيين

لقد كانت خطيئة آدم ـ كما يقولون ـ سببًا في العقوبات واللعنات التي أصابت الإنسان والحيوان والنبات لأنها كان تأخذ ـ في نظر المسيحية ـ صورة الخطية ضد كمالات الله وطبيعته وناموسه ونظامه الأدبي، وأنها كانت بمثابة الثورة والتمرد والمعاندة لله سبحانه وتعالى.

لقد بعد الإنسان عن الله ـ فى نظرهم ـ بسبب هذه الخطيئة وأصبح متصفًا بالطبيعة الساقطة التي لا تستطيع القيام بأي نوع من أنواع الخير والبر، وأصبح

الإنسان في حالة الشقاوة والتعاسة إذ أن السعادة والهناء في القرب من الله والشقاوة والتعاسة في البعد عنه، ولكن هل يبقى الإنسان على هذه الحالة من الخسران والبوار أم أنه يستطيع أن يشق طريقه إلى غفران هذه الخطيئة فينال رضى الله ورحمته؟ وكيف يمكن أن يشق الطريق إلى الله مرة أخرى بعد السقوط؟ هل يستطيع القرب من الله بعمل الصالحات وطلب المغفرة والرحمة؟ أم أن هناك طريقا آخر.

لقد ذكر القس/ إلياس مقار عدة طرق للخلاص من الخطيئة وذكر فيها الطرق الخاطئة في نظره ـ ثم ذكر بعد ذلك الطريق الصحيح.

والطرق الذي ذكرها للخلاص من الخطيئة هي :ـ

أولاً: طريق الخلاص الظني:

"إن أول طريق خاطئ يمكن أن يكون هو الطريق التصوري أو الظني الذي يبنيه الناس على مجرد تصوراتهم أو ظنونهم دون سند من وحي أو كتاب، إذ يتصورون أن الله يمكن أن يغفر الخطية بمجرد الإغضاء عنها ونسيانها، ويقولون إنه إذا صح أن الإنسان يغفر بمجرد التسامح والنسيان فهل يكون الله أقل من الإنسان في ذلك؟ مع العلم بأن الله هو الذي يطالب الإنسان بأن يغفر لغيره بالصفح والترك والتسامح والنسيان ولكن القياس هنا مع الفارق البعيد، إذ أن الخطية من إنسان إلى إنسان آخر هي في الواقع جزء داخل من خطية هذا الإنسان تجاه الله إذ هي جزء من التشويش أو الإخلال ضد الناموس الأدبي الذي يمثل طبيعة الله الظاهرة، ومهما غفر الإنسان لأخيه الإنسان دون أن ينال الغفران الإلهي الشامل تجاه الله فمن العبث أن يقال أن موقفه صحيح تجاه الله"(١).

والواقع أن هذا فيه مغالطة شديدة؛ هم يقولون إن الله يطالب الإنسان بالعفو عن أخيه الإنسان، ثم يقولون بعد هذا، الله لا يغفر هذه الخطيئة معنى ذلك أن الإنسان

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٩.

الذى يعفو عن أخيه الإنسان، ويتسامح معه، ويغفر له خطيئته، هو مطيع لله فى أمره بالعفو والصفح والتسامح، وفى نفس الوقت هو عاص له، لأنه عفا عن خطيئة، وغفر زلة، هى موجهة لله أصلا، لأنها جزء من الخطيئة الأصلية.

فهل يا ترى: هل الإنسان مطيع لله فى العفو والصفح والتسامح، أم أنه عاص له.

على هذا المنطق العجيب هو مطيع وعاص فى نفس الوقت!!

ثم يقول: فإذا كان الغفران من إنسان إلى إنسان آخر كافيًا لما كان ثمة حاجة إلى طلب غفران الله بالنسبة للخطايا مع الآخرين، بل لما كانت هناك حاجة لأن يشعر الإنسان عندما يخطئ إلى أخيه الإنسان بأن الجرم في الأمر إزاء الله في هذه الخطية يبتلع ويطوي الجرم إزاء البشر، حتى إن داود عندما صاح تائبًا عن خطيئته الكبرى لم يقل إنه أخطأ إلي بتشبع أو أوريا أو المملكة بل قال (إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت)[١]. وهذا كله ينتهي بنا مرة أخرى إلى تأكيد ما سبقت الإشارة إليه أن الخطية تجاه الله هي الخطية ضد كمالات الله وطبيعته وناموسه ونظامه الأدبي، وأن هذه لا يكون فيها الغفران بمجرد التجاوز أو الإعفاء أو الإغضاء عن الصفات الطبيعية والأدبية في الله كالعدالة والحق والقداسة والجمال[٢].

ويقول (قد يقال: أليس من حق الله وسلطانه وهو صاحب السلطان الأدق والأعلى أن يعفو بكلمة عمن يريد أو يشاء؟ وهل يكون الله أقل من الملوك والرؤساء الذين يستطيعون بكلمة أن يعفوا عن المجرمين والمحكوم عليهم بأقصى العقوبات، ومرة أخرى نذكر هنا أن القياس مع الفارق لأن عفو الملوك الأرضيين أو الرؤساء إذا صح أنه نبيل وعظيم ومجيد، إلا أنه مع ذلك على حساب العدالة في إطلاقها وكمالها ومجدها، وأنه إذا صح أن البشر لأنهم ناقصون يعفون أو يتساهلون بدافع من نقصهم أو ضعفهم عن العدالة المطلقة فإن الله لا يمكن أن يعفو أو يتساهل قيد

---

(١) مزمور ٥١ : ٤.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٠.

شعرة عن العدالة المطلقة، وأن القول إن الله قادر على العفو بمجرد كلمة وأن أحدًا لا يمكن أن يجرده أو يطلب إليه أن يتنازل عن السلطان، إن هذا القول يفهم القدرة الإلهية فهما خاطئا؛ لأن الله مع قدرته اللانهائية **تورد أشياء نقول بكل احترام وإجلال لا يقدر عليها**، فمثلاً يمكن أن نقول إن الله لا يقدر أن يخطئ ولا بقدر بحال ما أن يفعل شيئًا ضد طبيعته وكمالاته، ومن ثم يمكن أن **نقول بملء اليقين: إن الله لا يمكن أن يغفر الخطية بمجرد كلمة إلهية تصدر منه، لأنه لا** يقدر أن يكون غير عادل أو غير قدوس أو غير حق، فإذا استحال على سبيل المثال أن يقف الحجر الساقط في الفضاء لأن ناموس الجاذبية يجذبه إلى الأرض، وهذا الناموس لابد أن يعمل عمله استحال كذلك في معنى أعمق وأكمل أن يكون هناك الغفران لأية معصية أو خطية تصطدم مع ناموس الله الأدبي وطبيعته وكمالاته ونظامه العام ما لم تجد عقوبتها كاملة، ومن ثم فإن المسيحية ترفض رفضًا باتًا تصور أن الله يعفو لمجرد العفو من غير جزاء كامل تحتمه العدالة الإلهية المطلقة)[1].

ومضمون طريق الخلاص السابق كما صوره القس إلياس مقار: أن الله لا يقدر أن يغفر خطيئة الإنسان لمجرد التسامح والعفو، لأن هذا يتعارض مع عدالته الذي جعل لكل خطأ عقابه، والعقاب لا يرفعه الرجوع إلى الله.

وإذا كان الإنسان يقدر أن يغفر خطيئة الإنسان فإن الله لا يقدر أن يفعل ذلك، لأن خطأ إنسان ضد أخيه الإنسان جزء من الخطية ضد الله، ولأنه لو كان غفران الإنسان لأخيه الإنسان كافيًا لما كانت هناك حاجة بطلب الغفران من الله، بل لما كانت هناك حاجة لشعور الإنسان بالذنب والمعصية إزاء الله عندما يخطئ إلى أخيه الإنسان. وكذلك أيضًا إذا كان الملوك والسلاطين يستطيعون العفو عمن تحت أيديهم فإن الله لا يستطيع ذلك لأنه على حساب العدالة الإلهية.

وهذا القول غير صحيح، إذ أن نسبة عدم القدرة لله فى العفو لمجرد العفو سواء أكان عن طريق التوبة من الإنسان أم لا خطأ كل الخطأ، لأنه كيف يصح إثبات صفة

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

للبشر، ولا يصح نسبتها إلى الله وهى جائزة عليه سبحانه وتعالى، إذ يجوز أن يعفو عن العاصين بعفوه ورحمته.

على أن نسبة عدم القدرة إلى الله ـ فى أمر هو جائز عليه ـ معناه أن الله عاجز عن عفو المسيئين، وإذا كان الله عاجزا ـ تعالى الله عن ذلك ـ فلا يصح أن يطلق عليه أنه إله.

على أن نسبة عدم القدرة إلى الله تتعارض مع ورد فى كتابهم المقدس:

ففي سفر الخروج (أنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء)[١] "ظهر الرب لإبراهيم وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً"[٢] والله سبحانه وتعالى واجب له القدرة خاصة القدرة على العفو عن المسيئين، يمد يد العون والرحمة والمغفرة لمن يطلبها (إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير)[٣] ولله سبحانه وتعالى كثير التفضل والإحسان بنص الكتاب المقدس:ـ

"الرب إله رحيم ورؤف بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء"[٤].

"احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته احمدوا إله الآلهة لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته"[٥].

والله سبحانه وتعالى بجانب أنه متصف بالعفو والرحمة فإن رحمته لا تتعارض مع عدالته التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس.

ففى سفر إرميا (إني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض لأنى بهذا أسر يقول الرب)[٦].

(أنا الرب محب للعدل)[٧].

وفي سفر التثنية (لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله)[٨].

---

(١) خروج ٦ : ٣.
(٢) تكوين ١٧ : ١.
(٣) عزرا ٨ : ٢٣.
(٤) خروج ٣٤ : ٦.
(٥) مزمور ١٣٦ : ١ ـ ٣.
(٦) إرميا ٩ : ٢٤.
(٧) إشعياء ٦١ : ٨.
(٨) تثنية ١ : ١٧.

وفي المزمور (ثبت للقضاء كرسيه وهو يقضي للمسكونة بالعدل)[١].

فالله سبحانه وتعالى يوصف بالعدل والرحمة.

(وهم يجردون الله تعالى من صفة الرحمة لحساب صفة العدل، مع أن العدل يستلزم أيضًا غفران الخطايا لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم أنه معرض للخطأ، ومن هنا يكون من العدل أن يقبل توبة التائب)[٢].

وتصوير العدل كعقبة في طريق المغفرة تصوير خاطئ، وما قيمة التوبة إذن إن كان العدل يمنع الرحمة والمغفرة؟.

يقول صاحب تفسير المنار (ما رأينا أحدًا من العقلاء ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول: إن عفو الإنسان عمن يذنب إليه أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ينافي العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل.

ونرى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون: إنه أهل للمغفرة فدعوى الصليبين أن العفو والمغفرة مما ينافي العدل مردودة غير مسلمة)[٣].

على أننا لو نظرنا إلى عقيدة الخلاص المسيحية ـ التي يعتبرونها هي الطريق الصحيح للخلاص ـ لوجدناها ترتكز في النهاية على مبدأ المغفرة بما يحتويه من تعارض مع العدل في نظرهم.

ذلك أن الفداء الخلاصي ليس بديلاً للمغفرة، ولكنه مجرد وسيلة، وهو بديل عن التوبة لا عن المغفرة، وكأنهم يقولون يغفر لا بالتوبة ولكن بالفداء. فلابد أن ينتهوا إلى مبدأ المغفرة وعندئذ يأتي ما يعترضون به من حيث العدل الإلهي.

على أنه يلزم من طريق الخلاص المسيحي ـ وهو صلب المسيح من أجل الخطيئة ـ شيء أعظم وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح، لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب، لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب ـ على ما زعموا ـ لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يعقل أن يكون

---

(١) مزمور ٩: ٧، ٨.

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ص٩٣.

(٣) تفسير المنار جـ٦ ص٢٣.

الخالق غير عادل ولا رحيم؟ أو أن يكون عادلاً رحيمًا فيخلق خلقًا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معًا[١].

فدعوى عدم الجمع بين العدل والرحمة غير مسلم بها.

ثانيًا: طريق الخلاص البشري:

وهذا الطريق يقوم على المجهود أو البذل البشري، وهذا الطريق كما تؤكد المسيحية لا يقل خطأ عن الطريق الأول. وهو على أنواع :ـ

يقول القس إلياس مقار: ١ ـ فهناك طريق الإذلال الجسدي الذي حاول به كثيرون في العصور المختلفة من التاريخ التقرب إلى الله عن طريق حرمان الجسد أو تعذيبه أو إيذائه أو فرض عقوبات مختلفة عليه. ولكن هذا الطريق خاطئ ومضلل لأكثر من سبب:

أولاً: أن المحكوم عليه بالإعدام لا يغير من الحكم عليه أي تصرف يتصرفه إزاء جسده، والجنس البشري الساقط والمحكوم عليه بالموت نتيجة الخطية لا يغير من الحكم عليه أو يبدل فيه أي تصرف يقوم به الإنسان إزاء جسده.

ثانيًا: أن الجسد في حد ذاته ليس شرًا وأن الخطية قبل وبعد كل شيء هي لوثة في الفكر والنفس والروح، وأن آدم وحواء لم يخرجا من الجنة لمجرد اقتطاف ثمرة أكلها الجسد، بل لأنهما تعديا الوصية وخانا العهد وخرجا على الحدود الموضوعة لهما، فحصر الأمر كله في الجسد وإيقاع العقوبة به هو فهم ساذج للخطية والسقوط.

ثالثًا: لأن تعذيب الجسد فيه فهم خاطئ عن العدالة عند الله، إذ أن الله يهتم بأجسادنا وييسر لها سبيل الحياة والقوة والصحة ولا يمكن أن يسر برؤية تعذيبها وحرمانها، بل أكثر من ذلك أن الإمعان في هذا التعذيب والحرمان هو خروج عن الرغبة أو القصد الإلهي في استخدام أجسادنا الاستخدام الصحيح الحق السليم. وعليه فإن البحث عن الخلاص عن طريق الإذلال الجسدي طريق خاطئ مضلل[٢].

---

(١) نفس المصدر ، نفس الصفحة.

(٢) القس إلياس مقار (قضايا المسيحية الكبرى ص٣٩١ ـ ٣٩٢.

ونحن نقول: إن ما تعتقدونه من صلب المسيح وتعذيب جسده على الصليب هو من هذا القبيل، الذى تقول عنه إنه طريق خاطئ ومضلل.

فأنتم تعتقدون أن السبيل إلى الخلاص هو صلب ابن الله وتعذيبه على الصليب، وتعتبرونه إحدى الخطوات المهمة فى عملية الخلاص فكيف تنكر تعذيب الجسد وتعتبره طريقا غير صحيح للخلاص هنا، وتعتبره هو الطريق الوحيد للخلاص هناك!!

٢ ـ وهناك طريق آخر عند الناس: هو طريق الطقوس والفرائض التي يتوارثها الناس من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر، ومن الواضح أن هذه الطقوس والفرائض لا يمكن أن تكون سبيلاً للخلاص من الخطية، لأنها في حقيقتها ليست إلا رموزًا أو مظاهر أو إشارات إلى الحقائق والأسرار التي ترمز إليها وتدل عليها وتفصح عنها، والخطية لا يمكن أن تستأصل أو يقضي عليها بمجرد الرموز والإشارات أو المظاهر[١].

٣ ـ الخلاص عن طريق الأعمال: وهناك طريق ثالث يمكن أن يدعى عن طريق الأعمال الذي يتوهم فريق من الناس أنها تخلصهم وتدنيهم من الله في اليوم الأخير، وهذا الطريق ـ كما يقول القس الياس مقار ـ لا نعتقد أن هناك طريقا مضللاً وخداعًا كما يضلل ويخدع طريق الأعمال، ولعل أقرب شبه له هو صدقة الزانية وإذا صح أن هذه الصدقة يقبلها الناس فإنها مكروهة في نظر الله، وبما أن الجنس البشري ساقط وخاطئ أمام الله، فكل عمل يأتي عن الساقط أو الخاطئ لا يمكن أن يصحح وضعه أو يغير مركزه.

ثم قال: هذه هي الطرق المرفوضة عند الله للخلاص.

ولقد سبق القول بأن يعقوب يقول بأن الخلاص بالأعمال، بينما كان بولس يعتقد أن الخلاص بالنعمة ولقد بينا هناك أن من يعمل أعمالاً صالحة يدعى عظيمًا.

ففي إنجيل متى (أما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السموات)[٢].

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٤.

(٢) متى ٥ : ١٩.

ثالثًا: طريق الخلاص الإلهي:

إن الإنسان ـ في نظر المسيحية ـ لا يستطيع أن يقوم من تلقاء نفسه ما به يستطيع أن يكفر عن الخطية؛ إذ أن الطريق الصحيح إلى غفران الخطية ـ عندهم ـ هو الكفارة، وهذه الكفارة ـ لا يستطيع الإنسان أن يفعلها لأنها مرهونة بأوصاف إلهية لا تتوافر في الإنسان (فالخطية تستحق الدينونة ولا يصح مغفرة الخطية إلا بواسطة تزيل تلك الدينونة وتحمل عن الخاطي جرمه، وذلك لا يتم بمجرد توبة الخاطئ وإصلاحه لأنه ولو صار صالحًا لا يزيل ذلك عنه دينونة الخطايا التي ارتكبها، ولو غفر الله له خطاياه بدون كفارة لم يبق عنده إكرام لشريعته تعالى بل يحسبها طبعًا بلا كرامة وحينئذ لا يعتبر قداسة الله ولا يميز سمو حكمه الأدبي ولا يعرف حقيقة رحمته ولا يمجده في كمال صفاته، ولذلك لابد من الكفارة لرفع دينونة الخطية وإظهار صفات الله بأكمل بيان)[١].

"فالإنسان لانتقال الطبيعة الخاطئة إليه بالوراثة وتسلطها على كيانه تبعًا لذلك لا يستطيع بمجهوده الذاتي أن يتحرر منها أو يرتقي فوقها، ولذلك نرى أنه إذا تعهد يومًا بالإقلاع عن الخطية وبذل كل ما لديه من جهد في سبيل تنفيذ تعهده هذا، كثيرًا ما يغلب على أمره، فإن لم يفعل الخطية في الظاهر فقد يفكر فيها ويشتهيها في الباطن، ومن ثم يعود من حيث أتى لذلك فمثل الإنسان في مقاومة الخطية كمثل الماء الذي لا يستطيع من تلقاء ذاته أن يرتفع إلى مستوى أعلى من المستوى الذي هبط منه في أول الأمر، والنبي الذي أدرك عجز البشر عن التحرر من الخطية من تلقاء أنفسهم بسبب ولادتهم بها صاح قائلاً"[٢] "هل يغير الكوشي[٣] جلده أو النمر رقطه. فأنتم أيضًا تقدرون أن تصنعوا خيرا أيها المتعلمون الشر"[٤].

ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يقوم بالكفارة والفداء فإن الله وحده هو الذي يستطيع أن يفدى البشر من الخطية ويكفرها عنهم.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٨١٣.

(٢) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٣ ـ ١٤.

(٣) الكوشي الزنجي والحبشي.

(٤) إرميا ١٣ : ٢٣.

يقول عوض سمعان: (لا يستطيع فدائنا إلا الله)[١].

والطريق إلى فداء الله للبشر ـ فى نظر المسيحية ـ هو تجسد ابن الله وظهوره في صورة إنسان لكي يكفر عنهم هذه الخطية ويخلصهم من أوزارها.

يقول دوم كولومبا مرميون (إن الخطية أفسدت على الله النهج الذي وضعه ليتبنى آدم وتسللت إلى نسل رأس الجنس البشري وأقفلت في وجهه أبواب السماء، وكان يقتضي لفتح هذه الأبواب تعويض عن الإهانة وتكفير تام مطلق يمحو الخطية، ولما لم يكن باستطاعة الإنسان وهو خليقة بسيطة أن يقوم بهذا التكفير صار الكلمة جسدًا وأصبح الله إنسانًا وأخذ على عاتقه هذه المهمة)[٢].

"وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصًا نظيره لأن المخلوق يكون محدثًا والمحدث لا يكون مثل الأزلى، إذ ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير"[٣].

وهكذا صار معلومًا بيقين أقوى وأشد أنه لن ينقذ الإنسان من سلطان الموت إلا إذا أنقذ من سلطان الخطية، لهذا نزل ابن الله من السماء وأخذ جسدنا بلا خطية وعاش بلا خطية وتحرر جسدنا منه إلى الأبد"[٤].

فإن العدل في مجال الفداء المسيحى هو استحقاق البشر للموت بسبب الخطية، ولكي يعالج الله مشكلة الإنسان الساقط ـ كما يقولون ـ أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح متجسدًا من العذراء، لكي يأخذ على نفسه في الجسد حكم الموت الذي نستحقه جميعًا، وفي نفس الوقت يتلاشى بموته على الصليب قوة الموت الذي تتسلط على طبيعتنا، وبذلك فإنه يخلصنا من خطايانا بقوة بره وطاعته الكاملة للآب. ومحبته الكاملة، وفي نفس الوقت يخلقنا خلقًا جديدًا في نفس جسده القاهرة للموت بقوة الحياة لأنه هو القيامة (الحياة)[٥].

---

(١) طريق الخلاص ص١٩.
(٢) المسيح حياة النفس ص١٩٣.
(٣) طريق الخلاص ص١٩.
(٤) الأب متى المسكين: القيامة والصعود ص٥٣.
(٥) باسيليوس: سر الفداء ص١٥.

فالطريق إلى الخلاص المسيحى من الخطية: تجسد ابن الله ثم موته على الصليب وقيامته من بين الأحياء وذلك لكي يبدد سلطان الموت الذي حكم الله به على البشر نتيجة السقوط.

وفي نفس الوقت هذه القيامة تهب للإنسان الحياة الأبدية.

يقول القس إلياس مقار:ـ

ولعل هذا الطريق يتميز على الأقل بالحقيقتين الأساسيتين التاليتين:ـ

الحقيقة الأولى:ـ

١ ـ أن خلاص الإنسان من الله وبترتيبه وهذا أمر بديهي طبيعي لأنه لا يمكن أن يصنع هذا الخلاص ويرتبه سوى الله وحده إذ من يستطيع أن يجمع بين العدالة الكاملة والرحمة الكاملة وبين القداسة الكاملة والمحبة الكاملة سوى شخص الله وحده، ومن يستطيع أن يصنع نظامًا لخلاص الإنسان الساقط ورفعه من وهدة الشر والخطية إلا الله وحده، ذلك فإن أي خلاص يتصوره الإنسان ويبتكره خياله لابد أن يكون ناقصًا كنقص هذا الإنسان، عاجزًا كعجز خياله، فإذا أضيف إلى هذا أن ذات طبيعة الله وصفاته في مقارنتها مع طبيعة الإنسان وصفاته تحتم صدور الخلاص من الله، إذ أن الخلاص والإنقاذ يأتي في العادة من الأكبر إلى الأصغر ومن الأقوى إلى الضعيف ومن القادر على كل شيء إلى العاجز عن كل شيء. كل هذا يجعلنا نجزم ونذكر أن ترتيب الخلاص من الألف إلى الياء ومن البداية إلى النهاية ومن الجملة إلى التفصيل يرجع أولاً وأخيرًا إلى شخص الله وحكمته وجوده وحنانه وحبه وقدرته[١].

الحقيقة الثانية:ـ

ويقول عن الحقيقة الثانية: "إن خلاص الإنسان يقوم أساسًا على الفداء، إذ أن الخلاص ليس مجرد فلسفة، بل هو الحقيقة العملية لا محيص منها لرفع الخطية كدين وكفساد عن الجنس البشري، وأية نظرية لا تقوم على تصحيح هذين الوضعين تعتبر نظرية باطلة غير سديدة أو سليمة)[٢].

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٩٥.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٦.

ثم يقول "فإذا كان من المسلم ـ فى نظرهم ـ أن آدم سقط، وأن السقوط لم يلحقه وحده بل لحق الجنس البشري بأكمله، إذ كان آدم نائبه وممثله في الامتحان الإلهي، وكان وصول الخطية إلى البشر آتيا إليهم على خلاف الملائكة الذين سقطوا، فإن سقوطهم كان فرديا عن النيابة والوراثة، إذ لم يكن أحد من أبناء آدم هناك يشترك مع الأبوين اشتراكًا حرًا مستقلاً فعليًا في التعدي والسقوط، كانت العقوبة أيضًا أو الدين يتحتم بالطريق المقابل أن يتحملها نائب البشري وممثله.

ومن هنا برزت فكرة المخلص الذي يخلص العالم، وكان من المتعين أن يعبر هذا المخلص عن قدرة الله ومحبته الكاملة في إنقاذ الجنس البشري، ومثل هذا التعبير الكامل لا يمكن أن يصدر عن شخص آخر سوى الله ذاته[١]. وهذه هي الحقيقة الأولى في المخلص.

ثم يقول عن الحقيقة الثانية في المخلص: إنه لكي تتم وتصح نيابته عن الجنس البشري لابد أن يندمج في هذا الجنس ويصبح واحدا منه، إذ أن الغريب عن الجنس لا يمكن أن ينوب عنه نيابة كاملة. ومن البداهة أنه لكي يفدي هذا النائب غيره من الخطية لابد أن يكون هو كاملاً مبرأ من الخطية إذ فاقد الشيء لا يعطيه. ومن ثم كان من الضروري أن يتجسد المسيح ويأتي إلى العالم، والمسيح وحده بهذا المعنى هو الذي يستطيع أن ينوب عن البشر ليصبح كما أطلق الكتاب[٢] عليه آدم الثاني[٣].

ويقول عن الحقيقة الثالثة في المخلص: (إنه لابد أن يدفع الثمن كاملاً لرفع الخطية وإلا كان الأمر مجرد تمثيلية بعيدة عن الحقيقة والواقع، ومن ثم: لم يكن صلب المسيح مجرد دفاع عن مبدأ يؤثر الناس الموت على تركه واستشهاده من أجل عقيدة يتمسك بها صاحبها، وإلا لما افترق موت المسيح عن موت الشهداء وأصحاب المبادئ والمثل، ولكن موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت على الجنس البشري كله بسقوط وخطية نائبه الأول.

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٦ ، ٣٩٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٧،

(٣) ١ ـ كورنثوس ١٥ : ٤٥ (هذا مكتوب أيضًا صار آدم الإنسان الأول نفسًا حية وآدم الأخير روحيًا محييا).

فالصليب هو رافع العقوبة والدين وشاف ومطهر من اللوثة والطبيعة الفاسدة[١].

لذلك يقول يوحنا (ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية)[٢].

ونحن نقول هنا: ألم يكان مقتضى العدالة ـ وتتحقق معها الرحمة أيضا ـ أن يصلب آدم نفسه وتنتهى المشكلة؟.

ما دخل ابن إله ـ جدلا ـ فى الموضوع؟.

أية عدالة هذه؟.

وأين العقاب الذى تقتضيه؟ وعلى من وقع؟.

وأى تزمت هذا فى ضرورة إيقاع العقاب على المجرم يؤدى فى النهاية إلى إفلاته من أى عقاب، ليقع العقاب على غيره ضمن مسرحية ليس للإنسان فيها أى دور؟ إلا دور القناع يلبسه الممثل المختفى وراءه، أليس جسد المسيح هو ذلك القناع؟؟

المهم أن الخلاص المسيحي يقوم على المخلص الذي يستطيع أن يقوم بعملية الفداء والكفارة وهذا المخلص هو المسيح ابن الله، ولكي تتم عملية الفداء ـ فى نظرهم ـ كان لابد أن يتجسد المسيح أي يلبس جسدا ويظهر بصورة البشر ثم يموت مصلوبًا.

ولم يذكر/ القس الياس مقار الحقيقة الرابعة التي يجب أن تكون في المخلص والتي هي من أسس المسيحية ومن أسس عقيدة الخلاص لدى المسيحية وهي: قيامة المسيح من الأموات معلنًا انتصاره على الموت. إذ لو توقفت عملية الفداء عند موت المسيح على الصليب لم يكن مخلصًا كما يقول ـ كلايد تارنر:ـ

(إن مسيحا ميتا لا يمكن أن يكون مخلصًا فقيامة المسيح أكدت أن الله قد قبل عمله الكفارى على الصليب)[٣].

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٨.

(٢) يوحنا ١ : ٧.

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٩٢.

يقول بولس: "الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا"[١].

ويقول (إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم)[٢].

ويقول د/ فهيم عزيز: إن قيامة المسيح كانت ركنًا أساسيًا في هذا العمل العظيم[٣].

وعلى ذلك فإن دراستنا للخلاص تقوم على ما يأتي:ـ

١ ـ دعوى تجسد المسيح.

٢ ـ دعوى صلب المسيح.

٣ ـ دعوى قيامة المسيح.

وهو موضوع الدراسة في الباب الثاني إن شاء الله.



(١) رومية ٤ : ٢٥.

(٢) ١ ـ كورنثوس ١٥ : ١٧.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص٨٩.

الفصل الرابع

عهد الله للإنسان
بعد السقوط بالخلاص

تمهيد

يعتقد المسيحيون أن الإنسان عندما وصل إلى حالة العجز بسبب الخطية كان على الله أن يدبر له طريق الخلاص، وهذا التدبير وقع منه سبحانه على صورة عهد.

"فقصة آدم لم تنته بالطرد أو الموت أو الهلاك، وهيهات لها أن تكون كذلك وقد سبقت نعمة الله فأعدت له الخلاص المجاني الكامل العظيم"(١).

وأخذ هذا الإعداد صورة العهد:ـ

جاء في "علم اللاهوت النظامي": يتضح من الكتاب المقدس أن عمل الفداء وضع على صورة عهد، يتضح ذلك من التعبير عنه دائمًا بالألفاظ العبرانية واليونانية المستعملة في كلتا اللغتين للإشارة إلى العهد، ومن تضمن عمل الفداء أركان العهد ولوازمه(٢).



تعريف العهد:

وكلمة العهد كما يقول ابن منظور: "كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق. والعهد: الوصية، يقال عهد إليّ في كذا، أي أوصاني، ومنه حديث عليّ كرم الله وجهه:

عهد إلى النبي الأمي، "أي أوصى، ومنه قوله عز وجل" ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [سورة يس آية ٦٠] يعني الوصية والأمر.

والعهد: التقدم إلى المرء في الشئ. والعهد: الذي يكتب للولاة، وهو مشتق منه، والجمع عهود، وقد عهد إليه عهدًا(٣).

(١) القس إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس ص١٦.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص٧٥٤.

(٣) لسان العرب ص٣١٤٨ ط دار المعارف.

وفي المعجم الوسيط (عهد فلان إلى فلان ـ عهدا: ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه. ويقال: عهد إليه بالأمر، وفيه: أوصاه به.

وعهد الشيء: عرفه، يقال: الأمر كما عهدت، أي كما عرفت

وعهد فلانا: أي تردد إليه يجدد العهد به

وعهد فلانا بمكان كذا: لقيه فيه. فهو عهد

والعهد: العلم. يقال: هو قريب العهد بكذا: قريب العلم به، وعهدي بك مساعد الضعفاء: إني أعلم ذلك

والعهد: الوصية ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ [سورة الأنعام آية ١٥٢] أي وصاياه وتكاليفه.

والعهد: الميثاق الذي يكتب للولاة، واليمين التي تستوثق بها ممن عاهدك. تقول: عليّ عهد الله لأفعلن كذا، والزمان: يقال كان ذلك على عهد فلان[١]

هذا هو العهد ومعانيه في كتب اللغة وهي معاني عامة تشمل أمورًا كلية، ويختلف معنى العهد تبعًا لاستعماله واستخدامه.

أما معنى العهد في الاصطلاح المسيحي: فهو يعني الميثاق الذي عقده الله مع الإنسان على صورة مشروع خلاصي يحققه تعالى على مراحل[٢].

ولقد ذكرت كلمة (العهد) في الكتاب المقدس ما يقرب من إحدى وسبعين ومائة مرة[٣] بمعان شتى، ولكن المعنى الذي ذكرناه سابقًا هو المقصود بكلمة العهد في علم اللاهوت، وهو المقصود بعهد الله للإنسان بالخلاص.

يقول د/ أندرووسطون: إن للفظة (عهد) معاني شتى في الكتاب المقدس. منها:

أولاً: أنها تعبر عن النواميس الطبيعية كتتابع الليل والنهار كما في سفر إرميا حيث قيل (هكذا قال الرب. إن نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل)[٤].

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص٦٣٣، ٦٣٤.

(٢) الأب/ ديلي: تاريخ شعب العهد القديم، ترجمة: الأب جرجس مارديني ص٥٧، الأب بولس الياس اليسوعي: على خطى المسيح ص٢٤.

(٣) راجع فهرس الكتاب المقدس ص٤٢٣، ٤٢٤.

(٤) إرميا ٣٣: ٢٠.

ثانيًا: أنها تعبر عن وعد مطلق أي غير معلق على شرط، كما في سفر التكوين (أقيم ميثاقي ـ أي عهدي ـ معكم)[١].

ثالثًا: أنها تعبر عن ترتيب مخصوص في معاملة الله للبشر كما في الرسالة إلى العبرانيين.

"ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضًا لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل. فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان. لأنه يقول لهم لائمًا هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب"[٢].

رابعًا: أنها تعبر عن وعد الله المرتبط بشرط وهذا هو المعنى المستعمل ـ عندهم ـ فى علم اللاهوت[٣].

وأطلق النصارى على الأسفار الخمسة وكتب الأنبياء العهد القديم[٤] على أساس أنها تتضمن نبواءات عن العهد الذي عقده الله مع بنى إسرائيل من أجل الخلاص.

وأطلق عليه لفظ (القديم) تمييزا له عن العهد الجديد الذي يتحقق فيه النبوءات السابقة، والذي يتضمن ـ كما يعتقدون ـ عهدًا جديدا بالإنسان مبرأ من الخطيئة الموروثة.

ويقولون لقد تم هذا الخلاص بدم المسيح. يقول بولس (ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئًا كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد[٥] "على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا لعهد أفضل"[٦].

---

(١) تكوين ٩: ١١.
(٢) عبرانيين ٨: ٦ ـ ٩.
(٣) أندروودطسون: شرح أصول الإيمان. أتمه وراجعه د/ القس/ إبراهيم سعيد ص٩٣، ٩٤.
(٤) إطلاق العهد القديم على الأسفار الخمسة وكتب الأنبياء هو السائد بين اللاهوتيين (قاموس الكتاب المقدس ص٦٤٤.
(٥) ٢ كورنثوس ٣: ٥، ٦.
(٦) عبرانيين ٧: ٢٢.

فالعهد القديم هو بذرة العهد الجديد، والعهد الجديد هو ثمرة العهد القديم، وفيه تمت نبوته سيما النبوات المتعلقة بشخص المسيح، والعهد الجديد كامن في العهد القديم، والعهد القديم متفتح وظاهر في العهد الجديد[١].

جاء فى (علم اللاهوت النظامى): واعلم أن التمييز المشهور بين العهد القديم والعهد الجديد إنما يشير إلى نظامين (وهما الموسوى والمسيحى) لعهد واحد، وهو ما يسمى عهد النعمة تمييزًا له عن عهد الأعمال، لأنه بعد نقض عهد الأعمال بسقوط آدم، أقام الله عهدًا آخر مع البشر وهو عهد النعمة بشرط الإيمان الذى هو شرط الخلاص فى النظام الموسوى والمسيحى[٢].

أقسام العهد

وهذا القول يجرنا إلى بيان أقسام العهد ـ كما يصوره اللاهوت المسيحى ـ فهناك ما يسمى بعهد الأعمال أو عهد الحياة.

وما يسمى بعهد النعمة

أما عهد الأعمال: فهو العهد الذى قطعه الله مع آدم. وسمى هذا العهد بعهد الأعمال لأن الأعمال هى الشرط الذى علق عليه[٣] أو لأنه متعلق بأعمال واجب على آدم حفظها[٤] ويدللون على ذلك بما جاء فى سفر التكوين (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها)[٥].

ويسمى هذا العهد بعهد الحياة، لأن وعد العهد الذى أقامه الله مع آدم أو الجزاء الذى وعده به على شرط طاعته هو الحياة، ويستفاد ذلك من تهديد الله له بقوله "لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"[٦].

---

(١) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦٦ ص١٠٣.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص٦١٢.
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(٤) شرح أصول الإيمان ص٩٥.
(٥) تكوين ٢ : ١٥.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص٦١٢.

وذلك بمعنى أن الله لما خلق الإنسان على صورته فى المعرفة والبر والقداسة عاهده عهد الحياة (ويسمى غالبًا عهد الأعمال) على شرط الطاعة الكاملة، ونهاه عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يموت. وذلك يتضمن :ـ

١ ـ إقامة الله عهدًا مع آدم.

٢ ـ الوعد المضاف إلى ذلك العهد وهو الحياة.

٣ ـ الشرط وهو الطاعة الكاملة.

٤ ـ قصاص المعصية وهو الموت[١].

وليس هناك من قول صريح فى الكتاب المقدس يدل على أن الله عقد عهدًا مع آدم.

ولقد أثار علماء اللاهوت سؤالاً حول هذا المعنى وأجابوا عليه، يقول السؤال: هل جاء القول بإقامة الله عهدًا مع آدم صريحًا فى كتاب الله؟ الجواب :ـ

كلا بل هو أخص وأصرح جملة تعبر عما جاء فيه صريحًا من أن الله وعد آدم وعدًا مقيدًا بشرط ورتب على العصيان قصاصًا معلومًا.

ولما ورد النص فيه أن الإنسان ينال الحياة الأبدية على إحدى طريقتين فقط:

إحداهما تقوم على الطاعة الكاملة، والأخرى بالإيمان، وسميت الثانية بالعهد وكانتا فى الجوهر شيئًا واحدًا سميتا باسم واحد وهو العهد[٢].

وعمومًا فليس هناك من مانع لدينا أن نسمى ما وقع بين الله وآدم عهدًا ولكن فى حدود الدائرة التى ناقشنا بها سابقًا الوعد بالحياة المترتبة على هذا العهد، والموت نتيجة للمعصية.

وإضافة الأعمال ـ بالجمع ـ إلى العهد فيه بعض التجاوز ذلك لأن ما كلف به آدم هو عمل واحد لا أعمال، وهو عدم الأكل من الشجرة المحرمة.

---

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة.

ويعتقدون أن هذا العهد خاص بآدم عليه السلام الذى كان نائبًا عن الجنس البشرى معللين ذلك (بأنه إذا كان آدم قد ناب فى عهد الأعمال عن نسله فيمكن الحكم الجازم بأن ذلك العهد قد زال، لأن الاعتقاد أن البشر باقون تحت ذلك العهد هو بمثابة الاعتقاد أنهم لا يزالون تحت الامتحان، وأن الجنس لم يسقط بسقوط آدم ولكن البشر كلهم ساقطون ومحاطون بنتائج ضرورية وقصاصية من معصية آدم، وأنهم قد امتحنوا فيه لا أن كل إنسان يحتمل الامتحان بنفسه)[١].

أما العهد الثانى فهو ما يسمى بعهد النعمة:ـ

وهو العهد الذى عقده الله الآب مع المؤمنين، وهو واسطة لإتمام ما قصد إتمامه فى عهد الفداء، أى أن الغاية العظمى فى عهد الفداء تتم على الكيفية المعينة فى عهد النعمة[٢] أى أنه عهد عقده الله من أجل خلاص الإنسان من خطيئة آدم.

ويسمى بعهد النعمة "لأنه يظهر محبة الله للخطاة، إذ أن نعمة الله تخلصهم من الخطيئة بدون أن يستحقوا ذلك، ولذلك يسمى الإنجيل (بشارة نعمة الله)" [٣] وهو بخلاف عهد الأعمال الذى هو متعلق بالأعمال، أما عهد النعمة فهو يخلص الإنسان بدون عمل[٤].

وهذا العهد ـ كما يتصورون ـ عقد مع البشر حالاً بعد سقوط آدم ونقضه لعهد الأعمال، وهو فى كل الأزمنة من عصر آدم إلى نهاية العالم، غير أن هيئته الخارجية تختلف مع مرور الدهور.

ففى زمان موسى أجرى على هيئة النظام الموسوى، ومنذ مجئ المسيح أجرى على هيئة النظام الإنجيلى، ولا يخفى أن مرور القرون منذ السقوط قطع عهود مختلفة مع الآباء وغيرهم من الأمة اليهودية، على أن هذه العهود بجملتها ضمن عهد النعمة، وهى إعلانات مكررة للعهد الأصلى الأساسى الدائم بين الله وشعبه[٥].

---

(١) المرجع السابق ص٦١٦ ، ٦١٧.
(٢) المرجع السابق ص٧٥٧.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٩٧٣.
(٤) شرح أصول الإيمان ص٩٥.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص٧٥٨.

العصور المختلفة لعهد النعمة

مما سبق يتبين لنا أن عهد النعمة هو فى كل الأزمنة من عصر آدم، وهذا أدعى إلى معرفة العصور المختلفة لعهد النعمة أو مراحل هذا العهد، وهى عصور فى حد ذاتها تاريخية أو مرحلية، كل مرحلة تسلم للأخرى.

العصر الأول: ـ ويسمى العصر الآدمى لأنه ينسب إلى آدم.

ومدة هذا العصر من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام.

يقول علماء اللاهوت عن هذا العصر (وليس لنا من أنباء هذه المدة إلا القليل حتى لا نقدر أن نجزم إلى أى حد أعلن الحق، أو ما هى الوسائط التى استعملت لحفظه، فكل ما نعرفه عن أخبار تلك المدة هو أن الله قد وعد أهلها الوعد الأصلى بنسل المرأة[١]، ورسم لها العبادة بواسطة الذبائح، ونستدل على أن المقصود بالذبائح تعليم كيفية الخلاص بثلاثة أمور:ـ

١ ـ كونها مطابقة وموافقة لمطلوب الضمير البشرى؛ لأن حكم الضمير يؤدى إلى الاعتقاد أن الخاطىء يحتاج إلى الكفارة، والأرجح أن الله علم الإنسان أن تلك الكفارة يجب أن تكون بسفك دم.

٢ ـ سرور الله بها، ووضعه إياها فريضة دينية، وتضمينه إياها الفرائض الدينية التى أمر بها بعد ذلك.

٣ ـ توقع خلاص البشر بواسطة ذبيحة المسيح، ولذلك يحق لنا أن نحسب الذبائح القديمة رسمت قبل شريعة موسى للإشارة إلى طريق الخلاص المسيحى، وأنها فرضت لتعليم كيفية الخلاص[٢].

فالوعد فى هذا العصر هو القول (وأضع عداوة بينك وبين المرأة..... إلى آخره) فلقد رأى كثيرون من العلماء والمفسرين اللاهوتيين المسيحيين فى هذا النص وعدا بمجيء ذاك الذى استطاع وحده أن يسحق سحقًا نهائيًا رأس الحية وهو المسيح[٣].

---

(١) يشيرون بذلك إلى ما ورد فى سفر التكوين من وعد الله لآدم وحواء بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية. تكوين ٣: ١٥.

(٢) المرجع السابق ص٧٦٦.

(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٧.

من هذا القول يتبين **أولاً** ـ كما يقول القس إلياس مقار :ـ

أن الله أعلن خلاص آدم قبل إعلان عقابه، وهذا واضح مما نقرأ فى سفر التكوين إذ قال الله للحيه قبل أن يحكم على آدم "وأضع عداوة بينك وبين المرأة نسلك وبين نسلها. هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبه"[١] أو فى لغة أخرى أن آدم سمع حكم الخلاص قبل أن يسمع حكم الموت، وهذا أكبر دليل على عمق رغبة الله فى خلاص البشر، وهو دليل على أن الله يسر بالرحمة والرأفة ولا يسر بموت الخاطىء[٢].

يقول ثانيًا: إن الله أعلن خلاص آدم بالدم.

لقد حاول آدم وحواء تغطية الخطية تغطية مشوهة حمقاء "إذ خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر[٣] وهما أول من يعلم أنها لا يمكن أن تبقى أو تستر.

أما الله فقد ستر عريهما وخزيهما بذبيحة (وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما)[٤] إذ "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"[٥] وهنا ندرك[٦] أمرين أساسين أصيلين فى الخلاص.

أنه وقبل كل شيء من صنع الله، وأنه بالدم، الدم وحده[٧].

وقبل أن نترك هذا الموضوع لنا بعض المناقشات التى يستوجبها البحث العلمى:

بالنسبة للأمر الأول:ـ وهو أن الله أعلن الخلاص قبل العقاب، وأن آدم سمع الحكم بالخلاص قبل سماعه للحكم بالموت. هذا القول فيه بعض الشكوك ذلك **لأنه** معلوم أن الله حين وضع آدم فى الجنة قال له (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا

(١) تكوين ٣: ١٥.
(٢) القس إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس ص١٦.
(٣) تكوين ٣: ٧.
(٤) تكوين ٣: ٢١.
(٥) عبرانيين ٩: ٢٢.
(٦) الكلام لازال للقس إلياس مقار.
(٧) رجال الكتاب المقدس ص١٧.

تأكل منها لأنك **يوم تأكل منها موتا تموت**) فهذا بالضرورة عقوبة الأكل من الشجرة، الله قد أعلنه قبل أن يخطىء آدم، وهذا القول أيضًا فى حد ذاته عقوبة، وإعلان عن عقوبة (الموت) لو أكل آدم وحواء من هذه الشجرة.

ثم إن عقوبة وقعت على آدم وحواء بعد الخطأ مباشرة لأنهما حين امتدت أيديهما إلى الشجرة وأكلا انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، وهذا فى حد ذاته أيضًا إعلان للعقوبة بالطريقة العملية بعد أن قال الله لهما وعرفَهما قبل الخطأ بالعقوبة التى تقع فما أن أخطأ آدم وحواء إلا وقد وقعت عليهما تلك العقوبة.

ثم إن الفقرة التى استشهد بها ـ القس السابق ـ على أنها إعلان للخلاص قبل إعلان للعقوبة إنما هى ضمن العقوبات التى عاقب الله بها الحية ـ كما تدّعون ـ فليس هناك من فاصل بين العقوبة وإعلان الخلاص. وهذا نص الكتاب المقدس فى ذلك:

فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونه أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك[1] ويظهر من النص أنها من فقرات العقوبة لا أنها إعلان منفرد للخلاص.

أما بالنسبة للأمر الثانى:ـ وهو أن الله أعلن خلاص آدم بالدم والاستدلال على ذلك بما جاء فى الكتاب المقدس من أن الله "صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد وألبسهما" بمعنى أن الله صنع لهما جلدًا وأن هذا الجلد عن طريق دم.

فنحن نقول لا دليل فى هذه الفقرة على أن الخلاص بالدم: لأن الفقرة تقول "وصنع الرب" وصنع الله لا يخضع لمقاييسنا البشرية من ناحية أن الجلد لابد وأن يكون عن طريق ذبح، لأنه من الممكن أن يكون قد صنع الله لهما جلدًا أى خلق لهما جلدًا

---

(١) تكوين ٣: ١٤ ـ ١٩.

خاصًا بهما من أجل ستر عورتيهما ، ولا يدل بالضرورة على أن الله قد ذبح حيوانًا وصنع من جلد الحيوان أقمصة لآدم وحواء.

ثم إننا لو سلمنا أن هذه الفقرة تدل على أن الخلاص إنما يكون بالدم فهو دليل إدانة، بمعنى أنه إذا كان الله قد صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد من أجل ستر سوآتهما وخلصهما من الورطة التى أحاطت بهما ، فهذا دليل على أن آدم قد خلصه الله من الخطيئة ولا داعى لأن يُلعن هو وأبناؤه، ولا داعى لأن يرثوا الخطيئة. ثم إنه لابد وأن يثمر الجلد الذى صنعه الله من دم ثمرته، حتى يتبين أثره ويظهر للبشر نتيجته حتى يطمئن البشر ويتأكدوا من طريق الخلاص. ولا يمكن اعتبار ستر العورة خلاصًا لآدم وحواء من الخطيئة لأن لو كان خلاصا لهما لما كان هناك داعى لتعدى الخطيئة إلى غيرهما ولكنها لما لم تكن خلاصًا لهما ـ كما يقولون ـ فقد ورثها نسلهما.

ثم إننا لو اعتبرنا أنه كان تعليمًا لآدم وللبشر من بعده لطريقة الخلاص ـ لا خلاصًا لأن آدم لم يذبح دم.

فإننا نقول إن غير آدم من البشر قد ذبح قرابين لله وكفر عن خطيئة آدم، وإذا كانت هناك كفارة لهذه الخطيئة فلا داعى للقول بوراثتها، فلقد ذبح هابيل القرابين لله (وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها)[1].

وكذلك أيضًا ذبح نوح القرابين الكثيرة لله (وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. **ولا أعود أيضًا أميت كل حى** كما فعلت. مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل[2].

يظهر من هذا أن هابيل قدم من أبكار غنمه، وأن نوحًا قدم من جميع الحيوانات والطيور الطاهرة، وكان نتيجة لعمل نوح أن رد الله الحكم الذى أصدره على آدم

---

(١) تكوين ٤ : ٤.
(٢) تكوين ٨ : ٢٠ ـ ٢٢.

وحواء ونسلهما وهو الموت فقال الله لنوح (لا أعود أميت كل حى كما فعلت) فهذا يدل على أن الحكم بالموت الذى أصدره الله على آدم إنما كفر نوح[١] عنه.

وعليه فلا داعى للقول بأن نسل آدم قد ورث الخطيئة وعلقت به حتى جاء المسيح وكفر عنها.

ثم إن القول (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) الذى استشهد به القس إلياس مقار قول عام لا يقتصر على دم المسيح، أى أن أى سفك دم يحصل به المغفرة.

وعليه فمن الظلم أن يذبح إنسان للمغفرة وهناك طريق آخر طبيعى ـ ذبح الحيوان ـ يمكن أن يحصل الإنسان منه على هذه المغفرة، فما الداعى لأن يصلب إنسان بدون وجه حق وهناك ما يمكن الاستعاضة به عنه وليس فيه اجتراء وظلم لأحد؟

فإنه إذا كان بأى سفك دم تحصل مغفرة فإن أقرب طريق هو ذبح الحيوان الذى هو قربان لا الإنسان الذى خلق من أجل أن يكون خليفة لله فى الأرض لا أن يذبح ليكون قربانا.

العصر الثانى :ـ وهو يمتد من إبراهيم إلى موسى عليهما السلام

وهذه الحقبة ـ كما يدّعون ـ لها أهميتها فى تاريخ الشعب المختار: إذ هى أساس تاريخه وهى ساعة منشأه وتكوينه، تلوح فيه تباشير العهد مع الله.

ولها أهميتها فى التمهيد للمسيح من ناحية الوعد بالذرية الكثيرة وبامتلاك الأرض، وبهما يكتمل الوعد الثالث (ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى)[٢] وقد رأت الكنيسة فى هذا الوعد الوعد بالمسيح ذاته ولذا وضع الفنانون فى القرون الوسطى إبراهيم فى جذع شجرة "يسىّ"[٣].

---

(١) وذلك على طريقتكم أنه من الممكن أن يتحمل إنسان وزر إنسان آخر ويكفر عنه.

(٢) تكوين ٢٢ : ١٨.

(٣) الأب/ ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص١١٠. ويسىّ: اسم عبرى ربما كان معناه "رجل" وهو ابن عوبيد وأبو داود وابن ابن راعوث وبوعز (راعوث ٤ : ١٧ ـ ٢٢، متى ١ : ٥) وأبو ثمانية بنين منهم داود (١ ـ صموائيل ١٦ : ١٠، ١٧ : ١٢) أو سبعة بنين لهم نسل (أخبار الأيام الأول ٢ : ١٥) وكان له بنتان من زوجة غير أم داود (أخبار الأيام الأول ٢ : ١٦) وفى كنيسة المهد فى بيت لحم حائط من الفسيفساء يرجع تاريخه إلى القرن الثانى عشر رسمت عليه شجرة يسىّ وفروعها (قاموس الكتاب المقدس ص١٠٦٤ ـ ١٠٦٥) وشجرة يسىّ إشارة إلى نسب المسيح وأنه من نسل يسىّ والد (داود) فالمسيح من نسل داود.

فالعهد بإبراهيم ـ منبت الشعب المختار وجد المسيح ـ خطا الله به خطوة جديدة فى سبيل العهد فلاح لهم العهد ـ كما يقولون ـ على صورة وعد سيتحقق فى شعب ويقتضى من هذا الشعب الإيمان الذى هو جواب الإنسان لدعوة الله[١].

ويظهر فى هذا العصر أن الله وعد إبراهيم بالبركة فى نسله وبالخلاص لكل شعوب الأرض من نسله (وقال الرب لإبرام[٢] اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع الأمم)[٣].

يقول باركلى (وعد الله إبراهيم وعدًا عظيمًا أن يجعل منه أمة عظيمة وأن كل أمم الأرض تتبارك به.

والحقيقة أن الأرض كلها أعطيت له ميراثا **ولقد أعطى الوعد لإبراهيم بسبب إيمانه وثقته فى الرب** لا بسبب أفضاله التى جمعها من أعماله الصالحة ولا بسبب أى مجهود بذله)[٤] ويقول فيكتور هبكو: منح الله لإبراهيم وعده الأول بخلاصه لكل شعوب الأرض كما منحه عهدا بأن يكون أمينًا معه إلى **الأبد**[٥].

قطع الله العهد مع إبراهيم فى حفله رسمية، فأخذ إبراهيم ـ كما يصورون ـ عجلة وعنزا وشطرهما شطرين، ووضع كل شطر قبالة صاحبه، تاركًا بينهما ممرًا، ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع سبات عليه، فساوره رعب شديد، واكتنفه ظلمة دامسة بينهما مشعل نار يسير بين تلك القطع، مشعل النار هذا هو الله يقطع عهدًا مع إبراهيم[٦].

وإليك نص العهد الذى عقده الله مع إبراهيم كما جاء فى سفر التكوين :ـ

صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام أنا ترس لك أجرك كثير جدًا. فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماضٍ عقيمًا ومالك بيتى هو

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٢.
(٢) أحد أسماء إبراهيم عليه السلام ومعناه "الأب الرفيع" أو "الأب المتكرم" قاموس الكتاب المقدس ص٩.
(٣) تكوين ١٢ : ١ ـ ٣.
(٤) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص٨٢.
(٥) فيكتور هبكو: تاريخ الخلاص ص١٥ ترجمة روفائيل صبحى.
(٦) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٢.

أليعازر الدمشقى، وقال أبرام أيضًا إنك لم تعطنى نسلا وهو ذا ابن بيتى وارث لى. فإذا كلام الرب إليه قائلاً لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعُد النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له برًا وقال له أنا الرب الذى أخرجك من أورالكدانيين[١] ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم أنى أرثها. فقال له خذ لى عجلة ثلاثية وعنزه ثلاثية وكبشًا ثلاثيًا ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها، ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات. وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبًا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة. وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً. ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع.

فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[٢].

ويلاحظ أن العهد قد تم كما ظهر بين شقى الذبيحة، لأنه كانت العادة أن يدخل الخصمان، أحدهما عند رأس الذبيحة، والثانى عند ذيلها، ويلتقيان معا وسط الذبيحة، وعلى دمها السائل. وهناك يتم العهد. ولهذا سمى إجراء التعاهد (قطع العهد) لأنه يتم على ذبيحة مقطوعة، وفى هذا يقول آساف (اجمعوا إلى اتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحته[٣][٤].

---

(١) أورالكلدانيين: هى مسقط رأس إبراهيم الذى ولد ونشأ فيها ولكنه خرج منها إطاعة لدعوة الرب. ومكان "أور" الآن خرائب تدعى "المغيّر" فى منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسى وعلى مسافة عشرة أميال شرقى مجرى نهر الفرات فى الزمن الحاضر (قاموس الكتاب المقدس ص١٢٨).

(٢) سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر.

(٣) مزمور ٥٠ : ٥.

(٤) القس صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٣٣.

ويرد فى مكان آخر من الكتاب أن الله ثبت العهد فوضع الختان علامة له[١] وقد مارس إبراهيم الختان كعلامة للعهد مع الرب[٢].

"وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر. فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم.

وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدى فى لحمكم عهدًا أبديا، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى[٣].

تم العهد بين الله وإبراهيم عندما أطاع إبراهيم الله وآمن بقوله :-

١ - فى الخروج من أورالكدانيين مع أسرته إلى المكان الذى دعاه الله إليه (تكوين ١٥ : ٧).

٢ - فى تصديقه وعد الله بأن شخصًا من أحشائه يرثه (تكوين ١٥ : ٤)[٤].

آمن إبراهيم بالإله الواحد مالك السماء والأرض وإلههما (تكوين ١٤ : ٢٢ ٢٤ : ٣ وديان الأمم وكل الأرض (تكوين ١٥ : ١٤، ١٨ : ٢٥) والذى كل قوات الطبيعة طوع أمره ولا يستحيل عليه شىء (تكوين ١٨ : ١٤، ١٩ : ٢٤، ٢٠ : ١٧، ١٨) وهو الإله العلى المرتفع (تكوين ١٤ : ٢٢) وهو سر مدى أبدى (تكوين ٢١ : ٣٣) ولم يكن الله لإبراهيم الإله الواحد فحسب بل كانت لإبراهيم علاقة شخصية وشركة روحية قوية (تكوين ٢٤ : ١٤) ولذلك نال إبراهيم لقب "خليل الله"[٥].

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١١.

(٣) تكوين ١٧ : ٩ - ١٤.

(٤) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٣٣.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص١١. ولقد ذكر لقب "خليل الله" فى الكتاب المقدس ثلاث مرات فى (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٧ (ألست أنت إلهنا الذى طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد) وفى سفر إشعياء ٤١ : ٨ (وأما أنت يا إسرائيل عبدى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى) وفى رسالة يعقوب ٢ : ٢٣ (وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا ودعى خليل الله).

"وكان إيمان إبراهيم بالله مبعث الإيمان بالله فى الشعب المختار وبذلك تجاوزت دعوته شخصه فكان رأس شعوب كثيرة حملت وديعة الإيمان بالله الواحد وتناقلتها جيلاً بعد جيل حتى المسيح الذى كشف لنا عما يتضمن من كنوز وغنى... وقد سمع إبراهيم الله يقول له يومًا "أصير نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضًا يعد"(١) هذا الكلام هو الآن وعد ليس إلا(٢).

ولم يكتف الله من إبراهيم بهذا الإيمان والسخاء الذى رافقه ـ كما يصورون ـ بل أراد أن يسمو به إلى الذروة حيث يتفتح الإيمان بالله حبا وحيث تفوق الثقة بالله كل فطنه بشرية. وقد سرد لنا الكتاب مراحل هذا الارتقاء إلى الذروة :ـ

المرحلة الأولى: إسماعيل.

ومرت السنون وكرر الله وعده لإبراهيم بالنسل والعقبى إلا أن إبراهيم لا يرى حتى الآن من مجال لتحقيق الوعد فأراد أن يتجاوب مع قدرة الله، وكان لسارة جارية اسمها هاجر فأعطتها لإبراهيم وولدت هاجر إسماعيل. هو العهد يتحقق وها هى العقبى المرجوة فما أقدر الله وما أصدقه؟!!!

لقد أحس إبراهيم بالإيمان به(٣).

وفى نظر علماء المسيحية: "أن الله لن يتوقف بإبراهيم هنا فولد الجارية لن يرث العهد، ويسمو الله بإيمان إبراهيم إلى أعلى، وتمر السنون ويصبح الإيمان أشق، ومع ذلك فقد رضى إبراهيم بما أراد فازداد بذلك إيمانه"(٤).

وهنا تأتى المرحلة الثانية: إسحاق

"ورزقت سارة أخيرًا ابنا وبذلك نال إبراهيم مكافأة إيمانه وكان يفخر بابنه ويزهو ويقول فى نفسه وهو يراه يكبر بأنه قد صارت له الآن ذرية تعقبه على رأس العشيرة، وإذا بالله يفاجئه بالتضحية الكبرى وهى الأمر بذبح ابنه"(٥).

---

(١) تكوين ١٣ : ١٦.

(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٠٣ ، ١٠٤..

(٣) المصدر السابق ص١٠٥.

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٥) نفس المصدر ونفس الصفحة.

وهذا الابن فى نظر علماء المسيحية هو إسحاق ويستدلون بما جاء فى سفر التكوين عن هذا الأمر.

يقول سفر التكوين (وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له :

يا إبراهيم فقال هأنذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا[١] وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك)[٢].

يقول الأب/ ديلى: "إرادتان لله تتنازعان: إسحاق هو الوعد بالعقبى، وإسحاق هو الذبيحة المطلوبة. ويرتقى إيمان إبراهيم مع ذلك إلى حيث يسمو به الله فيرضى مرة أخرى (فبكر إبراهيم صباحًا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه وشقق حطبًا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذى قال له الله"[٣] أصبح الآن إيمانه رجاء وحبًا وبذلك بلغ الذروة التى دعاه الله إلى ارتقائها.

ويأتيه الله أخيرًا بالحل للغز وبالخاتمة للعذاب (فقال الله لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئًا. لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى. فرفع إبراهيم عينيه وإذا كبش وراءه ممسكًا فى الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضًا عن ابنه)[٤].

وبالوقت ذاته سما إبراهيم بإيمانه إلى تلك الذروة التى هى حقيقة بأن يرتقى جد المسيح إليها[٥].

أما عن ثواب الإيمان الذى بلغ الذروة والارتقاء :ـ

فيقول عنه الأب/ ديلى (ثواب الإيمان الوعد العظيم، سبق الله فوعد إبراهيم بأرض يعطيه إياها، وقد قال له بعد انفصاله عن لوط : جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد[٦] فالوعد بالذرية كان أساس إيمان إبراهيم وقوام

---

(١) يقول قاموس الكتاب المقدس عن أرض المريا (هى أرض أوصى إبراهيم أن يصعد إليها وقدم إسحاق ابنه على أكمة منها وهى منطقة فى أورشليم) ص٨٥٩.

(٢) تكوين ٢٢ : ١ ، ٢.

(٣) تكوين ٢٢ : ٣.

(٤) تكوين ٢٢ : ١٢/ ١٣.

(٥) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٦.

(٦) تكوين ١٣ : ١٥.

حياته الدينية، وإذا بوعد الله يتضمن بذبيحة إسحاق عنصرًا جديدًا يوسع فى الوعد إلى أقصى حد إلى اللانهائية (ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى)[(١)].

لا يخلو هذا الوعد من غموض إلا أن الله ولا شك قد كشف يومئذ لإبراهيم عنه ذيل الستار فاستطاع المسيح أن يقول يومًا: (إبراهيم أبوكم ابتهج حتى يرى يومى فرأى وفرح)[(٢)(٣)].

"لهذا جاء المسيح ـ كما يدّعون ـ وارثا للوعد وصار كل المؤمنين به أبناء إبراهيم الروحيين

"اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم"[(٤)].

"وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله. لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفى نسلك الذى هو المسيح"[(٥)] لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لينالوا بالإيمان موعد الروح[(٦)] وأن تقدمة إسحاق ـ كما يقولون ـ ذبيحة كانت رمزًا للفداء[(٧)].



والعلامات البارزة فى هذه الحقبة من مراحل عهد النعمة ـ والتى تستفاد من كلام المسيحيين ما يلى: ـ

١ ـ أن الله وعد إبراهيم نتيجة لإيمانه بأن يبارك نسله. والبركة فى نسله إنما تقع خاصة فى نسل إسحاق ـ كما يعتقدون ـ الذى هو له حق إرث عهد الله لإبراهيم بهذه البركة وذلك لأن ولد الجارية الذى هو إسماعيل لن يرث العهد، ولكى يؤكد

---

(١) تكوين ٢٢ : ١٨.
(٢) يوحنا ٨ : ٥٦.
(٣) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٦.
(٤) غلاطية ٣ : ٧ ـ ٩.
(٥) غلاطية ٣ : ١٦.
(٦) غلاطية ٣ : ١٤.
(٧) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦٦ ص٣٧.

الله أن الإرث فى البركة لإسحاق وأن الخلاص إنما يكون فى نسله الذى هو المسيح (إبراهيم أبوكم ابتهج حتى يرى يومى فرأى وفرح) أمر الله إبراهيم بذبح ابنه إسحاق ولكن الله فداه فكان هذا الفداء علامة على طريق الخلاص الذى يتم بالمسيح.

٢ ـ لقد صاحب قطع العهد مع إبراهيم بعض الطقوس الدينية من شطر بعض الحيوانات.... ولقد ثبت الله العهد مع إبراهيم فأعطاه الختان حتى يميز نسله الذى يرث الأرض والعهد عن باقى الأجناس التى لا تختتن.

ولنا وقفة مع هذه المرحلة من عهد النعمة :ـ

أولاً : أول ما يلفت الأنظار أن سبب إعطاء الله العهد لإبراهيم هو إيمانه بالله سبحانه وتعالى الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك فى الملك ولم تكن له صاحبة ولا ولد. معنى ذلك أنه إذا انتفى هذا الإيمان عند قوم فإنهم ولاشك ليسوا هم المعهود إليهم بالخير والبركة، والحال الآن وما عليه المسيحيون من إثبات الألوهية لغير الله من المسيح والروح القدس مما يضطرنا إلى القول بأنهم ليسوا هم المعهود إليهم بالخير والبركة والكثرة، أى أنه لا يوجد لديهم الإيمان بالإله الواحد الذى يؤهلهم لأن يكونوا ورثة لعهد إبراهيم الذى أعطاه الله له بسبب الإيمان به وبوحدانيته.

ثانيًا : بالنسبة لمن له حق إرث العهد. الاعتقاد السائد لدى اليهود والمسيحين أن إسحاق ونسله هم الذين له حق الإرث لأنه نال البركة ولأنه هو الذبيح.

❖ إن الواقع التاريخى يحدثنا بأن إسحاق هو الابن الثانى لإبراهيم بعد إسماعيل أى أن إسحاق ليس هو البكر لإبراهيم.

ذلك لأن للبكورية امتيازات ـ كما يشهد بذلك الكتاب المقدس[١] يمتاز بها البكر عن غيره من أخوته :

---

(١) ولا أدل على ذلك مما ورد فى سفر التكوين ادعاء أن يعقوب حاول شراء بكورة أخيه (عيسو) (فقال يعقوب لعيسو بعنى اليوم بكورتك) تكوين ٢٥ : ٣١.

منها: نيابة البكر عن أبيه فى البيت حين غيابه.

ومنها: اختصاصه بالبركة على شرط أن يكون مستحقًا لها وإلا فتعطى لغيره كما حدث لعيسو ورأبين.

ومنها: أن يعطى نصيبًا واحدًا زائدًا عن إخوته، ويدل على ذلك ما جاء فى سفر التثنية "إذا كان لرجل امرأتان إحدهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكرًا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه أول قدرته له حق البكورية"[١].

ومنها: وهو أهمها وأعظمها اعتبارًا ـ عندهم ـ: أن البكر كان مكرسًا للرب[٢] ويدل على ذلك ما جاء فى سفر الخروج ضمن وصايا الرب لموسى (لا تسب الله. ولا تلعن رئيسًا فى شعبك. لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك. وأبكار بنيك تعطينى)[٣].

وكان للبكر من أولاد الملوك الحق أن يتبوأ أريكة الملك بعد أبيه ويدل عليه ما جاء فى أخبار الأيام الثانى: "وأما المملكة فأعطاهم ليهورام لأنه البكر"[٤].

---

(١) تثنية ٢١ : ١٥ ـ ١٧.

(٢) كانت العادة عند اليهود أن يكرسوا كل بكر ذكر لخدمة الرب ويدل على ذلك ما جاء فى سفر الخروج "أنك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التى تكون لك. الذكور للرب. ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر إنسان من أولادك تفديه" خروج ١٣ : ١٢/ ١٣، ٣٤ : ١٩" وهناك سبب آخر وهو أنهم أمروا بذلك ليتذكروا قتل الله لأبكار المصريين وإبقائه على أبكارهم فنسخ حكم هذه العادة منذ تعيين اللاويين (أبناء لاوى الابن الثالث ليعقوب من ليئة) فصار يستعاض عن كل بكر بلاوّى، ولما عدّوا اللاويين زاد عدد الأبكار ٢٧٣ ذكرًا عن عددهم ففداهم العبرانيون بدراهم عن كل رأس خمسة شواقل من الفضة (نحو نصف جنيه إنجليزى). وأما البكر من البهائم فكان مكرسًا أيضًا لخدمة الرب. لا يفك ولا يبدل إلا إذا كان من الحيوانات النجسة حسب الشريعة وأراد صاحبه فكه. وإذا لم يرد بيع أو قتل أو بدل "خروج ١٣ : ١٣ لاويين ٢٧ : ٢٧". راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٨٦.

(٣) خروج ٢٢ : ٢٩.

(٤) أخبار الأيام الثانى ٢١ : ٣.

على أن ذلك لم يكن مطردًا فإن سليمان ويهوآحازر وأبيا، خلفوا آباءهم فى الملك ولم يكونوا أبكارًا[١].

ولما كانت البكورية أمرًا ذا شأن واعتبار عند اليهود فإنهم كانوا يلقبون كل ما كان كبير الأهمية بالبكر ولذا جاء ذكر البكر[٢] وبكر من الأموات[٣] والابن الوحيد فى ألقاب المسيح[٤].

والسؤال القائم الآن: هل إسماعيل الابن البكر لإبراهيم لا يستحق البركة فيعطى إرث العهد لإسحاق بدلاً منه؟

والجواب من الكتاب المقدس: أن الله بارك إسماعيل: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة"[٥] معنى ذلك أنه مستحق للبركة فباركه الله، وإذا كان إسماعيل يستحق بركة الله، والله باركه فإنه أولى من أخيه فى إرث العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم، ذلك لأنه هو البكر لإبراهيم.

قد يقال: إن إرث العهد شىء والبركة شىء آخر.

فإننا نقول: إن عهد الله لإبراهيم عبارة عن أن الله وعده بأن يبارك نسله، وأن نسله يكثر ويثمر كثرة كبيرة حتى تكون له السيادة على الأرض وعلى جميع الأمم، فإذا كان الله قد بارك إسماعيل ووعده بالبركة فى نسله فهو أولى بإرث العهد من إسحاق الذى هو الابن الثانى لإبراهيم.

قد يقال أيضًا: إن إسماعيل ابن الجارية بينما إسحاق ولد سارة التى هى زوجة إبراهيم.

---

(١) الملوك الثانى ٢٣ : ٣١، وأخبار الأيام الأول ٣ : ١٤، أخبار الأيام الثانى ١١ : ١٨ ـ ٢٠.

(٢) (الذى سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين أخوة كثيرين) رومية ٨ : ٢٩.

(٣) "الذى هو البداءة بكر من الأموات" كولوسى ١ : ١٨.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص١٨٧.

(٥) تكوين ١٧ : ٢٠.

نقول: إنه لا اعتبار لمثل هذا القول بجانب الاعتبار للبكورية، ويدل على ذلك ما جاء فى سفر التثنية فى النص الذى أشرنا إليه من قبل، الذى يدل على أنه لو كان للرجل امرأتان إحدهما مكروهة والأخرى محبوبة ثم كانت البكورة لابن المكروهة فإنه يعطى مما يملك والده نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده، أو يعطى ضعف ما يأخذ الابن الثانى.

فإذا كانت بكورة المكروهة لها نصيب اثنين مما يملك الرجل ـ أى لا يكون كره الرجل لأمه سببًا فى نقض حق البكورة ـ فإن إسماعيل الذى هو بكر إبراهيم، وأمه ليست مكروهة بالنسبة لإبراهيم، بدليل أن سارة حين قالت لإبراهيم "اطرد هذه الجارية وابنها[1] **فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه**" أى أن كونه من ابن الجارية لا يرفع عنه حقه فى البكورة، بمعنى أنه أحق من أخيه فى إرث العهد، فإذا كانت كراهة الزوج لزوجته لا ترفع حق البكورة فكذلك أيضًا كون البكر من جارية لا يرفع أيضًا حق البكورة.

❖ ولكنهم يقولون: إن الله ثبت إرث العهد لإسحاق بأن أمر إبراهيم بأن يأخذ إسحاق فيذبحه لكن الله فداه، فكان عمل إبراهيم هذا سببًا فى ازدياد الثقة والإيمان الذى هو سبب العهد الذى أعطاه الله له، وهذا العمل أيضًا أعطى للعهد صورته النهائية أى جعل ذبح إسحاق علامة على أنه وارث العهد والذى من نسله يكون الفداء للبشر ويكون خلاصهم من خطاياهم، فكان هذا الفداء الذى فدى الله به إسحاق علامة على أن الفداء سيكون من نسله، أى أنه وارث العهد.

والسؤال الوارد الآن: هل إسحاق فعلاً هو الذبيح؟

كما قلنا سابقًا يعتقد اليهود والنصارى أن الذبيح هو إسحاق، ويستدلون بما جاء فى سفر التكوين (أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق[2]..) ونحن نقول إنه من خلال النصوص التوراتية نفسها نستطيع أن نؤكد أنه يستحيل أن يكون الذبيح هو إسحاق، بدليل ما جاء فى الفقرة التى

(١) تكوين ٢١: ١٠/ ١١.
(٢) تكوين ٢٢: ٢.

استشهد بها اليهود والنصارى على كون الذبيح إسحاق (ابن إبراهيم الوحيد) ؛ ذلك أن إسحاق لم يكن وحيدًا، حيث إنه ولد وكان عمر إسماعيل حوالى أربع عشرة سنة، ويدل عليه ما جاء فى سفر التكوين فى الإصحاح السادس عشر (فولدت هاجر لأبرام ابنا. ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام)[١].

أى أن هاجر ولدت إسماعيل وكان عمر إبراهيم ستا وثمانين سنة، بينما كان عمره وقت أن ولدت سارة إسحاق كما جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين (وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه)[٢].

فيستحيل من خلال هذه النصوص أن يكون إسحاق هو الوحيد لأنه تبين منها أن عمر إسماعيل وقت أن ولدت سارة إسحاق أربع عشرة سنة فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون إسحاق هو الوحيد.

وأيضًا يدل على ذلك: أن سفر التكوين يذكر أن إسماعيل ختن فى الثالثة عشرة من عمره وذلك حسب ما جاء فى الإصحاح السابع عشر (فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله، وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته[٣] وفى نفس هذا اليوم الذى اختتن فيه إسماعيل وعمره ثلاث عشرة سنة جاءت إبراهيم البشرى بأن زوجه سارة ستنجب له مولودا هو إسحاق.

فعمر إبراهيم وقت أن ختن إسماعيل تسع وتسعون سنة، وكان إسماعيل يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة، بينما ولدت سارة لإبراهيم إسحاق وعمره مائة سنة، وعليه فلا يمكن أن يكون إسحاق هو الوحيد فليس هو الذبيح. يقول الأستاذ/ حافظ بن عياد: "ويتأكد من خلال هذا كله أن كلمة (إسحاق) قد أضيفت إلى النص

---

(١) تكوين ١٦ : ١٥ ، ١٦.
(٢) تكوين ٢١ : ٥.
(٣) تكوين ١٧ : ٢٣/ ٢٤.

الأصلى من الفقرة الثانية فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين[1] لتنفى الذبح عن إسماعيل أبى العرب ولإسناد ذلك الشرف لإسحاق، وقد غفل صاحب الإضافة تلك عن التناقض الذى تصبح عليه بقية النصوص[2] والنتيجة الطبيعية أنه إذا لم يكن إسحاق هو الذبيح لأنه لم يكن وحيدًا وقت أن أمر الله إبراهيم بذبحه فلابد وأن يكون هو إسماعيل لأنه كان وحيدًا قبل أن يولد لإبراهيم إسحاق.

وعليه فإن كل الدلائل تشير إلى أن إرث العهد والبركة لإسماعيل حيث إنه كان البكر لإبراهيم وحيث إنه هو الذبيح الذى وصف بأنه (وحيد إبراهيم).

وحيث إن نصوص التوراة تشير إلى أن الله وعد هاجر بالكثرة فى نسلها فقال لها "تكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة"[3].

ووعدها بأن يجعل نسلها أمة كبيرة وعظيمة فقال لها (قومى احملى الغلام وشدى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة)[4].

ووعد الله إبراهيم بأن يجعل من نسل إسماعيل أمة كبيرة بعد أن بارك إسماعيل فقال له "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة"[5].

فكل هذه الحيثيات ترجح كفة إسماعيل وتجعله هو المقصود بالعهد الذى وعده الله لنسل إبراهيم، ومن المجافاة للحق القول بخلاف ذلك.

وسنكتفى بالإشارة إلى أن المقصود بنسل إسماعيل الذين يرثون العهد هم العرب وهو إشارة إلى النبى العربى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.



ثالثًا: إن الله ثبت العهد الذى أعطاه لإبراهيم بالختان وجعله علامة للنسل الذى يرث العهد.

---

(١) يشير بذلك إلى قول الله لإبراهيم ـ كما فى سفر التكوين ـ "خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق".
(٢) مقال الأستاذ/ حافظ بن عياد فى مجلة منار الإسلام عدد ذى الحجة ١٤٠٣ هـ ص٣٤.
(٣) تكوين ١٦ : ١٠.
(٤) تكوين ٢١ : ١٨.
(٥) تكوين ١٧ : ٢٠.

والختان أولاً ـ هو التطهير، وهو من الشعائر المعروفة فى اليهودية، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام، وقد جعل هذا الطقس علامة عهد بين الله وإبراهيم الذى اختتن هو وأهل بيته وعبيده الذكور، وكان الختان يقوم به عادة رب البيت أو أحد العبرانيين، وأحيانًا الأم[١]، وقد ختن إبراهيم وهو فى التاسعة والتسعين، ثم تجددت سنة الختان لموسى[٢] فقضى أن لا يأكل الفصح رجل أغرل، وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم فى البرية، على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله[٣] وكان مفروضًا على كل الغرباء الذين يقبلون الدخول فى اليهودية أن يخضعوا لهذا الغرض مهما تكن أعمارهم[٤].

ومن الشرائع اليهودية أنه لا يجوز أن تتزوج المرأة برجل أغلف أى غير مختتن ويعتبر هذا العمل عارًا لمن يفعله. ففى سفر التكوين (لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا، غير أننا بهذا نواتيكم. إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبًا واحدًا. وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضى)[٥].

وكذلك لا يجوز للضيف أن يتناول من طعام الفصح إلا إذا اختتن (وإذا نزل عندكم نزيل وصنع فصحًا للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه. فيكون كمولود الأرض، وأما كل أغلف فلا يأكل منه، تكون شريعة واحدة لمولود الأرض

---

(١) خروج ٤ : ٢٥ ، ٢٦ (وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه ـ أى موسى ـ وطالب أن يقتله. فأخذت صفورة صوّانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه فقالت إنك عريس دم لى. فانفك عنه. حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان "وفى قاموس الكتاب المقدس" تعليق على هذه الفقرة يقول **(وحسب الظاهر أن الرب طلب قتل موسى لأنه لم يختن** ابنه وعرفت صفورة ذلك فأسرعت وختنته بصوانة. ويظهر من هذه القصة أن سنة الختان التى أعطيت لإبراهيم كانت مطلوبة من كل نسله) ص٩٣١.

(٢) لاويين ١٢ : ١ ـ ٣ (وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل قائلاً. إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام. كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة. وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته).

(٣) يشوع ٥ : ٢ ـ ٩ "فى ذلك الوقت قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بنى إسرائيل ثانية... إلى آخره".

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٧.

(٥) تكوين ٣٤ : ١٤ ـ ١٧.

وللنزيل النازل بينكم. ففعل جميع بنى إسرائيل كما أمر الرب موسى وهارون. هكذا فعلوا[١]".

هذا هو الختان سنة شرعية جعله الله علامة على تثبيت العهد، وعلامة على النسل الذى يرث هذا العهد، ثم إنه أيضًا لابد لمن يدخل فى الديانة اليهودية أن يختتن ولا يجوز الزواج ولا الأكل مع غير المختتنين.

ولنا أن نقول: إنه إذا كان الختان علامة على تثبيت العهد فلابد وأن يحدث أو يقع أو يحصل ممن يعتبرون أنفسهم هم المعنيون أو المقصودون من عهد الله لإبراهيم.

وحال المسيحيين الذين يجعلون هذا العهد إشارة إليهم. وما هم عليه من عدم الختان يجعلنا نتساءل: كيف يكون الختان علامة على تثبيت العهد وتؤمنون بأنكم أنتم المقصودون من العهد بينما لم يقع منكم الختان؟

فالمسيحيون يقولون بعدم الختان، أو يفسرونه تفسيرًا يخرج به عن معناه الحقيقى. ويقولون بعدم الختان استنادًا إلى كلام صدر من فم بطرس وبولس لاعلى كلام صدر من فم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

والمعروف أن المسيح بين أنه غير ناسخ لشريعة وأحكام التوراة، ومن أحكامها كما تقدم (الختان) فكيف ينسخ؟ بينما المسيح يقول (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس بل لأكمل)[٢].

ثم إن اليهود الذين آمنوا بالمسيح دعا بعضهم الأمم من بعد المسيح إلى دين المسيح "وقالوا: إنه ينبغى أن يختنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى"[٣].

فرد عليهم بطرس ومن معه من التلاميذ بأن الأمم الداخلة فى المسيحية عليهم أن يلتزموا بالامتناع عن أربعة أمور هى :-

---

(١) خروج ١٢ : ٤٨ - ٥٠.
(٢) متى ٥ : ١٧.
(٣) أعمال الرسل ١٥ : ٥.

نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق، والدم[١].

بمعنى أنه لا عليهم أن يلتزموا بالاختتان، وما عليهم من واجبات إلا أن يمتنعوا عن تلك الأمور الأربعة.

ثم جاء بولس فبين أن الختان ليس قطع الغرلة من الجسد بل طهارة القلب من الحقد والحسد وما شابه ذلك وقال للعلماء من بنى إسرائيل: ما نفع قطع قطعة من الجسد والقلب بعيد عن رحمة الله[٢].

ففى الإصحاح الثانى من رسالته إلى أهل رومية يخاطب العالم اليهودى بقوله:

"هوذا أنت تسمى يهوديًا وتتكل على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلمًا من الناموس وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق فى الناموس. فأنت إذاً الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك. الذى تكرز أن لا يسرق أتسرق؟ الذى تقول أن لا يزنى أتزنى؟ الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل؟ الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب. فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديًا الناموس فقد صار ختانك غرلة، إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختانا. وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس. لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديًا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانًا. بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله"[٣].

ونقول إن من الثابت قطعيًا أن عيسى عليه السلام ـ كان مختونا :ـ

(ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى سمى يسوع)[٤].

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ٢٠

(٢) د/ أحمد السقا فى إحدى تعليقاته على كتاب (على التوراة٩ للباجى ص٧١.

(٣) رومية ٢ : ١٧ ـ ٢٩.

(٤) لوقا ٢ : ٢١.

هذا بالإضافة إلى أن الختان من أحكام التوراة والمسيح بين أنه غير ناقض لأحكام وشرائع التوراة، وإذا كان الأمر كذلك فإن تركه والأمر بتركه إنما هو خروج على أحكام التوراة وخروج على شريعة الله التى تؤمنون بها لأن الله هو المشرع فإذا جاء إنسان مهما تكن مرتبته فى الديانة وشرع أمرًا أو نهى عن شرع فإنما هو مردود عليه.

وأما تفسير الختان بأنه هو طهارة القلب فإن الرد عليه كما يلى :-

أولاً: أنهم كذبوا على الله حيث قالوا إنما أراد الله بهذا الحكم "إزالة غلوفية القلب" ولو كان ذلك حقًا لبينه موسى للناس ولما جاءهم بالختان ولما فعله ولما فعل يحيى[١] وعيسى وسائر الأنبياء الذين حكموا بالتوراة ولم يزالوا يختتنون ويأمرون بالختان إلى زمان المسيح، ثم إن المسيح لم ينه عنه ولا أمر بتركه فهذا على الله ورسله كذب صراح.

ثانيًا: أنهم سفهوا أحكام الله ورسل الله حيث قالوا "لا منفعة فى ذلك"[٢].

مع أن الله قد حكم به وشرعه وبلغ ذلك أنبياؤه ورسله وعلموه الناس فكيف يجوز على الله وعلى أنبيائه أن يتعبدوا الناس بحكم لا فائدة له لا فى الدنيا ولا فى الآخرة؟ فهذا غاية الافتراء على الله وعلى رسله، ثم يلزمهم على ذلك أن يكونوا عابثين فى أفعالهم، وأن وجود والشرائع وعدمها واحدة، وكذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب[٣].

---

(١) (وفى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا) لوقا ١ : ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) وذلك إشارة إلى قول بولس (هاأنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا) غلاطية ٥ : ٢، وأيضًا قوله "لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة" غلاطية ٦ : ١٥.

(٣) الإمام القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص٤٢٠، ٤٢١. ولقد ذكر بعضًا من فوائد الختان فقال "ثم إننا نبدى فوائد الختان حتى يظهر كذبهم وجهلهم وتواقحهم لكل إنسان، ففى الختان فوائد كثيرة منها: **أولاً**: أنها عبادة فى بدن الإنسان إذا فعلها أثيب وإن تركها عوقب ـ على القول بوجوبه ـ ولا فائدة أعظم من ذلك. ثانيًا: أنه لا يتأتى مع وجود الغلفة مبالغة فى النظافة ومع زوالها يتأتى ذلك. **ثالثًا**: أنه ألذ فى الجماع

وأسرع لمجيء شهوة الوقاع، ومع وجودها يكون أبعد للشهوة، وقد تكون الغرلة إذا طالت مكسلة عن الإنزال. **رابعًا**: أن خروج الماء الدافق من غير غلفة وانزعاجه أشد، فإن الغلفة إذا طالت ربما نقصت من انزعاجه وفترته وإذا كان كذلك وخرج الماء فاترًا قد لا يقع فى المحل الذى ينعقد فيه النطفة فلا ينعقد الولد ويكون هذا كالعزل ومقصود الشرع فى الغالب: تكثير النسل. فهذه أربع فوائد محققة لا يتصور إنكارها وقد لا يبعد أن يقصد الشرع جميعها أو بعضها، فإذن قد تبين أن النصارى كذبوا على الله وجهلوا شرع الله.

(الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد ص٤٢١).

ولقد فسر عالم الأديان الفرنسى (شارل جنيبير) قول بولس بعدم الختان لأنه رأى أن أهل اليونان غير راضيين عنه فقال (وكان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان، وأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها[١] تعاليم المسيح بل إن هذا المسيح أتى خصيصًا ليبدل عهدا قديمًا بعهد جديد[٢].

والخلاصة :ـ أنه إذا كان الختان ـ كما تقولون ـ علامة على تثبيت العهد وعلامة على حفظ العهد الذى وعده الله لإبراهيم، وإذا كان الختان علامة مميزة للمعهود إليهم بالبركة بين الأجناس الأخرى فإننا نقول إن هؤلاء المسيحين الذين منعوا الختان أو نسخوه بغيره ليسوا هم المعهود إليهم بالبركة والنسل الكثير والسيطرة على الأجناس الأخرى، لأن الله قال لإبراهيم ولنسله فى الختان (علامة عهد بينى وبينكم[٣])وهم لم يختتنوا فإنهم ليسوا هم المعهود إليهم لأن الختان هو علامة العهد.

وهذا يجعل ما استنتجناه سابقًا فى التعليق الأول من أن إسماعيل ونسله هم المقصودون بالعهد من حيث الكثرة والبركة هو الأصح وهو الأقرب إلى نصوص التوراة لأن نسل إسماعيل هم الذين يختتنون وهم الذين يعتبرون الختان سنة شرعية من سنن أبيهم إبراهيم عليه السلام.

العصر الثالث من عصور عهد النعمة:ـ ويمتد من موسى إلى المسيح. وكل ما اختص بالعصرين السابقين متضمن فيه، أضيف إليه بأمره تعالى كثيرًا من الفرائض السياسية والطقسية كالكهنوت والذبائح وغيرها[٤].

---

(١) وهو يشير بذلك إلى ما جاء فى رسالة بولس إلى أهل كولوسى (وبه ـ أى المسيح ـ أيضًا ختنتم ختانًا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين كولوسى فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضًا معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات) كولوسى ٢ : ١١ ـ ١٢ جاء فى قاموس الكتاب المقدس فى تعليقه على هذا النص (فيتضح منه أن بولس يعلم بأن للمعمودية فى العهد الجديد نفس المكانة التى كانت للختان) ص٣٣٨.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٤.

(٣) تكوين ١٧ : ١١.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٧٦٧.

وعهد هذه المرحلة يعتمد أساسًا على قصة خروج موسى والعبرانيين من مصر يقول الأب/ ديلى "غاية الله أن يعقد مع العبرانيين عهدًا فى سيناء، وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل إخراج العبرانيين من مصر. هذا ما كان على موسى أن يقوم به فيعمل على إقناع فرعون بأن يترك العبرانيين يخرجون، وعلى إقناع العبرانيين بأن يقبلوا بالرحيل عن مصر"(١).

"فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر. فقال إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك. حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل. فقال موسى لله هاأنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم. فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه (٢) الذى أهيه وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم، وقال الله أيضًا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم"(٣)..

"فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا. فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا. ولكنى أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية. فأمد يدى وأضرب مصر بكل عجائبى التى أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم"(٤).

ولما لم يستطع موسى أن يقنع فرعون بترك بنى إسرائيل "كلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلاً: هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو لكم أول شهور السنة. كلّما كل جماعة إسرائيل قائلين فى العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاة للبيت. وإن كان البيت صغيرًا عن أن يكون كفوا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس. كل واحد على حسب أكله تحسبون للشاة، تكون لكم شاة صحيحة ذكرًا ابن سنة. تأخذون من

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص١٤٣.
(٢) أهيه: اسم عبرى معناه "الكائن" هذه كلمة عبرية فى حروف عربية وهى لفظ اسم الرب الذى أطلقه الرب على نفسه عندما كان يتكلم إلى موسى "قاموس الكتاب المقدس ص١٢٨".
(٣) خروج ٣: ١١ ـ ١٥.
(٤) خروج ٣: ١٨ ـ ١٩.

الخرفان أو من المواعز. ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية. ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت التى يأكلونه فيها. ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويًا بالنار مع فطير. على أعشاب مرة يأكلونه. ولا تأكلوا منه نيئًا أو طبيخًا مطبوخًا بالماء بل مشويًا بالنار. رأسه مع أكارعه وجوفه. ولا تبقوا منه إلى الصباح، والباقى منه إلى الصباح تحرقونه بالنار. وهكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم. وتأكلونه بعجلة. هو فصح للرب. فإنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكامًا بكل آلهة المصريين. أنا الرب. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكارًا فتعيدونه عيدًا للرب. فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية[١].

وهو ما يسمى بعيد الفصح. يقول الأب/ ديلى :ـ

"ليس الفصح مرورًا فقط وعبورًا كما تعنى الكلمة بل هى بجوهره تعبير عن العهد بين الشعب المختار والله"[٢].

وبعد هذا العمل الذى أمر به الرب خرج موسى ومن معه، وفى الشهر الثالث من خروجهم من مصر جاءوا إلى برية سيناء، وقد أقام الشعب مدة فى سيناء، فحدث أثناء إقامته أن صعد موسى الجبل فعرض الله هناك عليه عهدًا وقال له "فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من جميع الشعوب. فإن لى كل الأرض"[٣].

وقبل الشعب فأمر الله بالاستعداد لعقد العهد يومين كاملين "فنزل موسى من الجبل إلى الشعب وقدسهم وغسلوا ثيابهم"[٤].

---

(١) خروج ١٢ : ١ ـ ١٤.
(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص١٤٦.
(٣) خروج ١٩ : ٥.
(٤) خروج ١٩ : ١٤.

جاء الله إلى سيناء وسط عاصفة شديدة وأعلن الوصايا التى هى بمثابة ملخص لما يتعهد العبرانيون لله بحفظه، ورجع موسى إلى الشعب وأعلن لهم أقوال الله فأجاب العبرانيون "جميع ما تكلم به الرب نفعله ونأتمر به"(١).

وعقد العهد وسط الذبائح فأخذ موسى من دم الضحايا ورش به الشعب قائلاً: "هو ذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به"(٢)(٣).

وصعد موسى مرة أخرى جبل سيناء، ومكث هناك أربعين يومًا يستمع إلى كلام الله، ولم يطل بالشعب الأمر حتى نقض العهد، وذلك لأن الله قد حرم عليهم منعًا للوثنية أن يمثله فى شكل من الأشكال: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة"(٤) ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا(٥)، فطلب هارون منهم ـ كما يدّعون ـ أن يأتوه بحلى نسائهم فلما أتوه بها سبكها عجلاً، وللحال نصبوا مذبحا، وقدموا عليه الذبائح، وأولموا وليمة كبيرة رقصوا فيها الرقصات الطقسية، فكان العصيان الأول والمخالفة الأولى للعهد المقدس(٦)، وحين نزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة فى يده وإذا به يسمع الأناشيد وعندما اقترب أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى، وطرح اللوحين من يده وكسرها فى أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء وسقى بنى إسرائيل(٧)، ثم اقتص من الذين عصوا الله فسقط منهم بسيف بنى لاوى. الذين ظلوا مخلصين للعهد قوم كثيرون وتكرّس الشعب لله ونال موسى بعد تضرع وتوسل عفو الله عن شعبه وتجدد العهد، وأنشىء هيكل العهد يومئذ على شكل تابوت صغير يحمل فيه الأسفار(٨).

---

(١) خروج ٢٤ : ٣.
(٢) خروج ٢٤ : ٨.
(٣) راجع سفر الخروج ١٩ : ١٦، ٢٠ : ٢١ ، ٢٤ : ١ ـ ٨ راجع تاريخ شعب العهد القديم ص١٥٠.
(٤) خروج ٢٠ : ٤.
(٥) خروج ٣٢ : ١.
(٦) راجع الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج، (تاريخ شعب العهد القديم ص١٥٠).
(٧) خروج ٣٢ : ١٥.
(٨) راجع الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج (تاريخ شعب العهد القديم ص١٥٠).

أما أهمية هذا العهد لموسى: فيقول الأب/ ديلى: "لقد هيأه الله بالعهد الذى قطعه قبلاً مع إبراهيم، وليس عهد سيناء ذاته سوى صورة للعهد الحقيقى الذى سيعرضه يومًا على البشرية جمعاء، كما أن موسى وسيط العهد القديم ليس سوى صورة للمسيح وسيط العهد الجديد، ومن هنا يستمد عهد موسى أهميته للحاضر والمستقبل"(١).



وأهم تعليق لنا على هذه المرحلة من عهد النعمة هو: أن الله أعطى موسى العهد بعد أمره له بأن يدعو قومه إلى الإيمان بالله الواحد، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فلما عبدوا العجل رفع عنهم العهد، حتى توسل موسى لله أن يعفو عنهم فعفا عنهم بعد أن آمنوا به سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه وتعالى أعطى موسى وقومه العهد وهذا العهد شرطه الأساسى الإيمان بالله الواحد الأحد.

وعليه فإن معنى ذلك أن العهد يسرى بين من يؤمنون بالله الواحد الأحد. لذلك يقول الأب/ ديلى "لهذا العهد إذاً صفة الشروط والصفقة، به يتعهد إسرائيل أن يطيع الله فى كل أوامره ونواهيه، وبه يتعهد الله مقابل ذلك أن يتخذ له إسرائيل شعبًا مختارًا يشمله بعطف خاص. حتى إذا ما نقض إسرائيل **عهده** كان الله فى حل من كل وعد معه"(٢).

وسؤالنا الآن: هل أطاع هؤلاء الله فى كل أوامره ونواهيه حتى يستحقوا عهد الله؟ الحق أنهم لم يطيعوا فى أهم شروط العهد ألا وهو الإيمان بالله وبوحدانيته فكيف بالشروط الأخرى؟ ذلك لأن إيمانهم بألوهية المسيح والروح القدس يجعلهم ناقضين لعهد الله، بل وبعيدين عن أن ينالوا من العهد شيئًا.

• وعموم القول أن القصة بأكملها لا تخلو من أخطاء شائعة ليس هنا موضع بيناها، ولكن من أهم هذه الأخطاء أنهم نسبوا إلى هارون ـ زورا وبهتانا ـ أنه صنع لهم عجلاً مسبوكًا ليعبده بنو إسرائيل. وذلك لأنه لا يتسق مع كون هارون رسولا

(١) المصدر السابق ص١٥١.

(٢) المصدر السابق ص١٥٢.

من عند الله. ويتبين ذلك مما جاء فى الكتاب المقدس من أن الله نادى موسى وهارون وأمرهما بأن يقوما بتبليغ شرع الله للناس ودعوتهم إلى عبادة الله الواحد. يقول سفر الخروج (وقال الرب لهارون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى. فذهب والتقاه فى جبل الله وقبله. فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذى أرسله وبكل الآيات التى أوصاه بها. ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل. فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب فآمن الشعب)[١] ثم أمرهما الله بأن يذهبا إلى فرعون ليبلغاه بدعوة الله.

وسؤالنا: كيف يجوز على رسل الله وهم سفراء الله على الأرض ودعاته إلى التوحيد أن يصنعوا هم التماثيل ليعبدها الناس من دون الله؟

كيف يجوز على هارون ـ وهو القدوة لهم فى الامتثال لشرع الله وأوامره ـ أن يصنع لهم عجلاً ليعبدوه من دون الله مع أن الله أمره هو وموسى بدعوة الناس إلى التوحيد ونهيهم عن أن يجعلوا لله ندا وشريكا؟. يقول الرب لموسى وهارون "لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك"[٢].

وهناك أخطاء أخرى لو أحصيناها لخرجنا عن موضوع الدراسة.



العصر الرابع: ويمتد من مجىء المسيح إلى انقضاء العالم ـ كما يدّعون ـ:

وهو يدعى عهدًا جديدًا بالنسبة إلى العهد الموسوى الذى كان قديمًا أو عتيقًا[٣]. يعتقد المسيحيون أنه فى هذا العصر سيتم كل عمل الفداء أى سيتم عهد الفداء.

ولقد اختلف اللاهوتيون المسيحيون فى طرفى هذا العهد:ـ "إنه يظهر من أول وهلة أن فى نصوص الكتاب المقدس تشويشًا من جهة فريقى هذا العهد لأن المسيح

(١) خروج ٤ : ٢٧ ـ ٣١.
(٢) خروج ٢٠ : ٤ ـ ٥.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص٧٦٧.

يذكر أحيانًا أنه أحد فريقيه وأحيانًا أنه وسيطه وضامنه وأن الفريقين المتعاهدين هما الله وشعبه. وقد وفق بعض اللاهوتيين بين تلك النصوص بأن المسيح من وجه نائب المؤمنين فى العهد. كما كان آدم نائب الجنس فى أمر السقوط، وكذلك أن المسيح قام فى ذات العهد مقام وسيط أى أنه تعهد وتوسط معا فى زمن واحد. واستحسن جانب آخر من العلماء التعبير عن العهد على صورتين :ـ

الأولى : نسبة الله الآب إلى المسيح فى عمل الفداء.

الثانية : نسبة الله الآب إلى شعب المسيح المؤمنين.

فعمل الفداء بكماله يتضمن عندهم عهدين: **أولها :** بين الله والمسيح ويسمى عهد الفداء. **وثانيهما :** بين الله والمؤمنين ويسمى عهد النعمة وهو الذى صار فيه المسيح وسيطًا وضامنًا[١].

وعن المراد بعهد الفداء (جاء فى علم اللاهوت النظامى) :ـ

والمراد بعهد الفداء : العهد بين الله الآب والابن فى شأن خلاص الإنسان وهو من الأمور الخارجة بالكلية عن دائرة إدراكنا، ولذلك يجب قبول تعاليم الكتاب المقدس فيه بدون الظن إننا قادرون أن نصل إلى ما يختص به طبعًا من الأسرار[٢].

فالمسيح ـ عندهم ـ هو المقصود بهذا العهد.

أما ماذا لزم المسيح أن يأخذه على نفسه ليتم عمل الفداء كما فى التصور المسيحى :ـ

١ ـ لزم أن يتخذ طبيعة البشر ويولد من امرأة ويوجد فى الهيئة كإنسان وكان ينبغى أن يكون ذلك تجسدًا حقيقيًا لا مجرد تجل بحيث يكون عظما من عظامنا ولحمًا من لحمنا مشبها إخوته فى كل شىء ومع ذلك بدون خطية لكى يمكنه "أن يرثى لضعفاتنا وأن يشعر مع المجربين لأنه قد تجرب"[٣].

---

(١) المرجع السابق ص٧٥٤.
(٢) المرجع السابق ص٧٥٥.
(٣) عبرانين ٤ : ١٥.

٢ ـ لزم أن يولد تحت الناموس[١] وأن يتعهد باختياره أن يعمل كل بر بطاعته لشريعة الله طاعة تامة فى جميع صورها التى فرضت على الإنسان[٢].

٣ ـ لزم أن يقدم كفارة لأجل خطايا العالم ويحمل خطايا البشر ويصير لعنة لأجلهم مقدمًا نفسه ذبيحة لله عن خطايا البشر[٣].

ولكى يتم ذلك التزم أن يعيش كما عاش على الأرض ويحتمل ما احتمله من الحزن والألم والعار والموت. وأما ما كان عليه أن يعمله بعد ذلك فيختص بارتفاعه[٤].

لكى يتمم المسيح عمل الفداء فى التصور المسيحى كان لابد من :ـ

١ ـ التجسد.

٢ ـ الصلب.

٣ ـ القيامة.

أى أن يظهر بصورة بشرية ويتحمل خطايا البشر ويكفر عنها عن طريق تحمل هذه الخطايا على الصليب وأن يظهر انتصاره على الموت الذى أصاب آدم وذريته بالقيام من قبره.

فأساس العهد ـ عندهم ـ هو كفارة المسيح عن البشر وتحمل خطاياهم.

وهذا ما نبحثه فى الباب الثانى إن شاء الله.

لماذا عقد الله العهد بالخلاص مع الإنسان؟

يعتقد المسيحيون أن الإنسان الذى خلق على صورة الله أخطأ ضد الله وسقط من علياء مركزه جالبا الخراب لنفسه ولكل الجنس البشرى ، ولكن الله برحمته ومحبته لم يتركه لمصيره لكنه يسر له طريق للخلاص بإرسال ابنه إلى العالم ليفدى الإنسان بموته

---

(١) غلاطية ٤ : ٤.

(٢) متى ٥ : ١٧ ، ١٨.

(٣) ٢ كورنثوس ٥ : ٢١ ، غلاطية ٣ : ١٣ ، أفسس ٥ : ٢.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٧٥٦.

الكفارى على الصليب، فالخلاص هو عمل الله، فالله هو الذى أخذ زمام المبادرة فى الخلاص وهو الذى وضع خطة الخلاص[١].

يقول الأب بولس الياس اليسوعى: إن الله محبة، وقد خلق الإنسان بداعى المحبة فقط وتعبيرًا عن محبته المجانية له تنازل وعقد عهدًا معه منذ فجر الخليقة[٢].

ويقول كلايد تارنر: (إن الله العظيم هو إله محبة، هذه السجية من سجايا الله تمنح الأمل للقلب الخاطىء. إن معرفة الله كإله كلى القوة والقداسة فقط تجعل الفرد فى خوف ورهبة دائمين ولكن المعرفة أن الإله هذا الإله العظيم القدوس هو إله محبة توقد شعلة الأمل فى القلب[٣].

لقد ظهرت محبة الله بعدة طرق ولكن أسمى مظاهرها ـ كما يقولون ـ هو أنه وهبهم ابنه "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به[٤].

"ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"[٥].

فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى عقد مع الإنسان العهد بالخلاص لأنه سبحانه متصف بالرحمة والمحبة، ورحمته ومحبته جعلته يبذل ابنه الوحيد ليصلب من أجل أن يكفر عن خطايا البشر.

وقبل أن نترك هذه النقطة نقول: هل جعل المسيح يهان ويذل ويصلب يعتبر رحمة من الله بالمسيح؟؟؟



(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٤٤.
(٢) بولس إلياس اليسوعى: على خطى المسيح ص٢٤.
(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ٣٠، ٣١.
(٤) ١ـ يوحنا ٤: ٩.
(٥) رومية ٥: ٨.

الباب الثانى

الخلاص والمسيح
ويشتمل على خمسة فصول

الفصل الأول: ألقاب المسيح باعتباره مخلصًا فى التصور المسيحى
الفصل الثانى: دعوى التجسد الإلهى وأهميتها للخلاص المسيحى
الفصل الثالث: دعوى صلب المسيح وأهميتها للخلاص المسيحى
الفصل الرابع: دعوى قيامة المسيح وأهميتها للخلاص المسيحى
الفصل الخامس: الشعائر المصاحبة لعقيدة الخلاص.

الفصل الأول

ألقاب المسيح باعتباره مخلصًا في التصور المسيحى

تمهيد:

إن الخلاص المسيحى يقوم على أساس أن المسيح هو المخلص ولا مخلص سواه. وقد أطلق النصارى عليه كثيرًا من الألقاب والتى تعبر عنه كمخلص.

ولقد ذكروا المسيح فى العهد الجديد بأسماء وألقاب كثيرة تربو على المائة والعشرين[١] ومعظمها أطلقت عليه باعتبار الوظيفة التى ألصقها النصارى به وهى وظيفة المخلص.

ونحن نقتصر فى هذه الدراسة على الألقاب[٢] الأكثر تداولاً وذكرا بين النصارى والتى يظهر فيها وضوح إطلاقها على المسيح المخلص.

وهذه الألقاب هى : المسيح

ابن الله

كلمة الله

الرب

عمانوئيل

ابن داود

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٨٨٦ ـ ٨٨٨.

(٢) ولقد اقتصرنا على ذكر الألقاب فقط لأنها تختص بالوظيفة. يقول القس إنسطاسى شفيق (والاسم يختلف عن اللقب، لأن اللقب يختص بالوظيفة، لكن الاسم يختص بالطبيعة، وألقابه كثيرة منها المسيح) أ. هـ اللاهوت فى إنجيل يوحنا. ويقول "والألقاب تدل على أمجاده الإلهية والوظائف التى اتخذها" أ. هـ الفداء فى إنجيل لوقا ص١٨٧.

المسيح

إن لقب "المسيح" أكثر الألقاب تداولاً بين النصارى وذكرا فى الكتاب المقدس وهو اللقب الأساسى للمخلص عندهم.

يقول بنيامين بنكرتن: "المسيح اللقب الرسمى للرب"[١] ولقد لقب المسيح بهذا اللقب لأنه مفرز ومكرس للخدمة والفداء[٢].

والمرادف لهذا اللقب "مسيا"[٣].

وكلمة "مسيا" أو "مشيخا" عبرية الأصل ولقد ترجمت إلى اليونانية "كريستوس" وتعنى المسوح. فكلمة "مسيا" تعنى ممسوح وكلمة "المسيح" تعنى الممسوح[٤].ولقد ذكر يوحنا ذلك فى إنجيله فقال: "مسيا الذى تفسيره المسيح"[٥].

أما معنى هذا اللقب يقول/ إبراهيم لوقا: جاء فى المعاجم[٦] إن هذا الاسم ـ المسيح ـ يطلق على القطعة من الفضة، والعرق، والصديق، والدرهم الأملس الذى لا نقش عليه، والكثير السماحة، والممسوح بمثل الدهن وبالبركة، ولقب عيسى بن مريم لأن الله مسحه كاها ونبيًا وملكًا[٧]. "فالمسيح كلمة تفيد فى أصل وضعها عن شخص مدهون بدهن المسحة (أى ممسوح) بقوة الله سرًا للقيام بمهمة

---

(١) تفسير إنجيل متى ص١٦.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٨٦٠.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا: هامش ص٦٧.

(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٢.

(٥) يوحنا ١ : ٤١.

(٦) المسيح: الممسوح بمثل الدهن والبركة ليكون ملكًا أو نبيًا وهذه من عادات اليهود والنصارى وتعنى: الأعور. ورجل مسيح الوجه: ليس على أحد شقى وجهه عين ولا حاجب، والعرق يمسح من الوجه، والمنديل الخشن يمسح به. والمسيحة: الذؤابة أو ما نزل من الشعر فلم يعالج بدهن ولا شىء، ومن رأس الإنسان: ما بين الأذن والحاجب يتصعد حتى يكون دون اليافوخ ـ فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقى عظام الجمجمة ـ والقطعة من الفضة، والدرهم الأملس، والقوس الجيدة. المعجم الوسيط حـ٢ ص٨٦٨.

(٧) المسيحية فى الإسلام ص١٢٣.

عظمى من قبل الله سواء كان كاهنًا أو ملكًا ولكن مع توالى الزمان أطلقت أكثر على الملوك[١].

يقول د/ أحمد السقا: فأصل كلمة المسيح على الحقيقة المسح بالزيت أو الدهن وعلى المجاز المصطفى من الله لمهمة أرادها منه[٢].

فكلمة المسيح تعنى فى الأصل المسح بالزيت ثم استعملت فى مسح الملوك والكهنة والأنبياء. والواقع أن هذا اللقب يرجع إلى الشعائر الأولى التى درجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالهم الأولى بل منذ أبيهم الأول يعقوب الذى سمى "إسرائيل" والذى من صلبه خرج جميع الأسباط الاثنى عشر الذين تكون منهم ومن أبنائهم يهود الدنيا. فمنذ عهد يعقوب "إسرائيل" اعتبر المسح بالزيت المقدس[٣] من أعظم شعائر التقديس والتكريم للناس وللأماكن فكل ما يمسح بهذا الزيت يصير مقدسًا لله، ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء لذلك سموا هؤلاء مسحاء الله أى المختارين والمباركين من الله[٤].

وأول ما ورد عن المسح بالزيت المبارك كشعيرة من شعائر التقديس والتكريم إنما هو فى الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين حيث روى عن يعقوب أنه "بكر فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودًا وصب زيتا على رأسه. ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل ـ أى بيت الله"[٥].

ويستطرد يهوه مذكرا شعبه بقيمة هذا الزيت المقدس، ففى الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج أن "الرب كلم موسى قائلاً: وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب... دهنًا

---

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١١٩.

(٢) يوحنا المعمدان بين النصرانية والإسلام ص٦٨.

(٣) الزيت المقدس: عبارة عن زيت الزيتون، ويوضع عليه بعض العطور، ويقرأ عليه بعض التسابيح والتعاويذ .ويباركه الكاهن الأعظم، ويسمى بالزيت المقدس، لأنهم كانوا يستعملونه باسم الرب (مزمور ٨٩ : ٢٠) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٣٨.

(٤) المسيح إنسان أم إله ص٩.

(٥) تكوين ٢٨ : ١٨ ، ١٩.

مقدسًا للمسحة يكون وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها. وتقدسها فتكون قدس أقداس. وكل ما مسها يكون مقدسًا وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم.. وتكلم بنى إسرائيل قائلاً يكون هذا لى دهنًا مقدسًا. للمسحة فى أجيالكم"[١][٢].

"ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه. ونضح منه على المذبح سبع مرات ومسح المذبح وجميع آنيته والمرحضة وقاعدتها لتقديسها. وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه. ثم قدم موسى بنى هارون وألبسهم أقمصة ونطقهم بمناطق وشد لهم قلانس كما أمر الرب"[٣] هذا عن المسح بالزيت المقدس فلقد مسح يعقوب بعض الأماكن وكذلك مسح موسى هارون وأهله وبعض الأماكن،

أما عن اللقب "المسيح" الذى أطلق على عيسى بن مريم فهل هو مقصور على عيسى أم أنه أطلق على غيره؟

تحدثنا التوراة والتفاسير أن لفظ المسيح قد أطلق على غيره[٤].

فلقد أطلق لقب المسيح على "شاول" وذلك عندما طلب الله من صموئيل أن يمسح شاول ليكون مسيحًا لشعب إسرائيل.

جاء فى سفر صموئيل الأول (والرب كشف أُذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم قائلاً غدًا فى مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين. فامسحه رئيسًا لشعبى إسرائيل فيخلص شعبى من يد الفلسطينيين لأنى نظرت إلى شعبى لأن صراخهم قد جاء إلى، فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب هوذا الرجل

---

(١) خروج ٣٠: ٢٣ ـ ٣١.
(٢) راجع "حياة المسيح" للعقاد ص٢٩، المسيح إنسان أم إله ص٩.
(٣) لاويين ٨: ١٠ ـ ١٣.
(٤) محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث ص١١٤.

الذى كلمتك عنه. هـذا يضبط شعبى. فتقدم شاول إلى صموئيل فى وسط الباب وقال أطلب إليك أخبرنى أين بيت الرائى. فأجاب صموئيل شاول وقال أنا الرائى)[١].

"فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسًا"[٢] وبهذا صار شاول مسيحًا وملكًا على اليهود.

ولما مات شاول جاء جميع أسباط إسرائيل إلى داود إلى حبرون وتكلموا قائلين هوذا عظمك ولحمك نحن، ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكًا علينا قد كنت أنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبى إسرائيل وأنت تكون رئيسًا على إسرائيل، وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدًا فى حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكًا على إسرائيل"[٣] وهكذا أطلق لقب المسيح على داود باعتباره ملكًا على إسرائيل ثم تولى ملك إسرائيل بعد وفاة داود ابنه سليمان وصار أيضًا "مسيحًا" أو أطلق عليه أيضًا لقب "المسيح" ويذكر ذلك سفر الملوك الأول (فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحيا الملك سليمان)[٤].

والنبى "إيليا" يأمره ربه بأن يمسح بعض الأشخاص ملوكًا اللهم إلا "اليشع" فيمسحه نبيًا على بنى إسرائيل طبقًا لما ورد فى سفر الملوك الأول: "وكان كلام الرب إليه يقول مالك هاهنا إيليا. فقال قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها، فقال اخرج وقف على الجبل أمام الرب. وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة..... وإذا بصوت إليه يقول مالك هاهنا يا إيليا. فقال غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها. فقال له الرب اذهب راجعًا فى

---

(١) صموئيل الأول ٩ : ١٥ ـ ١٨.
(٢) صموئيل الأول ١٠ : ١.
(٣) صموئيل الثانى ٥ : ١ ـ ٣.
(٤) ملوك أول ١ : ٣٩.

طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكًا على أرام وامسح يا هو بن نمشى ملكًا على إسرائيل وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيًا عوضًا عنك"[١].

وهكذا اشترك فى لقب المسيح عدد غير قليل من أبناء وملوك بنى إسرائيل قبل أن يطلق على المسيح عيسى بن مريم، بل إنه أطلق على كورش الوثنى. ففى سفر إشعياء "هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أممًا وأحقاء وملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق"[٢].

إذن ما وجه التفرقة بين إطلاق لقب "المسيح" على هؤلاء الأنبياء والملوك وإطلاقه على عيسى بن مريم؟

يقول حبيب سعيد: لقد كان المسيح إنسانًا كاملاً معصومًا من الخطيئة خلافًا لسائر الأنبياء والمرسلين ولكنه لم يكن عبقريًا دينيًا ولا مجرد رسول بل كان "كلمة الله وروحه" كان إلهًا متجسدًا أعلن للناس فى حياته ذات الله ومحبته وصفاته للبشر[٣] (بمعنى أن المسيح هو الملك الموعود به لإسرائيل أى أن بنى إسرائيل وعدوا بملك من نسل داود[٤] ليملك عليهم ملكًا ممتازًا عن كل الملوك الذين جربوهم)[٥] أى أن المسيح ـ فى اعتقادهم ـ قد انفرد عن باقى الملوك والأنبياء الذين أطلق عليهم هذا اللقب بأنه هو "المسيح المخلص" ففى الرسالة إلى العبرانيين جاء (مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك)[٦].

ولقد أطلق على المسيح هذا اللقب وأريد به هذا المعنى ـ المسيح المخلص ـ وذلك بعد أن انتهت حياة المسيح على الأرض، وأغلب الظن أن أول من أطلق **هذا اللقب بهذا المعنى هو بولس.**

(١) ملوك أول ١٩ : ١٠ ـ ١٦.
(٢) إشعياء ٤٥ : ١.
(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٥٦.
(٤) سنذكر فى هذا الفصل فيما بعد مدى انطباق لقب ابن داود على المسيح عيسى بن مريم.
(٥) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١١٩ ـ ١٢٠.
(٦) عبرانيين ١ : ٩.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: بعد أن امتلأ التلاميذ من الروح القدس بعد قيامة المسيح تغيرت نظرتهم وعقيدتهم فى شخص يسوع فهم الآن على استعداد للانطلاق والتبشير بيسوع المخلص من الخطايا هذا ما قد أقره واعترف به الرسل بأن يسوع الناصرى هو المسيح وهو ابن الله وهذا الأمر واضح كل الوضوح فى العهد الجديد بصفة عامة وفى رسائل بولس بصفة خاصة[١] ثم يقول"إن بولس هذا هو أول من دون رسائل وهذه الرسائل تحتوى على تعاليم عامة ولكن معظمها يقدم لنا بعض العقائد عن المسيح، والدارس المدقق يجد فى رسائل بولس ما يمكننا أن نسميه "بقانون الإيمان" وقد استعملت الكنيسة الأولى هذه القوانين عند قبولها للذين كانوا ينضمون إلى المسيحية ويطلبون العماد[٢]

والشاهد مما سبق: أن المؤلف المسيحى ذكر أن "المسيح المخلص" بهذا المعنى أطلق على عيسى بن مريم بعد قيامة المسيح، وهذا المعنى واضح بصفة عامة فى الأناجيل وبصفة خاصة فى رسائل بولس، ثم يذكر أن أول رسائل كتبت فى المسيحية هى رسائل بولس، وعليه فإن رسائل بولس هى أول من أطلقت على المسيح أنه "المسيح المخلص".

فبولس إذاً هو أول من نادى بجعل عيسى هو المسيح الرئيس المسيح المنتظر ـ المخلص ـ وذلك بعد رفع عيسى إلى السماء. ففى الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل (وأما شاول ـ بولس ـ فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أن هذا هو المسيح) [٣] ولقد شهد يوحنا المعمدان بأنه ليس هو المسيح المنتظر وقال "أنتم أنفسكم تشهدون لى: أنى قلت لكم لست أنا المسيح بل أنا مرسل أمامه"[٤] ولما ظنه اليهود المسيح أخبرهم أن المسيح المنتظر ليس عيسى وإنما سيأتى من بعده، وبولس ادعى أن الآتى من بعد يوحنا هو عيسى وأنه المسيح المنتظر وذلك لقصر النبوة على بنى إسحاق إلى الأبد وقفل باب النبوة فى وجه بنى إسماعيل (قال

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٨٤.

(٢) المرجع السابق ص٣٨٥.

(٣) أعمال الرسل ٩: ٢٢.

(٤) يوحنا ٣: ٢٨.

بولس: إن يوحنا عهد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى المسيح يسوع)[١] مع أن عيسى عليه السلام قد نادى مع يوحنا المعمدان بأن ـ المسيح آت من بعده وسأل الفريسيين: ماذا تظنون فى المسيح؟ وقد كانوا يعتقدون أنه سيكون من ذرية داود عليه السلام من سبط يهوذا. فقال له الفريسيون: من نسل داود فقال لهم: لن يكون من نسل داود لأن داود قال نبوءة عن المسيح المنتظر وعد فيها أن المسيح المنتظر سيكون سيده، فلو كان المسيح المنتظر من نسل داود ما كان دواد يقول عنه إنه سيده[٢].

يقول متى: وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود، قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربًا[٣] قائلاً: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربًا فكيف يكون ابنه. فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة[٤].

فعيسى بن مريم عليه السلام بين بالحجة الواضحة للفريسيين أنه ليس هو المسيح المنتظر.

يقول د/ فهيم عزيز (إن يسوع لم ينسب لنفسه هذا اللقب فى أى من المواقف التى ورد فيها اللقب)[٥] وإذا لم ينسب المسيح لنفسه هذا اللقب باعتباره مخلصًا فإنه من أقوى الأدلة على أن نسبة هذا اللقب إلى المسيح لا تفترق عن نسبته إلى غيره من أنبياء وملوك بنى إسرائيل، ونسبة اللقب إليه باعتباره نبيًا ورسولاً اختاره الله واصطفاه وأرسله إلى بنى إسرائيل ليدعوهم إلى توحيد الله وعدم الإشراك به.

ابـــن الله

مدلول الابن اللغوى يدل على ولادة طبيعية من أب وأم فالابن الولد الذكر نتيجة لولادة طبيعية. ولكن لفظة (ابن) جاءت فى الكتاب المقدس لمعان مختلفة.

---

(١) أعمال ١٩ : ٤.
(٢) د/ أحمد السقا: يوحنا المعمدان بين النصرانية والإسلام ص٧٠ ، ٧١.
(٣) قول داود فى المزمور العاشر بعد المائة (١١٠ : ١).
(٤) متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦.
(٥) المدخل إلى العهد الجديد ص٢٠٠.

١ ـ للابن باعتبار نسبته إلى أبيه.

٢ ـ للإشارة إلى التسلسل كبنى إسرائيل أى نسل إسرائيل.

٣ ـ للإشارة إلى المسكن أو الوطن كأبناء صهيون أى أهل صهيون أو سكان صهيون.

٤ ـ للتلميذ أو العابد كأبناء الأنبياء وأبناء الله وبهذا المعنى تنسب إلى الملوك (مزمور ٢ : ٧) وإلى الملائكة (أيوب ١ : ٦ ، ٣٨: ٧) وإلى عبدة الله كشعبه الحاضر (تكوين ٦ : ٢ ، تثنية ١٤ : ١ ، يوحنا ١ : ١٢ ، رومية ٨: ١٤ ـ ١٩).

٥ ـ للإشارة إلى صفة أو نسبة أخرى كابن سنة (أى حولى) وبنى بليعال (أى أشرار) وابن الهلاك (أى الذى يستحق الهلاك). ودعى البشر أبناء الله لأنه خلقهم ـ كما يقولون ـ على صورته ولذلك دعى تعالى: أب الجنس البشرى وخاصة أب المؤمنين، ودعى المسيحيون أبناء الله بناء على ما يعتقدون بالولادة الثانية الروحية وتبنى الله لهم وقبوله إياهم فى عهد النعمة ونرى لفظة ابن[١] مستعملة فى هذا المقام دائمًا فى صيغة الجمع سواء كانت الإشارة بها إلى البشر أو الملائكة فلم ترد فى صيغة المفرد إلا للإشارة إلى الأقنوم الثانى من الثالوث سوى مرة واحدة فى لوقا[٢] حيث دعى آدم باعتباره رأس الجنس البشرى ابن الله لكونه مخلوقًا من الله رأسًا بدون أن يكون له أب من البشر[٣].

فلقد أطلق لقب ابن الله فى الكتاب المقدس على كثيرين ـ كما سنبين ذلك فيما بعد ـ ولكنهم يقولون إن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح يختلف عن إطلاق لقب ابن الله على غيره، إذ إن إطلاق لقب "ابن الله"[٤] على المسيح يدل على ألوهيته وأقنوميته ـ أى أصلاً من أصول الإيمان ـ لذلك يقولون إنه "ابن الله" أى ذات الله. وإزاء هذا يقولون إن إطلاق لقب ابن الله لا يدل على ولادة طبيعية بالمعنى الحقيقى بل هو ابن الله بالمعنى المجازى.

(١) الكلام منقول عن (علم اللاهوت النظامى) ص٣٠٦.
(٢) لوقا ٣ : ٣٨.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص٣٠٦.
(٤) يقول القس إنسطاسى شفيق: وقد استعمل لقب "ابن الله" فى العهد الجديد ما يقرب من "٤٤" مرة عن يسوع المسيحى أ. هـ راجع هامش اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٧٤.

يقول عوض سمعان: (كلمة "ابن" فى الاصطلاح (ابن الله) لا يراد بها المعنى الحرفى بل المعنى المجازى إذ يراد بها (الكائن الذى يعلن الله غير المنظور) فقد قال الكتاب المقدس (الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر)[١] وقال المسيح عن نفسه "من رآنى فقد رأى الآب"[٢] وبما أنه لا يعلن الله إلا الله وحده لأنه تعالى لا نظير له على الإطلاق لذلك فالكائن الذى يدعى (ابن الله) هو ذات الله معلنًا وظاهرًا[٣] فالمسيح فى اعتقاد المسيحيين ابن الله بمعنى أنه "ذات الله المعلنة" أى أنه لقب لا يدل على الولادة الجسدية بل الولادة الروحية التى تعنى ذات الله ـ كما يقولون ـ أو ألوهية المسيح.

يقول القس إنسطاسى شفيق (ومدلول البنوة لا يفيد الولادة الطبيعية بل بالحرى يفيد الوحدة فالابن والآب كلاهما طبيعة واحدة وجوهر إلهى واحد لذلك عبر عن هذه الوحدة بتسمية ذاته (الآب والابن)[٤]. ويقول (يجب تفهم عبارة) "ابن الله" بأن الله متجسد عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد[٥].

وفى كتاب (ما معنى المسيح ابن الله؟) جاء: "يجب أن نستبعد من أذهاننا الولادة الجسدية"، إن المعنى الجسدى لكلمة "الابن" لا ينطبق على "أقنوم الابن" لأن هذا لا يتفق مع روحانية الله وطبيعته السماوية[٦].

فلقب "ابن الله" الذى أطلق على المسيح إنما يعنى الدلالة على الطبيعة الإلهية التى يتميز بها المسيح وسنزيد ذلك وضوحًا فى الفصل الخاص بالتجسد.

ويقولون إن بنوة المسيح لله لا ينقض كونه رسولاً من الله. يقول إبراهيم لوقا: نحن نعترف بأن المسيح رسول الله ونرى أنه ليس فى هذا الإقرار والإعلان ما يضير العقيدة المسيحية أو ما ينفى ألوهية المسيح فإن المسيحية تعتقد أن المسيح هو ابن الله

---

(١) يوحنا ١ : ١٨.
(٢) يوحنا ١٤ : ٩.
(٣) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٢٢.
(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١٠٩.
(٥) المرجع السابق ص١١٠.
(٦) نخبة من علماء اللاهوت: ما معنى المسيح ابن الله؟ ص١٠.

ورسول الآب من السماء معلنة أنه (لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس)[١] والمسيحية لم تر منذ نشأتها فى اعتبار المسيح رسولاً ما ينفى لاهوته المجد، والإنجيل مفعم بأقوال المسيح التى اعتبر فيها نفسه رسولاً لأبيه إلى العالم[٢]، بل إن الإنجيل كله يدور حول هذا المحور وهو إرسالية المسيح إلى العالم ليمنحه حياة ويبدد ما يحيط به من ظلمات الجهل ويحرره من سلطان عبودية الخطية القاسية[٣].

ويقول "ليت شعرى أى تناقض بين بنوة المسيح لله وبين إرساليته إلى العالم؟ ولماذا تعتبر رسالته ناقضة لحقيقة لاهوته؟ أفلا يرسل الآب ابنه مندوبًا عنه لإتمام مأمورية عظمى لا يستأمن عليها خدمه ووكلاءه؟ أو ليس هذه بعينه ما تم فى المسيح يسوع وهو أن الآب أرسله إلى العالم وهو ابنه الوحيد ليتمم بشخصه الفداء الذى لم يكن ممكنًا لملاك ولا لرئيس ملائكة أن يتممه بما يوفى حقوق العدل والرحمة معًا ويبرر الإنسان مع الاحتفاظ ببر الله وعدله"[٤].

ونحن نقول إن اعتراف المسيح بكونه رسولاً من عند الله ينقض قولكم ببنوة المسيح لله الدالة على ألوهيته، ذلك لأن معنى كونه رسولاً من عند الله أنه يدعو الناس لعبادة من أرسله، يدعو الناس لعبادة الله وحده ولا شريك له، والرسل اصطفاهم الله لدعوة الناس لعبادته وحده لا شريك له، وحاشا لرسل الله أن يكون واحد منهم قد ادعى الألوهية لنفسه ودعا الناس إليها مع الدعوة إلى ألوهية الله وحده لا شريك له.

فإما أن يكون المسيح رسولاً. أو إلهًا. وهو اعترف بالرسالة فهو ليس بإله؛ فالرسل جميعًا دعوا إلى التوحيد الذى لا شائبة فيه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن إرسال الله المسيح يعنى أنه ليس مساويًا له فى الطبيعة والجوهر، فالله أمره

---

(١) غلاطية ٤ : ٤.

(٢) يوحنا ٣ : ١٧ ، ٤ : ٣٤ ، ٥ : ٢٣، ٣٦ ، ٦ : ٤٤، ٩: ٤ ، ١٠ : ٣٦.. إلى آخره.

(٣) المسيحية فى الإسلام ص١١٣.

(٤) المصدر السابق ص١١٤.

بأن يدعو الناس لعبادة الله، أى كلفه بالرسالة وهذا الأمر يعنى أنه أقل منه فى الطبيعة والجوهر فإن الأمر والتكليف يكون من الأعلى للأدنى لا للمساوى له.

وتعليقنا على إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح يتلخص فى:

معرفة من أطلق هذا اللقب على المسيح بالمعنى الذى يدل على الألوهية؟

وهل هذا اللقب خاص بالمسيح وحده؟ وما المعنى الذى يجب أن يفهم من هذا اللقب؟

❖ أما من الذى أطلق هذا اللقب على المسيح. فيقول ستيفن نيل: ولقب "ابن الله" لم يكن شائعًا فى أسفار العهد الجديد ففى بعض الأسفار مثل رسالة يعقوب ورسالة بطرس الأولى لم يرد إطلاقًا ولم يرد فى سفر الرؤيا إلا مرة واحدة[1] وفى سفر الأعمال ورد مرتين[2] إحداهما جاء اقتباسًا عن (مزمور ٢ : ٧) ولم يرد مطلقًا فى العظات الأولى من هذا السفر الذى يحاول لوقا أن يرسم لنا فيها صورة للرسل وهم يجتهدون فى إدراك معنى المسيح المقام فى حياة الناس.

أما بولس فهو الذى نادى بعد اهتدائه فى المجمع قائلاً (هو ابن الله)[3]

ويميز كاتب سفر العبرانيين تمييزًا صارخًا بين الأنبياء وبين الابن الذى هو أعلى من الملائكة (الله بعد ما علم الآباء والأنبياء قديمًا... كلمنا فى هذه الأخيرة فى ابنه)[4] ولكن بولس هو الذى يقتادنا أكثر من أى كاتب آخر إلى الإيمان بيسوع ابن الله، وقد استند إيمانه هو شخصيًا إلى "ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى"[5] ابن الله يسوع المسيح الذى كرز به بينكم[6] وهو الذى قال إن الهدف هو "أن نكون مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكر أبيه إخوة كثيرين"[7][8].

(١) رؤيا ٢ : ١٨.
(٢) أعمال الرسل ١٣ : ٣٣، ٩: ٢٠.
(٣) أعمال الرسل ٩: ٢٠.
(٤) عبرانيين ١ : ٢.
(٥) غلاطية ٢ : ٢٠.
(٦) ٢ كورنثوس ١ : ١٩.
(٧) رومية ٨ : ٢٩.
(٨) ستيفن نيل: من هو المسيح؟ ترجمة حبيب سعيد ص٥٤ ـ ٥٥.

ويقول د/ فهيم عزيز: أما إذا أتينا إلى العهد الجديد فإننا نجد بعيدًا عن الأناجيل ـ أن الكتاب المقدسين لا يستخدمون هذا اللقب ـ ابن الله ـ كثيرًا فيما عدا بولس وكاتب العبرانيين ورسالتى يوحنا الأولى والثانية أما بقية الكتب فنادرًا ما نجد هذا اللقب فيها.

وفى كتابات بولس نجد لقب "ابن الله" ٤ مرات (ابنه) ١١ مرة "الابن" مرتين، مع أنه يستخدم لقب الرب ثمانية أضعاف لقب الابن، ويظن (فنست تايلور) أن ـ السبب فى ندرة هذا اللقب عند الكنيسة الأولى هو أن لقب "ابن الله" كان يستخدم فى التعليم بينما استخدم لقب "الرب" فى الصلاة والعبادة، فالكنيسة آمنت "بابن الله" وكانت تناجى "الرب". فابن الله هو موضوع الإيمان بينما الرب هو موضوع العبادة[1].

والتعليل بندرة استخدام الكنيسة الأولى لهذا اللقب بأنه يستخدم فى التعليم تعليل غير مفهوم، حيث إن التعليم الإيمانى يسبق الصلاة والعبادة، فالإنسان يصلى ويعبد من يؤمن به لا أنه يصلى ويعبد ثم يؤمن، فهو تعليل غير مفهوم حيث إن العبادة تطبيق لمضمون الإيمان فحيث إن موضوع الإيمان هو "ابن الله" فيجب أن يؤمن به ويعلم ما يؤمن به من قبل المناجاة والعبادة، لأن المؤمن بالديانة المسيحية يبتهل بالشكر لله الذى أنعم عليهم بابن الله الذى خلصهم من الخطيئة. فكيف لا يستخدم لقب ابن الله فى العبادة وهو مصدر وسبب للصلاة والعبادة والمناجاة والشكر؟. والواقع أن سبب ندرة هذا اللقب فى الكنيسة الأولى لأنها كانت تعلم بأن المسيح رسول الله لا أنه ابن الله المخلص.

إن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله جاءت ـ كما يقول هنترـ منقطعة النظير فهى شيء يختلف تمامًا عن لغة أسفار العهد القديم ولغة الأناجيل ورسائل التلاميذ لأنها تقوم على الألوهية الأزلية للمسيح.. "لقد سمى بولس يسوع" "ابن الله" أربع مرات

---

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص١٤١.

والابن مرتين و"ابنه" لا أقل من إحدى عشرة مرة، وعندما سمى بولس يسوع ابن الله كان يتحدث عن كائن إلهى، ولمعرفة مصدر هذه التسمية فيجب أن نذهب إلى الهيلينية[١] التى اعتادت على تسمية صانعى الأعاجيب بأنهم أبناء الله[٢].

فالكنيسة الأولى لم تطلق لقب "ابن الله". وكذلك إن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح بالمعنى الذى يراد منه الألوهية لم يعلن فى أسفار العهد القديم ورسائل التلاميذ إنما هو من تعليم وإعلان بولس الذى استقى هذا التعليم من الهيلينية التى اعتادت على تسمية المُخَلّصين بأنهم أبناء الله ولذلك يقول شارل جنيبير: (يمكن لليهودى أن يعتبر نفسه عبدًا ليهوه لا ابنا ليهوه، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه "عبد الله" وتقدم للناس بهذه الصفة، والكلمة العبرية "عبد" كثيرًا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعنى "خادمًا" و"طفلاً" على حد سواء، وتطور كلمة "طفل" إلى كلمة "ابن" ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم "ابن الله" نبع من

---

(١) الهيلينية نسبة إلى جماعة كانوا يقومون بخدمة بعض المعابد اليونانية. يقول د/ محمد كامل عياد: إن اليونانيين فى العصور التاريخية كانوا يرجعون أصلهم إلى بقعتين مختلفتين: إحدهما حول جبل (أوليمبوس) فى الشمال من (تسالية) حيث كانت تسكن قبائل الدوريين ومن المعروف أن آلهة اليونان الأصلية هى من سكان هذا الجبل. والبقعة الثانية تقع فى مقاطعة (آبيروس حول مدينة دودون) وغابات جبل (تومارس) حيث كان معبد قديم يتولى خدمته جماعة تسمى (هيللوس) تفسر ما يقوله الإله "زفس" عن طريق صوت القمارى أو حفيف الأشجار وهم ينتسبون إلى قبيلة (هيللوس) ومن هنا اشتق اسم (هيليين) الذى أطلقه اليونانيون على أنفسهم جميعًا على أننا لا نعرف السبب الذى دفع اليونانيين إلى تفضيل هذا الاسم على اسم الأخائيين الذى كان يستخدمه هوميروس فلعلهم اختاروا اسم قبيلة الهيليين الصغيرة لأن لديها قام أقدم معبد لعبادة زفس أكبر آلهتهم وربما يرجع السبب إلى أن هذه القبيلة التى هاجرت مع الآخائيين منذ أقدم العصور قد اتصلت بالأجانب قبل غيرها فانتشر اسمها بينهم وصاروا يطلقونه على جميع اليونانيين ثم اقتبسه عنهم هؤلاء فيما بعد أ. هـ . تاريخ اليونان حـ١ ص١٠٥ والفلسفة الهيلينية هى الفلسفة اليونانية بعد اختلاطها بالديانات الشرقية. لذلك يفرق العلماء بين اصطلاحين ويقصدون بالاصطلاح الأول: الثقافة اليونانية الكلاسيكية من القرون التى سبقت مجئ الإسكندر الأكبر أى أنها الثقافة التى انتشرت فى "المدن الدول"، كمدينة أثينا وغيرها وتشمل هذه الثقافة التفكير اليونانى فى كل أوجهه إلى جانب العوائد والتقاليد وطرق المعيشة والسياسة. والهيلينية فى الاصطلاح الثانى: هى الحضارة التى انتشرت فى حوض البحر الأبيض المتوسط وما يحيط بها مدة قرون ثلاثة تبدأ من انقسام دولة الإسكندر الأكبر بعد موته. راجع د/ فهيم عزيز: فى (التفكير اللاهوتى فى رسائل بولس ص٣٩٧) و"المدخل إلى العهد الجديد ص٥٩ ـ ٦٠).

(٢) أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير ص٤٦.

الفكر اليونانى[١] فبولس هو الذى استخدم هذا اللقب بهذا المعنى الإلهى وأدخله فى المسيحية ولم يبتكره بل استمده من الثقافة اليونانية.

فبولس هو الذى أدخل هذا اللقب بهذا المعنى حيث لم يقل المسيح عن نفسه إنه "ابن الله" وكذلك لم يقل الحواريون عنه ابن الله. يقول نظمى لوقا (فقد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته وأنه ابن الله وأنه الإله الواحد جوهر واحد له ثلاثة أقانيم هو الله الآب والله الابن ـ المسيح ـ والروح القدس، ولم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة فى بشارات حوارييه "الأناجيل" إشارة إلى شىء من ذلك بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ "ابن الإنسان"[٢] فالمسيح والحواريون لم يدع واحد منهم أن المسيح ابن الله بمعنى الألوهية لذلك يقول د/ سعد الدين صالح (وهنا يجوز لنا أن نسأل سؤالاً مشروعًا: ما هى مهمة الرسول؟ أليست من مهمته أن يبين للناس كل أصول العقيدة؟ وإذا كانت عقيدة البنوة عقيدة صحيحة فلم لم يبينها؟)[٣].

على أن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح معارض بإطلاق (ابن الإنسان) و"ابن داود"[٤].

إذا تجاوزنا عن كل ما سبق وسلمنا جدلاً بصحة نصوص الإنجيل التى أفادت أن عيسى ابن الله فإننا نقول إن هناك نصوصًا كثيرة فى الإنجيل وصفت عيسى بأنه ابن مريم، وبأنه ابن آدم، وبأنه ابن داود، فهل يا ترى: ابن الله أم ابن آدم أم ابن داود؟

قطعًا إن فى المسألة تناقضًا صريحًا، فإذا تصفحنا الأناجيل الأربعة نجد أن كل واحد منها جعل عيسى ابنا لواحد غير الآخر، فبينما كان يدعوه "متى" دائمًا "بابن إبراهيم" و"ابن داود"، دعاه "مرقس بابن يوسف". أما "لوقا" فقد كان يدعوه بابن آدم وابن الإنسان أما يوحنا فقد دعاه بابن الله[٥] وهو فى هذا يفترق عن الطابع العام

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص٣٩.

(٢) نظمى لوقا: محمد الرسالة والرسول ص٦٥.

(٣) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص٦٥.

(٤) إظهار الحق ص٣٥٢.

(٥) وليس فى هذا الكلام ما ينقض قولنا السابق بأن بولس هو أول من دعا المسيح بابن الله وذلك لأن رسائل بولس ـ كما قلنا سابقًا ـ هى أول ما دُوّن من كتب العهد الجديد..

لباقى الأناجيل التى دعت المسيح (بابن الإنسان) أكثر من ثمانين مرة[١] وكانت تأتى هذه الدعوة دائمًا على لسان المسيح

إذاً هناك تناقض صريح بين الأناجيل فى هذه القضية وهو مبطل لها[٢] إن التناقض بين الأناجيل يبطل القول ببنوة المسيح الدالة على ألوهيته، ذلك أنه يعنى هل المسيح ابن الله أم ابن الإنسان؟ وما هو الصحيح منهما؟ إن واحدًا من الأناجيل يقول إنه ابن الله، وآخرين يقولون إنه ابن الإنسان وهذا تناقض يبطل القول بالألوهية، حيث إن المسيح لم يقل عنه نفسه إنه إله بل قال إنه ابن الإنسان.

هذا عن اللقب "ابن الله" بالمعنى الدال على الألوهية وتبين لنا أنه ليس من تعاليم المسيح ولا حوارييه بل من تعاليم بولس الذى استمده من الثقافات اليونانية.

❖ ويمكننا القول بأن إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح لا يدل على الألوهية، وذلك لأن الكتاب المقدس أطلق هذا اللقب على كثيرين غير المسيح، فلو كان إطلاق اللقب على المسيح يدل على الألوهية فإن معنى ذلك تعدد الألوهية وهذا باطل، وهذا يعنى أن إطلاق لقب ابن الله على المسيح له معنى آخر غير الألوهية وهو القرب من الله سبحان وتعالى.

يقول الأستاذ/ محمد مرجان (ومن يطالع التوراة والأناجيل ورسائل الرسل الحواريين يجد أن لفظ "ابن الله" أو صفة البنوة لله لم ينفرد بها السيد المسيح، بل لقد شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ "ابن الله" لم يقصد به إطلاقًا المعنى الحرفى له، وإنما قد أطلق كثيرًا وكثر استعماله بالمعنى المجازى ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين له)[٣].

وإذا ما حاولنا أن نعرف بعضًا من الأنبياء الذين أطلق عليهم لفظ "ابن الله" فشاركوا بذلك نبى الله عيسى ـ عليه السلام ـ فى بنوته لله ـ نجد أن آدم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد دعوا أبناء الله، بل لقد أطلق على بعضهم لفظ "ابن الله" الوحيد إمعانًا فى قربه من الله وحدب الله الآب عليه.

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص١٥٦.
(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ص٦٦.
(٣) الله واحد أم ثالوث ص٩٥.

يذكر لوقا فى الإصحاح الثالث من إنجيله أن آدم "ابن الله"[١]، أما يعقوب عليه السلام فقد أطلق عليه أيضًا لفظ "ابن الله" تقول التوراة: "هكذا يقول الرب: إسرائيل ابنى البكر"[٢] كما دعى داود أيضًا ابن الله ـ داود الذى من سلالته ولد المسيح ـ "يقولِ الله عن داود فى المزمور التاسع والثمانين (هو يدعونى أبا وأنا أيضًا أجعله ابنى)[٣] وفى سفر صموئيل الثانى يقول الله عن داود أيضًا "أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا"[٤] ويترنم داود عليه السلام فرحًا ببنوته لله فيقول (إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثًا وأقاصى الأرض ملكًا لك)[٥].

وسليمان عليه السلام دعى أيضًا ابن الله فقد ورد فى أخبار الأيام الأول قول الله عن سليمان (هو يكون لى ابنا وأنا له أبا)[٦].

وكما أطلق لفظ "ابن الله" على الأنبياء أطلق أيضًا على الملائكة فقد ورد فى الإصحاح العشرين من إنجيل لوقا قوله (لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله)[٧] فالملائكة هنا دعوا أبناء الله.

وكما دعى الأنبياء أبناء الله ودعى الملائكة أبناء الله دعى البشر العاديون أيضًا أبناء الله يقول الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية للشعب (أنتم أولاد للرب إلهكم)[٨] وقد أطلق سفر التكوين على المؤمنين بالله من أتباع نوح عليه السلام أنهم أبناء الله يقول سفر التكوين (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل من اختاروا)[٩].

---

(١) لوقا ٣ : ٢٨.
(٢) خروج ٤ : ٢٢.
(٣) مزمور ٨٩ : ٢٧ (وفى الطبعة الحديثة أنا أيضًا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض) بدلاً من (ابنى).
(٤) ٢ صموئيل ٧ : ١٤.
(٥) مزمور ٢ : ٧ ، ٨.
(٦) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠.
(٧) لوقا ٢٠ : ٣٦.
(٨) تثنية ١٤ : ١.
(٩) تكوين ٦ : ١ ـ ٣.

هذه البنوة لله لا ينفرد بها أحد، وليست مقصورة على شخص بعينه، فبنوة الله ليست بالنسب والتناسل ولا باللحم والعروق وإنما هى بنوة روحية مجازية يحصل عليها كل مؤمن بالله عامل بوصاياه. يقول السيد المسيح لبنى إسرائيل موضحًا لهم هذه الحقيقة (إنما بنوة الله بالأعمال وأنتم بأعمالكم أبناء إبليس) [١] ويشرح هذا المعنى الإصحاح الثالث من رسالة يوحنا الأولى بقوله (كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله، بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس)[٢] هكذا يتحدد المولودون من الله ويتحدد المولودون من الشيطان، كل من يفعل الخير فهو مولود من الله، وكل من يفعل الإثم فهو مولود من الشيطان من أجل ذلك فإن "كل من يحب فقد ولد من الله"[٣].

وصانعوا السلام أبناء الله (طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله)[٤] ويمكننا جمعيًا أن "نعرف أننا نحن أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه"[٥].

وفى رسالة بولس إلى أهل غلاطية (أنتم جميعًا أبناء الله) [٦] ويدعو السيد المسيح المؤمنين إلى الفضيلة والخير (لتكونوا أبناء الله لتكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات) [٧].

ثم يوضح السيد المسيح أخيرًا أن بنوته لله لا تفترق فى شىء عن بنوة إخوته من البشر لأبيهم السماوى وأن الله سبحانه إله الجميع وأب الجميع يقول المسيح (إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم) [٨] ويشرح ذلك بولس (إله وأب واحد للكل

---

(١) يوحنا ٨ : ٤١ ـ ٤٣.
(٢) ١ يوحنا ٣ : ٩، ١٠.
(٣) ١ يوحنا ٤ : ٧.
(٤) متى ٥ : ٩.
(٥) ١ يوحنا ٥ : ٢.
(٦) غلاطية ٣ : ٢٦.
(٧) متى ٥ : ٤٥.
(٨) يوحنا ٢٠ : ١٧.

على الكل وبالكل)[(١)،(٢)] وهنا يصح لنا أن نقول إن إطلاق لقب (ابن الله) ليس خاصًا بالمسيح وحده. وعليه فلا يدل اللقب على ألوهية وأزلية من يتصف بهذا اللقب وإلا لتعددت الألوهية وأصبح جميع أفراد البشر المؤمنين آلهة وهو مالا يصح القول به. وعليه فإذا صح إطلاق لقب ابن الله على المسيح فإن المعنى الصحيح لهذه البنوة هو القرب من الله والطاعة له سبحانه وتعالى.

فبنوة المسيح لله بنوة مجازية يقصد بها مجرد الطاعة والولاء من قبل الابن والرعاية والرحمة من قبل الأب وعلى هذا المعنى فلا اختصاص للمسيح بها دون سائر الأنبياء والأولياء[(٣)].

"والحقيقة أن لفظ "ابن الله" الذى كان يطلق فى بعض الأحيان على السيد المسيح لم يقصد بها ولادة السيد المسيح أو تناسله من الله أو انفراده وحده ببنوة الله وإنما قصد بها فقط إبراز قرب السيد المسيح من الله، يشترك فى هذا القرب الإلهى مع السيد المسيح كافة أنبياء الله وخلصائه وباقى عباده الصالحين"[(٤)].

فالنبوة لله إن صح إطلاقها على أحد من البشر إنما يكون المراد منها أن هذا الإنسان بار وصالح وهذا المعنى هو الظاهر من إطلاق لقب "ابن الله" على المسيح ويدل على ذلك ما جاء فى إنجيل مرقس ولوقا. فعند صلب المسيح ـ على زعمهم أنه صلب ـ جاء فى إنجيل مرقس أن قائد المائة قال (حقًا كان هذا الإنسان ابن الله)[(٥)] بينما نقل لوقا قول قائد المائة هكذا (بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا)[(٦)] ففى إنجيل مرقس "ابن الله" وفى إنجيل لوقا جاء مكان هذا القول لفظ "البار" وهذا يدل على أن المقصود بهذا اللقب هو الطاعة والعمل الصالح والقرب من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أفسس ٤ : ٦.
(٢) راجع الله واحد أم ثالوث ص٩٦ ـ ١٠٠ ، أدلة اليقين ص٢١٢.
(٣) د/ رفقى زاهر : قصة الأديان ص١٧٤.
(٤) الله واحد أم ثالوث ص٩٤ ، ٩٥.
(٥) مرقس ١٥ : ٣٩.
(٦) لوقا ٢٣ : ٤٧.

كلمة الله

من أهم ألقاب المسيح التى يقولون عنها إنها تدل على ألوهيته ـ التى هى أهم صفات المخلص ـ كلمة الله. وإن كان البعض يعتبره اسمًا[(١)] لا لقبًا وذلك ليدلل على مدى ألوهية المسيح وأزليته.

يقول القس إنسطاسى شفيق: تحت لقب "الكلمة" هذا من أسماء المسيح الجوهرية الذاتية التى تعلن لنا من هو، بخلاف أسمائه الرسمية أى ألقابه التى يتلقب بها باعتبار بعض أعماله[(٢)] ويقول آخر "الكلمة اسم من الأسماء الى تفرد بها المسيح، فموسى لم يدع كلمة الله بل كليم الله، وداود لم يدع كلمة الله بل نبى الله، وإبراهيم لم يدع كلمة الله بل خليل الله"[(٣)].

وكل الذى ذكره لموسى وداود وإبراهيم إنما هى ألقاب لا أسماء.

وعن الفرق بين إطلاق لقب "ابن الله" ـ و"كلمة الله".

يقول القس إنسطاسى شفيق: فى الكتاب المقدس يذكر الاسم "الكلمة" دائمًا بالاقتران مع الله بينما "الابن" يذكر عادة بالاقتران مع الآب، ولو أنه يذكر أيضًا مع الله كالقول (ابن الله) والسبب فى ذلك هو أن الكلمة بصفة خاصة يعلن الله، والاسم (لوغوس) أو (الكلمة) يتضمن فى معناه ملء الكمال والأمانة فى إعلانه، أما الابن فيعلن الله فى محبته، والاسم (ابن) يتضمن العمق والفيض واللطف والمودة التى تلازمه فى هذا الإعلان، وكلا الإعلانين يتحدان فى نفس الشخص المبارك الذى فيه نرى إلهه وإلهنا وأباه وأبانا والمعلن هو الكلمة والابن الوحيد معًا[(٤)].

---

(١) ونحن أوردنا كلمة الله تحت ألقاب المسيح وذلك لأنه أطلق على المسيح كلقب لا اسم ذلك أن الاسم: هو علم يدل على ذات معينة مشخصة فى الأغلب دون زيادة غرض آخر من مدح أو ذم أو غيرهما مثل زيد وعمر. واللقب: علم يدل على ذات معينة مشخصة فى الأغلب مع الإشعار بمدح أو ذم إشعارًا مقصودًا بلفظ صريح كزين العابدين. راجع ذلك شرح ابن عقيل ص٤١ ـ ٤٢ أوضح المسالك على ألفية بن مالك ص١٤، النحو الوافى لعباس حسن جـ١ ص٣٠٧ .فكلمة الله لقب من ألقاب المسيح لأنهم قالوا فيه معانى مشعرة بالمدح وجعلوا له معنى وتعليلاً وحيث إن الأسماء لا تعلل فإن تعليلهم لهذا اللقب يدل على أنه ليس اسمًا.

(٢) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١٥.

(٣) ما معنى المسيح ابن الله؟ ص٤٥.

(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٢٥.

ويقول عن الفرق بين إطلاق (الكلمة) على المسيح و(إطلاق النور) غير أنه يوجد فرق بين تسمية الأقنوم الثانى (الكلمة) وتسميته (النور) بحيث أن الكلمة بنسبته إلى الله منذ الأزل، ولكن النور بنسبته إلى ما يحتاج إلى الإنارة، لأن النور يذكر بالمقابلة مع الظلمة التى هى نقيضه كما قيل الله نور وليس فيه ظلمة البتة.

لاشك بأن المسيح هو النور أو نور الأنوار منذ الأزل ولكنه يتسمى هذا باعتبار إعلانه الله للآخرين الذى[1] هو بهاء مجده ورسم جوهره[2].

ويتبين من خلال المقارنة التى عقدها القس السابق بين كلمة الله وابن الله وإطلاق "النور" على المسيح أنه يريد أن يبين المعنى الأزلى لكلمة الله ـ وهو المسيح ـ التى تعنى فى اعتقادهم إعلان الله الذى يتضمن ملء الكمال والأمانة فى إعلانه، لذلك يقول بعض علماء اللاهوت (إن الكلمة الذى هو اسم من أسماء المسيح يراد به الأقنوم "المعلن لله" أو الله معلنا الذى خلق العوالم بأسرها[3] ويقولون "لو أن شخصًا ما لقب بالكلمة لغزارة علمه وفصاحة بيانه مثلاً يبقى المسيح وحده هو الكلمة أو "كلمة الله" لأنه هو المعبر عن ذات الله، وقد أشار إلى هذه الحقيقة فقال عن نفسه الذى رآنى فقد رأى الآب[4] كما أشار إليها بولس فقال (لأنه الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإثارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح)[5]،[6].

فالمسيح كلمة الله لأنه ـ فى نظرهم ـ المعبر عن ذات الله ـ أى أن المسيح كلمة الله أى فكره أو نطقه. يقول حبيب سعيد: الله يفكر وفكره هو "كلمته" كما أن فكرى هو كلمتى بعد أن أنطق بها، وهذا الفكر يولد فيسمى "ابنا" وأخيرًا يعبرا هذا "الكلمة" أو "الابن" عن شخصية الله. على أن ثمة فارقًا بين الله وبين الإنسان فى ميدان التفكير، فللإنسان فكر كثيرة وآراء متباينة، ولكن لله "فكرًا" واحدًا وعنده "كلمة" واحدة،

---

(١) عبرانيين ١ : ٣.
(٢) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٤٠ ـ ٤١.
(٣) ما معنى المسيح ابن الله ص٤٦.
(٤) يوحنا ١٤ : ١٣.
(٥) ٢ كورنثوس ٤ : ٦.
(٦) ما معنى المسيح ابن الله ص٤٦.

وهذا "الكلمة" الذى هو "فكر الله" لا نهائى ومعادل لله، فريد لا مثيل له البكر من روح الله، هو "الكلمة" الذى يعلن لنا ذات الله وصفاته، هو "الكلمة" الذى به خلقت كل الأشياء[١].

ويعلق المفكر الإسلامى/ عبد الكريم الخطيب على ذلك بقوله:

إذا سلمنا بهذه المقولات وأخذناها على علاتها ـ كما هى ـ وكما يفترض فى الله تلك الفروض التى تجعله أشبه بإنسان!! وإذا سلمنا بأن لله عقلا ما تحتويه ذاته، وأن لهذا العقل فكرًا، وأن لهذا الفكر نطقًا، وأن هذا النطق هو "كلمة" إذا سلمنا بهذا كله وهو غير مسلم به إطلاقًا، لأنه نظر فى ذات الله وكشف تحليلى لها وذلك مالا يقع فى الإمكان؛ فكيف يمكن التسليم بأن هذه الكلمة بالذات هى "المسيح" الذى ولد من مريم؟ إنها دعوى يمكن أن تدعى للملائكة مثلاً فهم أولى بها لأنهم خلق غير متجسد..

ثم إن المسيح ـ على هذا القول ـ تجسد فى كلمة واحدة، فهل عقل الله هذا الذى يقال عنه، وهل فكره ونطقه والتفاعل الذى يقوم بين عقله وفكره ونطقه ـ هل كل هذا لم يلد إلا كلمة واحدة، ثم عقم هذا العقل إلى الأبد فلم يلد شيئًا؟ أم أن لله كلمات لا تنفد ولا تحصى؟ وإذا استحقت هذه الكلمة أن تنسب إلى الله بالبنوة الفكرية والنطقية والعقلية، وأن تكون ولادتها ولادة روحية إلهية فوق الزمان والمكان وفوق الجسد ـ أفلا تكون تلك الصفات كلها منسحبة على كلمات الله جميعها؟

قد يقال: إن كلمات الله كثيرة.. لا تنفد ولكن الكلمة الأولى التى ولدها (عقل الله) هى وحدها التى تستحق البنوة الروحية إلى الله دون سواها، وإن ما جاء بعدها بتسلسل الولادة الروحية لا يكون بمنزلتها.. وهذا قول يقوم على ادعاء بلا بينة.

فإذا كانت الكلمات هى منتوج عقل واحد فلا يعقل أبدًا أن يكون السابق منها خيرًا من اللاحق، وإذا كان ثمة مفاضلة بينهما فربما كان العكس هو الصحيح، إذ اللاحق يأخذ حكم السابق ويزيد عليه، ولكن المسيحية تقول غير هذا القول وتسمى

---

(١) حبيب سعيد: الروح القدس ص٦٧.

(المسيح) ابن الله البكر وبكر الخليقة... باعتبار أنه الكلمة الأولى لله.. ثم لا حساب لكلمات الله بعد هذه الكلمات[١].

فالقول بأن المسيح كلمة الله بمعنى الفكر والنطق قول لا يستقيم مع صحيح العقول. فهل السيد المسيح هو الكلمة الوحيدة لله؟ ألم ينطق الله بكلمة أو كلمات أخرى قبل وجود السيد المسيح؟ وهل توقف الله عن النطق والكلام بعد خلق السيد المسيح؟ ألم يخلق آدم قبل المسيح بكلمة منه أيضًا كما خلق المسيح؟ ألم يخلق السموات والأرض والكون بكل ما فيه بكلمة منه كذلك؟ أليس لله كلمات لا تحصى ولا تنفد؟ أم أنه سبحانه نطق كلمة واحدة ثم حرم النطق بعد ذلك؟ يا له من منطق عجيب[٢].

❖ ثم يقولون بعد ذلك إن المسيح "كلمة الله" يتصف بالأزلية ويستدلون على ذلك بما جاء فى إنجيل يوحنا (ففى كتاب ما معنى المسيح ابن الله؟) جاء ما نصه: وعن أزلية الكلمة جاء فى الكتاب المقدس (فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله. كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان[٣]) يتضح لنا أن كلمة "البدء" الخاصة بوجود الكلمة ترجع إلى الأزل السحيق حتى على بدء الخلق، وهذا واضح من قول الكتاب كل شىء به ـ أى بالكلمة ـ كان وبغيره لم يكن شىء مما كان، ويتضح لنا أيضًا من الفقرات السابقة أن أقنوم الكلمة لم يخلق فى البدء، بل إنه كان فى البدء بمعنى أنه كان موجودًا منذ الأزل الذى لا بدء له وعبارة (الكلمة كان عند الله) تدل بوضوح على أن "الكلمة" كان ملازمًا لله وبما أن الله أزلى فبطبيعة الحال يكون الكلمة ملازمًا له أزلاً أيضًا[٤].

ويقول القس إلياس مقار: فالكلمة شخص وهذا الشخص له ذاتيته الأزلية السرمدية القائمة فى الله، إذ هو الأقنوم الثانى فى اللاهوت (والكلمة عند الله)[٥].

---

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص١٥١.

(٢) الله واحد أم ثالوث ص١٠٦.

(٣) يوحنا ١ : ٤.

(٤) ما معنى المسيح ابن الله ص٤٧، ٤٨.

(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص١٣٢.

والذى أطلق هذا اللقب على المسيح هو يوحنا (فيوحنا وحده يسمى المسيح الكلمة، ولقد ورد هذا الاسم فى إنجيله أربع[١] مرات، وثلاث مرات فى كتاباته الأخرى[٢] والمسيح هو المقصود بالكلمة[٣].

وعمدة الدليل على هذا اللقب فى المسيحية هو ما جاء فى افتتاحية إنجيل يوحنا (فى البدء كان الكلمة...) ومن هذا القول استدلوا على أزلية الكلمة أى ألوهية المسيح كلمة الله.

وفى تعليقنا على هذا نقول :-

أولاً : إن كاتب هذا الإنجيل ليس هو يوحنا الحوارى، ولم يعلم النصارى من هو كاتبه؟ مما يجعل الثقة به وبما جاء فيه غير قائمة. يقول د/ فهيم عزيز (من هو الذى كتب إنجيل يوحنا؟) هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة وغالبًا ما تنتهى بالعبارة (لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل)[٤].

أما ثانيًا : فإننا نقول إن علماء النصارى أجمعوا على أن السبب فى كتابة هذه الكلمات خاصة - الدالة على كون المسيح كلمة الله - والإنجيل عامة - إنجيل يوحنا - هو ظهور هرطقات - كما يحلو للمسيحيين أن يسمونها - تقول بأن المسيح كائن بشرى لا إلهى. يقول د/ حنا جرجس الخضرى : (بهذه الكلمات - أى افتتاحية إنجيل يوحنا - يد حض يوحنا كل الهرطقات التى علمت أن المسيح كائن بشرى له بداية وله نهاية أو الهرطقات التى تقول بأنه كان يوجد وقت ما لم يكن "اللوغوس" موجودًا فيه[٥].

ويقول (إن الذى دفع يوحنا إلى أن يكتب إنجيله ورسائله ظهور بعض الهرطقات التى بدأت تشق طريقها إلى الكنيسة المسيحية)[٦] وأنه كتب إنجيله بعد أن طلب منه بعض الناس :

---

(١) ثلاث مرات فى الفقرة الأولى من إنجيله ، والرابعة الفقرة الرابعة عشر من الإصحاح الأول أيضًا.
(٢) ١ يوحنا ١ : ١ ، ٥ : ٧، رؤيا يوحنا ١٩ : ١٣.
(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص١٥.
(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص٥٤٦.
(٥) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٩١.
(٦) المرجع السابق ص٤٠٥.

قال يوسف الدبس الخورى فى مقدمة تفسيره (من تحفة الجبل): إن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم[١].

وهنا يصح لنا أن نقول مع الإمام محمد أبو زهرة (إن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم فى زعمهم لم يجدوا مناصًا من أن يلتمسوا دليلاً ناطقًا يثبت ذلك، فاتجهوا إلى يوحنا فكتب كما يقولون إنجيله الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية والبينة فيها على زعمهم، وهذا ينبىء على أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه، وإلا ما اضطروا اضطرارًا إلى إنجيل جديد طلبوا من يوحنا أن يكتبه)[٢] فإنجيل يوحنا كتب خصيصًا ليشتمل على دليل الألوهية وهذا يعنى أن الأمر خاضع للأهواء فإذا اعتقدت الأهواء بشىء ما يكتبون ما يدل عليه وينسبونه إلى المسيح الذى جاء بديانة بسيطة يدعو فيها إلى أنه عبد الله ورسوله ولكن بالاعتقاد بألوهية المسيح تحولت المسيحية إلى المعتقدات المعقدة غير المفهومة. تحولت المسيحية إلى ديانة جديدة غير التى جاء بها المسيح.

يقول برتراند رسل: لقد تحولت العقيدة الجديدة فى جانب من جوانبها فى اتجاه جديد ملفت للنظر، ذلك لأن عقيدة اليهود كانت فى عمومها تتسم بالبساطة الشديدة ولا تنطوى على طابع لاهوتى. وهذا الطابع المباشر يظل واضحًا حتى فى الأناجيل الجامعة (متى، مرقس، لوقا)، ولكننا نجد عند يوحنا بداية لذلك التأمل اللاهوتى الذى ازدادت أهميته فى إطار عقيدتهم الجديدة، فلم يعد الأمر هنا يقتصر على شخصية المسيح الإله الإنسان "المختار"، بل أصبح يتعلق بجانبه اللاهوتى بوصفه الكلمة[٣].

---

(١) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية ص٦٣.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص٦٤.

(٣) برتراند رسل: حكمة الغرب جـ١ ص٢٤٢.

ثالثًا: على أن الفقرات التى جاءت فى افتتاحية إنجيل يوحنا لا تدل على ـ ألوهية المسيح. يقول عبد الرحمن باجة فى تعليقه على افتتاحية إنجيل يوحنا: "إن هذه الفقرات مع كونها باطلة من حيث المعنى فهى متناقضة متنافية غير قابلة للتعقل ولا صالحة للتوجيه"، فإن قوله (والكلمة كان عند الله) لا يلتئم مع قوله (وكان الكلمة الله)، فإذا كان الله عين الكلمة لا يصح أن تكون الكلمة عنده؛ لأن العندية تقتضى المغايرة، لأنها عبارة عن حصول شىء عند شىء، كحصول المال عند زيد، ولاشك أن المال غير زيد، وزيد غير المال، وهذا ظاهر لا غبار عليه. فكيف تكون الكلمة عنده وتكون عينه ثم تتجسد وتكون ابنه؟ والابن عين أبيه والأب عين الابن، ولا أظن أن من يعرف معنى الكلمة والكلام يتفوه بمثل هذا الهذيان الذى لا يكاد يجرى مثله على ألسنة المحمومين والسكارى والنيام، لأن الكلمة والكلام صفة للمتكلم، والصفة لا تكون عين الموصوف، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى. ولم نر فى شرائع الأنبياء وكتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله"[١].

ويؤيد هذا المعنى ما جاء فى إحدى الترجمات الحديثة لإنجيل يوحنا[٢].

وهذه الفقرات جاءت فى هذه الترجمة كما يلى (فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة مثل الله) بدلاً من الترجمة القديمة التى تقول (وكان الكلمة الله) وعندما يكون شئ مثل شئ آخر فإن هذا يعنى بداهة أن هناك شيئين عددها اثنان، لكن الشىء الثانى يماثل الشىء الأول وعلى صورته وتقول التوراة (خلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه)[٣] فهذا القول يعنى حسب مفهوم كتبة التوراة أن كل البشر قد خلقوا على صورة الله تمامًا مثل الكلمة[٤].

رابعًا: إن استخدام "كلمة الله" وإدخاله إلى المسيحية بالمعنى الإلهى إنما يعنى التأثر بالأفكار والفلسفات اليونانية التى كان من أهم مفاهيمها "اللوجوس" أو الكلمة.

---

(١) عبد الرحمن باجة: الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٤٣.

(٢) صدرت هذه الترجمة عن جمعية التوراة الأمريكية بنيويورك عام ١٩٧١م.

(٣) تكوين ١: ٢٧.

(٤) أحمد عبد الوهاب: النبوة والأنبياء ص١١١.

يقول برتراند رسل: إن وصف المسيح "بالكلمة" بالمعنى اللاهوتى إنما هو مفهوم يرتد إلى الرواقيين ومن قبلهم إلى أفلاطون وهرقليطس[١] ويقول (فالمفهوم الرئيسى الذى يسرى عبر الفلسفة اليونانية بأسرها هو مفهوم "اللوجوس" وهو لفظ يدل على معان كثيرة من بينها "الكلام" "والنسبة أو المقياس"[٢]).

ويقول (إن من المفاهيم الرئيسية فى الفلسفة اليونانية مفهوم "اللوجوس" وهو لفظ نصادفه لأول مرة فى هذا السياق عند فيثاغورس وهرقليطس[٣]).

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: أول من استخدم هذا الاصطلاح (لوغوس) هو هيراقليطوس، ومن الغريب ـ كما يقول وليم باركلى ـ أن هيراقليطوس اليونانى الذى استخدم هذا الاصطلاح فى القرن السادس قبل الميلاد (٥٦٠ق.م) ويوحنا الرسول الذى استخدمه أيضًا عاشا كلاهما فى مدينة أفسس ويقول: لقد درس "فيلو" اليهودى الإسكندرى هذا الاصطلاح فى عرف كل من اليهود واليونان وهو يعتقد بأنه ـ أى اللوغوس ـ هو أقدم شيء فى العالم. إذ أنه الإله الذى به خلق العالم بل هو فكر الله الذى عن طريقه يحكم الله هذا العالم، وقد قال: إن الله هو ربان هذا الكون وبيده "اللوغوس" كالدفة الذى عن طريقه يحرك ويدير كل هذا الكون، فاللوغوس هو الذى يدفع الإنسان على التفكير والقوة والعمل، وهو الذى يساعد الإنسان على الفهم والإدراك، هو الوسيط بين الله والعالم، هو الكائن الذى يسمح للنفوس بأن تجلس أمام الله[٤].

ولقد اعتقد الرواقيون بأن الكلمة (لوغوس) هو قوة الله الخلاقة الذى يقود ويسيطر على الكون كله ويحفظ نظامه، وعلى ما يظهر أن يوحنا كان يعرف هذه الأفكار المنتشرة فى عصره وفى مدينة أفسس، وربما لهذا السبب يستعمل يوحنا اصطلاحًا معروفًا ومنتشرًا فى ذلك الوقت وهو اللوغوس لكى يشرح به تجسد ابن الله[٥].

---

(١) حكمة الغرب جـ ١ ص ٢٤٣، سلسلة عالم المعرفة. الكويت.
(٢) المرجع السابق جـ١ ص٢٩.
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥.
(٤) تفسير إنجيل يوحنا (لوليم باركلى) الإصحاح الأول من ١٤ ـ ٢٠ نقلاً عن تاريخ الفكر المسيحى ص٣٩٢.
(٥) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٩٣.

ونحن نقول إنه لم يستخدمه ليشرح به تجسد ابن الله، بل أدخله المسيحية وطبقه على المسيح بحذافيره، ويدل على ذلك ما جاء سابقًا من أنه كتب إنجيله خصيصًا ليدلل على الألوهية بل وليدخل فى المسيحية مفهومًا جديدًا أو لقبًا جديدًا للمسيح يجدون فيه الدلالة على ألوهية المسيح التى اعتقدوها.

فيوحنا أدخل فى المسيحية ما فى الفلسفات اليونانية حول (اللوغوس) وجعل "الكلمة" هو المسيح الذى ينتسب إليه.

من الألقاب التى نسبت إلى المسيح: الرب

من أهم الألقاب التى نسبت إلى المسيح - والتى تبرز المهمة التى ألصقوها بالمسيح وهى المخلص من أجل البشر - الرب.

"ولكن ماذا تعنى كلمة الرب"؟ لقد استخدمت هذه الكلمة فى اللغة اليونانية القديمة لتعنى مالك الشىء أو صاحبه، وقد استخدمها العهد الجديد بهذا المعنى، وذلك مثل ما جاء فى إنجيل مرقس (ماذا يفعل صاحب الكرم. يأتى ويهلك الكرامين ويعطى الكرم إلى آخرين. أما قرأتم هذا المكتوب. الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا)[١].

واستخدمت أيضًا كلقب احترام من الابن لأبيه كما فى متى (وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا الرب محتاج إليهما)[٢].

ومن العبد للسيد كما فى متى أيضًا "اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم"[٣].

ويقول هويتلى: إن هذه الكلمة تعنى السيد الشرعى المعترف به للعلاقة المتينة بينه وبين الرعية ولا تعنى سيادة الدكتاتورية التى تفرض فرضًا على الناس.

---

(١) مرقس ١٢ : ٩، راجع أيضًا متى ١٨ : ٢٥، لوقا ١٣ : ٨.

(٢) متى ٢١ : ٣.

(٣) متى ٢٧ : ٦٢.

وهناك معنى آخر للكلمة وهو أنها لا تصف المركز والطبيعة الشخصية لمن يقال له رب ولكنها كلمة علاقية، فالرب يتطلب جماعة يحكمهم ويسرى سلطانه عليهم، فهى لا تصف الجلال الطبيعى فى الإله ولكنها تصف ملكه وسيادته على جماعه أخرى فهى كلمة علاقية[١].

وفى "قاموس الكتاب المقدس" تحت لفظ "رب" جاء ما نصه: يقصد بهذا اللفظ:

(١) اسم الجلالة وفى هذه الحالة تطلق على الأب والابن بدون تمييز بينهما سيما فى رسائل بولس.

(٢) وقد تستعمل بمعنى سيد أومولى دلالة على الاعتبار والكرامة[٢] وهذا يعنى أن إطلاق لقب الرب على المسيح ـ عندهم ـ يختلف فى إطلاقه على غيره، فإن إطلاق لقب الرب على المسيح يعنى أنه "الله" أو فى درجة الله، أما إذا أطلق على غيره فإنه يعنى السيادة والولاء والطاعة.

يقول باركلى: إن لقب الرب يعنى: أ ـ الاحترام كما نقول فى العربية "سيد" ب ـ كان لقب الإمبراطور الرومانى. جـ ـ كان لقب آلهة اليونان مثل الرب (سيرابيس) د ـ وفى الترجمة اليونانية للعهد القديم كانت كلمة "الرب" ترجمة لاسم الجلالة (يهوه).

وعلى هذا فإن تلقيب يسوع بالرب فى المسيحية يعنى وضعه ليس فى نفس درجة الإمبراطور الرومانى وإله اليونانى فقط بل فى نفس درجة الله، إنهم يقولون إننا نعطيه أعظم مكان فى حياتنا مع الطاعة والعبادة[٣].

ويخبرنا الأستاذ يسى منصور فى كتابه (رسالة التثليث والتوحيد) أنه قام بعملية إحصائية عن عدد المرات التى أطلق فيها لفظ (رب) على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة فى الأناجيل ورسائل الرسل فوجد أن الله الابن قد دعى "ربا" ٤٦٢ مرة، أما الله الآب فقد دعى "ربا" ١٤٤ فقط، ودعى "الروح القدس" "ربا" ٥ مرات[٤].

---

(١) د/ فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٩٦.

(٣) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية ص١٦٠).

(٤) نقلاً عن الله واحد أم ثالوث ص٤٤.

❖ أما متى اكتسب "لقب الرب" الذى أطلق على المسيح صفة الجلالة أو الألوهية؟ إنهم يقولون إن ذلك وقع بعد قيامة المسيح ـ كما يدعون ـ يقول د/ فهيم عزيز: إن هذا اللقب نسب إلى يسوع فى حياته الأرضية تعبيرًا عن عظمته وعظمة تأثيره.. إنهم كانوا ينادونه "يا رب" أو كانت الكنيسة الأولى تطلق عليه لقب "الرب" بمعنى أيها المعلم الأعظم، ولكن معنى الكلمة تغير بعد قيامته من الأموات[١] معنى ذلك أن إطلاق لقب الرب على المسيح بالمعنى الذى يقصد به ألوهية المسيح لم يطلق عليه إلا بعد قيامته حتى إن البعض يعتبر أن إطلاق هذا اللقب على المسيح قبل القيامة خطأ. يقول كيزيتش: بالرغم من أن لقب "الرب" أطلق على يسوع بعد القيامة فإن لوقا الإنجيلى ينسب إليه هذا اللقب حتى قبل الصلب والقيامة (لوقا ٧: ١٣ ـ ١٠: ٣٩ ـ ٤١) لم يسع لوقا فى عمله هذا إلى تزوير التاريخ لكنه ارتكب الأخطاء نفسها التى يرتكبها المؤرخون عندما يتحدثون عن أحداث ماضية على ضوء التجربة الحاضرة فامتد نور القيامة إلى كل أحداث حياة يسوع السابقة[٢] فإطلاق لقب الرب بالمعنى الإلهى على المسيح كان بعد قيامته كما يدعون، أى أن المسيح لم يعلمهم هذا اللقب بهذا المعنى ولكنهم استنتجوه من قيامته.

ونقول: إننا إذا سلمنا جدلاً بصحة القيامة وهى غير صحيحة كما سنبين ـ هل تترك العقائد للاستنتاجات؟ الحق لا. وخاصة هذه العقيدة التى تعتبر من أهم عقائد ديانتهم والتى يترتب عليها إيمانهم بالخلاص والفداء، بل تعتبر أهم ما فى مسيحيتهم هل لو كانت من عقائد المسيح يتركها بدون بيان؟ ويتركها للاستنتاجات العقلية التى يختلف فيها الناس من شخص لآخر، وهل كل الناس يستطيعون أن يستنتجوا من القيامة الاعتقاد بلاهوت المسيح؟ إن القول الحق لو كان ذلك من رسالة المسيح ـ وهو غير صحيح ـ لبينه للناس، فإنه لو لم يبينه للناس لسأله الله عن عدم البيان.

❖ لقد تبين لنا أن إطلاق (لقب الرب) على المسيح بالمعنى الإلهى كان بعد قيامة المسيح ولكن نريد قولاً أدق من الذى أطلقه بهذا المعنى؟ إن اليهود لم يفهموا من

---

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص١٣٦.
(٢) كيزتيش: المسيح فى الأناجيل ص٢٩.

إطلاق لقب "الرب" أن فيها معنى إلهيًا فمن الذى أطلقه؟ يقول د/ فهيم عزيز: (نحن لا ننكر أن بطرس قد اعترف بأنه المسيح فى قيصرية فيلبس قبل صلبه وقيامته، لكن ذلك لا يخدعنا فنظن أنهم كانوا يقصدون ألوهية المسيح، فالمسيا لدى اليهود مهما كان عظيمًا ومجيدًا، ومهما كان واسطة الله الحاسمة فى عمل قصده وإتمامه إلا أنه لم يزد عن كونه كائنًا مخلوقًا.... ولهذا السبب فإن الكنيسة الأولى ومن بعدها بولس قد وضعوا معنى جديدًا ومجيدًا للمسيا وشخصيته، فلم يعد هو الشخص الذى يأتى ويتمم به الله ما يريد سياسيًا ودينيًا، ولكنه أصبح السيد الذى مات وقام وجعل ربا ومسيحا بمعنى لم تفهمه اليهودية من قبل، بهذه الكيفية فهمه بولس على الطريق إلى دمشق[1] وهذا يعنى أن المسيح لم يفصح عن كونه شخصية لاهوتية، وكذلك أيضًا بطرس لم يفصح عن ذلك، ولكن الكنيسة الأولى هى التى فعلت ذلك، ولما لم يفصح الباحث المسيحى عن أسماء من الكنيسة الأولى سوى بولس فإن لا مناص من القول بأن بولس هو الذى وضع هذا المعنى اللاهوتى للمسيح وأصله فى المسيحية ووضعه كقاعدة للإيمان المسيحى.

وبولس هذا ـ كما قلنا سابقًا ـ ليس من تلاميذ المسيح، بل كان من أشد أعداء المسيحيين ثم انقلب فجأة رأس المسيحية، وهنا نسأل سؤالاً: كيف يرسى بولس قواعد الديانة وهم لم يتتلمذ على رسول الديانة؟ وكيف يؤصل أهم ما فى الديانة وهو القول بألوهية المسيح وهو ما لم يقله المسيح ولا الحواريون ولا اليهود؟

❖ على أننا إذا نظرنًا إلى اللقب "رب" كمعنى عام لوجدنا أنه لا يفهم منه ألوهية المسيح، ذلك لأن لفظ "رب" يستعمل فى كثير من المجتمعات وخاصة فى الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم، ويتكرر اللفظ كثيرًا فى أسفار التوراة بمعنى سيد أو معلم، وحتى الآن نرى الكثيرين منا يتحدثون عن عائل الأسرة أو رئيس المكان فيقول رب الأسرة ورب الدار ولم يدر بخلد أحد عند سماعه هذه الكلمة أن رب الأسرة هو معبود الأسرة أو أن رب الدار هو إله الدار بل إن هذا اللفظ لا يعنى سوى التكريم والتقدير للشخص الذى يطلق عليه، وما أطلق على عيسى إلا تقديرًا

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص١٣٧.

له بصفته المعلم والنبى، ولم يعن به أحد على الإطلاق إشراكًا بالله أو تأليها لمن أطلق عليه(١).

فالمعنى الذى يفهم من إطلاق "الرب" على المسيح "المعلم أو النبى"، ويدل عليه ما جاء فى إنجيل لوقا وذلك عندما كان يصلى لله، وأثناء الصلاة كان التلاميذ يرقبونه، وبعد ما فرغ من الصلاة تقدم إليه أحد تلاميذه قائلاً: (يا رب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا تلاميذه)(٢) عيسى الإنسان يصلى لله ويضرع إليه، فيشاهده التلاميذ ويطلبون منه أن يعلمهم كيفية الصلاة، فهو النبى المرسل الذى يعرف التعاليم والشرائع والطقوس والدعوات، فليعلمهم كيفية الصلاة والتقرب لله كما علم النبى يوحنا المعمدان ـ أى يحيى عليه السلام ـ تلاميذه(٣).

ويدل على ذلك أيضًا ما جاء فى إنجيل متى عن المحاورة التى جرت بين عيسى وتلميذه بطرس، نرى فيها بطرس يطلق على عيسى لقب "رب".

يقول متى: (فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بمالله لكن بما للناس)(٤).

على أننا لا نذهب بعيدًا فى معنى إطلاق هذا اللقب على المسيح فنجد التفسير فى صلب الأناجيل نفسها، ففى الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا: يروى لنا يوحنا أن عيسى فى بداية دعوته كان يسير فى الطريق بمفرده فتبعه رجلان صارا فيما بعد من تلاميذه (فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث؟ فقال لهما: تعاليا وانظرا. فأتيا ونظرا أين يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم)(٥).

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) لوقا ١١ : ١.
(٣) راجع أيضًا المسيح إنسان أم إله ص١٩٣.
(٤) متى ١٦ : ٢٢، ٢٣.
(٥) يوحنا ١ : ٣٨، ٣٩.

ولقد فسر يوحنا إطلاق كلمة "الرب" فى صلب الإنجيل نفسه بأنها تعنى المعلم، فعيسى بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم وأستاذهم كيوحنا المعمدان وغيره من الأنبياء معلموا الشريعة وأساتذة الديانة[١].

ومرة ثانية يورد يوحنا حوارًا بين عيسى ومريم المجدلية تطلق فيها الأخيرة على عيسى لفظ "رب". يقول يوحنا "قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالت له: ربونى الذى تفسيره يا معلم. قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا"[٢] وهنا تظهر حقائق كثيرة: عيسى الرب هو الإنسان المعلم، والبشر التلاميذ هم إخوته، والله أبوه وأبو إخوته التلاميذ وأبو الناس أجمعين وإلهه وإله التلاميذ وإله الناس أجمعين[٣]. ويلاحظ أن هذا الحوار الذى وقع بين عيسى ومريم المجدلية والذى جاء فيه تفسير الرب بمعنى "المعلم" إنما حدث بعد قيامة المسيح على زعمهم ـ وهذا يعنى أن المسيح حتى بعد القيامة المزعومة إنما كان يقصد من إطلاق لقب الرب عليه هو المعلم لا أكثر من ذلك.

فالمعنى الذى تشير إليه الكتب المقدسة أن إطلاق لقب الرب على عيسى يعنى به المعلم، وليس فى هذا الإطلاق أى ضير أو لبس؛ لأن طبيعة رسل الله أن يكونوا معلمين للبشر ما أوحى الله إليهم. أما بالنسبة للمعنى الآخر فلا دلالة عليه.

بعض الألقاب التى ذكرت فى العهد القديم وإسنادها إلى المسيح

ولقد استشهد النصارى بالعهد القديم فى إطلاق بعض الألقاب على المسيح والتى يظهر فيها بتفسيراتهم مهمة المسيح كمخلص للبشر.

وأهم هذه الألقاب وأشهرها:

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص١٩٤.

(٢) يوحنا ٢٠ : ١٦، ١٧.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص١٩٥.

١ ـ عمانوئيل

ولقد أطلق هذا اللقب على المسيح، واعتبر إطلاقه علامة على أنه المخلص. جاء فى إنجيل متى (فستلد ابنا وتدعوا اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا)[١] ويرجع الاستشهاد بهذا اللقب إلى ما جاء فى سفر إشعياء حين قال الله لآحاز "اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عوق طلبك أو رفعة إلى فوق. فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب. فقال اسمعوا يا بيت داود. هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهى أيضًا. ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعوا اسمه عمانوئيل. زبدًا وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير. لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير تُخلى الأرض التى أنت خاش من ملكيها"[٢] فلقد تنبأ إشعياء ـ كما يقولون ـ بالمسيح بدليل (ها العذراء تحبل وتلد ابنا) وهذا دلالة ـ فى نظرهم ـ على أنه هو المخلص، فالمقصود بعمانوئيل هو المسيح، والعذراء هى مريم[٣].

جاء فى علم اللاهوت النظامى: تنبأ إشعياء عن مولود من عذراء، ويتضح أن ذلك المولود هو ابن الله الأزلى المساوى للآب:

١ ـ من تسميته عمانوئيل أى الله معنا.

٢ ـ من تسمية أرض إسرائيل أرضه (إشعياء ٨: ٨) وتسميته عجيبًا مشيرًا إلها قديرًا أبا أبديا رئيس السلام (إشعياء ٩: ٦ ـ ٧)..

٣ ـ من كون مملكته عامة وأبدية.

٤ ـ من كون نتائج إتيانه وملكه مما يختص بملك وحده[٤].

---

(١) متى ١: ٢١ ـ ٢٣.

(٢) إشعياء ٧: ١١ ـ ١٦.

(٣) جاء فى قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة عذراء: مريم أم المسيح تلقب بالعذراء، لأنها حملت بالمسيح دون أن يعرفها رجل، إذ حل عليها الروح القدس تتمة للنبوة القائلة (هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا) أ. هـ. قاموس الكتاب المقدس ص٦١٤.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٣٢٠.

وعمانوئيل ـ كما جاء فى قاموس الكتاب المقدس ـ اسم عبرى معناه (الله معنا) إنه الابن الذى تحبل به العذراء وتلده، وستكون هناك دلائل تاريخية على مولده، وعند مولده تبرز تسميته "الله معنا"، لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير ستهجر أرض شمال فلسطين والشام وينقذ الله يهوذا من هذين العدوين، وسيأكل فى أيام نموه زبدًا وعسلاً، لقد تنبأ إشعياء بمولد عمانوئيل أى المسيح المنتظر قبل مولده بسبعة قرون وثلث، وكانت تنبؤاته رمزًا للمسيح[١].

فلقد اعتبر النصارى أن ما جاء فى سفر إشعياء إنما هو رمز ودلالة على المسيح عيسى بن مريم باعتباره مخلصًا، فعمانوئيل الذى يعنى أن الله ـ المسيح ـ معهم هو الذى جاء ليخلصهم وينقذهم من الخطايا.

"فعمانوئيل وحده ـ فى اعتقاد المسيحيين ـ هو الذى أتى لإعلان وتنفيذ مقاصد المحبة الإلهية غير المحدودة ألا وهو خلاص الإنسان، كان لابد أن ينزل الله ليفعل ذلك، لذلك كان اسم عمانوئيل هو يسوع الذى يخلص شعبه من خطاياهم."[٢]
يقول العلامة رحمت الله الهندى فى تعليقه على هذا بقوله: "فى الإصحاح الأول من إنجيل متى" "وهذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" والمراد بالنبى عند علمائهم إشعياء حيث قال "لأجل هذا يعطيكم الرب عينه علامة ها العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل".

وهذا غلط من وجوه:

الأول: إن اللفظ الذى ترجمه الإنجيلى ومترجم سفر إشعياء بالعذراء هو "عَلَمَة" مؤنث "علم"، والهاء فيه للتأنيث، ومعناه عند علماء اليهود "المرأة الشابة" سواء كانت عذراء أو غير عذراء. ويقولون: إن هذا اللفظ وقع فى الإصحاح الثلاثين من سفر الأمثال، ومعناه ههنا المرأة الشابة التى زوجت، وفسر هذا اللفظ فى كلام إشعياء بالأمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاث أعنى ترجمة (أيكوئلا) وترجمة

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٦٣٩.
(٢) ما معنى المسيح ابن الله ص٦٥.

(تهيودشن) وترجمة (سميكس) وهذه التراجم عندهم قديمة، يقولون إن الأولى ترجمت سنة ١٢٩م، والثانية سنة ١٧٥م، والثالثة سنة ٢٠٠م، وكانت معتبرة عند قدماء المسيحيين لا سيما ترجمة (تهيودوشن) فعلى تفسير علماء اليهود والتراجم الثلاثة فساد كلام (متى) ظاهر.

وقال (فرى) فى كتابه الذى صنف فى بيان اللغات العبرانية ـ وهو كتاب معتبر مشهور بين علماء البروتستانت ـ إنه بمعنى العذراء والمرأة الشابة. فعلى قول (فرى) هذا اللفظ مشترك بين هذين المعنيين وبهذا يتبين الغلط فى قولهم ليس معنى هذا اللفظ إلا العذراء.

الثانى: ما سمى أحد عيسى عليه السلام بعمانوئيل، لا أبوه ولا أمه، بل سمياه يسوع، وكان الملاك قال لأبيه فى الرؤيا (وتدعو اسمه يسوع)[1] كما فى إنجيل متى. وكان جبريل قال لأمه (ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع)[2] كما فى إنجيل لوقا، ولم يدع عيسى عليه السلام فى حين من الأحيان أيضًا أن اسمه عمانوئيل.

الثالث: القصة التى وقع فيها هذا القول تأبى أن يكون مصداق هذا القول عيسى عليه السلام؛ لأنها هكذا:ـ إن "راصين" ملك "آرام" و"فاقاح" ملك إسرائيل جاءا إلى أورشليم لمحاربة (آحاز بن يوثان) ملك يهوذا، فخاف خوفًا شديدًا من اتفاقهما، فأوحى الله إلى إشعياء أن يقول لتسلية آحاز: لا تخف، فإنهما لا يقدران عليك، وستزول سلطتهما، وبين علامة خراب ملكهما أن امرأة شابة تحبل وتلد ابنا، وتصير أرض هذين المِلْكَيْنْ خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر.

وقد ثبت أن أرض (فاقاح) قد خربت فى مدة إحدى وعشرين سنة من هذا الخبر فلابد أن يولد هذا الابن قبل هذه المدة وتخرب الأرض قبل تمييزه[3]، وعيسى عليه السلام ولد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها.

---

(١) متى ١ : ٢٢.
(٢) لوقا ١ : ٣١.
(٣) القصة كاملة فى الإصحاح السابع من سفر إشعياء.

وقد اختلف أهل الكتاب فى مصداق هذا الخبر، فاختار البعض أن إشعياء يريد بالامرأة زوجته، ويقول: إنها ستحبل وتلد ابنا، وتصير أرض الملْكينْ اللذين تخاف منهما خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر كما صرح (دكتور بنسن).

أقول هذا هو الحرى بالقبول وقريب من القياس[١].

فالاستشهاد بهذا الاسم من العهد القديم خطأ من ناحية أن اللفظ الذى ترجمه (متى) الإنجيلى ومترجم إشعياء بالعذراء (عَلَمَهْ) ومعناه بالعبرية عند علماء اليهود المرأة الشابة سواء كانت عذراء أم غير عذراء، وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاث، وعلى تفسير هذه التراجم القديمة، وتفسير علماء اليهود يكون ما جاء فى إنجيل متى ظاهر الفساد.

ومن ناحية أخرى أن المسيح ما دعاه أحد بهذا الاسم، ولم يقل المسيح عن نفسه أنه سمى بهذا الاسم، على أن القصة التى وقع فيها هذا الكلام تأبى أن يكون مصداق هذا القول هو المسيح عليه السلام.

يقول الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب.. إن أمر هذه الواقعة لا يحتاج إلى نظر طويل للوقوف على ما فيها، ذلك أن مجرد عرض الواقعة كما وردت فى سفر "إشعياء" يعطى دلالة قاطعة على أن المولود والوالدة (العذراء) قد كانا فى زمن إشعياء، وأن النبوءة قد تحققت فى عهده على الوجه الذى تنبأت به.

إن كلمة العذراء هى التى أغرت بدس هذا النص وحمله على المسيح، لأن أظهر ما فى حياة المسيح أنه ولد من عذراء، وإذ وضح من هذا أن هذه المقولة التى وردت فى إنجيل متى نقلاً عن سفر إشعياء لا صلة بينهما وبين ميلاد المسيح من عذراء كان وجودها فى هذا الإنجيل باعثًا على النظر والتساؤل[٢].

---

(١) إظهار الحق ص١٥٤، ١٥٥ راجع أيضًا الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٧، ٢٨.
(٢) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص٩٤ ـ ٩٦.

على أننا إذا سلمنا جدلاً أنها تدل على المسيح فإننا نقول إنها لا تدل بالضرورة على أن المسيح هو الله وهذا هو المعنى الذى يقصده النصارى من إطلاق هذا اللقب على المسيح.

يقول ابن تيمية: قال إشعياء (ها هى العذراء..) وعمانوئيل كلمة عبرانية، تفسيرها بالعربى (إلهنا معنا) فقد شهد النبى أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما[١].

فيقال: ليس فى هذا الكلام ما يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والأرض، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض، فإنه قال (تلد ابنا) وهذا نكرة فى الإثبات، كما يقال فى سائر النساء:

إن فلانة ولدت ابنا، وهذا دليل على أنه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والأرض، ثم قال يدعى اسمه "عمانوئيل" فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ويسمى به كما يسمى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات التى يسمونهم بها، ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه، ومنها ما يكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانوئيل. ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ويذكرون فى ذلك قصة جرت[٢].

ومنهم من يقول بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين: إما أن يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة، فإن بنى إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم فلما بعث المسيح بالحق كان الله مع من اتبع المسيح، والمسيح نفسه لم يبق معهم بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة، كما قال تعالى ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ سورة الصف ١٤ وقال

---

(١) سنتحدث عن هذا الموضوع فى الفصل الخاص بالتجسد.

(٢) والقصة ذكرناها سابقا وهى فى الإصحاح السابع من سفر إشعياء.

تعالى ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ سورة آل عمران ٥٥ وهذا أظهر.

وأما أن يريد يسمى المسيح[1] إلها كما يقولون: إنه يسمى موسى إله فرعون أى هو الآمر الناهى له المسلط عليه.

---

(١) إن إطلاق لقب الإله على المسيح وغيره إنما هو من قبيل المجاز المطلق. يقول الأستاذ/ محمد مرجان: وإطلاق لفظ إله على الأناس ورد كثيرًا فى التوراة، فقد أطلق على موسى عليه السلام، كما أطلق على حكام وقضاة بنى إسرائيل، وعلى غيرهم من الناس، وكان يعنى فى نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريبًا من الله عاملا بوصاياه. نرى فى الإصحاح السابع من سفر الخروج محادثة بين الله ونبيه موسى يعلن فيها سبحانه لنبيه أنه جعله إلها لفرعون، يقول سفر الخروج "فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" خروج ٧: ١ ويعود سفر الخروج فيقرر أن الله قد جعل موسى إلها لشقيقه هارون أيضًا، يورد السفر فى الإصحاح الرابع منه حديثًا على لسان الله موجهًا إلى موسى عن شقيقه هارون فيقول (هو يكلم الشعب عنك ويكون لك فما وتكون له إلها) خروج ٤ : ١٦. هنا نجد أن موسى قد صار إلها لفرعون وإلها أيضًا لشقيقه هارون، وهذا يعنى تفوقه وتسلطه على فرعون وهارون، فالله أعطى لموسى القدرة على التسلط والتفوق على فرعون كما جعله أيضًا سيدًا لأخيه هارون يأمره فيأتمر وينهاه فينتهى وكأنه إله وسيد لفرعون وهارون.

ليس هذا فقط بل إن لفظ إله أطلق على البشر العاديين من القضاة والحكام الإسرائيليين، فداود عليه السلام يسمى القضاة آلهة. يقول داود "الله قائم فى مجمع الله: فى وسط الإله يقضى" مزمور ٨٢: ١، وهذا يعنى أن الله موجود وحاضر فى محكمة العدل ووسط مجلس الحكم، وأن ما ينطق به القضاة من أحكام إنما هو كلام الله وحكمه وكأن القضاة أنفسهم آلهة ينطقون بحكم الله وينفذون مشيئته. ومما يؤكد أن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز المطلق كإطلاق الألقاب الفخرية والأسماء الشرفية على المبرزين بسبب صفاتهم الكريمة وأعمالهم الهامة. بحيث إذا تغيرت صفاتهم وانحطت أعمالهم سحب اللقب وسقط الشرف، يؤيد هذا ما حدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة ـ قضاة إسرائيل ـ إذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق وينفذون ـ تعاليم الله انحرفوا عن جادة الصواب ومالوا مع الأحساب والأنساب وقبلوا الرشوة والعطايا من الناس مما أغضب داود النبى فأخبرهم بحكم الله بخلع هذه الألقاب الشرفية عنهم وبأنهم لا يستحقون أن يتصفوا بصفات الآلهة أو أبناء الله، بل يستحقون السقوط والخزى جزاء انحرافهم وسوء أعمالهم يقول لهم داود (أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون). مزمور ٨٢: ٦، ٧ وهذه الفقرة الأخيرة (أنا قلت أنكم آلهة) اقتبسها عيسى من التوراة عند قيامه بالرد على اليهود عندما أمسكوا حجارة ليرجموه لادعائه بنوة الله، وقال اليهود لعيسى (لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت الإنسان تجعل نفسك إلها) يوحنا ١٠ : ٣١ ـ ٣٣ ويرد عيسى على اليهود وموضحًا لهم المجاز مؤكدًا أنه فى هذا يشبه نفسه بحكامهم وقضاتهم الآلهة الذين ينطقون بحكم الله فهو أيضًا إنسان حامل كلمة الله منفذ لتعاليمه كأحد أبنائه. يقول يوحنا عن هذه الحادثة (أجابهم يسوع أليس مكتوبًا فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله). هـ يوحنا ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦. راجع المسيح إنسان أم إله ص١٩١ ـ ١٩٣.

وليس المسيح مخصوصًا بهذا الاسم بل عمانوئيل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى.... وهذا موجود فى عصرنا[١] هذا فى أهل الكتاب من سماه أبوه (عمانوئيل) بمعنى (شريف القدر).

قال أحد علمائهم: وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانوئيل قلت: ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرجل فى الدعاء: الله معك فإذا سمى الرجل بقوله (الله معك) كان هذا تبركًا بمعنى هذا الاسم، وإذ قيل إن المسيح سمى الله معنا أو إلهنا معنا ونحو ذلك كان ذلك دليلاً على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به فيكون الله هاديه وناصره ومعينه[٢].

ونخلص من هذا:

أن الاستشهاد بهذا الاسم لإطلاقه على المسيح المخلص لا يخلو من أخطاء واضحة. على أننا إذا سلمنا بهذا الاستشهاد فإن الفقرات لا تدل على المعنى الإلهى الذى يقصده النصارى من إطلاقه على المسيح، بل يدل بالأحرى على أنه يعنى أنه شريف القدر ـ لا أكثر ولا أقل ـ.

هذا بالإضافة إلى أنه أطلق على المسيح وعلى غيره فلا ميزة له فى ذلك.

٢ ـ ابن داود

من الألقاب التى أطلقها النصارى والأناجيل على المسيح والمرتبطة بالاستشهاد من العهد القديم (ابن داود أى من نسل داود والوارث الشرعى لعرشه)[٣]. لذلك نجد اهتمام النصارى بداود وذلك، لأن المسيح سيجلس على كرسيه كما يدعون.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: وهناك نبوات تشير بطريقة غير مباشرة إلى المسيح وبطريقة مباشرة إلى الملك العتيد ـ أى داود ـ والذى من صلبه سيخرج المسيا المنتظر كقول بلعام "أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبًا. يبرز كوكب من

---

(١) الكلام لازال لابن تيمية.
(٢) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح حـ١، ص٢١٢، ٢١٣، راجع أيضًا هداية الحيارى ص٢٩٣.
(٣) تفسير إنجيل متى ص١٦.

يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب ويهلك كل بنى الوغى. ويكون أدوم ميراثًا ويكون سعير أعداؤه ميراثًا. ويصنع إسرائيل بأس. ويتسلط الذى من يعقوب ويهلك الشارد من مدينة"[١].

وفى سفر صموئيل الثانى حيث يقول الله للملك ناثان: هكذا تقول لعبدى داود هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المريض من وراء الغنم لتكون رئيسًا على شعبى إسرائيل. وكنت معك حيثما توجهت وقرضت جميع أعدائك من أمامك وعملت لك اسمًا عظيمًا كاسم العظماء الذين فى الأرض. وعينت مكانًا لشعبى إسرائيل وغرسته فسكن فى مكانه ولا يضطرب بعد ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما فى الأول، ومنذ يوم أقمت فيه قضاة على شعبى إسرائيل. وقد أرحتك من جميع أعدائك. والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتًا. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبنى بيتًا لاسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم. ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى أزلته من أمامك. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتًا إلى الأبد. فحسب هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داود[٢].

ويمكننا[٣] أن نعتبر كل هذه النصوص وحدة واحدة إذ أنها تعبر عن الملك داود الذى سيخرج من صلبه المسيح، وجدير بالذكر أن نبؤة بلعام هذه ـ السابقة الذكر ـ قد تحققت فى داود الذى جاء بعد بلعام.. فقد ظهر داود كملك عظيم انتصر على موآب وأدوم وعلى كثيرين من أعدائه[٤] وأسس مملكته العظيمة التى صارت فيما بعد المثال الذى يتغنى به كل إسرائيلى، والنموذج الذى يحلم به كل الملوك الذين جاءوا من بعده.

---

(١) عدد ٢٤: ١٧ ـ ١٩.

(٢) ٢ صموئيل ٧: ٨ ـ ١٧.

(٣) الكلام لازال د/ حنا جرجس الخضرى.

(٤) راجع ٢ صموئيل ٨: ٢ ـ ١٤.

وفى العهد القديم نبوات كثيرة جدًا تشير إلى داود باعتباره الشخص الذى منه سيخرج المسيا المنتظر الذى سيعطى سلامًا وراحة لشعبه[١].

فداود هو الملك العظيم والمسيح كما يعتقد المسيحيون ابن داود الذى سيجلس على كرسى مملكته إلى الأبد، ويستشهدون بما جاء فى النبوءات التى وردت فى العهد القديم، والتى أشرنا إلى بعض منها، ومن هذه ما جاء فى المزامير (أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك. إن حفظ بنوك عهدى وشهاداتى التى أعلمهم إياها فبنوهم أيضًا إلى الأبد يجلسون على كرسيك)[٢] ومنها قول داود (إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصى الأرض ملكًا لك. تحطمهم بقضيب من حديد)[٣] ويقولون إن المقصود من هذه النبوءات هو المسيح ابن داود.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: عندما ندرس العهد الجديد بتدقيق نلاحظ أن كتابه أكدوا بشدة أن يسوع هو ابن داود، فالمسيا الموعود به والذى يجب أن ينقذ الشعب من خطاياه وعبوديته يجب أن يكون من نسل داود، وهذا الأمر ـ أى نسب المسيح لداود ـ مهم جدًا ليس فقط بالنسبة للعهد القديم، بل بالنسبة للعهد الجديد أيضًا، ففى المسيح ابن داود تتحقق للكنيسة المسيحية الوعود الروحية التى كان ينتظرها شعبه فى العهد القديم[٤] أى يتحقق فى المسيح بنسبته إلى داود الخلاص الذى كان ينتظره الشعب، وهذا يعنى أن نسب المسيح إلى داود مهم للعهد القديم الذى تحدث عن النبوءات عن ابن داود المخلص، ومهم بالنسبة للعهد الجديد الذى ذكر أن المسيح هو ابن داود فى شواهد كثيرة من العهد الجديد.

فلقب (ابن داود) يعنى بالنسبة للمسيحيين أنه المخلص، ولقد ذكرت الأناجيل ذلك وأكدته. يقول د/ فهيم عزيز (أيضًا فى الأناجيل لقب آخر للمسيح يرتبط

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٠ ، ٣١.
(٢) مزمور ١٣٢ : ١١ ، ١٢.
(٣) مزمور ٢ : ٧ ـ ٩.
(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص١٧٣.

بملكوت الله [١] وهو ابن داود. وتختلف الأناجيل فى عدد مرات إيراد هذا اللقب للمسيح فهو يرد فى إنجيل مرقس ثلاث مرات، مرتين على لسان بارتيماوس ـ الأعمى[٢] حينما حاول الأعمى أن ينال الشفاء على يدى المسيح بكونه ابن داود أى المسيا والملك الذى يأتى من نسل داود، أما المرة الثالثة فهى جاءت فى الإصحاح الثانى عشر[٣] حيث يلقى السيد على الكتبة سؤالاً عن موقف المسيح من داود: هل هو ابنه أم ربه؟ وكلام السيد مقتبس من مزمور ١١٠ : ١.

ولعلنا نجد الجواب على هذا السؤال الذى عجز اليهود عن الرد عليه فى قصة البشارة للعذراء المذكورة فى لوقا[٤]، حيث يقول الملاك للعذراء: (ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه) فالمسيح هو ابن داود بحسب الجسد، لكى يكون الوارث الشرعى للملك كما يقول بولس (الذى صار من نسل داود حسب الجسد ولكنه فى مجده وتمجيده هو ابن الله وهو رب داود نفسه)[٥].

ويلاحظ أن إنجيل لوقا يتبع إنجيل مرقس فى ذلك ـ أى فى إطلاق اللقب ـ ولا يزيد عليه إلا ما ذكره فى قصة الميلاد. وأما إنجيل متى فإنه يختلف عن ذلك فهو يضع تنبيرا خاصًا، على هذا اللقب، فقد أكد على نسب المسيح من داود توكيدًا خاصًا وذلك لكى يبرهن لليهود أنه هو أيضًا المسيا الذى يقوم بأعمال الفداء والشفاء[٦].فلقد ذكرت الأناجيل أن المسيح هو ابن داود وأكدت على ذلك لإبراز أنه المنقذ الذى يخلص البشرية.

---

(١) تفيد هذه العبارة عدة معان، والمعنى الذى يقصده النصارى من هذه العبارة هو النظام التى أتى المسيح لينظمه (متى ٤ : ١٧، ١٣ : ١١، أعمال الرسل ١ : ٣) وتفضل شعب الله ـ ويقصدون أنفسهم ـ حسب اختيار الرب (متى ٢١ : ٤٣) ومجد المسيح وتسلطه (١٦ : ٢٨). فالمسيح أعطى ملكوتًا ـ كما يقولون ـ أو سلطانًا والناس الذين يؤمنون به يرثون ملكوته وسلطانه الذى أقامه الله ـ المسيح ـ على الأرض تميزًا لهم عن ممالك البشر) راجع علم اللاهوت النظامى ص٨٨٤، قاموس الكتاب المقدس ص٩١٩.

(٢) مرقس ١٠ : ٤٧ ـ ٤٩.

(٣) مرقس ١٢ : ٣٥.

(٤) لوقا ١ : ٢٦ ـ ٣٨.

(٥) رومية ١ : ٤.

(٦) المدخل إلى العهد الجديد ص١٩٧، ١٩٨.

والناظر فى الاستشهادات السابقة لم يجد قولاً للمسيح ينسب فيه نفسه إلى ابن داود، ولكن نجد أن الأناجيل تذكر[١] أن سؤالاً وجهه المسيح إلى الفريسيين ماذا تظنون فى المسيح ـ أى المخلص ـ؟ فقال الفريسيون: إنه من نسل داود فقال لهم لن يكون من نسل داود (لأن داود قال عنه إنه سيده فلو كان من نسل داود ما كان يقول عنه أنه سيده) وهذا يعنى:

أولاً: أن المسيح لو كان ابن داود فليس هو المخلص الذى تنبأت به الكتب المقدسة، لأن المسيح عيسى بن مريم قال ذلك واستشهد بأقوال داود.

ثانيًا: أنه لو كان المسيح بن مريم هو المخلص الذى يخلص البشرية فليس هو ابن داود، هذا هو ما تشير إليه كتبهم (ذلك أن داود نفسه يدعوه ربا فكيف يكون هو ابنه؟) فلقد دعاه داود ربا. يقول داود فى المزمور العاشر بعد المائة "قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك" ١١٠ : ١.

فلقد دعا داود هذا المسيح المنتظر بأنه رب فكيف يكون ابنه؟

ولقد أكد علماء المسيحية أن المسيح بن مريم إنما هو (ابن داود)، وعليه فإنه ليس هو المسيح المخلص.

على أننا لو سلمنا أن (ابن داود) هو المخلص، فإن فى نسبة المسيح إلى داود ـ أى جعله من نسل داود ـ كلام كثير من ناحية النسب.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: والاعتراض الذى يقدمه الذين يرفضون الميلاد العذارى سلسلتا النسب فى إنجيل متى (١ : ٢ ـ ١٦) وفى إنجيل لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣٨) "فمتى" يذكر شجرة نسب يوسف وليس شجرة نسب مريم.

فمتى يصل (متى) إلى هدفه، أى لكى يبين أن المسيح هو من نسل داود يعطى لنا سلسلة طويلة من الأسماء التى تنتهى بالقول (ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح)[٢].

---

(١) متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦، مرقس ١٢ : ٣٥ ـ ٣٧، لوقا ٢٠ : ٤١ ـ ٤٤.
(٢) متى ١ : ١٦.

وأما (لوقا) فلكى يصل إلى نفس الهدف أى بأن يسوع هو ابن يوسف وابن داود فيقول: ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالى.... ابن داود..... ابن آدم(١).

وبناء على ذلك فإن يوسف لم يكن هو الأب الشرعى ليسوع فلا يمكن أن يكون يسوع هو ابن داود، فإن الهدف الذى من أجله سجلت هاتان السلسلتان هو إثبات بنوة يسوع لداود، فإذا كان يسوع قد ولد بطريقة معجزية دون أى اتصال جنسى بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبته لداود الأمر الذى يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد(٢).

فكتبة الأناجيل يحملون الأشياء فوق طاقتها لإثبات نسب المسيح إلى داود فلقد قرر كتاب الأناجيل أن عيسى من سلالة داود ـ، وذلك ليلقوا فى روع الناس أن عيسى هو المسيح المنتظر وأنه هو المقصود بالكلمات والروايات والنبوءات التى تتحدث عن المسيح المنتظر، ولما كانت أكثر النبوءات شيوعا عن المخلص الذى سيرسله الله لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داود ملك العصر الذهبى لليهود قرر كتاب الأناجيل أن عيسى من سلالة داود، وأجبروا مريم فى صحفهم على أن تترك بلدتها الناصرة وتذهب إلى مدينة بيت لحم التى كانت منبت داود لتلد فيها عيسى، ولكن هؤلاء الكتاب قد وقعوا فى مأزق عجيب، بل وفى تناقض صارخ، فبينما يقررون أن عيسى ولد من مريم دون أن يمسها رجل، يعودون فيقررون ـ جريا وراء أسطورة المسيح المخلص ـ أن عيسى من نسل داود، ولو كان عيسى ينتسب إلى داود من جهة أمه مريم لكان أمرًا من الممكن قبوله، أى لو كانت مريم من ذرية داود لكانت نسبة عيسى إلى داود أمرًا مفهومًا، ولكن الدهشة تعلو وجوهنا عندما نراهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار(٣). (والواقع أنهم بجريهم وراء أسطورة المسيح المخلص، ومحاولتهم خلع لباس المسيح على عيسى، قد جردوا عيسى ابن العذراء من ميزته الكبرى ومعجزته العظمى، جردوه من حيث لا

(١) لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣٨.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ١٧٣، ١٧٤.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص٣٠ ـ ٣١.

يشعرون من معجزة ميلاده دون زرع رجل، بل وصموه وأمه دون أن يشعروا بأشنع الأوصاف، وأحط الاتهامات، فسايروا بذلك افتراءات أعدائه عن دنس مولده وفحش أمه.

هكذا فضلوا الأسطورة على الحقيقة. فضلوا أسطورة المسيح ابن داود على حقيقة عيسى ابن العذراء، جعلوا عيسى المسيح بن يوسف ابن داود ورفضوا أن يكون عيسى المبارك صاحب الميلاد المعجز الفريد)[١].

ويتبين أنهم فى نسبتهم المسيح إلى داود جعلوا المسيح ابنا ليوسف وفى هذا القول ما يشبه القدح فى طهارة السيدة مريم وعفتها، حيث إنه فى نسبة المسيح إلى يوسف نفى لميلاد المسيح المعجز الذى اختص الله به مريم.

لقد نسى هؤلاء تلك المعجزة جريًا وراء كون المسيح هو المقصود بنبوءات العهد القديم، لقد أصبح اسم يوسف النجار مرتبطًا باسم المسيح على أنه ابنه ومن نسله حتى إن الكثيرين من تلاميذ عيسى اللصيقين به لا يعرفونه إلا بأنه ابن يوسف.

يروى يوحنا محاورة جرت بين اثنين من التلاميذ كانا يتحدثان عن عيسى. يقول يوحنا إن (فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة)[٢] وعرف الجميع عيسى على أنه ابن يوسف شقيقًا لإخوته الآخرين أبناء النجار ومريم. يقول متى (ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم؟ وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا؟)[٣، ٤].

ويتبين من هذا أن لقب ابن يوسف أصبح مرتبطًا باسم المسيح... وإذا كان المسيح ابنا ليوسف فإن معنى ذلك أنه ليس مولودًا بطريق المعجزة.. ولكنهم أغفلوا ذلك فنسبوه ليوسف لكى يكون (ابن داود).

---

(١) المرجع السابق ص٣٢.
(٢) يوحنا ١ : ٤٥.
(٣) متى ١٣ : ٥٤ ـ ٥٦.
(٤) المسيح إنسان أم إله ص٣٤.

❖ على أن المتأمل فى سلسلة النسب التى ذكرتها الأناجيل من أجل نسبة المسيح إلى داود يجد اختلافًا كبيرًا لا يمكن أن يقع مثله فى كتاب من تأليف بشر فضلاً عن أن يكون كما يدعى أصحابه أنه من عند الله، ذلك أننا نجد اختلافًا بين إنجيل متى وإنجيل لوقا فى نسب المسيح، فإن من يقابل بين نسب المسيح الذى فى إنجيل متى بالبيان الذى فى إنجيل لوقا يجد ستة اختلافات وهى كما يلى:

١ ـ يعلم من متى أن يوسف ابن يعقوب ومن لوقا أنه ابن هالى.

٢ ـ يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليه السلام ومن لوقا أنه من أولاد ناثان[1] بن داود.

٣ ـ يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون. ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤ ـ يعلم من متى أن شألتئيل بن يكنيا ويعلم من لوقا أنه ابن نيرى.

٥ ـ يعلم من متى أن اسم ابن زر بابل أبيهود. ومن لوقا أن اسمه: ريسا. والعجب أن أسماء بنى زر بابل مكتوبة فى الإصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام وليس فيها أبيهود ولا ريسا، فالحق أن كلاً منهما غلط.

٦ ـ من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً على ما بين (متى)، وواحد وأربعون جيلاً على ما بين لوقا.

ولما كان ما بين داود والمسيح مدة ألف سنة، فعلى الأول يكون فى مقابلة كل جيل أربعون سنة وعلى الثانى خمسة وعشرون.

ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهرًا بأدنى التأمل تحير فيه علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلى اليوم[2] ولعل سبب كل هذه الاختلافات، هو محاولة جعل المسيح من نسل داود، وهنا يقف الباحث أمام هذه الاختلافات الواضحة فى سلسلة النسب متحيرًا! ومتسائلا! هل يقع مثل هذا فى كتاب أوحى به من عند الله؟ وأى الإنجيلين أصدق وأيهما أصح؟ بمعنى: هل سلسلة النسب الواردة

---

(١) يذكر د/ محمود وصفى: أن البروتستانت يقولون إن من أخرج سليمان من نسب المسيح فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحًا أ. هـ (المسيح والتثليث)ص٤.

(٢) إظهار الحق ص١١٤.

فى إنجيل متى هى الصحيحة، أم السلسة الواردة فى إنجيل لوقا؟ ولما كانت السلسلة الصادقة الصحيحة غير متعينة فالشك يرد على الاثنين حتى تثبت السلسلة الصحيحة.

❖ وحتى لو سلمنا بصحة السلسلة التى ذكرت فى الإنجيلين فإننا لو نظرنا فيها نظرة فاحصة لوجدنا أن المسيح بهذه السلسلة لا يجلس على كرسى داود، والذى من أجل هذه الوظيفة ومن أجل هذا الكرسى غيرّ كتبة الأناجيل نسبه إلى يوسف حتى يكون هو المقصود بهذا الجلوس على كرسى داود ـ

يقول الاستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى: على أن الذى يتأمل فى التوراة يجد فيها ما يدل صريحًا على أن عيسى ليس برسول فضلاً عن كونه إلها مخلصا، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ الإصحاح السادس والثلاثين من كتاب إرميا وملخصه أن إرميا النبى استدعى شخصًا اسمه باروخ، وكلفه أن يكتب زواجر شديدة أوحى الله إليه بها ليقرأها على الشعب، وعلى الملك ألياقيم ملك يهوذا، فقرأها على الشعب وأخذها بعضهم ليقرأها على الملك فلما سمع بعضًا منها أخذها وألقاها فى النار التى كان يستدفئ بها فأحرقها، فغضب الله عليه غضبًا شديدًا، **وقال إنه لا يكون من نسله أحد يجلس على كرسى داود**[١] **وعيسى من نسله. فإذا صدقت التوراة** فإن عيسى لا يكون رسولاً فى نظر التوراة، لأنه لابد أن يكون جالسًا **على** كرسى داود عندهم، فقد صرح لوقا فى الإصحاح الأول من إنجيله أن جبريل بشر مريم بأن الرب سيعطى عيسى كرسى داود. ونص عبارته (ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)[٢] فلوقا قد نص على أن جبريل قال لمريم أن يسوع سيملك كرسى أبيه داود، وأنت ترى فى نسب المسيح المذكور فى أناجيلهم أن (ألياقيم) من أجداده، والتوراة تقول إنه لا يملك أبدًا، والإنجيل يقول إنه يملك يدًا، فبأيهما نأخذ؟ وعلى أيهما نعتمد؟)[٣].

---

(١) والنص كما جاء فى سفر إرميا (لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا. لا يكون له جالس على كرسى داود. وتكون جثته مطروحة للحر نهارًا وللبرد ليلاً. وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم وأجلب عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذى كلمتهم به ولم يسمعوا) إرميا ٣٦: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) لوقا ١ : ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) عبد الرحمن الجزيرى: أدلة اليقين ص ١٤٢.

فالاعتراض القائم: أن الأناجيل ذكرت فى سلسلة نسب المسيح (ألياقيم[١]) على أنه من أجداده[٢]، وألياقيم هذا قال عنه الرب إنه لا يملك كرسى داود، بل يجلب عليهم الشر والإثم، وعليه فالمسيح لا يجلس على كرسى داود لأنه من نسله، بينما تذكر الأناجيل أن عيسى سيجلس على كرسى داود، فبأى الروايتين نأخذ؟ وعلى أيهما نعتمد؟.

❖ على أننا لو أخذنا بظاهر نصوص الكتاب المقدس فإننا نقول إن داود لا يدخل فى جماعة الرب، ومادام لا يدخل فى جماعة الرب فنسله أيضًا لا يدخل فى جماعة الرب.

يقول عبد الرحمن الجزيرى (ورد فى سفر التثنية الإصحاح الثالث والعشرين) ما نصه: (لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب)[٣].

وورد فى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين (أن فارص بن يهوذا ابن يعقوب ابن زنا) ومحصل ما ورد فى ذلك الإصحاح أن يهوذا ابن يعقوب زنا بامرأة ابنه المتوفى لأنها تنكرت له وأوهمته أنها زانية فمال إليها وفسق بها فحملت منه باثنين وهما فارص وزارح... إلى آخره.

وورد فى الإصحاح الأول من إنجيل متى نسب المسيح، وقد نص فيه على أن ـ (فارص) الجد العاشر لداود فهل يا ترى لا يدخل داود فى جماعة الرب لأن جده العاشر ابن زنا أو يدخل؟ إنه لا يدخل بلا نزاع، لأن الجيل معناه الصنف من الناس فيقال للعربى جيل وللتركى جيل فاستعمال الجيل هنا لابد أن يكون الغرض منه الطبقة المغايرة للطبقة التى قبلها (ففارص) طبقة، وابنه (حضروم) طبقة ثانية، وهكذا إلى داود، وداود هو العاشر، والتوراة صريحة فى أن الجيل العاشر لا يدخل

---

(١) ويدعى أيضا "يوياقيم:، "يوقيم"، واسمه الأصلى "ألياقيم" بمعنى الله يقيم وقد غير فرعون نخو اسمه وسماه "يهوياقيم" عندما أجلسه على عرش يهوذا (٢ ملوك ٢٣ : ٣٤). راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩٨.

(٢) متى ١ : ١٣، لوقا ٣: ٣٠.

(٣) تثنة ٢٣ : ٢.

منه أحد فى جماعة الرب، وكيف يصح ذلك وداود مقدس عندهم ويفتخرون بانتساب المسيح إليه؟[١].

وعلى هذا فداود الذى جعله كتبة الأناجيل رأس سلسلة نسب المسيح لأنه يجلس على كرسى عرشى ليس من جماعة الرب، كيف يكون ذلك ويخرج من نسله المسيح؟ ولقد أوردنا ذلك لإلزام القوم لا غير، ذلك لأننا نؤمن بأن داود رسول من رسل الله وكذلك عيسى أيضًا.

وعموم القول: إن انتساب المسيح إلى داود لم يسلم من النقد من جميع الوجوه مما يجعله مشكوكا فى صحته.

وبعد

فهذه بعض من ألقاب المسيح والتى تبرز مهمته كمخلص البشرية، ولقد تبين من خلال مناقشتنا لها أنها لا تدل على ألوهية المسيح ولا تدل على الخلاص.

وتبين لنا أيضًا أن النصارى حملوا هذه الألقاب مالا تحتمله حتى يصدق على المسيح القول بالألوهية، وحتى يتسنى لهم القول بأن المسيح هو المخلص، لأن من شروط الخلاص ـ عندهم ـ أن يكون المخلص مشتركًا فى اللاهوت والناسوت. أى إلهًا متجسدًا وهو موضوع الفصل الثانى.



(١) أدلة اليقين ص١٧٤ ـ ١٧٥.

الفصل الثانى

دعوى التجسد الإلهى
وأهميتها للخلاص المسيحى

معنى التجسد

التجسد فى علم اللاهوت المسيحى يعنى أن المسيح ابن الله قد صار جسدا ـ أو كما قال يوحنا: قد صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا[١].

يقول كلايد تارنر: نعنى بالتجسد أخذ جسد بشرى، أى أن ابن الله الأزلى جاء إلى العالم وأخذ جسدا بشرًا والكلمة صار جسدًا[٢].

ويقول القس إنسطاسى شفيق: إن الأقنوم الثانى أخذ جسدًا فكان هو الكلمة قبل أن يتجسد، ولم يزل هكذا بعد ذلك، فقد ولد من عذراء وأخذ جسدا بشريًا مثلنا تمامًا ما خلا الخطية[٣].

فالتجسد المسيحى يعنى أن المسيح الذى هو الكلمة صار جسدًا.

ما يحتويه معنى التجسد

يتبين من معنى التجسد السابق أنه يحتوى ـ فى اعتقادهم ـ على حقيقتين :ـ
حقيقة جسدية وهى تعنى أن المسيح إنسان حق.
وحقيقة إلهية وهى تعنى أن المسيح إله حق.
يقول كلايد تارنر: هناك حقيقتان يحويهما تجسد المسيح إنسان حق، وإله حق[٤].

أولاً الحقيقة الإنسانية:ـ

ويقول تحت قوله (المسيح إنسان حق) إن الاسم الذى أطلقه المسيح على ذاته أكثر من غيره من الأسماء هو "ابن الإنسان"، وكل ما وراه لنا عنه الإنجيل يقدمه كإنسان عاش، واتصف بكل صفات الإنسان، كبر، ونما جسديًا (وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس)[٥].

---

(١) يوحنا ١ : ١٤.
(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٢.
(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٤١.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٢.
(٥) لوقا ٢ : ٥٢.

لقد تعب المسيح وجاع (فإذ كان يسوع تعب من السفر جلس هكذا على البئر)[١] "فبعدما صام أربعين نهارًا أو أربعين ليلة جاع أخيرًا"[٢] كما تألم آلامًا جسدية: بكى، ونام، ومات، كل هذه الاختبارات تشهد بكون يسوع إنسانًا[٣].

وهذه الطبيعة الجسدية تظهر فى كونه حملت به امرأة وولدته ثم بعد ذلك اتصف بكل صفات الإنسان.

يقول القس إنسطاسى شفيق: لابد فى الكلام عن تجسد المسيح من ذكر ما سيأتى:

أولاً: من جهة نفس التجسد: ينبغى أن نلاحظ أمرين على الخصوص.

أحدهما: الحبل به الذى كان فى مستودع واحدة من الجنس البشرى، وقد صار به ابن الإنسان حقًا كما دعى مرارًا كثيرة، وكان من نسل آدم ابنا لإبراهيم وابن داود حسب وعد الله، غير أن هذا الحبل لم يكن كمألوف العادة بل بقوة الروح القدس.

والثانى: ولادته: ومع أن الحبل به كان فائق الطبيعة كانت طبيعته البشرية بعد الحبل تنمو شيئًا فشيئًا فى مستودع العذراء حسب مجرى الطبيعة إلى أن كملت، وهكذا كانت ولادته كجارى العادة فى غيره، ولكن بما أن الحبل به كان فائق الطبيعة بقوة الروح القدس حبل به وولد من دون خطية[٤].

إن الطبيعة البشرية التى أخذها يسوع لم تكن طبيعة مختلفة عن كل الطبائع البشرية، بل هى نفس طبيعة كل إنسان، وهى طبيعة آدم قبل السقوط بل بعده[٥].

لذلك جاء فى علم اللاهوت النظامى:

إن المسيح إنسان حقيقى، أى ذو طبيعة بشرية كاملة، ولذلك كل ما ينسب إلى الإنسان باعتبار ناسوته ما خلا الخطية يمكن أن ينسب إلى المسيح[٦].

---

(١) يوحنا ٤ : ٦.
(٢) متى ٤ : ٢.
(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٣.
(٤) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٤٩.
(٥) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٨٩.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص٧٧٣.

أهمية كون المسيح جسدًا بالنسبة للخلاص المسيحى

أما عن أهمية هذه الحقيقة بالنسبة للخلاص فتتلخص فى أن المسيح اتخذ جسدًا من جنس جسد الخطية، حتى يستطيع أن يتغلب عليها.

فالمسيح اتخذ طبيعة جسدية مثل الطبيعة الجسدية التى أخطأ بها آدم.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "فالمسيح قد جاء(فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد)[1] أى أنه هجم على الخطية وهزمها فى معقلها، فلو جاء المسيح فى جسد يختلف عن أجسادنا فى طبيعة تختلف عن طبيعتنا، لأصبح غريبًا عن جنسنا، ولكنه على العكس من ذلك كان مجربًا فى كل شىء مثلنا، والاختلاف بيننا وبينه بالرغم من اشتراكه فى نفس الطبيعة أنه لم يسلك فى نفس الطريق الذى نسلك فيه"[2].

فالمسيح اتخذ جسدا وذلك لأجل أن ينتصر ويتغلب على الخطية بثوب الخطية، لأن من شروط المخلص أن يتخذ جسدًا، وهذا الجسد لابد وأن يكون من جنس جسد الخطية لا من جنس آخر.

يقول أنسلموس اللاهوتى: من أين يتخذ الله الطبيعة البشرية؟ وكيف يتخذها؟ لأنه إما أن يتخذها من آدم، أو يصنع إنسانًا آخر كما صنع آدم من غير، فإن كان الثانى: أى لو صنع إنسانًا جديدًا من غير جنس آدم لما كان هذا منتسبًا إلى الجنس البشرى المتناسل من آدم، فليس عليه إذاً أن يوفى عنه لكونه ليس منه، لأنه إن جاز أن يوفى إنسان عن خطية إنسان كان من الواجب أن يكون القائم بالوفاء من جنسه الخاطىء إذا لم يكن هو نفسه، وإلا لا آدم ولا نسله يقومون حقيقة بالوفاء.

وبما أنه من آدم وحواء قد سرت الخطية إلى العالم فلا يقتضى أن يكفر عن خطايا العالم إلا هما بالذات، أو واحد من نسلهما، ولما كانا هما غير قادرين على ذلك وجب أن يعمله واحد من ذريتهما، أضف إلى ذلك كما أنه لو لم يسقط آدم وكل نسله فى الخطية لبقوا قائمين بدون معاونة خليقة أخرى، كذلك إذا كان هذا الجنس الساقط يقوم فيلزم أن يقوم وينهض بنفسه، يعنى بدون عون خارجى، لأن أى من

---

(١) رومية ٨ : ٣.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٩١.

رفعه وأعاده إلى مركزه الأصلى يبقى قائمًا فى الذى رفعه. ثم لما خلق الله فى البدء البشرية فى آدم الأول لم يشأ أن يصنع المرأة التى هى أحد الجنسين اللذين تناسل منهما الناس إلا منه أيضًا، فأظهر بذلك جليًا أن من آدم وحده يقصد أن يحقق غايته فى الخليقة البشرية، لذلك إذا كان الجنس الآدمى ينهض بإنسان من غير ذات جسمه فلا يعاد إلى المقام الذى كان مزمعًا أن يناله لولا خطية آدم، فيحبط إذ ذاك قصد الله. على أن كلا من الأمرين غير لائقين.

إذاً من الواجب إذ ذاك الإنسان الذى يتجدد به بنو آدم يتخذ الطبيعة الآدمية[1] فلابد للمخلص فى العقيدة المسيحية من أن يتخذ جسدًا، ولابد أن يكون جسد هذا المخلص من طبيعة جسد آدم، حتى يستطيع أن يقوم فساد الإنسان نتيجة الخطية، وأن يعيد الجنس البشرى إلى المقام الأسمى الذى كان فيه الإنسان قبل الخطية.

ذلك أنه لو اتخذ جسدًا من جنس آخر لما كان منتسبًا إلى الجنس البشرى المتناسل من آدم، ولما استطاع أن يكفر عن خطيئة آدم، لأنه لابد وأن يكون المكفر عن الخطية هو آدم أو ـ كما يقولون ـ أحد أفراد جنسه، ولما كان آدم غير قادر على هذا التكفير كان الواجب أن يكون واحدًا من جنسه، فكان الواجب أن يتخذ المخلص جسدا من طبيعة آدم.

ولكن لنا تعليق بسيط: إذا كان كل أفراد الجنس البشرى متصفين بالسقوط فى الخطية نتيجة لخطية آدم فكيف يكون المسيح بجسد بشرى وهو غير خاطىء؟

ذلك أن المسيح قد ولد من مريم، وهى واحدة من أفراد الجنس البشرى الساقط الذى ورث الخطية من آدم، فكيف يكون مبرأ من الخطية وهو قد ولد من جسد خاطىء ولبس جسدًا خاطئًا؟ خاصة وأن المبدأ الأصيل عندكم "كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة"[2].

والجواب عندهم: أن هذا المسيح الذى اتخذ جسدًا مبرأ من الخطية، لأنه ابن الله المتجسد!

---

(١) أنسلموس اللاهوتى: لماذا تجسد الكلمة ص٥٥.
(٢) متى ٧: ١٧، ١٨. لوقا ٦: ٤٣.

وهنا نقول: إنه على ذلك ليس من نسل آدم!! فكيف يكون من نسل آدم وهو ابن الله ـ كما تقولون ـ المتصف بالأزلية؟

ثانيًا: الحقيقة الثانية فى المسيح المتجسد: كونه إلهًا:

إن الاعتقاد السائد بين النصارى أن الذى اتخذ طبيعة بشرية وجسدًا من أجسادنا ليخلص البشرية إنما هو ابن الله نزل من السماء وتجسد فى صورة بشرية.

يقول القديس إثناسيوس الرسولى: لماذا لم يكن ممكنًا لأحد آخر سوى الله (الكلمة) نفسه أن يتجسد؟ (لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام) [١] وهو بهذه الكلمات يقصد أن يبين أنه لم يكن مستطاعًا لأحد آخر أن يرد البشر عن الفساد الذى بدأ، غير كلمة الله الذى خلقهم أيضًا من البدء[٢].

ويقول كلايد تارنر (لم يكن يسوع ابن الإنسان فحسب ولكنه كان ابن الله)[٣].

فالذى تجسد فى الاعتقاد المسيحى إنما هو ابن الله، لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يخلص البشرية. وقبل أن نفصل القول فى أقوال النصارى فى ألوهية المسيح علينا أن ننظر متى بدأ القول بألوهية المسيح؟

إن الناظر فى العهد الجديد لم يجد كلمة للمسيح يشير فيها إلى ألوهيته.

يقول المسيح عن نفسه كما يروى إنجيل يوحنا (أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله)[٤].

ويقول أيضًا فى الدلالة على أنه رسول من عند الله (الكلام الذى يسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى)[٥] ففيه تصريح بالرسالة وبأن الكلام الذى تسمعونه هو من الله الذى أرسله.

---

(١) عبرانين ٢ : ١٠.
(٢) تجسد الكلمة ص٤٢.
(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٣.
(٤) يوحنا ٨ : ٤٠.
(٥) يوحنا ١٤ : ٢٤.

ويقول أيضًا (هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته)(١).

فعيسى بن مريم لم يدع أنه إله أو ابن إله، وهذا هو الثابت فى العهد الجديد، وهو الثابت أيضًا لدى الباحثين من النصارى.

ففى عام سنة ١٩٢١م اجتمع عدد كبير من رجال الدين فى إكسفورد، ورأس الاجتماع د/ راشدل "أسقف كارليل الذى أذهل خطابه العالم المسيحى، لأنه ذكر أن قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن عيسى إله، وأنه إنسان بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معان. وأهم أقواله فى هذه المؤتمر ما يلى :-

قال: يوجد ضغط متزايد يذهب إلى أنه يجب على رجال الدين المتحررين أن يحددوا أقوالهم، وماذا يعنون على وجه الحقيقة حينما يستخدمون النصوص الموروثة عن ألوهية المسيح، وها هى ذى بعض الأشياء التى لا تعنى ولا يمكن أن تعنى نسبة الألوهية إلى عيسى:

أ ـ لم ينسب عيسى إلى نفسه الألوهية، ومن الجائز أنه سمح لنفسه أن ينادى بالمسيح، ولكنه لا يوجد مطلقًا فى أقواله الثابتة إلا ما يشير إلى أن صلته الشعورية بالله هى صلة إنسان بربه، أما أقوال الإنجيل الرابع التى تذهب إلى أبعد ما تذهب إليه أقوال الأناجيل الثلاثة فلا يمكن النظر إليها على أنها تاريخية.

ب ـ يستتبع الاعتراف بأن عيسى إنسان بكل ما يدل عليه اللفظ وأنه ما هو إلا جسد بشرى أنه روح بشرية عقلاً وإرادة(٢).

وفى هذا المؤتمر افتتح هـ. د. أ. ميجر المناقشة بقوله: يجب أن يكون معروفا بوضوح أن عيسى لم يدع فى الأناجيل أنه ابن الله بالمعنى الجسدى، كما يوحى بذلك القصص عن مولده من عذراء، كما أنه لم يدع أنه ابن الله بالمعنى الميتافيزيقى كما تذهب إلى ذلك عقيدة مجمع نيقية.

---

(١) يوحنا ١٧ : ٣.

(٢) وقال أيضًا: إن ألوهية المسيح لا تستنتج بالضرورة من مولده من عذراء، أو من آية معجزة أخرى، فالمولد من عذراء لا يدل على ألوهية المسيح كما أن عدم إثباته لا يثير الشك فى النظرية. راجع د/ محمد جابر عبد العال: فى العقائد والأديان ص٢٤٩.

وورد فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه: (ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعًا بنسبه العادى ابنا لمريم منسوبًا من جهة الأب إلى يوسف النجار)[١].

ويقول ولز (لا يبرز المسيح دعواه أنه المسيح ولا يضفى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز، ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمرًا فى الدرجة الأولى من الأهمية)[٢].

فالمسيح لم يدع أنه إله، ولو كان المسيح إلهًا كان ولابد أن يبرز ذلك، بل يكون أول وصاياه، لا أن يخفى حقيقة ألوهيته إذا كان إلهًا.

وهناك بعض الأسباب التى أوردها كتاب النصارى لإخفاء المسيح لألوهيته.

أهمها أنه لا يستطيع أحد فهمها إلا بعد قيامة المسيح[٣]، وحتى لا يعرف اليهود ألوهيته حتى يتم الصلب فتتم الكفارة والخلاص.

قال (بفندر) فى كتابه المسمى بـ "مفتاح الأسرار":

إن قلت لِمَ لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر؟ ولم لم يقل واضحًا ومختصرًا أنى أنا الله لا غير؟.

فأجاب بقوله: إنه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والواحدانية قبل قيامه من الأموات وعروجه، فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنسانى وهذا الأمر كان باطلاً جزمًا، فدرك هذا المطلب أيضًا من المطالب التى قال فى حقها لتلاميذه (إن لى أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم عن نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية)[٤].

ثم قال: إن كبار ملة اليهود أرادوا مرارًا أن يأخذوه يرجموه، والحال أنه ما كان بيّن ألوهيته بين أيديهم إلا على طريق الألغاز[٥].

---

(١) راجع محمد عزت الطهطاوى: النصرانية والإسلام ص٤٢.
(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٦٩٣.
(٣) ولقد علقنا على ذلك فى الفصل السابق.
(٤) يوحنا ١٦: ١٢، ١٣.
(٥) نقلاً عن إظهار الحق ص٣٣٣.

يقول رحمت الله الهندى فى تعليقه على هذا: علم من كلامه عذران:

الأول: عدم قدرة فهم أحد لألوهية المسيح قبل العروج - أى قبل قيامة المسيح.

الثانى: الخوف من اليهود

وكلاهما ضعيفان فى غاية الضعف.

أما الأول: فإنه كان هذا القدر يكفى لرفع الشبهه وهو: أن علاقة الاتحاد التى بين جسمى وبين أقنوم الابن فهمها خارج عن وسعكم فاتركوا تفتيشها واعتقدوا بأنى لست إلهًا باعتبار الجسم بل بعلاقة الاتحاد المذكور.

وأما نفس عدم القدرة على فهمها فباقية بعد العروج أيضًا حتى لم يعلم عالم من علمائهم إلى هذا الحين كيفية هذه العلاقة والوحدانية! ومن قال ما قال فقوله رجم بالغيب لا يخلو من مفسده عظيمة.

أما الثانى: فلان المسيح عليه السلام ما جاء عندهم إلا لأجل أن يكون كفارة لذنوب الخلق، ويصلبه اليهود، وكان يعلم يقينا أنهم يصلبونه ومتى يصلبونه فأى محل للخوف من اليهود فى بيان العقيدة؟

والعجب أن خالق الأرض والسموات والقادر على ما يشاء يخاف من عباده الذين هم من أذل أقوام الدنيا، ولا يبين لأجل خوفهم العقيدة التى هى مدار النجاة وعباده من الأنبياء مثل إرميا وإشعياء ويحيى لا يخافون منهم فى بيان الحق ويؤذون إيذاء شديدًا ويقتل بعضهم[1].

فالأسباب التى ذكرها القس تعليلاً لإخفاء المسيح لألوهيته غير مسلم بها.

وهناك سبب آخر ذكره الأنبا ساويرس وهو: أن المسيح أخفى لاهوته، لأنه أراد أن يحتال على إبليس كما احتال إبليس على آدم فى الحية، فلم يظهر لاهوته حتى لا يعرف ذلك إبليس.

يقول (وكما أخفى إبليس روحه عنهم فى حية واحتال عليهم حتى أخذهم بغير قهر، كذلك أخفى ابن الله لاهوته عن إبليس فى جسد إنسان، وفعل كل ما يفعل الإنسان خلا الخطية حتى ظن إبليس أنه إنسان بالحقيقة، ولم يكن قط يفعل قوة

---

(١) إظهار الحق ص٣٣٤.

ليحقق بها لاهوته للناس إلا وفعل لوقته ضعفًا ليخفى لاهوته عن إبليس، إنه فى الوقت الذى يقول فيها كلمة يحقق بها أنه إله يسارع ليقول كلمة بضعف ليخفى لاهوته عن الشيطان، وللوقت الذى يفعل فعلاً يدل على لاهوته يفعل بسرعة فعلاً ليخفى ذلك عن الشيطان، حتى يتيقن الشيطان أنه إنسان ضعيف، وذلك لأنهم لو عرفوا لاهوته لم يصلبوه)[١].

معنى ذلك أن ظهور الابن فى صورة جسدية كان حيلة يحتال بها على إبليس لكى يتم الخلاص بحيلة بمعنى أن هذا الظهور كان حيلة وليس حقيقة هذه واحدة.

وأخرى: هل يجوز على الله الاحتيال؟ على أننا نقول إن معرفة إبليس بأنه ابن الله لا يمنعه من الكيد والتآمر فهذه هى طبيعته ويمكن لإبليس عندئذ أن يشكك الناس فى كونه إلهًا أو ابن إله، وأسباب الشك أقوى من أسباب الإيمان فى تلك الحال. وهى أى أسباب الشك فى كونه إلهًا أو ابن إله واردة سواء اضطلع بها إبليس أو استقل بها العقل البشرى ذاته، إنه مهما يعلن الإله عن نفسه فى جسد، فإن الكثيرين سوف ينكرونه عقلاً أو أبلسة، فمم يخاف ابن الله من الإعلان عن نفسه؟ وإذا أصر على إخفاء حقيقته أو التمويه فيها فيكف يكون البشر بعد ذلك مسئولين عن إدراكها، وكل محاولة لهذا الإدراك سواء عن طريق القيامة أو الروح القدس ـ محوطة بنفس الغموض والتمويه أو أشد؟

فالمسيح لم يقل إنه إله أو ابن إله. وكذلك أيضًا لم يقل الحواريون عنه إنه إله. يقول متى الحوارى فى إنجيله (هو يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل)[٢].

ويقول عنه يوحنا (إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم)[٣].

وغير ذلك من الأدلة التى تدل على أن المسيح بشر مرسل من الله.

(١) الأنبا ساويرس: الدر الثمين فى إيضاح الدين ص٣٧ ـ ٤٣.
(٢) متى ٢١: ١١.
(٣) يوحنا ٦: ١٤.

وإذا لم يقل المسيح أنه إله أو ابن إله فمعنى ذلك أن القول بألوهيته ظهر بعد عصره، ذلك أنه لم يتلفظ بألفاظ تدل على ألوهيته، بل نفى ذلك وقال لهم (إنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى).

ولقد أشار د/ محمد أبو الغيط الفرت إلى أنه بالرغم من أن المسيح لم يقل عن نفسه أنه إله إلا أن الاتجاه إلى تأليهه بذرت بذوره فى عصره.

يقول: لعل القول بألوهية المسيح قد وجدت بذوره الأولى فى حياة المسيح نفسه، فإن المسيحين بل عامة الناس كانوا يعتقدون ألوهية كل من أجرى الله معجزة على يديه. ولعل مما يرشح هذا الرأى أن المسيح فى زمن رسالته قد اعتراه شك فى أن مجتمع الأتباع من غير الحواريين قد شاع بينهم الاعتقاد فى كون المسيح أكثر من إنسان، فأراد أن يختبر إيمان أصحابه فى طبيعته فقال لهم يومًا:

(وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح)[1] فلذلك وعندما اطمأن إلى رسوخ معرفة حقيقته الإنسانية لدى أصحابه رضى جواب بطرس وصيه ورئيس الحواريين وصدقه فى جوابه، وإذا كان فى الإنجيل ما يشعر بشطط بعض العقول فى حقيقته وافتنانهم به لما رأوا ما يجرى على يديه من المعجزات والقوى فقد جاء فى رسالة أعمال الرسل ما يؤكد تلك النزعة المغالية، وهى أن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه خوارق العادات، فجاء فى هذه الرسالة (فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم فى الكلام. فأتى كاهن زفس الذى كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون

---

(١) مرقس ٨: ٢٩.

فى طرقهم)[١] ثم شاعت فكرة تأليه المسيح بعد رفعه بين الفرق المسيحية التى أخذت كل منها تعطى المسيح من فكرها السقيم شكلاً يوائم تصوراتها المشوهة[٢].

ثم يقول (وهكذا نرى أنه قد بذرت البذور الأولى لهذه الفكرة فى حياة المسيح، ولكنه لم يشأ لها أن تخرج إلى الوجود، لأنه عليه السلام قد كبتها ولم يمدها بمقومات الحياة، فأخذت فى الانزواء تغذى جذورها وتترقب الفرص المواتية لها وتطل إلى البروز تبحث عن متعهد لها وينميها بعد المسيح وقد حظيت بالمريدين من بعده ونجحت محاولة ألوهيته التى بدأت فى حياته)[٣].

لقد بين د/ الفرت أن ألوهية المسيح بدأت فى حياته، وذلك لأن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه المعجزات، واستدل على ذلك بما جاء فى سفر أعمال الرسل حيث أطلق الناس على برنابا وبولس أنهما إلهان وذلك بسبب المعجزات التى أجريت على أيديهم.

والقول بأن ألوهية المسيح بدأت فى حياته أو بذرت بذورها الأولى فى حياته فيه نظر، والاستدلال بخوارق العادات على أنها سبب لذلك التأليه فى عصر المسيح وبعده فيه أيضًا نظر.

ذلك أن المسيح رسول من عند الله، كان رسولاً لبنى إسرائيل.

ومعلوم لدى بنى إسرائيل من الأنبياء السابقين أن المعجزات تجرى على يد رسل الله، أى أن إجراء المعجزات على يد المسيح ليس بجديد على البيئة اليهودية حتى يظنوا أنه إله أو ابن إله، وإلا لظنوا الألوهية فى أنبيائهم ورسلهم السابقين الذين أجرى الله على أيديهم المعجزات الكثيرة وهو ما لم يحدث لأى نبى من أنبياء بنى إسرائيل. والدليل على ذلك أن المسيح عليه السلام حين قابل المرأة السامرية وأخبرها بما أخفته قالت له "يا سيد أرى أنك نبى[٤] فلم تقل له إنك إله، رغم أنه قام ببعض الخوارق، مما يدل على أن السائد بينهم أن الأنبياء تجرى على أيديهم المعجزات

---

(١) أعمال الرسل ١٤ : ١١ ـ ١٧.

(٢) د/ محمد أبو الغيط الفرت: عقيدتنا الصلب والتثليث وموقف الإسلام منها، ص ٣٨ رسالة دكتوراة، مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة.

(٣) المرجع السابق ص٣٩.

(٤) يوحنا ٤ : ١٩ "راجع قصة المرأة السامرية فى يوحنا ٤ : ١ ـ ٤٢

والخوارق. ولكن يمكن القول بأن الفكرة التى كانت منتشرة بين المجتمعات اليهودية هو الاعتقاد بظهور مسيح مخلص. ولقد نشأ ذلك ـ كما بينا سابقًا ـ نتيجة لما جاء فى توراة موسى بالبشارة بنبى منتظر، وكان من أهم صفات النبى المنتظر أنه من أولاد إسماعيل ولكن اليهود لحقدهم على أبناء إسماعيل، ونتيجة لضياع التوراة خلال السبى البابلى غير اليهود هذا النبى المنتظر وجعلوه مسيحًا مخلصًا، وجعلوه من أبناء إسحاق، وكان كلما ضاقت بهم السبل وكلما وقع عليهم ألوان التعذيب من الأسر والقتل والتشريد يعاودهم الأمل فى أن يرسل الله هذا المسيح المخلص، ليخلصهم مما هم فيه ويعيدهم إلى حالتهم التى يتمنونها كشعب الله ويعيد إليهم مجدهم وملكهم.

هذه هى الفكرة التى كانت منتشرة بين المجتمعات اليهودية، ولعل المحاورة التى جرت بين المسيح وبطرس والتى جاءت فى كلام د/ الفرت أقرب إلى هذه الفكرة من القول بأن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه المعجزة، ذلك لأن بطرس أجاب على المسيح وقال له (أنت المسيح) معنى ذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه المسيح ـ أى المخلص ـ الذى كانوا ينتظرونه ويأملونه. أو أنهم ـ على الأقل ـ كانوا يتمنون أن يكون هو المخلص. ولكن عيسى بن مريم كما تقول الأناجيل (انتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه)[١] بل "وانتهر بطرس وقال اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"[٢].

انتهر عيسى بن مريم تلاميذه كى لا يقولوا لأحد ولا يعلموا أحدًا أنه المسيح المنتظر ،بل انتهر بطرس أيضًا وقال له اذهب عنى يا شيطان، وعلل ذلك بأنه لا يهتم بما لله أى بما يقوله الله وهو أنه ليس هو المسيح بل يأتى بعده، وإنما يهتم بما للناس من اعتقادهم بأن المسيح من سلالتهم وأن عيسى بن مريم هو المقصود.

فهذه المحاورة تدل على هذا الاعتقاد أكثر من القول بأن الناس كانوا يعتقدون ألوهية من تجرى على يديه خوارق العادات، ويدل على ذلك ما جاء فى إنجيل

---

(١) مرقس ٨ : ٢٠.
(٢) مرقس ٨ : ٣٣.

يوحنا عن يوحنا المعمدان، فحين وجده الناس كان أول سؤال له هل أنت المسيح؟ فقال لهم لست أنا المسيح، وبين لهم أن المسيح يأتى بعده[١] وعيسى بن مريم ليس بعد يوحنا وإنما هو معاصر له فتبين أيضًا أنه ليس عيسى بن مريم.

وأما استدلال د/ الفرت بما وقع لبولس وبرنابا حين أطلق الناس عليها أنهما إلهان نتيجة لأنهما قاما بعمل بعض الخوارق.

فإننا نقول فى هذا الاستدلال: إن هذه الحادثة حدثت بعد عصر المسيح وفى بيئة غير يهودية. لأنه حدث فى إيقونية[٢] وهى إحدى مدن آسيا الصغرى التى كان أهلها من اليونانيين الأصليين الذين يؤمنون بألوهية البشر، واليهود اليونانيين أى اليهود الذين بقوا فى بلاد اليونان بعد فترة السبى وتأثروا بفترة السبى وبأفكار اليونانيين.

يقول شارل جنيبير (لقد قارن العهد الأول لقيام المسيحية قيام عدد معين من الآلهة التى كانت تحتل مكان الصدارة فى الحياة الدينية فى الشرق الآسيوى من بحر إيجة إلى ما بين النهرين)[٣].

وإذا كان الأمر كذلك فليس غريبًا أن يحدث ما حدث لبولس وبرنابا من ادعاء الناس أنهما إلهان نتيجة لإجراء بعض الخوارق، ذلك لأنه حدث فى بيئة تؤمن بألوهية البشر، ولأنه حدث بعد أن بدأ القول بألوهية المسيح.

وعلى ذلك فإن القول بأن ألوهية المسيح بدأت فى حياته أو بذرت بذورها الأولى فى حياته قول غير مسلم به لدينا.

ولكن القول الصحيح أن ألوهية المسيح بدأت بعد حياة المسيح، وتدرجت ونمت بعد ذلك حتى أصبحت ـ العقيدة الأولى فى المسيحية.

ولقد كانت الأحداث التى تعرضت لها المسيحية فى عصورها الأولى بعد المسيح بداية للقول بالألوهية.

---

(١) راجع يوحنا ١ : ٢٠ ـ ٢٧.

(٢) إيقونية مدينة فى جنوبى الجزء الأوسط من آسيا الصغرى، وكانت أصلاً مدينة فى فريجية، ولكن ضمها الرومان إلى ليكأونية، وكانت على الطريق التجارى بين أفسس وسوريا. وقد نادى بولس وبرنابا بالإنجيل فى إيقونية فى رحلتهما التبشيرية الأولى وقد آمن كثيرون من اليهود اليونانيين أ. هـ قاموس الكتاب المقدس ص١٤٢.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٠ ، ٧١.

ذلك أن البيئة اليهودية ـ كما قلنا سابقًا ـ تأمل فى عيسى بن مريم أن يكون هو المسيح المنتظر، الذى يعيد إليهم ملك آبائهم وأجدادهم، ويعيد لهم السيطرة على الأمم والبلاد المجاورة، ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل حين وجدوا هذا الذى أملوا فيه أن يكون هو المنقذ حين وجدوه يصلب ـ على حسب اعتقادهم ـ ويعذب، ولم يفعل لهم شيئًا ولم يعد لهم ملكًا ولا سلطانًا، وهنا بدأ القوم يفكرون هل تنتهى حياة المسيح عند هذا الحد وهو لم يفعل لهم شيئًا. هذه واحدة.

والأخرى أن بعض الأشخاص بدأوا يدخلون المسيحية بأفكارهم الوثنية، وبدأوا يدعون الناس إلى الإيمان بالديانة المسيحية بعد أن خلطوا أفكارهم الوثنية بها، وادعوا أن المسيح عيسى بن مريم إنما وقع له ما وقع من الصلب والتعذيب لأنه هو الإله المخلص الذى نزل وتجسد من أجل البشر.

وكان أول هؤلاء الأشخاص هو (بولس) ـ وكما قلنا سابقًا ـ كان من أشد أعداء المسيحية، وفجأة وبدون مقدمات انقلب فجأة إلى المسيحية، وكان أول تعليم له كما جاء فى سفر أعمال الرسل أن المسيح ابن الله، حيث إنه بينما كان يسير فى الطريق إلى دمشق ومعه فئة من المسيحيين ليسلمهم إلى رؤساء الكهنة حدث أنه وقع له بعض الأحداث التى جعلته يدخل إلى دمشق يكرز ويبشر ويدعو المسيح ابن الله. يقول سفر الأعمال (وللوقت جعل يكرز فى الجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة. وأما شاول ـ بولس ـ فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققًا أن هذا هو المسيح)[1].

فكان أول تعليم له أن المسيح ابن الله، وكان يركز فى بداية دعوته بين اليهود على القول بأن عيسى بن مريم هو المسيح المنتظر، أى أنه هو المنقذ الذى كانوا ينتظرونه، ولما كانت الأحداث التى وقعت للمسيح ـ على حد قولهم ـ من الصلب والتعذيب تجعل قبول هذه الفكرة غير لائق كان لابد من تدعيم لهذه الفكرة. فكان القول بأن هذا الشخص جاء ليخلصهم لا من الخضوع للسلطان الأجنبى وإنما

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٢ ـ ٢٢.

لخلاصهم من الخطايا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنهم لما كانوا يؤملون فى هذا المخلص أن يحييهم حياة الرفاهية والسعادة فإن بولس بين لهم أن السعادة والرفاهية إنما هى فى الحياة الأبدية التى جاء المسيح من أجلها، فكان القول بأن المسيح عيسى بن مريم شخص غير عادى، لأنه ابن الله الذى جاء ليخلصهم وينالوا الحياة الأبدية التى فيها السعادة الأبدية.

يقول بولس (دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس)[١].

ويقول "المسيح مات من أجل خطايانا"[٢].

ويقول (متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة)[٣].

ويقول (وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا[٤] ويقول (هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا)[٥].

ما أن خرج بولس بهذه الأفكار ـ فى بداية الأمر ـ حتى وجد صدودًا من جانب اليهود، بل امتد الأمر أن تشاوروا على قتله، لماذا؟ لأنهم وجدوا أن هذه المعتقدات ليست هى معتقدات السيد المسيح ولا معتقدات التوراة التى بأيديهم. يقول سفر الأعمال (ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه فعلم شاول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الأبواب أيضًا نهارًا وليلاً ليقتلوه)[٦].

بل إن التلاميذ خافوا منه فى أول الأمر.

يقول سفر الأعمال (ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع)[٧].

(١) رومية ٥ : ١٢.
(٢) ١ـ كورنثوس ١٥ : ٣.
(٣) رومية ٣: ٢٤.
(٤) رومية ٦ : ٢٣.
(٥) رومية ٥ : ٢١.
(٦) أعمال الرسل ٩ : ٢٣.
(٧) أعمال ٩ : ٢٦ ، ٢٧.

وهنا نقول: هل كان مصدر خوف التلاميذ منه أنهم غير مصدقين أنه تلميذ أم أنه كان هناك شيء آخر وهو المعتقدات الجديدة التى بدأ يقول بها ويدعو إليها؟

فى نظرنا كان التلاميذ يخافونه ويخافون من معتقداته الجديدة لذلك كان الجواب لهم (أنه أبصر الرب وكلمه) وكأن هذا الجواب يقول لهم: لا تخافوا منه ومن معتقداته فالرب كلمه ومادام الرب كلمه فإنه راض عنه وعن معتقداته.

يقول د/ أحمد السقا: وبعد رفع عيسى نادى بولس بأن عيسى هو المسيح المنتظر وزعم أنه ينادى لا من تلقاء نفسه بل إن المسيح ظهر له فى الرؤيا وأمره بأن ينادى فى الناس بأن عيسى كان هو المسيح[١].

يقول د/ سعد الدين صالح "خرج بولس بصورة جديدة عن المسيح، حاول أن يعرضها على يهود أورشليم ولكنهم رفضوها، لأنهم وجدوا فيها انحرافا عن دعوة عيسى عليه السلام، أما عن هذه الصورة الجديدة فهى تتمثل فى إظهار عيسى عليه السلام فى صورة المخلص للعالم أجمع من الخطايا والذنوب بدلاً من أن يكون مخلصًا لليهود من الأسر والتشريد، كما صوره فى صورة الإله الذى انزل من السماء وتجسد وأكل وشرب ومات على الصليب من أجل خطايا البشر لكى تروق الفكرة فى أذهان أصحاب الثقافات الرومانية واليونانية وأمم الشرق الآسيوى القديمة التى كانت تعتقد اعتقادات قريبة من ذلك.

وقد نتج عن هذه الصورة الجديدة انحراف تام عن العقيدة التى جاء بها عيسى بن مريم"[٢].

ولما لم يجد بولس لمعتقداته أرضا خصبة خرج إلى مجتمعات أخرى والتى كان أصحابها من اليهود الذين تشتتوا فى بلاد اليونان فى فترات السبى وبقوا فى هذه البلاد بعد رجوع اليهود إلى بلادهم وهؤلاء كان تعصبهم ليهوديتهم أقل من اليهود الآخرين.

وخرج أيضًا إلى المجتمعات اليونانية والرومانية التى ليس لها رصيد فى الأديان سوى ما شاع عن الآلهة الوثنيين المنقذين، وكانت معتقدات بولس بين هؤلاء أكثر

---

(١) من مقدمة د/ أحمد السقا لكتاب الإعلام للقرطبى ص٣٦.

(٢) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص٥٦.

قبولاً، لأن معتقداتهم ـ كما سنبين فى الحكم على عقيدة الخلاص ـ كانت قريبة إلى حد بعيد من هذه المعتقدات.

أما عن موقف الحواريين من هذه المعتقدات فإنهم رفضوها.

يقول شارل جنيبير (لا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم يستنكفون كثيرًا من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها ترددًا قويًا)[(١)].

"إن معظم الحواريين الذبن شاهدوا عيسى وسمعوا منه العقيدة الصحيحة قد رفضوا أفكار بولس وحدث بينه وبينهم خلاف لدرجة أن بولس حكم عليهم بالكفر، وهذا ما يتبين لنا من خلال رسالته إلى أهل غلاطية والتى يحذر فيها أتباعه من قبول أى تعاليم وآراء مخالفة لتعاليمه حتى لو أتى بهذه التعاليم ملاك من السماء، وكل من يبشر بما يخالف تعاليم بولس فهو كافر محروم من الجنة يقول بولس (إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما)[(٢)] أى محروم من الجنة[(٣)].

ولكن لأن هؤلاء قلة بينما كان أتباع بولس هم الكثرة الكثيرة كتب لآراء بولس أن تكون هى عقائد الديانة المسيحية والتى أهمها القول بألوهية المسيح.

ولقد حمل أتباع بولس هذه المعتقدات وأضافوا إليها ما وجدوه مطابقًا لهذه المعتقدات والتى اعتبرت فيما بعد أسس المسيحية الحالية.

يقول د/ أحمد شلبى: إن صراعًا ضخمًا قام بين بولس وأنصاره وبين المسيحيين الحقيقيين.

وقد طال مدى هذا الصراع وامتد قرونًا بعد وفاة بولس ونتائج هذا الصراع كانت مطابقة للعقل والمنطق، ففى جانب بولس كانت قلة محدودة جدًا من المثقفين المسيحيين وكثرة ساحقة من الجماهير، وكان جانب المسيحيين الحقيقيين بالعكس كان معهم جماهير المثقفين وقلة قليلة من العامة.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٤.

(٢) غلاطية ١ : ٨.

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ص٥٧.

أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه، وابتداء من القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييدًا صريحًا لاتجاهات بولس وإلزامًا للناس باتباعها[١].

على أن هناك سببًا آخر لبقاء معتقدات بولس هو بقاء كتابات بولس دون كتابات الحواريين وأسبقيتها على الأناجيل الحالية.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى (إن بولس الرسول هو أول من دون رسائل)[٢].

يقول الأستاذ/ محمد الطهطاوى إن الكاتب الكبير (كالتوف) أبان بأن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب، لذلك نراه يقول (إن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل)[٣].

لقد ظل الصراع بين المسيحيين الحقيقيين وأتباع بولس زمنًا طويلاً، ولكن فى النهاية كانت الغلبة لآراء بولس، لأنها تتمتع بالأغلبية الغالبة بجانب أن اعتقادات وآراء بولس سبقت كتابة الأناجيل الحالية.

بينما آراء المسيحيين الحقيقيين قد طواها النسيان، لأنها لم تدون، أو دونت وضاعت وفقدت. وفى النهاية نجد الطبقة الحاكمة الوثنية ـ بطبيعة الحال ـ تميل لآراء بولس لذلك كان لها دخل كبير فى تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

وهكذا ننتهى إلى القول بأن ألوهية المسيح بدأ بعد حياة المسيح وكان على يد بولس الذى كان من ألد أعداء المسيحية.

وكان تقرير ألوهية المسيح فى القرن الرابع الميلادى فى مجمع نيقية تقريرًا لأفكار ومعتقدات بولس.

لا تقريرًا للعقيدة التى جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١١٣.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٨٤.

(٣) محمد عزت الطهطاوى: النصرانية والإسلام ص٣٩.

دعائم النصارى فى دعوى ألوهية المسيح

لقد كان التبشير بالمسيحية فى بيئة غير يهودية ـ على يد بولس ـ أكبر الأثر فى تحوير أفعال المسيح وتحويلها من معجزات وأفعال تدل على أنه رسول من عند الله إلى خوارق تخرجه عن إنسانيته وبشريته إلى ألوهيته وجعلوا هذه الخوارق أدلة وبراهين على ألوهيته:

أولاً: الميلاد العذراوى:

إن الأناجيل تروى لنا أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار وقبل أن يتصل بها حملت بعيسى بن مريم. يقول متى (أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس)[(١)] ولقد كان ميلاد المسيح من عذراء منفذًا للقول بتأليهه، فمادام أنه قد ولد دون أب فلابد أن الله أبوه وأنه ليس من جنس الناس[(٢)].

يقول لوقا على لسان جبريل عندما بشر مريم بغلامها: (الروح القدس تحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك المولود منك يدعى ابن الله)[(٣)].

ويقول يسى منصور "لو لم يولد المسيح (عيسى) من عذراء لكان مجرد إنسان...... فابن الله الأزلى يليق به فى حالة تأنسه أن يولد ميلاد عذراويًا)[(٤)] فولادة المسيح من عذراء تدل على كونه ابن الله الأزلى.

ويقول إبراهيم لوقا: ولقد اتخذت المسيحية منذ بداءتها ذلك الميلاد العجيب برهانًا على لاهوت المسيح وهى فى هذا لم تنحرف عن جادة الصواب. فالشخص الذى يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصًا خرج عن دائرة البشر[(٥)].

ويقول جون ستوت: إن الحمل والقيامة المعجزين كانا مما يتلائم ونسبة اللاهوت إلى المسيح[(٦)].

---

(١) متى ١ : ١٨.
(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٨٤.
(٣) لوقا ١ : ٣٥.
(٤) يسى منصور: بيان الحق جـ٢ ص١٢٤.
(٥) المسيحية فى الإسلام ص١٢٩.
(٦) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها، ترجمة: نجيب غالى ص٦٧.

فالاعتقاد السائد بين المسيحيين أن ولادة المسيح من عذراء برهان على ألوهيته بل ويقولون إن هذا الميلاد هو الواجب فى تجسد المسيح.

يقول أنسلموس اللاهوتى: فلننظر الآن فيما إذا كان من الواجب أن يتخذ الله الطبيعة البشرية من أب وأم نظير جميع الناس، أو يتخذها من رجل بدون امرأة، أو من امرأة من غير رجل لأنه أية حالة أخذها من هذه الحالات الثلاث يكون بها من آدم وحواء اللذين منهما كل البشر من الجنسين، وليس حالة من هذه الثلاث أسهل على الله من الآخرين ليفضلها ويتخذ منها ناسوته.

ولكن لا حاجة إلى جهد كبير لبيان أن ولادة ذاك الإنسان الفادى من رجل وحده أو من امرأة وحدها أطهر وأزكى من ولادته من كليهما باقتران الجنسين كما هو شأن بنى البشر كافة.

إن الله قادر أن يصنع الإنسان على أربعة أنواع، من رجل وامرأة كما هو الشأن الجارى، أو من غير رجل ولا امرأة كما صنع آدم، أو من رجل بلا امرأة كما صنع حواء، أو من امرأة من غير رجل الأمر الذى لم يكن قد صنعه إلى ذلك الحين، فلكى يتحقق أن هذا الوجه الأخير هو تحت سلطانه تعالى وأنه جدير بهذا العمل لاق أن يتخذ هذا الإنسان الذى هو موضوع بحثنا من امرأة وحدها، وأما من حيث مناسبة مجيئه من عذراء أو من ثيب فليس من لزوم للجدال فيه إذ أنه يتسير لنا أن نثبت إثباتًا لا ريب فيه أنه يقتضى ألا يولد الإله المتأنس إلا من عذراء[1].

فولادة المسيح من عذراء تتفق فى نظرهم مع كونه إلها متجسدًا، فالإله المتجسد يجب أن يولد من عذراء. وسنترك التعليق على الاستدلال بالميلاد على ألوهية المسيح إلى نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

ثانيًا: معجزات المسيح:

لقد أجرى الله على يد المسيح بعض المعجزات التى تثبت دعواه للنبوة والرسالة والتى هى بمثابة قول الله صدق عبدى فيما يبلغ عنى.

تلك سنة الله فى خلقه، إنه سبحانه إذا أرسل رسولاً أيده بالمعجزات والخوارق التى تؤيده فى دعواه.

---

(١) لماذا تجسد الكلمة ص٥٦.

ومعجزات المسيح كما وردت فى الأناجيل تتلخص فى: إحياء الموتى ـ شفاء المرضى ـ إخراج الشياطين ـ تسكين العاصفة ـ وغير ذلك من المشى على الماء، وإشباع الجياع.

واستكمالاً للفائدة العلمية نورد لكل معجزة فقرة من الأناجيل توضحها.

❖ **أما بالنسبة لإحياء الموتى:** فلقد ورد فى إنجيل يوحنا أنه أقام لعازر من قبره بعد موته بأربعة أيام.

ولعازر رجل من بيت عنيا، كان يسكن مع أختيه مرثا ومريم، وكان موضع محبة أختيه، وبعد أن مات لعازر بأربعة أيام جاء يسوع وأقامه.

يقول يوحنا "فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة. وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما. فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته. وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت. فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى. لكنى الآن أيضًا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه. فقال لها يَسوع سيقوم أخوك"[(١)] ......

ثم مضت ودعت أختها مريم سرًا قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك، أما تلك فلما سمعت قامت سريعًا وجاءت إليه. ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا. ثم إن اليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين إنها تذهب إلى القبر لتبكى هناك فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى. فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب. وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وانظر. بكى يسوع. فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه. وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضًا لا يموت، فانزعج يسوع أيضًا فى نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر. قال يسوع ارفعوا الحجر. قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد

---

(١) يوحنا ١١ : ١٧ ـ ٢٣.

أنتن لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله. فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعًا **ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت** لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجًا. فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب[(١)].

فالمسيح أحيى الميت لعازر وأقامه من موته بعد أربعة أيام من موته.

ويلاحظ أن المسيح قبل أن يحيى لعازر رفع نظره إلى السماء ودعا الله أن يؤيده بالمعجزة.

❖ **أما بالنسبة لشفاء المسيح للمرضى** فإنه يتمثل فى إبراء الأكمه والأبرص وشفاء الأخرس والمجانين وفتح أعين العميان.

وإبراء الأكمه يتضح مما روى فى الأناجيل عن المفلوج الذى أبرأه المسيح، ذلك أنه بينما المسيح يتجه إلى بلدة كفر ناحوم (وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحًا على فراش. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بنى. مغفورة لك خطاياك. وإذا قوم من الكتبه قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف. فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم. أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك. أم أن يقال قم وامش. ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج. قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك. فقام ومضى إلى بيته. فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانًا مثل هذا)[(٢)].

فالمسيح قد شفى هذا المفلوج من مرضه وقال له قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك.

ويلاحظ أن الجموع نتيجة لقيام المسيح بهذه المعجزة تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانًا مثل هذا، أى لم ينسبوا للمسيح عمل هذه المعجزة بل لله سبحانه وتعالى.

---

(١) يوحنا ١١ : ٢٨ ـ ٤٤.

(٢) متى ٩ : ٢ ـ ٨، ومرقس ٢ : ١ ـ ١٢، لوقا ٥ : ١٧ ـ ١٦ والرواية هنا (لمتى).

وإبراء الأبرص فإنه يتضح مما ورد فى روايات الأناجيل عن المسيح حين نزل من الجبل وتبعه جموع كثيرة (وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرنى. فمد يسوع يده ولمسه قائلاً أريد فاطهر وللوقت طهر برصه)[١].

فالرواية تبرز أن المسيح طهر المريض بالبرص من مرضه وشفاه.

أما بالنسبة لشفاء المسيح لمن أصيب بالعمى فإن الأناجيل تروى أيضًا روايات كثيرة منها: ما روى فى إنجيل متى عن الأعميين اللذين تقدما إلى المسيح وقالا له: "ارحمنا يا ابن داود. ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان. فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا. قالا له نعم يا سيد. حينئذ لمس أعينهما قائلاً بحسب إيمانكما ليكن لكما. فانفتحت أعينهما. فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد. ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها"[٢].

وعن شفاء الخرس والمجانين جاء فى إنجيل متى بعد الفقرة السابقة:

(وفيما هما ـ الأعميان ـ خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه. فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس)[٣].

وكذلك ما روى عن شفاء المسيح للمجنون الأعمى الأخرس (أحضر إلى المسيح مجنون أعمى وأخرس. فشفاه حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر)[٤] وغير ذلك مما روى فى الأناجيل والتى يظهر فيها قدرة المسيح على عمل المعجزات من شفاء الأخرس والأعمى وإبراء الأكمه والأبرص.

ولقد قلنا سابقًا فى الباب الأول ـ إن روايات الأناجيل تظهر أن مثل هذه الأمراض تكون بسبب أن الشياطين قد دخلت فى الإنسان فسببت هذه الأمراض، وعلى هذا فإن الاستشهادات السابقة تدل أيضًا على معجزة إخراج الشياطين من الناس، لأن المريض يذهب مرضه بمجرد خروج الشياطين من جسده، ويدل عليه ما جاء عقب كل معجزة للمسيح من شفاء نوع من أنواع المرضى على لسان اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح.

---

(١) متى ٨: ١ ـ ٤، مرقس ١ ـ ٤٠ ـ ٤٥، لوقا ٥: ١٢ ـ ١٦ والرواية هنا (لمتى).
(٢) متى: ٩: ٢٧ ـ ٣١.
(٣) متى: ٩: ٣٢، ٣٣.
(٤) متى ١٢: ٢٢.

(أما الفريسيون[(١)] فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين) متى ٩: ٣٤، ١٢: ٢٤.

وأيضًا ما جاء من أن المسيح حينما ذهب إلى بيت بطرس أحضر إليه الناس كثيرين من المسكونين بالشياطين فكان يطرد الشياطين بكلمة منه وشفى المرضى جميعًا[(٢)] فطرد المسيح الشياطين من أجساد المرضى فشفوا جميعًا.

ومن الأمثلة على معجزة إخراج الشياطين من المجانين ما روى من أن المسيح لما رأى أن الناس فى كفر ناحوم احتشدوا حوله حين رأوه يشفى المرضى من أسقامهم أمر تلاميذه أن يعبروا إلى الضفة المقابلة. ولما وصل إلى الضفة المقابلة فى بلدة الجدريين[(٣)] استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدًا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق وإذا هما قد صرخا قائلين مالنا ولك يا يسوع ابن الله. أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟ وكان بعيدًا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى.

---

(١) الفريسيون أو الربانيون: هى أكبر الفرق اليهودية وأكثرها عددًا كما أنها من أقدم الفرق وجودًا، وقد أطلق عليها اسم (الفريسيون) وهو لفظ عبرى يعطى معنى التميز والفرز كما يعطى معنى الانفصال والبعد عن الغير ويذهب جمهور الكاتبين إلى أنهم إنما سموا بهذا الاسم نظرًا لأنهم كانوا مفروزين من الشعب متميزين عنه وذلك بسبب القداسة التى كانت صفة بارزة لهم والتى كان الشعب يصفهم بها ويحترمونهم من أجلها. وهناك من يرى أنهم سموا بهذا الاسم لأنهم انشقوا عن الشعب وابتعدوا عنه واعتزلوه، فأطلق عليهم الأعداء هذا الاسم استنكارًا لعملهم وكراهية له. ولكن هذه الفرقة لا ترضى عن هذه التسمية ولا تحبها فلا يحبون اسم الفريسيين ويطلقون على أنفسهم اسم "الربانيين" أو "الأحبار"، وأصحاب هذه الفرقة يرون أنهم على الحق وأن من عداهم على الباطل، وهم يتصفون بالكبر والتعالى على الغير لذلك كانوا يزدرون الشعب ويتعالون عليه، ومع ذلك فإن العامة من الشعب تقدسهم وتحترمهم وترى لهم المنزلة العالية حتى أنهم قالوا: لو ذهب إلى السماء شخصان فقط لابد أن يكون أحدهما فريسيًا.
ويرى الفريسيون: أن التوراة قديمة وأن الأسفار الخمسة كانت موجودة منذ الأزل، وأنها كانت مدونة فى ألواح مقدسة، وأن الشريعة اليهودية لا تقتصر على هذه الأسفار الخمسة التى نزلت على موسى عليه السلام، وإنما هناك مصادر أخرى للشريعة اليهودية وهى الشروح والمواعظ التى قام بها علماؤهم جيلاً بعد جيل، ومن هذه الشروح تكون ما يسمى (بالتلمود)... إلى غير ذلك من آرائهم. راجع د/ عوض الله حجازى: مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) متى ٨: ١٦ ـ ١٧. مرقس ١: ٣٢ ـ ٣٤. لوقا ٤: ٤٠ ـ ٤١.

(٣) الجدريون: هم أهل جدرة المعروفة الآن باسم أم قيس الواقعة جنوب شرقى بحر طبرية. ويصفها يوسابيوس بأنها واقعة شرق الأردن مقابل طبرية. أ. هـ راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٥٢ وهم المذكورون فى إنجيل متى بـ "الجرجسيين".

فالشياطين طلبوا إليه قائلين إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا. فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه. أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنوني.ن فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم(١).

❖ **أما معجزة تسكين العاصفة** فقد جاء عنها أن المسيح حين خرج من كفر ناحوم ورأى الجموع التفت حوله ركب هو وتلاميذه السفينة ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه. وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة. وكان هو نائمًا. فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فإننا نهلك. فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان، ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم. فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا. فإن الرياح والبحر جميعا تطيعه(٢).

❖ ومن معجزات المسيح التى وردت فى الأناجيل ما روى عنه أنه أشبع الجموع الكثيرة بطعام قليل وذلك حين سمع بأن هيردوس ألقى القبض على يوحنا المعمدان وقطع رأسه وقدمها هدية إلى هيروديا زوجة فيلبس: ما أن سمع المسيح ذلك حتى ركب قاربًا ورحل على انفراد إلى موضع خلاء إلى مكان مقفر "فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيرًا فتحنن عليهم وشفى مرضاهم. ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى. اصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما. فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا. فقالوا له ليس عندنا هنا سوى خمسة أرغفة وسمكتان. فقال ائتونى بها إلى هنا. فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب. ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة. والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد"(٣).

---

(١) راجع متى ٨: ٢٨ ـ ٣٤. مرقس ٥: ١ ـ ٢٠. لوقا ٨: ٢٦ ـ ٣٩.

(٢) راجع متى ٨: ٢٣ ـ ٢٧. مرقس ٤: ٣٥ ـ ٤١. لوقا ٨: ٢٢ ـ ٢٥.

(٣) متى ١٤: ١٣ ـ ٢١. مرقس ٦: ٣٠ ـ ٤٤. لوقا ٩: ١٠ ـ ١٧، يوحنا ٦: ١ ـ ١٤.

فالمسيح أشبع الخمسة آلاف من الرجال وغيرهم من النساء والأولاد بخمسة أرغفة وسمكتين بل وبقى منهم ما ملأ اثنتى عشرة قفة.

❖ **أما معجزة مشى المسيح على الماء** فإنها على حسب ترتيب الأناجيل لحياة المسيح ـجاءت بعد معجزة إشباعه للجموع الكثيرة، فبعد أن أطعم المسيح الجموع الكثيرة ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة، ويسبقوه إلى الضفة المقابلة من البحيرة، حتى يصرف الجموع، وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردًا ليصلى، ولما حل المساء كان هناك وحده.

وأما سفينة التلاميذ فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الأمواج. لأن الريح كانت مضادة. وفى الربع الأخير من الليل جاء إليهم يسوع ماشيًا على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشيًا على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال. ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلاً تشجعوا. أنا هو. لا تخافوا. فأجابه بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى إليك على الماء. فقال تعال فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يا رب نجنى. ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الإيمان لماذا شككت، ولما دخلا السفينة سكنت الريح. والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله[1].

هذه بعض المعجزات التى وردت فى الأناجيل والتى أجريت على يد المسيح.

ولقد كانت معجزات المسيح بابا آخر نفذت منه دعوى القول بتأليهه. فمادام يشفى المرضى والأوجاع، ويرد البصر والحياة، ويأتى بالخوارق التى يعجز عنها سائر البشر، فلاشك أنه ليس إنسانًا عاديًا، وإنما هو إله أو ابن الله نزل من السماء وأتى إلى الأرض يعرض على الناس ملكات الآلهة وقدرتها على البشر[2].

فلقد اعتقد النصارى أن معجزات المسيح تدل على ألوهيته.

يقول إستفانوس: والمعجزة هى التى أظهرت مجد المسيح فوق كل آلهة البشر[3].

---

(١) متى ١٤: ٢٢ ـ ٣٣. مرقس ٦: ٤٥ ـ ٥٢. يوحنا ٦: ١٥ ـ ٢١.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٨٧.

(٣) من أقوال إستفانوس فى كتيب خاص عنه فى عيد استشهاده ص٥٠.

ويقول القس جورج خورى: ثم استمر المسيح فى إعلان قوته الإلهية وسلطانه السماوى فى شفاء المرضى وفى فتح أعين العمى وفى إعانة من كانوا فى محن قاسية وإنقاذهم منها[١].

ويقول جون ستوت: إن معجزات المسيح لم يقصد منها بتاتًا أن ينبهر بها الناس، ولم تستخدم كوسيلة للتأثير على الناس... أو لتكون أسلوبًا من أساليب إخضاع الناس، كما لم تكن مطلقًا مظهرًا لقوة بدنية خارقة أو لقدرة ذهنية ساحقة.. وإنما كانت القيم الحقيقية للمعجزات فى دلالتها على السلطان الروحى الذى لصانع المعجزة وهو الرب المخلص يسوع[٢].

فالنصارى يعتقدون أن المعجزات تدل على قوة المسيح الإلهية، ومادامت تدل على ألوهيته فهى تدل على أنه هو المسيا المخلص.

يقول د/ فهيم عزيز: إن معجزات المسيح هى علامة على أن ملكوت الله قد أقبل... ومعجزات المسيح علامة على مجيء العصر الجديد وظهور الملكوت الذى ظل العهد القديم كله يستعد له[٣].

ويقول: "ما المعجزات سوى علامة على أن يسوع هو المسيا الملك"[٤].

أى أن معجزات المسيح تدل على أن عصر المسيح هو عصر الملكوت، أى أن المسيح هو المخلص الذى بشرت به الكتب.

ويعتقد النصارى أن معجزات المسيح تختلف كل الاختلاف عن معجزات الأنبياء السابقين، لأن المسيح كان يفعل المعجزات بقوته وسلطانه ولاهوته، بينما كان الأنبياء السابقون يفعلونها بقوة الله لا بقوتهم الشخصية.

يقول القس إنسطاسى شفيق: وقد فعل جميع هذه العجائب بقوته وسلطانه بخلاف الأنبياء الذين كانوا يعملون جميع عجائبهم باسم الرب، وأما هو فكان يعملها باسمه[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٨٦٨.
(٢) المسيحية فى جوهرها ص٤٥.
(٣) د/ فهيم عزيز: ملكوت الله ص١٨٤.
(٤) نفس المرجع ص١٨٥.
(٥) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٦٠.

وجاء فى كتاب (ما معنى المسيح ابن الله؟): ومعروف أن كل نبى أرسله الله إلى هذه الأرض أجرى المعجزات، لكنه لم يفعلها بقوته الشخصية بل بقوة الله، أما المسيح فقد أجرى هذه المعجزات بقوة لاهوته[١].

وجاء أيضًا "أن المسيح بوصفه الله أقام الموتى بسلطانه الذاتى، وليس كالأنبياء فى العهد القديم أو الرسل فى العهد الجديد، فإن هؤلاء وأولئك أقاموا الموتى بإذن الله، وأيضًا نتيجة استجابة الله لطلباتهم بقصد أن يتمجد الله وحده، أما المسيح فبكلمة قدرته قال لابنة يايرس "يا صبية لك أقول قومى. وللوقت قامت الصبية ومشت"[٢] كما قال لابن أرملة نايين "أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم"[٣].

أيضًا قال للعازر "لعازر هلم خارجًا فخرج الميت من قبره"[٤].

كما يؤكد الرب يسوع المسيح سلطانه على إحياء الناس فى قوله (لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء)[٥] إن الرب يسوع له السلطان المطلق كالله أن يحيى من يشاء بحسب مشيئته الشخصية مبرهنًا بذلك أن الله صاحب السلطان المطلق والمشيئة الذاتية المطلقة.

فضلاً عما تقدم فقد أعطى المسيح تلاميذه الاثنى عشر سلطانًا على إقامة الموتى، لكننا لم نسمع من قبل عن نبى من الأنبياء استطاع أن يعطى سلطانه المعطى له من الله لإنسان آخر (دعا يسوع تلاميذه الاثنى عشر وقال لهم اشفوا المرضى، طهروا برصًا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا)[٦] وبناء عليه أقام بطرس طابيثا وبولس أيضًا أقام شابًا سقط من الطابق العلوى[٧].

---

(١) ما معنى المسيح ابن الله؟ ص٢٨ ، ٢٩.
(٢) مرقس ٥ : ٤١ ، ٤٢.
(٣) لوقا ٧: ١٤ ، ١٥.
(٤) يوحنا ١١ : ٤٣ ، ٤٤.
(٥) يوحنا ٥ : ٢١.
(٦) متى ١٠ : ٨.
(٧) أعمال الرسل ٩: ٤٠ ،٢٠: ٩ ـ ١١.

هذه المعجزات ما كانت إلا دليلاً على الجانب الإلهى فيه[١].

فمعجزات المسيح ـ كما يقولون ـ ليست كمعجزات الأنبياء السابقين. لأن المسيح كان يقوم بها بقدرته وبقوة لاهوته، وذلك بخلاف الأنبياء السابقين فإنهم كانوا يفعلونها بإذن الله. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: فإن المسيح أعطى سلطانه لتلاميذه، بينما لم يعط أحد من السابقين سلطانه لتلاميذه، فأقام بطرس وبولس الأموات، لأن المسيح أعطاهم سلطانه على إجراء المعجزات.

وهل بولس من التلاميذ الاثنى عشر الذين أعطوا سلطانًا على إجراء الخوارق؟

الحق لا، فإن المسيح حدد الاثنى عشر تلميذًا الذين لهم سلطان ففى إنجيل متى: "ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانًا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف. وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه. الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه، فيلبس وبرثولماوس، توما، ومتى العشار. يعقوب بن حلفى، ولباوس الملقب تدّاوس، سمعان القانونى، ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه"[٢].

وإذا لم يكن بولس من تلاميذ المسيح الذين أعطوا سلطانًا على إجراء المعجزات فكيف أجراها؟

وهل أعطى المسيح سلطان إجراء المعجزات لرسله باعتباره رسولاً معلمًا أم باعتباره إلهًا؟ الحق أن الأناجيل تبين أن المسيح طلب من تلاميذه أن يلتجأوا إلى الله ويطلبوا منه أن يعطيهم القدرة على إجراء المعجزات لأن القوم كثيرين. يقول متى (وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها. ويكرز ببشارة الملكوت. ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب. ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها. حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده"[٣] بعد أن طلب

---

(١) ما معنى المسيح ابن الله ص٤١ ـ ٤٣.

(٢) متى ١٠ : ١ ـ ٤ راجع أيضًا. مرقس ٣: ١٣ ـ ١٩، لوقا ٦ : ١٢ ـ ١٦.

(٣) متى ٩ : ٣٥ ـ ٣٨.

المسيح من تلاميذه أن يدعوا الله ويطلبوا منه المعونة بعدها أرسل المسيح تلاميذه وأعطاهم سلطان الله، وهذا يدل على أن المسيح أعطاهم سلطان إجراء المعجزات باعتباره رسولاً من الله لا باعتبار أنه هو الله وإلا ما فائدة قول المسيح (اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده).

والخلاصة: أن النصارى يعتقدون أن معجزات المسيح تدل على سلطانه الروحى وقوته الإلهية وأنه قادر ـ بهذه القدرة الإلهية ـ أن يفعل المعجزات وذلك بخلاف الأنبياء السابقين الذين كانوا ينسبون القدرة إلى الله سبحانه وتعالى.

وسنناقش هذه الأقوال فى نهاية الفصل إن شاء الله.

أهمية كون المسيح إلهًا بالنسبة للخلاص المسيحى

إن الخلاص المسيحى يقوم على أساس أن المخلص لابد أن يكون إلهًا، ذلك أنه لا يستطيع أحد ـ فى نظرهم ـ أن يقوم بالخلاص سوى الله عز وجل، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بالفداء عن الخطية من نفسه لأنه خاطىء بطبيعته، ولا يستطيع غير الإنسان ـ من المخلوقات ـ أن يقوم بهذه الفداء، لأن الواجب أن يكون المخلص له سلطان على الخطية وذلك لا يتوافر إلا فى الله عز وجل، كما أن قيام الله عز وجل بالخلاص هو منتهى الرحمة ـ كما يقولون ـ وعدم الظلم لأحد.

يقول عوض سمعان: لا يستطيع فداءنا إلا الله وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصًا نظيره لأن المخلوق يكون محدثًا والمحدث لا يكون مثل الأزلى إذ ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير عنا، كما أننا لو فرضنا جدلاً أن الله خلق شخصًا نظيره ليقوم بهذه المهمة يكون قد ظلم هذا الشخص وعاقبه بأفظع عقوبة دون ذنب جناه، أما إذا قام تعالى بفدائنا بنفسه لا يكون قد ظلم أحدًا أو قسا عليه، بل يكون قد أظهر منتهى الرحمة والمحبة لنا الأمر الذى هو خليق به[1].

ويسأل أنسلموس اللاهوتى سؤالاً ويجيب عليه فيقول:

لو قيل إن كان من الممكن أن يكون ذلك الخلاص بواسطة شخص غير الله من ملاك أو إنسان بأية طريقة وجدت لكان العقل يقبل ذلك بأكثر سرعة وأسهل فهم إذ

---

(١) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٩.

أنه تعالى كان يستطيع أن يخلق إنسانًا بدون خطية من غير الجبلة البشرية الخاطئة كما خلق آدم أو على كيفية أخرى وكان بذاك الإنسان يتم عمل الفداء؟

ويقول فى الجواب: ألا تعلم أن ذاك الذى يفدى الإنسان من الموت الأبدى يكون من حقه السيادة عليه فيصبح الإنسان ملكًا له شرعيًا، فلو كان الإنسان افتدى بمخلوق لما تيسر للإنسان إذ ذاك أن يسترد المقام الجليل الذى أضاعه بسقوطه فى الخطية، إذ أنه عوضًا عن أن يكون عبدًا للخالق وحده ومساويًا فى كل شىء للملائكة المقربين يغدو عبدًا للشخص الذى افتداه أى لمن هو ليس بإله(١).

فأهمية كون المسيح إلهًا بالنسبة للخلاص المسيحى أنه لا يستطيع أن يقوم بالخلاص سوى الله عز وجل الذى يستطيع أن يقوم بالفداء على أكمل وجهه.

ولا يستطيع آخر أن يقوم بهذه المهمة.

يقول القديس إثناسيوس الرسولى: لم يكن مستطاعًا لأحد آخر أن يرد البشر عن الفساد الذى بدأ غير كلمة الله الذى خلقهم أيضًا من البدء(٢).

وهكذا تظهر أهمية كون المسيح إلهًا بالنسبة للخلاص المسيحى.

كيفية التجسد

لقد تبين مما سبق أن تجسد المسيح يعنى أن الله تجسد، أى أخذ جسدًا بشريًا، وهذا يدعونا إلى بحث كيفية هذا التجسد، أى كيف اتصل اللاهوت بالناسوت فأصبح هذا المتجسد إلهًا حقًا، وإنسانًا حقًا.

وبداية نقول: إن تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية فى القرن الرابع الميلادى بين النصارى الذين يؤمنون بهذه العقيدة سبب كثيرًا من الاختلافات والاضطرابات فى العقيدة النصرانية حتى الآن.

حيث إن تقرير ألوهية المسيح لم يكن عملاً سهلاً بل عملاً معقدًا سبب كثيرًا من الاختلافات والاتجاهات لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب بل بين الجماعات التى اتفقت على المبدأ واعتنقته ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا أوجدت هذه المشكلة مجالاً للتفريق بينهم.

---

(١) لماذا تجسد الكلمة؟ ص٧.

(٢) تجسد الكلمة ص٤٢.

وكان مصدر هذه الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير فى طبيعة المسيح، للتوفيق بين الألوهية التى صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقادًا ملزمًا، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشى على الأرض وكان يأكل كما يأكل الناس ويتحدث كما يتحدثون، وكان على العموم إنسانًا فى مظهره على الأقل[١].

فكان تقرير ألوهية المسيح مثار اختلاف كبير حيث لم يتفقوا على كنه هذا التأليه، وعلى طبيعة هذا الإنسان المؤله... هل هو من طبيعة إلهية خالصة؟ أم من طبيعة إحداهما إلهية والأخرى إنسانية؟ وهل امتزجت هاتان الطبيعتان فى عيسى أم احتفظت كل منها بخواصها ومزاياها؟ وما نتيجة هذا الامتزاج على فرض حدوثه؟ هل تمخض عن طبيعة نصفها إلهى ونصفها إنسانى أم تولدت عنه طبيعة مغايرة تمامًا عن كلا الطبيعيتين الإلهية والإنسانية.

أسئلة كثيرة حول عيسى جرها القول بتأليهه، أسئلة اختلفت فى الإجابة عليها دعاة التأليه أنفسهم وانقسموا بينهم شيعًا وأحزابًا وتناثروا مذاهب وطوائف[٢].

ويرجع هذه الاختلافات إلى القرون الأولى لتقرير ألوهية المسيح.

ومبدؤها حين أنكر (نسطور) بطريرك القسطنطينية أن السيدة العذراء والدة الإله. لقد رأى نسطور أن هناك أقنوما وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الآب وتنسب إليه وطبيعة الإنسان وقد ولدت من مريم، فمريم أم الإنسان وليست أم الإله.

ويقول فى المسيح الذى ظهر بين الناس وخاطبهم كما نقله عنه ابن البطريق:

(إن هذا الإنسان الذى يقال إنه المسيح بالمحبة متحد مع الآب، ويقال إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة).

ويظهر من هذا أن المسيح الذى ظهر بين الناس لم يكن إلهًا بحال من الأحوال ولكنه مبارك بما وهبه من آيات وتقديس، ولذا جاء فى تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصه: أما هرطقة نسطور فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف فى عقائد وضعها الآباء والأحبار، بل هى جوهرية تختص بأعظم موضوعات الإيمان والأركان فى الدين المسيحى، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهًا فى حد

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١٨٩.
(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٨١.

ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرًا إدًّا.

على هذا التخريج يكون نسطور لا يعتقد بألوهية المسيح وإن كان يعتقد أنه فوق الناس وليس مثلهم[١].

يقول منسى يوحنا عن عقيدة نسطور: ما أن جلس على الكرسى القسطنطينى حتى أخذ يعلم أنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى أم الله بل والدة المسيح الإنسان، وقصد بذلك أن يمهد السبيل إلى إنكار ألوهية المسيح الذى قسمه إلى شخصين معلمًا أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط.

وصرح مرة فى خطبة قائلاً (كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس) وقال أيضًا (كيف يكون لله أم؟ فإذاً يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأمهات آلهتهم فى ملاعبهم وقد كتب الرسول عن لاهوت المسيح أنه بلا أب ولا أم ولا ميلاد، إن مريم لم تلدا إلهًا بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا أو ما يولد من الروح فهو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنسانًا آلة للاهوت)[٢].

ويقول (ومؤدى هرطقة نسطور إنكار ألوهية السيد المسيح، وابتدأ فيها بإنكار كون السيدة العذراء والدة الإله)[٣].

ولقد نادى نسطور بهذه الآراء وجهر بها، وكان مؤدى أفكار نسطور إنكار ألوهية المسيح من ناحية أنه بين أن العذراء مريم أم المسيح.

ولا يصح أن نطلق على مريم أم الله، وأن المسيح لم يكن إلهًا فى حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة.

"وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثانى وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين، بل كان يرى أن مريم ولـدت الإنسان فقط ثم اتحد ذلك الإنسان

---

(١) راجع: محاضرات فى النصرانية ص١٦٢.

(٢) القس/ منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٥٧.

(٣) المرجع السابق ص٢١٦.

بعد ولادته بالأقنوم الثانى، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئًا واحدًا أو ذلك الاتحاد ليس اتحاد حقيقيًا بل كان اتحادًا مجازيًا، لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزله الابن، وهذا التخريج لاشك يؤدى إلى أن المسيح الذى خاطبهم وكلمهم وحوكم وعوقب فى زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهى قط فلم يكن إلهًا ولا ابن إله"[١].

هذا مؤدى أفكار نسطور والتى قال النصارى عنها إنها تعنى إنكار ألوهية المسيح[٢] لذلك عندما جهر نسطور بهذه الأفكار خالفه غيره من البطاركة.

وكان نتيجة لذلك أن عقد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م والذى قرر كما يقول ابن البطريق:

أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد فى الأقنوم، وحكم باللعن على نسطور[٣].

ولكن قرارات هذا المجمع لم ترق فى أعين أساقفة الإسكندرية فعقدوا مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م تحت لواء ديسقورس بطريرك الإسكندرية فى تلك الفترة وقرر فيه أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأن العذراء ولدت الإله ولذلك تدعى أم الإله.

يقول منسى يوحنا عن أهم قرارات هذا المجمع "كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محرومًا"[٤].

وبسبب قرارات هذا المجمع سعى أسقف روما إلى عقد مجمع يناهض قرارات مجمع أفسس الثانى، فانعقد المجمع أولاً فى مدينة القسطنطينية. وقد حضر البابا (ديسقورس) بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته. وذلك للنظر فى قضية هل للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية أو طبيعة واحدة.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص١٨٨.
(٢) وإنكار ألوهية المسيح يعنى رفض تعاليم الخلاص المسيحية القائمة على كون المخلص إلهًا. علم اللاهوت النظامى ص٣٥٣.
(٣) راجع محاضرات فى النصرانية ص١٦٣.
(٤) تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٢٩.

يقول بطريرك الإسكندرية: هما طبيعتان فى طبيعة واحدة إنهما اللاهوت والناسوت التقيا فى المسيح ويسمى هذا المذهب بمذهب الطبيعة الواحدة.

بينما تقول كنيسة روما بالطبيعتين فهو إله من طبيعة أبيه، وهو بشر من طبيعة أمه(١).

وبسبب حدة الاختلافات وشدتها أمر الإمبراطور (مركيانوس وزوجة الإمبراطور بوليخريا) بانتقال المجمع من مدينة القسطنطينية إلى مدينة خليقيدونية واجتمع فى سنة ٤٥١م.

وكان أهم نتائج هذا المجمع: للمسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها التقيا فى المسيح.

لعن ديسقورس وكل من يشايعه فى مقالته ونفيه إلى فلسطين.

إبطال قرارات مجمع أفسس الثانى المنعقد بتاريخ سنة ٤٤٩م(٢).

وقد قال ابن البطريق فى بيان قرار المجمع "قالوا: إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد، ولعنوا نسطور، ولعنوا ديسقورس ومن يقول بمقالته ونفوه، ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسس وقد نفى ديسقورس إلى فلسطين"(٣).

(وهكذا نرى انشقاقاً بين المسيحية المثلثة واختلافًا يكون بعيد المدى فى الأجيال المقبلة وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان إحداهما إنسانية يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتية، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين. وهو بذلك يخالف النسطوريين لأنهم يقولون: إن أقنوم الابن لم يكن من العنصرين بل من العنصر الإنسانى وحده، ويخالف قرار أفسس الثانى الذى يقول إن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ومن مريم العذراء مصيرًا هذا الجسد معه واحدًا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٢٣٥.
(٢) المرجع السابق ص٢٣٦.
(٣) محاضرات فى النصرانية ص١٦٥ ـ ١٦٦.

والاستحاله بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة)[١].

وبسبب القرارات التى أصدرها هذا المجمع ظلت الكنيسة القبطية (المصرية) إلى الآن لا تعترف بقراراته، ولا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك[٢].

وقد وافقت الكنيسة القبطية[٣] فى القول بالطبيعة الواحدة كنائس الشرق، وأطلق عليها عامة الكنيسة الشرقية أو الأرثوذكسية.

---

(١) المصدر السابق ص١٦٦.

(٢) تاريخ الأقباط جـ١ ص١٧٦ ـ ١٧٧.

(٣) ويقصد بالكنيسة القبطية الكنيسة المصرية التى انفصلت عن كنيسة روما بسبب مجمع خليقدونية المنعقد سنة ٤٥١م. وقد برز من دعاتها لمذاهبها فى الطبيعة الواحدة (يعقوب البرادعى) وفد على مصر فى أيام البابا بطرس الرابع كان كثير العبادة والزهد ولا يلبس سوى خرق البرادع فسمى "البرادعى" ويلقب بالزنولى ولد فى بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلا من الرها بمقاطعة إيطاليا فى أواخر القرن الخامس الميلادى ونشأ أولا فى دير بالقرب من الرها يدعى دير الشقوق. وبعد وفاة أسقف هذه المدينة رسم أسقفا عليها سنة ٥٤١م، وأخذ يجول فى البلاد الرومانية ليدافع عن الطبيعة الواحدة وقد رفع عن كاهل من يؤمنون بالطبيعة الواحدة كثيرًا مما يتعرضون له. راجع تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٧٣ ويكره القبطيون إطلاق لفظ اليعقوبية عليهم نسبة إلى يعقوب البرادعى.

لذلك يقول منسى يوحنا: ويدعى المؤرخون اللاتين والأروام أن أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة قد أكرموا "يعقوب" المذكور بتسميتهم يعاقبة باسمه ولذلك دعا الخليكيدونيوس ـ أى الذين يؤمنون بمعتقد مجمع خلكيدونية أى أصحاب مذهب الطبيعتين ـ الكنيسة القبطية بالكنيسة اليعقوبية وهو قول ملقى على عواهنه ويدل على جهل قائله إذ لا توجد علاقة بالمرة بين الكنيسة القبطية ويعقوب، كما أن يعقوب لم يكرز فى مصر بل كرز فى الولايات الأخرى

ويظهر أن الخلكيدونين قصدوا بإطلاق لقب (اليعقوبية) على الكنيسة القبطية أن ينتقموا لأنفسهم منها لأنها أطلقت عليهم لقب (الملكيين) ولكن لسنا ـ القول لازال لمنسى يوحنا ـ بمخطئين فى تسمية الرومانية بالكنيسة الملكية لأنها انحازت إلى الملك الإمبراطور الرومانى مذهبًا وسياسة، وأول من أطلق اسم اليعاقبة هو أفتيخوس بطريرك الملكيين فى القرن العاشر ولكنه أطلقه على السريان الذين كانوا خاضعين رسميًا ليعقوب البرادعى، ولما نشرت كتابات أفتيخوس بين الإفرنج ورأى بعض مؤرخيهم أن تعاليم الأقباط لا تختلف عن تعاليم السريان فخرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأى إلى تسمية باليعاقبة. ا. هـ

تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٧٤.

ويقول: (كل أقوال المؤرخين فى هذا الشأن ـ أى فى تسمية الكنيسة القبطية باليعاقبة ـ مردودة إذ قد التبس عليهم وجه الصواب لاسيما وأن البابا ديسقورس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول بمصر ولا كرز يعقوب البرادعى بمصر رادًا الأقباط إلى مذهب الطبيعة الواحدة بل كانوا هم المتمسكين به دون غيرهم ولم يعرف الأقباط منذ أول عهدهم بالمسيحية إلى اليوم إلا بالأقباط الأرثوذكس وكنيستهم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. المرجع السابق ص٢٧٥.

وعلى ذلك فمن الخلط إطلاق لفظ يعقوبيين على الكنيسة القبطية المصرية، لأن مذهبها نشأ قبله وهو تبعه إذ لا علاقة لها بيعقوب (راجع محاضرات فى النصرانية ص١٦٨).

أما القول بالطبيعتين فهو اعتقاد كنسية روما، وتبعتها فى ذلك كنائس الغرب. وسميت كنيستهم بالكنيسة الغربية أو الكاثوليكية[١].

وهذا الاختلاف يعنى أن المسيح المتجسد إما أنه ذو طبيعة واحدة اتحد فيها اللاهوت والناسوت، أو أنه ذو طبيعتين وأن بين الطبيعتين اتحادًا لا يقبل الانفكاك. وهذا يعنى أن كيفية التجسد تختلف من كنيسة لأخرى.

فتجسد المسيح على القول بالطبيعة الواحدة يعنى أن اللاهوت اتحد بالناسوت فصارا طبيعة واحدة ونتج عنه أن فى المسيح طبيعة واحدة مؤلفة من الطبيعتين ـ اللاهوت والناسوت.

يقول أسبيرو جبور: تلاقت الطبيعتان فى أقنوم ابن الله السرمدى[٢].

بمعنى "أن يسوع اتخذ طبيعة بشرية وجعل أقنومه الإلهى أقنومًا. لقد صار الإله إنسانًا والإنسان إلهًا، الكلمة صار جسدا والجسد صار كلمة بفضل الاتحاد الأقنومى، الذى يعنى أن أقنوم الابن اقتنى الناسوت ملكًا خاصًا به يؤلف معه أقنومًا معه"[٣] فاللاهوت اتحد بالناسوت فى الطبيعة الواحدة.

يقول أفلاطون مطران موسكو: إن هاتين الطبيعين قد اتحدتا فى مسيح واحد[٤].

---

(١) لقد انقسمت الكنيسة بالفعل حين ثار الاختلاف حول طبيعة المسيح هل هى واحدة أم طبيعتان؟ ولكن إتمام الانقسام النهائى والإدارى إلى كنيسة شرقية وغربية كان بسبب الاختلاف حول (انبثاق الروح القدس هل هو من الآب أو من الابن) قال بطريرك القسطنطينية: إن الروح القدس انبثق من الآب وحده.
بينما قال بطريرك روما: إن الروح القدس انبثق من الآب والابن.
وبسبب هذا كان الانقسام النهائى والإدارى للكنيسة إلى شرقية أرثوذكسية وغربية كاثوليكية، والسمة الأولى للكنيسة الأرثوذكسية ـ الطبيعة الواحدة، وللكاثوليكية القول بالطبيعتين. يقول القس صموئيل مشرقى (وقد بدأ الخلاف بالأكثر فى مجمع خليكدونية المنعقد سنة ٤٥١م بالجدل الذى ثار حول موضوع الطبيعتين والمشيئتين فى السيد المسيح وكان لإضافة لفظ انبثاق الروح القدس من الابن (وليس من الآب فقط) بعدئذ إلى قانون الإيمان الأثر الحاسم فى إتمام الانفصال بين الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية) أ. هـ
راجع المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٧.

(٢) سر التدبير الإلهى من المنشورات الأرثوذكسية ص١٣٣.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٩٠.

ويقول حبيب جرجس: إن فادينا العظيم قد تنازل من سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسدًا حقيقيًا بنفس عاقلة ناطقة فحُمل به بقوة الروح القدس فى بطن القديسة الطاهرة مريم آخذا كل مالنا ماعدا الخطيئة[١] وهذا يعنى أن مريم ولدت يسوع الإله المتجسد.

"فالذى ولدته لا إلهًا بالإطلاق ولا إنسانًا بالإطلاق ولا إلهًا وإنسانًا بل إلهًا متأنسًا"[٢].

أما عن نوعية هذا الاتحاد: فيقول أسبيروجبور: "لم يمتزجا وإنما اتخذ الابن طبيعة أخرى لم تكن له من قبل، هى طبيعتنا البشرية بدون أن يطرأ عليه أى تغيير أو تحوير فضمها إلى أقنومه، كان قبل التجسد كلمة إلهيا بلا جسد، بعد التجسد صار كلمة متجسدًا. طبعًا بقى اللاهوت كما هو بدون تغيير"[٣].

"فاتحد اللاهوت بالناسوت وباتحادهما معًا بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتا واحدة جوهرًا واحدًا طبيعة واحدة"[٤].

وهذه الأقوال توحى بالتناقض الغريب؛ إذ كيف يتحد اللاهوت بالناسوت ويصيرا طبيعة واحدة بدون امتزاج ولا اختلاط!!

إنهم يقولون إن مريم ولدت الإله المتجسد بطبيعة واحدة بعد أن اتحد فيه اللاهوت والناسوت، فكيف يصح القول بأن هذه الطبيعة اتحدا فيها اللاهوت والناسوت بدون امتزاج ولا اختلاط؟ وكيف هى طبيعة واحدة بدون هذا الامتزاج.؟

وإذا لم يكن هذا الاتحاد بالامتزاج والاختلاط فما كيفيته؟

أما عن كيفية هذا الاتحاد: فيقول أسبيروجبور: ليست كيفية الاتحاد خلطًا للطبيعتين كما نخلط الحبوب ونثرات المعادن، وليست مزجًا كما نمزج الحليب بالماء، وليست تجاورًا كما يتجاور الزيت والماء فى إناء واحد دون تفاعل بين المادتين.

---

(١) حبيب جرجس: خلاصة الأصول والإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٢٨.
(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٥٩.
(٣) سر التدبير الإلهى ص١٣٤.
(٤) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٣٠.

لقد شبهه أوريجنيس وسواه باتحاد النار بالفحم أو الحديد.

فالنار لا تتحول إلى فحم أو حديد، ولا هذان يتحولان. ولكن الفحم والحديد ـ يكتسبان من النار حرارتها وتألقها وتغلغل النار إلى أجزائها كافة. وهذا تشبيه ناقص.

وشبهه كثيرون (ومنهم كيرللس الإسكندرى) باتحاد النفس والجسد فى الإنسان وهذا أيضًا تشبيه ناقص.

لا شيء فى الكون يصلح لإعطاء صورة تامة عن كيفية اتحاد الطبيعتين نستطيع أن نقول إنهما لم تختلطا لم تتحولا.. لم.. لم.. لم.

كل هذا تعريف بالسلب لا بالإيجاب. يسوع علمنا أنه وحده يعرف[1] الآب لا نعرف عنه إلا ما يجود به على عقلنا القاصر ويبقى إيماننا أقوى من عقلنا على اليقين الراسخ والاعتقاد الثابت بما كشفه لنا يسوع[2].

وهذا يعنى أن العقول لا تستطيع أن تفهم كيفية هذا الاتحاد ولم يجدوا مناصًا لكى يخرجوا من هذا المأزق أن يقولوا إنه بطريقة سرية لذلك يقول أحدهم: (اتحدت طبيعته الإنسانية بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تدرك، ومن اتحاد الطبيعتين صار شخص واحد هو المسيح الإله الإنسان معًا، فهو ليس مسيحين بل مسيحًا واحدًا)[3].

والخلاصة: أنهم يعتقدون أن المسيح اتحد فيه اللاهوت والناسوت بطريقة سرية لا تدرك، ولا يستطيع العقل فهمها. ولكن هذا الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط، ونتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة لها صفات اللاهوت والناسوت.

يقول أسبيروجبور: يقول أصحاب الطبيعة الواحدة (الأقباط والسريان والأرمن والأحباش) بوجود طبيعتين متحدتين بطبيعة واحدة تجتمع فيها جميع الصفات والخصائص الإنسانية أو الناسوتيه وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية، بدون

---

(١) كان يمكن أن يقال إن يسوع وحده يعرف، لو أن يسوع هو الذى نطق بهذا الكلام، لكن الذى نطق به غيره ويسوع برئ منه.

(٢) سر التدبير الإلهى ص١٣٦.

(٣) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٨٩.

امتزاج وبدون تغيير وبدون استحالة والأقنوم واحد وهو أقنوم كلمة الله المتجسد.

لا يؤمنون بطبعية واحدة إلهية صرفة كما يشاع عنهم، بل بطبيعة واحدة إلهية لها صفات اللاهوت والناسوت[١].

وهذا الاعتقاد كما ترى كلام لا يعقل لم يستطع أهله تفسيره، فكيف يؤمنون به ويدعون الناس إلى الإيمان به وهم لا يفهمونه؟

إذ كيف يعقل أن يتحد اللاهوت والناسوت؟ وكيف يعقل اتحاده بدون امتزاج وينتج عنه طبيعة واحد؟ وكيف يعقل أن ينتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة دون أن يحدث أى تحول أو تغير؟

إذ كيف يجتمع فى هذه الطبيعة هذا النقيض الهائل من اللاهوت والناسوت؟



أما كيفية التجسد عند القائلين بالطبيعتين:

فإنهم يقولون إن فى المسيح طبيعتين ـ وهما اللاهوت والناسوت ـ وهاتان الطبيعتان باقيتان فى المسيح عن طريق الاتحاد بالتجسد.

يقول إلياس مقار: إن المسيح ذو طبيعتين تامتين كاملتين إذ هو إله تام وإنسان تام اتحدا فى شخصه الواحد بالتجسد[٢].

فالمسيح ـ فى نظرهم ـ له جميع صفات الناسوت وجميع صفات اللاهوت معًا فى شخص واحد أى (أن الجوهرين المجموعين فى شخصه ـ الناسوت واللاهوت ـ طبيعتان ممتازتان وأنهما متحدتان اتحادًا لا يقبل الانفكاك)[٣].

أما كيفية هذا الاتحاد:

جاء فى علم اللاهوت النظامى (أن اتحاد طبيعتى المسيح لا يقوم بمزجهما وحدوث طبيعة ثالثة ليست هى ناسوتًا ولا لاهوتًا محضًا بل طبيعة مؤلفة منهما، لأن

(١) سر التدبير الإلهى ص١٠٢.
(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص١١٥.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص٧٧٨.

ذلك من المستحيل لسبب أن خواص الطبيعتين متباينة، وكما أنه لا يمكن أن يكون من مزج العقل والمادة جوهر جديد ليس هو عقلاً ولا مادة لأن ذلك من باب التناقض، هكذا لا يمكن الطبيعتين البشرية والإلهية أن يمتزجا وينتج منهما طبيعة ثالثة لأن الطبيعة الإلهية ممتازة عن الطبيعة البشرية ولا يمكن مزجها.

نعم إن المسيح هو إله وإنسان معًا، ولكن ذلك باعتبار شخصه لا باعتبار طبيعته، فإن الطبيعة الإلهية ـ باقية عن الطبيعة البشرية ولو اتحدتا فى شخص واحد، لأنه لا يمكن جعل المحدود غير محدود أو غير المحدود محدودًا، ولا يمكن جعل الله إنسانًا ولا جعل الإنسان إلهًا، وإنما يمكن وجود شخص واحد له طبيعة إلهية وبشرية معًا بشرط أن تكون الطبيعتان متحدتين لا ممتزجتين فيه[1].

وخلاصة ما تقدم: "أن كلا من طبيعتى المسيح باقية على حدة غير أنهما متحدتان فى شخصية واحدة، وكما أن الجسد البشرى يحفظ كل خواصه المادية والنفس تحفظ كل صفاتها الروحية فى اتحادهما فى شخص واحد، كذلك اللاهوت والناسوت يحفظ كل منهما خواصه فى اتحادهما فى شخص المسيح، فينتج من ذلك أن للمسيح مشيئة بشرية ومشيئة إلهية معًا، فله مشيئة محدودة ومشيئة غير محدودة، وقدرة محدودة وقدرة غير محدودة معًا، وحكمة بشرية قابلة للنمو وحكمة إلهية كاملة، وكل ذلك سر بعيد عن الاستقصاء ولكن ليس بأكثر خفاء من اتحاد العقل والمادة فى بنيتنا البشرية"[2] فالطبيعتان متحدتان فى المسيح ـ وهذا الاتحاد ليس عن طريق الامتزاج ـ وكل طبيعة محافظة على خواصها وصفاتها حيث "إنه لم تنتقل صفات إحدى الطبيعتين للأخرى ذلك أن انتقال صفات الطبيعة الواحدة إلى الأخرى مردود، لأنه يسبب تغيرًا فى جوهر الطبيعتين المستقلة كل منهما عن الأخرى، فإذا انتقلت مثلاً الصفات الإلهية إلى الطبيعة البشرية لم تبق طبيعة بشرية وبالعكس، وهذا يعنى أن طبيعة المسيح البشرية بقيت على حالها بعد التجسد وأن الطبيعة الإلهية بقيت إلهية"[3].

---

(١) المرجع السابق ص٧٧٩.
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٣) المرجع السابق ص ٧٧٩، ٧٨٠.

فكيفية التجسد عند القائلين بالطبيعتين تتلخص فى النقاط التالية :.

١ ـ أن فى المسيح طبيعتين ـ اللاهوت والناسوت ـ وأنهما متحدتان اتحادًا لا يقبل الانفكاك أو الانفصال.

٢ ـ أن هاتين الطبيعتين غير ممتزجتين امتزاجًا يتكون منه طبيعة ثالثة متميزة عن كل منهما، بل إن كل واحدة منهما حافظة لكل خواصها.

٣ ـ أنه لم تنتقل صفة من الطبيعة الإلهية إلى البشرية، وبالأولى لم تنتقل صفة من الطبيعة البشرية إلى الإلهية، أى الناسوت فى المسيح لم يصر إلهًا واللاهوت صار ناسوتًا.

٤ ـ أن اتحاد الطبيعتين ليس على سبيل حلول الطبيعة الإلهية فى بنية بشرية بل على سبيل اتحاد شخص نشأ منه أن المسيح شخص واحد بطبيعتين ممتازتين إلى الأبد، أى أنه هو إله وإنسان فى وقت واحد[1].

وهذه الأقوال كما ترى مليئة بالتناقض الغريب، إذ كيف يكون الشخص غير محدود ومحدودا فى الوقت نفسه؟ كيف يكون إلهًا وإنسانًا فى الوقت ذاته؟ كيف يكون قادرًا وغير قادر فى آن واحد؟

وسنناقش هذه الأقوال فى نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

أسباب تجسد المسيح

كان تجسد المسيح فى المسيحية لسببين:

السبب الأول: وهو أن المسيح تجسد من أجل الخلاص.

(فإن الله لأجل فداء البشرية ـ كما يقولون ـ بذل ابنه الوحيد الذى أتى إلى العالم ليخلصنا من خطايانا، واشترك فى اللحم والدم لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت ـ أى إبليس ـ ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية)[2].

---

(١) المرجع السابق ص٧٨٠.

(٢) عبرانيين ٢ : ١٥. راجع علم اللاهوت النظامى ص٧٩١.

يقول أسبيروجبور: (فما هو سر التجسد؟ إنه سر الحبل بابن الله فى أحشاء العذراء وذلك أن الابن الأقنوم الثانى ضم إلى أقنومه الإلهى طبيعتنا البشرية من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا)[١].

ويقول القس صموئيل حبيب: (جاء يسوع فى جسد الخطية ليفتدى الخطاة)[٢].

ويقول أفلاطون مطران موسكو: (المسيح تأنس لكى يصير بين يدى الآب السماوى مخلص هو نفس الإنسان الذى خطىء والذى أخذ هو طبيعته ولولا التأنس لاستحال ذلك). قال بولس (لأنه جعل الذى لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه)[٣]،[٤].

فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح تجسد من أجل أن يقدم نفسه فداء ليخلص البشرية مما علق بها من خطية آدم.

يقول إثناسيوس الرسولى: إن المسيح تجسد لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر إذ مات الكل فيه لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر الذين ناب عنهم.

ولكى يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار[٥].

أى أن المسيح تجسد ليخلصهم من لعنة الناموس الذى يقضى بأن الذى يخطىء ملعون ويهلك، ولما كان البشر خاطئين باعتبارهم قد ورثوا معصية آدم فتجسد المسيح لكى يبطل هذه اللعنة ويرفع عنهم هذا الهلاك، أى يخلصهم من لعنة الناموس التى لصقت بهم نتيجة لمعصية آدم.

---

(١) سر التدبير الإلهى ص٩٧.
(٢) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٣٩.
(٣) ٢ كورنثوس ٥ : ٢١.
(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٨٨.
(٥) تجسد الكلمة ص٣٨.

ولما كانت الخطيئة قد أحدثت فسادًا بالبشر فإن المسيح بتجسده أبطل هذا الفساد وأعاد البشر إلى الله سبحانه وتعالى.

أى أن المسيح تجسد من أجل أن يخلص البشر من الخطية وما أحدثته، أى من الخطية ومن آثارها ونتائجها.

يقول القس إنسطاسى شفيق: إن المسيح جاء إلى العالم لكى يخلص الخطاة وأن الله أرسله إلى العالم الأثيم الشقى الهالك لكى يفتديه ويخلصه، ولأجل إبراء الإنسان كان من الواجب أن ينزل إلى الإنسان فى مكان إقامته لكى يسكن معه كما قال يوحنا (الكلمة صار جسدًا وحل بيننا)[١].

فالمسيح تجسد من أجل الخلاص وهذا هو السبب الأول.

السبب الثانى للتجسد: وهو التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته

يعتقد المسيحيون أن هناك سببا آخر للتجسد وهو إعلان الله عن ذاته، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف الله معرفة حقيقة من نفسه ولكن بتجسد كلمة الله.

يقول القديس إثناسيوس الرسولى بعد أن يذكر السبب الأول: سبب آخر للتجسد: إذ عرف الله أن الإنسان بطبيعته لم يكن فى مقدوره معرفته وهبه معرفته، لكى يستطيع أن يجد فائدة من وجوده فى الحياة.

لقد خلقه على صورة (الكلمة)، حتى يستطيع بذلك أن يعرف (الكلمة)، وبه يعرف الآب[٢].

ويقول (وعندما خلق الله الضابط الكل الجنس البشرى بكلمته ورأى ضعف طبيعتهم وأنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها، أو تكون أية فكرة عن الله على الإطلاق، لأنه بينما هو - أى الله - غير مخلوق فقد خلقت الكائنات من العدم، وبينما هو روح لا جسد له فقد خلق البشر بطريقة أدنى فى الجسد، ولأن المخلوقات لم تستطع بأى حال أن تدرك وتعرف خالقها.

---

(١) يوحنا ١ : ١٤ راجع الفداء فى إنجيل لوقا ص١٤٩.

(٢) تجسد الكلمة ص٣٧ - ٣٨.

لهذا تحنن الله على الجنس البشرى على قدر صلاحه ولم يتركهم خالين من معرفته، لئلا يروا أن لا منفعة على الإطلاق من وجودهم فى الحياة[١].

ويقول (لأنه أية منفعة للمخلوقات إن لم تعرف خالقها؟ أو كيف يمكن أن تكون عاقلة بدون معرفة "كلمة" و"فكر" الآب الذى أوجدهم فى الحياة؟ لأنه إن كانت كل معلوماتهم محصورة فى الأمور الماضية فلا شىء يميزهم عن البهائم العديمة النطق.

نعم ولماذا خلقهم الله لو كان لا يريدهم أن يعرفوه؟[٢].

فالإنسان لا يستطيع أن يعرف الله فإذا لم يستطع معرفة الله فلماذا خلق؟

يقول (وتفاديا لهذا أعطاهم الله بصلاحه نصيبًا من صورته ـ ربنا يسوع المسيح ـ وخلقهم على صورته ومثاله حتى إذا ما رأوا تلك الصورة أى كلمة الآب استطاعوا أن يكونوا فكرة عن الآب وإذا ما عرفوا خالقهم عاشوا الحياة الحقيقية السعيدة المباركة)[٣].

من أجل هذا تجسد المسيح لكى يستطيع الإنسان أن يعرف الله إذ بالمعرفة يحيا الإنسان الحياة الحقيقية السعيدة.

فالإنسان بطبيعته لا يستطيع أن يعرف الله ولا يستطيع أن يكون فكرة عن الله، لأن الله غير مخلوق بينما الإنسان قد خلق من العدم.

ولما كان الإنسان لا يستطيع بطبيعته أن يعرف الله، فإن الله برحمته أرسل ابنه ليعلن للناس عن ذاته (ولكى يستطيع ابنه المخلص نفسه بحضوره المنظور أن يجذب الناس إليه ويبلغهم من فمه الأقدس إرادة الآب السماوى ويهديهم إلى سواء السبيل[٤].

ولكن هل هذا الإعلان لا يستطيع الأنبياء والرسل أن يقوموا به؟

---

(١) المرجع السابق ص٤٤.
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(٣) المرجع السابق ص٤٥.
(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٨٨.

الجواب كما يقول إبراهيم لوقا: كان القصد الجوهرى من رسالة المسيح هو إعلان الله للعالم إعلانًا تامًا حقيقيًا عجز الرسل والأنبياء عن إبلاغه للبشر بصورته التامة، ففى المسيح ـ الإله المتجسد ـ قد رأينا قداسة الله الكاملة وبغضه الذى لاحد له للخطية، وفيه قد رأينا عدله وحكمته ورحمته الفائقة للوصف ومحبته لخليقته فى صورتها اللانهائية، رأينا هذا كله فى حياة المسيح فيها قدم المثل الأعلى للحياة الأدبية ـ الكاملة[١].

ويقول: إن تجسد المسيح كان هو الطريق الوحيد لتأدية الرسالة لإعلان الله على الوجه الأكمل[٢] أى ليعلن الله العالم إعلانًا صحيحًا.

فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يعلن الله إعلانًا تامًا وحقيقيًا وهذا الإعلان عجز عنه الأنبياء والرسل.

وهذا هو السبب الثانى لتجسد المسيح.

وسوف نناقش تلك الأسباب فى نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

أهمية التجسد بالنسبة للخلاص المسيحى

إن التجسد من أهم العقائد المسيحية إذ هو أساس الإيمان بالمسيحية ففى المسيح المتجسد ـ كما يقولون ـ نرى مشيئة الله وقصده وندرك طبيعته وذاته وحقه ومحبته[٣]

والتجسد ـ كما يقولون ـ يظهر مجد الله، والتجسد يظهر للبشر الله الحق الكامل والخير المطلق، والتجسد يعطى الإنسان المثل الأعلى ويهيئه لنوال الحياة الأبدية.

يقول النصارى (فلنا بواسطة ابن الله المتجسد مثال فريد للحياة البشرية الكاملة وظهور اللاهوت بكمال صفاته على هيئة منظورة محسوسة مقتربًا منا الاقتراب العجيب الذى أمكنا به أن نخاطب الله وجهًا لوجه فى الصلاة والاتحاد الروحى.

---

(١) المسيحية فى الإسلام ص١٥٢.

(٢) المرجع السابق ص١٥٣.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٥٧.

ولنا به أيضًا التكفير عن خطايانا وفتح باب الرجاء الأبدى لجنسنا الهالك وتعيين مرشد وملك يرشدنا أبدًا فى الحق ويحامى عنا إلى نهاية حياتنا ويضمنا أخيرًا إلى رعيته السموية لنتمتع به إلى أبد الدهور)[١].

والتجسد ـ كما يقولون ـ يعطى الاطمئنان النفسى للمؤمنين فى الحياة حيث إن الله معهم.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: فالمسيح مع كونه "الله" الذى ظهر فى الجسد فهو إنسان كامل بكل ما تحمله كلمة إنسان من معنى، وهذا الأمر الذى يعزى قلوب المؤمنين ويطمئنهم، ذلك أن المسيح يسير معهم فى تجاربهم وآلامهم وأحزانهم واضطراباتهم وخوفهم وانزعاجهم أمام مشاكل الحياة، لأنه هو نفسه مر فى هذه المراحل كإنسان، بل إنه تحمل الموت وقبله طوعًا لأجل البشرية كلها[٢].

والتجسد سبب لنوال بركات الحياة الروحية (فالتجسد هو الكيفية المختارة لإيصال بركات الحياة الروحية إلى بنى البشر)[٣].

وبذلك تظهر أهمية التجسد إنه هو أساس النجاة فى الدنيا والآخرة.

هذا عن أهمية التجسد عامة فى المسيحية.

أما أهميته بالنسبة للخلاص المسيحى خاصة فهو أيضًا أساس عقيدة الخلاص ذلك أن التجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطيئة.

لقد بينا فى الباب الأول أن المسيحيين يعتقدون أن خطيئة آدم أحدثت العداوة بين الناس والله، وذلك لأنها كانت بمثابة التمرد والعصيان لله سبحانه وتعالى، وبينا أنهم قالوا لكى يتم إعادة الاتصال بين الناس والله كان ولابد من طريق للخلاص يخلص الناس من خطيئتهم الموروثة التى أبعدتهم عن الله.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٧٧١.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٤٧.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٧٨٤.

والاعتقاد المسيحى أن الخلاص عن طريق التوبة الإنسانية والمغفرة الإلهية لا يعيدان الاتصال والقرب من الله، وذلك لأنه يتعارض ـ فى نظرهم ـ مع صفة العدل الإلهى[١] الذى بمقتضاها يثاب المحسن ويجازى المسىء.

وكذلك أيضًا فإن الأعمال والطقوس التى يقوم بها بنو البشر لا تسد فجوة الانفصال، لذلك كان لابد من طريق آخر للخلاص غير الطريق الأول والثانى.

والخلاص الحقيقى ـ فى نظرهم ـ الذى يعيد الإنسان إلى وضعه الطبيعى قبل خطيئة آدم لابد أن يأتى من غير الإنسان، لأنه لا يستطيع أن يكفر عن تلك الخطيئة لأن مخطىء بالوراثة الطبيعية.

وعلى ذلك كان لابد من أجل هذا الخلاص أن يتجسد كلمة الله أى لابد من التجسد الإلهى من أجل الخلاص، وكلمة الله هو وحده الذى يستطيع أن يكفر عن تلك الخطيئة.

يقول فهد حبيب: إن الحاجز الذى يفصل بين الله والإنسان هو الخطيئة. (آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع)[٢] والتوبة مع أهميتها لا تكفى للتكفير عن الخطيئة (لأن أجرة الخطية موت)[٣] ليست توبة بل موتًا وإدانة.

لا يوجد من البشر من هو كفؤ للتكفير عن الخطية باعتبارأن البشر جميعًا وبلا استثناء خطاة (كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه)[٤].

كان لزامًا على الله أن يموت عن الخطية نيابة عن الإنسان إن أراد التكفير وهو بلاشك مريد. وكيف يموت الله وهو المكتوب عنه (له وحده عدم الموت)[٥]؟ فجاء

---

(١) وهذا غير مسلم، إن عقيدة الخلاص ترتكز فى النهاية على مبدأ المغفرة بما يحتويه من تعارض مع العدل فى نظرهم، وإن الفداء الخلاصى ليس بديلا للمغفرة، ولكنه مجرد وسيلة، وهو بديل عن التوبة لا عن المغفرة، فكأنهم يقولون يغفر لا بالتوبة ولكن بالفداء، فلابد وأن ينتهوا إلى مبدأ المغفرة، وعندئذ يأتى ما يعترضون به من حيث العدل الإلهى. فالخلاص المسيحى لم يحل المشكلة التى ابتدعوها.

(٢) إشعياء ٥٩ : ٢.

(٣) رومية ٦ : ٢٣.

(٤) إشعياء ٥٣ : ٦.

(٥) ١ تميوثاوس ٦ : ١٦.

تجسد المسيح بابا وحيدًا يقوده لموته مخرجًا لا ثانى له يؤدى للتكفير عن الخطية فتم القول (ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبنى)[١][٢].

فالتجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطية، وذلك لأن البشر جميعًا وبلا استثناء خطاة لا يستطيعون التكفير عن الخطية.

ولما كان أجرة الخطية الموت، ومن صفات الله أنه لا يموت كان لابد من التجسد حتى يستطيع أن يموت فى جسد الخطية ويفتدى الذين هم مخطئون بالوراثة الطبيعية. (لولا التجسد أى لولا أن ابن الله صارا إنسانًا ذا جسد مثلنا لما استطاع أن يتألم بآلام تنتهى بالموت الفدائى، فالكلمة صار جسدًا ليستطيع عمل الفداء)[٣].

ذلك أن الخلاص يستلزم أن يكون الفادى إلهًا وإنسانًا لكى يشترك فى طبيعة الذين أتى ليفديهم ولكى يكون له سلطان فائق ليغلب على الخطية وجلال إلهى ليعطى شأنًا رفيعًا لطاعته وآلامه الكفارية[٤] فالمسيح المتجسد بلاهوته وناسوته وحده هو الذى يستطيع أن يقوم بالخلاص (فالتجسد هو أساس عمل الفداء، وشرط ضرورى لإتمام المسيح وظيفته باعتبار كونه فاديًا مخلصًا للجنس، وهو الواسطة العظمى لإتمام قصد الله فى الفداء، والمحور الذى تدور عليه المقاصد الإلهية فى خلاص البشر)[٥] فأهمية التجسد بالنسبة للخلاص المسيحى أنه هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن خطيئة آدم ولا وسيلة أخرى سواه.

لذلك يقول غريغوريوس اللاهوتى:

كنا محتاجين إلى إله متجسد لكى نعود إلى الحياة[٦].

---

(١) غلاطية ٤: ٤، ٥.

(٢) فهد حبيب: يسوع المسيح إنسانيته ولاهوته ص٣٠

(٣) مع المسيح فى آلامه حتى الصليب ص٢٦١.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٣١٥.

(٥) المرجع السابق ص٧٧٠.

(٦) راجع سر التدبير الإلهى ص٥٥.

والتجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطية لأن الكفارة كما يعتقد المسيحيون تستلزم ذبيحة دموية حقيقية، وهذه الذبيحة تستلزم جسدًا حقيقيًا تامًا، وهذا الجسد هو جسد ابن البشر، لأن الكفارة كانت تستلزم أن يكون فى هذه الجسد المقدم فدية عنا جسدا فوق الطبيعة البشرية لتكون له القيمة التى توفى مطالب العدل الإلهى كاملة ولتجتمع فيه الرحمة والعدل معًا.

ولهذا شاءت محبته تعالى أن يحل اللاهوت فى جسد ابن الإنسان لتكون الكفارة كفارة إلهية يستوفى بها العدل الإلهى جميع حقوقه كاملة، وهكذا اجتمع المسيح الإله والإنسان[١].

مناقشة عقيدة التجسد المسيحية

أولاً: إبطال دعوى ألوهية المسيح:

إن ادعاء النصارى بأن المسيح إله مردود من وجوه عدة.

أولاً: إن أقوى الأدلة على إبطال دعوى ألوهية المسيح هو أن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله، ولم يدع أحد من حوارييه هذه الدعوى، ولكن الذى أطلق عليه الألوهية ـ كما بينا ـ بولس، وهو ليس من تلاميذ المسيح ولكنه كان من ألد أعداء المسيحية. وفجأة وبدون مقدمات دخل المسيحية وأخذ يدعو الناس إلى أن المسيح ابن الله.

وإذا لم يقل المسيح عن نفسه إنه إله فلا يجوز لغيره ادعاء الألوهية له!!

ثانيًا: إن الأناجيل الحالية مليئة بالنصوص التى تثبت عبودية المسيح ورسالته وسنذكر بعضها ـ بإيجاز ـ للاستدلال على ذلك.

من هذه النصوص ما حكاه متى عن المسيح قبل القبض عليه ـ فى نظرهم ـ وهو يقول لتلاميذه.

(نفسى حزينة جدًا حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا معى. ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت)[٢].

---

(١) المسيحية فى الإسلام ص١٥٦.

(٢) متى ٢٦ : ٣٨، ٣٩.

يقول عبد الله الترجمان: فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمى عاجز يخاف نزول الموت عليه، وأن له إلهًا ناداه "بإلهى" وتضرع إليه، وزادوا هم أنه مع آدميته كان من الشاكين فى قدرة الله تعالى؛ حيث قال (إن أمكن صرف كأس المنية فاصرفها عنى) لأن هذا عين الشك فى قدرة الله تعالى. ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شىء فما معنى قوله (إن أمكن ذلك)؟ وإن كان علم أن الله لا يمكنه ذلك. فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟

وحاشا روح الله ورسوله أن يشك فى قدرة الله تعالى بل كان عالمًا فى درجات اليقين بأن الله لا يعجزه شىء(١).

ولقد أوردنا ذلك لبيان أن المسيح إنسان تضرع إلى الله بأن يجيز عنه كأس الموت واعترف بأن الله فعال لما يريد.

وهذا يدل على إنسانيته وعبوديته لا ألوهيته.

ومن ذلك قول يوحنا حكاية عن المسيح (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا. كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى)(٢).

وهذا القول واضح فى الدلالة على أن المسيح عبد الله ورسوله.

ومن هذه النصوص أيضًا ما جاء فى إنجيل متى من أن المسيح قال.

"أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض"(٣).

فهل من يحمد الله ويشكره يقال له إله.

ويقول المسيح (أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية)(٤) يعترف المسيح بأنه رسول من عند الله وأن الإيمان يجب أن يكون إيمانًا بالله وحده لا شريك له.

---

(١) عبد الله الترجمان: تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص٦٨.
(٢) يوحنا ٥: ٣٠.
(٣) متى ١١: ٢٥.
(٤) يوحنا ٥: ٢٤.

يقول د/ إبراهيم سلامة: نقول لهؤلاء المؤلهين لعيسى عليه السلام: هل ما تضمنته أناجيلكم من أقوال المسيح حق أم باطل؟ فإن قالوا إنه باطل فقد كفروا بالمسيح وإن قالوا إنه حق فقد اعترفوا بنبوة المسيح وعبوديته[١].

ثالثًا: إن الكتب المقدسة ناطقة بإبطال إدعاء الألوهية لغير الله، فإن أسفار العهد القديم ناطقة بأن الله واحد أزلى أبدى لا يموت قادر على ما يشاء ليس كمثله شىء لا فى الذات ولا فى الصفات برئ عن الجسم والشكل[٢] وهذه الأدلة كثيرة وسنذكر بعضها.

منها ما جاء فى سفر التثنية ما نصه (الرب هو الإله ليس آخر سواه)[٣] ومنها قول موسى "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[٤].

وقول داود (يا رب لا إله غيرك)[٥].

وقول إشعياء (أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض)[٦].

وقول نحميا (أنت هو الرب وحدك)[٧].

وفى سفر الملوك الأول (ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر)[٨].

وجاء فى سفر إشعياء قول الله (أنا الأول أنا الآخر ولا إله غيرى)[٩].

(أنا الرب وليس آخر سواى)[١٠].

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب (رسالة دكتوراة) ص٢٥٨.
(٢) إظهار الحق ص٣١٧.
(٣) تثنية ٤ : ٣٥.
(٤) تثنية ٦ : ٤.
(٥) أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠.
(٦) إشعياء ٣٧ : ١٦.
(٧) نحميا ٩ : ٦.
(٨) ملوك أول ٨ : ٦٠.
(٩) إشعياء ٤٤ : ٦.
(١٠) إشعياء ٤٥ : ٥.

فهذه الفقرات تدل على أن الله واحد لا شريك له.

وكذلك أيضًا ما ورد فى أسفار العهد القديم من أن الله ليس كمثله شىء[١] فإنه كثير جدًا نذكر منه قول موسى (ليس مثل الله)[٢].

وقول سليمان (أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض)[٣].

وقول داود (قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك)[٤].

وقد جاء صريحًا فى العهد الجديد أنه ليس لله شبه وصورة فى مواضع عديدة وأن رؤية الله فى الدنيا غير واقعة.

ففى إنجيل يوحنا (الله لم يره أحد قط)[٥].

وفى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه)[٦].

وفى رسالة يوحنا الأول (الله لم ينظره أحد قط)[٧].

فثبت من هذه الفقرات أن من كان مرئيًا لا يكون إلهًا قط[٨].

وكذلك أيضًا فإن الكتب المقدسة توضح أن عبادة غير الله حرام، وحرمتها مذكورة بصراحة فى مواضع شتى من التوراة مثل الإصحاح العشرين، والرابع والثلاثين من سفر الخروج.

وقد جاء فى سفر التثنية (أنه لو دعا نبى أو من يدعى الإلهام فى المنام إلى عبادة غير الله يقتل هذا الداعى وإن كان ذا معجزات عظيمة، وكذا لو أغرى أحد من الأقرباء أو الأصدقاء إليها يرجم هذا المغرى ولا يرحم عليه)[٩].

---

(١) راجع كتاب د/ أحمد السقا (الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص١٤ ـ ٢٥).
(٢) تثنية ٣٣ : ٢٦.
(٣) أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤.
(٤) صموئيل الثانى ٧ : ٢٢.
(٥) يوحنا ١ : ١٨.
(٦) ١ تيموثاوس ٦ : ١٦.
(٧) ١ يوحنا ٤ : ١٢.
(٨) راجع إظهار الحق ص٣١٩.
(٩) تثنية ١٣ : ١ ـ ١١ نقلنا النص هنا بمعناه لطوله.

وأيضًا جاء فى سفر التثنية ما يدل على أنه لو ثبت على أحد عبادة غير الله فجزاؤه الرجم (إذا وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرًا فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو الشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء. الشيء الذى لم أوص به. وأخبرت وسمعت وفحصت جيدًا وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس فى إسرائيل فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت)[(١)].

وهذه الأدلة تتبين أن عبادة غير الله حرام وأن من فعل ذلك يرجم على رؤوس الأشهاد.

رابعًا: إن العقل يبطل ما يدعيه النصارى من ألوهية المسيح، ويتبين ذلك مما يأتى:

إن من صفات الإله وجوب الوجود لذاته وذلك يستلزم ألا يكون جسمًا ولا متحيزًا ولا عرضًا ويوجب له القدم والبقاء وسائر صفات الكمال، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك، بل كان عبارة عن شخص بشرى جسمانى وجد بعد أن لم يكن، وكان طفلاً ثم صار مترعرعًا ثم شابًا، يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ فهو إذاً محدث محتاج، وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديمًا، والمحتاج لا يكون غنيًا، والممكن لا يكون واجبًا، والمتغير لا يكون دائمًا، فكيف يكون عيسى إلها[(٢)].

فلقد ثبت أن عيسى ولد وصار طفلاً، وكان يأكل ويشرب، أى يحتاج إلى الطعام والشراب، فلو كان إلهًا لما كان محدثًا، ولو كان إلهًا لما احتاج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من الأمور التى تدل على الحدوث والاحتياج!!

---

(١) تثنية ١٧ : ٢ ـ ٥.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٦٨.

وكذلك يبطل دعوى ألوهية المسيح "ما ثبت فى الأناجيل من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى، فلو كان إلهًا لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه"(١).

ثم إن القول بألوهيته يستلزم أن يكون خالقًا لأمه مريم، وأن تكون مريم قد ولدت خالقها، وهو ما لا يقول به عاقل، لأنه يستلزم أن يكون المخلوق سابقًا لخالقه والخالق متأخر عن مخلوقه(٢).

وعلى ذلك فإن دعوى الألوهية باطل بالنقل والعقل.

ميلاد المسيح من عذراء لا يدل على الألوهية:

أما ما تمسك به النصارى للدلالة على ألوهية المسيح فهو استدلال فاسد، ذلك أن ميلاد المسيح من عذراء لا يدل على ألوهيته فإن حالات الخلق من امرأة ورجل، أو من رجل، أو من امرأة، إنما هى حالات خلق لله دالة على القدرة الإلهية لا أكثر ولا أقل (فهذا الميلاد العذراوى لعيسى رغم إعجازه وأهميته فلا يقاس بشىء من جانب القدرة الإلهية، ولا يرفع عيسى عن مرتبة الآدميين، ذلك أن خلق عيسى من أنثى دون ذكر إنما هو إتمام لدورة القدرة الإلهية فى خلق الإنسان، إن آدم عليه السلام خلق من العدم دون ذكر ولا أنثى ،وحواء ـ كما تقولون ـ خلقت من ذكر دون أنثى، والإنسان العادى خلق من ذكر وأنثى، ثم تمت دورة القدرة الإلهية بخلق عيسى الإنسان من أنثى دون ذكر، فهذه صور ميلاد البشر، وكل صورة منها تناظر الأخرى فى الدلالة على الخالق العظيم ليس منها ما هو هين وما هو صعب فى جانب الله)(٣).

وعليه فإن من استدل على ألوهية المسيح بأنه خلق من غير أب يلزمه أن يعترف لآدم بالألوهية(٤).

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص٢٥٥.

(٢) المرجع السابق ،نفس الصفحة.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص١٨٥.

(٤) وكذلك ملكى صادق الذى تقول عنه الكتب المقدسة (إنه بلا أب بلا أم بلا نسب لابداءة أيام له ولا نهاية حياة) عبرانيين ٧: ٣، وانظر تكوين ١٤: ١٨ ، ١٩ فملكى صادق الذى ولد بلا أب وبلا أم وبلا نسب وبلا بداءة أيام ولا نهاية حياة أولى بالألوهية من المسيح إذا كان مقياسها الولاده من أم بدون أب.

فإنه لم يخلق من نطفة أب، بل إنما خلق من تربة أرض ثم نفخ فيه من روحه، كما فعل بعيسى خلقه من نفخة الملك فعلقت بلحمة مريم فنشأ منها وفيها، فترابه بمنزلة لحمه ونفخه بمثابة نفخه وهذا ما لا مخلص منه ولا خروج عنه، بل لو أمكن لأحد أن يقول: إن بشرًا يتصور أن يكون إلهًا لكونه من غير أب لكان آدم أولى بذلك من حيث إنه لم تشتمل عليه أوضار الرحم، فقد شارك المسيح فى كونه من غير أب وزاد عليه من غير أم، لم يتكون فى ظلمة الرحم، ولم يتلطخ بدم الطمث، ولا خرج من مجرى البول.

هذا مع الاعتراف بأن ذلك كذلك ولم يختلف فى ذلك أحد، أعنى فى أن آدم مكون مخلوق من غير أبوين. وقد خالفتكم اليهود ـ لعنهم الله ـ فى كون إلهكم من غير أب وأطلقت على مريم البتول المبرأة من عند الله مما قالوا[1].

فإذا كانت ولادة عيسى من امرأة بدون رجل سببًا فى دعوى الألوهية فإن آدم وحواء أولى بذلك من عيسى بن مريم حيث إن خلقهما أبدع وأعظم حيث إنهما بدون رجل وامرأة وحيث إنهما لم تمسسهما أوساخ الرحم وأقذاره.

فولادة المسيح من عذراء لا تدل على ألوهيته بل تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى، وإلا لكان آدم إلهًا، وهو ما لا يدعيه أحد.

الفهم الصحيح لمعجزات المسيح:

كذلك أيضًا فإن معجزات المسيح لا تدل على الألوهية، ذلك أن معجزات المسيح لا تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين، حيث إنها تدل على صدق الرسالة.

ويهمنا أولاً وقبل كل شىء أن نتساءل: هل كان عيسى يعزو هذه المعجزات إلى نفسه أو إلى غيره؟ هل كان ينسب فضل الآيات إلى ذاته زاعمًا أنه صاحبها

---

(١) القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص١٣٧ راجع فى ذلك أيضًا هداية الحيارى ص٢٧٨، رسالة الجاحظ فى الرد على النصرانية ص٢٥.

ومصدرها؟ أو أنه كان مجرد أداة سخرها آخر لإظهار هذه المعجزات!! ومن هو هذا الآخر الذى سخر عيسى وأيده بتلك المعجزات؟[١]

والجواب: **أولاً**: إن المسيح يعلن بلسانه عدم القدرة الذاتية على فعل المعجزات فيقول (أنا لا أقدر أن أفعل من نفس شيئًا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى)[٢]، معنى ذلك أن المسيح لا ينسب إلى نفسه قدرة شخصية على فعل المعجزات، وإنما ينسبها إلى الله الذى أرسله، بل ويطلب مشيئة الله الذى أرسله وأجرى على يديه بعض المعجزات، وإذا كان الأمر كذلك فلا فرق بينه وبين الأنبياء الآخرين الذين كانوا يفعلون المعجزات بإذن الله.

ثانيًا: لم يكن المسيح يرى المعجزات إلا بالدعاء[٣]، حيث إننا نرى المسيح يتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء قبل طلب المعجزة، والحمد والشكر بعد إعطائه المعجزة. ويدل على ذلك ما روى فى إنجيلى متى ولوقا من أن المسيح بعد أن أعطى تلاميذه سلطانًا ليدسوا الحيات والعقارب وليشفوا المرضى فى تلك الساعة (تهلل يسوع وقال أحمدك أيها الرب رب السماء والأرض)[٤]. **فالمسيح هنا يتجه بالحمد والشكر لله الذى ييسر له إعطاء النعمة، فلو كان المسيح هو الله فلمن يتجه بالحمد والشكر؟ وإذا كان المسيح إلهًا وأنه يفعل كل ما يفعله بقوته الإلهية، فلمن يشكر ويحمد إذا كانت هذه قوته؟.**

ولقد روت الأناجيل أن المسيح كان يصلى قبل طلب المعجزة، من ذلك ما روى فى إنجيل لوقا (وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه)[٥].

"أما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى"[٦].

(١) المسيح إنسان أم إله ص ٦٨.
(٢) يوحنا ٥ : ٣٠.
(٣) البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص٥٤.
(٤) متى ١١ : ٢٥، لوقا ١٠ : ٢١.
(٥) لوقا ٩ : ١٨.
(٦) لوقا ٥ : ١٦.

"وفى الصبح باكرًا جدًا قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك"[١].

"وأخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى الجبل ليصلى"[٢].

"وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى"[٣].

فلمن يصلى؟ ولماذا يصلى إذا كان هو متصف بالألوهية؟

هذا ما كان فى حياة المسيح العامة قبل المعجزة وبعدها الصلاة والدعاة والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى.

وهذا يدل على أن معجزات المسيح لا تدل علي ألوهيته[٤] لأنه يفعلها بعد الصلاة والطلب من الله سبحانه...

ويدل أيضا على أن مصدر المعجزة هو الله سبحانه وتعالى الذى يتفضل على رسله بالخوارق الدالة على صدق رسالتهم.

ثالثًا: وهو مترتب على سابقه: أنه يظهر من إجراء عيسى بن مريم للمعجزات أنها ليست مقصودة لذاتها، بل يقصد منها اهتداء الناس إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

عرف عيسى أن هذه المعجزات التى سخرها الله لأدائها ليست مقصودة لذاتها بل لدفع الناس إلى الإيمان بالرسالة، فهى ليست غاية فى ذاتها وإنما وسيلة لحمل الناس على التصديق، ورغم ضرورتها فى بعض الظروف والأوقات فإنها ليست الوسيلة المثلى لإقناع الناس بصحة الرسالة، وليست الطريقة المستحبة لإرشاد الناس إلى طريق الله.

عرف عيسى هذه الحقائق وكان يأمل فى إرشاد الناس إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة دون إرهاب أو تخويف، لذلك لم يلجأ إلى تلك الوسائل إلا

---

(١) مرقس ١ : ٣٥.

(٢) لوقا ٩ : ٢٨.

(٣) لوقا ٦ : ١٢.

(٤) راجع روايات الأناجيل لمعجزات المسيح والتى ذكرنا بعضها فيما سبق.

مضطرًا كارهًا وبعد إلحاح من الناس عليه وإصرارهم عليها، فهو يبدأ فى إلقاء العظات على الناس شارحًا لهم جمال الطاعة ومغبة المعصية مبينًا لهم طريق الحق والصدق، فإذا استمع الناس وتنبهت عقولهم فرح عيسى وانشرح وأما إذا وجد أمامه قومًا عميت أبصارهم ولا يؤمنون إلا بالخوارق والأعاجيب فلا مفر من الإتيان بمعجزة تنبه هؤلاء. يحدثنا يوحنا أن خادمًا للملك كان ابنه مريضًا فأتى إلى عيسى وطلب منه أن يذهب إلى بيته ويشفى ابنه، وتبرم عيسى من طلب الرجل وضاق بأن تكون كل مهمته فى الحياة تطبيب الناس وشفاء الأمراض (فقال لهم يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب) ولكن الرجل ازداد إلحاحًا ورجاء مما اضطر عيسى إلى الذهاب معه وشفاه ابنه، وهنا فقط آمن الرجل وأهل بيته برسالة عيسى[(١)،(٢)].

وهذا يدل على أن المعجزة ليست مقصودة لذاتها بل لدعوة الناس إلى الإيمان بالله، فإذا تم ذلك بالموعظة الحسنة فلا داعى للمعجزة، أما إذا وجد ضرورة للمعجزة حتى يؤمن القوم فإنه يفعلها رغبة فى إيمانهم، فالخوارق يقصد منها اهتداء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل، وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على الألوهية ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء السابقين من حيث الغاية والهدف.

رابعًا: حرص المسيح على إخفاء المعجزات حتى لا تشغلهم عن الغاية منها.

قلنا إن عيسى بن مريم كان يضيق من الذين يطلبون منه المعجزة وذلك لأنها ليست مقصودة لذاتها. وهنا نقول إن المسيح حين كان يستجيب بعد إلحاح لإجراء بعض المعجزات فإنه كان يوصى دائمًا بإبقائها فى طىّ الكتمان، وذلك للتأكيد على أنها ليست مقصود لذاتها.

ففى الأناجيل أن رجلاً أبرص جاء إلى عيسى وطلب أن يشفيه بعد أن طهره المسيح قال له (انظر لا تقل لأحد شيئًا)[(٣)].

---

(١) يوحنا ٤ : ٤٦ ـ ٥٣.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص ٧٦ ـ ٧٨.

(٣) متى ٨ : ٤، مرقس ١ : ٤٤، لوقا ٥ : ١٤.

وعندما شفى المسيح أعميين قابلهما فى الطريق أمرهما أيضًا ألا يقولا لأحد (فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد)[١].

ويقول لآخر بعد أن أبرأه (لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية)[٢].

فى هذه الحوادث وأمثالها التى تتكرر فى الأناجيل نرى مدى حرص عيسى على أن تظل معجزاته فى طى الكتمان لا يعلمها أحد، ولا يدرى بها أحد.

وهذا الاتجاه يدعونا إلى التأمل، لماذا كان يحرص عيسى على إخفاء المعجزات وإبقائها فى طى الكتمان. وعلى ألا يفعلها وسط الجموع أو بين الجماهير؟

إن رغبة عيسى فى عدم إعلان معجزاته، وعدم الدعاية لها والتهويل فيها، راجع إلى رغبته فى ألا تشغل المعجزات الناس عن جوهر الدين والرسالة، وفى ألا تكون محور اهتمام الجموع، فيتركون الشريعة والجوهر ويهتمون بالأشكال والأعراض وتصبح الخوارق شغلهم الشاغل، وينسون شريعة الله وناموسه)[٣].

إن عيسى عليه السلام أخفى المعجزات فى بعض الأحيان حرصًا منه على أن يهتم الناس بجوهر الرسالة وهو الإيمان بالله عز وجل. وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على الألوهية، ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء السابقين.

خامسًا: إذا كانت معجزات عيسى بن مريم لا تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين من حيث أسلوب طلبها، ومن حيث الغاية والهدف، فإنها لا تدل على ألوهية المسيح ،وإلا لكان جميع الأنبياء آلهة، وهو ما لا يقول به عاقل، وكان يكفى هذا. ولكن نزيد فنقول هل اختص عيسى بنوع من المعجزات لم يفعلها غيره حتى تكون مثار أفضلية وتكون سببًا لجعله إلها؟

الحق: لا. ذلك أننا لو اعتبرنا أن أعظم معجزات المسيح إحياء الموتى فإن الكتب المقدسة تبين أنه لم يختص وحده بإحياء الموتى.

---

(١) متى ٩: ٣٠.
(٢) مرقس ٨: ٢٢ ـ ٢٦.
(٣) المسيح إنسان أم إله ص ٨٠ ـ ٨٢ بتصرف..

فقد أحيا حزقيال[١] جيشًا عظيمًا جدًا بإذن الله، وردّ الحياة إلى آلاف الراقدين، وبعثهم من قبورهم بعد أن طال رقادهم، وتحللت أجسادهم، وإذا نظرنا إلى معجزة "حزقيال" بالمقياس البشرى فإننا نرى أنها تفوق كل معجزات عيسى حيث إن عدد الذين أحياهم حزقيال يفوق عدد الذين أحياهم عيسى، إنه ـ أى حزقيال ـ أحيا آلاف الراقدين، بينما نجد الذين أحياهم عيسى لا يتعدى أربعة أشخاص، هذه واحدة.

أما الأخرى فإن حزقيال أحيا الراقدين بعد أن تحللت أجسادهم وأصبحوا ترابًا وعظامًا، أى بعد أن طال عليهم الزمن فى القبور، وتوالت عليهم السنون حتى تحللت أجسادهم وتناثرت عظامهم. ولكن نبى الله حزقيال تمكن بقدرة الله أن يجمع عظام كل شخص منه على حدة ويعيد إليه الحياة، بينما كانت معجزات عيسى فى إحياء الموتى عبارة عن إحياء الميت الذى لازالت أعضاؤه وعظامه كما هى.

فالمسيح لم يختص وحده بإحياء الموتى فحزقيال أحيا جيشًا عظيمًا بفضل الله، ورغم ذلك لم يقل أحد عنه إنه إله.

وكذلك أيضًا أحيا (إيليا)[٢] و(اليشع)[٣] بعض الأموات.

فلا خصوصية للمسيح فى إحياء الموتى، وكذلك أيضًا لا خصوصية له فى المعجزات الأخرى التى فعلها[٤] مما يدل على أنها لا تدل على الألوهية، وإلا لأصبح هؤلاء الأنبياء جميعًا آلهة وهو مالم يقل به أحد.

والقول الصحيح إن هذه المعجزات التى أيد الله بها رسله إنما تدل على أنهم رسل من عند الله رب العالمين، فهى دليل صدق لدعوى النبوة والرسالة.

---

(١) راجع حزقيال ٣٧: ١ ـ ١٠.

(٢) راجع ملوك أول ١٧ : ٢١ ـ ٢٢.

(٣) الملوك الثانى ٤ : ٣٢ ـ ٣٥ راجع فى ذلك، الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص١٣٥، تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص٨٤، هداية الحيارى ص٢٧٨، الرد الجميل ص٢٣٩، المسيح إنسان أم إله ص١٠٣.

(٤) إظهار الحق ص٣٣٦.

إبطال ما ذهب إليه النصارى من اتحاد اللاهوت بالناسوت

أما ما ذهب إليه النصارى من أن التجسد كان عن طريق الاتحاد فإنما هو قول متناقض وباطل وذلك من وجوه:

أولاً: إن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت باطل صريح لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث والمجرد بالمادى(١).

يقول الإمام الألوسى:

إنه لو اتحد اللاهوت القديم بالناسوت الحادث للزم حدوث القديم، أو قدم الحادث، أو إبقاء كل على طبيعته، ومحال أن ينقلب القديم حادثًا أو الحادث قديمًا، لاستحالة انقلاب الطبائع والحقائق، ولما يلزمه من كون الشىء الواحد قديمًا حادثًا فى وقت واحد وهو باطل، فلم يبق إذاً: إلا بقاء كل واحد على طبيعته وعلى ذلك فلا اتحاد أصلا وعليه فلا يكون المسيح إلهًا ولا أقنومًا فى الإله ـ كما زعموا ـ لعدم تحقق هذه الاتحاد(٢).

ثانيًا: إن قول القائلين بأن فى المسيح طبيعة واحدة وذلك عن طريق الاتحاد باطل أيضًا ذلك:ـ

أنه إن كان كل واحد من اللاهوت والناسوت على حالة لم ينفصل عما كان عليه فهما اثنان لا واحد.

وإن كان كل واحد منهما قد أبطل الآخر فقد أقروا ببطلان الإله، ولزمهم أن يكون المسيح لا قديمًا ولا محدثًا، ولا إلـهًا ولا غير إله، إذ خرج كل منهما عما كان عليه(٣).

يقول رحمت الله الهندى: الاتحاد بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى إذا كان حقيقيًا لكان أقنوم الابن محدودًا متناهيًا، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان كذلك فهو محدث، فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثًا، ويستلزم حدوثه حدوث الله(٤).

---

(١) راجع المراجع التى أشرنا إليها فى الهامشين السابقين.
(٢) تفسير الألوسى جـ٦ ص٣٠.
(٣) سعد بن كمونه: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص٥٦.
(٤) إظهار الحق ص٣٣٦.

ثالثًا: ويقال لهم وللقائلين بالطبيعتين أيضًا: إن الاتحاد باطل، لأن الشيئين إذا اتحدا فهما حال الاتحاد إما: أن يكونا موجودين، أو معدومين، أو يكون أحدهما موجودًا والآخر معدومًا، فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل، وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضًا لا يكون اتحادا بل يكون قولاً بعدم ذلك الشيئين وحصول شىء ثالث، وإن بقى أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالوجود، لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود، فظهر من هذا البرهان أن الاتحاد محال(١).

رابعًا: يقال للقائلين بأن فى المسيح جوهرين أو طبيعتين أنهما إن كانا قديمين فقد أثبتم قديمًا رابعًا ـ أى بجانب الثالوث ـ هو ناسوت المسيح، وإن كانا محدثين كنتم قد قلتم بحدوث الابن الذى تزعمون أنه أزلى، وعبدتم ما ليس بإله، لأنكم تعبدون المسيح وهو على هذا القول جوهران محدثان، وإن كان أحدهما قديمًا والآخر محدثًا كنتم قد عبدتم القديم والمحدث، إذ المسيح الذى تعبدونه مجموعهما ومجموع القديم المحدث من حيث هو هذا المجموع فهو محدث، فيكون قد عبدتم المحدث من حيث هو محدث لا يستحق العبادة، فيجب أن تتمخض العبادة للقديم ولا يبقى للمحدث فى ذلك مدخل، فلا يكون قد عبدتم المجموع لو أخرجتم المحدث عن أن يكون له مدخل فى العبادة، وحينئذ يثبت أن المسيح الذى هو عبارة عن مجموع الأمرين غير مستحق للعبادة، وهو خلاف معتقدكم(٢).

خامسًا: إن النصارى قالوا إن هذا الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تغير ولا استحالة، وهذا القول مناقض لما جاء فى إنجيل يوحنا (الكلمة صار جسدًا وحل بيننا) (٣) وهذا القول يقتضى أن الكلمة صارت جسدًا وجسمًا بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضى انقلابها جسدًا أو جسمًا، وهذا يقتضى استحالتها وتغيرها وهم قالوا اتحادًا بريًا من تغير واستحالة(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٢١ ص٢١١.

(٢) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص٥٦ ـ ٥٧.

(٣) يوحنا ١ : ١٤.

(٤) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦٧.

سادسًا: إن قولهم اتحدت الكلمة به اتحادًا بريًا من اختلاط أو تغير أو استحالة كلام متناقض أيضًا، فإن الاتحاد أن يصير الاثنان واحدًا فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرًا والناسوت جوهرا آخر.

وإن شئت قلت: كان هذا شيئًا وهذا شيئًا، أو هذا عينًا قائمة بنفسها وهذا عينًا قائمة بنفسها، فبعد الاتحاد إما: أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحدًا. فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعددين،

وإن كانا قد صارا شيئًا واحدًا فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم، وهذا عدم لأحدهما فلا اتحاد وإن كان هذا الذى صار واحدًا ليس هو أحدهما فلابد من تغييرها واستحالتهما، وإلا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإذا قيل: اتحاد بريًا من اختلاط وتغير أو استحالة كان هذا كلامًا متناقضًا ينقض بعضه بعضًا، فإن هذا إنما يكون مع التعدد والمباينة لا مع اتحاد، يوضح ذلك أنه إذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئًا ثالثًا ليس ماء محضا ولا لبنًا محضا بل هو نوع ثالث، وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول[1].

سابعًا: إنهم إن قالوا إن هذا الاتحاد عن طريق الحلول فهو باطل أيضًا، لأنه إما: أن يكون شخص المسيح هو الإله، أو يكون الإله بكليته قد حل فى المسيح، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه.

والأقسام الثلاثة باطلة.

أما الأول فمحال لأنه بإعدام المسيح ينعدم الله، ذلك أنه لو كان إله العالم هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة هم اليهود فالإله الذى يقتله اليهود إله فى غاية العجز.

---

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

وأما الثانى وهو أن الإله بكليته حل فى هذا الجسم **فهو** أيضًا فاسد ومحال، لأن الله ليس جسمًا ولا عرضًا، ذلك أن الله إن لم يكن جسمًا ولا عرضًا امتنع حلوله فى الجسم، وإن كان جسمًا فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع التفرقة فى أجزاء ذلك الإله.

وإن كان عرضًا كان محتاجًا إلى المحل وكان الإله محتاجًا إلى غيره وكل ذلك سخيف وباطل.

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضًا محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبرًا فى الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهًا، وإن لم يكن معتبرًا فى تحقيق الإلهية لم يكن جزءًا من الإله[1].

ثامنًا: أنه لا معنى للقول بأن المسيح إله تام كامل وإنسان تام كامل ليس أحدهما غير الآخر، إذ لو كان الأمر كذلك لكان الله تعالى إنسانًا ولأصبح كل فرد منا إلهًا وهو كذلك محال.

يقول الجاحظ: يقال لهم هل يخلو المسيح من أن يكون إنسانًا بلا إله؟، أو إلهًا بلا إنسان؟ أو يكون إلهًا وإنسانًا؟

فإن زعموا أنه كان إلهًا بلا إنسان قلنا لهم: **فهل هو الذى كان صغيرًا فشب والتحى ـ ظهرت لحيته ـ والذى كان يأكل ويشرب وينجو ويبول وقتل بزعمكم وصلب وولدته مريم وأرضعته، أم غيره هو الذى كان يأكل ويشرب على ما وصفنا؟ فأى شىء معنى الإنسان إلا ما وصفنا وعددنا؟**

وكيف يكون إلهًا بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان.

وليس القول فى غيره ممن صفته كصفته إلا كالقول فيه كاشتمالها على غيره!!

---

(١) راجع فى ذلك (المسيح والتثليث) د/ محمد وصفى ص١٠٧، (أقانيم النصارى) د/ السقا ص٧٦.

وإن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول عن جوهر البشرية، ولكن لما كان اللاهوت فيه صار خالقًا وسمى إلهًا.

قلنا لهم: خبرونا عن اللاهوت: أكان فيه وفى غيره، أم كان فيه دون غيره؟

فإن زعموا أنه كان فيه وفى غيره فليس هو أولى بأن يكون خالقًا ويتسمى إلهًا من غيره، وإن كان فيه دون غيره فقد صار اللاهوت جسمًا[١].

والله سبحانه وتعالى ليس جسمًا فكلامهم فى هذا محال وغير معقول.

تاسعًا: إن قوانين العقل البشرى ترفض رفضًا باتًا اتحاد الإله بعيسى وظهوره فى صورته، فقانون الذاتية يحدد لكل موجود ذاتيته الخاصة التى لا يمكن أن تختلط بغيرها أو تتحد مع ذاتية أخرى، ولكن هؤلاء يهدمون هذا القانون ويدعون أن ذاتية الإله قد اتحدت مع عيسى وظهرا فى صورة واحدة وهو خروج عن مبادئ العقل وقوانينه، ولعل هذا هو الذى دعا أحد العلماء إلى أن يقول (لولا أننا نرى بأعيننا أناسا يقرون هذه العقيدة ويدينون بها ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه) [٢] والحق أن استحاله فهم هذه العقيدة هى التى جعلتهم يقولون إن هذه العقيدة تعلو عن أفكارنا ولا نستطيع فهمهما.

يقول القس وهيب عطا الله (إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكنا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن ولو لم يكن معقولاً) [٣].

ويقول القس إنسطاسى شفيق (غير أننا نقبل حقيقة التجسد بموجب الإعلانات الصريحة[٤] ولا يجوز لنا أن نبحث فيها عقليًا ولا نثبتها ولا ندافع عنها بالأدلة والبراهين البشرية، لأنها تعلو عن أفكارنا بقدر مالا يوصف وإنما نقبلها بالإيمان) [٥].

---

(١) رسالة الجاحظ فى الرد على النصرانية. إحدى ملحقات كتاب (الفكر الدينى الجاهلى ص٣٦٨).
(٢) د/ سعد الدين صالح (مشكلات العقيدة النصرانية ص٨٦).
(٣) طبيعة السيد المسيح ص١٨.
(٤) ولكن لا توجد إعلانات صريحة تستدعى التمسك بشئ يتناقض مع العقل والمنطق.
(٥) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص٤١.

ويقول (إن التجسد من الأفعال الإلهية التى من الضرورة تفوق عقولنا)[١].

(وكثيرًا ما ينعت القديس كيرلس التجسد الإلهى بأنه.

- فائق الوصف.
- سرى بصفة مطلقة.
- لا ينطق به.
- يفوق العقل.
- سرى وفائق للعقل)[٢].

ويقول (إن كيفية الاتحاد عميقة حقاً وفائقة الوصف، وفائقة لمداركنا، فمن الجهالة التامة أن نخضع للبحث العقلى ما يفوق العقل، وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذى لا يدرك بالعقل. ألست تعلم أن ذلك السر العميق ينبغى أن يعبد بإيمان بلا فحص)[٣].

ويقول (هذا سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبرغوره ولا أى لسان أن يعبر عنه ولكنه جدير بأن يعبد فى صمت وإيمان[٤].

والحق أن الأمر يدعو إلى الحيرة!! فإذا كان رجال الدين أنفسهم قد عجزوا عن فهم عقائدهم فمن يا ترى يستطيع فهمهما؟

وإذا لم يستطع الإنسان إدراك وفهم عقيدته الدينية بعقله وفهمه، فبماذا يمكنه أن يدركها؟ إن العقائد الدينية يجب أن تكون بسيطة ومفهومة حتى يتمكن الناس من الإيمان بها والسير على نهجها، فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وكيف تقر فى القلب عقيدة لم يستسغها العقل ويقبلها الفهم؟

مناقشة أسباب التجسد فى المسيحية

لقد تبين مما سبق بطلان عقيدة التجسد المسيحية وببطلانها يبطل ما يترتب عليها من كون هذا التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته أو من أجل خلاص البشر من

---

(١) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٩٠.
(٢) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ص٢٠.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) المرجع السابق ص ٢١.

الخطايا. وكان يكفى هذا فى رد أسباب التجسد ولكن لعظم خطر هذه الأسباب سنناقشها ونبين ما فيها:

أولاً: نبدأ بمناقشة تعليل التجسد بأنه من أجل إعلان الله عن ذاته فنقول:

إن هذا التعليل غير مقبول وذلك لأنه يقلل من شأن الله سبحانه وتعالى ولا يتفق مع جلال وعظمة ألوهيته سبحانه وتعالى، إن هذا التعليل يعنى أن الله من أجل أن يعلن عن ذاته ظهر فى صورة جسدية ولاشك أن ظهور الإله بصورة جسدية فيه من المهانة والتحقير لهذا الإله، لأنه يعنى أنه يفعل من المحقرات الجسدية التى يجب أن ينزه الإله عنها من التبول والتغوط إلى غير ذلك من الأمور التى يجب أن ننزه الله سبحانه وتعالى عنها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا التعليل لا يخدم قضية الألوهية بحال من الأحوال.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب (إنه لو كان المسيح إلهًا حقًا لكان ظهور الله فى تلك الصورة البشرية داعية إلى التشويش على التفكير الإنسانى فى سبيل التعرف على الله... إذ أن الله بظهوره فى تلك الصورة المجسدة قد أعلن عن ذاته وكشف للناس عن وجهه وصار قريبًا مدانيًا لهم بعد أن ظل دهورًا طويلة محجبًا عنهم فى بهائه وجلاله لا تناله الأبصار ولا تحتويه العقول!!

فهذا الإعلان فى الواقع ـ فوق أنه داعية لشرود العقل وتشتت الفكر فى ذات الله، هو إعلان يقلل من شأن الله وينقص قدره ويذهب بالكثير من جلاله وعظمته وما تتلقى النفوس من مشاعر الولاء والخضوع لله الكبير المتعال حين تنظر إليه من وراء الحجاب، فالنفس البشرية طلعة تتوقد أشواقها إلى المجهول وتتحرك نزعاتها إلى عالم الغيب فإذا انكشف لها المجهول أو ظهر لها ما وراء الغيب سكنت نزعاتها وبردت أشواقها نحو هذا الشىء الذى كانت تسعى إليه وتجدّ فى البحث عنه... ولو ظهر الله للناس عيانًا ـ على يقين استحالته ـ لسقطت هيبته من النفوس بعد حين ولجاء اليوم الذى يصبح "الله" وهو يغدو ويروح بين الناس كواحد من الناس[(١)].

فالتجسد من أجل إعلان الله عن ذاته لا يخدم قضية الألوهية بل يقلل من هيبة الإله الذى أصبح كواحد من الناس لا فرق بينه وبينهم.

---

(١) المسيح فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٦٨.

على أنه كيف يتصور أن يقبل الناس أن يكون الإله بينهم كواحد منهم؟

ذلك أن الناس تعجبوا فى القديم :ـ كيف يكون رسول الله إنسانًا أو بشرًا[1] ؟ إن الناس يتصورون أن يكون رسل الله على هيئة غير هيئة البشر، أى أعلى منهم فى مرتبة الطهر والنقاء.

إن الناس لم يقبلوا أن يكون رسول الله بشرًا، فكيف يتصور بعد ذلك أن يقبلوا أن يكون الله ذاته بينهم؟ إن الناس يتصورون أن جلال الألوهية فى مرتبة لا يستطيع أن يدنو منها إنسان أو يقارب حماها حتى ولو كان هذا الإنسان رسوله، فكيف يتصور أن يقبلوا أن الله ذاته بينهم يغدو ويروح إلى غير ذلك من الأمور البشرية؟

فهذا الإعلان لا يمكن أن يتم حيث يظل الشك واللبس قائمًا، يقول سبحانه فى الرد على هؤلاء الذين يريدون أن يكون الرسل ملائكة ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ سورة الأنعام آية ٩.

ويلزم على قولهم بهذا الإعلان ـ عبثية إرسال الرسل قبل المسيح، ويلزم أيضًا عدم استحقاق العقوبة لكل الذين لم يروا المسيح وكفروا بالله قبل عصر المسيح بل وحتى بعد عصره.

وبذلك يتبين فساد تعليل أن التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته.

ثانيًا: أما القول بأن الإله تجسد من أجل خلاص البشر من الفساد الذى لحق بهم بعد خطيئة آدم، أى من أجل إعادة الناس إلى حالة الطهر والنقاء التى كان عليها آدم قبل الخطيئة، ورفع حكم الموت عن البشر وهو الذى نتج عن المعصية.

---

(١) ولقد بين القرآن الكريم ذلك فى أكثر من آية من ذلك ما ورد فى القرآن الكريم حكاية عن الكافرين من قوم نوح ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ سورة المؤمنون آية ٢٤. ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ سورة المؤمنون آية ٣٣. وقول ثمود عن صالح ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ سورة الشعراء آية ١٥٤ ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ سورة القمر آية ٢٤. ومدين عن شعيب ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ سورة الشعراء آية ١٨٦. وقريش عن سيدنا محمد ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ سورة الفرقان آية ٧. ويقول سبحانه ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ سورة الإسراء آية ٩٤. ويقول عن عجب الناس من أن يكون رسول الله بشرا ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ سورة ق آية ٢.

فهذا القول مكون من ثلاثة أمور: الإله ـ وهذا الإله تجسد.

وهذا التجسد من أجل الخلاص.

ولقد بينا سابقًا فساد إدعاء الألوهية، وفساد عقيدة التجسد، وبهما يتبين فساد ما ترتب عليهما، وهو أن هذا التجسد من أجل خلاص البشرية.

ولما كنا قد تناولنا **الأمر الأول والثانى** قبل ذلك بالمناقشة فإننا سنقتصر هنا على مناقشة الأمر الثالث.

والأمر الثالث: يعنى أن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه، وأن التجسد جاء من أجل خلاص البشرية من هذه الخطيئة. وهذا أيضًا باطل وفاسد ذلك لأن ـ الشرائع الإلهية اتفقت على أن المعصية لا تتعدى الإنسان الذى فعله، بل إن كتبهم التى بأيديهم تثبت أن الأبناء لا يؤخذون بجرائم الآباء.

فمن ذلك ما جاء فى سفر حزقيال (النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب. والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون)[1] إلى غير ذلك من الأدلة التى أوردناها قبل ذلك.

والشاهد أن هذه الأدلة تثبت أن كل إنسان يحمل وزر نفسه ولا يقع إثمه على غيره ولا يتحمل خطأه سواه، وعلى ذلك فإن معصية آدم ـ على فرض أنه لم يتب وهو غير صحيح كما سنبين ـ فإنها لم تتعداه إلى غيره، وعليه فليس هناك ما يسمى بخطية آدم حتى يتجسد الإله من أجل الخلاص منها.

وإذا سلمنا جدلاً أن معصية آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه، وأن المسيح الإله تجسد من أجل خلاص البشرية منها!!

فإننا نسأل: هل تجسد الكلمة وما تبع هذا التجسد من الصلب قضى على الشرور والآثام من طبيعة الإنسان وأعادهم إلى الحالة التى كان عليها الإنسان الأول فى الجنة التى أسكنه الله إياها قبل أن يزل ويسقط وينزل إلى الأرض؟ وهل تحول الناس بعد تجسد الكلمة وظهورها بينهم وموتها من أجلهم ـ هل تحولوا عن طبائعهم التى كانوا عليها؟

---

(١) حزقيال ١٨ : ٢٠.

والجواب هو ما نشهده فى واقع الناس اليوم وقبل اليوم منذ المسيح إلى الآن وما وقع من شرور عامة شاملة وما يقع كل يوم فى كل مكان[١].

ثم نسأل النصارى هل تغير حال الدنيا بعد المسيح عما كان قبله؟

سيقولون لا: هل أنتم امتزتم عن سائر الناس بشيء؟ سيقولون لا. ذلك لأنه لا مزية لهم على سائر البشر إنهم يكدون ويكدحون فى طلب الرزق والسعى فى الأرض كسائر الناس. والتوراة قد فرضت أحكامًا فى العبادات والمعاملات قد التزم بها عيسى وتلاميذه وعمل بها وأمر أتباعه أن يعملوا بها ومن لا يعمل بها يعتبر ملعونًا (ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها)[٢].

أى مزية لهم وهم كسائر الناس؟ وأى تغير فى الدنيا قد حصل بعد المسيح وما تزال الدنيا مليئة بالخير والشر والسرور والأحزان بالسلام والحرب وبالأمن والخوف؟[٣].

(على أنه لو كان التجسد هو الذى يعيد إلى الإنسان وضعه الأول ويرفع عنه سلطان الموت والفناء ـ الذى هو جزاء الخطيئة ـ الأبدى لكان ذلك بالأولى أن يقع لآدم منذ اللحظة التى نزل فيها إلى الأرض لا أن يُنتظر به حتى يتوالد وتكثر مواليده وأمواته وتمتلئ الأرض من هؤلاء وهؤلاء ثم تلقاهم الكلمة المتجسدة لتعيدهم إلى الحال الأول ولتجعل من كل واحد منهم صورة من آدم الأول قبل أن يلبس ثوب الخطيئة.

ومع هذا فنقول ما قلناه من قبل وهو أن التجسد لم يغير من الأمر شيئًا فمازال الناس يولدون ويموتون ومازال سلطان الموت قائمًا عليهم. فأين ما للتجسد من أثر فى هذا الأمر الذى يقال إن المسيح قد جاء له؟)[٤].

فالتجسد لم يقض على الشرور والآثام التى نجمت نتيجة لمعصية آدم.

---

(١) المسيح فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٥٦.
(٢) تثنية ٢٧ : ٢٦.
(٣) أقانيم النصارى ص٧٤.
(٤) المسيح فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٥٧.

ثم أليس من الأولى لو كان التجسد هو الذى يعيد الناس إلى حالتهم الأولى أن يقع لآدم منذ اللحظة الأولى التى نزل فيها إلى الأرض؟ ومع ذلك فإن التجسد لم يحدث أى أثر فى حياة الناس.

أى لم يغير شيئًا فما معنى ذلك؟

نقول إن ذلك يعنى أن القول بأن التجسد من أجل خلاص البشر قول غير مقبول لأنه ـ التجسد ـ لم يحدث أى أثر فى حياة الناس الذين آمنوا به.

وبذلك يتبين فساد التجسد وأسبابه.

مصدر عقيدة التجسد فى المسيحية

لقد تبين لنا مما سبق أن عيسى لم يقل عن نفسه أنه إله أو ابن إله.

وهذا يعنى أن التجسد ـ الذى يعنى أن الله ظهر فى صورة بشرية ليس من تعاليم المسيح نفسه.

ثم إننا رأينا أن عقيدة التجسد لا تتسق مع صحيح العقول إذ لا تستطيع العقول أن تفهمها وقد ناقشناها وبينا فسادها وفساد ما ترتب عليها.

وإذا لم يكن التجسد من تعاليم المسيح ولا يتفق مع صحيح العقول فهذا يعنى أن له مصدرًا آخر غير تعاليم المسيح ذلك أن المسيح واحد من رسل الله الذين يدعون إلى توحيد الله عز وجل.

وإذا نظرنا إلى الديانات الوثنية القديمة نجد أن التجسد كان من أهم عقائدها وهذا يعنى أن النصارى ليسوا هم أول القائلين بهذا التجسد بل وجد فى المجتمعات الوثنية قبل وجودها بين النصارى بمئات السنين.

يقول جيمس فريزر (ترجع فكرة "الإنسان الإله" أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوى إلهية أو خارقة للطبيعة ـ فى جوهرها ـ ترجع إلى الحقبة الأولى من التاريخ الدينى التى كان ينظر فيها إلى الآلهة على أنهم كائنات من نوع واحد تقريبًا)[1].

---

(١) جيمس فريزر: الغصن الذهبى جـ١ ص٣٣٣.

فالتجسد وجد فى المجتمعات الوثنية حيث كان يتميز بعض البشر بأنهم آلهة. ولقد وجدت هذه العقيدة فى الديانات الوثنية بصور مختلفة ورويت بروايات مختلفة. يقول دوان (ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم. وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية)[١].

ويقول د/ محمد إسماعيل الندوى (والوثنيون فى كل عصر وزمان قد منحوا لكل صفة من صفات الله صورة إنسانية وأضفوا عليها صفات إنسانية وهذه هى الآلهة إن قدرة الله ورحمته قد تجسدت فى صورة إله فى كل أمة من الأمم مثل "البعل"[٢] عند السامين و"أندرا"[٣] عند الآريين والهنود و"جوبيتر"[٤] عند اليونانيين وقد عرضوا هذه الآلهة فى صورة الإنسان وسيرته[٥].

وقد ورد التجسد بروايات مختلفة ذلك أنه لم يقتصر على الأبطال فقط (فقد يتم التجسد المزعوم حتى فى أشخاص من أحط الطبقات، ففى الهند مثلاً بدأ أحد الآلهة البشرية حياته بالعمل بتبيض القطن وبدأها آخر ابنا لأحد النجاريين)[٦].

---

(١) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٥٤.

(٢) الإله الكلدانى البابلى (بعل) الذى من اسمه تسمت بعلبك فى لبنان، ظهر منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد عند البابلين باسم (بل) وعنهم أخذه الكنعانيون ولقبوه بالسيد أى (زوج) وعرفت ديانة البعل ـ كإله ولقب ـ فى سوريا وفلسطين منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد، ثم تطورت ديانته ودخلت فى اللاهوت المحلى بعد ذلك الزمن فأصبح لكل مدينة بعلها أو ربها الحامى وتنوعت ألقابه. راجع (مدخل لدراسة الفلكور والأساطير العربية) ص٣٢.

(٣) الإله أندرا وهو من أعظم الآلهة الآريين فى الهند وأخطرها شأنًا وأكثرها مكانة وتقديرًا، وهو فى نظرهم إله الآلهة الذى ظهر فى الوجود أول ما ظهر، وهو الذى يعد أول من تلقى الروح ثم أنقذ جميع الآلهة بقوته الإلهية، وهو يشبه فى سلطاته الواسعة الإله "البعل" فى سوريا ولبنان كما أنه سمى عند الإغريق بجوبيتر. راجع الهند القديمة ص٧٧.

(٤) الإله جوبيتر من آلهة اليونان والرومان وهو من أحب الآلهة القومية إلى قلوب الشعب الرومانى وإن لم يكن هذا الإله قد أصبح ملكها كما أصبح (زيوس) عند اليونان. وكان فى القرون الأولى من حياة رومة لا يزال قوة نصف معنوية يمثل رقعة السماء المتلألئة وكان يسمى إله المطر ـ أو إله السماء) راجع قصة الحضارة المجلد الثالث ص١٢٧.

(٥) د/ محمد إسماعيل الندوى: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص١١٣.

(٦) الغصن الذهبى جـ١ ص٣٣٦.

فالتجسد ظهر فى المعتقدات الوثنية قبل ظهور المسيح بمئات السنين وكانت هذه المعتقدات منتشرة فى البلاد اليونانية ثم الرومانية وكان لانتشارها فى هذه البلاد أكبر الأثر فى تأثر المسيحية بها[١].

أولاً: وكان أهم هذه المعتقدات والتى يظهر تأثر المسيحية بها (الديانة المثراسية).

(وهى ديانة فارسية الأصل وقد ازدهرت فى بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون ثم نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق. م وانتشرت فى بلاد الرومان وصعدت إلى الشمال حتى وصلت إلى بريطانيا، وكان أهم معتقدات هذه الديانة أن مثرا كان وسيطًا بين الله والبشر وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم)[٢].

يقول ربرتسون: إن ديانة مثراس لم تنته فى روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية[٣].

فلقد انتشرت هذه الديانة فى بلاد الرومان ـ وأهم ما فيها أن مثرا هو المنقذ المخلص للبشر ـ وكان لانتشارها فى بلاد الرومان والتى انتشرت فيها المسيحية ـ أكبر الأثر فى تأثر المسيحية بها، ولكن كيف؟

لقد قلنا سابقًا إن "بولس" هو أول من قال بألوهية المسيح.

والباحثون يقررون أن بولس كان على علم بالميثراسية يقول ولز (كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس وكان فى بادئ الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ثم اعتنق المسيحية فجأة وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة.

وكان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فتراه على علم عظيم باليهودية والميثراسية ديانة ذلك الزمان التى تعتنقها الإسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيرًا من

---

(١) راجع فى ذلك المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٠ ـ ٧١.
(٢) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١٧٧.
(٣) المرجع السابق ص١٧٨.

فكراتهم ومصطلح تعبيرهم وعلّم الناس أن عيسى ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانًا ويصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر)[١].

فالديانة الميثراسية كانت تعتقد بإله مخلص، وهذه الديانة انتشرت فى بلاد الرومان وكان بولس على علم بها، وبولس هو الذى أدخل عقيدة أن المسيح إله مخلص فى المسيحية فماذا يعنى ذلك؟

لاشك أن هذا يعنى أن بولس تأثر بالديانة الميثراسية الوثنية.

وأدخل اعتقاد أن المسيح إله مخلص فى المسيحية متأثرًا بالمعتقدات الوثنية.

ثانيًا: ولقد ظهر التجسد فى بلاد الهند منذ فترة بعيدة وانتقلت هذه العقيدة أيضًا إلى بلاد اليونان والرومان.

يقول د/ محمد الندوى (إن جميع التطورات والتجديدات التى حدثت فى الديانة الآرية[٢] منذ عام ٨٠٠ ق. م إلى عام ٤٠٠ق. م كان روادها المفكرون الآريون وهم كانوا أصحاب الفكر والتجديد فى كل عصر، ولكن طبيعة الظروف وتقدم الحضارة فى شتى المجالات ساعدت الدروادييين[٣] على تطور ثقافتهم وتنمية أفكارهم وإشعال مواهبهم ونبوغهم، ومن جراء ذلك ظهرت عقيدة التقمص أو التجسد عندهم لأول مرة فى التاريخ وهى عبارة عن تجسد رب العالمين فى جسد إنسان)[٤].

لذلك فقد تجسد الإله كرشنا[٥].

---

(١) المرجع السابق ص١٤٢.

(٢) كلمة "الآرى" تعنى الشرفاء وأطلقت الآرية على (الأمة الهندية الأوربية) حيث إنه أطلق على الأوربيين بعد نزوحهم إلى الهند الأمة الآرية (الهند القديمة ص٣٦).

(٣) وهم الشعب الهندى الأصلى الذى كان يقطن المناطق الهندية الممتدة من الشمال إلى الجنوب ويتسم باللون الأسمر والأسود على حسب المناطق التى سكنها.

(٤) الهند القديمة حضارتها ورواياتها ص١١٠.

(٥) كرشنا كان من ملوك شمال الهند أصلاً ومن شخصياتها البارزة كما تصوره ملحمة "المهابهاراتا" أ. هـ الهند القديمة ص١١٢ (والمهابهاراتا روايات وأساطير وتعاليم ووصايا وأخلاق وفن وأدب وعلوم. كما نجد فيها الاستطرادات الجمة والأسماء الصعبة المتشابهة والكثيرة، تروّج لعقيدة ينادى بها السعيد الذى هو الإله كرشنا والذى هو مظهر من مظاهر تجسدات الإله الخالق. وهى مترجمة إلى العربية. أ. هـ د/ على زيغو: الفلسفات الهندية ص١٦٨.

يقول ألن: أما كرشنا فهو أعظم من كافة الآلهة التى تجسدت ويمتاز عنهم كثيرًا لأنه لم يكن فى أولئك إلا جزء قليل من الألوهية أما هو (كرشنا) فإن الإله (فشنو)[١] ظهر بالناسوت[٢].

ويقول د/ على زيغو:

إن كرشنا قد حل فى شكل بشرى، هبط هذا الإله إلى الأرض كى يخلص البشرية، وحيث إنه جاء ليخلص فهو بمثابة إله شخص يهتم بالعالم ويساعد الإنسان، ومن صفات الإله كرشنا أنه محبة وبسبب ذلك تجسد[٣].

ولقد انتشر التجسد فى بلاد الهند انتشارًا واسعًا وشمل أشخاصًا كثيرين ومن هؤلاء (بوذا).

حيث اعتقد البوذيون فى بوذا بأنه إله تجسد فى صورة بشرية.

يقول هوك ـ أحد المبشرين الفرنسيين عندما تحدث عن بوذا ـ ما نصه:

والبوذيون يعدونه إلهًا متجسدًا أى أنه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفديهم ويبنى لهم طريق السلام. والقول بالفداء بواسطة إله يظهر بالناسوت عمومى عند البوذيين[٤].

فتجسد الإله فى صورة بشرية من أجل الخلاص كان من أهم معتقدات الديانات الهندية حيث اعتقد الناس فى كثيرين هذا الاعتقاد.

وهذه العقيدة انتقلت من بلاد الهند إلى بلاد اليونان فى فترة ما قبل الميلاد بسنوات عديدة.

---

(١) الإله فشنو هو الذى يتجسد فى الشخصيات الأسطورية وكان سيد الآلهة ورب العالمين عند الدرواديين منذ القدم وكان موجودًا حتى فى حضارة نهر الهند لذلك اتسم باللون الأسمر.

و"براهمًا" كان سيد الآله ورب العالمين عند الآريين منذ ارتفاع سيطرة الكهنة عام ٨٠٠ ق.م (راجع الهند القديمة ص١١١).

(٢) العقائد الوثنية ص٥٤.

(٣) الفلسفات الهندية ص١٦٨.

(٤) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٦٠.

يقول د/ محمد الندوى (ومن الجدير بالذكر أن اليونان حينما اتصلت بالهند عقب غزوات الإسكندر على الهند، وتوطدت العلاقات بين الهند واليونان فى شتى المجالات أخذت فكرة التجسد السائدة فى الهند آنذاك وأدخلتها فى عقيدتها، فانتقل الإله (فشنو) عندها لينال التقدير والإعجاب، وكذلك أصبح (هليودروس) السفير اليونانى - رمز التجسد، كما انتقلت هذه النظرية إلى إيران بعد زرادشت، وأخيرًا انتقلت هذه النظرية إلى الرومان من اليونانيين والهنود على السواء، فهم بدورهم عرضوا السيد المسيح مجسدًا فيه الله سبحانه وتعالى متغلغلاً فيه)(١).

إن تجسد الإله قد انتقل من بلاد الهند إلى بلاد اليونان ثم انتقل إلى الرومان من اليونانيين والهنود، فاعتقد الناس فى آلهتهم التجسد، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فقط بل امتد إلى أكثر من ذلك فلقد اعتقد اليونان ثم الرومان الديانة البوذية (وهؤلاء اليونانيون الذين اعتنقوا البوذية قد آمنوا بأن بوذا قد تجسد فيه وكان هليودوروس - السفير اليونانى - أول من آمن بهذه العقيدة ثم آمن بها جميع اليونانيين المنتشرين من الهند إلى باكتيريا(٢) على حدود إيران من ناحية بحر قزوين.

وبهذا أصبحت الديانة البوذية منتشرة فى هذه المناطق وعرض فيها بوذا فى صورة (فشنو) الإله المتجسد)(٣).

ولما احتل الرومان هذه البلاد اعتنقوا الديانة البوذية (التى تتجلى فى أن الإله تجسد فى صورة بشرية، ولما ولد السيد المسيح فى فلسطين فى العهد الرومانى كانت هذه النظرية سائدة بين الرومانيين فى الشرق الأوسط كله وهذا هو السبب فى أن الرومان عرضوا السيد المسيح فى صورة الإله المتجسد أو بوذا الثانى وذلك بعد إيمانهم بالمسيحية)(٤).

وكان لاعتناق الرومان الديانة البوذية أكبر الأثر فى انتشارها وكسبها شهرة عالمية وسببًا من أسباب انتقال التجسد إلى المسيحية.

---

(١) الهند القديمة ص١١٢ - ١١٣.
(٢) فى منطقة بحر قزوين فى شمال غرب الهند.
(٣) الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص١٧٥.
(٤) نفس المرجع ،نفس الصفحة.

يقول د/ محمد الندوى (ومنذ أن دان الرومان بالبوذية وتم احتلالهم للمناطق الممتدة من بحر قزوين إلى الصين تتخللها بلاد الشرق الأوسط والهند كسبت البوذية الشهرة العالمية وأصبحت دين الدولة الرسمى لمعظم هذه البلاد، ومن المعروف أن الديانة البوذية كانت تتمثل فى عقيدة التجسد فى هذه الآونة، وهذه العقيدة هى التى أصبحت سارية المفعول فى هذه المناطق كلها، وبهذا تكون البوذية قد مهدت السبيل للمسيحية الرومانية التى امتصت جميع الخصائص البوذية العالمية وحلت محلها فى الشرق الأوسط وأخذت طريقها إلى أوربا، ونتيجة لذلك فقد أعطى الرومان للمسيحية نفس المكانة والتقدير والصفات التى كانت تتمتع بها البوذية من قبل، وبهذا يكون الرومان قد عرضوا السيد المسيح بنفس صورة بوذا أو المسيحية كصورة طبق الأصل للبوذية العالمية)[1].

فلقد اعتقد الهنود بالتجسد، وانتقلت هذه العقيدة إلى اليونان ثم الرومان الذين اعتنقوا البوذية وأدخلوا العقيدة الأساسية فيها ـ وهى التجسد ـ إلى المسيحية حيث عرضوا السيد المسيح بأنه الإله المتجسد.

ونخلص من هذا باختصار:ـ

بأن بولس وضع بذرة ألوهية المسيح فى المسيحية وكان متأثرًا بالأفكار والمعتقدات السائدة فى ذاك العصر وكان من أهم هذه المعتقدات التى تأثر بها (الميثراسية) وغيرها.

والرومان هم الذين جعلوا ألوهية المسيح من المعتقدات الرسمية فى المسيحية متأثرين فى ذلك بالأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة والتى كان من أهمها البوذية (متمثلة فى القول بالتجسد الإلهى فى صورة بشرية).

وعلى ذلك فإن مصدر عقيدة التجسد هو الأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة فى ذاك العصر والتى كانت تدور معتقداتها حول التجسد الإلهى فى صورة بشرية.



(١) نفس المرجع ص٢١٠.

الفصل الثالث

دعوى صلب المسيح وأهميتها للخلاص المسيحى

تمهيد:

إن الاعتقاد المسيحى السائد أن المسيح صلب، والصلب من أهم الأحداث التى تشكل الديانة المسيحية، فالصلب محور المسيحية، إذ أنه ركن ركين فى عمل المسيح الفدائى من أجل البشر.

لذلك يقول د/ فهيم عزيم (إن للصلب وللآلام مركزًا أساسيا فى عمل الله الفدائى)[١].

(على أن المسيحيين يؤكدون دائمًا أن الصليب أعظم جريمة فى تاريخ البشرية)[٢].

ولما كان الصلب ركنًا أساسيًا فى عمل الله الفدائى فهو بهذا رمز الإيمان المسيحى[٣] أو على حد قول القمص شنودة السريانى: صار الصليب علامة المسيحية وفخرها وعنوان التلمذة المسيحية وسرّ قوتها ومجدها بل صار شرطًا أساسيًا للتلمذة[٤].

لذلك جاء فى إنجيل متى: (إذا أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى)[٥].

على أنه برغم أهمية هذه الحادثة فإنها ليست لها من الأدلة التاريخية غير الأناجيل المسيحية.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: إن الأناجيل الأربعة تذكر لنا مؤامرة القبض ومحاكمة يسوع وموته، كما أنها تذكر أيضًا أسماء رؤساء الكهنة اليهود والحاكم

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص٨٨.

(٢) باركلى: تفسير أعمال الرسل ص٥٨.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٥٧.

(٤) القمص شنودة السريانى: فى ذكر شهداء المسيحية ص٤.

(٥) متى: ١٦: ٢٤.

الرومانى الذين اشتركوا فى محاكمة السيد، ولكن الوثائق التاريخية غير الإنجيلية التى تتكلم عن يسوع وموته قليلة جدًا، الأمر الذى أدهش المؤرخين كثيرًا [١].

ويقول: "إن الأناجيل تسجل لنا بوضوح قصة القبض على يسوع ومحاكمته وموته، وإن الذين قاموا بالحكم فى هذه القضية هم اليهود والرومان رؤساء الكهنة الذين كانوا يمثلون السلطة الدينية اليهودية وبيلاطس البُنطى الذى كان يمثل السلطة الحاكمة الرومانية المستعمرة لتلك البلاد فى ذلك الوقت، وبالرغم من ذلك فإن السجلات الرومانية المعروفة حاليًا لا تذكر لنا شيئًا عن محاكمة يسوع ولا عن موته!! وهنا يتساءل بعض المؤرخين واللاهوتيين: كيف يمكن أن يصدر بيلاطس البنطى حكمه بإعدام شخص فى أمة خاضعة لسلطة روما دون أن يرسل تقريرًا مفصلاً أو حتى موجزًا عن هذه القضية خصوصًا أن رؤساء الكهنة والكتبة قدموه إلى الحاكم الرومانى كمفسد للأمة وكإنسان ثائر ضد روما والسلطة الحاكمة[٢] لذلك جاء فى إنجيل لوقا:

"وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك... فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب"[٣].

ويقول: "فالتهمة التى أراد اليهود إلصاقها بالسيد هى تهمة سياسية وخطيرة جدًا فلم يتهموه أمام بيلاطس بأنه نبى كذاب أو مجدف أو هرطوقى... لأن كل هذه الأوصاف التى يمكن لليهود أن يصفوا بها هرطقة يسوع لا قيمة لها فى عينى بيلاطس الحاكم الرومانى، فإن مهمته ليست حفظ الدين اليهودى معصومًا من الغلط والهرطقة بل السهر على سلامة المصالح الرومانية والضرب بشدة على رأس كل من يقاوم سلطان قيصر، وبما أن اليهود يعرفون ذلك جيدًا فلقد اتهموا السيد بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر بل يدعى بأنه مسيح ملك أى مقاوم لسلطان قيصر ويريد أن يحرر إسرائيل، فكان من المنتظر إذن أن يعير بيلاطس الأمر

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٣٨.
(٢) المصدر السابق ص٣٣٩.
(٣) لوقا ٢٣ : ١ ـ ٧.

اهتمامًا أكثر وأعظم، وكان من الواجب أن يكتب إلى قيصر تقريرًا مفصلاً يشرح فيه كيف استطاع أن يصلب الشخص الذى ادعى لنفسه سلطان المسيا، ولكنا لا نجد فى السجلات الرومانية أى أثر لهذه القضية أى قضية محاكمة السيد أمام بيلاطس"(١).

ويقول: "فإن كانت السجلات الرومانية المعروفة لدينا حتى الآن تجهل قضية محاكمة يسوع إلا أن الأناجيل الأربعة بلا استثناء تسجل لنا هذه القضية"(٢).

ويقول الأستاذ/ عباس العقاد: بعد أن يذكر دخول المسيح إلى أورشليم ودخوله إلى الهيكل(٣). "وهنا ينتهى دور التاريخ ويبدأ دور العقيدة. ليس للتاريخ كلمة راسخة فى خبر من الأخبار التى أعقبت حادثة الهيكل وحركت كهانه للبطش والنكاية"(٤).

فالصلب لم يذكر فى السجلات الرومانية وهى الوثائق التاريخية لتلك الفترة لذلك سيكون جل اهتمامنا عند الحديث عن مقدمات الصلب وأحداثه على النص الإنجيلى فى روايته لهذه الحادثة ومقدماتها مع ما يوجبه البحث العلمى فى التعليق على هذه النصوص.

ومع أن عدم ذكر السجلات الرومانية لهذه الحادثة يفتح بابا كبيرًا للاعتراض حول هذه الحادثة، فإننا سنذكر هذه الحادثة كما جاءت فى الأناجيل ونبين مدى انطباق روايات الأناجيل بعضها البعض فى هذه الحادثة وهل هذه الروايات تعتبر حجة فى قبول حادثة الصلب ـ مع تجاهلنا للاعتراضات الواردة على الأناجيل التى ذكرناها سابقا ـ أم لا؟

هذا ما يكشف عنه البحث العلمى من خلال دراستنا.

ومنهجنا فى ذلك أن نذكر "رواية مرقس" على أساس أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل ونقيس عليها روايات الأناجيل الأخرى.

---

(١) المصدر السابق ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٣.

(٣) مرقس ١١ : ١ ـ ١٠، يوحنا ١٢ : ١٢ ـ ١٩، متى ٢١ : ١ ـ ١٧، ولوقا ١٩ : ٢٩ ـ ٤٤.

(٤) حياة المسيح ص١٩٠.

مقدمات الصلب

تروى الأناجيل أن كثيرًا من اليهود لم يؤمنوا بالسيد المسيح، يقول يوحنا: (إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله) [١] ويقول لوقا: "وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين: لا نريد أن هذا يملك علينا"[٢].

وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنه المسيا المنتظر الذى يخلصهم من ظلم الرومانيين وطغيانهم ولأنه كان دائم الكشف عن خداع كهنة اليهود للشعب اليهودى[٣] لذلك حاولوا الإيقاع بعيسى وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته، فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله ـ أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية، والخلافات المذهبية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوونها فيما بينهم، واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن فبثوا حوله العيون يرصدونه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلونها للحاكم الرومانى، فلم يجدوا، لأن عيسى ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسى والخلقى، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر الأمر بالقبض عليه، والحكم عليه بالإعدام صلبًا[٤].

١ ـ عمل اليهود على المكيدة لعيسى واجتمعوا على قتله وجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعًا وقالوا ماذا نصنع فى هذا الإنسان[٥]، ولما لم يستطيعوا أن يفعلوا به شيئًا ألبوا عليه السلطات الرومانية عن طريق أنهم اختلقوا عليه أقوالاً، وكذبوا عليه وذكروا للسلطات الرومانية أنه يهيج الشعب.

---

(١) يوحنا: ١ ـ ١١.
(٢) لوقا ١٩: ١٤.
(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ص١٤٠.
(٤) محاضرات فى النصرانية ص٢٨.
(٥) راجع يوحنا ١١: ٤٧ ـ ٥٣.

يقول لوقا: "فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئًا من الجليل إلى هنا"(١) مع أنه هو الذى أمر بالمحبة والسلام وقطع أسباب القتل والخصام، يقول المسيح:

"لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا"(٢).

ويقول: (أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم)(٣).

٢ ـ اشتكوا عليه بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر.

يقول لوقا: "فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس. وابتدأوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى الجزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك"(٤).

اشتكوا عليه زورا بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى الجزية مع أنه هو الذى دفع الجزية خاضعًا للشريعة. يقول متى: "ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس، وقالوا أما يوفى معلمكم الدرهمين، قال: بلى، فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلا: ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنيهم أم من الأجانب. قال له بطرس: من الأجانب، قال له يسوع: فإذا البنون أحرار. ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستارا فخذه وأعطهم عنى وعنك"(٥). "وكذلك هو الذى أمر قائلاً: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"(٦).

٣ ـ اشتكوا عليه بأنه يريد أن يجعل نفسه ملكًا ويدعى أنه ملك اليهود.

---

(١) لوقا ٢٣ : ٥.
(٢) متى ٥ : ٣٩.
(٣) متى ٥ : ٤٤.
(٤) لوقا ٢٣ : ١ ـ ٢.
(٥) متى ١٧ : ٢٤ ـ ٢٧.
(٦) مرقس ١٢ : ١٧.

يقول يوحنا: "ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين إن أطلقت هذا ـ أى المسيح ـ فلست محبًا لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكًا يقاوم قيصر"[١].

مع أن المسيح هو الذى علم الوادعة والتواضع والهرب من المجد العالى، ولما علم أنهم مزمعون أن يأتوا إليه ويختطفوه ليقيموه ملكًا انصرف إلى الجبل وحده.

يقول يوحنا: "مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التى كان يصنعها فى المرضى فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه"[٢] ويقول: "وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا انصرف أيضًا إلى الجبل وحده"[٣].

كذبوا عليه وأخذوا يألبون عليه السلطات الرومانية ومن هنا أرسل الملك قوة من الجند للقبض عليه، وكان اليهود قد اتفقوا مع أحد تلاميذه وهو يهوذا الإسخريوطى، وكان عمله بين الحواريين (أمين الصندوق)، أى الرجل المؤتمن على الأموال، ولكنه ـ حسب رواية الأناجيل ـ خان عيسى، واتفق مع اليهود على أن يرشد جند الملك عليه، لأن الجنود لم يكونوا يعرفوا عيسى، واتفقوا على أن يعطوه فضة كما فى رواية مرقس[٤]. أو ثلاثين من الفضة كما جاء فى إنجيل متى: "حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال: ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه"[٥].

دعوى القبض على المسيح

وقد اختلفت الأناجيل فى رواية خبر القبض على المسيح

(١) يوحنا ١٩ : ١٢.
(٢) يوحنا ٦ : ١ ، ٢.
(٣) يوحنا ٦ : ١٥.
(٤) مرقس ١٤ : ١ ـ ١٢.
(٥) متى ٢٦ : ١٤ ـ ١٦.

يقول متى (وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً الذى أقبله هو هو أمسكوه، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدى. وقبله. فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه)[١]. يبين "متى" أن يهوذا الإسخريوطى جاء ومعه الجمع الكثير للقبض على يسوع ولقد أعطاهم العلامة التى بها يستطيعون التعرف عليه وهى أنه (يقبله)، بينما يذكر إنجيل يوحنا هذه الحادثة فيقول:

"فأخذ يهوذا الجند وخدامًا من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون أجابوه يسوع الناصرى. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضًا واقفًا معهم. فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم أيضًا من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصرى. أجاب يسوع قد قلت لكم إنى أنا هو!! فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون. ليتم القول الذى قاله أن الذى أعطيتنى لم أهلك منهم أحدًا"[٢].

نرى هنا اختلافًا واضحًا بين الروايتين:

فـ"متى"يبين: أن يهوذا هو الذى عرفهم بالمسيح وذلك عن طريق التقبيل للمسيح وهى العلامة التى اتفق معهم عليها.

و"يوحنا" يبين أن المسيح هو الذى قدم نفسه.

على أن هناك اختلافًا بين "متى" و"لوقا" فى هذه الحادثة.

يذكر "متى" أن المسيح قال ليهوذا بعد ما قبله (لماذا جئت هنا؟)

ويذكر "لوقا" أن المسيح قال ليهوذا بعد القبلة (أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟)[٣] وهو اختلاف واضح. الرواية الأولى تذكر أن المسيح يسأل يهوذا ما الذى جاء به؟ والرواية

---

(١) متى ٢٦: ٤٧ـ ٥٠.

(٢) يوحنا ١٨: ٣ـ ٩.

(٣) لوقا ٢٢: ٤٨.

الثانية المسيح يعرف ما الذى جاء بيهوذا لذلك فهو يعاتبه ويقول له أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟.

فأى الروايات أصح.

على أن رواية خيانة يهوذا لأستاذه شك فيها بعض أساتذة اللاهوت.

يقول دنيس أريك بينهام ـ أستاذ اللاهوت بجامعة لندن :ـ

من المناسب أن نضيف هنا أن (باكون) قد طعن فى القيمة التاريخية لكل هذه الفقرات فى مقال هام وشهير: ماذا كانت خيانة يهوذا؟

وذلك على أساس أن السلطات كانت تعرف يسوع. كما كانت على علم تام بتحركاته، وكانت فى استطاعتها أن تكشف مكانه بسهولة، وتقبض عليه فى هدوء دون ما حاجة إلى طلب معاونة غير مضمونة من خونة مأجورين[1].

فمصدر الشك فى خيانة يهوذا[2] أن السلطات الرومانية كانت تعرف يسوع وكانت على علم تام بتحركاته فلا تحتاج إلى مرشد يرشدها إلى يسوع حتى يستطيعوا القبض عليه.

هذا إلى جانب ما أوردناه سابقًا من اختلاف الأناجيل فى رواية هذه الحادثة. وعموم القول إن المسيحيين يعتقدون أنه تم القبض على يسوع بواسطة يهوذا الإسخريوطى وبدأت محاكمته.

---

(١) نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٤٥.

(٢) وهناك دليل شك آخر وهو أن الأناجيل تذكر أن التلاميذ الاثنى عشر أعطاهم المسيح سلطانًا ووعدهم بالحياة الأبدية ـ راجع متى ١٠ : ٢ ـ ٤، مرقس ٣: ١٣ ـ ١٩ قال لهم "طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله" "لوقا ٦ : ٢٠" كما أن المسيح وعدهم بالحياة الأبدية قائلا : "متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر" متى١٩ : ٢٨، ولاشك أن وعد المسيح بالحياة الأبدية وملكوت الله يعنى أنهم لا يفعلون شيئًا يخرجهم عن هذه الحالة، أما وأن (يهوذا) أحد التلاميذ الذى وعدهم المسيح بالحياة الأبدية خانه فمعنى ذلك أن جميع أفراد الاثنى عشر لا ينالون هذا الوعد، إذ أن واحدًا منهم خانه فخرج من هذا الوعد، وهذا يعنى إما أن يكون المسيح قد كذب فى وعده، أو أن ـ الأناجيل كذبت فى اتهام يهوذا بالخيانة.

دعوى محاكمة يسوع

المحاكمة الأولى: أمام مجمع اليهود

تذكر الأناجيل أنه بعد أن تم القبض على المسيح بواسطة أحد تلاميذه مضوا بيسوع للمحاكمة أمام مجمع اليهود (السنهدريم)[١] وكان يمثل الشعب أمام الرومان.

وهنا نترك المجال للأناجيل لوصف هذه المحاكمة.

يقول مرقس (فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة. وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسًا بين الخدام يستدفئ عند النار. وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا. لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم. ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد. ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق، فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلاً أما تجيب بشىء. ماذا يشهد به هؤلاء عليك. أما هو فكان ساكتًا ولم يجب بشىء. فسأله رئيس الكهنة أيضًا وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود قد سمعتم التجاديف. ما رأيكم. فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت. فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ. وكان الخدام يلطمونه)[٢].

تبين هذه الرواية (رواية مرقس) أن الذين قبضوا على يسوع مضوا به مباشرة عقب القبض عليه ـ أى بالليل[٣] ـ إلى مجمع اليهود حيث اجتمع رؤساء الكهنة

---

(١) السنهدريم: مجلس اليهود الكبير فى حياة المسيح، وقد أطلق هذا الاسم على هذا المجلس باعتباره المحكمة العليا للأمة اليهودية، وكان السنهدريم يمثل الشعب أمام الرومان، ويتكون من واحد وسبعين عضوًا، سبعون منهم مثل عدد الشيوخ الذين عاونوا موسى، والحادى والسبعون هو رئيس الكهنة. وقد توقف عمل السنهدريم بعد عام ٧٠م وذلك بعد خراب أورشليم. راجع فى ذلك (قاموس الكتاب المقدس ٤٨٩).

(٢) مرقس ١٤ : ٥٣ ـ ٦٥.

(٣) وذلك لأن القبض على يسوع كان بالليل ويدل على ذلك أنهم ذهبوا للقبض على يسوع ومعهم المصابيح والمشاعل (يوحنا ١٨ : ٣ ، ٤).

والكتبة والشيوخ ليحكموا على يسوع، وبعد المناقشات والمحاورات وإثبات تهمة التجديف على الله زورا حكم عليه المجمع بالموت، وبدأ تعذيبه بالبصق واللكم واللطم.

وفى مناقشة هذه الرواية يقول نينهام:

ليس من السهل أن نبين كيف نشأ هذا الجزء، ولقد كان السؤال حول قيمته التاريخية ـ ولا يزال ـ موضوعًا يتعرض لمناقشات حيوية، ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك فى قيمته التاريخية باختصار كما يلى:

١ ـ يصف القديس مرقس المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع ـ أى السنهدريم ـ ولما كانت لائحة السنهدريم المذكورة فى المشنا[1] تبين الخطوات التفصيلية التى يجب اتخاذها أمام تلك الهيئة فإن المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره مرقس عن محاكمة يسوع تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار.

٢ ـ ولكن هل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء السنهدريم ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التى تسبق المحاكمة فى منتصف ليلة عيد الفصح وإذا اعتبرنا أو إذا اعتبرنا أن تقويم القديس مرقس لأسبوع الأحداث غير دقيق فهل كان من الممكن أن يجتمعوا فى منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح؟ إن محاكمة رسمية فى مثل ذلك الوقت تبدو شيئًا لا يمكن تصديقه كما يشك أغلب العلماء تمامًا فى عقد جلسة فى مثل ذلك الوقت ولو لعمل تحقيقات مبدئية.

إن القديس لوقا لا يذكر شيئًا عن عقد المجمع بالليل فهو يقول (ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم).

---

(١) المشنا: أحد أجزاء التلمود إذ أن التلمود يتكون من جزءين:
الأول يسمى المشنا وهو الأصل أى المتن للتلمود.
والجزء الثانى: الجمارة وهو شرح المشناة.
والمشنا معناها بالعبرية (المعرفة أو القانون الثانى أو الشريعة المكررة لأنهم يقولون إن المشنا تكرار لما ورد فى توراة موسى) راجع مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٤٥.

كما تبدو رواية مرقس عن عقد جلسة الصباح الباكر ـ التى يقول عنها:

(وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة) ـ أنها قائمة على غير أساس لذلك فإن أغلب العلماء يعتقدون أنه لما كان القديس مرقس يعلم عن روايتين للمحاكمة ذكر أولاهما فى الإصحاح الرابع عشر وذكر الثانية فى الإصحاح الخامس عشر فلعله نتيجة لمباحث خاصة حصل بها على فكرة مبهمة عما حدث بعد القبض فإنه قد فهم خطأ أن الروايتين تشيران إلى محاكمتين مختلفتين (الأولى بالليل والثانية بالنهار). وفى حقيقة الأمر فإن السلطات اليهودية اجتمعت مرة واحدة فقط وكان ذلك فى الصباح الباكر كما هو مذكور فى الإصحاح الخامس عشر[(١)].

ثم يقول (إن البعض بسبب ذلك يشك فى هذه الرواية وذلك بالبراهين التالية:

أ ـ إذا حدث تحريض الشهود الزور للتقدم بشهاداتهم، ألم يكونوا قد لقنوا شهاداتهم مقدمًا كإجراء حصيف لابد منه لكى تتفق شهاداتهم؟.

ب ـ وحسب الشريعة اليهودية نجد أنه لا الأقوال التى نسبت ليسوع عن نقض الهيكل حتى لو أمكن إثباتها ـ ولا إجابته لرئيس الكهنة تعتبر تجديفًا على الاسم الإلهى مما يقتضى شجبه بطريقة خاصة حسبما يذكره سفر اللاويين (كل من سب إلهه يحمل خطيته. ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل يرجمه كل الجماعة رجمًا)[(٢)].

جـ ـ وإذا كان يسوع قد أدين بسبب التجديف ـ كما يقرر الإنجيل ـ فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب وذلك برجمه حتى الموت وفق ما يقوله سفر اللاويين[(٣)].

ومجمل الشك فى رواية المحاكمة الأولى كما يلى:

❖ أن الرواية تذكر أن المحاكمة أمام المجمع بدأت بعد القبض مباشرة مع أنه كان ولابد من اتخاذ الإجراءات والخطوات التفصيلية التى تحدث فى المجمع والتى تذكرها

(١) تفسير إنجيل مرقس نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٥١.
(٢) سفر اللاويين ٢٤: ١٥ ـ ١٦.
(٣) المرجع السابق ص١٥٢.

المشنا. يقول عنها باركلى: (تجلس هيئة المحكمة فى وضع دائرى حتى يرى الواحد الآخر ويجلس فى صدر المحكمة الرئيس فى ثياب حزينة. ويجلس خلفه تلاميذ الربيين فى صفوف منتظمة ليدافعوا عن المتهم إن أمكن، وكل شهادة منهم يجب أن تدعم بشخصين منعزلين، كما يمكن لأى عضو فى المحكمة أن يتكلم ضد المتهم ثم يغير رأيه ويدافع عنه، ولكن لا يجوز العكس، وإن لزمت فتوى فى المحكمة كان على كل عضو أن يدلى برأيه مبتدئًا من الأصغر إلى الأكبر، ويجب أن يكون الحكم بالعفو والبراءة مدعمًا من الأغلبية ولو لم يوافق اثنان منهم، كما لا يجوز مطلقًا تنفيذ الحكم بالإعدام فى نفس يوم النطق بالحكم بل لابد أن تمضى ليلة كاملة بعد ذلك، وربما فى تلك الليلة يتغير الحكم من الموت إلى البراءة أو الرأفة بتخفيف الحكم)[١] وهذه الإجراءات لم تقع ولم تحدث فى محاكمة يسوع مما يجعل الشك يتطرق إليها.

❖ ثم إن هذه المحاكمة ـ كما يذكرها مرقس ـ وقعت بالليل، والمحاكمة فى ذلك الوقت لا يمكن تصديقها، إذ يشك العلماء فى عقد جلسة فى مثل ذلك الوقت خاصة وأن قانون المجمع يقضى ـ كما يقول باركلى:

"لا يجتمع المجمع ليلاً"[٢].

ويؤيد ذلك الشك أن إنجيل لوقا لا يذكر شيئًا عن محاكمة يسوع ليلاً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد لدى مرقس رواية أخرى عن محاكمة يسوع أمام المحكمة العليا لليهود فى وضح النهار، فأى الروايات أصح؟ هل كانت محاكمة يسوع بالليل أم بالنهار؟ أم بالليل والنهار؟ ولما كان الصحيح غير متعين فالشك يرد على الجميع.

❖ ثم إن الشك يتطرق إلى رواية المحاكمة من ناحية أنها رواية لا من شاهد وعاين، لأنهم ـ أى كتبة الأناجيل ـ لم يحضروا جلسة الأحداث، ولم يحضر أى واحد من تلاميذ المسيح هذه المحاكمة؟

---

(١) باركلى: تفسير إنجيل لوقا ص٣٥٨ ، ٣٥٩.
(٢) المرجع السابق ص٣٥٨.

فكيف عرف كتبة الأناجيل هذه الأحداث؟

❖ على أن وقائع المحاكمة التى رويت ـ ومن خلال الأحداث والأقوال التى رويت فى المحاكمة ـ تدل دلالة واضحة على أنها استنتاج شخصى وليست حكاية للوقائع والأحداث. ذلك أن الرواية تذكر أن شهود زور قاموا وشهدوا على المسيح: ألا يحتاج هؤلاء الشهود إلى تلقين مسبق لما سوف يشهدون به؟

وإذا كان هذا حدث ففى أى وقت حدث هذا التلقين إذا قلنا إن المحاكمة وقعت ليلاً عقب القبض على يسوع مباشرة؟

❖ وإذا أغفلنا النظر عما سبق ـ فإن أقوال يسوع ـ حسب الشريعة اليهودية التى ذكرت فى رواية المحاكمة لا تدينه حيث إنها ليست تجديفًا، لأن التجديف ـ كما يقول قاموس الكتاب المقدس ـ كلام غير لائق فى شأن الله وصفاته أى سب الله. والمسيح لم يفعل ذلك، فلا يستحق أن يحكم عليه المجمع بأنه قد جدف على الله!! وعلى فرض أن أقواله تعتبر تجديفًا يستحق عليها حكم الإعدام فإن الواجب كما تقول الشريعة اليهودية أن تقوم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب على هذا المجدف وهو ما لم يحدث.

كل هذا يجعل الشك قائمًا فى قيمة هذه المحاكمة كحدث من الأحداث التاريخية.

❖ ثم إننا إذا نظرنا إلى روايات الأناجيل لهذه المحاكمة ـ بجانب رواية مرقس ـ فإننا نجد فيها التناقض الواضح.

فقد اختصر (متى) رواية مرقس وأضاف إليها طلب رئيس الكهنة من المسيح أن يحلف بالله على صحة ما يقول (أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله)[1].

كما أضاف جزءًا من كلمات السخرية (وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك)[2] هذا بجانب إضافات أخرى.

أما بالنسبة لهذه الحادثة فى إنجيل لوقا فإنها تختلف عما جاء فى إنجيل مرقس وإنجيل متى فى عنصر مهم وهو: أن مرقس ومتى يذكران أن محاكمة يسوع أمام

(١) متى ٢٦ : ٦٣.

(٢) متى ٢٦ : ٦٨.

المجمع كانت فى صباح اليوم التالى يقول لوقا (ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم)[١].

هذا بجانب اختلاف جوهرى آخر وهو أن مرقس ومتى[٢] يذكران أن رؤساء الكهنة والمجمع كلهم كانوا غير راضين عن يسوع ويطلبون شهادة زور عليه حتى يتسنى لهم قتله. وهذا لا يتفق مع ما روى فى إنجيل لوقا من أن يوسف الرامى وهو أحد أعضاء مجلس السنهدريم لم يكن موافقًا على رأيهم وغير راض عن عملهم.

يقول لوقا (وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيرًا ورجلاً صالحًا بارًا. هذا لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم)[٣].

أما رواية إنجيل يوحنا فإنها تختلف كل الاختلاف عن الأناجيل الثلاثة إذ أنها تذكر أن القوة التى قبضت على يسوع ذهبت به إلى (حنان أولاً) ـ حما قيافا رئيس الكهنة ـ بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة (قيافا) رأسًا كما بين مرقس ومتى ولوقا، يقول يوحنا (ومضوا به إلى حنان أولاً لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيسًا للكهنة فى تلك السنة)[٤].

على أن هناك اختلافًا آخر بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة.

فبينما نجد فى إنجيل متى ومرقس أن المجمع كله مجمع على الكره لعيسى، فإننا نجد إنجيل لوقا يذكر أن "يوسف الرامى" وهو أحد أعضاء المجمع غير راض على عمل هذا المجمع فى حكمه على عيسى عليه السلام.

وفى الوقت نفسه نجد أن إنجيل يوحنا يذكر أن (نيقوديموس) وهو أحد أعضاء المجمع غير موافق على حكمهم. يقول يوحنا (فقال لهم نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم ألعل ناموسًا يدين إنسانًا لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل، أجابوا وقالوا له ألعلك أنت أيضًا من الجليل)[٥].

---

(١) لوقا ٢٢ : ٦٦.
(٢) مرقس ١٤ : ٥٥، متى ٢٦ : ٥٩.
(٣) لوقا ٢٣ : ٥٠/٥١.
(٤) يوحنا ١٨ : ١٢ ـ ٢٤.
(٥) يوحنا ٧ : ٥٠ ـ ٥٢.

فإنجيل يوحنا يبين أن نيقوديموس لم يكن موافقًا لرؤساء الكهنة الفريسيين بالحكم على عيسى بأنه قد جدف على الله.

وهكذا نجد اختلافًا كبيرًا آخر بين الأناجيل فى واقعة أخرى من وقائع وأحداث الصلب، تلك الاختلافات التى تجعلنا نقول: هل هذه الحادثة وقعت أم لا؟

وإذا كانت قد حدثت فأى الروايات نعتمد عليها؟ وأى الروايات أحق وأجدر بأن تكون هى الصادقة؟

المحاكمة الثانية: أمام والى الإمبراطورية الرومانية (بيلاطس)

بعد أن حكم مجمع اليهود على المسيح بأنه يستحق الموت لأنه يكذب على الله، أوثقوه ومضوا به إلى بيلاطس الوالى الرومانى، وهنا تبدأ وقائع المحاكمة الثانية ليسوع وكانت أمام والى الرومان.

يقول مرقس (وللوقت فى الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس، فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ فأجاب وقال له أنت تقول، وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرًا، فسأله بيلاطس أيضًا قائلا أما تجيب بشىء، انظر كم يشهدون عليك. فلم يجب يسوع أيضًا بشىء حتى تعجب بيلاطس. وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيرًا واحدًا من طلبوه، وكان المسمى باراباس موثقًا مع رفقائه فى الفتنة الذين فى الفتنة فعلوا قتلاً، فصرخ الجميع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائمًا يفعل لهم، فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدًا، فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكى يطلق لهم بالحرى باراباس، فأجاب بيلاطس أيضًا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود، فصرخوا أيضًا اصلبه، فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل. فازدادوا جدا صراخًا اصلبه، فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب)[1].

---

(١) مرقس ١٥ : ١ ـ ١٥.

فاليهود بعد أن حكموا على عيسى بالموت ذهبوا به إلى بيلاطس كى يأمر بتنفيذ حكم الصلب على عيسى، وبيلاطس حينما أسلموا له المسيح سأله عن التهمة الموجهة إليه: هل أنت ملك اليهود؟ وعلى عادة هذا الذى أمسكوه يجيب أنت تقول واحتج عليه بيلاطس بشهادة هذا الجمع الغفير فلم يجب بشىء.

وتبين هذه الرواية أنه كان من العادة أن يطلق والى الرومان أحد الأسرى فى عيد الفصح، فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يكون المعفو عنه (باراباس) وليس المسيح عيسى بن مريم، وامتثل بيلاطس لطلب رؤساء الكهنة وأسلم يسوع للجلد ثم الصلب.

يقول نينهام عن هذه المحاكمة - (إننا لم نخطر كيف علم بيلاطس بالتهمة؟ ولماذا لم يرد ذكر لحكم رسمى؟.

أما بالنسبة لما قيل من عادة إطلاق أحد المسجونين فإن وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه لا يعرف شىء عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا!! إن القول بأن عادة الحكام الرومان جرت على إطلاق أحد المسجونين فى عيد الفصح، وأن الجماهير هى التى كانت تحدد اسمه بصرف النظر عن جريمته، إنما هو قول لا يسنده أى دليل على الإطلاق، بل إنه يخالف ما نعلمه عن روح الحكم الرومانى لفلسطين وأسلوبه فى معاملة أهلها.

على أن محتويات الحوار بين بيلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضًا، فيبدو منها: أن بيلاطس قد وجه مقدمًا بالاختيار بين مجرمين أدينا بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر. ولكن فى نهاية الفقرة الثانية[١] نجد أن يسوع لم يدان، وحسبما تذكره القصة لا نجد مبررًا يمنع بيلاطس من تبرئة يسوع إذا كان قد اعتقد فى براءته وإصدار عفو كذلك عن باراباس)[٢].

---

(١) المراد من قوله الفقرة الثانية (فسأله بيلاطس... إلى قول الإنجيل فلم يجب يسوع بشىء حتى تعجب بيلاطس) مرقس ١٥ : ٢ - ٥.

(٢) تفسير إنجيل مرقس ص٤١٥ نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٦٠.

ويقول عن رواية مرقس لهذه المحاكمة (ورغم أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت فى العراء فإن رواية مرقس لا يمكن اعتبارها بأية حال تقريرًا لشاهد عيان، وفى الواقع أنها ليست تقريرًا على الإطلاق)(١).

❖ فرواية مرقس عن محاكمة بيلاطس ليسوع ليست تقريرًا لشاهد عيان لأن الأناجيل لا تذكر شيئًا عن حضور التلاميذ أو أحدهم لهذه المحاكمة.

❖ وكذلك أيضًا لا تعتبر رواية مرقس لهذه المحاكمة تقريرًا على الإطلاق، وذلك بسبب المشاكل الناتجة عن هذه الرواية وأهمها: كيف علم بيلاطس بالتهمة؟ ومتى علم؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عادة إطلاق أحد المسجونين فى عيد الفصح بالصفة التى ذكرها مرقس غير مسلم به لدى أغلب العلماء، إذ القول بأن الجماهير هى التى كانت تحدد اسم الذى يطلق سراحه قول لا يسنده أى دليل على الإطلاق لأنه يخالف روح الحكم الرومانى لفلسطين، ويخالف معاملة الرومان لليهود، هذا إلى جانب المشاكل الناتجة عن الحوار بين بيلاطس والجمهور.

❖ ثم إننا إذا راجعنا روايات الأناجيل لهذه المحاكمة فإننا نجد أيضًا الاختلاف الواضح، وسنذكر بعض هذه الاختلافات على سبيل المثال:

❖❖ فرواية "متى" تختلف عن رواية مرقس إذ أنها تضيف أشياء لم تذكرها رواية مرقس، فلقد ذكر "متى" أن زوجة بيلاطس أرسلت إليه وهو جالس على كرسى الولاية تحذره من أن يؤذى يسوع، وذلك بسبب أنها تألمت كثيرًا من أجل هذا البار فى حلم لها.

يقول متى (وإذ كان ـ بيلاطس ـ جالسًا على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار. لأنى تألمت اليوم كثيرًا فى حلم من أجله)(٢).

ويضيف "متى" أيضًا أن بيلاطس أعلن براءته من دم المصلوب، وغسل يديه

---

(١) المرجع السابق ص١٦٠.

(٢) متى ٢٧ : ١٩.

علامة على ذلك[١] يقول متى (فقال الوالى وأى شر عمل. فكانوا يزدادون صراخًا قائلين ليصلب. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إنى برئ من دم هذا البار. أبصروا أنتم)[٢].

❖ ويختلف لوقا عن متى، ومرقس أيضًا، فى عرض هذه المحاكمة اختلافًا كبيرًا، وذلك لأنه يبين أن الكتبة والكهنة ذهبوا أولاً إلى بيلاطس ليشتكوا يسوع بقولهم (إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك)[٣] فلم يجد بيلاطس فى هذه الشكوى ما يدين المسيح، لذلك صعد الأمر إلى هيردوس لمحاكمته باعتبار أن المسيح من الجليل، وأنه من سلطنة هيردوس، ولما سمع هيردوس بشكاوى الكتبة والكهنة المقدمة ضد يسوع احتقره ـ بعد أن قد فرح به فى أول الأمر لأنه سمع عنه كثيرًا وكان يريد أن يراه ـ واستهزأ به، بل واحتقره واستهزأ به أيضًا عسكره[٤].

وهذا لاشك يعتبر اختلافًا جوهريًا فى رواية الأناجيل لهذه المحاكمة، فهل حوكم يسوع أمام بيلاطس؟ أم أمام هيردوس؟

أما رواية إنجيل يوحنا لهذه المحاكمة فإننا نجد فيها بعض الاختلافات الجديرة بالذكر منها:

أن بيلاطس سأل الكتبة والكهنة عن الشكوى المقدمة ضده (وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان. أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك)[٥].

(١) وبرغم أن "متى" يختلف عن "مرقس" فى إعلان هذه البراءة إلا أن العلماء يشكون فى حادث غسل يد بيلاطس باعتبار أن عملية غسل اليد تكون دليلاً على البراءة وذلك على أساس أنها عادة يهودية أكثر منها رومانية إذ يقول سفر التثنية (يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم.. ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم) تثنية ٢١ : ٦ ومن المستبعد جدًا أن يكون بيلاطس قد عمل شيئًا كهذا.
جون فنتون (تفسير إنجيل متى) نقلا عن (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية) ص١٦١.

(٢) متى ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤.

(٣) لوقا ٢٣ : ١ ـ ٤.

(٤) لوقا ٢٣ : ٥ ـ ١١.

(٥) يوحنا ١٨ : ٢٩ ، ٣٠.

ومنها أيضًا: أن بيلاطس قال للكهنة اليهود (خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدًا)[١].

هذا إلى جانب أن إنجيل يوحنا يبين لنا أن يسوع رد على بيلاطس ببعض الردود التى لم تذكرها الأناجيل الأخرى وهى (ثم دخل بيلاطس أيضًا إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى. أجابه بيلاطس ألعلى أنا يهودى. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى ماذا فعلت. أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتى من هنا)[٢].

إلى غير ذلك من الاختلافات الجديرة بالاعتبار، والتى تجعلنا نسأل سؤالنا التقليدى هل محاكمة يسوع أمام الوالى الرومانى حدثت أم لا؟ وإذا كانت قد حدثت فأمام من؟ هل أمام بيلاطس أم هيردوس؟ وإذا كانت قد حدثت فأى الروايات نثق فيها ونعتمد عليها فى رواية هذه المحاكمة؟ كل هذا يجعل الشك يتطرق إلى رواية الأناجيل لهذه المحاكمة.



وعموم القول إن اليهود استطاعوا أن يؤثروا على الوالى الرومانى ـ بيلاطس أو هيردوس ـ على حسب رواية لوقا ـ بأن يحكم على المسيح بالصلب فأسلمه ليصلب.

موقف تلاميذ المسيح

وقبل أن نذكر وقائع الصلب ـ كما وردت فى الأناجيل ـ يجدر بنا أن نبين موقف التلاميذ من معلمهم ـ المسيح ـ وقت وبعد القبض عليه وذلك حسب روايات الأناجيل.

---

(١) يوحنا ١٨ : ٣١.

(٢) يوحنا ١٨ : ٣٣ ـ ٣٧.

والناظر فى الأناجيل يجد موقفين للتلاميذ كل موقف منهما مناقض للآخر:

الموقف الأول: دفاع التلاميذ عن المسيح، ويتمثل هذا فيما وقع من أحدهم حين هم اليهود بالقبض على يسوع.

يقول مرقس (استل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه)[1].

ويقول متى (وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه)[2].

من هذا يتبين أن التلاميذ دافعوا عن المسيح وحاولوا ألا تمتد يد هؤلاء إلى أستاذهم ومعلمهم.

ولا نترك هذا قبل أن نقول إن الأناجيل أيضًا اختلفت فى بيان هذا الموقف فبينما لا يذكر مرقس تعليقًا للمسيح على العمل الذى قام به أحد الحاضرين معه يذكر متى أن المسيح قال له (رد سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون)[3].

وتختلف رواية لوقا عن روايتى مرقس ومتى، إذ أنها تذكر أن المسيح أبرأ عبد رئيس الكهنة الذى قطعت أذنه. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فبينما نجد أن المسيح يتوعد هؤلاء الذين قبضوا عليه بأنهم سيهلكون كما فى روايتى مرقس ومتى، نجده كما فى إنجيل لوقا ينهى تلميذه الذى قطع أذن عبد رئيس الكهنة بكل وداعة، ويقول له دعه ويزيد على ذلك بذكر أن يسوع أبرأ عبد رئيس الكهنة.

يقول لوقا (أجاب يسوع وقال دعوا إلى هذا. ولمس أذنه وأبرأها)[4].

---

(١) مرقس ١٤ : ٤٧.
(٢) متى ٢٦ : ٥١.
(٣) متى ٢٦ : ٥٢.
(٤) لوقا ٢٢ : ٥١.

ويختلف إنجيل يوحنا عن الأناجيل الثلاثة ذلك أنه يذكر أن سمعان بطرس هو الذى قام بالدفاع عن المسيح واستل سيفه وقطع أذن عبد رئيس الكهنة ـ الذى يذكر اسمه ولا تذكره الأناجيل الأخرى ـ

يقول يوحنا (ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد مَلْخُس. فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك فى الغمد، **الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها)**(١) هذا إلى جانب أن يوحنا يقول لبطرس رد سيفك مبينًا له أن هذا ما قدره الله عليه.

والخلاصة هنا ـ إذا أغفلنا النظر عن هذه الاختلافات وهو مالا يمكن الإغفال عنه ـ أنه يتبين لنا من هذا الموقف حب التلاميذ للمسيح وقوتهم فى الدفاع عنه وامتد الأمر أن استل أحدهم سيفًا للدفاع عنه، مع أنهم مأمورون بالمحبة والبعد عن استخدام السيف(٢).

الموقف الثانى للتلاميذ:

أما الموقف الثانى الذى تذكره الأناجيل للتلاميذ فهو أنهم جميعًا تركوه وهربوا. يقول مرقس (فتركه الجميع وهربوا. وتبعه شاب لابسًا إزارا على عُرْيه فأمسكه الشبان. فترك الإزار وهرب منهم عريانا)(٣).

وهذا يعنى أن التلاميذ هربوا وتركوا المسيح.

وهنا نقف لنسأل: لماذا ترك التلاميذ المسيح وهربوا؟ هل كان بسبب خوفهم من الكهنة والكتبة الذين جاءوا للقبض على يسوع؟ ـ إن الموقف الأول للتلاميذ يرد هذا الاحتمال، لأنه يعنى أن التلاميذ كانوا يحبون المسيح ويخافون عليه بدليل أنهم حينما علموا أن هؤلاء أتوا للقبض عليه قام أحدهم بإخراج سيفه من غمده وضرب به عبد رئيس الكهنة ـ وإذا لم يكن بسبب خوفهم من هؤلاء الذين أتوا للبقض على يسوع؟ فما هو السبب الحقيقى؟ ما الذى جعلهم يتركونه ويهربوا؟ إننا لا نجد مناصًا

---

(١) يوحنا ١٨ : ١٠ ، ١١.

(٢) يقول المسيح (لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا) (متى ٥ : ٣٩) ويقول (أحبوا أعداءكم باركوا لا عنيكم) متى ٥ : ٤٤.

(٣) مرقس ١٤ : ٥٠ ـ ٥١.

من القول إنه لابد أن يكون قد حدث بعض الأشياء التى جعلتهم يتركون المسيح ويتخلون عن موقفهم الأول، ولكن ما هى هذه الأشياء التى حدثت؟ وما هى الأمور التى جعلت التلاميذ يتركون المسيح ويهربون؟ إن الأناجيل لا تذكر لنا شيئًا عن هذا التغيير.

ربما يكون هذا الهروب بسبب أنهم وجدوا أن الشخص الذى كانوا يدافعون عنه لم يقع فى أيدى هؤلاء، أى لم يتمكن الكهنة من القبض على أستاذهم فقبضوا على آخر، وهنا ترك التلاميذ هذا المقبوض عليه وهربوا!!!

هذا عن موقف التلاميذ أثناء القبض عليه.

أما بعد القبض عليه فإننا نجد أنه برغم أن الأناجيل ذكرت أن التلاميذ جميعهم هربوا إلا أنها تعود فتذكر بعد ذلك أن بطرس وهو أحد التلاميذ تبع المسيح المقبوض عليه من بعيد، وحينما عرفته بعض اليهوديات وسألته هل أنت مع يسوع الناصرى؟ - أنكر بطرس كونه تلميذًا لهذا المقبوض عليه، بل إن الكهنة والكتبة سألوه فأنكر أيضًا.

يقول مرقس (وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسًا بين الخدام يستدفئ عند النار... وبينما كان بطرس فى الدار أسفل جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت وأنت كنت مع يسوع الناصرى. فأنكر قائلاً لست أدرى ولا أفهم ما تقولين. وخرج خارجًا إلى الدهليز. فصاح الديك. فرأته الجارية أيضًا وابتدأت تقول للحاضرين إن هذا منهم. فأنكر أيضًا. وبعد قليل أيضًا قال الحاضرون لبطرس حقًا أنت منهم لأنك جليلى أيضًا ولغتك تشبه لغتهم. فابتدأ يلعن ويحلف إنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه. وصاح الديك ثانية. فتذكر بطرس القول الذى قاله له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات. فلما تفكر به بكى)[1].

ولكن كيف ينكر بطرس المسيح أمام الكهنة وهو يعلم أن المسيح قال:

(١) مرقس ١٤ : ٥٤ ـ ٧٢.

"كل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضًا به قدام أبى الذى فى السموات. ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبى الذى فى السموات!!؟"[١].

وهذا يعنى أنه إذا كان هذا المقبوض عليه هو المسيح عيسى بن مريم وأنكره بطرس فمعنى ذلك أنه هالك، لأن المسيح قال من ينكرنى قدام الناس أنكره قدام أبى الذى فى السموات؟ وهذا ـ كون بطرس هالكًا ـ يتعارض مع ما جاء فى الأناجيل من وعد المسيح للاثنى عشر ـ ومنهم بطرس ـ بأنهم سينالون الحياة الأبدية والسعادة الأخروية.

يقول متى (أجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك. فماذا يكون لنا. فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)[٢].

فكيف يتوافق هذا مع ما ورد من إنكار بطرس للمسيح الذى جزاؤه الهلاك؟ إنه لا مناص من القول إن بطرس لم ينكر المسيح إنما أنكر شخصًا آخر!!

وهذا القول هو ما تلزمنا به الأناجيل، وإلا فإما أن يكون بطرس هالكا ويكون المسيح كاذبًا فى هذا الوعد!! أو أن المسيح صادق فى الوعد وبطرس صادق فى هذا الإنكار!! والمسيح غير كاذب فلا مناص لهم إلا أن يسلموا بالاحتمال الثانى.

وبعد هذه المناقشة نقول أيضًا إن الأناجيل أيضًا اختلفت فى رواياتها لقصة إنكار بطرس.

وقد لخص الأستاذ/ أحمد عبد الوهاب هذا الاختلاف فقال:

---

(١) متى ١٠: ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) متى ١٩: ٢٧ ـ ٢٨.

إن اختلاف كتبة الأناجيل فى قصة إنكار بطرس واضح لا يحتاج إلى تعليق ويستطيع القارئ التحقق من ذلك وخاصة عندما يراجع ما يذكره كل إنجيل عن شخصية المستفهم من بطرس.

ففى مرقس نجد أن السؤال الأول كان من جارية فى الدار أسفل.

وكان السؤال الثانى من نفس الجارية خارجًا فى الدهليز.

وكان السؤال الثالث من الحاضرين.

ويقول متى إن الأسئلة الثلاثة كانت كالآتى: الأول من جارية وكان بطرس جالسًا خارجًا فى الدار، والثانى من جارية أخرى فى الدهليز. والثالث من القيام[١].

وفى لوقا نجد أن الأول من جارية وكان عند النار، والثانى من رجل، والثالث من رجل آخر[٢].

ويقول يوحنا: إن الأول كان من الجارية البوابة، وكان الثانى من الواقفين مع رئيس الكهنة، وكان الثالث من واحد من عبيد رئيس الكهنة[٣]،[٤].

وقصة إنكار بطرس برغم اختلاف الأناجيل فى روايتها إلا أنها تثير سؤالا: لماذا أنكر بطرس المسيح؟

وليس بطرس وحده هو الذى أنكر المسيح، بل إن التلاميذ جميعهم هربوا وتركوه، وهذا فى حد ذاته إنكار للمسيح، أو بعبارة أدق: إنكار للمقبوض عليه.

قد يقول قائل: إن بطرس أنكر المسيح ـ والتلاميذ كذلك ـ أمام الناس حتى لا يتعرض له أحد من اليهود بسوء؟

ولكن هذا القول يرده قول المسيح لتلاميذه (وقال لهم يسوع إن كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة)[٥].

---

(١) راجع متى ٢٦ : ٥٨ ـ ٧٥.

(٢) راجع لوقا ٢٢ : ٥٤ ـ ٦١.

(٣) راجع يوحنا ١٨ : ١٦ ـ ٢٧.

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٥٨.

(٥) مرقس ١٤ : ٢٧.

وهذا القول يبين معنى الإنكار من بطرس والتلاميذ، إنه إنكار ناتج عن الشك!! أى شكوا جميعًا فى أن يكون هذا المقبوض عليه هو أستاذهم ومعلمهم فلذلك أنكروه، أى أنه ليس إنكارًا نتيجة للخوف من أن يتعرض لهم اليهود بالسوء، ولكنه إنكار ناتج عن شكهم فى الشخص المقبوض عليه هذا الشخص الذى تنبأ به المسيح.

هذا عن موقف التلاميذ من المقبوض عليه قبل القبض وبعده، ويفهم منه: أن أحدًا من التلاميذ لم يحضر محاكمة يسوع، إذ أن الجميع تركوه وهربوا عدا بطرس الذى تبعه من بعيد، وبرغم ذلك فإنه أنكر أنه يعرفه "وخرج إلى خارج بيت رئيس الكهنة"[1] وهذا يعنى:

أولاً: أن الأناجيل فى رواياتها لمقدمات الصلب ليست رواية من شاهد وعاين، لأنه لم يحضر أحد منهم هذه الأحداث، فكيف رواها البشيرون الأربعة؟.

ثانيًا: أن التلاميذ لم يروا المحكوم عليه بالصلب، لأنهم تركوا المسيح بعد القبض عليه ـ على فرض أنه المسيح ـ وهربوا، حتى الذى تبعه من بعيد حين رآه أنكره وأنكر أنه يعرفه.

وهذه المعانى واضحة من روايات الأناجيل.

وهنا يثور السؤال الذى يفرضه هذه المعانى وهو: كيف حكمتم أن الذى تم القبض عليه وحوكم وصلب هو المسيح عيسى بن مريم وأنتم لم تروا هذا الشخص المحكوم عليه بالصلب؟

الصلب

بعد أن تمت المحاكمة ليسوع ـ كما يقولون ـ صدر الأمر من السلطات الرومانية بتنفيذ الحكم وهو إعدام المسيح صلبًا، وقبل التنفيذ أوقع الرومان واليهود به ألوانًا من الإهانة والتعذيب.

---

(١) راجع متى ٢٦ : ٧٥، لوقا ٢٢ : ٦٢.

يقول مرقس (فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجوانًا[١] وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه. وابتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام عليك يا ملك اليهود. وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم. وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه)[٢].

سخروا من الشخص المحكوم عليه بالصلب بأنواع من السخرية، فألبسوه ثوب الملوك سخرية منه ومن قوله إنه ملك اليهود. وكذلك أيضًا وضعوا عليه إكليلاً من الشوك ـ وهو لم يكن جزءًا من القصاص القانونى وإنما كان اختراع العسكر الرومانى[٣] ـ وكان قصد عسكر الرومان من وضع هذا الإكليل السخرية أيضًا من المسيح ومن ادعائه أنه ملك. وابتدأوا بعد ذلك بلون آخر من السخرية وهو السلام عليه بسخرية مع الضرب والبصق... إلى غير من ألوان السخرية والتعذيب.

وبعد أن انتهوا من عملية السخرية خلعوا ثياب الأرجوان وألبسوه ثيابه وخرجوا به ليصلب.

وكانت هناك بعض العادات التى تسبق الصلب منها:

حمل الصليب: يقول مرقس: (ثم خرجوا به ليصلبوه. فسخروا رجلاً مجتازًا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو ألكسندرس وروفس ليحمل صليبه. وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذى تفسيره موضع جمجمة)[٤]،[٥].

---

(١) الأرجوان: لون صباغة يشمل البنفسجى والقرمزى أو الأحمر، وكانت ثياب الأرجوان غالية الثمن يلبسها الأغنياء وذوو المكانة الرفيعة وكبار موظفى الدولة (أستير ٨: ٢ ـ ١٥، دانيال ٥: ٧، لوقا ١٦: ١٩، رؤيا يوحنا ١٧: ٤) وكان يلبسه الملوك بنوع خاص (قضاه ٨: ٢٦) وعندما ألبس الجند المسيح ثوب الأرجوان قصدوا بذلك السخرية والاستهزاء من قوله إنه ملك (راجع قاموس كالكتاب المقدس ص٤٥).

(٢) مرقس ١٥: ١٦ ـ ٢٠.

(٣) راجع فى ذلك (قاموس الكتاب المقدس ص٥٢٩).

(٤) جمجمة: هى موضع الجلجثة ـ الكلمة الآرامية لكلمة جمجمة ـ حيث صلب يسوع هناك، وهو موضع بالقرب من أورشليم لكنه خارج أسوار المدينة (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٧).

(٥) مرقس ١٥: ٢٠ ـ ٢٢.

ويتفق متى ولوقا مع مرقس فى أن حامل الصليب كان المدعو سمعان القيروانى، ولكن يوحنا[١] يقرر شيئًا آخر وهو أن المسيح هو الذى حمل صليبه.

يقول يوحنا (أخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة)[٢].

يقول نينهام فى تعليقه على هذا:

"لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب بحمل صلبانهم بأنفسهم..

ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلاً فى حالة يسوع، ولكن على العكس من ذلك نجد حسب رواية مرقس ومتى ولوقا أن شخصًا مجهولاً يدعى سمعان القيروانى هو الذى سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من يسوع"[٣].

فمتى ولوقا ومرقس يقررون أن سمعان هو الذى حمل صليب المسيح وهو خلاف المعتاد الذى كان يقع فى بلاد الرومان حين يحكم على أحد بالصلب.

لذلك فإن إنجيل يوحنا يبين أن المسيح هو الذى حمل صليبه بنفسه. فمن الذى حمل الصليب هل هو المسيح بنفسه أم سمعان؟ وأيهما أصح؟.

وبعد أن وصل المسيح إلى موضع الجلجثة أعطوه خمرًا ممزوجة بمر ـ كما فى إنجيل مرقس ـ أو خلاً ـ كما فى متى ولوقا ـ فلما ذاق لم يقبل أن يشرب ـ كما فى متى ـ وبدأت بعد ذلك عملية الصلب.

يقول القس إنسطاسى شفيق (وأخيرًا لما وصلوا به إلى جبل الجلجثة أجروا عليه القضاء الذى نطق به بيلاطس فسمروا يديه ورجليه على الصليب، وأوقفوا الصليب

---

(١) يقوم نينهام فى سبب عدم ذكر يوحنا لسمعان القيروانى كحامل للصليب (ولعل السبب فى حذف هذه الرواية الخاصة بحمل سمعان القيروانى للصليب من إنجيل يوحنا هو أن الوقت الذى كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠ ـ ١٢٥م) كان الادعاء بأن سمعان قد حل محل يسوع وصلب عنه) راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٢.

(٢) يوحنا ١٩ : ١٦ ، ١٧.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٦٦.

مركوزًا على الأرض وهو معلق عليه بالمسامير التى ثقبت يديه ورجليه، وحينئذ وصلت آلامه إلى الغاية وأتت الكأس الذى كان يطلب بحرارة أن تعبر عنه)[١].

وصلبوا معه لصين واحدًا عن اليمين والآخر عن اليسار.

يقول مرقس (وصلبوا معه لصين واحدًا عن يمينه وآخر عن يساره... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه)[٢].

فاللصان اللذان صلبا مع المسيح كانا يعيرانه ـ كما يقول متى ومرقس ـ بينما يبين لوقا أن أحدهما أخذته الرأفة والشفقة، وطلب منه الدعاء، لذلك وعده المسيح بالفردوس يقول لوقا (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس فى محله. ثم قال ليسوع اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس)[٣].

أما ما فعله المسيح على الصليب فى الاعتقاد المسيحى: فإن لوقا يذكر أن المسيح دعا الله وهو على الصليب أن يغفر لهؤلاء الذين قاموا بصلبه. يذكر لوقا أن المسيح قال: (يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون)[٤].

ثم تروى الأناجيل صرخة يسوع على الصليب، وهى بمثابة الكلمات الأخيرة لهذا المصلوب. يقول مرقس (ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع قائلاً إلوى إلوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى)[٥].

---

(١) الفداء فى إنجيل لوقا ص١٦٨.
(٢) مرقس ١٥ : ٢٧ ـ ٣٢.
(٣) لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣.
(٤) لوقا ٢٣ : ٣٤.
(٥) مرقس ١٥ : ٣٣، ٣٤.

وهذه الكلمات لاشك أنها تمثل المعاناة والآلام التى كان يشتكى منها المصلوب. وما جاء فى إنجيل متى يشبه الرواية السابقة (لمرقس) غير أنه غيرّ القول الأخير (إلوى إلوى لما شبقتنى) إلى القول (إيلى إيلى لما شبقتنى)[١].

وبينما يبرز مرقس ومتى "أن يسوع يصرخ صرخة يأس وهو على الصليب، يبين لوقا ويوحنا أن ذلك لم يحدث من يسوع، لأنه كان يتصف بالوداعة والاطمئنان والاستعداد لتقبل التعذيب والصلب. يقول لوقا: (وكان نحو الساعة السادسة. فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى)[٢].

ويقول يوحنا (بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان. وكان إناء موضوعًا مملوءًا خلاً فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا[٣] وقدموها إلى فمه. فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل)[٤]

يقول نينهام فى تعليقه على حذف لوقا ويوحنا صرخة يسوع على الصليب "يبدو أن القديسين لوقا ويوحنا قد رأيا فى كلمات يسوع على الصليب غموضًا واحتمالاً

---

(١) متى ٢٧ : ٤٥ ، ٤٦.

(٢) لوقا ٢٣ : ٤٤ ـ ٤٦.

(٣) الزوفى ـ فى المعجم الوسيط ـ مادة لزجة تعلق بأصواف الغنم إذا احتكت بأعشاب وبخاصة فى بلاد أرمينية ويتداوى بها غالبًا لتحليل الأورام. وهو نبات معمر برى طبى من الفصيلة الشفوية، لورقه رائحة عطرية وطعم حريف وهو يؤكل تابلاً) جـ١ ص٤٠٧.
وفى "قاموس الكتاب المقدس" تحت كلمة "زوفا" اسم نبات ذكر عدة مرات فى العهد القديم. ولم يستطع علماء الأحياء من القطع بشىء نهائى بخصوصه. والرأى التقليدى بين اليهود أنه الزعتر أو السعتر، ويظهر من الكتاب المقدس أن هذا النبات استعمل استعمالات متنوعة فاستعمل للتطهير من البرص (لاويين ١٤ : ٤ ـ ٦) ومن الخطيئة (مزمور ٥١ : ٧) ومن الأوبئة (لاويين ١٤ : ٤٩ ـ ٥١) وللطهارة الطقسية (عدد ١٩ : ٦ ـ ١٨) كما استعمل واسطة لرش الدم (خروج ١٢ : ٤٢ وعبرانين ٩ : ١٩) كما استعمل لرفع الإسفنجة المملوءة خلاً للمسيح (يوحنا ١٩ : ٢٩).
والزوفا: أيضًا نبات عطرى الرائحة، له طعم حار فى البداية ثم يحدث برودة فى الفم لذلك يروى ويبرد أكثر من الماء، وينبت فى الجدران وفى الصخور، وأوراقه مشعرة صغيرة، ويستخدم فى شكل حزم صغيرة يمكن أن تحمل السوائل فى داخلها للرش، وربما كانت إضافة الزوفا أو أوراقها إلى الخل فى إسفنجة يخفف آلام المصلوبين) قاموس الكتاب المقدس ص٤٣٨.

(٤) يوحنا ١٩ : ٢٨ -٣٠.

لسوء فهم، ولذلك حذفاها، ثم استبدلها أحدهم بقوله (يا أبتاه أستودعك روحى)، بينما قال الآخر (قد أكمل)[١].

وكانت هذه الصرخة ـ أو كلمات الوداع كما فى لوقا ويوحنا ـ بمثابة الكلمات الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه ويسلم الروح، فبعدها خرجت روح المصلوب ومات.

يقول مرقس (ركض واحد وملأ إسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وسقاه قائلاً اتركوا. لنر هل يأتى إيليا لينزله فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح)[٢].

ويقول يوحنا (فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء)[٣].

صرخ يسوع المصلوب ـ كما يقولون ـ وأسلم الروح وجاءوا إليه ليكسروا ساقيه ولكنهم وجدوه قد مات، وبرغم ذلك طعنه أحد الجنود بحربة فى جنبه وخرج على أثره الدم والماء من جسد المصلوب الذى مات.

ما حدث أعقاب الصلب

ولم تنته حادثة الصلب عند هذا الحد فلقد حدث أعقاب موت المصلوب أن وقعت بعض الخوارق التى تحدثت عنها الأناجيل.

يقول مرقس (انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل. ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقًا كان هذا الإنسان ابن الله)[٤].

ويصف متى هذه الخوارق التى حدثت بوضوح أكثر فيقول:

وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت والصخور تشققت. والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين.

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٧١.
(٢) مرقس ١٥ : ٣٦ ، ٣٧.
(٣) يوحنا ١٩ : ٣٢ ـ ٣٤.
(٤) مرقس ١٥ : ٣٨ ، ٣٩.

وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين. وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جدًا وقالوا حقًا كان هذا ابن الله[١].

ويقول لوقا: "أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه... فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا"[٢].

أما يوحنا فإنه لا يعلم عن ذلك شيئًا.

فلقد حدث أعقاب موت المصلوب أن انشق حجاب الهيكل، وتزلزلت الأرض، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور وقام من داخلها أجساد الراقدين، ودخلوا المدينة المقدسة، إلى غير ذلك من الخوارق التى لا يعرف أحد عنها شيئًا، ولا يعلم بها أحد غير كتبة الأناجيل الذين لم يحضروا الصلب.

ويتعجب المرء كيف لا يحضر هؤلاء الصلب ويرون هذه الخوارق التى لا يعلم بها أحد غيرهم!!!

"إن هذه الخوارق والأخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة فى التاريخ يعرفها الخاص والعام، ولدونتها كتب التاريخ على أنها حوادث مفردة عجيبة فى الدهر، ولكن لم يرد لها ذكر فى التاريخ، ولم يعرف الناس أمرها إلا من تلك الكتب"[٣].

نعم إن هذه الحادثة حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذى لم يشر إلى المسيح بكلمة، ولو صحت أيضًا لآمن الرومان واليهود، الصخور تشقق، والأرض تزلزل، والأموات ينشرون، ويسيرون على الأرض، ويراهم الكثيرون، ويبقى بعد ذلك مساغ لإنكار!!! ولكن لم ترد أخبار بإيمان أحد من اليهود على أثر تلك البنيات الباهرات[٤]

(فهى لم تحدث أقل تأثير فى أذهان الناس فى أورشليم فى ذلك الزمان)[٥] وهذا يدل على أنها لم تحدث.

---

(١) متى ٢٧: ٥١ ـ ٥٤.
(٢) لوقا ٢٢: ٤٥ ـ ٤٧.
(٣) محاضرات فى النصرانية ص١٠٤.
(٤) المرجع السابق ص١٠٥.
(٥) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٧٠٣.

ولقد جزم العلامة المسيحى (نورتن) بكذب هذه الحكاية، وقال فى تكذيبها: هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة فى اليهود بعدما صارت أورشليم خرابًا فلعل أحدًا كتب فى حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى[١] وأدخلها الكاتب فى المتن وهذا المتن وقع فى يد المترجم فترجمها[٢] على حسبه[٣] ـ أى كما وجدها.

ولقد ذكر الشيخ رحمت الله الهندى وجوها لكذب هذه الحكاية فقال:

ويدل على كذبها وجوه: **الأول**: أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس فى اليوم الثانى من الصلب قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال فى حياته إنى أقوم بعد ثلاثة أيام، فمر الحارسين أن يضبطوا القبر إلى اليوم الثالث[٤]، وقد صرح (متى) فى هذا الإصحاح أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله[٥]، فلو ظهرت هذه الأمور ما كان يمكن لليهود أن ـ يذهبوا إلى بيلاطس، والحال أن حجاب الهيكل منشق والصخور متشققة، والقبور مفتوحة، والأموات حية إلى هذا الحين، وأن يقولوا إنه كان مضلاً؛ لأن بيلاطس كان غير راض بقتله من أول وهلة فلو رأى هذه الأمور أيضا لصار عدوا لهم وكذبهم وكذا كان ألوف من الناس يكذبونهم.

الثانى: أن هذه الأمور آيات عظيمة، فلو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود على ما جرت به العادة، ألا ترى أنه لما نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بألسنة مختلفة تعجب الناس وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل كما جاء فى الإصحاح الثانى من سفر الأعمال: وهذه الأمور أعظم من حصول القدرة على التكلم بألسنة مختلفة[٦].

الثالث: أن هذه الأمور العظيمة لما كانت ظاهرة ومشهورة فيستبعد أن ألا يكتبها أحد من مؤرخى هذا الوقت غير "متى"، وكذا لا يكتب أحد من مؤرخى الزمان

---

(١) وذلك على أساس أن إنجيل متى هو الذى وضح تلك الخوارق أكثر من غيره.

(٢) أى على حسب مترجم إنجيل متى، فإن العلماء متفقون على أن إنجيل متى كتب بالعبرانية ولكنه لم يوجد إلا النسخة المترجمة إلى اليونانية.

(٣) راجع إظهار الحق ص١٥٨.

(٤) متى ٢٧ : ٦٢ ـ ٦٤.

(٥) متى ٢٧ : ١٩ ـ ٢٥.

(٦) خبر نزول الروح القدس يوم الخمسين أورده الشيخ رحمت الله الهندى للإلزام؛ لأنه ذكر بعد ذلك فى كتابه هذا ـ إظهار الحق ـ كذب هذه الواقعة.

القريب من زمان متى، وإن امتنع المخالف عن تحريرها لأجل سوء الديانة والعناد، فإن الموافقين وغير المعاندين لا يمتنعون لا سيما لوقا الذى هو أحرص الناس على تحرير العجائب، وكان متتبعًا لجميع الأمور التى فعلها عيسى ـ عليه السلام ـ كما يعلم من بدء الإصحاح الأول من إنجيله والإصحاح الأول من سفر الأعمال.. وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون كلهم أو أكثرهم الحالات التى ليست بعجائب ولا يكتب سائر الإنجيليين ولا أكثرهم هذه الأمور العجيبة كلها، ويكتب مرقس ولوقا انشقاق الحجاب ويتركا الأمور الباقية؟"(١).

فالعجائب التى ذكرتها الأناجيل واضحة الكذب بالوجوه التى ذكرناها.

شهود الصلب من النصارى

لقد بينا سابقًا أن التلاميذ جميعهم حين تم القبض على المسيح تركوه وهربوا ـ حتى بطرس الذى تبعه من بعيد بعد إنكاره للمقبوض عليه لم نسمع عنه شيئًا فى حضوره المحاكمة وغير ذلك ـ ولم يبق مع المسيح أحد منهم، فلم يحضر ولم يشاهد أحد منهم محاكمة يسوع والحكم عليه، وكذا لم يروه أحد منهم وهو يموت على الصليب حتى يتحققوا من شخصيته ويعرفوه.

ولقد ذكرت الأناجيل أن نساءً من أتباع المسيح كن ينظرن من بعيد.

يقول مرقس (وكانت أيضًا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية. ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومة. اللواتى أيضًا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل. وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى أورشليم)(٢).

ويمثل هذا جاء فى إنجيل متى (وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه. وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابنى زبدى)(٣).

---

(١) إظهار الحق ص١٥٨، ١٥٩.
(٢) مرقس ١٥ : ٤٠ ، ٤١.
(٣) متى ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦.

ويقول لوقا (وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك)[١].

ويقول يوحنا (وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية)[٢] يتبين من هذه الروايات أن نساءً شاهدن حادثة الصلب وهن كن واقفات ينظرن من بعيد.

أننى أتوقف قليلاً عند رواية أن النساء وقفن ينظرن من بعيد، ذلك أن النساء ـ معروف ـ أنهن يتصفن بشدة العاطفة وسرعة البكاء، فهل نتصور أن السلطات الرومانية واليهودية سمحت للنساء بالوقوف وهم يعلمون أنهن أتباع هذا المصلوب؟ وهل سمحت لهن بإحداث أصوات وبكاء؟ وكيف نتصور أن تقف النساء دون التعبير عن شعورهن بالحزن على هذا المصلوب؟ إن الأناجيل لا تحدثنا أن النساء أحدثن أصواتا. فكيف يمكن قبول أن يقفن وينظرن دون أن يحدثن أصواتا؟

على أن شهودهن الصلب لا يعتبر حجة؛ ذلك لأن الأناجيل متفقة على أنهن كن ينظرن من بعيد، ومن المحتمل ألا يكن قد تأكدن من هذا المصلوب ـ على أنه يسوع ـ خاصة وأن الآلام والتعذيب التى وقعت له لاشك أنها أحدثت تغييرًا. فكيف استطعن أن يميزين أن هذا المصلوب هو يسوع؟

ويعلق "باريت" على ما ذكره يوحنا من وجود أم يسوع وغيرها حول الصليب بقوله: "إنه من غير المحتمل أساسًا أن يكون قد سمح بوقوف أقارب يسوع وأصدقائه بالقرب من الصلب"[٣].

وفى تعليق دائرة المعارف البريطانية على اختلاف الأناجيل فى شهود الصلب جاء ما يلى:

(نجد فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع، وأن القائمة التى كتبت بعناية واستفاضة لا تضم والدته وأنهن كن ينظرن من بعيد، ولكن فى يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين أخريين والتلميذ المحبوب تحت الصليب، ومن

---

(١) لوقا ٢٣: ٤٩.

(٢) يوحنا ١٩: ٢٥.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٧٦.

تلك الساعة أخذها التلميذ المحبوب إلى خاصته. هذا بينما لا تظهر والدته فى أورشليم حسبما ذكرته المؤلفات إلا قبيل عيد العنصرة[١] وفى رفقة إخوته)[٢].

فالأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا ـ تذكر أن مريم والدة المسيح لم تكن من النساء الواقفات، ولكن يوحنا يذكر أن والدة مريم كانت من الواقفات، وكيف تكون مع الواقفات وهى لم تظهر فى أورشليم إلا بعد قيامة المسيح على رأيكم؟ وهكذا اختلفت الأناجيل مرة أخرى ونقول: أيهما أصح؟

من هذا يتبين أن شهود حادثة الصلب إنما كن ـ على أحسن الفروض ـ نساء شاهدن ما شاهدن من بعيد.

لذلك يقول د: سعد الدين صالح (وأتحدى أن يكون حواريًا واحدًا من حوارى عيسى قد شاهد عيسى على الصليب، فقد أجمعت الأناجيل كلها على أن الحواريين قد تركوا أرض المحاكمة ولم يراه واحد منهم مصلوبًا)[٣].

لماذا صلب المسيح

إن الاعتقاد السائد بين المسيحيين أن تقدمة المسيح إلى الصليب كانت بتدبير من الله سبحانه وتعالى.

يقول باركلى (إن الصليب لم يكن حدثًا عارضًا بل كان فى خطة الله الأزلية ونجد هذا المعنى فى سفر الأعمال المرة تلو مرة[٤]، وذلك ليحفظنا من خطأين خطيرين فى تفكيرنا فى موت يسوع:

أ ـ ليس الصلب مجرد حدث طارئ استخدمه الله عندما فشلت الطرق الأخرى لكنه جزء لا يتجزأ من الله نفسه.

(١) راجع أعمال الرسل ١ : ١٤

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية ص١٥٤.

(٤) أعمال الرسل ٢ : ٢٣، ٣ : ١٨، ٤ : ٢٨، ١٣ : ٢٩.

ب ـ يجب أن لا يتطرق إلى أذهاننا أن أى شىء عمله يسوع غير اتجاه الله نحو الناس ولا أن نقارن بين لطف يسوع ومحبته وبين غضب الله وانتقامه، فإن الله هو الذى أرسل يسوع[١].

ويقول د/ فهيم عزيز (كانت لآلام المسيح أهمية خاصة فى العهد الجديد، فلم يكن الصليب حادثة جاءت عرضًا لسبب سياسى أو دينى، ولكنه كان بعلم الله السابق ومشورته المحتومة، وليس ذلك فقط، بل إن العلامة الحقيقية لابن الإنسان فى العهد الجديد هو: أنه ينبغى أن يسلم لأيدى الرؤساء والكهنة ويقتل)[٢].

ولما كان الصلب بمقتضى تدبير حكمة الله فإن المسيح فهم هذا التدبير وتلك الحكمة فتقدم ـ كما يعتقدون ـ "إلى الصليب بمنتهى حرية إرادته، لم يكن فى لحظة واحدة مترددًا ولا متراجعًا". بمنتهى حريته وإرادته تقدم[٣] إلى الصليب ذلك لأنه لم يكن يتقدم بنفسه بل ممثلاً عن البشرية كلها.

تقدم المسيح إلى الصليب ممثلاً للبشرية ليدخل فى قضاء إلهى وهو يعلم تمامًا ما هو الحكم الذى سيصير[٤].

فالصلب ـ فى نظرهم ـ كان بمقتضى تدبير حكمة الله والمسيح يعلم ذلك، ولذلك تقدم إلى الصليب بمنتهى حريته لأنه يعلم أن وراء هذا التعذيب وهذا الصلب هدفًا وغاية سامية فما هو هذا الهدف؟ وما هى هذه الغاية؟ أن الهدف الأساسى ـ فى العقيدة المسيحية ـ من تحمل المسيح للآلام هو الكفارة!!!

الصلة بين الكفارة وتحمل الآلام

وقبل أن نشرح معنى الكفارة وما ترمز إليه نتعرض لبيان الصلة بين الكفارة وتحمل الآلام.

---

(١) باركلى: تفسير أعمال الرسل ص٤٥، ٤٦.

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص٨٨.

(٣) وهذا القول لا يتفق مع ما ورد من أن المسيح صرخ على الصليب وقال إلهى إلهى لما شبقتنى وهو تناقض واضح.

(٤) مع المسيح فى آلامه حتى الصلب ص٢٠٨.

إن القاعدة التى تصير عليها نظام الكفارة فى المسيحية ما جاء فى سفر العبرانيين (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة)[١] أى بدون ذبيحة لا تحصل مغفرة.

والمسيح هو الذبيحة الحقيقية التى بها حصل البشر على المغفرة.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى": والذبيحة بحصر المعنى تشير إلى موت المسيح كفارة على الصليب كأنه مذبوح على مذبح لأجل خطايا العالم، على أن حياة المسيح كانت بالإجمال على سبيل الذبيحة، لأن احتمال المشقات والآلام والأحزان والأحمال المقترنة بحياته على الأرض كانت من نوع الذبيحة كما قال هو نفسه ليس إشارة إلى موته فقط بل إلى كل حياته (أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده)[٢] فالذبيحة وإن أشير بها غالبًا إلى موته على الصليب تشتمل على كل ما احتمله فى إتمام عمل الفداء على الأرض[٣].

فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح هو الذبيحة الحقيقية التى بها يكفر عن خطايا البشر.

أما الصلة بين الكفارة والذبيحة فيقول باركلى (وهناك صلة بين الكفارة والذبيحة، ففى ناموس العهد القديم كان المخطئ يقدم لله ذبيحة يهدف منها إلى جلب رضا الله وإزالة غضبه ورفع العقوبة عنه، لنفترض أن إنسانًا أخطأ فالخطيئة تفسد العلاقة بينه وبين الله، ولكى تعود العلاقة السليمة يقدم المخطئ ذبيحة)[٤] ويقول إنسطاسى شفيق: والذبائح كانت جزءًا من عبادة الله التى وضعها منذ البدء وعلى ذلك نرى فى الكتاب أن هابيل ونوحًا والآباء وإبراهيم وإسحاق ويعقوب قدموا الذبائح[٥].

فهناك صلة بين الذبائح والكفارة حيث إن ناموس العهد القديم يقرر أن الناس كانوا يقدمون الذبائح وكانوا يهدفون من وراءها إزالة غضب الله سبحانه وتعالى

---

(١) عبرانيين ٩: ٢٢.
(٢) لوقا ٢٤: ٢٦.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص٨٢٢.
(٤) تفسير رسالة رومية ص٧٣.
(٥) الفداء فى إنجيل لوقا ص٣٩.

وجلب الرضا[١]، وهذه الذبائح جزء من عبادة الله التى وضعها الله لعباده منذ أن خلق الله الإنسان.

أما عن أسباب ترتيب الذبائح ـ فيقول عنها أفلاطون مطران موسكو ـ فى الكتاب المقدس نجد سببين لترتيب الذبائح:

الأول: وهو الأساسى: هو معرفة الإنسان أنه خاطئ أمام الله ومستوجب الموت على المنوال الذى به يمات الحيوان المقدم للذبيحة، ولذا أمر الله أن يضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس العجل[٢] وقد كان على الإنسان أن يطلب فاديًا بمجرد شعوره بالخطية.

والسبب الثانى هو: أن الذبائح الناموسية كانت رسمًا للحمل الذى بلا عيب يسوع المسيح الذى مات على الصليب لأجل خطايانا، فإنه كما يحرك الدم المسفوك الإنسان على الجنود الشفقة هكذا دم ابن الله الطاهر يحرك أباه السماوى الذى غضب على خطايانا، وإذا كان دم الحيوان يقدر أن يطهر من الأقذار الجسدية. فبالأحرى كثيرًا دم يسوع المسيح يقدر أن يطهرنا من أدران الخطية، وهذا ما استنتجه بولس حيث يقول (الناموس كان له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء)[٣].

وقد كانت ذبائح الوثنيين أيضًا نافعة، لأنها كانت تصير لهم كسبب ليعرفوا أنهم مستوجبون العقوبة أمام الله وليسلكوا فى الصراط المستقيم فيبلغوا إلى التبرر[٤].

---

(١) راجع فى ذلك سفر اللاويين ٤: ٢٢ـ٢٤ (إذا أخطأ رئيس وعمل بسهو واحدة من جميع مناهى الرب إلهه التى لا يتبغى عملها وأثم، ثم أُعلم بخطيته التى أخطأ بها يأتى بقربانه تيسا من المعز ذكرًا صحيحًا ويضع يده على رأس التيس ويذبحه فى الموضع الذى يذبح فيه المحرقة أمام الرب. أنه ذبيحة خطية).

(٢) راجع فى ذلك لاويين ٤: ١٥، خروج ٢٩: ١٠ ـ ١٩.
ووضع الأيدى على رأس العجل كان يعنى أنهم هم كانوا مستوجبين للذبح لأجل خطاياهم التى كان العجل المقدم عنهم ذبيحة يقبلها على رأسه، وعلى هذا المنوال كان المصريون أيضًا يقدمون ذبائحهم كما روى هيردوتس. (راجع الخلاصة الشهية فى أخص العقائد الأرثوذكسية ص٦٣).

(٣) عبرانيين ٩: ١٠، ١٠: ١.

(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٦٣.

فالمسيحيون يعتقدون أن الذبائح فرضت على البشر لأنها تعرف الإنسان أنه خاطئ ومستوجب الموت على المنوال الذى به يمات الحيوان المقدم للذبيحة. وهى - أى الذبائح - رمز للذبيحة الحقيقية وهو المسيح المصلوب. وإذا كانت الذبائح الحيوانية تذبح من أجل الكفارة. فلماذا إذن الحاجة إلى ذبح المسيح وتحمله للآلام؟

يقول باركلى: إن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق الكفارة (لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى) [١] (بم أتقدم للرب وأنحنى للإله العلى؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى) [٢] لقد شعر الناس أن الذبائح لا تكفر عن خطاياهم ولكن بولس هنا[٣] - أى فى الإصحاح الثالث من رسالة رومية - يقول إن يسوع المسيح بحياته حياة الطاعة الكاملة وبموته موت الحب الكامل قدم نفسه ذبيحة لله كفرت الكفارة الحقيقية عن الخطية. ويقول بولس إن ما حدث على الصليب فتح الباب للعلاقة السليمة مع الله الأمر الذى فشلت فيه كل ذبيحة حيوانية[٤] فالمسيح ذبح على الصليب - فى اعتقاد المسيحيين - من أجل الكفارة وذلك لأن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق هذه الكفارة.

وهناك سبب آخر يقول عنه أفلاطون مطران موسكو: أما الذبيحة التى كانت تقوم بتقدم الحيوانات فلم تكن كافية لاستعطاف الله، فقبل ذلك ابن الله وسيطنا واحتمل الآلام والموت بدلاً من الإنسان الذى خطئ وحل العقاب الذى احتمله المخلص البرئ لنا محل القصاص الذى كنا نستحقه.

وموت المسيح ذبيحة لأن المسيح قدم ذاته على الصليب وذبح كحمل عادم الشر لكى يستعطف الله[٥].

---

(١) مزمور ٥١ : ١٦.

(٢) ميخا ٦ : ٦ ، ٧.

(٣) رومية ٣ : ٢٤.

(٤) تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية ص٧٣.

(٥) الخلاصة الشهية ص٩٥.

فالمسيح ذبح وتحمل الآلام والتعذيب ـ فى اعتقاد المسيحيين ـ من أجل التكفير عن خطايا البشر، لأن الذبائح الحيوانية فشلت فى التكفير عن الخطية هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الذبائح الحيوانية لم تكن كافية لاستعطاف الله

وهنا نقف لنقول:

أما أنها فشلت فى التكفير عن الخطية فهذا خطأ، فإن هابيل قدم قربانًا إلى الله والله قبل قربانه بدليل أن أخاه قايين اغتاظ منه وقتله.

يقول سفر التكوين (وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانًا للرب. وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها. **فنظر الرب إلى هابيل وقربانه.** ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدًا وسقط وجهه..)[١].

والعهد القديم يفيد أيضا بأن الرب قبل ذبائح نوح.

يقول سفر التكوين (وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضًا أميت كل حي كما فعلت)[٢] فلو كانت الخطية ـ أى خطية آدام ـ لا زالت عالقة بأبنائه فإن أبناءه كفروا عن خطاياهم بالذبائح الحيوانية. وهذه الذبائح الحيوانية قبلها الله سبحانه وتعالى، ولو لم تكن هذه الذبائح كافية لما قبلها الله وردها ولا قال (لا أعود أميت كل حى) على أساس أن الموت جزاء الخطية ـ كما تقولون.

وهنا دليل آخر أوضح وهو أن ذبائح موسى وقومه كانت سببا فى نجاتهم من عذاب الرب، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية فى التكفير عن الخطية لما نجا موسى وقومه من عذاب الرب، ذلك أن العذاب مترتب على الخطية، فلو لم تكن الذبائح

---

(١) تكوين ٤ : ٣ ـ ٥.
(٢) تكوين ٨ : ٢٠ ـ ٢١.

الحيوانية كافية فى التكفير عن الخطية لما نجا الله موسى قومه من عذاب الرب، ذلك أن العذاب مترتب على الخطية، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية لعذبوا حتى ولو بجزء من هذا العذاب وهو ما لم يقع، فدل على أنها كافية لنجاة الإنسان من العذاب أى كافية للتكفير عن الخطية.

ففى سفر الخروج فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال له اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زوفا واغمسوها فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست.. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب)[١].

فالذبائح كانت سببا لنجاة موسى وقومه من عذاب الله الذى عذب به المصريين. هذا عن السبب الأول.

أما عن السبب الثانى وهو أن الذبائح الحيوانية ليست كافية لاستعطاف الله فإن معنى ذلك أن الله يستفيد من هذه الذبائح الاستعطاف وعدمه!!! وهل يليق بنا أن نصف الله بأنه محتاج إلى ذبائح لاستعطافه؟ على أننا نقول ـ بنفس المنطق إن ذبائح نوح كانت كافية لاستعطاف الله بدليل أن الله قال (لا ألعن أحدا بعد ذلك ولا أعود أميت كل حى كما فعلت).

وهكذا نرى أن الذبائح الحيوانية كانت تكفى للتكفير عن الخطية ـ على فرض أنها مقصودة لذاتها للتكفير عن الخطية ـ وإن كنا لا نسلم أنها مقصودة لذاتها.

الكفارة وما تعنيه

إن الهدف الأساسى ـ كما يقولون ـ من تحمل المسيح الآلام والتعذيب وموته على الصلب هو الكفارة .

والكفارة هى: "عمل المسيح الذى تم بواسطة طاعته الكاملة اختيارًا لمشيئة الله ولأجل خلاص البشر من لعنة الشريعة ومصالحتهم مع الله. وتلك الكفارة لم تكن لأجل نفسه بل لأجل الجنس البشرى الساقط كما قيل.

(١) خروج ١٢ : ٢١، ٢٣.

"فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأئمة لكى يقربنا إلى الله"(١) وقيمة تلك الكفارة مبنية على كون ابن الله الأزلى كم قيل هذا هو ابنى الذى به سررت (٢).

ويصح أن ننظر إلى كفارة المسيح ـ كما يقولون ـ من أوجه مختلفة باعتبار نسبتها إلى الله أى إلى محبته وقداسته وعدله. أو باعتبار نسبتها إلى الإنسان أى فعلها فيه ولأجله وقد اصطلح اللاهوتيون على ألفاظ تعبر عن هذه النسب المختلفة، فقيل مثلا إن كفارة المسيح تكفير عن الخطية، وترضية لله، وإيفاء العدل حقه، وأن المسيح تمم عمله الكفارى بالنيابة عنا"(٣).

ويتبني من تعريف المسيحيين للكفارة ما تعنيه آلام المسيح من الكفارة العامة بأوجهها المختلفة.

أوجه كفارة المسيح:

أولا ـ دعوى آلام المسيح تعنى التكفير عن الخطية وما أحدثته (الموت):ـ

كما قلنا سابقا إن المسيحيين يعتقدون أن الإنسان ورث الخطية عن آدم، وأنه لا يستطيع أى إنسان أن يكفر عن هذه الخطية، ولم يستطع أحد سوى المسيح الذى قبل أن يتجسد فى صورة بشرية من أجل أن يتحمل الآلام ويموت على الصليب ليتحمل الخطية، ذلك أنهم يعتقدون أن أجرة الخطية هى الموت، والتكفير عنها لا يتم إلا بواسطة الموت أى موت ابن الله على الصليب.

ولما كان التكفير عن الخطية لا يتم إلا بواسطة المسيح ابن الله فكان لابد ـ كما يقولون ـ أن يتخذ كلمة الله جسدًا بشريا مثل أجسادنا لكى يستطيع أن يتمكن من الموت على الصليب ويرفع حكم الخطية عن الجنس البشرى.

يقول كلايد تارنر: فالمسيح بموته مصلوبا فتح طريق الخلاص للخطاة.

---

(١) ١ ـ بطرس ٣ : ١٨.
(٢) متى ٥ : ١٧
(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٨٢٢

إن كلمة الله تقول (أجرة الخطية هى موت[١]) وأكثر من هذا فهى تعلن أن الكل خطاة أمام الله (إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله[٢]) فكيف يستطيع الله إذن أن يخلص أى إنسان ببرره ويعضد ناموسه؟

إن صلب المسيح هو الجواب عن هذا السؤال (متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع[٣]) إن تعليم الكتاب الواضح هو أن موت المسيح كان بديليا[٤]).

إن يسوع المسيح قبل الموت ليس فقط لأجل الإنسان بل بدلا من الإنسان، أى أن ذلك القدوس البار الخالى من كل خطية وعيب وهو الوحيد الذى استطاع أن يتحدى اليهود بالقول (من منكم يبكتنى على خطية[٥]) صار هو نفسه كما يقول بولس خطية لأجلنا لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه[٦]) فالغرض من هذا الموت هو أن يأخذ يسوع مكاننا كخطاة أمام الآب أى أنه يصبح هو نفسه الذى لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، فعلى الصليب أخذ يسوع مركز الإنسان الخاطئ المتمرد، والمجرم العاصى، والمبتعد عن الله، وبالتالى الإنسان المرفوض من الله، وعندما احتل المسيح مكان هذا الإنسان الخاطئ المرفوض، وشرب الكأس إلى نهايتها، وذاق مرارتها وعلقمها القاسيتين (صرخ بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى[٧]).

فالمسيح بموته على الصليب ـ كما يعتقدون ـ حل محل الإنسانية فى التكفير عن الخطية والتكفير عن عقاب الخطية وهو الموت. (فالموت والخطية قد قهرا على

---

(١) رومية: ٦ : ٢٣.
(٢) رومية: ٣ : ٢٣.
(٣) رومية: ٣ : ٢٤ـ٢٦.
(٤) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٨٣.
(٥) يوحنا ٨ : ٤٣.
(٦) ٢ـ كورنثوس ٥ : ٢١.
(٧) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٤٦.

الصليب، والرب الذى بلا خطية والذى لم يكن خاضعا للموت اتخذ طبيعة آدم البشرية بتجسده من الروح القدس والعذراء مريم. اتخذ طبيعة بشرية غير محطمة أو مشوهة بالخطية، ثم بذوقه الموت عنا بإرادته حررنا من الخطية والموت[١])

وبذلك يكون الصليب هو الكفارة عن الخطية وعن الموت.

ويعتقدون أن الصلب ليس كفارة عن الخطية الأصلية فقط ـ أى خطية آدم ـ بل كفارة عن الخطايا الفعلية أيضا يقول بولس (وإذ كنتم أمواتا فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحًا لكم بجميع الخطايا[٢]).

بل وأكثر من ذلك ـ فلقد جعلوا موت المسيح على الصليب ليس كفارة عن الخطايا والموت الذى هو أجرة الخطية فقط بل موت المسيح على الصلب أمات الأهواء والشهوات فى الإنسان وأصبح الإنسان بهذا الموت إنسانا جديدا.

يقول الأب متى المسكين (يموت الجسد وتموت فيه كل الأهواء مع الشهوات ويموت العالم من داخل النفس ويخلص الإنسان من طوفان هلاك محيط[٣]).

ولا شك أن هذا لا يتفق مع ما نراه من حالة النصارى قديما وحديثا، فلازالوا هم حالتهم الطبيعية أى من وجود الشر والخير معا ـ ولم تتغير حالتهم بالصورة التى حدثوا عنها وجعلوها علة لموت المسيح على الصليب.

ثانيا ـ دعوى تحمل المسيح الآلام من أجل المصالحة مع الله:

لقد قلنا سابقا ـ إنهم يقولون ـ إن الخطية أحدثت انفصالا بين الله والإنسان وأحدثت عداوة شديدة بينهما والتى بسببها أصبح الإنسان شريرا فاسدا بطبيعته.

وإذا كان المسيح قد مات على الصليب من أجل أن يكفر عن الخطية التى ورثها الإنسان من آدم أو بمعناها العام الشامل للتكفير عن الخطايا الأصلية والفعلية وإماتة الشهوات والأهواء فإن هذا يعنى أن هذا التكفير يعنى المصالحة مع الله ورفع عرى الانفصال بين الإنسان وبين الله.

---

(١) باسيليوس: سر الفداء ص ٢١.
(٢) كولوسى: ٢ :١٣.
(٣) الأب متى المسكين: القيامة والصعود ص ١٨٧.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: إن الغرض من الآلام التى اجتازها السيد هو المصالحة (أى إن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة[١]) هذا هو السبب الذى من أجله صار الله إنسانا وتألم، إنه أراد أن يضع يده فى يد الإنسان الخاطئ، فعلى الصليب علق المسيح كخروف الفصح حمل الله الذى يرفع خطية العالم وبهذه الذبيحة وبهذا الموت استطاع المسيح أن يصالح الله القدوس من الإنسان الشرير الخاطئ، لأن ـ الإنسان كان فى عداوة مستحكمة من الله.

فبالسقوط أعلن الإنسان حربا شعواء ضد الله وضد وصاياه، ولكن الله فى محبته التى لا تقاس جاء إلى الإنسان فى شخص يسوع المسيح ومد يده طالبا المصالحة، لأن الله منذ الأزل وقبل تأسيس العالم قد أحب الإنسان وأحبه إلى المنتهى[٢]).

فالمسيح جاء فى صورة إنسان وتحمل الآلام من أجل مصالحة هذا الإنسان مع الله (فالمصالحة يعبر بها عن عمل المسيح باعتبار نتيجته أو مفعول فى إزالة المخالفة بين الله والخطاة ودعيت تلك النتيجة المصالحة[٣]).

يقول بولس (لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة[٤]).

ويقول (ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به[٥]).

ويقول (وأن يصالح به الكل لنفسه الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات[٦]).

---

(١) ٢ كورنثوس ٥ : ١٩.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٤٨.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٨٢٨.
(٤) رومية ٥ : ١٠ ، ١١.
(٥) أفسس ٢ : ١٦.
(٦) كولوسى ١ : ٢٠ .

فتحمل المسيح الآلام وصلب من أجل التكفير عن الخطايا، ومن أجل مصالحة الإنسان مع الله، فالصلب ـ كما يعتقدون ـ أزال الخطية التى أبعدت الإنسان عن الله، وأعادت الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى.

يقول جون ستوت: (إن الخطية إذْ أبعدتنا عن الله وحالت بيننا وبينه وفصمت عرى شركتنا معه جاء الصليب فصار هو الكفارة عنها، وفيه كان السداد لدينها ومن ثم عبر بنا هذا العائق الذى كان يحول دوننا وإلهنا، فأحل السلام محل العداوة وأحل الحياة مكان الموت الذى كان ثمرة للخطية[١]) فالمسيح بموته عى الصليب ـ كما يعتقدون ـ رفع الحجاب الذى كان يفصل الإنسان عن الله أى الخطية، وبموته على الصليب أيضا أمات العداوة التى كانت تفصل قداسة الله عن الإنسان.

ثالثا: دعوى موت المسيح على الصليب من أجل إيفاء العدل حقه، وللجمع بين صفتى العدل والرحمة:

لقد قلنا سابقا إن أجرة الخطية الموت ـ كما يقولون ـ وإن عدالة الله توجب أنه لكى ينال الإنسان العفو لابد من التكفير عن هذه الخطية، والإنسان لا يستطيع أن يقوم بهذه الكفارة لأنه يحمل طبيعة خاطئة وفاسدة، والذى يستطيع وحده أن يقوم بذلك هو كلمة الله الذى تجسد فى صورة بشرية من أجل تحمل عقاب الخطية وهو الموت وبذلك يوفى العدل حقه. ففى "علم اللاهوت النظامى" (أن عدل الله يطلب قصاص خاطئ، وأن المسيح أخذ على نفسه ذلك القصاص، وأن المسيح أخذ على نفسه قصاص خطايانا ليوفى العدل حقه بالنيابة عنا[٢]).

ويقول (فغاية كفارة المسيح هو إيفاء عدل الله إيفاءً كاملا لينال بها المؤمنون المصالحة مع الله، والميراث الأبدى فى ملكوت السماء، وقد تمت تلك الغاية بقيام المسيح مقام الخطاة وعمل كل ما يطلبه ناموس الله وعدله من الخاطئ، سواء كان من باب الطاعة أو من باب احتمال لعنة الشريعة وقصاصها، حتى إن الناموس لا

(١) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص ١٣٢.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ٨٤٨.

يدين بعد ذلك من آمن بالمسيح، لأنه لم يبق بعد للعدل أن يطلب من الخاطئ غير ما عمله المسيح واحتمله لأجل الخطاة. ولا ريب أن عمل المسيح هذا هو إيفاء كاف لسبب ماهيته الذاتية، ولذلك كان للمؤمنين به نصيب فى رحمة الله ورضوانه، فلا يمكن إجراء الدينونية عليه، لأنه لم يبق بعد للعدل ما يطلبه، كما أن الجارم حسب الشرع البشرى هذا إذا احتمل ما يفرضه الشرع جزاء لذنبه لا يبقى عرضة للدينونة لا يعاقب عدلا على ذلك الذنب[١].

فالمسيح بموته على الصليب ـ كما يعتقدون ـ قد دفع ثمن الخطية وبذلك أوفى عدل الله إيفاءً كاملا ولذلك لا ينال عقاب الدينونة ـ أى عقاب دين الخطية ـ كل من آمن بالمسيح ذلك لأن المسيح كفر عنها، وما دام قد كفر عنها فإن الإنسان لا يعاقب على الخطية مرة ثانية وبهذا فقد أوفى العدل حقه.

وكذلك فإن موت المسيح على الصليب ـ كما يعتقدون ـ كان هو الطريق الوحيد للجمع بين صفتى العدل والرحمة. ذلك أن العدل يقتضى المعاقبة على الخطية وللجمع بين هاتين الصفتين تحمل المسيح الآلام وصلب.

يقول إبراهيم لوقا: إن المسيحية تعلم أن الله لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، وتكملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران[٢]).

يعتقد المسيحيون أن من صفات الله العدل والرحمة وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطية التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ٨٤٤.
(٢) المسيحية فى الإسلام ص ١٦٩.

ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده، وقبوله أن يظهر فى صورة إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر[١].

فالطريق الوحيد فى اعتقادهم للجمع بين صفتى العدل التى تقتضى المعاقبة على الخطية، والرحمة التى تقتضى العفو عن السيئات هو موت المسيح ابن الله ليصلب، فبالصلب يتحقق - فى نظرهم - التوافق بين هاتين الصفتين. فبموت المسيح على الصليب أو فى العدل حقه لأنه عوقب بأجرة الخطية - وهو الموت، وبتكفير الخطيئة تتحقق صفة الرحمة أى رحمة الله للبشر إذ كفر عنهم خطيئة آدم بصلب ابنه.

رابعا: دعوى موت المسيح لأجل الخطاة كأعظم دليل على محبة الله للإنسان:

يعتقد المسيحيون - أن موت المسيح لأجل التكفير عن الخطيئة والتى ينتج عنها المصالحة مع الله من أعظم الأدلة على محبة الله سبحانه وتعالى للإنسان.

يقول باركلى (إن موت المسيح لأجلنا هو أعظم برهان على محبة الله لنا، فمن الصعب أن تجد رجلا يموت لأجل شخص صالح، وربما أمكننا أن نجد شخصا يقبل الموت لأجل مبدأ عظيم صالح، وقد نجد من يظهر محبة أكثر بأن يموت لأجل صديق ولكن المذهل فى المسيح هو أنه مات لأجل خطاة أشرار فى حالة العداوة مع الله وليست هناك محبة أعظم من هذا[٢]).

ويقول باسيليوس (إن محبة الله هى القوة المحركة وراء السر الفائق الفهم الخاص بالذبيحة الاختيارية التى قدمها ابن الله المتجسد على الصليب لكى يخلص العالم[٣]).

(والله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب[٤]) إن الصليب أسمى تعبير عن محبة الله لنا[٥]).

---

(١) الإنجيل والصليب ص ٦ ، ٧.
(٢) تفسير رسالة رومية صـ ٩١.
(٣) سر الفداء صـ٢٠.
(٤) رومية ٥ : ٨ ، ٩
(٥) سر الفداء ص ٢٠.

فالموت على الصليب فى نظر المسيحيين يحقق العدالة الإلهية وفى نفس الوقت تعبير عن محبة الله سبحانه وتعالى للإنسان.

خامسا: الصلب من أجل الكفارة يفوق الفهم:

بقى أن نقول إنهم يقولون إن صلب المسيح من أجل الخلاص إنما هو يفوق الفهم. لا تستطيع العقول أن تدرك هذا العمل تمام الإدراك.

يقول جون ستوت: على الرغم من أن الصليب هو ذلك الحدث التاريخى الذى تدور فى فلكه سائر أحداث التاريخ فإن عقولنا لتعجز عن إدراكه تمام الإدراك، ومع ذلك فإن اليوم لا محالة آت .. حين ترفع الحجب وتحل الألغاز وتنكشف الأسرار.. فنرى المسيح كما هو ونعيده إلى أبد الآبدين من أجل صنيعه معنا.. أما الآن فإننا كمن ننظر فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجها لوجه[١].

ويقول باسيليوس (إن كل عمل المسيح الخلاصى وخاصة صلبه على خشبة الصليب وموته الفادى (المنقذ) هو سر يفوق الفهم ويفوق التعبير، وإن معنى هذا السر ومدلوله لا يمكن أن يعبر عنه بلغة العقل البشرى تعبيرا كاملا ودقيقا بدون خطر تشويه هذا السر وتضيق معناه. إن صليب المسيح سيظل أمرا غير مقبول بل ومنفرًا للعقل البشرى بدون عمل النعمة، بينما هو لنا نحن المؤمنين قوة الله غير المغلوبة والفائقة للفهم [٢] فموت المسيح على الصليب من أجل الخلاص - كما يقول المسيحيون - إنما هو سر يفوق العقل البشرى، بل إنه - أى الصلب - حادثة تفوق الفهم والتصور العقلى، لذلك فهم يقولون يجب ألا نفكر فيها بعقولنا وإنما يجب أن نؤمن بها بقلوبنا.

ويقولون إنه يأتى اليوم - يوم القيامة - الذى تنكشف فيه الحقيقة للنفس على وجهها يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة.

وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقة عقائدهم وحقيقة فسادها إلا يوم أن يحاسبهم الله عليها.

---

(١) المسيحية فى جوهرها ص ١٣٨.

(٢) باسيليوس: سر الفداء ص ٦.

مناقشة دعوى صلب المسيح

أولا ـ إن دعوى صلب المسيح قائمة على أساس روايات الأناجيل التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث.

والأناجيل بوجه عام لم تسلم من النقد ـ كما بينا فى المدخل العام لهذا الكتاب ـ من حيث فقدان السند المتصل، ومن حيث ما وقع فيها من أخطاء لا يصح أن يوجد مثلها فى كتاب يدعى أصحابه أنه من عند الله. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن نصوص العهد الجديد التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث متناقضة ومتعارضة، إذ "لم تختلف الأناجيل فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله، فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لها الإلهام، ويعتقدون خلوها من الخطأ كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة ـ التى هى مناط النجاة ودعامة الإيمان فى نظرهم ـ متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا، إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة ـ جاءت فى جميعها ـ فإنها تتخالف فى مواضع كثيرة، وإذا لم يكن الرواى أمينا كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفا والتصديق بها غير سائغ[١]".

وفى الحق أن من يراجع الأناجيل وخبرها فى القبض على المسيح وحبسه، ثم محاكمته وصلبه فى زعم النصارى، يجد الاختلاف فى أخبارها اختلافا بينا، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبت بشهادتهما دعوى، ولا انتصر بها حق[٢] فكيف إذا كان هذا الاختلاف فى عقيدة هى أساس الديانة ورأس عقائدها. فالاختلاف بين الأناجيل فى روايات الصلب يجعلنا لا نثق بها. ذلك أن الاختلاف بينها يوحى بأنه لابد أن يكون واحد منها صادقا والآخر

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٤٣٣ ، ٤٣٤.
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٣.

كاذبا، فمن الصادق؟ ومن غير الصادق؟ ولما كان الصادق منها غير متعين فالشك يرد على الجميع، حتى يثبت الصحيح منهما، ويقوم الدليل على صدقه، وهو ما لا يستطيع أحد أن يثبته ويبينه ويوضحه.

(فالشك معلق بها جمعيا مما يجعلنا نسقطها جميعا من مجال الاستدلال، لأن العقلاء يقولون: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[1]).

ثانيا: نقول إن الصلب لم يشهده أحد من تلاميذ المسيح، ولا أحد ممن كتبوا الأناجيل والرسائل، ذلك أن الجميع تركوا المسيح وهربوا، وهذا يعنى أن رواياتهم ليست رواية من عاين وشاهد مما يجعلنا نشك فى مصدر هذه الروايات. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى (فإن نصوص العهد الجديد التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث منقولة نقلا آحاديا [2] لا يفيد القطع واليقين، ولا تصلح أن تكون مستندا يثبت به أمر من الأهمية مثل مالمسألة صلب المسيح التى يجعلها النصارى أساس إيمانهم وسبب نجاتهم[3]).

ولذلك يقال النصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواترا أو آحادا، فإن زعموا أنه آحاد لم يقم به حجة ولم يثبت به العلم الضرورى، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، فلا يحتج بها فى القطيعات.

وإن عزوا ذلك إلى التواتر قلنا لهم: شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة. وهو أن ينقل الجم الغفير عن الحجم الغفير عن الذين شاهدوا المصلوب وعلموا به ضرورة .. فإن اختل شرط من ذلك فلا تواتر، فإن زعموا أن نقلهم قتل وصلب المسيح بهذه الصفة أكذبتهم نصوص الإنجيل الذى بأيديهم؛ حيث تصرح بأن المأخوذ للقتل كان فى شرذمة يسيرة من تلاميذه، فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى

---

(١) مشكلات العقيدة النصرانية ص ١٥٦.
(٢) راجع فى ذلك الفصل فى الملل والنحل لابن حزم جـ١ ص ٥٨.
(٣) د/إبراهيم سلامة: القرآن وعقائد أهل الكتاب (رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية أصول الدين. القاهرة) ص ٢٧١.

بطرس فعرفته ـ فقالت: هذا كان مع يسوع، فحلف أنه لا يعرفه، ولا يقول بقوله، وخادعهم حتى تركوه وذهب، وأن شابا آخر تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره فى أيديهم وذهب عريانا، فهؤلاء أصحابه وأتباعه. لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر، بل كانوا آحادا وأفرادا، وهم أعداؤه فيحتمل تواطؤهم على الكذب على عدوهم، إيهاما أنهم ظفروا به، وأنهم بلغوا أمانيهم فيه، فلا يقبل إخبارهم بقتله وصلبه[١].

فروايات الأناجيل عن الصلب وغيره ليست روايات متواترة، بمعنى أنها لم تتوافر فيها رواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب حتى تصل إلى الجمع الذين شاهدوا هذه الحوداث، فحوادث الصلب لم ينقلها جمع عن جمع فضلا عن أن يكونوا صادقين فى رواياتهم، لأن الذين شهدوا هذه الأحداث هم الأعداء فليس من المستبعد أن يكذبوا فى رواياتهم لها مما يجعلنا لا نسلم بها لفقدان التواتر الداعى إلى الثقة.

إن صلب المسيح وما يترتب عليه هو أساس الديانة المسيحية والذى يجب أن يكون هو الأقوى فى التواتر والصدق فى الرواية وهو ما لم يتوافر له مما يجعل الاطمئنان إلى صحته بعيدا كل البعد لأنه لم يتوافر له دواعى الاطمئنان إلى صحته كاملا.

ثالثا ـ إن روايات الأناجيل لحادثة الصلب تثير الشك فى هذه القضية من حيث إن الأناجيل تبين أن الصلب بمقدماته وأحداثه لم يستغرق أكثر من أربع وعشرين ساعة وهو ما لا يمكن حدوثه بحال من الأحوال.

يقول د/حنا جرجس الخضرى "إن الشئ الأول الذى يلفت النظر هو سرعة البت فيها، وتبعا لما ذكر فى الأناجيل لم تستمر محاكمته يسوع أكثر من ٢٤ ساعة، من وقت القبض عليه إلى أن رفع على الصليب، وأما هذه السرعة تساءل الكثيرون: كيف يمكن أن تتم هذه العملية بهذه السرعة؟ وكيف يمكن قضائيا وعمليا أن يقوم

---

(١) المنتحب الجليل لأبى الفضل السعودى ص ١١١.

يسوع بعمل العشاء الربانى فى العلية، والذهاب إلى جبل الزيتون، والصلاة ثلاث مرات، ثم حضور يهوذا مع الجند للقبض عليه، ثم إحضاره إلى رئيس الكهنة حنان ـ واستجوابه، ثم إحضاره إلى رئيس الكهنة قيافا واستجوابه، ثم إحضاره أمام بيلاطس وبيلاطس يرسله إلى هيردوس، وهيردوس يرجعه إلى بيلاطس، وهذا الأخير يقدمه إلى الشعب مقترحا عليهم اسم باراباس، وأخيرا يسلمه للصلب فيصلب؟ كل هذه الأحداث بما تتضمنه من مناقشات وأسئلة ومداولات قضائية وغير قضائية تمت فى أربع وعشرين ساعة[١]).

ويقول (والمشكلة التى تعترض سبيلنا فى هذه القضية هى: هل يمكننا من الناحية القضائية والناحية العملية تنفيذ هذه الأحداث الكثيرة فى مدة أربع وعشرين ساعة؟)[٢].

الواقع إن مثل هذه الأحداث ـ سواء من الناحية القضائية أو من الناحية العملية ـ لا يحكم أن تحدث فى مثل هذا الوقت القصير، وإن أقل حدث فيها يستغرق مدة تزيد عن هذه المدة، فلو أخذنا مثلا واحدا لتبين ذلك:

إن محاكمة يسوع أمام بيلاطس، والمناقشات التى وقعت فى هذه المحاكمة، ثم الذهاب به إلى الجليل للمثول أمام هيردوس لمحاكمته، والرجوع به من الجليل إلى أورشليم مرة ثانية وصلبه. لا يمكن أبدا التسليم أن هذه الحادثة وقعت فى مدة قصيرة؛ إذ أن الجليل فى الشمال، وأورشليم فى الجنوب، وهى تبعد عنها بأميال مما يستحيل معه أن يذهبوا بيسوع إلى الجليل ثم يرجعوا به فى نفس اليوم، مما يجعل الاعتراض قائما وهو: كيف يمكن أن تحدث هذه الأحداث فى أربع وعشرين ساعة؟ وهو مشكلة تعترض التسليم بصحة هذه القضية وتثير الشك فى صحة حدوث هذه الحادثة.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٤.

رابعا: وعلى فرض أن صلبا حدث فإن المصلوب ليس بالضرورةأن يكون هو عيسى بن مريم، وهذا أيضا من واقع روايات الأناجيل ذاتها، ويتبين ذلك من وجهين:

الوجه الأول: وقوع أحداث لعيسى بن مريم قبل الصلب تدل على ان هناك تغيرا حدث، مما يتعذر معه التسليم بسهولة بأن يكون عيسى بن مريم قد وقع فى أيدى اليهود والرومان وصلب.

من هذه الأحداث ما يسمى (بحادث التجلى)

إن الأناجيل تروى لنا أن عيسى صعد إلى الجبل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ليصلى، وبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجه، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، ونظروا موسى بن عمران، وإيليا فقد ظهرا لهم، وجاءت سحابة فأظلتهم، فأما التلاميذ الذين كانوا معه فوقع عليهم النوم فناموا[١]. وهذا الحدث وقع قبل القبض على يسوع بفترة بسيطة، ويصح أن نقول إن حدوث مثل هذا الحدث فى تلك الفترة لابد وأن يكون لغاية فما هى هذه الغاية؟ ....

يقول صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق (وهذا دليل على رفع المسيح فى تلك الساعة وصيانته من يد أعدائه اليهود، وأى مانع يمنع من أن يكون ذلك قد وقع فى اليوم الذى طلبته فيه اليهود أو قبله بيوم أو يومين والرواة تناقضوا واختلفوا فى نقلها كما تناقضوا واختلفوا فى غيرها[٢]) وإلا فما معنى هذا الحدث؟

ومن هذه الأحداث ما روى فى إنجيل يوحنا عند القبض على يسوع: فبينما جاء يهوذا مع الجنود لتسليم يسوع ومعهم المصابيح والمشاعل، خرج إليهم يسوع وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصرى. فقال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مسلمه واقفاً معهم، فلما قال لهم يسوع إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، ثم سألهم مرة ثانية: من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصرى، أجاب يسوع:

(١) راجع متى ١٧ : ١ ـ ٧ ، مرقس ٩: ٢٨ ـ ٣٦ .
(٢) عبد الرحمن باجة : الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٨٦.

قد قلت لكم إنى أنا هو [١] .....، من الممكن القول بأن شيئا ما حدث جعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض ... أليس من الممكن القول إن بين رجوعهم وسقوطهم على الأرض، ثم رجوعهم إلى السؤال مرة ثانية أن يكون شيئا ما قد حدث به تغيرت حقيقة المصلوب؟ من الممكن ذلك.

من هذه الأحداث: قول المسيح لتلاميذه (كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم فقال بطرس فلو شك جميعهم ما أشك أنا فقال يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات[٢]).

فما معنى قول المسيح كلكم تشكون فىّ؟ إن تنبأ المسيح واقع لا محالة، وإلا لأجازوا إلحاق تنبؤات خاطئة عن المسيح، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يصدر عنه.

إن المعنى القريب لهذه النبوءة: أنهم جميعا يشكون فى المسيح هل هو المصلوب أم لا؟ وهذا المعنى أرحم من أن يكون المعنى تشكون فى أقوال المسيح التى هى من صميم العقيدة فهو كفر، وهو مدفوع بوعد المسيح للتلاميذ بأنهم سينالون الحياة الأبدية.

وإلا فما معنى شكهم إذا لم يحمل على هذا المعنى؟

وهذا الشك لابد وأنه قائم على أنهم وجدوا اختلافا بين الشخص المصلوب والمسيح.

وشك التلاميذ يدور حول المصلوب هل هو المسيح أم لا؟

فاليهود يقولون إنهم صلبوا المسيح!! ولكن التلاميذ يشكون فى صلب المسيح.

كل هذه الأحداث ترجح القول بأن تغيرًا ما حدث، وبهذا التغيير يمكن القول إن الله بعنايته نجى عيسى من أيديهم ويدل عليه هذه الأحداث التى ذكرناها.

---

(١) يوحنا ١٨ : ٢ ـ ١٢.
(٢) مرقس ١٤ : ٢٧ ـ ٣١.

الجهة الثانية : الأفعال التى كان يفعلها المصلوب، تختلف عن أفعال وطبيعة عيسى بن مريم.

من هذه الأفعال ما جاء فى الأناجيل من أن المصلوب قد استسقى اليهود فأعطوه خلا ممزوجا بمرارة فذاقه ولم يشربه، ثم نادى إلهى إلهى لم خذلتنى؟ مع أن الأناجيل مصرحة بأن المسيح كان يطوى أربعين يوما وليلة دون طعام وشراب[١]. ومن يصبر على العطش والجوع أربعين ليلة كيف يظهر الحاجة ـ لو كان هو المصلوب ـ والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد؟! ... هذا لا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء؟ وكيف بالرب تعالى ـ على ما تدعونه؟.

وهذا يدل على أن المدعى للعطش الذى طلب الماء شخص غير عيسى عليه السلام. وكذلك أيضا قول المصلوب (إلهى إلهى لم خذلتنى) كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، لا سيما وأنتم تقولون إن المسيح نزل ليؤثر العالم على نفسه ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدى إلى خلاف ذلك؟ مع روايتكم فى توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فلم يجذعوا من الموت ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه مع أنهم عبيد الله والمسيح بزعمكم ولد الرب فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره[٢].

خامسا : إن بعض العقول المسيحية قد أنكرت صلب المسيح :

يقول القس/ عوض سمعان (على الرغم من الأدلة الواضحة التى تثبت أن موت المسيح كان كفارة عنا إلا أن بعض الفلاسفة المنتمين إلى المسيحية أمثال مرقيون وستروس، ورينان، وهولتزمان، ينكرون هذه الحقيقة[٣]).

---

(١) متى ٤ : ٢، مرقس ١ : ١٣، لوقا ٤ : ٢.
(٢) د/محمد شامة : بين الإسلام والمسيحية ص ٢٠٠.
(٣) قضية الغفران فى المسيحية ص ١٣٨.

وتحت عنوان (تاريخ إنكار موت المسيح) قال: ظهر فى القرن الثامن للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم (الغنوسيين) وهى كلمة يونانية معناها أهل العلم والمعرفة - أقبلوا على فحص التعاليم المسيحية فأنكروا صلب المسيح، وقالوا إن سمعان القيروانى رضى أن يصلب عوضا عن المسيح، لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح - وترك سمعان ليصلب عوضا عنه.

وقال الدوكيتيون: إن المسيح لم يصلب مطلقا إنما تراءى الناس أنهم صلبوه - وقد أطلقوا على أنفسهم اسمهم هذا لأنه مشتق من فعل يونانى معناه "يظهر" أو "يتراءى" للدلالة على عقيدتهم.

وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن فكرة عدم صلب المسيح لم تندثر كما اندثر غيرها من أفكار الفلاسفة التى ظهرت فى القرون الأولى للمسيحية، بل كانت تظهر من وقت إلى آخر فى بلدان متعددة بواسطة أشخاص كانوا يدعون العلم والمعرفة.

ففى سنة ١٧٥م قام فريق من نسل كهنة طيبة الورعين الذين اعتنقوا المسيحية وقالوا (حاشا للمسيح من الصلب بل إنه رفع إلى السماء سالما).

وفى سنة ٣٧٠م ظهرت طائفة الهرموسيين لكنها لم تلبث طويلا حتى انقسمت إلى قسمين، فإنقاد الفريق الأول وراء إثناسيوس الرسولى بطريرك الإسكندرية وآمن بصلب المسيح. وانقاد الفريق الآخر وراء الغنوسيين وأنكر صلبه وقال إنه لم يصلب ولكنه شبه للناظرين أنهم صلبوه.

وفى سنة ٥٢٠ م هرب ساويرس أسقف سوريا إلى الإسكندرية فوجد بها قوما من الفلاسفة ينادون بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناس أنهم صلبوه.

وفى سنة ٥٦٠م ظهر راهب يدعى (تيودورس) وأنكر بشرية المسيح وبالتالى أنكر صلبه.

وفى سنة ٦١٠ م نادى الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناظرين أنهم صلبوه[1]).

---

(١) نقلا عن الأديان فى القرآن ص ٢١٦.

فمن ذلك يتبين أنه فى السنوات الأولى للمسيحية وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصا آخر قد صلب بدلا منه، وهذا يعنى أنه بالرغم من أن النصارى جعلوا عقيدة الصلب والفداء من عقائدهم الأساسية إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمنعوا الأصوات التى تنكر هذه العقيدة والتى كانت تعيش فى السنوات الأولى للمسيحية، مما يمكن القول معه بأن هذا الإنكار - على الأقل - له مصدر حقيقى وإلا لما انتشر فى القرون الأولى والقرون التالية.

أو يمكن القول إن صلب المسيح ليس محل إجماع النصارى الأوائل وهو مصدر شك فى صحة صلب المسيح خاصة وأن جميع النصارى الأوائل لم يحضروا صلب المسيح.

مناقشة أسباب صلب المسيح

إن الحقيقة التى لا يمكن الجدال فيها أنه بانتفاء صلب المسيح ينتفى معه الأسباب التى اقترنت بالاعتقاد بصلب المسيح.

ومع ذلك فإننا سنناقش أسباب صلب المسيح، والتى على رأسها كون المسيح صلب من أجل أن يخلص البشرية من خطيئة آدم والخطايا الأخرى، أو يكفر عن الجنس البشرى ما تحمله من الأوزار والخطايا بسبب خطيئة آدم.

أولا - إن هذه العقيدة - عقيدة صلب المسيح من أجل التكفير عن خطيئة آدم - بنيت على أساس فاسد، والمبنى على الفاسد فاسد، ذلك أن أساس هذه العقيدة هو أن خطيئة آدم ليست خاصة به وحده، بل انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه، وهذا الأساس مردود بما جاء فى سفر التثنية: "لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل[١]".

وبما جاء فى سفر حزقيال (النفس التى تخطئ هى تموت والابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون[٢]).

وهو مردود بقول المسيح نفسه (يجازى كل واحد حسب عمله[٣]).

---

(١) تثنية ٢٤ : ١٦ .
(٢) حزقيال: ١٨ : ٢٠.
(٣) متى ١٦ : ٢٧.

ومضمون هذه النصوص أن كل إنسان مسئول عن عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وأن كل إنسان يجازى على حسب أعماله فلا يحمل الإنسان وزر أخيه.

يقول عبد الرحمن باجة (ولا أعلم أمة تتلون فى دينها كما تتلون النصرانية، فإن العاقل منهم لو تأمل معنى هذا الكلام من أن كل إنسان مجزى بعمله، كما هو العدل والحق ـ لحكم ببطلان عقيدتهم فى صلب المسيح فداء عن الخطايا وهل بعد تصريح المسيح هذا يقال إنه صار فداء عن العالم بأسره[١]). على أن تحمل كل إنسان لوزره من بداهية القانون الوضعى فكيف بالقانون الشرعى. يقول الشيخ عبد الرحمن الجزيرى: أخطأ آدم فما بال النوع الإنسانى كله يحتمل وزر هذه الخطيئة، مع أن كل الشرائع الإلهية والوضعية لا تأخذ بريئا بجريرة غيره وقد صرح فى توراتهم بأن الأب لا يحمل إثم الابن والابن لا يحمل وزر الأب[٢]).

ويقول د/أحمد شلبى (فى أى شرح يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل[٣]).

فالقول بأن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه قول مردود بالكتاب المقدس الذى يوضح مسئولية كل إنسان عن عمله وهو بهذا يتفق مع الشرائع الإلهية والوضعية فى أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة.

إذ أن أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة لا تقصد منها الشرائع الإلهية إلا تأديب الجناة ليكف غيرهم عن ارتكاب الجرائم، فمن المعقول حينئذ أن تقع العقوبة على نفس المجرم وإلا كان وضعها عبثا، فكيف يصح أن يعاقب المسيح ـ بل الإله الذى لم يقع منه جرم على جريرة غيره[٤] فالمعقول أن يعاقب آدم على معصيته لا أن يحملها أبناؤه ويعاقبون عليها وهم لا ذنب لهم. ولقد أوضح سفر التكوين أن آدم

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٢٤، ١٢٥.
(٢) أدلة اليقين ص ٢٣٩.
(٣) المسيحية ص ١٥٨.
(٤) أدلة اليقين ص ٢٤٠.

عوقب على خطيئته بأن أخرجه الله من الجنة بعد النعيم الذى كان يعيش فيه، ولا شك أن خروجه منها عقاب كاف لمعصيته التى لا تتعدى الأكل من الشجرة المنهى عنها (فالحرمان من الجنة الفينانة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك ولكنه اكتفى بذلك[١]).

وهذا دليل على أن خروجه من الجنة هو العقوبة المنوطة بمعصية آدم، وإذا كان آدم قد عوقب على معصيته فكيف يتحمل غيره خطيئة قد دفع هو ثمن ارتكابها أو دفع الكفارة عن هذه الخطيئة؟ ثم أليس من الظلم أن يعاقب الله على الخطيئة مرتين؟

وأليس من الظلم أن يعاقب عليها من لا يفعلها؟

فآدم عوقب على خطيئته كما تقولون بالطرد من الجنة، فهذا يعنى أنه عوقب على المعصية، فلا يتحمل غيره خطيئة قد عوقب عليها وإلا نسبتم الظلم إلى الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والخلاصة: أن الكتاب المقدس يفيد أن الأبناء لا يحملون وزر الآباء، وهذا يعنى أن عقيدة الصلب قد بنيت على أساس باطل، وما بنى على الباطل فهو باطل.

ثانيا: إن القول باستقلال الصلب فى تخليص الناس من خطيئة آدم بل من الخطايا والذنوب، أو استقلال الصلب فى التكفير عن الخطايا قول غير مسلم به لأنه معارض بما يلى:

١ - بما ذكره مرقس فى خاتمة إنجيله من أن المسيح حين ودع تلاميذه قال لهم (كرزوا - أى بشروا - بالإنجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن[٢])، فالإيمان وحده - كما صرح المسيح - هو المخلص وهو سبب النجاة وعليه فيكون القتل والصلب عبثا.

---

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص ١٦١.
(٢) مرقس ١٦ : ١٦، ١٥.

٢ ـ بما شهد به المسيح من أن التوبة تستقل بمحو الآثام كقوله (قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل[١]) وعلى ذلك يكون الصلب لا داعى له[٢].

٣ ـ وهو معارض كذلك بقول الأمانة ـ التى هى أصل دين النصارى ـ "نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الذنوب" إذ مفاده أن التعميد وحده كاف فى محو الخطايا وغفران الذنوب فلا حاجة لقتل وصلب المسيح لاستقلال التعميد بالخلاص والمغفرة[٣]).

ثالثا: ولنفترض أن المسيح صلب من أجل خطيئة آدم فلنسأل: هل هذا من أجل كل الناس حتى الذين صلبوه ونكلوا به أم من أجل فئة خاصة وهم الذين آمنوا؟ إذا قلتم بل هو لتخليص الذين آمنوا به فقط كما صرح به علماؤهم!! فإن المسعى قد خاب تماما لأن الخطيئة التى انقلبت الطبائع الإلهية من أجلها لا تزال موجودة على أتم معناها وأبشع صورها[٤].

رابعا: إذا كان الإله صلب باختياره ليخلص الذين آمنوا به فقد مهد لهم بذلك السبيل إلى الإباحية المطلقة، لأن يزنون ويلوطون ويقامرون ويقتلون ولا يبالون!! ألم يمت الإله فداء لهم؟ ألم يصلب ليخلصهم من خطيئاتهم؟ وأن هذا الصلب قد قبل فعلا فلا خوف على من آمن بصلب المسيح حينئذ من جريرة مطلقا.

ويظهر أن مثل هذا المعتقد يسهل للناس اعتناق الشيوعية والإباحية فى كل شئ، ولا ريب فى أن دينا يدعو إلى مثل هذه الفوضى لا يكون من عند الله حتما[٥].

خامسا: إذا كان الهدف من رسالة المسيح هو أن يصلب من أجل أن يكفر عن البشرية فلماذا حزن المسيح على الصليب وجزع وصرخ صرخة اليأس وقال

---

(١) مرقس ١ :١٥.
(٢) المنتخب الجليل ص ١١٤.
(٣) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٧٥.
(٤) أدلة اليقين ص ٢٤٠.
(٥) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(إلهى إلهى لم تركتنى) إن الواجب أن يكون أكثر فرحا واطمئنانا لأنه بصلبه يكتمل الرسالة التى نزل من أجلها !! فكيف يحزن ويجزع عند الصلب وهو نزل من أجل أن يصلب؟ وهذه الصرخةَ أيضا تناقض قول النصارى فى أن المسيح قبل الصلب باختياره وحرية إرادة لأنه لو اختاره ما حزن واكتئب هذا الاكتئاب.

سادسا: إذا صحت عقيدة النصارى فى الصلب وخلاص البشرية به .. فلماذا لم يقتل المسيح نفسه أو يطلب من تلاميذه أن يقتلوه قربانا لله بدلا من أن يوقع اليهود فى هذا الإثم العظيم؟ فكأن الله تعالى بعد أن دبر هذه الوسيلة لخلاص الناس من سلطة الشيطان لم يقدر أن يخلص بها أحب الشعوب إليه المفضلين على العالمين الذى خصهم كما يقولون بالوحى والنبوة والمعجزات العظيمة من قديم الزمان، ولم يعتن بأحد غيرهم اعتناءه بهم حتى جعلهم الواسطة الوحيدة لهداية البشر أجمعين إلى دينه الحق !!!! أما كان هؤلاء الناس أولى بالخلاص دون سواهم؟! فلماذا إذًا أوقعهم فى هذا الذنب العظيم بصلبهم المسيح دون إرادته مع أنه كان يمكنه أن يقدم ابنه (هذا البرئ) بدون إيقاعهم فى هذا الإثم الكبير ... ألا يدل ذلك لو صح على أن الشيطان قد نجح فى إهلاك أحباب إلههم وشعبه المختار وعجز هذا الإله عن تخليصهم من مخالبه بعد أن فكر فى ذلك مدة طويلة ثم صلب نفسه ومع ذلك لم تنجح خطته[1].

سابعا: إذا كان صلب الإله ضروريا إلى هذا الحد وهو وقع باختياره وإرادته فلماذا يذم الذين سلبوه؟ ولماذا يقع الجفاء بين اليهود وبين النصارى إلى هذا الحد؟

إن الإنصاف يقضى أن يكون اليهود محل احترام النصارى لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية[2].

---

(١) د/ محمد توفيق أفندى صدقى من مقال له بعنوان (نظريتى فى صلب المسيح وقيامته من الأموات)، والمقال فى كتاب عقيدة الصلب والفداء ص ١٠٩).

(٢) أدلة اليقين ص ٢٤٠.

فإذا كان صلب المسيح لتخليص البشرية مهما بهذه الدرجة فلماذا يكره النصارى اليهود ويرونهم آثمين معتدين على المسيح؟.

وتجنبا لهذا الاعتراض حاول بعض نصارى القرن العشرين تبرئة اليهود من دم المسيح ولكن هذا الرأى لم يرق فى نظر الكثيرين فرفض.

ففى المؤتمر الثانى بالفاتيكان [١] فى العصر الحديث سنة ١٩٦٢م والتى استغرقت دورته الأولى من أكتوبر إلى ديسمبر سنة ١٩٦٢ فعقدت دورته الثانية فى سبتمبر ١٩٦٣م ودورته الثالثة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤م واستمرت حتى نوفمبر سنة ١٩٦٤م وقد شارك فى أعمال المؤتمر ٢٢٠٠ كارد ينالا (وكان الموضوع الذى عرض فى هذا المؤتمر هو تبرئة اليهود من دم المسيح)، وقد تقدم بالبيان (مشروع وثيقة) الكردينا الألمانى (أغسطين بيا[٢]) وفشل مشروع الوثيقة فى الحصول على الأصوات الكافية لتقرير مبدأ مناقشته فى الدورة الثانية للمجمع المسكونى سنة ١٩٦٣م واقترعت ضده أغلبية ساحقة قيل إنها بلغت ٩٦٪ من مجموع الأصوات فى الاقتراع، ولكن عاد المشروع مرة أخرى إلى الظهور بعد تعديل يسير فى الصياغة عند انعقاد الدورة الثالثة للمجمع وأصدر (المؤتمر القومى للكنيسة الأسقفية البروتستانية فى أمريكا) بيانا يؤيد فيه مشروع الوثيقة .... بينما تلقى المشروع معارضة من أساقفة آخرين وبخاصة من الأساقفة الشرقيين.

وبين المد والجزر تدخل مجلس (الكوريا) ـ الجهاز الإدارى الأعلى للكنيسة الكاثوليكية الذى يشرف عليه البابا شخصيا ـ لإيقاف هذا المشروع المدرج فى جدول الأعمال حرصا على تدعيم الوحدة المسيحية[٣]).

---

(١) المؤتمر الأول فى العصر الحديث سنة ١٨٦٩م.

(٢) هو الكردينال الألمانى (أغسطين بيا) وكان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت ٨٣ عاما، وقد درس فى جامعات هولندا والنمسا وألمانيا وتخصص فى اللاهوت والدراسات العبرية وزار ديار الشام ومصر ورسم كاردينالا فى عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين وهو من اليسوعيين (راجع: مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٦٦).

(٣) فتحى عثمان: مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٦٧، ٢٦٨.

ولقد كتب القس إبراهيم سعيد معترضا على هذا المشروع قائلا :

(ليس من حق مجمع الكرادلة أن يجعلوا الإنجيل المقدس كبش فداء مقدم على مذابح السياسة... ذلك لأن نصوص الإنجيل صريحة فى دمغ اليهود بمسئولية صلب المسيح دون سواهم من حكام الرومان وغير الرومان إن أول حكم صدر على المسيح بالصلب هو حكم (قيافا) الكاهن الزائف إذ قال : خير لنا أن يموت واحد من الشعب من أن يموت الشعب بأسره .. ولقد صرخوا ـ اليهود ـ بصوت واحد قائلين : دمه علينا وعلى أولادنا وباب السماء كان مفتوحا فاستجابت السماء إلى طلبتهم هذه فجالوا فى الأرض مكروهين منبوذين هم وأولادهم على رغم ما يملكون من جاه وثراه[١].

ويقول عوض سمعان (ليس هناك أى مسيحى حقفى يوافق بابا روما على تصرفه هذا، لأن الذى له الحق فى تبرئة اليهود من دم المسيح هو المسيح دون سواه ذلك إذا أراد لأنه هو الذى أسئ إليه، والذى أسئ إليه هو وحده الذى له الحق فى التبرئة، أما قول المسيح للآب (ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون[٢]).

فمشروط بتوبتهم عن جريمتهم وإيمانهم الحقيقى بشخصه كما يتضح من أعمال الرسل (فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا[٣]).

وبما أنهم لم يتوبوا بعد ذلك فإن دمه لا يزال على رؤوسهم ولا بعد أن يعطوا عنه حسابا عسيرا[٤]) وهكذا فإن النصارى يكرهون اليهود كراهية شديدة ويعتبرونهم آثمين معتدين عليهم وزر ودم المسيح حتى يحاسبوا عليه حسابا عسيرا. هذا هو معتقد النصارى.

---

(١) نقلا عن المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٧١.
(٢) لوقا ٢٣ : ٣٤.
(٣) أعمال الرسل ٢ : ٣٨ .
(٤) عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٥٦ .

وهنا نسأل لماذا هذه الكراهية إذا كان هدف نزول المسيح ابن الله إلى الأرض هو أن يصلب من أجل البشر؟

إن الواجب على النصارى أن يجلوا اليهود ويحترموهم لا أن يعادوهم ويكنوا لهم كل هذه العداوة ذلك لأنهم هم السبب فى تخليصهم من الذنوب بعد أن صلبوا المسيح، فلماذا يكرهون اليهود؟!! وكيف يتفق هذا مع قولكم بأن وظيفة المسيح الخلاصية تقتضى أن يصلب ليتم الخلاص؟

ثامنا: إذا كان المسيح قد خلص البشرية من خطيئة آدم ـ أو على حد قول النصارى ـ خلص الذين آمنوا به، فإن ذلك يعنى أنهم لا يحاسبون يوم القيامة، ولكن الكتاب المقدس يوضح أنهم سيحاسبون ويقفون أمام كرسى الرب للدينونة مما يدل على أن الخلاص المزعوم لم يتحقق وذلك لأنهم سيحاسبون فى الآخرة على ما أسلفوا فى دنياهم من خير وشر.

يقول بولس ـ عما يكون من حساب يوم القيامة ـ (دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودى أولا ثم اليونانى. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ... ليس عند الله محاباة[1]).

ويقول (لأنه لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا[2]) إن هذه النصوص تظهر أنه لابد وأن يكون هناك جزاء ومحاسبة لجميع الناس ولجميع أفراد البشر ـ وأنتم من البشر ـ، وإذا كان هناك جزاء ومحاسبة لجميع الناس ولكم على حسب الأعمال، فإن معنى

(١) رومية ٢ : ٥ : ١٠ .
(٢) ٢ كورنثوس ٥ : ١٠.

ذلك أن المسيح لم يخلص أحدًا وإلا لما وقع لهم الحساب والجزاء. (فهذا الرب الذى نزل لخلاصكم وحصل له ما وصفتم لم يحصل لكم خلاص به وما تم له مراد:

إن كان خلاصكم من محن الدنيا فأنتم باقون على ما أنتم عليه من طباع البشر وتحمل الضرر، أو من عهدة التكاليف فها أنتم بالصلاة والصيام مخاطبون وعلى فعل الآثام تعاقبون[١]).

على أنه يلزم من القول بخلاص العالم بصلب المسيح أن يكون وجود النيران عبثا ولاحاجة لوجودها، مع أن كل الشرائع قد جاءت بها وأجمعت على وجودها.

ومما يؤكد ما تقدم ـ من محاسبتهم ومعاقبتهم على ذنوبهم فى الآخرة ـ قول المسيح (أيها الحيات أولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم[٢]) حيث صرح بأنه لا مهرب لهم من النار ولا مفر لهم منها أسوة بسائر الخلائق فلم يفدهم الإيمان بصلبه شيئًا[٣]).

وهكذا تبين لنا من المناقشة بطلان القول بأن المسيح صلب من أجل الخلاص أو من أجل التكفير عن خطيئة آدم والخطايا الأخرى.

تاسعا: هذا ما كان من القول بصلب المسيح من أجل خطيئة آدم وهو قول متهافت كما بينا.

أما القول بأن خطيئة آدم قد أحدثت الموت فى آدم ونسله، والمسيح بموته على الصليب حل محل الإنسانية وحمل عقاب الخطيئة وهو الموت، فهو قول متهافت أيضا ذلك أن آدم مات واستوفى بذلك جزاء خطيئته، فما فائدة موت المسيح مرة ثانية؟ إذا قالوا إنه من أجل الموت الذى انتقل بالوراثة إلى أبناء آدم فهو قول مردود بما سبق، ولقد ناقش الدكتور/ محمد الفرت تلك الفكرة فى رسالته للدكتوراة باستفاضة نذكر بعضها لتعم الفائدة.

يقول د/ محمد الفرت: إن هذه العملية إنما كانت تتم ـ على فرض التسليم بوجود الموت نظير الخطيئة كما زعموا ـ لو أن آدم لم يمت جزاء الخطيئة، أما وأن آدم قد

---

(١) المنتخب الجليل ص ٤٠ .
(٢) متى ٢٣ : ٣٣.
(٣) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٧٦.

مات واستوفى بذلك جزاءه، فموت المسيح إذن باطل لأنه خلا من الفائدة المزعومة بالمرة. وربما قالوا أو هو ما زعموه: بأن المراد بالموت هنا موت الخطيئة، وهو الهلاك الأبدى ـ أى الخلود فى الجحيم ـ لا الموت الجسدى، لأن آدم لم يمت فى يوم الخطيئة نفسه، بل عاش حتى بلغ تسعمائه وثلاثين سنة[١]. ولكن هذا الوهم على فرض التنزل لمجادلته غير مقبول، لأن آدم يعتبر قد مات فى نفس يوم الخطيئة لأن هذه المدة كلها لا تساوى عند الله يوما واحدا لقول بطرس (أيها الأحباء إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد[٢]).

ثم إننا لو قصرنا اليوم على أيامنا هذه للزم الخلف فى وعد الله وفى قوله حيث لم يمت آدم الموت الأبدى المزعوم كما قال فى سفر التكوين (لأنك يوم تأكل منها موتا تموت[٣])، كما لم يمت الموت الجسدى لأنه لم يمت فور ارتكابه الخطيئة فى ذات اليوم المقدر كأيامنا والذى ارتكب فيه آدم الخطيئة اللهم إلا أن يكون قد مات حكما لا حقيقة وانتهى الأمر بذلك وإذن فلا وجه لموت المسيح مطلقا[٤]).

ويقول (على أن موت يسوع المقول به بدلا عن آدم إنما هو موت صليبى، وهذا يعين على أن المراد بالموت هو الموت الجسدى وليس غير. ولو سلمنا أن المراد به الهلاك الأبدى ـ أى الخلود فى الجحيم ـ لكان اللازم إذن أن يموت المسيح هذا الموت عينه ـ أى موت الهلاك الأبدى ـ حيث إنه النائب الشرعى عن آدم والبشر كما قيل وهو القائم مقامهم فى ذلك وحيث إنه لم يحصل ذلك النوع من الموت ولم يكن هو المراد فما تم الفداء ولا حصل الخلاص ولا وجد لنيابة المسيح أثر ولا ظهر لرحمة الله أثر ولا كان لعدل نفوذ، وكان موت المسيح إذن ظلما، لأن الموت الجسدى غير مراد

---

(١) تكوين ٥ : ٥.
(٢) ٢ بطرس ٣ : ٨.
(٣) تكوين: ٢ : ١٧.
(٤) عقيدتا الصلب والتثليث فى المسيحية وموقف الإسلام منهما (مخطوط بكلية أصول الدين ـ القاهرة، ص ٢١١.

هنا، ولو كان مرادًا لأجزأ موت آدم عن نفسه، لأنه هو الموعود بذلك وليس يسوع المسيح، ويكون بذلك قد تم وعد الله ونفذ عدله بدون مشكلة[١]).

ويقول (على أنه يتحتم لإتمام عملية الخلاص أن يكون الميت هو حقيقة الجانب الإلهى فى المسيح والمدعو ابنا متجسدا والمعبر عنه باللاهوت، حيث إنهم يقررون أن الفادى لا ينبغى أن يكون إنسانا وإنما يجب أن يكون لاهوتا مقدسا طاهرا، بل إن الفداء من الجانب الإلهى هو جوهر الفكرة وصميم العقيدة، وإذا حصل ذلك فقد مات الابن الإله على الصليب، وفيه من الشناعة ما ينبو عنه كل فكر، إذ كيف يصح أن يموت الإله الكامل الحى الباقى من أجل بشرية فانية خاطئة مدنسة. على ان المسيحية لا تقول بموت اللاهوت حالة موت الصليب تنزيها للإله الابن عن النقص وعلوا بقدره عن الفناء ...... وعلى ذلك لا يعدو الأمر أن يكون الموت موت الجسد وهذا ما لقيه آدم كما سبق الكلام وانتهى بذلك أمره إن صحت فكرة الموت لقاء الخطيئة[٢]).

فالقول بأن المسيح قبل الموت على الصليب من أجل أن يحمل عقاب الخطيئة عن البشر (وهو الموت) قول متهافت، ذلك أن آدم قد مات ولقى جزاء عمله، وعلى ذلك فلا فائدة من موت المسيح على الصلب.

وكذلك أيضًا القول بأن ـ موت المسيح على الصلب ـ من أجل أن يرفع الموت عن الجنس البشرى قول متهافت لأن الواقع يكذبه، فما زال الناس يولدون ويموتون، وما زال سلطان الموت قائما، فأين مالصلب المسيح من أثر فى هذا الأمر الذى يقال إن المسيح صلب من أجل أن يحمل أجرة الخطية وهو الموت؟

عاشرا: أما القول بأن الخطيئة أحدثت عداوة بين الله والإنسان، وصلب المسيح هو الذى أعاد مصالحة الإنسان مع الله فهو قول مردود بما جاء فى الكتاب المقدس الذى يوضح: أن الله قريب من عباده يجبر كسرهم ويقيل عثراتهم ويقبل توبتهم.

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٢.
(٢) المرجع السابق ص ٢١٣.

ففى المزمور (قريب هو الرب من المنكسرى القلوب[١]) وأيضا (الرب قريب لكل الذين يدعونه الذين يدعونه بالحق. يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم[٢]).

ويقول إشعياء (اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران[٣]).

وجاء فى سفرإرميا (ألعلى إله من قريب يقول الرب ولست إلها من بعيد[٤]).

فالله سبحانه وتعالى لم يبتعد عن الإنسان حتى يحتاج الإنسان للمصالحة مع الله وذلك عن طريق صلب المسيح.

والله سبحانه وتعالى أرسل رسلا وأنبياء للبشر يوجهونهم ويدعونهم إلى عبادة الله، ولقد آمن بالرسل والأنبياء كثير من البشر، والله سبحانه وتعالى أيد المؤمنين ونجاهم، فلقد نجى الله نوحا ومن آمن معه من الطوفان والهلاك، معنى ذلك أن الإنسان ليس فى عداوة مع الله وإلا لما نجى الله قوما وأهلك آخرين، فلو كان هناك ما يسمى بالعداوة بين الإنسان والله لأهلك الله الناس أجمعين.

ولكن الله نجى المؤمنين مما يؤيد القول بأن الله لم يترك المؤمنين به بل هو معهم بالفضل والتأييد والإحسان.

على أننا نقول أيضا: إن الصليب لم يقض على الآثام والشرور التى سببت وتسبب العداوة بين الله والإنسان، فالشرور والآثام لازالت توجد فى دنيا الناس ولم يقض عليها نهائيا، وعلى ذلك فالقول بأن صلب المسيح من أجل المصالحة مع الله قول مردود.

أحد عشر: أما قولهم بأن الصلب كان للجمع بين صفتى العدل والرحمة فهو قول باطل (إذ أن هذه العملية ـ صلب المسيح ـ لم يتحقق بها عدل ولا رحمة، لأنه

---

(١) مزمور: ٣٤ : ١٨.
(٢) مزمور ١٤٥ : ١٨، ١٩.
(٣) إشعياء ٥٥ : ٦،٧.
(٤) إرميا ٢٣ : ٢٣.

ليس من العدل فى شئ أن يؤتى ببرئ غير مذنب ويطوق إثم جريمة جناها سواه، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة، وبخاصة إذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة ولو مع الذنب، فالابن البار غير الآثم أولى.

وعلى قول المسيحيين: قد بقى الله تعالى مجردا من صفتى العدل والرحمة من زمن عصيان آدم إلى أن اهتدى إلى تلك الحيلة التى ظهرت قبيل خلق المسيح عيسى بن مريم[١]). تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

(فأى عدل وأى رحمة فى تعذيب غير مذنب وصلبه؟

قد يقولون إنه هو الذى قبل ذلك. ونقول لهم: إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر مذنب ولو كان يريد ذلك.

وإذا كان المسيح ابن الله: فأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقى دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير فى يديه؟.

ثم من هذا الذى قيد الله جل جلاله وجعل عليه أن يلزم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟[٢]).

"وأين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله ظل ـ تعالى عن ذلك ـ حائرا بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ حوالى ألفى عام أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم[٣]. فصلب المسيح لم يتحقق فيه العدل ولا الرحمة لأن أهم صفات العدل أن يحاسب كل إنسان على عمله ولا يعاقب غيره عليه.

كما أنه ليس من الرحمة أن يعاقب إنسان على خطيئة لم يرتكبها.

وبهذا يتبين فساد القول بالصلب، وفساد الأسباب التى جعلوها غاية لصلب المسيح.

---

(١) قصص الأنبياء ص ٤٣١، ٤٣٢.
(٢) المسيحية صـ ١٥٨ .
(٣) المرجع السابق ص ١٦٠.

مصدر عقيدة الصلب من أجل خلاص البشرية

لقد تبين أن صلب المسيح من أجل التكفير عن خطايا البشر عقيدة باطلة، وذلك لأن الكتاب المقدس يوضح أن كل إنسان محاسب على عمله، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا يحمل إنسان وزر غيره الجانى بل النفس التى تخطئ هى التى تعاقب.

وعلى هذا فهذه العقيدة ليست من دين المسيح فى شئ ويبدو أنها وردت إلى المسيحية من عقائد أخرى.

يقول شارك جنيبير: ومن المرجح أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق، ثم إنها فسرت تفسيرات غيرت وجددت فى جوانب كثيرة أساسية منها[١]) فلقد تأثر المسيحيون بالأساطير الشرقية فى القول بصلب المسيح وفى تحديد معانى صلب المسيح.

وكان مضمون هذه الأساطير الشرقية يدور حول فكرة إله يموت ليسير بأتباعه نحو الخلود وهذه الفكرة تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل تلك المتأثرة بالفكر اليونانى[٢].

فعقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية محضة سرت إلى النصارى من الوثنيين كما بينه علماء أوربا الأحرار ومؤرخوهم وعلماء الآثار والعاديات منهم فى كتبهم[٣]).

فلقد وجد بين الهنود فى عقائدهم أن كرشنا إله صلب من أجل الخلاص وكذلك بوذا.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢.

(٣) محمد رشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء ص ٣٢.

قال دوان فى كتابه (خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى ما ترجمته (إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم[١]) وذكر الشواهد على ذلك منها قوله: (ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الاله فشنو، والذى لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم - تحرك حنوًّا كى يخلص الأرض من ثقل حلمها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه[٢]) وذكر "دوان" أن السيد "مور" قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور فى كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإنسان ملعقة ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه إكليل من الذهب[٣]).

ومعروف أن هذه الصورة هى التى صور بها المسيح فى الأناجيل عند صلبه.

وقال العلامة (هوك) ويعتقد الهنود - الوثنيون - بتجسد أحد الإلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة.

وقال العلامة القس جورد كوكس (ويصفون - أى الهنود - كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا؛ لأنه قدم شخصه ذبيحة، ويقولون إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه[٤]).

ولا شك أن هذه المعتقدات لا تختلف عن معتقدات المسيحية بصلب المسيح الإله من أجل الخلاص.

وكذلك اعتقد الهنود البوذيون أن بوذا هو الطبيب العظيم، ومخلص العالم، والممسوح، والمسيح المولود الوحيد، وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة؛ ليكفر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات، وبولادته ترك كافة مجده فى العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب.

---

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٣٦.
(٢) المرجع السابق ص ٣٨.
(٣) المرجع السابق ص ٣٩.
(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

قال هوك (إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معا وأنه تجسد بالناسوت فى هذا العالم، ليهدى الناس ويفديهم ويبين لهم طريق الأمان، وهذا التجسد اللاهوتى يعتقده كافة البوذيين، كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص العالم[١]).

وقال ماكس مولر (البوذيون يزعمون أن بوذا قال : دعوا كل الآثام التى ارتكبت فى هذا العالم تقع على كى يخلص العالم[٢]).

وقال العلامة وليمس (الهنود تقول ـ ومن رحمته (أى بوذا) تركه الفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بنى الإنسان وشقائهم، كى يبررهم من ذنوبهم ويزيل القصاص عنهم الذى يستحقونه[٣]).

ولقد وحدت أيضا عقيدة الصلب من أجل الفداء بين الصينيين. قال دوان: كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهى قديم العهد جدا عند الصينيين، وأن أحد كتبهم المقدسة يقول عن "تيان" (إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية وأنه سيعيد الكون إلى البر وأنه يعمل ويتألم كثيرا، ولابد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه وأنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به... فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوتهم، والفلاسفة لاكتساب جاه وشهرة والأمراء لتثبيت عيالهم، أما القدوس (تيان) فلأجل الناس يموت كى يخلص الصالح، ويقولون عنه أيضا إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شئ[٤]).

وكذلك وجدت هذه العقيدة بين المصريين فقد اعتقدوا أن (أوزوريس) تحمل الآلام والاضطهاد من أجل الخطايا فهو مخلص الناس.

قال بونويك (يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصى الناس وأنه بسبب جدّه لعمل الصلاح يلاقى اضطهادًا وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل[٥]).

وقال العلامة دوان إن تألم وموت أوزوريس هما السر العظيم فى ديانة المصريين[٦]) وكذلك اعتقد الفارسيون فى (مثرا) أنه إله توسط بين الله والناس وأنه

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢.
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(٣) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٤٢.
(٤) المرجع السابق ص ٤٣.
(٥) المرجع السابق ص ٤٤.
(٦) المرجع السابق ص ٤٤.

من أجل خلاصهم تألم. وكذلك أيضا عبد المكسيكيون إلها مصلوبا دعوه المخلص والفادى[١]).

فلقد كانت عادة تقديم البشر ذبيحة لأجل الفداء منتشرة فى أرجاء العالم قبل المسيح بمئات السنين.

يقول ول ديورانت (والظاهر أن التضحية بالإنسان قد أخذ بها الإنسان فى كل الشعوب تقريبا فتظهرها هنا يوما وهنالك يوما. فقد وجدنا فى جزيرة كارولينا فى خليج المكسيك تمثالا كبيرا معدنيا أجوف لإله مكسيكى قديم فوجدنا فيه رفات كائنات بشرية لا شك أنها ماتت بالحرق قربانا لله.

وكلنا نسمع عن "بلخ" الذى كان الفينيقيون والقرطاجنيون وغيرها من الشعوب السامية حينا بعد حين يقدمون له القرابين من بنى الإنسان[٢]) فلقد وجدت عادة التضحية بالإنسان بين الشعوب، وهذه العادة قديمة قبل وجود المسيح. يقول العقاد: (تدل الأحافير على قدم الضحايا البشرية فى العبادات التى سبقت عهد الساميين بوادى النهرين وبقاع الهلال الخصيب وأنها بقيت إلى ما بعد وفود الشعوب السامية إلى تلك البقاع[٣]).

مما سبق يتبين أن التضحية بالإنسان الذى هو إله ومخلص منتشرة فى معظم الشعوب القديمة التى سبقت المسيحية.

"وأن قصة الصليب ـ كما يقول آرثر فندلاى ـ قيلت قبل عيسى على ستة عشر إلها مخلصا، وقصص حياتهم على الأرض من المهد إلى اللحد ثم البعث كلها متشابهة، وكأن كل ديانة ترث من سابقتها ونتيجة لهذا نشأت فكرة الفداء[٤]".

والمسيحية نمت وانتشرت فى هذه البلاد التى كان ينتشر فيها التضحية بالإنسان الإله المخلص، ولا شك أن السابق يؤثر على اللاحق، فالمسيحية لابد أنها تأثرت

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧.

(٢) قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الأول ص ١١٤.

(٣) العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٧٢.

(٤) آرثر فندلاى: الكون المنشود ص ٧٨ ترجمة/ على راضى، نقلا عن (محمد فى التوراة والانجيل والقرآن ص ١٥٩).

بهذه العقائد، خاصة وأن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله مخلص ولم تقم الأدلة الواضحة على صلبه. فالمسيحية تأثرت بالأمم السابقة لها فى الاعتقاد بأن المسيح صلب وأن صلبه هذا كان للتكفير عن خطايا البشر. ولقد وجدت هذه الفكرة صدى بين أتباع المسيح الجدد من اليهود اليونانيين الذى آثروا البقاء فى بلاد اليونان وتأثروا بأفكارهم، وكان تمسكهم بيهوديتهم أقل من يهود فلسطين[١]، وكان من أهم الأفكار التى تأثروا بها هى تلك العقيدة السائدة فى بلاد اليونان والرومان وبين الهنود والفرس والمصريين وغيرهم، والتى كان فحواها أن الإله يصلب من أجل أن يكفر عن خطايا البشر. وبفضل هذه العقيدة أيضا اكتسبت المسيحية أنصارا جددا وعددا كبيرا من اليونان والرومان الذين وجدوا فيها ما هو مألوف لديهم ولا يخرج عن نطاق أفكارهم.

وبهذه العقيدة أيضا كان للمسيحية مسار آخر هو الانتشار الواسع بين الوثنيين الذين ألفوا هذا النوع من العقائد.

وهكذا لم تسلم عقيدة صلب المسيح من النقد الذى يخرجها عن دائرة الحقيقة التاريخية، ولذلك فهى مستمدة من عقائد الوثنيين، حيث استقى النصارى هذه العقيدة من الوثنيين ولم يضيفوا إليها شيئا سوى استبدال أسماء الآلهة المخلصين باسم عيسى وقدموها للناس على أنها هى العقيدة التى جاء بها عيسى عليه السلام.

---

(١) راجع الباب الأول.

الفصل الرابع

دعوى قيامة المسيح
وأهميتها للخلاص المسيحى

تمهيد:

إن الاعتقاد المسيحى السائد أن المسيح صلب، ودفن، وبعد دفنه قام من القبر بعد ثلاثة أيام. ففى الإقرار بالإيمان (وفى اليوم الثالث قام المسيح من بين الأموات بالجسد الذى تألم فيه عينه وبه أيضا صعد إلى السماء)(١).

وقيامة المسيح ركن هام فى المسيحية (٢). لذلك يقول بولس (إذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم)(٣).

فلولا القيامة - كما يقول باركلى - لما قامت للكنيسة قائمة، وبدون قيامة كان يسوع مجرد ذكرى تخبو تدريجيا(٤).

ويقول جون لوريمر (القيامة التى لولاها ما كان يمكن أن يكون للكنيسة وجود بالمرة، فهى التى جعلت معنى لموته ولكل شئ فعله وقاله قبل ذلك.

فعندما قام السيد من الأموات عرف أتباعه من هو ومن هم وماذا يجب أن يفعلوا) (٥) فقيامة المسيح هى من أسس الاعتقاد المسيحى بل تكاد تكون هى مركز الدائرة فى المسيحية، ولولاها - كما يقولون - لبطل التبشير بالمسيحية، ولبطل الإيمان بالمسيحية، وهى التى أضفت على أفعال وأقوال المسيح معنى جديدًا.

والقيامة هى التى جعلت لموت المسيح معنى، وعلى ذلك فإن القيامة لها دور أساسى فى عقيدة الخلاص المسيحية إذ هى التى فسرت موت المسيح على الصليب.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ٩٠٩ .
(٢) تفسير رسالة رومية ص ١٦٠.
(٣) ١ كورنثوس ١٥ : ١٤،١
(٤) تفسير أعمال الرسل ص ٥٨.
(٥) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ص ٤٢.

فالخلاص المسيحى لا يتوقف عند موت المسيح على الصليب بل يمتد إلى قيامة المخلص. وهذا ما نبينه فى هذا الفصل إن شاء الله.

وسنذكر فى هذه الفصل:

أولاً: أحداث قيامة المسيح كما روتها الأناجيل.

ثانياً: أهمية قيامة المسيح فى المسيحية.

ماذا بعد صلب المسيح فى التصور المسيحى

أولا: الدفن:-

بعد ما تحدثت الأناجيل على أن المسيح قد مات على الصليب أشارت إلى عملية الدفن حيث ذكرت أن يوسف الرامى[1] تقدم بطلب إلى بيلاطس يطلب جثة المصلوب ذلك لأن الشريعة اليهودية كانت تقضى بألا تبيت جثة المحكوم عليه بالإعدام على آلة التعذيب.

يقول سفر التثنية (وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيبا)[2].

وكان القانون الرومانى يجيز لذوى المحكوم عليه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخذوه وهذا مما حفز يوسف على طلب جسد المسيح من بيلاطس ليتمكن من دفنه قبل دخول السبت، وقد تطوع للقيام بدفن جسد يسوع دفنا لائقا فنزل بيلاطس على رغبته وقد كان يملك بقرب الجلجثة بستانا نحت فيه قبرًا ليدفن فيه، وبعد أن لف جسد يسوع بكتان نقى وضعه فيه، ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى[3].

---

(١) يوسف الرامى: من الرامة مدينة لليهود (لوقا ٢٣ : ٥١) وكان مشيرا غنيا (متى ٢٧ : ٥٧) ورجلا صالحا بارا (لوقا ٢٣ : ٥٠ وعضوا فى مجلس السنهدريم.

(٢) تثنية ٢١ : ٢٢، ٢٣.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٨.

يقول مرقس عن هذه الحادثة :ـ

(ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أى ما قبل السبت. جاء يوسف الذى من الرامة مشير شريف وكان هو أيضا منتظرا ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف. فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجرا على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع ؟)[١].

ولقد اختصر (متى) ما فى(مرقس) إلا أنه أضاف أيضا بعض التفاصيل فلقد غير قول (مرقس) على يوسف الرامى بأنه (مشير يوسف) إلى قوله (رجل غنى)، كذلك فإن "متى" حذف ما ذكره (مرقس) عن استفهام بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع، كما يبين (متى) أن القبر المستخدم ـ هو ما عرف فيما بعد باسم قبر يوسف وذلك من قوله (ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى) [٢].

فإنجيل (متى) يبين أن القبر الذى وضع فيه جسد المصلوب (قبره ـ أى قبر يوسف ـ الذى نحته من الصخر) بينما يبين (مرقس) أنه وضع جسد المصلوب فى "قبر" ولم يضف القبر إلى نفسه ما يدل على أنه ليس قبره.

ويتفق لوقا مع مرقس فى أن يوسف وضع جسد المصلوب فى (قبر غير قبره) ولكنه يختلف معه فى وصف القبر الذى وضع فيه هل هو جديد أم لا ؟ فبينما لم يشر "مرقس" إلى ذلك ـ ولو كان القبر جديدا لأشار إليه ـ نجد (لوقا) يؤكد أن جسد المصلوب وضع فى قبر جديد حيث لم يكن أحد وضع قط[٣].

ويختلف يوحنا عن الأناجيل الثلاثة فى روايته عن القبر، إذ يؤكد أنه كان فى الموضع الذى صلب فيه بستان، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد[٤] فلم تشر الأناجيل الثلاثة إلى أن ذلك القبر كان فى البستان الذى أشار إليه يوحنا.

---

(١) مرقس ١٥ : ٤٢ ـ ٤٧.
(٢) راجع متى ٢٧ : ٦٠.
(٣) لوقا ٢٣ : ٥٣.
(٤) يوحنا ١٩ : ٤١.

ويختلف يوحنا عن الأناجيل الثلاثة أيضا فى قولها إن يوسف الرامى هو الذى تكفل وحده بدفن جسد المصلوب، إذ يبين (يوحنا) أن (نيقود يموس)[1] اشترك مع يوسف فى عملية الدفن، فيقول (جاء يوسف وأخذ جسد يسوع وجاء أيضا نيقوديموس الذى أتى أولا إلى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منًا فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا[2]).

مما سبق يتبين أن الأناجيل اختلفت فى عملية الدفن ـ أى دفن جسد المصلوب ـ من نواحى عدة: ـ

١ ـ مرقس، متى، لوقا: الذى استلم جسد المصلوب وقام بعملية الدفن يوسف الرامى وحده. بينما يذكر يوحنا: أن نيقوديموس اشترك مع يوسف الرامى.

٢ ـ يذكر مرقس وحده استفهام بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع. بينما لا تذكر الأناجيل شيئا عن ذلك.

٣ ـ يختلف متى عن مرقس ولوقا فى روايتهما عن القبر، إذ يؤكد "متى" أن القبر الذى وضع فيه جسد المصلوب كان قبر يوسف الرامى، ولا يذكر لوقا ومرقس عن ذلك القبر سوى أنه كان قبرا منحوتا ولم يضفه إلى يوسف، ويختلف يوحنا عن الأناجيل الثلاثة فى روايته عن القبر، إذ يبين أنه كان فى موضع قريب من البستان الذى صلب فيه المصلوب.

٤ ـ يتفق لوقا ويوحنا فى أن القبر الذى وضع فيه المصلوب كان جديدا حيث لم يستخدم قط، ولا يذكر متى ومرقس عن ذلك شيئا.

هذا إلى جانب اختلافات أخرى يتحير إزاءها العقل ويتساءل : بأى رواية نأخذ؟ وأى رواية نرفض؟ وهل يثبت بهذه الاختلافات عقيدة يطمئن إليها العقل؟!!!

---

(١) نيقوديموس: اسم يونانى معناه (المنتصر على الشعب) وهو فريسى وعضو فى السنهدريم، وكان واحدامن رؤساء اليهود، دافع عن يسوع فى السنهدريم لما هاجمه الفريسيون (يوحنا ٧ : ٥١) وبعد أن مات يسوع عمل على تطيب جسده بالمر ودفنه) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٩٨٨.

(٢) يوحنا ١٩ : ٣٩، ٤٠.

ثانيا: ما قيل من زيارة النساء للقبر واكتشافهن لقيامة المسيح:-

تقول الأناجيل إن بعض النساء اشترين أطيابا ومواد تحنيط لكى يدهن ويحنطن جسد يسوع الذى كان موضوعا فى القبر، ثم قامت النساء بزيارة القبر الذى دفن فيه المصلوب ولكنهن فوجئن بأن المسيح قد قام.

يقول مرقس (وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه، وباكرا جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس. وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا. ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن لا تندهشن أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هو ذا الموضع الذى وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم. فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات[1]).

فالنساء خرجن من أجل أن يدهن جسد المصلوب، وكان ما يدور بأفكارهن هو من يدحرج لهن الحجر الذى كان قد وضع على القبر، ولكنهن رأين الحجر قد دحرج فدخلن القبر ورأين شابا لابسا حلة بيضاء أخبرهن أن المسيح الذى تطلبونهن قام من القبر، وأمرهن أن يذهبن ليبلغن ذلك إلى تلاميذه كى يتمكنوا من مقابلته فى الجليل.

هذه هى رواية مرقس عن زيارة النساء واكتشافهن قيامة المسيح.

أما رواية (متى) عن هذه الزيارة فإنها تبدأ برواية أن اليهود ذهبوا إلى الحاكم الرومانى وطلبوا منه أن يرسل حراسا لضبط القبر.

ولقد انفرد (متى) بهذه الرواية.

---

(١) مرقس ١٦ : ١ ـ ٨.

يقول متى (وفى الغد الذى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم. فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقونه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر [1]) ثم يذكر "متى" زيارة النساء للقبر[2].

وهى تختلف عن رواية (مرقس) فيما يأتى:

١ ـ وأول اختلاف هو أن (مرقس) ذكر أن الزائرات من النساء ثلاثة (مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وسالومة) بينما يذكر (متى) أن اثنتين فقط هما اللتان قامتا بالزيارة (مريم الجدلية، ومريم الأخرى).

٢ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى دحرجة الحجر.

يذكر (مرقس) أن النساء كن يقلن فى أنفسهن أو فيما بينهن من يدحرج لنا هذا الحجر، ثم تطلعن فوجدن أن الحجر قد دحرج، ومضمون هذه الرواية أن الحجر قد دحرج وحده بدون أن يفعل ذلك أحد.

ولكن "متى" يبين (أن زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب) ومضمون هذه الرواية أن ملاك الرب هو الذى قام بدحرجة الحجر.

٣ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى الشخص الذى رأته النساء جالسا عند القبر، فبينما يذكر (مرقس) (أن النساء رأت شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء).

نجد أن متى يذكر أن ملا ك الرب هو الذى كان جالسا وكان منظره كالبرق ولبسه أبيض كالثلج.

---

(١) متى ٢٧ : ٦٣، ٦٦.
(٢) متى ٢٨ : ١، ١٠.

٤ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى تصويرها لحالة النساء إثر دحرجة الحجر. فبينما يذكر (مرقس) أن النساء اندهشن.

نجد أن (متى) يذكر (أن المرأتين اللتين قامتا بالزيارة ـ حسب رواية متى ـ خافتا) ولا شك أن الدهشة خلاف الخوف!!

٥ ـ اختلفت رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى بيانها للرسالة التى حملتها النساء، هل قمن بتبليغها أم لا؟

فبينما يذكر (مرقس) (ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات).

نجد أن (متى) يخبر أن المرأتين اللتين قامتا بالزيارة (خرجتا سريعا.. لتخبرا التلاميذ).

• وهكذا نرى اختلافا واضحا بين الإنجيلين، فأيهما الصادق؟ وأيهما الكاذب؟.ولا يمكن التسليم بأحدهما دون الآخر لأن الصادق منهما غير متعين!!

وكذلك أيضا نجد أن رواية (لوقا) لحادثة زيارة النساء للقبر [١] تختلف عن الروايتين السابقتين فى بعض الأمور [٢] وإليك أهمها: ـ

١ ـ يختلف إنجيل لوقا عن الإنجيلين السابقين فى بيان عدد النساء اللاتى قمن بالزيارة، مرقس: مريم الجدلية، ومريم أم يعقوب، سالومة.

متى: مريم المجدلية، مريم أم يعقوب فقط.

لوقا: أن نساءً كثيرات كن قد تبعن يسوع وقد أتين إلى القبر ومعهن أناس.

٢ ـ يختلف إنجيل لوقا عن الإنجيلين السابقين فى الشخص الذى كان يوجد عند القبر.

مرقس: شاب واحد عند القبر.

متى: ملاك الرب هو الذى كان جالسا عند القبر.

---

(١) لوقا ٢٧ : ١ ـ ١٠.

(٢) أوردنا الاختلاف بين الأناجيل فى هذه الحادثة باستفاضة لأن الأناجيل هى الأساس فى إثبات عقيدة القيامة (أى قيامة المسيح من القبر) ونحن نقول: هل مع وجود هذه الاختلافات الواضحات البينات يثبت عقيدة؟

لوقا: وإذا رجلان وقفا بثياب براقة.

٣ ـ يختلف إنجيل لوقا عن الإنجيلين السابقين فى تبليغ النساء للرسالة.

مرقس: أن النساء لم يخبرن أحدا لأنهن كن خائفات.

متى: أن المرأتين خرجتا لتخبرا التلاميذ.

لوقا: أن النساء قدمن تقريرًا كاملاً للتلاميذ (ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر الباقين بما حدث فى الزيارة كلها).

أما عن رواية يوحنا لهذه الزيارة فإنها مختلفة كل الاختلاف عن الأناجيل الثلاثة فى عناصرها الرئيسية، حيث إنه يذكر أن مريم هى التى قامت وحدها بزيارة القبر، وأنها ذهبت إلى سمعان بطرس وإلى يوحنا التلميذ الذى كان يحبه المسيح وأخبرتهما أن اليهود أخذوا السيد من القبر، فخرج بطرس والتلميذ الآخر إلى القبر ووجدا الأكفان موضوعة فعرفا أن المسيح قام من القبر.

يقول يوحنا (فى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه [١] وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه؟ فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر. وكان الاثنان يركضان معا. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر، وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل. ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده. فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن. لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات. فمضى التلميذان إلى موضعهما[٢]. فهذه الرواية تختلف كل الاختلاف عن الروايات السابقة، وبيان هذه الاختلافات واضح وظاهر.

(١) هو: يوحنا بن زبدى الصياد، وسمى التلميذ الحبيب لأن يسوع ـ كما يقولون ـ كان يحبه بنوع خاص، ويدل على ذلك أنه أخذ من يسوع أجل وديعة إذ أوصاه بأمه (راجع قاموس الكتاب المقدس) ص ١٨٠٩.

(٢) يوحنا ٢٠ : ١ ـ ٩.

ولكننا نقف عند قول يوحنا عن التلميذين إنهما حينما وجدا الأكفان موضوعة آمنوا أن المسيح قام، لأنهما لم يكونا بعد يعرفا الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات.

فإن هذه الفقرة واضحة التعارض بما جاء فى الأناجيل من أن المسيح كان يعلمهم أنه بعد ثلاثة أيام سيقوم. تقول الإناجيل (وابتدأ المسيح يعلمهم أن ابن الإنسان ـ المسيح ـ ينبغى أن يتألم كثيرا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقال القول علانية) [١].

فكيف نوفق بين تلك الرواية التى تقول إن التلميذين اللذين هما أحب التلاميذ إلى المسيح لم يكونا يعرفا الكتاب، وبين هذه الرواية التى تقول إن المسيح علمهم ذلك؟ وما دام قد علمهم وأعلمهم بقيامته مؤكدا على أنها من أهم تعاليمه وعقائده فلابد أن يكونا عارفين بها متيقنين من حدوثها !!! وكيف لا يعرف بطرس رئيس التلاميذ ذلك.؟ مع أن إنجيل "متى" يوضح أن الكتبة والكهنة ذهبوا إلى بيلاطس وأخبروه بأن التلاميذ تقول بأن المسيح سيقوم بعد ثلاثة أيام!! ألا ترى أن هناك تعارضا بين هذه الروايات لا يمكن دفعه بأى حال من الأحوال؟

وهكذا نرى الاختلاف بين الأناجيل الأربعة فى هذه الحادثة التى يثبت النصارى منها قيامة المسيح. ونحن نقول: هل تثبت عقيدة بهذا الاختلاف الذى يوحى بالتناقض والتضارب؟ ونقول لهم: أى الروايات صادقة؟ وأى الروايات كاذبة؟

ولما كانت الصادقة منها غير متعينة فالشك يرد على الجميع، والدليل إذا تطرق إليه الشك سقط به الاستدلال.

وقبل أن ننتهى من هذه النقطة نسأل : ما الهدف من زيارة النساء؟

يقولون: كان الهدف من زيارة النساء دهن جسد المسيح.

وهذا السبب فى نظر الباحثين غير كاف.

---

(١) راجع مرقس ٨ : ٣١-٣٣، متى ١٦ : ٢١ ، ٢٣ ، لوقا ٩: ٢٢ .

يقول نينهام (إن الدافع المقترح لهذه الزيارة يدعو على أى حال إلى الدهشة، فمن الصعب أن نثق فى أن الغرض من زيارة النساء كان دهان جسم إنسان انقضى على موته يوم وليلتان وإن أغلب المعلقين يرددون ما يقوله (مونتفيورى) من أن السبب الذى تعزى له هذه الزيارة غير محتمل البتة)[١].

فالدافع الذى ذكر فى الأناجيل لزيارة النساء للقبر فى نظر الباحثين غير كاف بل غير محتمل البتة.

فهذه الحادثة يحوطها الشك من كل جانب.

موقف التلاميذ إزاء ما قيل من قيامة المسيح

إن الاعتقاد المسيحى أن المسيح صلب، وبعد صلبه أخذ جسده يوسف الرامى، دفنه، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل بعد دفنه قام من بين الأموات، والنساء هن اللاتى اكتشفن قيامة المسيح، وعقب اكتشافهن خرجن ليخبرن التلاميذ بذلك. ونذكر فى هذا المقام موقف التلاميذ ـ كما روته الأناجيل ـ بعدما علموا ذلك من النساء اللاتى قمن بزيارة القبر.

ولقد ذكر إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا الانطباع الأول للتلاميذ حين علموا بقيامة المسيح يقول لوقا (ورجعن ـ أى النساء الزائرات ـ من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله. وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل.. **فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن** فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجبًا فى نفسه مما كان)[٢] يتبين لنا من رواية (لوقا) أن التلاميذ تلقوا نبأ قيامة المسيح بفتور واضح وتراءى لهم أن هذا الكلام كالهذيان ـ أى غير حقيقى ـ ولم يصدقوا النساء اللاتى أخبرن بأن المسيح قام، بل إن رئيس التلاميذ (بطرس) نفسه قام إلى القبر لينظر جسد المصلوب فلم يجده فتعجب أى بعد ما نظر القبر خاليا غير مصدق للقول بقيامة المسيح.

---

(١) نقلا عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٧.
(٢) لوقا ٢٤ : ٩ ، ١٢.

وهنا نسأل: كيف لا يصدق التلاميذ قول النساء ؟ مع أن المسيح قد أخبرهم سابقا - على حسب رواية الأناجيل - أنه سوف يتألم كثيرا ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم، وقال القول علانية حتى علم بذلك أيضا كهنة اليهود فذهبو إلى بيلاطس وأمروه بحراسة القبر.

إن تعليم المسيح للتلاميذ بأنه سيقوم بعد ثلاثة أيام يعتبر- لو حدث - من العقائد التى يجب أن تكون معلومة لجميع التلاميذ، أى أنها تعتبر أمرا معلوما من الدين بالضرورة، وهذا يعنى أنه إذا جاءت النساء بخبر قيامة المسيح فإنهم - أى التلاميذ - أقرب الناس إلى أن يتلقوا الخبر بالقبول بدون شك فى صدق النساء ... ذلك لأنهم يعلمون ذلك مسبقا بل يعتقدون ذلك مسبقا وذلك على حسب رواية الأناجيل؟ فإذا وجدنا بعد ذلك أن التلاميذ تلقوا خبر قيامة المسيح كالهذيان غير مصدقين فإن النتيجة التى لا مفر من التسليم بها هى: - إما أن ذلك الحوار الذى قيل إنه جرى بين المسيح وتلاميذه وتنبأ فيه بقتله وقيامته بعد ثلاثة أيام لم يحدث على الإطلاق، وأن ما نجده عن ذلك الحوار فى الأناجيل إنما هو إضافات أدخلت إليها فيما بعد وهذا يعنى أن الأناجيل محرفة وغير مقدسة.

أو أن المسيح أخبر بأنه سيقوم ولكن التلاميذ لم يصدقوا هذه النبوءة ولم يعتقدوا بها حتى نسوها وأبعدوها عن أذهانهم، ثم فوجئوا بإخبار النساء لهم بقيامة المسيح فلم يصدقوهن، ولا شك أن عدم التصديق بنبوءة المسيح التى على أساسها تثبت عقيدة القيامة كفر وخروج عن الملة!!!

أو أن نقول: إما أن المسيح لم يتنبأ بشئ وتكون رواية الأناجيل عن تلقى التلاميذ لقيامة المسيح بأنهم لا يعرفون أن المسيح ينبغى أن يقوم رواية صحيحة، وعلى هذا فيكون كلامكم فى القيامة غير صحيح لأنها ليست من عقائد المسيح.

أو أن نقول إن المسيح تنبأ بنبوءة ولكن هذه النبوءة لا تعنى قيامته من الأموات ولكن تعنى شيئاً آخر مثل رفعه إلى السماء قبل الصلب وتكون بذلك روايات الأناجيل عن عدم معرفة التلاميذ بأن المسيح سيقوم روايات صحيحة، وعلى ذلك يكون اعتقادكم بالقيامة غير صحيح لأن المسيح لم يتنبأ بها.

ولذلك نجد أن إنجيل يوحنا عندما يروى الانطباع الأول للتلاميذ عند سماعهم لخبر قيامة المسيح يبين أنهم لم يكونوا يعرفون أنه ينبغى أن يقوم.

يقول يوحنا (لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات[١]).

ويتبين من هذه الرواية، والرواية السابقة أن تلاميذ المسيح تلقوا القول بقيامة المسيح على أساس أنه كلام كالهذيان، ـ ولم يصدقوه ـ حتى بطرس نفسه بعد ما رأى الأكفان موضوعة فى القبر لم يصدق ومضى متعجبا، وهذا يدل أن التلاميذ شكوا فى القول بقيامة المسيح.

وإذا كان التلاميذ الذين عاصروا المسيح وسمعوا منه شكوا فى هذا القول، فأولى بالشك غيرهم الذين لم يعاصروا المسيح ولم يسمعوا منه[٢].!!!

ومما يدل على أن التلاميذ كانوا يشكون فى حدوث قيامة المسيح من الأموات أنها بدأت تنتشر ببطء وسط المجموعة المسيحية الأولى حتى إنهم لم يذيعوا خبرها إلا بعد خمسين يوما[٣].

يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب (ولقد بدأت روايات قيامة المسيح من الأموات تنتشر ببطء شديد وسط المجموعة المسيحية الأولى، بسبب إنكار تلاميذ المسيح وحوارييه ـ وعلى رأسهم بطرس ـ لتلك الروايات، وشكهم فيها، وعدم إيمانهم بوجود أدنى صلة بين رسالة المسيح الحقة التى تلقوها من معلمهم وبين فكرة القيامة من الأموات التى صارت واحدة من ركائز العقائد المسيحية فيما بعد؛ من أجل ذلك تأخر الإعلان عن قيامة المسيح وظهوره سبعة أسابيع، فلم يذع خبرها بين عامة المسيحيين إلا بعد خمسين يوما كما تقول رسالة الأعمال[٤].

---

(١) يوحنا ٢٠ : ٨ ، ٩.

(٢) هذه الأقوال على فرض التسليم بأنه صلب ودفن وقام.

(٣) راجع سفر أعمال الرسل الاصحاح الثانى.

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٦.

لذلك يقول أحد المسيحيين (لا ينكر أى دارس أن الكنيسة ولدت يوم الخمسين[١]).

أدلة المسيحين على قيامة المسيح ومناقشتها

يقول د/حنا جرجس الخضرى:

إن قيامة المسيح من الأموات مشكلة من المشاكل اللاهوتية التى أثارت عبر التاريخ جدلا حارا ومناقشات طويلة مختلفة ومتنوعة وأسئلة لا حصر لها ، ومن الأسئلة التى طرحها اللاهوتيون وغير اللاهوتيين بخصوص قيامة السيد من الأموات: هل قيامة المسيح من الأموات هى حقيقة واقعية أم أسطورة؟)[٢].

جاء فى (علم اللاهوت النظامى) إجابة على مثل هذا السؤال: لم تذكر قيامة المسيح فى الكتاب المقدس على سبيل مجرد الخبر بأمر حادث، بل على أنها حقيقة أساسية فى الإنجيل قال بولس (إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم[٣]، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل أيضا إيمانكم أنتم بعد فى خطاياكم)[٤].

ولقد ذكر علماء المسيحية الأدلة على كون قيامة المسيح حقيقة أساسية وأهمها ما يأتى.

أولاً: إنباء المسيح نفسه بها[٥]:-

فلقد ذكروا أن المسيح أخبر بقيامته من بين الأموات مرات عديدة قبل تعرضه للآلام وأن الأناجيل ذكرت هذه الأخبار.

- من ذلك إشارة المسيح لقيامته بآية يونان[٦].

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ص ٤٧.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٥٠.
(٣) ١ - كورنثوس ١٥ : ١٤، ١٧.
(٤) علم اللاهوت النظامى ص ٩٠٩.
(٥) المصدر السابق ص ٩٠٩، راجع أيضا: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩.
(٦) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ٩٩.

فلقد روت الأناجيل أن الكتبة والفريسيين طلبوا من المسيح أن يريهم آية (فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى. لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام ثلاث ليال)[(١)].

فالمسيح قد أخبرهم ـ كما يدعون ـ أنه سيعطى آية يونان والتى هى كما جاءت فى سفره الخاص به (وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان. فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت .... وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر[(٢)]).

ومضمون هذه الرواية أن يونان بقى فى الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم أمر الرب الحوت بأن يقذف يونان إلى البر (والمسيح أخبر بهذه الآية لأنها ترمز إلى موته وقيامته[(٣)]) أى أنه يخبر عما سيقع له من الموت والقيامة.

ومن الواضح أنه لكى تتحقق هذه النبوءة يجب أن يبقى المصلوب فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولكن إذا رجعنا إلى ما تذكره الأناجيل عن أحداث الصلب والقيامة لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة (يوم الصليب) (ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أى ما قبل السبت جاء يوسف الذى من الرامة .... فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجرا على باب القبر[(٤)]).

وقد اكتشف تلاميذ المسيح وتابعيه أن ذلك القبر كان خاليا من الميت فى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد، وفى هذا يقول متى (وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر .... فأجاب الملاك وقال

(١) متى ١٢ : ٣٨، ٤٠، ١٦ : ٤، مرقس ٨ : ١١، لوقا ١١ : ٢٩، ٣٢.
(٢) يونان ١ : ١٧، ٢ : ١ ـ ١٠.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٧.
(٤) مرقس ١٥ : ٤٢ ـ ٤٦.

للمرأتين... ليس هو هنا لأنه قام كما قال) [١] وكذلك يقول يوحنا (وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مدفوعا عن القبر[٢]).

وبعملية حسابية بسيطة نجد أن عدد الأيام التى قضاها الميت فى بطن الأرض فى القبر يساوى يوما واحدا (يوم السبت)، وعدد الليالى التى قضاها الميت فى بطن الأرض (القبر) يساوى ليلتين، ليلة السبت وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض[٣].

وبذلك نستطيع أن نقول: إنه يستحيل تحقيق هذه النبوءة فما بقى فى قلب الأرض ثلاثة أيام، وثلاث ليال، بل يوما واحدا، وليلتين، وما قام بعد ثلاثة أيام فهذه أغلاط ثلاثة[٤].

فالاستشهاد (بآية يونان) على أنها إخبار من المسيح عن نفسه بالصلب والقيامة خطأ ؛ لأنه لكى تتحقق كان يجب أن يبقى المصلوب فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال وهو ما لم يحدث فتبين كذب القول وعدم صحته، وتبين كذب الاستشهاد بهذه الرواية.

ونقول لهم ـ بجانب أنه لا يصح الاستشهاد بها على إخبار المسيح عن صلبه وقيامته ـ إما أن يكون المسيح قد أخبر بأنه سيعطى آية يونان، ولكنه أخطأ وكذب فى هذه النبوءة، لأنه لم يبق فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولو سلموا بهذا فإن ذلك يعنى أنهم ينسبون الكذب إلى المسيح، وكيف يجوز على الإله أن يكذب؟!!!

أو أن المسيح لم يخبر عن هذه الآية وتكون الأناجيل هى التى أضافتها إلى المسيح، وهذا كفر أيضا فإضافة أقوال إلى المسيح من غير أن يقلها كفر بالديانة.

---

(١) متى ٢٨ : ١ ـ ٦ .

(٢) يوحنا ٢٠ ـ ١.

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٠١.

(٤) إظهار الحق ص ٢٥٩.

• ومن أدلتهم فى إخبار المسيح عن القيامة ما روى [١] فى الأناجيل من أن المسيح أخبر تلاميذه:

(أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم ... وقال القول علانية[٢]).

ولقد ورد مثل هذا القول فى الأناجيل كثيرا [٣] واتخذ النصارى من هذا القول دليلا على إخبار المسيح عن موته وقيامته، ولكن هذا القول كان يصح لو لم يحدث من تلاميذ المسيح ما حدث حينما أخبرتهم مريم عن قيامة المسيح، ذلك أنهم ـ كما بينا سابقا ـ لم يصدقوا ما قالت، وقابلوا الكلام كالهذيان هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن هذا القول معارض بما جاء فى إنجيل يوحنا بأنهم لم يكونوا يعرفون أنه ينبغى أن يقوم، فكيف يمكن التوفيق بين القول بأن المسيح يعلم تلاميذه أنه جاء أورشليم ليقتل ويقوم وبين ما روى فى إنجيل يوحنا (أنهم لم يكونوا يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم[٤])؟!!

ثانيا: القبر الفارغ ووجود الأكفان:ـ

إن قصة القيامة تبدأ فى الأناجيل الأربعة بذهاب النسوة باكرا جدا فى صباح يوم الأحد إلى القبر، فما أن أتين إلى القبر حتى ذهلن، إذ لم يجدن جسد السيد مسجى فيه وهكذا كانت الحقيقة الأولى الواضحة الجلية أن القبر كان فارغا[٥].

فالأناجيل توضح بأن القبر الذى وضع فيه جسد يسوع بعد الصلب وجد فى فجر يوم الأحد فارغا خاليا وخاويا، وأن لفائف الكتان والأربطة التى لفى بها جسد

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩/قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٦، كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٩١، ص ٩٢.

(٢) متى ١٦ : ٢١ ـ ٢٣، مرقس ٨: ٣١ ـ ٣٣، لوقا ٩ : ٢٢.

(٣) متى ١٧ : ٩ ـ ٢٣، ٢٠ : ١٩، ٢٧ : ٦٣، مرقس ٩ : ٩، ٣١، ١٠ : ٣٤، ١٤ : لوقا ١٨ : ٣٣، يوحنا ٢ : ١٩، ٢١.

(٤) يوحنا ٢٠ : ٩.

(٥) جون ستوت : المسيحية فى جوهرها ص ٦٦.

يسوع وربطت حول رأسه وجدت موضوعة بكيفية جعلت التلميذ المحبوب ـ يوحنا ـ يوقن بأن جسد المخلص خرج من هذه اللفائف والأربطة بطريقة معجزة من دون أن تحل اللفائف أو تفك الربط[١].

وقد أوضح الملاك حقيقة القبر الفارغ بالقول إنه قام[٢].

فوجود القبر خاليا من أدلة النصارى على قيامة المسيح.

وقد حاول بعض قادة اليهود ورؤسائهم أن يفسروا حقيقة القبر الفارغ بأن ادعوا بأن تلاميذه سرقوا الجسد[٣].

ولكن النصارى يقولون فى بطلان هذا! إن تلاميذ يسوع نادوا بالقيامة محققين إياها بالرغم عما جلبت عليهم هذه المناداة بالسجن والقتل[٤].

فمجمل القول فى هذا الدليل: أن وجود القبر فارغا مع وجود الأكفان دليل على أن المسيح قام من بين الأموات.

وقد كان يكفى فى مناقشتنا لهذا الدليل ما أوردناه سابقا عن التناقض الواضح بين الأناجيل حين روت زيارة النساء للقبر.

ولكننا نزيد على ذلك بأن نقول:

إن إنجيل متى ـ كما قلنا سابقا ـ انفرد بين أصحاب الأناجيل بذكر تلك الواقعة التى تقول بأن اليهود طلبوا إلى بيلاطس أن يقيم حراسة على قبر المسيح حتى لا يسرقه تلاميذه ويذيعوا فى الناس أنه قام من بين الأموات حسبما كان يتحدث بذلك فيكون من ذلك فتنة وفساد كبير، وقد ترك بيلاطس إلى اليهود أن يتولوا هم بأنفسهم حراسة القبر وضبطه.

ولو صحت هذه الواقعة ـ وهى صحيحة عندهم ـ لما أمكن القول بقيامة المسيح أبدا، ولما أمكن وجود شاهد يشهد لهذه القيامة، ذلك أن أقوى الأدلة على قيامة

---

(١) يوحنا ٢٠ : ٥ ـ ٨.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩.
(٣) متى ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٥.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩.

المسيح هى شهادة أولئك الشهود من تلاميذه وأتباعه الذين ذهبوا إلى القبر فى اليوم الثالث ودخلوه فوجدوه خاليا من الجسد ووجدوا الأكفان موضوعة كما هى حسب ما كان الجسد موضوعا فيها.

وهنا تثور أسئلة من كل جهة!!!

أين كان الحراس الذين أقامهم اليهود على القبر؟ وأين كان اليهود الذين وقفوا يتصيدون تلاميذه الذين كان من المتوقع أن يحوموا حول القبر ولا يقاربونه؟ وأين حرص اليهود على حراسة القبر وضبطه؟ إن العهد لم يتطاول بالحراس وأشباه الحراس الذين قاموا على القبر ومن حوله .. إنها ساعات معدودة، فكيف ينفذ تلاميذ المسيح إلى القبر؟ بل كيف يغدون إليه ويروحون أفرادا وجماعات ينظرون فى القبر بل ويدخلون إلى داخل القبر ويفتشون فى محتوياته دون أن يلقاهم من يقول لهم إلى أين؟ أين كان اليهود؟ وأين كان حراس اليهود؟

وإذا كان لأحد التلاميذ أن يتسلل إلى القبر - وهذا مستحيل استحالة مطلقة فكيف يتكرر هذا العمل علانية ويتتابع تلاميذ المسيح يدخلون ويشاهدون الآثار التى خلفها المصلوب وراءه!!

ألا يسارع اليهود والحراس إلى سد هذه الثغرة!! أو يعيدون الحجر إلى موضعه؟ ألا يحولون بين أىٍّ من الناس وبين الاقتراب منه؟

ولم إذن كان تخوفهم من تلاميذ المسيح؟ ولم كان سعيهم إلى بيلاطس لحراسة القبر وضبطه؟[1].

فحراسة القبر من اليهود تبعث على الشك فى زيارة النساء وحدوث الزيارة من التلاميذ ودخولهم القبر ورؤيته فارغا، والدليل إذا تطرق إليك الشك سقط الاستدلال به.

ثالثا: دعوى ظهور المسيح لكثيرين :-

تروى الأناجيل أن المسيح ظهر لكثيرين بعد قيامته، وهذا الظهور لدى النصارى من أقوى الأدلة على قيامة المسيح.

---

(١) المسيح فى القرآن والتوارة والإنجيل ص ٤٤٩.

ولقد تحدثت الأناجيل عن هذا الظهور.

وأول ما يلفت النظر فى رواية الأناجيل لظهور المسيح هو :

أن قصة الظهور فى إنجيل مرقس الذى هو أقدم الأناجيل القانونية ـ تعتبر من أبرز المشاكل التى أثيرت بين علماء المسيحية حول إنجيل مرقس [1] إذ أن النسخة القانونية

---

(١) إن من أبرز المشاكل حول إنجيل مرقس خاتمته التى تتكلم عن ظهور المسيح، ولخص عالم الكتاب المقدس د/ فهيم عزيز هذه المشكلة فيقول: (فى النسخة العربية ينتهى الإنجيل عند (١٦ : ٢٠) ولكن هناك مشكلة كبيرة بخصوص الأعداد ٩ ـ ٢٠ من هذا الإصحاح وتتخلص المشكلة فى أمرين :ـ

الأمر الأول: هل هذه الأعداد (٩ ـ ٢٠) أصيلة فى الإنجيل بمعنى هل كتبها "مرقس" فى نهاية إنجيله ليختمه؟ ظهر هذا السؤال لعاملين مهمين جدا.

الأول: هو أن أهم مخطوطتين قديمتين وهما الفاتيكانية والسينائية لا توجد بهما هذه الأعداد، وكذلك مخطوطات أخرى أقل أهمية منها، إلى جانب ذلك عدد كبير من الترجمات المعتمدة مثل السريانية والآرامية.

الثانى: الاختلاف الواضح فى الأسلوب بين الأعداد (٩ ـ ٢٠) وبقية الإنجيل والكلمات المستعملة فيه، وكذلك فإن من يدقق الدراسة يندهش لما يبديه عدد (٩) بخصوص مريم المجدلية كأنها ذكرت للمرة الأولى فى الإصحاح لأنه يحاول التعريف بها فى نفس الوقت الذى يذكرها فى العدد الأول على أنها شخصية معروفة ولا تقل فى ذلك عن مريم أم يعقوب وسالومة. على أساس هذين الاعتبارين فقد اعتقدت الغالبية العظمى من الدارسين أن هذه النهاية ليست من وضع البشير نفسه وأنها قد أضيفت إلى الإنجيل بعد ذلك.

الأمر الثانى: وهو أن العدد (٨) الذى يظن العلماء أن نهاية الإنجيل لا يصلح أن يكون نهاية، فالترجمة الحرفية له تنتهى بكلمة (لأنه)، ولا يعقل أنه ينتهى كتاب هكذا، وليس ذلك فقط بل كيف يمكن لمرقس وهو الإنجيلى الذى يظهر رسالة الإنجيل فى أول كتابه وأن ملكوت الله قد جاء ينهى هذا الكتاب نفسه بوصف حالة النساء بأنهن كن خائفات ـ إن المنطق لا يقبل ذلك وعلى هذا الأساس ينتهى الدارسون إلى النتيجة المنطقية بأن مرقس لم يترك إنجيله هكذا لابد وأنه كتب له نهاية ولكنها فقدت لسبب ما كأن قطعت الورقة أو تشوهت الكتابة وإلا فإن مرقس عندما وصل إلى العدد (٨) حدثت له حادثة منعته من التكملة. إن كل شئ جائز إلا أن ينتهى الإنجيل بنهاية عدد (٨) ويلوح أن أحد الكتبة الأقدمين أضاف النهاية الصغيرة لكى يتفادى النقص الموجود فى النسخة التى بيده، ثم أضيفت النهاية الكبرى لإعلان ظهور المسيح لتلاميذه وإرساله لهم وذلك فى أسلوب مختصر يحتوى على ظهورات كثيرة فى أعدد قليلة بخلاف الأناجيل الأخرى.

هذا ما يؤكده الغالبية العظمى للدارسين) أ. هـ. المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٣٠، ٢٣١ وهذا يعنى أن الفقرات التى تتحدث عن ظهور المسيح ليست أساسية فى إنجيل مرقس الذى هو أقدم الأناجيل القانونية ، ذلك أن مرقس لم يكتبها بل كتبها غيره، وذلك لأن النسخ القديمة الأصلية تنتهى قبل بيان فقرات الظهور. هذا بجانب أن أسلوب هذه الفقرات (٩ ـ ٢٠) يختلف تماما عن أسلوب الإنجيل كله ولهذا يؤكد علماء الكتاب المقدس أن خاتمة إنجيل مرقس ليست من عمل مرقس كاتب الإنجيل.

لإنجيل مرقس تنتهى عند الإخبار بقيامة المسيح (١٦ : ٨). أما ما يوجد الآن فى إنجيل مرقس من روايات الظهور فإنه من المتفق عليه بين علماء المسيحية أن مرقس لم يكتبها بل كتبها غيره.

فإنجيل مرقس الذى هو أقدم الأناجيل القانونية والذى هو المصدر الأساسى لإنجيلى متى ولوقا [1] لم يذكر شيئا عن ظهور المسيح.

هذا بجانب أن روايات الأناجيل لظهور المسيح ـ شأنها كشأن روايات الأناجيل للعقائد المسيحية الأخرى ـ مليئة بالتناقضات والاختلافات الواضحة والتى لا يمكن معها إثبات حق دنيوى فضلا عن إثبات عقيدة.

جاء فى إنجيل مرقس:

وبعد ما قام باكرا فى أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين. فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون. فلما سمع أولئك **أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا**.

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية. وذهب هذان **وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين**.

أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام [2].

---

(١) إن إنجيل مرقس أقدم الأناجيل القانونية لذلك كان مصدرا رئيسيا "لمتى" و"لوقا" يقول د/ فهيم عزيز (فى الدراسات التقوية والتفسيرية للأناجيل يبدأ الدراسون عادة بإنجيل (متى) لأنه هو الأول فى الترتيب المكانى بالنسبة لها أما الدراسون دراسة علمية فيبدأون بإنجيل مرقس لأنهم يعتقدون أنه هو الذى كتب أولا زمنيا وأن كاتبى الإنجيلين الأول (متى) والثالث (لوقا) قد اتخذاه مرجعا لهما فى كتابة إنجيلهما. المدخل إلى العهد الجديد ص ٢١٥.

وتقول دائرة المعارف البريطانية إن القول بأن متى ولوقا استخدما إنجيل مرقس أصبح على وجه العموم مسلما به.

نقلا عن حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٦ ، المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٤٦.

(٢) مرقس ١٦ : ٩ ـ ١٤.

ومضمون الرواية أن المسيح ظهر أول ما ظهر لمريم المجدلية فذهبت لتخبر التلاميذ بقيامة المسيح وظهوره. ولكن التلاميذ لم يصدقوها، ثم ظهر المسيح لاثنين من تلاميذ المسيح فذهبا ليخبرا باقى التلاميذ فلم يصدقوهما، وأخيرا ظهر المسيح للأحد عشر تلميذا ووبخهم على عدم إيمانهم وعدم تصديقهم لقيامته وظهوره.

ولكن رواية (متى) عن ظهور المسيح تختلف عن هذه الرواية. يقول متى:

"وفيما هما - أى مريم المجدلية ومريم الأخرى - منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع لاتخافا. اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى... وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رآوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا"(١).

وكما يظهر فإن رواية (متى) تختلف عن رواية (مرقس) فيما يلى :-

١ - رواية مرقس أن الظهور كان أولا من نصيب مريم المجدلية وحدها بينما رواية (متى) أن الظهور الأول كان من نصيب مريم المجدلية ومريم الأخرى.

٢ - تنفرد رواية متى بذكر ألوان التقديس التى وقعت من مريم المجدلية ومريم الأخرى تجاه يسوع حين ظهوره لهما.

٣ - تختلف رواية (متى) عن رواية (مرقس) فى بيانها لنوع الرسالة التى حملتها مريم، فعلى حسب رواية مرقس أن مريم ذهبت لتخبر التلاميذ بظهور المسيح، بينما نجد فى رواية (متى) أن مريم المجدلية ومريم الأخرى ذهبتا إلى التلاميذ لتأمرهم بأن يذهبوا إلى الجليل ليروا المسيح.

٤ - على حسب الرواية الأول (مرقس) كان الظهور الثانى من نصيب اثنين من التلاميذ - لم تبين الرواية من هما - بينما على حسب الرواية الثانية (متى) نجد أن الظهور الثانى من نصيب الأحد عشر تلميذا.

٥ - على حسب الرواية الأولى: أن التلاميذ لم يصدقوا قيامة المسيح حين أخبرتهم بذلك مريم المجدلية، وحين أخبرهم بذلك أيضا الاثنان اللذان ظهرا لهما المسيح بعد مريم المجدلية، ثم ظهر لهم المسيح ووبخهم على عدم تصديقهم.

---

(١) متى ٢٨ : ٩ - ١٧.

أما على حسب الرواية الثانية فإن بعض التلاميذ بعد ظهور المسيح لهم شكوا فى كون هذا الذى ظهر لهم هل هو المسيح معلمهم أم لا ؟

ونعود فنقول: هل يثبت بهذه التناقض عقيدة؟

على أن رواية (لوقا) لقصة الظهور تختلف كل الاختلاف عن الإنجيلين السابقين فى بيان ظهور المسيح وكأنها قصة جديدة، وسأذكر هذه الراوية كاملة لبيان ذلك :ـ

يقول (لوقا) "وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة [1] اسمها عمواس... وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما. **ولكن أمسكت أعينهما من معرفته.** فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين. فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام. فقال لهما وما هى. فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعوب .... فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب، ثم اقتربوا إلى القرية التى كانا منطلقين إليها وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد. فألزماه قائلين امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار. فدخل ليمكث معها. فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما.... فقاما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم. وهو يقولون إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان. وأما هما فكانا يخبران بما حدث فى الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز، وفيما هما يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم **فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا. فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم انظروا يدى ورجلى إنى أنا هو. جسونى وانظروا فإن الروح**

---

(١) غلوة: مقياس يونانى الأصل يبلغ ٦٠٦ أقدام إنجليزية. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٦١.

ليس له لحم وعظام كما ترون لى . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم"(١).

وهذه الرواية كما ترى ليس فيها أى وجه من الاتفاق مع الروايتين السابقتين.

وليس هذا فقط بل إن رواية يوحنا عن ظهور المسيح تختلف أيضا عن الأناجيل الثلاثة فى قصة الظهور. وسنذكر أيضا هذه الرواية ليتبين هذا الاختلاف.

يقول يوحنا "أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى. وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا. فقالا لها ياامرأة لماذا تبكين . قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذه التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا ولم تعلم أنه يسوع. فقال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين. من تطلبين. فظنت تلك أنه البستانى فقالت له ياسيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه. قال لها يسوع يامريم. فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يامعلم. فقال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا، ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود(٢) جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه.ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضا سلام لكم. كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت. أما توما أحد الاثنى عشر الذى يقال له التوأم

---

(١) لوقا ٢٤ : ١٣ ـ ٤٣.

(٢) إذا كان التلاميذ يغلقون على أنفسهم بسبب الخوف من اليهود فكيف صح لكم القول بأن التلاميذ زاروا قبر المسيح وهم يعلمون أن اليهود حراس على القبر؟!!!

فلم يكن معهم حين جاء يسوع. فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن.

وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضا داخلا وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم. ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا. أجاب توما وقال له ربى وإلهى قال له يسوع لأنك رأيتنى ياتوما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا"[١].

ثم يذكر يوحنا أن يسوع ظهر للتلاميذ مرة ثالثة فيقول:

(بعد هذا أظهر يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا.... ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعملون أنه يسوع. فقال لهم يسوع ياغلمان ألعل عندكم إداما أجابوه لا فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عريانا وألقى نفسه فى البحر. وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مئتى ذراع وهم يجرون شبكة السمك. فلما خرجوا إلى الأرض نظروا جمرا موضوعا وسمكا موضوعا عليه وخبزا. قال لهم يسوع قدموا من السمك الذى أمسكتم الآن. فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكا كبيرا مئة وثلاثا وخمسين. ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة. قال لهم يسوع هلموا تغدوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت. إذ كانوا يعلمون أنه الرب. ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك. هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات[٢]).

---

(١) يوحنا: ٢٠ : ١١ ـ ٢٩.

(٢) يوحنا ٢١ : ١ ـ ١٤.

• وهكذا نجد اختلاف هذه الرواية عن الروايات الثلاث السابقة.

ولقد حرصت على الإتيان بروايات الأناجيل هنا كاملة لبيان الاختلاف الواضح بين الروايات الأربع إذ أن كل رواية تختلف كل الاختلاف عن الرواية الأخرى حتى يتعذر معه بيان من أول من ظهر له المسيح؟ وكيف؟ ومتى؟

كل هذه الأسئلة تجد لها جوابا فى كل إنجيل يختلف عن الإنجيل الآخر، وكأن كل إنجيل قد كتب عن حادثة غير الحادثة التى كتب عنها الإنجيل الآخر، لذلك يتعذر على أى باحث أن يبين أوجه الاتفاق بين الروايات الأربع.

والملفت للنظر فى هذه الروايات - بجانب الاختلاف والتناقض هو موقف التلاميذ إزاء علمهم بظهور المسيح.

فالروايات جميعها متفقة أن حالة من عدم التصديق أو الإنكار أو الشك أو عدم معرفة المسيح انتابت التلاميذ عند علمهم بظهور المسيح أو عند ظهور المسيح لهم.

فعلى حسب رواية مرقس: أن التلاميذ لم يصدقوا مريم المجدلية والاثنين الآخرين حين أخبروهم بظهور المسيح.

وعلى حسب رواية (متى) أن بعض التلاميذ انتابهم الشك بعد ما ظهر لهم المسيح.

وعلى حسب رواية (لوقا) فإن الاثنين اللذين قابلا المسيح بعد ظهوره لم يعرفاه إلا بعد أن أعلن هو عن شخصه، وكذلك حين ظهر للأحد عشر تلميذا ووقف فى وسطهم جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا، فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار قلوبكم؟ فلم يصدقوا أنه المسيح ونظروا إليه متعجبين حتى كشف عن شخصيته.

وعلى رواية يوحنا فإن مريم المجدلية - التى هى على حسب روايات الأناجيل هى التى نظرت من بعيد على المسيح وقت الصلب [1] - يظهر لها المسيح ولم تعرفه وظنته

---

(١) وهنا يحق لنا أن نضع علامات استفهام كيف لم تستطع مريم أن تتعرف عليه وهو واقف أمامها؟ بينما ادعيتم أن مريم هذه شاهدة على صلبه إذ نظرته من بعيد؟! كيف لم تعرفه وهو قريب منها تنظره من قريب؟ بينما شهدت بمعرفته وبصلبه وهو بعيد عنها تنظره من بعيد وقد تغيرت ملامحه تبعا للتعذيب الذى تعرض له؟ إن ذلك لمنطق عجيب!!!

أنه البستانى، وكذلك توما أحد الاثنى عشر حين أخبره التلاميذ بظهور المسيح قال لهم لا أومن حتى أبصر فى يديه المسامير، وهذا يدل على مدى عدم ثقته فى كلام التلاميذ!!! وعلى الشك فى الظهور نفسه!!!

وكذلك على حسب رواية يوحنا لم يعرف التلاميذ المسيح حينما ظهر لهم فى المرة الثالثة، وهنا نتعجب كيف لا يعرفه التلاميذ وهو قد ظهر له مرتين قبل ذلك ووقف فى وسطهم وأكل معهم؟!!!

كل ذلك يدل على أن التلاميذ لم يصدقوا أول الأمر بظهور المسيح، ولم يعرفوه حين ظهر، وكل ذلك يجعلنا نتساءل: هل المسيح معروف لهم أم لا؟

يقولون: نعم، بل وأخبرنا أنه لابد أن يتألم ويقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام!!! إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يصدق التلاميذ بظهور المسيح؟ ولماذا لم يعرفوه حين ظهر لهم وساروهم الشك والجزع والخوف؟

وهنا يحق لنا أن نقول: إذا كان التلاميذ لم يصدقوا بظهور المسيح وشكوا فى كونه ظهر ولم يعرفوه حين ظهر لهم وهو الذى عاش فى وسطهم وأكل معهم وآمنوا به وبأقواله قبل أن يحمل على الصليب والتى منها إخباره لهم بما سيحدث ويقع له.

وإذا كان هؤلاء شكوا مع كل هذا، فأولى بغيرهم ـ الذين لم يروا المسيح. ولم يجلسوا معه، ولم يتتلمذوا على يديه، ولم يؤمنوا به، أن يشكوا فى هذه الظهور ولا يصدقوه، خاصة وأن الروايات التى تروى هذا الظهور مختلفة غير متفقة على أية جزئية من جزئيات هذا الظهور.

إذا كان الأمر كذلك فكيف يكون الظهور دليلا على قيامة المسيح وهو لا دليل عليه يؤيده بل كل الشكوك تحوم حول إثباته!!

إن شيئا لا يمكن إثباته بكل وضوح لا يمكن أن يعتبر دليلا لشئ آخر.

رابعا: التغير الذى حدث فى حياة التلاميذ [١]:-

يقول القس جبرة الحلو (فقبل أن يرى التلاميذ يسوع المقام وقبل أن يسمعوه كانوا فى حالة ذريعة من اليأس والخوف، أما عندما رأوا المسيح المقام، وعندما سمعوه، وعندما حل عليهم الروح القدس الذى أرسله إليهم، حدث تغير عجيب معجزى فى حياتهم، فتحولوا من اليأس إلى الرجاء، ومن الخوف إلى الثقة والاطمئنان، وانطلقوا ينادون بالمسيح المصلوب المقام غير هيابين ومن دون خوف أو وجل[٢]).

ويقول: جون ستوت: "ولعل هذا التغير الذى طرأ على أشخاص التلاميذ هو أكبر البراهين جميعا على حقيقة القيامة... وهو تغيير يبدو لنا طبيعيا لا تصنع فيه ولا اصطناع له ولم يكن بد من حدوثه، وإننا لنشاهده تلقائيا دون أن توجه إلينا دعوة لمشاهدته أو دون لفت للأنظار إليه... كما لعلها قد لفتت فيما سلف إلى القبر الفارغ والأكفان المسجاة على الوضع الذى كانت به عند الدفن، وإلى مرات ظهور الرب والذى كان من نصيبهم الصالح أن يروه، وما كان هناك من ردود فعل للقيامة عليهم، ولعلنا أن نلمح من فورنا ذلك التطور الذى نال التلاميذ بالمقارنة بالحالة التى كانوا عليها عند موت المسيح ثم الصورة التى صاروا إليها بعد القيامة، فالأناجيل ترينا التلاميذ عندموت المسيح وقد أوشكوا أن ينهاروا، وترينا رجالا كادوا أن يسقطوا فرائس لليأس والقنوط وخيبة الأمل وضياع الرجاء وتزعزع اليقين، ولكن الصورة منذ سفر الأعمال تتغير وتتبدل وتنقلب رأسا على عقب وإذا بأولئك الجزعين المرتعدين المنزوين خلف الأبواب المغلقة(بسبب الخوف من اليهود) يخرجون فى وضح النهار وقد وضعوا أرواحهم على أكفهم من أجل اسم الرب يسوع"[٣].

فلقد حدث أن تغيرت حالة التلاميذ بعد قيامة المسيح وظهوره - كما يعتقدون - وهذا التغيير دليل - فى نظرهم - على صحة قيامة المسيح.

---

(١) راجع فى ذلك: المسيحية فى جوهرها ص ٨٦، قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٢٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠.

(٣) المسيحية فى جوهرها ص ٨٦.

ونحن نقول: ولعل حالة التلاميذ التى صورتها الأناجيل حين علموا بالقيامة والظهور تنقض هذا الاعتقاد، إذ أنهم شكوا فى قيامة المسيح وشكوا فى ظهوره.

والقول الصائب والصحيح فى سبب تغير حالة التلاميذ هو: أنه الاعتقاد بصلب المسيح وقيامته هو الذى أحدث هذا التغيير لا أن صلب المسيح وقيامته هو الذى أحدثه، ذلك لأن الصلب والقيامة ليس لهما من الأدلة الكافية لإثباتهما فضلا عن أنهما ليس لهما من أدلة وشهود، ولذلك يعتقد (بولتمان) - أحد رواد المدرسة اللاهوتية الألمانية فى القرن العشرين - (أن ميلاد الإيمان فى قلوب التلاميذ بقيامته يعتبر قيامة)[1].

يبين أن القيامة شئ حدث فى إيمان التلاميذ.

فتغير حالتهم نتيجة لأنهم اعتقدوا أن المسيح صلب وقام لا أنه صلب وقام فى الحقيقة، ولعل انتهاء حياة المسيح فجأة من بين التلاميذ كان هو السبب فى اليأس الذى انتابهم إذ أنهم - كما قلنا - كانوا يؤملون فيه أنه المسيح المخلص الذى يخلصهم مما هم، ولكن فجأة تنتهى حياته بدون أن يخلصهم، وبدون أن يحقق لهم شيئا، وهنا انتابتهم حالة من القلق بسبب ما يدور بخلدهم.

وهذا يعنى أنهم مهيئين لمن يخفف لهم هذا اليأس وهذا القلق بشرط أن يعلل لهم انتهاء حياة المسيح تعليلا يتفق مع ما كانوا يأملونه فى المسيح، فكان أن دخل بولس المسيحية وأدخل فيها أن المسيح صلب وأنه لم يصلب عبثا وإنما صلب وقام من أجل خلاص البشرية.

وهذا التعليل هو الذى غير حالتهم، وذلك لأن اعتقادهم فى المسيح - فى نظرهم - أصبح له الهدف الذى كانوا ينتظرونه.

فالاعتقاد بقيامة المسيح هو الذى غير حالة التلاميذ لا أن قيامة المسيح هى التى غيرتهم ذلك أن صلب المسيح لم يقم عليه الأدلة، وكذلك القيامة، ولكن الذى أدخل هذه العقائد بولس، وأول شهادة عن القيامة جاءت من رسائل بولس.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٥١.

يقول د/ جورج كيرد: (إن أول شهادة عن القيامة لم تعطها الأناجيل لكنها جاءت من رسائل بولس، وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس - الإصحاح الخامس عشر - التى كتبت قبل أقدم الأناجيل بعشر سنوات على الأقل)(١).

فهو الذى أدخل الاعتقاد بقيامة المسيح، وهو الذى جعلها أساس إيمان التلاميذ، وأساس التبشير بالمسيحية يقول بولس "إذا لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم"(٢).

وهكذا نرى أن أدلتهم على قيامة المسيح لم ترو غليلا ولم تشف عليلا ولم يثبت بها قيامة المسيح.

أهمية قيامة المسيح فى المسيحية وصلتها بالخلاص

إن قيامة المسيح عقيدة أساسية فى المسيحية وركيزة ضرورية حتى إنه بدون قيامة المسيح (لا تكون المسيحية سوى وهم لا جدوى منه)(٣).

(ولولا قيامة المسيح لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق)(٤).

وقيامة المسيح هى المنطلق الأساسى الذى بنى عليه الإيمان المسيحى كله، فالإيمان بالمسيح يعنى الإيمان بالقيامة(٥).

فأهم ما فى المسيحية قيامة المسيح ؛ أذ أنه لا وجود للمسيحية بدون قيامة، وعلى أساس القيامة بنى المسيحيون عقيدة الخلاص من نواحى عدة.

١ - قالوا إن قيامة المسيح دليل على ألوهيته:

فكما قلنا إن طريق الخلاص المسيحى يبدأ من حيث كون المخلص إلها تجسد فى صورة بشرية من أجل الخلاص، وذلك لأن البشر لا يستطيعون أن يقوموا بخلاص

---

(١) نقلا عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٧.
(٢) ١ كورنثوس ١٥ : ١٤.
(٣)سر الفداء ص ٣٠ .
(٤) تفسير سفر الأعمال صـ٤٧.
(٥) القيامة والصعود صـ٤٢.

أنفسهم، لأن طبيعتهم التى ورثوها عن آدم فاسدة، لذلك كان القول بألوهية المخلص هو الطريق الوحيد والصحيح للخلاص فى اعتقاد النصارى.

والقيامة كأساس للمسيحية والمحور الرئيسى فيها يقولون إنها برهان قوى على ألوهية المسيح.

يقول الأب متى المسكين (القيامة آخر وأهم معجزة فى حياة المسيح إذ يتعلق عليها بالفعل برهان ألوهيته[١]).

ويقول باركلى (ولكن القيامة كانت برهانا قويا على ألوهية المسيح وأنه رب الحياة وأنه حى إلى الأبد ... لقد كانت القيامة البرهان الذى ما بعده برهان أن الله كان فى المسيح ومعه)[٢].

(فالقيامة تدل على أن المسيح هو ابن الله ظهر فى الجسد وهو المخلص الذى أنبأت به الأنبياء)[٣].

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى (وعن طريق هذه الحادثة ـ القيامة ـ قد ثبت أن يسوع هو المسيا ابن الله لأنه فى أثناء إقامة الرب على الأرض بيننا كان لاهوته محتجبا فى الناسوت، وأصبح ابن الله فى خلال هذه المدة غير معروف كابن الله إلا من الآب، ولكن بالقيامة وعن طريقها ينزاح الحجاب فنرى لاهوته ومجده، ويصبح معروفا ومعترفا به كابن الله، فحتى التلاميذ الذين كانوا يشاركونه الحياة لم يستطيعوا أن يدركوا هذا الأمر العظيم إلا بعد القيامة[٤].

ويقول دنيس كلارك(إن حقيقة قيام يسوع من الموت وإظهار نفسه لتلاميذه حيا وتكرار ذلك طوال أربعين يوما بعد قيامته لأقوى دليل على أنه المسيح وابن الله)[٥].

فالمسيحيون يعتقدون أن القيامة أقوى دليل على ألوهية المسيح.

---

(١) المرجع السابق صـ ١٨٢.

(٢) تفسير أعمال الرسل صـ٥٨ .

(٣) علم اللاهوت النظامى صـ٩١٠.

(٤) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٧٥.

(٥) سيرة المسيح وتعاليمه ص ٢٦٤.

والذى جعل القيامة دليل الألوهية هو بولس أيضا.

يقول كلايد تارنر (لقد صرح بولس بأن قيامة يسوع هى البرهان الأكبر على لاهوته فقال (عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا)[1][2].

فالقيامة تظهر لاهوت المسيح ـ كما يعتقدون ـ على أساس أن قدرة التغلب على الموت ليست من صفات البشر، فكون المسيح تغلب على الموت وقام فهذا دليل على أنه يختلف عن سائر بنى البشر (فقيامة المسيح من القبر كانت البرهان العلنى على أنه يختلف عن سائر بنى البشر)[3].

يقول جون ستوت (إننا حين نقدم البرهان على أن يسوع الذى من الناصرة قام من الأموات فإننا ندلل بالتالى على أنه ـ دون أدنى ريبة أوشك ـ فريد عجيب تفرد بذاته مما كان له من شبيه أو ضريب)[4].

فالمسيح بالقيامة يختلف عن سائر البشر، وما دام يختلف عن سائر البشر فهو يتصف بالألوهية ـ كما يعتقدون ـ وما دام يتصف بالألوهية فهو المخلص الذى يقوم به الخلاص الصحيح لفساد الطبيعة البشرية الموروثة.

٢ ـ ارتباط الصلب بالقيامة: ـ

تظهر أهمية القيامة بالنسبة لعقيدة الخلاص عند المسيحيين من حيث ارتباط الصلب بها أو ارتباطها بالصلب، فالمخلص لابد وأن يتحمل الآلام ويصلب من أجل البشرية، ولكن هذه الآلام لم تفد فائدتها ـ فى خلاص البشرية ـ إلا بعد الانتصار على هذه الآلام بالانتصار على الموت بعد الصلب ولا يكون ذلك إلا بالقيامة ، فالقيامة مرتبطة بالصلب من حيث إنها تظهر انتصار المخلص على الآلام بعد تحملها وبهذا يكتمل عمل المسيح الكفارى فى العقيدة المسيحية.

---

(١) رومية ١ : ٣، ٤.
(٢) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٨٧.
(٣) سيرة المسيح وتعاليمه ص ٢٦٨.
(٤) المسيحية فى جوهرها ص ٦٧.

فالصلب والقيامة مرتبطان ترابطا لا ينفك لأنهما يظهران بهذا الارتباط أن المسيح تم عمله الكفارى وخلص البشرية.

يقول باسيليوس عن هذا الارتباط (وفى الحقيقة فإن موت المسيح على الصليب مرتبط بلا انفصال مع قيامته، ولا يمكن التفكير فيه - فى موته - بدون قيامته.

إن موته شرط لازم لقيامته وهو أيضا الطريق إلى هذه القيامة، والمسيح نفسه يعلمنا هذا "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير) [١].

وفى التقوى الأرثوذكسية نجد أن تكريم الصليب مرتبط بلا انفصال مع تمجيد القيامة "نكرم صليبك أيها السيد ونمجد قيامتك[٢]").

ويقول الأب متى المسكين عن هذا الارتباط (فقوة القيامة ومجدها تنعكس على الصليب والدم فتغطيها بالمهابة والجلال، كالسحابة النيرة التى غطت المسيح على الجبل المقدس فجعلت وجهه لامعا كالشمس وثيابه بيضاء كالنور.. هكذا بالقيامة نرى الصليب والدم فى حالة تجلى) [٣].

وهكذا تظهر أهمية القيامة بالنسبة لعقيدة الخلاص المسيحية من حيث إنه إذا كان تحمل الآلام والصلب شرطين لازمين للمخلص فإن هذه الآلام لم تفد فائدها إلا بالقيامة إذ "أن مسيحا ميتا لا يمكن أن يكون مخلصا، فقيامته أكدت أن الله قبل عمله الكفارى على الصليب" [٤].

يقول د/فهيم عزيز (إنه يجب أن ننظر إلى الموت ليس فى ذاته بل فى ضوء القيامة التى هى ختم الله على أن يسوع برغم هذا الموت صار ربا ومسيحا)[٥]. فيجب - كما

(١) يوحنا ١٢ : ٢٤.
(٢) سر الفداء ص ٢٨.
(٣) مع المسيح فى آلامه حتى الصليب ص ١٠٠.
(٤) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ٩٢.
(٥) المدخل إلى العهد الجديد ص ٩٤.

يقولون - أن ينظر إلى موت المسيح وصلبه فى ضوء القيامة التى تبرز انتصاره على الموت وانتصاره على تحمل الآلام.

(فقد أظهر يسوع المسيح بقيامته أنه غلب الموت وكيف كان ممكنا أن يضبط الموت المتسلط على الحياة)[١].

وبانتصار المسيح على الموت يكون الخلاص للبشر.

ففى آدم مات الجميع بآدم حيث انتقل الموت إلى الجميع.

أما فى المسيح فقد قام الجميع، بالمسيح انتقل الجميع من الموت إلى الحياة[٢].

(فالمسيح بقيامته أباد الخطيئة التى سببت الموت لآدم ونسله ذلك أن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذى سببته الخطيئة وعليه فإن القيامة أعادت الحياة الجديدة للإنسان التى لا سلطان للموت عليها)[٣].

وهكذا نرى أهمية أخرى للقيامة بالنسبة للخلاص المسيحى.

٢ - القيامة وترتيبها فى عمل الخلاص:-

القيامة هى أساس عمل الخلاص، فهى وإن جاء ترتيبها فى النهاية إلا أنها قوة كائنة فى المسيح قبل أن يصلب، فهى فى نظرهم البداية والنهاية.

يقول الأب متى المسكين:

القيامة هى الأساس الذى بنى عليه المسيح خلاص الإنسان، لأنه على أساس القيامة قبل الرب الصليب، وعلى أساس القيامة قبل الرب أن يموت .... فى الترتيب الزمنى للحوادث نجد أن القيامة لاحقة وتالية للصلب والموت، ولكن فى المنطق الإلهى والترتيب الطبيعى بالنسبة لجوهر المسيح نجد القيامة قوة كائنة فى المسيح قبل الصلب وقبل الموت بحيث لو لم تكن القيامة من صميم طبيعة المسيح وكائنة فيه قبل

---

(١) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعايم الأرثوذكسية ص ١٠٠ .
(٢) سر التدبير الإلهى ص ١٦٨.
(٣) المسيح حياة النفس ص ١٩٤.

أن يتقدم للصلب والموت لصار له الصليب خشبة لعنة ولصار الموت له كقصاص شخص وحاشا لله... ولكنه إذا كان قادرا أن ينزل على الصليب فى أية لحظة صار احتماله وقبوله للصلب فخرًا لا لعنة.

وإذا كان قادرا على أن يقوم من الأموات فى أية لحظة صار قبوله للموت تكفيرا عن قصاص آخرين هكذا صار الصليب كفارة وصار الموت فداء فالقيامة هى جوهر الصليب، فهى جوهر الكفارة، والقيامة هى شرط الموت، فهى شرط الفداء)[(١)].

فالقيامة فى المسيحية هى أساس عمل الخلاص كله فعلى أساسها تحمل المخلص الآلام.

والقيامة هى جوهر الكفارة، وهى شرط الفداء، وهى قوة كائنة فى المسيح قبل أن يصلب، وليس هذا فقط، بل بالقيامة يكون كمال العمل الكفارى وبالقيامة يتم عمل المسيح الخلاصى يقول باسيليوس (إن عمل المسيح الخلاصى وانتصاره على الموت والجحيم يظهر بقوته الفعالة وببرهان واضح فى القيامة لذلك فإن قيامة المسيح هى كمال العمل الخلاصى وأعلى مرحلة فى هذا العالم الذى عمله الرب المتجسد[(٢)]". لذلك جاء فى علم اللاهوت النظامى (لو لم يكن المسيح قد قام خاب كل مسعى الفداء)[(٣)].

وهكذا يتبين أهمية القيامة بالنسبة للخلاص المسيحى.

مناقشة دعوى قيامة المسيح وبيان مصدرها

أولا : إن دعوى قيامة المسيح مبنية على أساس أنه صلب

ولقد تبين فى الفصل السابق أن الأدلة غير كافية لإثبات الصلب. هذا فضلا عن أن أدلة نفى الصلب قوية وقائمة.

---

(١) القيامة والصعود ص ٢٤ ، ٢٥

(٢) سر الفداء صـ٢٩.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٩١٠.

وعليه فالأساس الذى قامت عليه دعوى القيامة باطل، وما قام على الباطل فهو باطل هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الأدلة التى أوردها النصارى لإثبات دعوى القيامة أدلة متهافتة لا تقف أمام النقد كما بينا ذلك فى موضعها.

وعليه فإن دعوى القيامة ليست لها من الأدلة القوية الكافية لإثباتها.

وعلى فرض التسليم بدعوى قيامة المسيح فإننا سنناقشها.

ثانيا: إن دعوى القيامة ثابتة لديهم بروايات الأناجيل.

ولكن هذا مردود بما بيناه من الاختلاف الصارخ والتناقض الواضح بين روايات الأناجيل لحادثة القيامة.

وهذا التناقض وذلك الاختلاف يسقط الاستدلال بها جميعا هذا فضلا عن أن هذا الاختلاف لا يثبت به عقيدة.

فدعوى ثبوت القيامة بالأناجيل باطلة وذلك لوجود التناقض والتضارب بين رواياتها ولقد أحس علماء المسيحية بهذا التناقض وهذا الاختلاف الواقع بين روايات الأناجيل لقصة القيامة والظهور فجعلوا يلتمسون الأسباب لذلك.

يقول د/حنا جرجس الخضرى: (وإن كانوا فى تسجيلهم لهذه الحادثة ـ القيامة ـ قد كتبوا بأسلوب قد يظهر للبعض أن فيه شيئا من عدم الانسجام والتوافق، فإن الأمر الأساسى هو أن كل كاتب من هؤلاء الكتاب الأربعة يروى قصة القيامة كما فهمها)[1].

وهذا القول لا يقف أمام النقد وذلك لأن الاختلاف الواقع فى الأناجيل إنما هو اختلاف فى رواية الأحداث لا فى فهم الأحداث.

وهناك سبب آخر ذكره علماء المسيحية لهذا التناقض.

يقول عوض سمعان: (إن كلا من كتبة الإنجيل كتب عن المسيح إلى شعب يختلف عن الشعب الذى كتب إليه الآخر من جهة الجنسية والثقافة والعادات، (فمتى) كتب

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٥٠.

للعبرانيين، (ومرقس) كتب للرومانيين، (ولوقا) كتب لليونانيين، (ويوحنا) كتب للجميع، وعلى الأخص الفلاسفة الذين كانوا يبحثون فى سر اللوغوس.

كما كتب كل واحد منهم عن المسيح من ناحية تختلف عن تلك التى كتب عنها غيره، فـ(متى) كتب عن المسيح بوصفه الملك الذى تنبأت عنه التوراة من قبل، (ومرقس) كتب عنه بوصفه الشخص الذى كرس نفسه وكل دقيقة من وقته لتنفيذ مشيئة الله، (ولوقا) كتب عنه بوصفه ابن الإنسان الذى تجلت فيه الإنسانية بكمالها الذى يريده الله، ويوحنا كتب عنه بوصفه الكلمة أو "اللوغوس" الذى يعلن الله من الأزل إلى الأبد)[(١)].

ويقول الأنبا يوأنس وغيره (إن الداعى لوجود أربع بشائر أن بشارة متى كتبت لليهود، وبشارة مرقس للرومان، وبشارة لوقا لليونان، وبشارة يوحنا للعالم أجمع، وأن (متى) كتب عن المسيح الملك، ومرقس كتب عن المسيح صانع المعجزات.

ولوقا عن المسيح المخلص، ويوحنا كتب عن المسيح ابن الله)[(٢)].

ويقول القس إبراهيم سعيد (أجمع البشيرون الأربعة على تقرير هذه الحقيقة ليس المسيح فى القبر لأنه قام كما قال، لكن كلاً منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة، (متى) كتب عن ظهور المسيح فى الجليل لأنه كتب عن المسيح الملك، ولوقا كتب عن ظهوره فى أورشليم لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئا من أورشليم.

ويوحنا كتب عن ظهوره فى اليهودية والجليل لأنه كتب عن المسيح ابن الله الأبدى صخر الدهر، ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ فى فترات متقطعة ليشدد عزائمهم للقيام بالخدمة التى تنتظرهم، لأنه كتب عن المسيح الذى جاء ليخدم البشرية ويرفعها إلى مستوى الكمال، كل هذا لكى يوقع البشيرون الأربعة

---

(١) قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص١١٨.

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص ١١٢.

نعمة مشعبة متنوعة العناصر لأنشودة القيامة المجيدة، فلئن تنوعت رواياتهم إلا أنها لا تتناقض[١].

وهكذا نرى أن علماء المسيحية يحاولون تبرير الاختلاف بين الأناجيل فى رواياتها للقيامة والظهور بأنه نتيجة لأن كلا منها كتب لشعب خاص وكتب عن المسيح من وجهة خاصة.

وهذا أشبه بالتعلات[٢]. التى لا تناقش ولا تقوى أمام النظر المنطقى المستقيم، ولكنها تقبل فى الخطابيات، فهى كالزهرة ترى وتشم، ولكن لا تعرك، وذلك لأن هذا التوفيق يقوم على قضيتين: إحداهما أن كل إنجيل كتب لغرض معين لا يشمل فى عمومه ما كتب له الإنجيل الآخر.

وثانيهما: أن كلا ذكر المكان الذى يتفق مع غرضه

وإذن فلا اختلاف فى الخبر.

وهذا الكلام فيه نظر فى مقدمته ونتيجته، وذلك لأنه لو كان (متى) يخبر عن المسيح الملك، ولوقا عن المسيح المخلص، وهكذا لكان كل إنجيل مغايرا للأناجيل الأخرى تمام المغايرة، مباينًا له تمام المباينة، لأنه يكتب فى موضوع يخالف ما يكتب فيه الآخر، وإن كان الشخص واحدا، كأن يكتب عن شخص بارز فى السياسة والقانون، فكاتب يكتب عنه سياسيًا، وآخر يكتب قانونيا فالموضوع يختلف، وإن كان الشخص متحدا، ولكنا لا نجد فى الأناجيل فى مجموعها ذلك التغاير.

وعلى فرض تسليم تلك القضية لا نستطيع أن نسلم القضية الثانية، وهى أن الجليل يناسب المسيح الملك، وأورشليم تناسب المسيح المخلص، وهكذا. فلماذا اختصت هذه بالملك وتلك بالخلاص؟ إن ذلك التخصيص تحكم لا يعتمد على منطق.

---

(١) نقلا عن /محاضرات فى النصرانية ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) العِلّة : ما يتلهى به جمع (علات). المعجم الوسط جـ٢ ص ٦٢٣.

وعلى فرض صحة المقدمتين، فإن النتيجة لا تبنى عليهما، لأن النتيجة اختلاف ذكر الأمكنة فى حادثة معينة والشهادة بها، فأحد الشهود يقول: إنه رآه فى الجليل وآخر يشهد بوجوده بين التلاميذ فى فترات منقطعة، وثالث يشهد بوجوده فى أورشليم وإذا اختلف الشهود فى مكان حادثة معينة كان اختلافهم سببا للظنة فى الشهادة واتهام الشهود فيها.

ولئن قيل إن المسيح ظهر فى الأمكنة التى ذكرت، بيد أن كلا ذكر ما رأى، ولم يكن رآه فيها جميعا كان الكلام مستقيما، ولكن يكون معناه أن كل إنجيل لم يذكر حال المسيح كاملة، ويحتمل أن يكون الجميع لم يذكروها كاملة على هذا الأساس، ويكونوا قد نسوا حظا مما ذكروا به)[١].

فالأسباب التى التمسوها لتعليل هذا الاختلاف غير مقنعة وغير كافية لرد هذا التناقض، ويبقى القول بأن الأناجيل متناقضة متضاربة فى روايات القيامة والظهور، وهذا التناقض يجعل التسليم بهما غير مقبول.

(ترى لو شهد شهود بواقعة من الوقائع واختلفوا فى توقيتها هذا الاختلاف .. أتقبل شهادتهم ويطمئن قلب القاضى اليهم؟)[٢].

وهل يطمئن قلب وعقل الإنسان للتسليم والإيمان بعقيدة اختلف أصحابها فى رواياتها اختلافا بينا بحيث لا نجد لهم أوجه اتفاق فى رواياتهم لها!!

ثالثا: وإذا سقطت دعوى القيامة سقط ما تدل عليه من ألوهية المسيح، وعلى فرض التسليم بثبوت القيامة فإننا نقول إن القول بأن قيامة المسيح تدل على ألوهيته قول باطل، وذلك لأن المسيح لم يختص ـ على فرض أن قام ـ وحده بالقيامة من الأموات، فقد قام كثيرون من الأموات ـ كما يروى الكتاب المقدس ـ مثل قيام ألعازر من موته[٣].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٢٩.

(٢) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ٤٥٣.

(٣) يوحنا ١١ : ١ ـ ٥٤.

وكذلك قيام كثيرين من الموت بعد أن طال رقادهم وتحللت أجسادهم وصارت رمادًا وذلك على يد نبى الله حزقيال[١].

قد يقال: إن قيامة هؤلاء كانت بأشخاص آخرين أقاموهم من موتاهم، ولكن المسيح قد أقام نفسه فهذا يدل على ألوهيته بخلاف الأشخاص الآخرين.

يقول هانى رزق (إن المسيح أحيا نفسه وقام من بين الأموات)[٢].

فيقال لهم: هل أحيا نفسه وهو حى أو وهو ميت؟

فإن قالوا: أحيا نفسه وهو حى قلنا لهم: هذا تهافت وتحصيل للحاصل. وإن قالوا: أحيا نفسه وهو ميت.. قلنا: قد لزمكم المحال، لأن الموجد للحياة لا يتصور أن يكون ميتا[٣].

على أن يلزمهم أيضا على القول بأن المحيى للميت إله أن يكون حزقيال إلها.

وإن يكون إيليا إلها[٤]..

وذلك لأنهما أقاما أمواتا كثيرة.

وبذلك ينتفى القول بأن القيامة تدل على ألوهية المسيح.

رابعا: يقال فى الرد على القول بأن القيامة أبرزت الانتصار على الموت والمسيح بقيامته قد أباد الخطيئة، بمعنى أنها ـ أى القيامة ـ انتصار على حالة الفساد التى كانت فى الإنسان بسبب الخطيئة!!

يقال لهم: هل غيرت قيامة المسيح حياة البشر؟ وهل تحولت تلك القيامة بطبائعهم التى كانوا عليها إلى طبائع أخرى لا تفعل الشر ولا تواقع الإثم؟

إن شيئا من ذلك لم يحدث، فالناس هم الناس فى خيرهم وشرهم قبل قيامة المسيح وبعدها... فأين هى تلك الأعمال العظيمة التى يعملها "المخلص" ليثبت بها قيامته من الأموات ومباشرة سلطاته التى كانت له عند أبيه قبل الصليب؟

---

(١) حزقيال ٣٧ : ١ ـ ١٠.

(٢) هانى رزق: يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ١٦٢.

(٣) الشيخ يوسف الدجوى: الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف ص ٢٥٧.

(٤) ملوك أول ١٧ : ٢٠ ـ ٢٤.

وهذه أوربا المسيحية وأمريكا المسيحية.... أين عمل المسيح فيهما؟ وأين هدايته لهما؟ لقد تحول الناس هناك إلى عباد مال وتجار حروب... فهل لهذا أو بهذا جاء المسيح؟

قد يقال: إن مسيحية الغرب ليست هى مسيحية المسيح، وأن القوم هناك غيروا من وجهها، وبدلوا من تعاليمها، ومن ثم فلا يحسبون على المسيحية، ولا يضافون إلى المسيح؟

ونقول: وأين إذن عمل المخلص فى هؤلاء الذين يتفلتون من يده ويلقون بأيديهم فى أحضان الشيطان؟[١].

فإذا كانت القيامة قد أبادت الخطيئة وأعادت الإنسان إلى حالة ما قبل الخطيئة، فالواجب أن يعيش الناس أبرارا بلا خطية ولا إثم، ولكن هذا لم يحدث، فلم تحدث القيامة أى نوع من أنواع البعد عن الخطيئة والإثم.

وخير شاهد على ذلك ما نراه من حال النصارى قديما وحديثا.

وعليه فبطل القول بأن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذى هو أجرة الخطيئة، وبطل القول بأن قيامة المسيح تعنى الخلاص من الخطيئة، فالناس لازالوا هم الناس بالخير والشر، والحياة والموت، والسلام والعداوة، والفرح والحزن.... إلى آخره.

خامسًا: لم يبق أمامنا بعد ذلك إلا أن نبين مصدر هذه العقيدة وذلك بعد أن تبين بطلانها كعقيدة مسيحية ـ من جميع النواحى فالأساس الذى قامت عليه باطل، والأدلة باطلة ـ والروايات متناقضة، كل ذلك يوحى بأن هذه العقيدة ليست من عقائد المسيح، وأن لها مصدرًا آخر غير تعاليم المسيح.

والناظر فى تاريخ الأديان يجد أن الاعتقاد بإله متجسد يموت ثم يبعث من أجل خلاص البشرة كانت منتشرة فى البلاد الشرقية والرومانية قبل ظهور المسيح.

---

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ٤٠٠.

يقول شارل جنيبير (فإن النظرة الأولى إلى الحياة الدينية فى الشرق الأسيوى - من بحر إيجة إلى ما بين النهرين - تبين أن عددا معينا من الآلهة كان يحتل مكان الصدارة فيها خلال العهد الأول لقيام المسيحية وكان بين هذه الآلهة أوجه شبه لا تحصى إلى درجة أنها امتزجت وتوحدت فى بعض الأحيان وكان أهمها:

أتيس فى بلاد الفريجيين، وأدونيس فى الشام، وملكارت فى فينيقيا، ثم تموز ومردوك فى ربوع ما بين النهرين، وأوزوريس بمصر، وعلينا إذا أردنا الإنصاف أن نذكر الإله الفارسى ميثرا الذى بدأت شهرته فى تلك العصور بين رحاب الإمبراطورية الرومانية، وكان القوم الذين يرتحلون من إقليم إلى آخر ينقلون معهم عباداتهم وعقائدهم الدينية [١]).

ويقول (وإن الخاصية التى تثير الانتباه لآلهة المنطقة عند دراسة تاريخهم الأسطورى لهى تلك التى بمقتضاها يموتون فى موسم معين من السنة ثم يبعثون بعد ذلك فى موسم معين فيشعلون فى نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح... ونلاحظ إلى جانب هذا أن هؤلاء الآلهة ليسوا فى حد ذاتهم بالآلهة العظماء البالغين فى العظمة بل إنهم يشبهون البشر من قريب فى الكثير من أحوالهم وذلك على الأقل) [٢].

ويقول (لقد تطورت أسطورة موت وبعث الإله هذه بتطور الشعور الدينى.

وفيما يل الخطوات المختلفة التى يسيرها الإله - فى مخيلة الناس إذ ذاك - للقيام بهذا الدور.

يتعذب الإله تماما كما يتعذب الإنسان ثم يموت كما يموت الإنسان ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد، وأتباعه يمثلون رمزا ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض، وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٠، ٧١.
(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

السعادة في ديار الخلد الإلهية منذ ذلك اليوم الذي فيه حقيقة في الماضي السحيق)[١].

فالديانات الشرقية القديمة التي انتشرت في بلاد اليونان والرومان كانت تؤمن بأسطورة تعذيب الإله وموته ثم قيامته.

ففي الديانة المصرية كانت أسطورة أوزوريس التي تبين موت أوزوريس وبعثه.

يقول توملين: ولو كنا نكتب عن تاريخ تفصيلي لعلم الأسطورة المصرية لابد وأن نحتاج في هذه الحالة إلى سرد قصة موت أوزوريس وطفو جسده في النيل وانتشال إيزيس أخته وزوجته لجثته، وتقطيعها إربا إربا على يد أخيه ست، وتجميع إيزيس لأشلائه وبعثه بعد ذلك للحياة.

هذه القصة التي بقيت بعد الحضارة المصرية وصارت جزءا من الأساطير عند الإغريق والرومان ولم تنقرض بعد قيام المسيحية)[٢].

وكذلك أيضا نجد هذه الأسطورة عند البابليين.

فلقد كانت أسطورة موت الإله وبعثه شائعة بينهم أيضا.

يقول د/ فيليب حتى: كان البابليون في عيد رأس السنة يقيمون تمثيلية ترمز إلى موت الأرض وقيامة مردوك من الموت خالق الكون وواضع نظامه)[٣].

وكذلك أيضا: اعتقد الفريجيون في أتيس مخلصهم وإلههم، ويعتقدون أنه قتل ظلما ثم قام من بين الأموات[٤].

يقول أرنست كيللت: لسوف أعطي هنا ملخصا لأسطورة أتيس وطقوس عبادته لأن هذا لم يؤثر فقط بعمق في المسيحية بل لأنه كان منتشرا في أغلب أجزاء الإمبراطورية الرومانية، ولقد حدثت قيامة أتيس في يوم الخامس والعشرين من

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤.
(٢) توملين: فلاسفة الشرق ص ٤٧.
(٣) د/فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٥٨.
(٤) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١١١.

مارس بدء الربيع وهو نفس اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين.

لقد كان أتيس شابا من فريجية ابن الأم الكبرى (سيبيل) ولد من عذراء[(١)].

وكانت أيضا أسطورة موت الإله وبعثه منتشرة وشائعة بين الفرس.

فلقد كانوا يعتقدون أن (مثرا) مخلصهم وهو الوسيط بين الله والناس . وكانت عبادته شائعة فى بلاد الفرس والأرمن وآسيا الصغرى . مات قتيلا ثم قام من بين الأموات[(٢)].

وكذلك أيضا اعتقد الهنود بقيامة كرشنا من الموت وصعوده إلى السماء، وكذلك الاعتقاد بقيامة بوذا من الأموات[(٣)].

ولقد كانت أسطورة موت الإله أدونيس وقيامته منتشرة فى بلاد الشام فالمخلص أدونيس (ويدعى تموز أيضا) بعد ما قتلوه قام من بين الأموات[(٤)].

وهكذا فإن الديانات الشرقية تؤمن بأسطورة موت الإله وقيامته من أجل البشر وهذه الأسطورة انتشرت فى بلاد اليونان والرومان قبل ظهور المسيحية.

فلما ظهرت المسيحية فى هذه البلاد تأثرت بهذه الأسطورة.

يقول شارل جنيبير (إن آثار الأسطورة الشرقية القديمة التى تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو الخلود تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليونانى، فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليونانى ولا يفهمها أهل اليونان إلى عيسى المسيح السيد والمنقذ ابن الله)[(٥)].

---

(١) حقيقة التبشير ص ٨١.
(٢) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ١١١.
(٣) المرجع السابق ص ١٠٦.
(٤) المرجع السابق ص ١٠٨.
(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٥٢.

فانتقلت هذه الأسطورة إلى المسيحية وتحول فقط اسم بطل الأسطورة.

فأصبح فى المسيحية هو المسيح عيسى بطل أسطورة الموت ثم القيامة.

وهكذا فإن عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات قبس من الوثنية التى كانت تعتقد قبل ظهور المسيحية بموت إلهها المخلص وقيامته خاصة وأن الأدلة على إثبات هذه العقيدة غير قائمة، وعليه فلا مفر من القول بأن المسيحية تأثرت بالوثنية تأثرا واضحا.

وهذا التأثر هو السبب فى اعتقاد النصارى بأن المسيح هو ابن الله المخلص الذى قتل وصلب ثم قام.

وبذلك يتبين لنا أن الخلاص المسيحى القائم على تجسد ابن الله وقتله وصلبه وقيامته إنما هو اعتقاد وافد إلى المسيحية من الوثنية.

وعليه فعقيدة الخلاص ليست مسيحية وإنما هى وثنية.

فالديانات الوثنية كانت تعتقد فى تجسد إله مخلص للبشرية يقتل ويقوم من أجل الخلاص، والمسيحية تأثرت بهذه المعتقدات وجعلتها من عقائدها الرئيسية.

الفصل الخامس

الشعائر المصاحبة لعقيدة الخلاص

أهمية الأسرار فى المسيحية

يعتقد المسيحيون أن غاية الديانة المسيحية خلاص الإنسان نفسا وجسدا من حكم الشريعة الإلهية ومن سلطة الخطية ومحبته لها، وجعله يحيا حياة مقدسة تنتهى بالحياة الأبدية السماوية، وهذا الخلاص يقصد للأفراد أولا بتجديد القلوب وإيقاظ النفس إلى حياة الإيمان والطاعة، ثم للجماعات، ثم للجنس البشرى، ومن نتائجه إصلاح أحوال العالم وإرجاع الحق والعدل والإنصاف إلى حياة البشر عموما.

والوسائط العظمى لإتمام ذلك هى: التجسد وعمل الفداء.

والواسطة المنظورة العظيمة لأجل إجراء كل ذلك هى الكنيسة[1].

ولهذه الكنيسة فرائض مختصة بها تسمى غالبا وسائط النعمة وهى:

١ ـ الكتاب المقدس أى كلمة الله التى حل وقصد الكنيسة نشر تعاليمها للعالم والكرازة بها وبيان القديسين بواسطتها.

٢ ـ أسرار الكنيسة والصلاة[2].

فالكنيسة هى الواسطة المنظورة لإعطاء الناس الخلاص، وهذا الكنيسة لها فرائض من التزم بها منحته الخلاص وهذه الفرائض: الكتاب المقدس، والأسرار.

ففى أصول الإيمان أن الوسائط الخارجية الاعتيادية التى بها يمنحنا المسيح فوائد الفداء هى فرائضه، وعلى الخصوص: الكلمة، والسرّان، والصلاة، وهذه جميعها تجعل فعالة للمختارين لأجل خلاصهم[3].

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٦٤.
(٢) المرجع السابق ص ١٠٧٢.
(٣) شرح أصول الإيمان ص ٤٤٩.

وسنقتصر هنا على بيان الأسرار لأن هذا الفصل خصصناه لها.

والسر: ترجمة للكلمة اليونانية (Mustarion) وهى تعنى فى استعمالها اليونانى الأصلى الطقوس السرية والتعاليم المختصة بها لتفسيرها وكيفية إقامتها، وقد ارتبطت هذه الكلمة بالديانات السرية حيث كان يقوم الشخص ببعض الطقوس ويستلم بعض التعاليم السرية وبذلك يصبح شخصا كاملا روحيا[١].

والسر فى المسيحية يعنى: عمل مقدس ينال به المؤمنون تحت علامات منظورة أو حسية نعمة الروح الكلى قدسه غير المنظور[٢].

أو "هو نعمة غير منظورة يحصل عليها المؤمن بفضل الروح القدس بممارسة طقس ظاهر ذى علاقة بها على يد كاهن شرعى[٣] [٤].

ويتبين من هذا التعريف أن فى الأسرار وجهين: وجه منظور، ووجه غير منظور، الوجه المنظور: هو العمل الخارجى الذى يجريه خادم الكنيسة (الكاهن) المنظور فى المعمودية الماء وما يفعله الكاهن.

وغير المنظور: الفاعلية التى بها يغسل الله المعمد داخليا ويطهر نفسه من الخطية الجدية)[٥]. وهذا يعنى أن السر عند المسيحيين يتضمن النعمة التى يدل عليها وأنها تمنح بواسطة العمل الخارجى، أى أن فى الأسرار قوة ذاتية تجعلها فعالة فى إيصال الفوائد الخلاصية إلى الذين يقبلونها[٦].

---

(١) د/فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٤٥.
(٢) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٢٢.
(٣) الكاهن الشرعى: هو راعى الكنيسة وهو ينال هذه الدرجة بعد أن ينال سر الكهنوت التى سنبينه فى هذا الفصل.
(٤) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص ١٤٧.
(٥) الخلاصة الشهية ص ١٢٣.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص ١١٣٧.

فالسر له قوة ذاتية يمنح الإنسان النعمة ـ أى نعمة الله بخلاصهم ـ

وهذا هو معتقد الكاثوليك والأرثوذكس فى الأسرار، وذلك بخلاف الكنيسة الإنجيلية التى تعتبر الأسرار عبارة عن رموز للدلالة على نعمة الله.

فالأسرار تعنى فى نظر الكنيسة الإنجيلية رموزا مقدسة، وختوم عهد النعمة أقامها الله رأسا للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبهم فيه، وأيضا لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله فى المسيح حسب كلمته. والأسرار تصير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة فى ذاتها ولا فى خادمها ولكن بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس فى الذين يقبلونها بالإيمان[١].

ورغم هذا الاختلاف فى حقيقة الأسرار فإن الكنائس جميعها متفقة على أن الأسرار من فرائض الكنيسة وأن (أسمى عمل للكنيسة إرشاد المؤمنين إلى خلاص نفوسهم)[٢].

وذلك لا يكون إلا بممارسة الأسرار أو الشعائر المسيحية، ومن هنا يبرز أهميتها فى المسيحية عامة، ولعقيدة الخلاص خاصة تلك العقيدة التى نتناولها بالدراسة ـ حيث إن هذه الأسرار على حسب معتقد الأرثوذكس والكاثوليك وسائط لازمة لمنح الخلاص.

وعلى حسب المعتقد الإنجيلى إنها رموز إلى عمل الله الفدائى وإلى الخلاص من الخطيئة، ومن هنا وجب أن نتناول هذه الأسرار بالبحث لما لها من صلة بالبحث سواء أكانت وسائط لازمة أم رموزا فهى لها صلة وثيقة على كلا المعتقدين.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٣٦.

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٦.

الأسرار المتفق عليها بين الكنائس

لقد أجمع المسيحيون على المعمودية والعشاء الربانى كفريضتين من فر ائض الكنيسة واختلفوا فيما عدا ذلك.

يقول القس إلياس مقار (تتفق المذاهب المسيحية فى مختلف العصور والأجيال على الإيمان بفريضتى المعمودية والعشاء الربانى[١]. ولكن الكنائس الكاثوليكية والارثوذكسية لم تكتف بالسرين بل زادت عليها خمسة أسرار فصارت سبعة والتى زادتها هى[٢]:

١ ـ سر المسحة أو الميرون[٣].

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٨٩.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١١٣٧، الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٧ (جاء فى التعليم الرومانى (الكاتيكزم ـ الذى يشرح ويقر قوانين مجمع ترنت الذى ألف بايعاز بيوس الرابع وأشهر بأمر البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٦م، وقد عقد المجمع بأمر بيوس الرابع بقصد مقاومة نجاح الإصلاح وقد استمر من سنة ١٥٤٥م ـ إلى سنة ١٥٦٣ ـ فلماذا الأسرار هى سبعة لا أكثر ولا أقل؟ هذا الأمر قد يتضح لنا بنوع من الأنواع المقنعة، ومن ذلك الأمور التى تتناسب بالمقايسة من الحياة الطبيعية إلى الحياة الروحية فسبعة أشياء تبان لنا أنها ضرورية ولازمة للإنسان لكى يقدر أن يعيش ويحفظ حياته وتكون مفيدة له وللجمهور، وهى هذه أنه يولد، وينمو، ويقتات، وإن سقط فى المرض يشفى وتتشدد قوى ضعفه، ثم الأشياء التى تخص الجمهور بأن الولاة والحكام لا تنقص منه أصلا الذين بحكمهم وسلطانهم يتدبر الشعب، وأخيرا أن يكثر الجنس البشرى ويحتفظ بالزيجة الناموسية فهذه جميعها تبان أنها موافقة ومطابقة إلى حياة الإنسان الذى يعيش لله بالنفس ومنها يتضح بسهولة عدد الأسرار. الكاتيكزم الرومانى قرار ٢ فقرة ١ راجع علم اللاهوت النظامى ص ١٧٧، ص ١١٣٧.

(٣) سر المسحة أو الميرون ويسمى أيضا سر التثبيت وهو سر به ينال المسيحى بعد المعمودية ختم موهبة الروح القدس التى تثبته وتقويه فى الحياة الروحية ولفهم حقائق الإيمان، وقد أشار إلى ذلك يوحنا بقوله (أما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ ... فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم المسحة عينها عن كل شئ وهو حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه)١. يوحنا ٢ : ٢٠، ٢٧.

وقد مارس الرسل هذا السر بوضع الأيدى على المعتمدين لنوال موهبة الروح القدس، وكان وضع الأيدى خاصا بالرسل وحدهم فى صدر الكنيسة (أعمال الرسل ٨ : ١٤ ـ ١٧، ١٩ : ٦). =

٢ ـ سر التوبة أو الاعتراف[(١)].

٣ ـ سر مسحة المرضى أو الزيت المقدس[(٢)].

٤ ـ سر الزيجة[(٣)].

= ولكن لما اتسع نطاق الكرازة وامتد إلى أقاصى الأرض لم يكن فى وسع الرسل أن يطوفوا كل الأقطار لوضع أيديهم على المعتمدين، ومنحهم موهبة الروح القدس ولهذا أرشدهم الروح القدس أن يعوضوا عن وضع الأيدى بالمسح بالميرون فصنعوه وخولوا للقسوس الذين أقاموهم حق مسح المعتمدين به)أ. هـ.

راجع خلاصة الأصوال الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٧، الخلاصة الشهية ص ١٣٨ ، الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٨. والميرون: كلمة يونانية معناها (العطر) أو الطيب.

وهو زيت مقدس أخذوا اسمه من العهد القديم (سفر الخروج ٣٠ : ٣٣ ـ ٢٥).

(١) سر التوبة هو الاعتراف : ويعنى رجوع الخاطئ إلى الله ومصالحته، وذلك باعترافه بجميع خطاياه وزلاته للكاهن الشرعى، ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع فينال غفران خطاياه، ويجب على التائب المعترف بخطاياه أن يندم عليها بقلب منسحق، ويصمم على تركها وعدم العودة إليها، مع إيمانه بأن الله تعالى يغفر له. ويقولون: إن هذه السر منح أولا من السيد المسيح للرسل لقوله لهم (اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت).

يوحنا ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٣ ولقوله أيضا (الحق أقول لكم كل ما تربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء. وكل ما تحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء) متى ١٨ : ١٨ وبحسب اعتقاد الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية انتقل هذا السلطان إلى خلفاء الرسل أى رعاة الكنيسة من أساقفة وقسوس، فهم أداة منظورة فى ممارسة هذا السر الذى يكمله الله نفسه بواسطتهم على وجه غير منظور واستدلوا على ذلك بقول الإنجيل (وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر) (متى ٢٨ : ٢٠) أى مع خلفائهم . أ هـ. راجع خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٨٣، الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٣٤ ـ ١٣٦ الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص ١٤٩.

(٢) سر مسحة المرضى: وهو سر مقدس به ينال المريض نعمة الشفاء من أمراضه الروحية والجسدية بعد أن يمسح الكاهن جسده بزيت مقدس مستمدًا له الشفاء من الله مع إيمان المريض بالشفاء. وقد أشار إلى هذا السر يعقوب فى رسالته (أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب فصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له (يعقوب ٥ : ١٤ ، ١٥) أ هـ . راجع الأصول الإيمانية ص ٨٥، والدين المسيحى ص ١٥٠.

(٣) سر الزيجة: وهو سر مقدس به يرتبط ويتحد الرجل وزوجته اتحادا مقدسا بنعمة الروح القدس لبقاء الجنس البشرى وإيجاد أعضاء مقدسة فى الكنيسة التى هى جسد المسيح، وهذا السر مؤسس من المسيح لقوله (أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدا. إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان) متى ١٩ : ٤ ـ ٦، وقال عنه بولس (إنه سر عظيم) وشبهه باتحاد المسيح بالكنيسة. أفسس ٥ : ٣٢. أهـ. المرجعان السابقان ص ٨٦، ١٥٠.

٥ ـ سر الكهنوت[١].

ولكن الكنيسة الإنجيلية تقصر إيمانها بالفرائض على الفريضتين (المعمودية والعشاء الربانى) على أساس أن الفريضتين تشيران إلى معنى المسيحية ولبها، فالمعمودية ترمز إلى الاغتسال من الخطية والحياة النظيفة المجددة والتى لا يمكن أن تكون لإنسان يعيش فى حياة العالم وأقذاره وأوحاله، والعشاء الربانى يشير إلى الثمن العظيم الذى قدمه المسيح لأجلهم على الصليب إذ بذل حياته من أجل خطاياهم وللتطهير من الآثام والأوزار[٢].

فالمتفق عليه بين الكنائس من الفرائض:

١ ـ فريضة المعمودية.

٢ ـ فريضة العشاء الربانى.

لذلك سنقتصر فى هذه الدراسة على هاتين الفريضتين وسنذكر كل واحدة منهما على حدة، ببيان مدلول كل واحدة منها، ومعناها، وأهميتها، وضرورة ممارستها فى الحياة المسيحية.

أولا ـ المعمودية:

هى الفريضة الأولى من بين أسرار الكنيسة (ويعتبرونها كباب لسائر الأسرار التى يتممونها فى كنيسة المسيح)[٣].

وكلمة (المعمودية) معربة من الكلمة السريانية (معموديتو) ومعناها (الغسل لأجل التطهير) وهى نفس الكلمة المترجمة (غسل) فى (مرقس ٧ : ١ ـ ٥) ولوقا ١١ : ٣٧ ـ ٣٩، وعبرانيين ٩ : ١٠، ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمة (اعتمد) و "عماد"

---

(١) سر الكهنوت: وهو سر مقدس به يصير المسيحى راعيا فى الكنيسة وذلك بوضع أيدى عليه من أساقفة الكنيسة مع الصلاة لكى تحل عليه نعمة الروح القدس وخدماتها الروحية، وقد أسسه السيد المسيح بانتخابه تلاميذه (متى ٤ : ١٨ ـ ٢٢) ثم انتخب السبعين رسولا (لوقا ١٠ : ١) وقد رسم الرسل أنفسهم خداما فى كل كنيسة (أعمال ١٤ : ٢٣) ورسم بولس تيموثاوس وتيطس وغيرهما وقال للأول (لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة) ١ ـ تيموثاوس ٤ : ١٤. المرجعان السابقان ص ٨٨، ١٥١.

(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٤٩.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص ١٨٠.

وغيرها[١] وللفظة (عماد) اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التى توضع على من أقر بإيمانه المسيحى جهارا)[٢].

والمعمودية هى طقس أو شعيرة دينية تجرى للمؤمن بتغطيسه بالماء - أو بالرش - فيعلن بذلك إيمانه وتوبته عن الخطايا والتزامه لعمل إرادة الله[٣].

ولقد أطلق آباء الكنيسة على المعمودية أسماء مختلفة تدل - كما يقولون - فى الواقع على طبيعة البركات التى يحصل عليها المعمد منها وأهمها[٤]:

الولادة الثانية، والمسحة، والاستنارة، والخلاص، والختم، والعطية، إلى غير ذلك من الأسماء اللاهوتية[٥].

المعمودية فى اليهودية[٦]:

اعتقد المسيحيون أن اليهود عرفوا المعمودية واستعملوها وفهم المسيحيون ذلك من الكتاب المقدس[٧].

ففى سفر الخروج (وتُقَدِم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء)[٨].

يقول إلياس مقار: (قبل أن يأمر المسيح بفريضة المعمودية المسيحية كانت المعمودية عند اليهود تمارس فى أكثر من مظهر أو معنى إذ كانت تشير فى المعنى الواسع إلى التطهيرات المختلفة عندهم إذ قيل (وأشياء أخرى تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة)[٩]، ولفظ (غسل) المذكور ههنا هو ذات اللفظ المستعمل لكلمة (عماد) وقيل (وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات

---

(١) عوض سمعان: الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية ص ٥.
(٢) تفسير إنجيل متى ص ٤٢.
(٣) دنيس كلارك: سيرة المسيح وتعاليمه ص ٢٧٦.
(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص ١٨١.
(٥) د/ جورج حبيب: المعمودية ص ٩٤، ٩٥.
(٦) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٠.
(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.
(٨) خروج ٢٩ : ٤.
(٩) مرقس ٧ : ٤.

مختلفة)[١]. والكلمة (غسلات) هى ذات الكلمة المستعملة (للعماد) ومن ثم فالعبارة عند اليهود كانت تشير أساسا إلى التطهير كما جاء من اغتسال هارون وبنيه عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع[٢]) ففى سفر الخروج (وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال. وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء. فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها. عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا. أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقودا للرب. يغسلون إيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا. ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله فى أجيالهم)[٣].

وكما ورد فى سفر اللاويين عن اغتسال النجس (وكل إنسان يأكل ميتة أو فريسة وطنيا كان أو غريبا يغسل ثيابه ويستحم بماء ويبقى نجسا إلى المساء ثم يكون طاهرا وإن لم يغسل ولم يرحض جسده يحمل ذنبه)[٤].

وكانت المعمودية فى المعنى الأخص والأدق الفريضة التى يتحتم على المتهود ممارستها عند إيمانه باليهودية واعتنقاها لها كرمز لتخليصه من كل أدرانه الوثنية التى علقت به كأممى[٥].

ولقد كان النبى (يحيى) يوحنا المعمدان يكرز ويدعو إلى التوبة فى كل المناطق المحيطة بنهر الأردن من الشرق ومن الغرب وكان يحض الناس على ترك خطاياهم وأن يعلنوا ذلك باعتمادهم بالماء لذلك سمى بيوحنا المعمدان[٦]. (راجع إنجيل لوقا الإصحاح الثالث) وكان من الذى تعمدوا على يد يوحنا المعمدان المسيح عيسى بن مريم. يقول لوقا (ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا)[٧].

---

(١) عبرانيين ٩ : ١٠.
(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٠.
(٣) خروج ٣٠ : ١٨ ـ ٢٢.
(٤) لاويين ١٧ : ١٥.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩١.
(٦) سيرة المسيح وتعاليمه ص ٦٣٧.
(٧) لوقا: ٣ : ٢١.

ويقول مرقس (جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن)[١].

فالتعميد عرف بين اليهود بمعنى التطهير، أو علامة على الإيمان باليهودية، أو رمزًا للنقاوة والتطهير والتوبة، وقد انتشرت المعمودية على يد يوحنا المعمدان الذى كان يعمد الكثيرين وكان منهم المسيح عيسى بن مريم، ثم انتقلت المعمودية إلى المسيحية.

يقول الأستاذ أنيس صايغ (ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة فى الكنيسة المسيحية)[٢] ففى إنجيل متى (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)[٣].

ويقول: إن المسيح لم يعمد أحدا. يقول يوحنا: مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه[٤]وكانت أول معمودية مسيحية فى يوم الخمسين بعد أن قبل التلاميذ معمودية الروح القدس والنار)[٥].

ويعتقد النصارى أن المعمودية المسيحية تختلف عن المعمودية اليهودية، وأن معمودية يوحنا المعمدان تشبهها فهى ـ رمز للمعمودية المسيحية وإشارة إلى المسيح الآتى.

جاء فى علم اللاهوت النظامى (ومعمودية يوحنا كانت للتوبة والتطهير استعدادا لمجئ المسيح، وهى تشبه المعمودية المسيحية وتشير إليها فإنها لم تكن كمعمودية الدخلاء المعروفة عند اليهود على ما يرجح بل هى رسم جديد لغاية خاصة فكانت بناء على الإيمان بالمسيح الآتى مقترنة بالتوبة من الخطية)[٦].

ولقد اختلفت وجهات النظر المسيحية حول نوع المعمودية ومعمودية الصغار أو الكبار، وكذلك اختلفوا فى أثر المعمودية.

---

(١) مرقس ١ : ٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٣) متى ٢٨ : ١٩.

(٤) يوحنا ٤ : ٢.

(٥) متى ٣ : ١١، لوقا ٣ : ١٦، أعمال الرسل الإصحاح الثانى (أما معمودية الروح القدس والنار فإنها رمز لانسكاب الروح القدس على الرسل يوم الخمسين (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧).

(٦) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٣.

أولا: نوع المعمودية (بأى صورة تتم):

لقد اختلف المسيحيون حلو نوع المعمودية وهل هى بالتغطيس أو بالسكب أو بالرش؟ اعتادت الكنيسة الإنجيلية رش الماء - وهو رأى الأغلبية [١] - على أن قسما من الإنجيليين بفضل التغطيس بل يحسبه ضروريا للمعمودية الحقيقية) [٢].

ولا تتم المعمودية عند الأقباط الأرثوذكس إلا بالتغطيس فى الماء فى معمودية الكنيسة بواسطة رجال الدين المختصين بذلك ويلزم أن يكون التغطيس ثلاث مرات[٣].

ولقد استدل كل فريق بالكتاب المقدس وأدلة أخرى ليؤيد وجهة نظره.

يقول العلامة أفلاطون مطران موسكو (فالمعمودية عند الأرثوذكس بالتغطيس ثلاث مرات وهم تتم بطريقة قويمة وموافقة للتقليد القديم حسب مدلول اللفظة اليونانية (فابتيزو) ومعناها: صبغ الشئ بتغطيسه بالسائل، وهكذا كان يوحنا يعمد الشعب، وهكذا اعتمد المسيح منه (وللوقت وهو صاعد من الماء) [٤]. وهكذا كان الرسل يعمدون[٥]. ويؤيد هذه الطريقة ما يوجد فى الكنائس القديمة من إجراء للمعمودية[٦].

ويقول كلايد تارتر (المعمودية هى التغطيس بالماء، هذا هو معنى الكلمة اليونانية، والتغطيس هو العمل الوحيد الذى يطابق وصف المعمودية الذى وصل إلينا فى العهد الجديد (فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده. ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس) [٧] إن هذا التعبير يصور لنا التغطيس.

وبولس يصف التغطيس بأنه دفن وقيامة (فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موت نصير أيضا بقيامته) [٨]، [٩].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٦.
(٣) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٢، الدين المسيحى ص ١٤٨.
(٤) مرقس ١ : ١٠.
(٥) أعمال الرسل ٨ : ٣٦: ٣٩.
(٦) الخلاصة الشهية ص ١٢٥.
(٧) أعمال الرسل ٨ : ٣٨ ، ٣٩.
(٨) رومية ٦ : ٥، ٤.
(٩) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ١٥١.

هذا هو قول الأرثوذكس فى المعمودية بأنها لا تكون إلا بالتغطيس وذلك بسبب أن الكلمة اليونانية للمعمودية تعنى التغطيس، وكذلك لأن المسيح عمده يوحنا بالتغطيس، وكذلك الرسل والكنيسة المسيحية الأولى عمدت بالتغطيس، هذا إلى جانب الفقرات التى وردت فى الكتاب المقدس الدالة على ذلك.

هو قول الأرثوذكس لكن غيرهم يقولون إن التعميد يتم بالرش أو السكب.

يقول: وليمسن (يصر المعمدانيون على أن تغطيس الجسم لابد منه للمعمودية ولكن أصول الإيمان يقول إنه لا يلزم شئ أكثر من الغسل بالماء سواء كان ماء قليلا (كما فى حالة الرش أو السكب)أو ماء كثيرا (كما فى حالة التغطيس) ويؤكد صحة ما يقوله أصول الإيمان الحقائق الآتية:

(١) لا يوجد فى الكتاب حاله واحدة للمعمودية قيل إنها تمت بالتغطيس، ولسنا نقصد بذلك أن نقول إنه يمكن إثبات أن التغطيس لم يستعمل قط، فمن المحتمل أن يكون قد تم فى بعض الحالات، ومن المحتمل أيضا أنه لم يتم ولكن لا يمكن إثبات أنه تم ولو فى حالة واحدة، ومن هذا نستنتج أن الله لم يأمر أن تكون المعمودية بالتغطيس.

(٢) توجد حالات يمكن أن يثبت فيها أن المعمودية لم تكن بالتغطيس نذكر منها ما جاء فى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس إذ يقول (إن الإسرائيليين فى زمن موسى جميعهم اعتمدوا) [١] كما يقول (جميعهم اجتازوا فى البحر عددا)[٢]. ومع ذلك فإننا نعرف من سفر الخروج أنه ولا إسرائيلى واحد غطس فى الماء ولكن المصريين هم الذين غطسوا[٣]. وهكذا نرى أن التغطيس لم يكن معمودية (للمصريين) وأن المعمودية لم تكن تغطيسا للإسرائيليين وهذا برهان على أنه لا لزوم على أن تكون المعمودية بالتغطيس.

---

(١) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ٢.

(٢) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ١

(٣) خروج ١٤ : ٢٢ ـ ٢٨.

(٣) وأخيرا نلاحظ أن معمودية الروح القدس كما فى سفر أعمال الرسل[١] كانت بالسكب، فقد انسكب الروح القدس على التلاميذ، أى أنهم لم يغطسوا فى الروح وهذا أمر هام، لأن المعمودية بالماء تشبه بهذه المعمودية فى إنجيل متى[٢]. فإذا كانت المعمودية العظمى بالسكب فمن المؤكد أن تكون المعمودية الصغرى بالسكب أيضا)[٣].

هذا إلى جانب أدلة أخرى ذكرها هؤلاء الذين يؤمنون بأن المعمودية لا تلزم أن تكون بالتغطيس. جاء فى علم اللاهوت النظامى (أما كون التغطيس ليس أمرا ضروريا فى المعمودية فيتضح من جملة أدلة:

١ - إن اللفظة الأصلية اليونانية للعماد ليست غالبا بمعنى التغطيس، بل يعنى الغسل لأجل التطهير بدون تعيين الكيفية، فقيل فى إنجيل متى(فإنهم لايغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا)[٤]. وكذلك أيضا فى بعض فقرات إنجيل مرقس ولوقا[٥]، فلفظة (يغسلون) فى بعض هذه الفقرات هى فى الأصل اليونانى ذات اللفظة المستعملة للعماد فقيل فى إنجيل مرقس (إن اليهود اعتادوا غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة)[٦] والغسل فيه ترجمة اللفظة المعبر بها عن العماد وهذه الغسلات لم تكن فى العهد القديم بالتغطيس غالبا بل بالسكب كما جرت العادة فى كل مكان، وقيل فى الرسالة إلى العبرانيين (وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة)[٧].

وهنا كذلك استعملت تلك اللفظة عينها فاتضح أنها ليست مخصصة بالتغطيس بل الغسل سكبا كان أو تغطيسا، واستعملت كذلك للإشارة إلى العماد بالروح القدس[٨] وفى هذا المقام لا يصح معنى التغطيس.

---

(١) أعمال الرسل١ : ٥، ٨، ٢: ١٧.
(٢) متى ٣ : ١١.
(٣) تفسير أصول الإيمان جـ٢ ص ١٣٠ ، ١٣١.
(٤) متى ١٥ : ٢.
(٥) مرقس ٧ : ١ - ٥ لوقا ١١ : ٣٧ - ٣٩.
(٦) مرقس ٧ : ٤ ، ٨.
(٧) عبرانيين ٩ : ١٠.
(٨) متى ٣ : ١١، مرقس ١ : ٨، لوقا ٣ : ١٦ يوحنا ١ : ٣٣، أعمال ١ : ٥، ١١ :٦.

٢ - إن ذكر إجراء العماد فى العهد الجديد لا يشير إلى أن التغطيس هو الكيفية الوحيدة كما اتضح فى الأقوال فى معمودية يوحنا[١]، وكذلك معمودية الخصى على يد فيلبس[٢] ومعمودية ثلاثة آلاف شخص فى يوم واحد[٣]، ومعمودية بولس[٤].

ومن ذلك قوله (فقال حنانيا لبولس قم واعتمد واغسل خطاياك) (وقام بولس واعتمد) فليس من قول يدل ضرورة على تغطيسه، ولم يكن لزوم فى تلك المعموديات لبركة أو نهر أو ماء يغمر الإنسان، والأرجح أن برك الماء لم تكن فى البيوت والسجون وفى كل الأماكن التى جرى فيها ما ذكر من العماد.

وعلى ذلك الإنجيليون لا يقولون إن التغطيس ضرورى ولا يعترضون عليه بل يحسبون الرش أو السكب والتغطيس بمنزله واحدة على أن الرش مستحسن[٥].

ومع كثرة الأدلة التى أوردها الإنجيليون على أن التغطيس ليس ضروريا إلا أن غاية المعمودية - كما سنبين - فى المسيحية تؤكد أنها يجب أن تكون بالتغطيس فهم يعتقدون أن لها دورا، فى غسل الإنسان من خطاياه أو هى رمز إلى غسل الإنسان من خطاياه.

والمعروف أن خطايا الإنسان لا تقتصر على جزء واحد من جسده بل هى تشمل جميع أجزاء جسده، فإذا كان كذلك فلابد أن تكون المعمودية لغسل جميع أجزاء الجسم وذلك لا يتم إلا بالتغطيس الذى يشمل جميع أجزاء الجسم هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى: فإن قولهم فى المسيح بصلبه وقيامته من الأموات لهو أكبر دليل على التغطيس، فإن المسيح - على حسب اعتقادهم - دفن ثم قام، فبالدفن دفن ذنوب البشر، وبالقيامة انتصر على الموت وهيأ للإنسان طريق الحياة الأبدية. كذلك فإن التغطيس دفن للذنوب - أو رمز - مع القيامة بجسد طاهر خال من الذنوب.

---

(١) متى ٣ : ٥ : ٦ مرقس ١ : ٥، لوقا ٣ : ٦ - ٢١.
(٢) أعمال ٨ : ٢٦ - ٣٩.
(٣) أعمال ٩ : ١٧ ، ١٨، ٢٢: ١٢ - ١٦.
(٤) أعمال ٢ : ٣٨ - ٤١.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٧.

إننا لا نرجح رأيا على رأى ولكن نناقش بما يقتضيه البحث العلمى.

وعموم القول فإن اختلاف المسيحيين فى نوع المعمودية له أثر كبير فى أقوالهم فيما بعد حول غاية المعمودية.

ثانيا: معمودية الصغار أو الكبار:

ولقد اختلف المسيحيون أيضا حول معمودية الصغار أو الكبار

قال بعض المسيحيين: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن الاعتماد للمؤمنين فقط، أى الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغو سن الرشد بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة.

إلا أن أغلبية المسيحيين تعتبر معمودية الصغار واجبة ماداموا أطفالا لمؤمنين [١]. وهؤلاء الذين يقولون بلزوم معمودية الصغير يعللون ذلك بقولهم: تجب معمودية الطفل ليس لأن الطفل يهلك بدون المعمودية، بل لأنه مولود ضمن الكنيسة المسيحية وعضو من أعضائها ولأن الرسل عمدوا بيوتا بكمالها [٢]، وكما أن الأطفال فى العهد القديم كانوا من أهل الكنيسة وختنوا، هكذا فى العهد الجديد يعمدون لأنهم من أعضاء الكنيسة بناء على عضوية والديهم لأن الكنيسة تتضمن المؤمنين وأولادهم [٣]. فالأطفال يعمدون لأنهم من أعضاء الكنيسة ـ باعتبار عضوية آبائهم ـ ويجب على أعضاء الكنيسة أن يكونوا معمدين.

وكذلك لأن المعمودية حلت محل الختان الذى كان فى العهد القديم، والختان كان للصغار والكبار [٤]. هذا هو تعليل الإنجيليين للقول بوجوب تعميد الصغار.

ويجب أن نقف عند القول بأن المعمودية حلت محل الختان، ذلك أن المسيح رأس الديانة قد اختتن (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى) لوقا ٢ : ٢١ وكذلك أيضا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٢) أعمال الرسل ١٦ : ١٥ ، ٣٣، ١٨ : ٨ ، ١١.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧٧ ، تفسير أصول الإيمان جـ٢ ص ١٣٠.

(٤) راجع فى ذلك: قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٦ ، ٤٩٧.

تعمد المسيح على يد يوحنا (٣ : ١٣ ـ ١٧) (مرقس ١ : ٩ ـ ١١) لوقا ٣ : ٢١ ، ٢٢) فالمسيح اختتن وتعمد مما يدل على أن كلا منهما لا يجزأ عن الآخر.

لأنه لو كان التعميد يجزئ عن الختان لبين ذلك المسيح لتلاميذه ولمنعهم من الختان ولكنه لم يفعل مما يدل أن الاثنين لازمان وأن المعمودية لم تحل محل الختان.

وللأرثوذكس تعليل آخر هام للزوم معمودية الصغار وهو أن الأطفال يعمدون لأنهم يولدون بالخطية. يقول أفلاطون مطران موسكو (المعمودية إذن ضرورية للأطفال أنفسهم لأنهم هم يولدون مشتركين بالخطية الجدية)[١]. ويلزم على هذا التعليل: هلاك الصغار۔ لأنهم يولدون بالخطية ـ حيث إنهم لم يؤمنوا وما داموا كذلك فإنهم هالكون لا محالة لأن النجاة مرتبطة بالإيمان وذلك بدليل قول الكتاب المقدس (من لم يؤمن يدن)[٢] (وبغير إيمان لا يستطيع أحد أن يرضى)[٣] هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإنهم لم ينالوا حق التكفير عن الخطية حتى يستحقوا النجاة. وهذا مخالف لما جاء فى الكتاب المقدس عن الصغار فإنه يبين أن لهم منزلة عليا عند الله سبحانه وتعالى.

ففى إنجيل متى (انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات)[٤]. وفيه أيضا (هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار)[٥].

(دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات)[٦].

ولكن بعض المذاهب المسيحية وقفت ضد القول بوجوب تعميد الأطفال بدعوى أن الأساس فى المعمودية أنها رمز يشير إلى حقيقة وما لم تثبت الحقيقة فلا يصح

---

(١) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ١٢٧.
(٢) مرقس ١٦ : ١٦.
(٣) عبرانيين: ١١ : ٦.
(٤) متى ١٨ : ١٠.
(٥) متى ١٨ : ١٤.
(٦) متى ١٩ : ١٤.

الإشارة إليها برمز، كما قالوا إن المعمودية تلحق الإيمان لا العكس، إذ جاء قول السيد (من آمن واعتمد خلص) [١]، وأضافوا أن الخصى الحبشى [٢]، وليديا [٣]، وسجان فيلبى [٤]، وغيرهم عمدوا بعد قبول الإيمان. وعليه فلا يجوز معمودية الصغار ممن لم يدركوا بعد الإيمان المسيحى والولادة الجديدة [٥].

أما أقوالهم فى الأطفال الذين يموتون بدون معمودية ـ أى الذين لم يبلغوا سن الرشد فى المسائل الأدبية ولم يدخلوا فى حال المسئولية من جهة أفعالهم تحت الشريعة الإلهية أى قبل ارتكابهم خطايا شخصية فعلية تستحق حكم الشريعة عليهم بالدينونة والقصاص ـ فإنهم يخلصون لا محالة ولهم نصيب مبارك فى فوائد الفداء بواسطة كفارة المسيح المحسوبة لهم رأسا برحمة الله وجوده [٦].

ويلزم على هذا القول ـ أن الأطفال لا يولدون بالخطيئة الموروثة، ذلك أنه إذا كان هؤلاء الصغار يخلصون لا محالة وأنهم لا يهلكون فإن معنى ذلك أنهم لا يولدون بالخطيئة الأصلية ـ خطيئة آدم ـ وإلا لهلكوا لأنهم لم يؤمنوا بالمسيح الذى به خلاصهم من الخطية الأصلية، وما دام الأطفال لا يولدون بها فقد هدموا أساس عقيدتهم فى الخلاص وهو الخطية الأصلية التى بسببها ورث الإنسان الطبيعة الفاسدة التى يولد بها والتى ورثها من آدم.

ومثل هذا الاعتراض هو الذى جعلهم يقللون من فاعلية الخطية الأصلية فى هلاك النفس فيقولون (ولكن لابد من تمييز الخطية الأصلية عن الخطيئة الفعلية المرتكبة بالاختيار، فالخطية الأصلية وحدها لا تسبب هلاك النفس لكون نصيب الفداء بكفارة المسيح ينسب رأسا إلى الأطفال لأجل خلاصهم من الخطية الأصلية بدون لزوم إجراء سر المعمودية) [٧].

---

(١) مرقس ١٦ : ١٦.
(٢) أعمال ٨ : ٢٦ ـ ٣٩.
(٣) أعمال ١٦ : ١٤، ١٥.
(٤) أعمال ١٦ : ٢٣.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٩٦.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٨٥.
(٧) المرجع السابق ص ١٠٨٦.

غاية المعمودية وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى

اختلف المسيحيون حول غاية المعمودية

فالإنجيليون يعلمون أن غاية المعمودية: إدخال المعمود إلى الكنيسة الظاهرة وهى مع ذلك رمز وختم لعهد النعمة وإشارة إلى تطعيم المعمود فى المسيح وتجديد ومغفرة خطاياه وتسليمه إلى الله بيسوع المسيح ليسلك فى جدة الحياة.

وكون هذا السر رمزا أو إشارة وختما يتضمن أنه ليس المرموز إليه أى أنه إشارة إلى حقيقة لا هو الحقيقة عينها، فالمعمودية علامة خارجية لحقيقة داخلية وهى فعل النعمة الإلهية فى قلب المعمود، على أن تلك الحقيقة الداخلية لا تتوقف على المعمودية الخارجية ولا تتم بواسطتها بل تسبقها وإتمام الحقيقة الداخلية تجيز إتمام الحقيقة الخارجية[١].

فالمعمودية ـ عندهم ـ ترمز إلى الإيمان بيسوع المخلص، فهى علامة خارجية للحقيقة الداخلية وهى الإيمان فى قلب المعمود الذى يسبق المعمودية.

وعلى هذا القول (فإن النفس لا تتجدد بالمعمودية لأن التجديد عمل الروح القدس داخلا لا عمل الماء المرشوش خارجا)[٢]. فالغرض من المعمودية فى نظر الإنجيليين أنها علامة ظاهرية على دخول المعمود إلى الكنيسة أو أن العرض من ممارستها هو (إشهار الإيمان بالمسيح)[٣]. وهى برغم ذلك رمز أو إشارة إلى ما تحدثه النعمة الإلهية من خلاص للإنسان وتجديد النفس لا أنها هى التى تحدث هذا الخلاص وهذا التجديد فهى علامة خارجية للحقيقة الداخلية التى تحدث نتيجة للإيمان بيسوع.

بينما تبين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية: أن المعمودية شركة حقيقة مع المسيح فالإنسان الذى يغطس تماما تحت سطح الماء يشبه إنسانا مات مع المسيح. وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح فهو يخرج إنسانا جديدا لحياة

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧٨.

(٣) الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية ص ٥.

جديدة) [١]. فالمعمودية: موت، دفن، قيامة مع المسيح إلى حياة جديدة[٢]. هذا بجانب أن التعميد فى نظرهم: يمحو الخطيئة ويمحو لدى البالغ الخطايا الشخصية ويفى ما يتوجب عليه من ديون ويحدث فيهم الموت عن الخطيئة[٣]. ويقولون إن الطريقة المألوفة التى رسمها الله للولادة الروحية ولنوال الفداء هى العماد[٤].

وقد لخص القس إنسطاسى شفيق نتائج المعمودية الغير منظورة والمتعلقة بالفداء فقال هى: أولا: الولادة الجديدة: فى اللحظة التى فيها يتم التعميد وينطق خادم السر دعاء العماد باسم الآب والابن والروح القدس فى تلك اللحظة نفسها تفعل النعمة الإلهية فعلها الغير منظورة فى طبيعة المعتمد كلها فتعيد ولادته وتجدد خلقته حسب شهادة المسيح فى خطابه مع نيقوديموس (الحق الحق أقول لكم إن لم يولد أحد من الماء والروح فلا يستطيع أن يدخل ملكوت الله) [٥].

ثانيا: المعمودية المقدسة تنقى المعتمد من كل خطية وتبرره وتقدسه. ثم يقول عن هذه النتيجة (فبولادتنا من الروح القدس فى السر نصير روحا وننقى من خطيئة أجدادنا ومن كل دنس جسدى، وهكذا نستحق دخول ملكوت الله (توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا)[٦]. ثم إن المعمودية لا تنقى دنس الجسد فقط بل أدناس الضمير أيضا لأجل الله كما يقول بطرس (الذى المرموز إليه به يخلصنا نحن أيضا أى المعمودية المراد بها لا إزالة القذر من الجسد بل سؤال ضمير لدى الله بقيامة يسوع المسيح) [٧].

فالمعمودية إذن تغسل المعتمد وتقدسه وتبرره أعنى تنقيه من جميع خطاياه من الخطية الجدية وتجعله بارًا وقديسًا.

---

(١) تفسير سفر أعمال الرسل ص ١١٤، سر التدبير الإلهى ص ٨٢.
(٢) د/جورج حبيب: المعمودية ص ٢٩ .
(٣) المسيح حياة النفس ص ٢٠٤.
(٤) المرجع السابق ص ٨٣، ١٨٦.
(٥) يوحنا ٣ : ٥.
(٦) أعمال ٢ : ٣٨.
(٧) ١ـ بطرس ٣ : ٢١.

ثالثا: المعمودية تهب الإنسان روح البنوة لله: فهى تجعل الإنسان ابنا لله وعضوا فى جسد المسيح كما يقول بولس (لأنكم جميعكم أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح لأنكم أنتم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح لأنكم جمعيكم واحد بيسوع المسيح)[١]. وفى موضع آخر يقول (لأننا جميعا بروح واحد أيضا اعتمدنا لجسد واحد يهودًا كنا أم يونانيين عبيدا أم أحرارا وجميعا سقينا روحا واحدا)[٢].

رابعا: المعمودية تعتقنا من خطايانا الأبدية وتجعلنا وارثى الحياة (من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن)[٣].

ويقول بولس (خلصنا هو لا اعتبار لأعمال بر عملناها بل بمقتضى رحمته بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه علينا بكثرة بيسوع المسيح مخلصنا لكى نبرر بنعمته فنصير ورثة على حسب رجاء الحياة الأبدية)[٤]،[٥].

ثم يقول (فنتائج النعمة إذن فى سر المعمودية هى الولادة الثانية والتبرير والتبنى والملكوت وهذه النتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا لا ينفك، لأن النعمة الإلهية إذ تعيد ولادة الإنسان بالمعمودية تنقيه من كل خطيئة مبررة مقدسة إياها وإذ تنقيه من الخطايا تخلصه من عواقبها الأبدية وإذ تبرره أمام الله وتقدسه تجعله ابنا لله وعضوا فى جسد يسوع ووارثا للحياة الأبدية وواضح أن كل البركات والمواهب المعطاة لنا من قبل الفداء نجد ذكرها هنا بالمعمودية)[٦]. فالمعمودية تمنح الإنسان النعمة والخلاص والتجديد.

وهكذا اختلفت الكنائس حول غاية المعمودية.

فالبعض يرى أنها رمز وإشارة للحقيقة الداخلية التى تحدثها النعمة الإلهية نتيجة للإيمان.

---

(١) غلاطية ٣ : ٧، ٢٦.

(٢) ١ ـ كورنثوس ١٢ : ١٣.

(٣) مرقس ١٦ : ١٦.

(٤) تيطس ٥ : ٣ ـ ٧.

(٥) الفداء فى إنجيل لوقا ص ٢٧٠.

(٦) المرجع السابق ص ٢٧١.

والبعض الآخر يرى أنها هى التى تحدث التجديد والمغفرة.

وعلى كلا الرأيين نجد أهميتها بالنسبة للخلاص.

فعلى الرأى الأول أنها إشارة إلى عمل الفداء والخلاص.

وعلى الرأى الثانى أنها هى التى تحدث الخلاص.

العشاء الربانى

والعشاء الربانى هو سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبز وخمر وقبولهما حسبما رسم السيد المسيح[(١)]،

يقول لوقا (وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكرى وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم)[(٢)].

يقول كلايد تارنر ـ عن هذه الفريضة ـ إنها فريضة أسسها المسيح فى العلية قبل موته على الصليب مباشرة وأمر بممارستها[(٣)].

ولقد وردت هذه الفريضة بأسماء متنوعة فى الكتاب المقدس:

١ ـ عشاء الرب أو العشاء الربانى وهو الأهم وسمى عشاء الرب لأن الرب يسوع ـ كما يقولون ـ وضعه عند العشاء[(٤)].

٢ ـ كأس البركة وسمى[(٥)] كذلك لأن المسيح بارك الخبز أيضا[(٦)].

٣ ـ مائدة الرب وكأس الرب[(٧)]. والمراد بالمائدة هنا الطعام الموضوع عليها مجازا.

٤ ـ شركة جسد المسيح ودمه[(٨)]. وذلك لأنه بواسطة الخبز والخمر يشترك المؤمن ـ كما يقولون ـ فى جسد المسيح ودمه.

---

(١) تفسير أصول الإيمان جـ٢ ص ١٣٧.
(٢) لوقا ٢٢ : ١٩،٢٠
(٣) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص ١٥٣.
(٤) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ١٦.
(٥) ١ ـ كورنثوس ١٠ـ١٦.
(٦) متى ٢٦ : ٢٦.
(٧) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ٢١.
(٨) ١ ـ كورنثوس ١٠ : ١٦.

٥ ـ كسر الخبز [١] ويراد بذلك السر بجملته مجازا [٢].

وقد ورد فى تاريخ الكنيسة لهذا السر أسماء أخرى منها:

١ ـ الأفخارستيا أى الشكر والإشارة بهذا إلى كون خدمة الشكر فهو كأس الشكر كما أن كأس البركة.

٢ ـ الاجتماع لأن ممارسة ذلك الطقس كانت فى الاجتماع الجمهورى مع حضور المسيح.

٣ ـ الليتورجيا أى الخدمة وأريد بها الإشارة إلى الخدمة المقدسة فى إفراز العناصر وسموا هذا مؤخرا فى اللغة العربية بلفظة القداس وشاع ذلك بين الطوائف النصرانية.

٤ ـ التقدمة ولم يريدوا بذلك أن العشاء الربانى ذبيحة كفارية بل سموه بذلك لاقترانه بجميع الحسنات ولأنه تذكار لتقدمة المسيح على الصليب.

٥ ـ إفلوجيا أى البركة.

٦ ـ السر لأنه إشارة سرية إلى موت المسيح وفوائده للمؤمنين.

٧ ـ المسا أو المس وهو الاسم المستعمل فى الكنيسة اللاتينية وأصله على ما يظن قول الخادم الكنسى حين نهاية الاجتماع فى اللغة اللاتينية (أتى مسيا أست) ومعناه اذهب قد صار الانصراف.

وأنسب العبارات للإشارة إلى هذا السر فى كلام الإنجيليين عشاء الرب أو العشاء الربانى ومائدة الرب وكسر الخبز [٣]. بينما أنسب العبارات بالنسبة للكاثوليك الأفخارسيتا [٤].

العناصر التى تستعمل فى العشاء الربانى

يستعمل العشاء الربانى ـ كما يقون ـ بتعيين السيد: الخبز والخمر، ذلك لأنهما مادتان بسيطتان تشيران إلى جسد المسيح ودمه [٥]. يقول متى (وفيما هم يأكلون أخذ

(١) أعمال ٢ : ٤٢.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٩٠.
(٣) المصدر السابق ص ١٠٩١.
(٤) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٥.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٩٢.

يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا جسدى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا)[١].

ولقد اختلفت الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية حول استعمال الفطير فى العشاء الربانى بدل الخبز، ونشأت بينهما منازعة شديدة حول هذا الموضوع فى القرن الحادى عشر.

فالكنيسة الشرقية رفضت استعمال الفطير لأنه حسب عندها من العوائد اليهودية التى ليسوا هم ملتزمين بها بعد. أما الكنيسة الغربية فقد حكمت بمناسبة استعماله ـ الفطير ـ بل بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله باعتبار قانون الكنيسة، غير أن استعمال خبز الخمير يجوز، بمعنى أن ذلك لا يفسد السر.

ولم يزل كل منهما متمسكا باعتقاده القديم إلى هذا اليوم[٢].

والخمر المستعمل فى هذا السر هو عصير العنب المختمر فى الحالة التى يستعمل فيها والتى يعرف فيها أنه خمر[٣].

معنى تناول العشاء الربانى، أو فاعلية تناوله

اشتهر فى تاريخ الكنيسة فى هذه المسألة أربعة أقوال:

الأول: تعليم زونيكلى (أوزونجلى) وقد تبعه الأرمينيون والسوسينيون وهو: أن العشاء الربانى مجرد علامة محسوسة تشير إلى موت المسيح بدون أن يكون فيه أدنى فاعلية فى حد ذاته ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسديا ولا روحيا ولذلك لايحسب عشاء الرب من وسائط النعمة بل إنما هو تذكار لموت المسيح وشهادة الإيمان المشترك)[٤]. فأهم ما فى هذا التعليم أنه يرفض رفضا باتا حضور المسيح سواء بطريقة حقيقية أو بطريقة روحية، ويعتبر العشاء الربانى مجرد ذكرى

---

(١) متى ٢٦: ٢٦ ـ ٢٨.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١٠٩٢.
(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة، الخلاصة الشهية ص ١٣١.
(٤) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠١.

لحادثة صلب المسيح وقيامته. يقول د/حنا جرجس الخضرى عن هذا التعليم (إن ممارسة العشاء الربانى تعنى بالنسبة للمصلح السويسرى ذكرى لموت المسيح وقيامته، فإن زوينكلى وأتباعه لا يرون فى العشاء الربانى إلا مجرد ذكرى فإن الخبز المكسور والخمر المصبوب يذكران بموت المسيح الذى قدم نفسه من أجلنا وفى كل مرة يجتمع الأخوة لممارسة هذه الفريضة يتذكرون هذه الحادثة التاريخية العظيمة وينادون بها) [(١)]. ويقول القس إلياس مقار (وتقوم نظرية زونيكلى على أن العشاء الربانى ليس إلا مجرد ذكرى تبين ذلك من قول المسيح (اصنعوا هذا لذكرى)[(٢)] وعندما اختلف لوثر وزونيكلى فى الأمر. قال لوثر: كيف يمكن أن يتفق هذا مع قول المسيح (هذا هو جسدى) [(٣)]. أجاب زوينكلى أن التعبير هنا ضرب من المجاز كقول المسيح أيضا ليوحنا عن العذراء (هو ذا أمك) [(٤)]. ومن ثم فالعشاء عند زوينكلى مجرد علامة ليس لها أدنى فاعلية ذاتية وخالية من حضور المسيح المصاحب لها روحيا أو جسديا على الإطلاق وهو لهذا لا يمكن أن يكون من وسائط النعمة[(٥)]. فالعشاء الربانى بناءً على هذا التعليم مجرد ذكرى لصلب المسيح وقيامته وليس من وسائط النعمة التى ينالها الإنسان بالإيمان بيسوع.

الثانى: تعليم مارتن لوثر وهو: أن جسد المسيح فى ذلك العشاء لا بمعنى أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسده ودمه بل أن المسيح يحضر جسديا ويصاحب العناصر ويرافقها على منوال سرى حتى يقبل المشترك المسيح فعلا بمعنى سرى حين قبوله الخبز والخمر اللذين لا يزالان فى حد ذاتهما خبزا وخمرا وعلى ذلك يكون لعشاء الرب فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى فى كل من يقبله، غير أن فاعليته وإن كانت ذاتية فيه تتوقف على إيمان المشترك، بمعنى أن عدم الإيمان مانع لفاعلية

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٣١.
(٢) لوقا ٢٢ : ١١.
(٣) لوقا ٢٢ : ١٩، متى ٢٦ : ٢٦، مرقس ١٤: ٢٢.
(٤) يوحنا ١٩ : ٣٦.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٠٦.

السر. ويوضحون معنى تعليمهم هذا بقولهم(إن النار لا تفعل فى الحطب إلا إذا كان جافا على أن جفاف الحطب لا يعطى النار قوتها، وقولهم إن الامرأة التى مست ثوب المسيح لولا إيمانها لم تستفد، على أن قوة المسيح على الشفاء لم تتوقف على إيمان تلك المرأة. والحاصل أن عندهم لعشاء الرب قوة ذاتية وفاعلية حالة فيه غير أن المشترك لا يستفيد من ذلك إلا بواسطة الإيمان) [١].

فواضح من هذا التعليم أنه يعلم حلول المسيح جسديا بمعنى سرى فى الخبز والخمر.

يقول لوثر (بما أنه لا توجد نصوص كتابية تقول بأن الخبز ليس جسد المسيح يجب علينا إذن قبول كلام السيد بطريقة بسيطة كما نطق به، فلا يجب إذن تغيير هذا الكلام بل قبول حقيقة أن الخبز هو جسد المسيح) ويواصل كلامه فيقول: إننى واثق تماما بأن الله لا يكذب وبما أن كلمته تعرفنا بأن جسد ودم يسوع موجودان فى هذا السر فيجب تصديقها.

وفى معاهدة سنة ١٥٢٧م يقول لوثر: إن كلمات السيد (هذا هو جسدى) كلمات صحيحة لأنها تبرهن على أن يسوع يريد أن يثبت بطريقة واضحة وصريحة عندما قدم الخبز أنه أعطى جسده للأكل، وعلى هذا الأساس فنحن نؤمن ونعترف بأننا نأكل ونشرب بطريقة حقيقية وحرفيه جسد المسيح فى أثناء تناول العشاء الربانى [٢].

ومن هذه الاقتباسات يتبين أن لوثر كان يؤمن إيمانا ثابتا بحضور جسد المسيح الحقيقى فى الخبز والخمر وهذا الحضور ليس حضورا روحيا بل حضورا روحيا حقيقى وفعلى [٣].

وواضح أن لوثر وقف فى الوسط بين (الذكرى) و (الاستحالة)فهو يرفض أن يكون العشاء الربانى مجرد ذكرى، كما يأبى أن يقبل تحول هذا العشاء فعلا وحسًا إلى جسد الرب ودمه" [٤].

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠١.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٧.
(٣) نفس المرجع، ونفس الصفحة.
(٤) قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٠٦.

وواضح من تعليم لوثر أيضا أن للعشاء الربانى فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى بمعنى أن له أثرا. وهذا التعليم عجيب وغريب: فمن يستطيع فهمه؟ فهل الخبز خبزا أم جسد المسيح؟

وهل الخمر خمرا أم دم المسيح؟ وما معنى حلول المسيح فى الخمر والخبز؟ إن هذا لغريب وعجيب لا يستطيع عقل أن يفهمه ويفسره.

الثالث: تعليم الكنيسة الكاثوليكية - وتشاركها فى نفس التعليم مع اختلاف بسيط الكنيسة الأرثوذكسية[١] -. وهو: أن فى عشاء الرب نعمة ذاتية لا إشارة إليها وأنه واسطة فعالة فى إيصال النعمة إلى قلوب المشتركين (فعلا مفعولا) وأن نوال الفائدة لا يتوقف على إيمان المشترك بل إنما يقتضى عدم مقاومته لذلك الفعل وأنه يجب على الخادم الذى ينال السر أن يكون ذا سلطان من قبل الكنيسة وأن - يكون قصده قصدها فى ممارسة السر، ومرادهم بتضمن الأسرار النعمة هو أن لها فى نفسها قوة ذاتية على تطهير الذين تعمل لهم، وأن قوتها فى الدين تشبه قوة المواد الطبيعية فى الطبيعة أو قوة النار على الإحراق، فكما أن النار تشتعل لأن الله جعل فيها قوة على الاشتعال كذلك الأسرار توصل النعمة لأن الله جعل فيها قوة على ذلك وهى معينة لهذه الغاية، وقيل إن الأسرار تتضمن النعمة لأنها تمنحها من قوتها الذاتية، ويراد بهذا القول نسبة فاعليتها إلى قوة حالة فيها لا إلى فعل الروح القدس المستقل المقارن استعمال الأسرار.

(والكنيسة البابوية تعتبر عشاب الرب من وجه واحد أنه سر ومن وجه آخر أنه ذبيحة، أما باعتبار أنه سر فله قوة ذاتية حتى أن كل من يقبله بلا مقاومة لفاعليته يتغذى تغذيا روحيا ويتقدس بقبوله نفس جسد المسيح ودمه طعاما وشرابا.

وأما باعتبار أنه ذبيحة فهو تكرار ذبيحة المسيح بتقديم جسده ودمه كفارة عن الخطيئة)[٢].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٦.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠٣.

فالكنيسة الكاثوليكية تعتبر أن العشاء الربانى يمنح صاحبه التطهير وذلك بقوته الذاتية ذلك أنهم يعتقدون أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقى وإلى دمه الحقيقى بعد أن ينطق الكاهن بالعبارات الخاصة بالاستحالة فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزا وخمرا قبل الصلاة التى تدعى الصلاة الجوهرية تحولا بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح(دمه ولحمه) وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة[١].

"وعقيدة الاستحالة لا تعنى أن يسوع حاضر بطريقة ما فى هذا الخبز وهذا الخمر ولا تعنى أيضا أن يسوع حاضر بطريقة حقيقية واضحة وفعليه فقط فى الخبز والخمر، بل إن هذا الخبز وهذا الخمر قد تحولا فعليا وحرفيا إلى جسد المسيح، فجسد المسيح كله حل محل هذا الخبز، وهذا الخمر، فبعد أن ينطق الكاهن بالكمات الجوهرية لا يعد الخبز خبزا والخمر خمرا بل إن هاتين المادتين أصبحتا فعلا وعملا جسد المسيح يسوع[٢].

فالعشاء الربانى يمنح متناوله النعمة والتطهير بقوة ذاتية فى العشاء الربانى وذلك بناء على قولهم إن الأسرار تمنح المؤمنين نعمة الخلاص.

فالعشاء الربانى فى نظرهم له فاعلية ذاتية وهو قول ناتج عن القول بالاستحالة التى معناها تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه تحولا حقيقيا وفعليا. والمرء ينال النعمة لأنه قبل جسد المسيح ودمه طعاما وشرابا بعد أن تحول الخبز والخمر تحولا حقيقيا وحرفيا إلى جسد المسيح ودمه.

وذلك أمر غريب فى العقل لا يستطيع أن يستسيغه أحد بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغه قط

إذ كيف يتحول الخبز لحما؟ وكيف يصير لحم شخص معين معروف؟ وكيف تتحول الخمر دما؟ وتصير دم شخص معين؟ ذلك غريب بل مستحيل التصور والقبول فى العقل!![٣].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٦.
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٢٠٤.

الرابع: تعليم كلفن وهو تعليم الكنيسة الإنجيلية وهو [١]:

أن فاعلية العشاء الربانى ليست فيه بالذات بل بواسطة الروح القدس يرافقه ويوصل فوائده إلى قلب المؤمن، فالروح القدس هو الذى يجعل ذلك السر المكرم واسطة لاتحاد المؤمن بالمسيح اتحادا روحيا بالإيمان، وعلى هذا تكون للعشاء الربانى فاعلية روحية عظيمة فى بنيان المشتركين وتقوية اتحادهم بالمسيح وتحريك عواطفهم وملئهم بالقداسة والتقوى، وفاعلية السر متوقفة على حضور المسيح روحيا وبركته على المشتركين وعلى فعل الروح القدس فى إتمام غاية السر الروحية، فعلى متناول السر أن يقبله بالإيمان بإحساسات التواضع والشكر والمحبة القلبية وإلا فليس له شركة فيه، والإنجيليون يرفضون قول البابويين بأن العشاء الربانى فعال فى ذاته وأن العنصرين يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه حقيقة، وكذلك يرفضون قول اللوثريين بأن فى السر فاعلية ذاتية وإن كانت تتوقف على إيمان المشترك لأن جسد المسيح حاضر فيه حقيقة بمعنى سرى، وكذلك قول زوينكلى والسوسينين وغيرهم بأن سر العشاء إنما هو علامة خارجية وإعلان منظور لإيمان المشتركين بل فاعلية السر بموجب مذهب الإنجيليين تتوقف على حضور المسيح روحيا، أى بالروح القدس وتأثيره فى قلوب المشتركين حتى ينالوا جسد المسيح لا على طريقة جسدية بل على طريقة روحية) [٢].

ففاعلية العشاء الربانى فى هذا التعليم فاعلية روحية وذلك لأن المسيح يحضر فيه - كما يدعون - حضورا روحيا. (ولقد حاول كلفن فى هذا التعليم أن يقوم بدور الموفق العقائدى بين لوثر وزوينكلى فهو يعتقد أن المسيح يحضر فعلا فى العشاء الربانى ولكن حضوره حضور روحى.

ولقد شدد كثيرا على حضور المسيح الروحى فى العشاء الربانى، ثم شدد أيضا على عملية الروح القدس، فالروح القدس هو الذى يعمل فى الإنسان المشترك لكى يقنعه بأن المسيح موجود فعلا ولكن بطريقة روحية، والخبز الذى يكسر والخمر الذى

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١١٠٣.
(٢) المرجع السابق ص ١١٠٤.

يشرب عند الاشتراك فى المائدة هى علامة ملموسة ومحسوسة يشيران إلى وجود يسوع بالروح، وهما يمثلان أيضا جسد المسيح المكسور ودمه الذى سال، فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لا يعنيان الأكل والشرب بطريقة ملموسة ومادية وجسدية بل المسيح يصبح الطعام الروحى.

وهنا ينتحى كلفن ناحية التفسير المجازى وليس التفسير الحرفى لكلمة الله)[(١)].

(ولقد شدد كلفن على حقيقة وجود المسيح بطريقة روحية وبهذا أراد أن يتجنب الخطأ الذى وقع فيه لوثر وهو اعتقاده بأن المسيح يحضر فعلا بطريقة حقيقية فى الخبز والخمر، ثم أراد أن يتجنب مسلك زوينكلى الذى بدا له خطيرا ولذلك فقد تبنى هذه الطريقة الوسط، ومما لا شك فيه أنه قد انتقد بشدة عقيدة الكنيسة الكاثوليكية)[(٢)].

هذه هى التعاليم الأربعة بشأن معنى تناول العشاء الربانى وهى تتلخص فيما يأتى:

١ ـ أن العشاء الربانى ليس إلا مجرد ذكرى وأنه خال من حضور المسيح سواء كان حضورا روحيا أو جسديا ولذلك فإنه ليس له أدنى فاعلية ذاتية.

٢ ـ أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية حقيقية وتأثير فعلى بشرط أن يكون المتناول له مؤمنا، والقول بأن للعشاء الربانى فاعلية ذاتية إنما هو ناتج عن القول بحلول المسيح جسديا بكيفية خارقة للعادة فى الخبز الخمر.

٣ ـ أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية طبيعية لا تتوقف على إيمان المتناول، وهذا القول ناتج عن القول بأن الخبز والخمر يستحيلان بطريقة حقيقية إلى جسد المسيح ودمه.

٤ ـ أن العشاء الربانى له قوة روحية عظيمة فى بنيان المشتركين فى تناوله واتحادهم بالمسيح، وهذا القول ناتج عن القول بأن المسيح يحضر فعلا فى العشاء الربانى ولكن بطريقة روحية.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٠.

هذه هى المذاهب الأربعة الرئيسية وعقائدها فيما يختص بموضوع العشاء الربانى ولقد حاول أتباع كل مذهب من هذه المذاهب أن يوجدوا نصوصا كتابية تؤيد قوله ومذهبه[١].

أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص

تختلف أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص من قول لآخر وذلك على حسب أقوال النصارى فى فاعلية العشاء الربانى فى المشتركين فى تناوله.

جاء فى (علم اللاهوت النظامى): أن الكنيسة الإنجيلية تعلم أن ممارسة السرين ـ المعمودية والعشاء الربانى ـ واجبة ولكنهما ليسا واسطتين ضرورتين للخلاص أى قد يمكن الخلاص بدونهما.

على أن الكنيسة الكاثوليكية وكذلك الأرثوذكسية ـ تعتقد وتعلم غير ذلك، أى أن الأسرار وسائط لازمة للنعمة، بمعنى أن الفوائد التى يشار بها إليها لا يمكن نوالها بدون ممارسة، فلا تكون مغفرة خطايا ولا تجديد بدون نعمة ـ ولا قبول جسد المسيح ودمه لغذائنا الروحى ونمونا فى النعمة بدون الاستحالة)[٢]. فالكنيسة الإنجيلية تعتقد أن العشاء الربانى يدل على معنى الفداء ولكن ليس واسطة ضرورية للخلاص.

بينما الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن العشاء الربانى فيه قوة ذاتية حقيقية، فلا يستطيع المرء أن ينال نعمة الفداء أو تكفير المسيح عن خطاياه إلا بالعشاء الربانى. أما قول لوثر فإنه يدل على مدى أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص عنده، نعم إنه قال إن المرء ينال فوائد العشاء الربانى بعد الإيمان، وأن المسيح حاضر فيه حضورا حقيقيا بطريقة معجزية.

وفى قوله بحضور المسيح يتبين مدى أهمية العشاء الربانى.

إذ أنه يشترك مع الكاثوليك فى القول بحضور المسيح.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣١.

(٢) علم اللاهوت المسيحى ص ١١٣٣.

والاختلاف بينهما ـ كما يقول د/حنا جرجس الخضرى ـ أن لوثر. رفضلا رفضا باتا استعمال اصطلاح الاستحالة فقال بالوجود المزدوج وهذا القول تخفيف لعقيدة الاستحالة الكاثوليكية)[1] فاعترافه بأن للعشاء الربانى فاعلية ذاتية حقيقية وتأثير فعلى لكل من يقبله ويتناوله بعد الإيمان يدل على أن له أهمية خاصة بالنسبة للخلاص. فهو يمنح الإنسان ـ عنده ـ النعمة الإلهية وبركات الفداء.

وهكذا يتبين لنا أن للعشاء الربانى أهمية بالنسبة للخلاص المسيحى فهو إما رمز وذكرى لعمل المسيح الفدائى، أو هو يمنح متناوله بركات الفداء.

التشابه ين الشعائر المسيحية والشعائر الوثنية

إنه لا ضير أن يكون للمسيحية شعائر، ذلك أن لكل ديانة شعائرها الخاصة بها وهذا مقبول ولكن كون هذه الشعائر تحدث فى الإنسان طبيعة روحية وينتج عنها أنها تكفر خطاياه وتهبه نعمة الخلاص وتجعله إنسانا جديدا بدون خطية ـ سواء كان ذلك بطريقة ذاتية أم بعد الإيمان ـ فإن مثل هذه الأقوال نتوقف عندها.

فالشعائر لا ضير عليها، ولكن فاعلية هذه الشعائر هى التى ننظر فيها، ذلك أن الديانات الوثنية التى سبقت المسيحية وجد فيها الاعتقاد بهذه الشعائر والاعتقاد بفاعليتها التى وجدت بها فى المسيحية.

فلقد وجدنا فى الديانات الوثنية أنهم يعتقدون أن الطقوس والشعائر تحدث نوعا من التطهير الذى به يكون الاتحاد مع الإله والنجاة.

يقول شارل جنيبير "**إن الأساطير الجوهرية والمراسيم الدينية الأساسية والرموز والشعائر الفعالة كانت سابقة فى تلك الديانات الوثنية على المسيحية**، وكانت توجد العديد من التطبيقات فى العبادات المنتشرة بالعالم اليونانى إبان العهد الذى عاش فيه القديس بولس.

إن الأمر لا يتعلق بطقوس وشعائر معينة فحسب، إنه يذهب إلى مدى أبعد من ذلك يذهب إلى نوع من التصوير للمصير الإنسانى ولخلاص البشر ثم يرمز إلى

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ص ٣٢٨.

الإيمان والاطمئنان المرتبطين "بالسيد الإلهى" الذى يشفع للإنسان عند الإله الأعظم بعد أن ارتضى هذا (السيد الإلهى) لنفسه أن يعيش وأن يتعذب كالإنسان حتى يصبح بنو البشر قريبين إليه لدرجة تسمح لهم بالاتحاد معه فيكون فى ذلك طريق نجاتهم حيث يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره"[١]. فإن الشعائر والطقوس الوثنية كانت تصور الخلاص البشرى الذى قام به الإله، وعن طريق ممارسة هذه الشعائر ينال البشر هذا الخلاص. ولقد تأثرت المسيحية لا شك بمثل هذا.

يقول هربرت فيشر: (استدار العالم الرومانى بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة بمثل عبادات إيزيس وسيرابيس، وميثرا... إن عبادات إيزيس المصرية، وسيبيل الفريجية وميثرا الفارسى اشتركت فى معتقدات كثيرة وجدت بعد ذلك فى النظام المسيحى، لقد اعتقدوا فى اتحاد سرى مقدس مع الكائن الإلهى إما عن طريق اقتران خلال الشعائر أو بطريق أبسط عن طريق أكل لحم الإله فى احتفال طقسى)[٢]. وليس التشابه بين المسيحية والديانات الوثنية فيما تحدثه الطقوس والشعائر فى كليهما بل إننا وجدنا الشعائر ذاتها بنفس الصورة التى يقوم بها النصارى.

فبالنسبة للمعمودية يقول أرنست كيللت:

(إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد فى المسيحية على سبيل المثال - وبين طقوس التطهير فى ديانة أتيس وأدونيس لتصدم كل دارس، فلقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة فى جميع العصور على الأخذ لنفسها ما يناسبها من الديانات الأخرى)[٣]. ويقول على باشا مبارك (كان الهنود من قبل المسيحيين يغتسلون فى نهر الكنك وكذلك قدماء المصريين كان كل من أراد منهم أن يتلقى أسرار (مارى متراس) يعمد إلى نهر أو بئر فيغتسل فيه)[٤]. وكذلك ما تحدثه المعمودية فى المسيحية يتشابه بصورة واضحة لما تحدثه المعمودية فى الديانات الوثنية.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٨.
(٢) حقيقة التبشير ص ٧٨.
(٣) المرجع السابق ص٨٠.
(٤) على باشا مبارك: علم الدين جـ٣ ص ١١٠٨.

يقول الدكتور هيد (وكانت العمادة عند القدماء إما غمسا بالماء أو رشا، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية، ويعدون الأنفس زكية سعيدة من بعدها)[١].

ويقول دوان (كان الرومانيون الوثنيون يعمدون أولادهم بالماء بعدها يعتقدون أن ـ العمادة واسطة لإزالة الخطايا)[٢]. فالتشابه بين المعمودية وما تحدثه فى المسيحية والوثنية واضح.

أما عن العشاء الربانى:

فيقول شارل جنيبير: (ونقل إلينا جوستين أحد المدافعين عن المسيحية فى القرن الثانى للميلاد أن أسرار ميثرا احتوت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك... وتنقل إلينا النصوص كذلك أن (أسرار) سيبيل وأتيس كانت تفرض على الأتباع المشاركة فى مأدبة صوفية يصرح لهم بعدها بأن يعلنوا (لقد أكلنا مما احتواه السنطور وشربنا مما كان فى الصنج فأصبحنا من أتباع أتيس) والسنطور آله موسيقية اختصت بها سيبيل بينما اختص أتيس بآلة أخرى فى الصنج.

وهناك من الدلائل ما يرجح أن الأطعمة المقدسة التى كانت توضع فى هاتين الآلتين هى الخبز ثم ـ على وجه الترجيح ـ لحوم الأسماك المقدسة والخمر)[٣].

وهكذا نرى التشابه الكبير بين المسيحية فى شعائرها وما تحدثه، وبين الشعائر فى الوثنية وما تحدثه أيضا. لذلك يقول شارك جنيبير أيضا (هل نحن بحاجة إلى إيضاح أوجه الشبه الساطعة بين هذه الطقوس والشعائر المختلفة، وبين طقوس وشعائر التعميد والقربان عند المسيحية)[٤].

ويقول أرنست كيللت: إن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميثرا والمسيحية مذهلة وهى محيرة فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذى أعطاه آباء الكنيسة تبريرا لذلك كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح)[٥].

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص١٢٦.
(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٧.
(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة.
(٥) حقيقة التبشير ص ٨٠.

ويقول (وفى رأيى على أى حال أنه من المستحيل الاعتقاد بأن هذا التشابه جاء عرضا، فلابد أن تكون واحدة قد استعارت من الأخرى، أو أن يكون الارتباط متبادلا. إن الميثيرية لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الربانى ومن الصعب التفريق بينها وبين ما فى عقيدتنا (المسيحية) ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد ولها عيد القيامة)[١].

فكما بينا فإن التشابه بين المسيحية والوثنية - بالنسبة للشعائر - كبير وواضح لدرجة - كما يقول الباحث المسيحى السابق - أنه من الصعوبة التفريق بينهما، وهذا يعنى أن واحدة استعارت من الأخرى. والمنطق يقول إن اللاحق متأثر بالسابق واللاحق هنا هو المسيحية حيث إن تلك الديانات كانت منتشرة كما بينا سابقا فى بلاد اليونان والرومان قبل ظهور المسيحية بمئات السنين.

(١) المرجع السابق ص٨١.

الباب الثالث

موقف الإسلام من عقيدة الخلاص في المسيحية

ويشتمل على ثلاثة فصول :-

الفصل الأول :ـ موقف الإسلام من أكل آدم من الشجرة.

الفصل الثانى :ـ موقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره.

الفصل الثالث :ـ القول الحق فى عيسى بن مريم.

تمهيد

لقد تبين لنا أن عقيدة الخلاص المسيحية تقوم على أساس أن آدم أخطأ وأنه بخطيئته انفصل وبعد عن الله سبحانه وتعالى.

ثم إن هذه الخطيئة ـ كما يدعون ـ لم تختص به وحده بل انتقلت بالوراثة إلى جميع أبنائه إلى الجنس البشرى كله فالبشر جميعهم مخطئون بالطبيعة الموروثة من آدم.

وهؤلاء البشر ـ كما يقولون ـ لا يستطيعون التخلص من هذه الخطيئة بأنفسهم.

ولما كان الله متصفا بالمحبة والرحمة وهب المسيح ابنه ـ كما يعتقدون ـ ليصلب فداء عن البشرية ولقد تبين لنا أن هذه العقيدة ينقصها الأدلة الواضحة التى تطمئن إليها النفس ويؤمن بها الفكر والعقل، حيث إن أدلة هذه العقيدة التى أوردها القوم قد اعتراها التناقض والتضارب الذى يسقط الاستدلال هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن هذه العقيدة تناقض الفطر السليمة والأفكار الصحيحة. فالفطر السليمة تقر بإيمان الله الواحد الأحد العادل الذى لا يحاسب إنسانا على ذنب ارتكبه غيره.

والقرآن الكريم الذى حفظه الله من التغيير والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر الآية : ٩) والذى له الهيمنة على الكتب السابقة ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (المائدة الآية: ٤٨) يبين لنا القول الحق والمنهج الصحيح للرسالات السماوية، يبين القرآن الكريم أن الإنسان يولد على الفطرة السليمة مبرأ من كل خطيئة موروثة يقول سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ١٧٢). ويقول الرسول ﷺ كل مولود يولد على الفطرة[1].

ويبين القرآن الكريم أن رسالة الأنبياء والرسل هى التوحيد الخالص.

يقول سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء الآية: ٢٥) وقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ (النحل الآية: ٣٦). إلى غير ذلك من الآيات الواضحة التى تؤكد أن الهدف من الرسالات السماوية هو إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى المتصف بالعدل الذى لا يحاسب إنسانا على ذنب ارتكبه غيره.

يقول سبحانه ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت الآية: ٤٦) وعلى ذلك فإن حديثنا عن موقف الإسلام من عقيدة الخلاص المسيحى يتلخص فيما يأتى : -

١ - موقف الإسلام من أكل آدم من الشجرة.

٢ - موقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره.

٣ - القول الحق فى عيسى بن مريم.

وهاك البيان :

---

١ أخرجه البخارى فى الصحيح/كتاب: الجنائز/ باب : ما قيل فى أولاد المشركين، ومسلم فى الصحيح/كتاب : القدر/باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، وأبو داود فى السنن/كتاب: السنة/باب: فى ذرارى المشركين، والترمذى/كتاب: القدر/باب: ما جاء كل مولود يولد على الفطرة.

الفصل الأول

موقف الإسلام
من أكل آدم من الشجرة

آدم وكيف أكل من الشجرة

إن القرآن الكريم يخبرنا بأن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها، وكان الله سبحانه وتعالى قد أخبر ملائكته بأنه سيخلق بشرا من طين وأمرهم بالسجود له تعظيما له وتكريما وتشريفا فامتثل جميع الملائكة [1]. إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين فغضب الله عليه وطرده من رحمته. وبعد ذلك قال الله لآدم: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(البقرة الآية: ٣٥).

وحذرهما الله سبحانه وتعالى من أن يفتنهما الشيطان

يقول سبحانه وتعالى ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه الآية: ١١٧) ولكن الشيطان استطاع أن يستدرجها إلى ما أراد لهما من الأكل من الشجرة وأغراهما بأنواع المغريات.

وقال لهما:

١ - ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ (الأعراف الآية: ٢٠). يقول ابن كثير فى تفسير ذلك: (وقال) كذبا وافتراء (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين) أى لئلا تكونا ملكين أو خالدين هاهنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلك كقوله ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (طه الآية: ١٢٠) أى لئلا تكونا ملكين [2].... والترغيب كان فى مجموع الأمرين أو فى أحدهما) [3].

---

(١) اختلف العلماء حول كون إبليس من الملائكة أم لا؟ البعض يرى أنه من الملائكة استنادا إلى قوله سبحانه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين" والبعض يرى أنه من الجن لقوله تعالى﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ راجع البداية والنهاية لابن كثير جـ١ ص ٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٠٥.

(٣) مفاتيح الغيب جـ١٤ ص ٥٢.

٢ ـ ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ (الأعراف الآية: ٢١).

(أى حلف لهما بالله (إنى لكما لمن الناصحين) فإنى من قبلكما هاهنا وأعلم بهذا المكان، وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين، كما قال خالد بن زهير ابن عم أبى ذؤيب:

وقاسمهم بالله جهدا لأنتم　　　ألذ من السلوى إذا ما نشورها

أى حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله.

وقال قتادة فى الآية حلف بالله أنى خلقت قبلكما وأنا أعلم منكم فاتبعان أرشدكما، وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له)[1].

ويقول الفخر الرازى فى معنى هذا القول من إبليس الذى يحكيه القرآن (أى وأقسم لهما أنى لكما لمن الناصحين.

فإن قيل: المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول: قاسمت فلانا أى حالفته وتقاسما تحالفا، ومنه قوله تعالى ﴿ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾ (النمل الآية: ٤٩). قلنا فيه وجوه: الأول: التقدير أنه قال: أقسم لكما أنى لكما لمن الناصحين. وقالا له: أتقسم بالله إنك لمن الناصحين؟ فجعل ذلك مقاسمة بينهم.

والثانى: أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها.

والثالث: أنه أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم[2].

والوجه الثالث هو الأرجح فى نظرنا؛ لأن إبليس حاول بكل الوسائل إخداع آدم وحواء، وكان من وسائل الإغراء قسمه لهما بالله، واجتهد إبليس فى هذا القسم اجتهاد المقاسم فقال لهما إنى خلقت قبلكما وأنا أعلم أحوالا كثيرة من المصالح والمفاسد لا تعرفانها فامتثلا قولى أرشدكما، وأقسم لهما على ذلك.

٣ ـ فدلاهما بغرور

ذكر أبو منصور الأزهرى لهذه الكلمة أصلين: ـ

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٠٦.
(٢) مفاتيح الغيب جـ١٤ ص ٥٢.

أحدهما: أصل الرجل العطشان يدلى رجليه فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيه ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه، فيقال: دلاه إذا أطعمه.

والثانى: (فدلاهما بغرور) أى أجرأهما إبليس على أكل الشجرة بغرور. والأصل فيه دللهما من الدل والدالة وهى الجرأة.

قال ابن عباس (فدلاهما بغرور) أى غرهما باليمين وكان آدم يظن أن أحدا لا يحلف بالله كذبا.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعقته فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق. فقيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له)[١].

من هذه النصوص نعلم أن إبليس مصر على الإيقاع بآدم وحواء، ولم يترك وسيلة لايقاعهما فى الأكل من الشجرة إلا وسلكها حتى أنزلهما من استمساكهما بما أباح الله لهما إلى الأكل من الشجرة بسبب غروره لهما وخداعه إياهما إذ فتح لهما الخبيث باب التفكير فى موضوع الشجرة المحرمة وجعل يكرر لهما الإغراء بالأكل منها، ويزعم أنهما إن أكلا منها كانا ملكين أو كانا من الخالدين، وأقسم أنه ناصح لهما ولم يزل يخدعهما ويغرهما حتى أنزلهما عن الاستمساك بما أباح الله لهما إلى تجاوزه بالأكل من الشجرة المحرمة. ولابد أن هذا الإغراء استمر مدة طويلة وهما يمتنعان حتى تم له ما أراد[٢]. ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ (الأعراف الآية: ٢٢).

قال الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ** ..... ﴾ وذلك يدل على أنهما تناولا اليسير قصدا إلى معرفة طعمه، ولولا أنه تعالى ذكر فى آية أخرى [٣] أنهما أكلا منها لكان ما فى هذه الآية لا يدل على الأكل لأن الذائق قد يكون ذائقا دون أكل. ثم قال الله

(١) المرجع السابق جـ ١٤ صـ٥٣.
(٢) مصطفى الطير: أقباس من نور الحق جـ٢ ص ١٦١.
(٣) آية ١٢١ سورة طه ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾.

تعالى ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ..... ﴾ أى ظهرت عوراتهما وزال النور عنهما (وطفقا يخصفان) قال الزجاج: معنى طفق: أخذ فى الفعل (يخصفان) أى يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذى يرفع النعل خصاف، وفيه دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم، ألا ترى أنهما كيف بادرا إلى التستر لما تقرر فى عقولهما من قبح كشف العورة. (وناداهما ربهما) قال عطاء: بلغنى أن الله ناداه أفرارا منى يآدام؟ قال: بل حياء منك يارب ما ظننت أن أحدا يقسم باسمك كاذبا، ثم ناداه ربه أما خلقتك بيدى!! أما نفخت فيك من روحى!! أما أسجدت لك ملائكتى!! أما أسكنتك فى جنتى فى جوارى!! ثم قال الله وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين)[1]. ثم إن آدم بعد أن أكل من الشجرة أشرقت فطرته فتبين له ما أتى فلم يتمالك نفسه فتضرع إلى الله سبحانه هو وحواء ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف الآية: ٢٣) إذن فآدم وحواء أكلا من الشجرة التى نهاهما الله عن القرب منها.

فهل هذا عصيان؟ وما نوع هذه المعصية؟

قبل أن نجيب على هذين السؤالين علينا تكملة للبحث أن نذكر باختصار شديد: آدم هل هو نبى أم لا؟ وإذا كان نبيا فهل معصيته قبل النبوة أم بعدها؟ وما نوع هذه المعصية؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة فيما يأتى:

نبوة آدم ورسالته

من المقطوع به أن (آدم) عليه السلام كان نبيا[2]، ذلك أن القرآن الكريم ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة، وشرع له فى ذلك الخطاب، فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو كل معانى النبوة[3].

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٤ ص ٥٣.
(٢) محمد على الصابونى: النبوة والأنبياء ص١٢٤، راجع أيضا (قصة آدم فى القرآن وما دار حولها من شبهات) رسالة دكتوراة للدكتور على محمد نصر ٢٦٥.
(٣) الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص١٠.

يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار: وأما رسالته فالأمر مختلف فيها وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى [١] ولقد ناقش د/ على محمد نصر فى رسالته للدكتوراة هذا القول فقال:

ليت شعرى أى اختلاف فى رسالة آدم عليه السلام وإجماع الأمة من سنيين وشيعة ومعتزلة على وجوب الإيمان بنبوته ورسالته كغيره من بقية الأنبياء والمرسلين) [٢].

ثم قال: إن القرآن الكريم ذكر رسالة آدم عليه السلام فى قول الله سبحانه وتعالى فى سورة غافر: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ (غافر الآية: ٧٨) وآدم عليه السلام قد تقدم ذكره فى قصته فيما نزل من السور قبل هذه السورة. وهذه السور هى (ص) ثم (الأعراف) ثم (طه) ثم (الإسراء) ثم (الحجر).

إن الله تعالى أكرم من أن يدع الإنسانية فى عهدها وطفولتها بدون نبى رسول ينظم حياتها ويوضح عقيدتها ويوجهها إلى الله تعالى بالعبادة والتوحيد وهى فى أشد الحاجة إلى ذلك، أليس ذلك المجتمع الصغير الذى تناسل من آدم عليه السلام وزوجه حواء وكثر كثرة واضحة فى حاجة إلى من ينظمه ويشرع له ويبين له طريق الخير وطريق الشر؟ أليس فى حاجة إلى قوانين تنظيم علاقاته فيما يأتى ويذر من شئون الحياة الأسرية والاجتماعية وشئون التملك والانتفاع وشتى مجالات الحياة الدينية والدنيوية؟ إن خلافة آدم عليه السلام تقتضى كونه نبيا ورسولا إذ معناه الحكم [٣] بين الناس بالعدل وتنفيذ أوامر الله تعالى ونهيه بين أفراد مجتمعه الصغير، وبماذا يحكم إن لم يكن نبيا ورسولا صاحب شريعة من الله؟

وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ (فاطر الآية: ٢٤) ولئن كانت الأمم فى حاجة إلى نذير فإن أحوجها إلى النذير أمة عمرت فى الأرض أول ما عمرت وأن الله بالناس لرؤوف رحيم [٤].

---

(١) المرجع السابق ص ١١.
(٢) قصة آدم فى القرآن الكريم وما دار حولها من شبهات ص ٢٦٧.
(٣) ويدل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ** ﴾ (ص الآية: ٢٦).
(٤) المرجع السابق ص ٢٧٦.

ويدل على ذلك أيضا قول القرآن الكريم ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ (آل عمران الآية: ٣٣) والظاهر من الآية أن المراد الاصطفاء بالنبوة والرسالة[١]. وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يارسول الله أرأيت آدم أنبيا كان؟ قال نعم نبيا ورسولا يكلمه الله قبيلا[٢]. أى عيانا بدون واسطة.

ولقد ذكر ابن كثير فى تفسيره هذا الحديث فقال: روى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبى ذر قال: قلت يارسول الله. إلى آخر الحديث باللفظ السابق[٣].

وعلى ذلك فآدم نبى ورسول من عند الله سبحانه وتعالى. والنبوة والرسالة تقتضى العصمة، فإن العصمة واجبة للأنبياء والرسل.

عصمة الأنبياء والرسل

والعصمة فى اللغة: مطلق الحفظ.

واصطلاحا: حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه[٤].

والعصمة واجبة للأنبياء والرسل من المنفرات بمعنى (حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى، فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منتهيات الظاهر. ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منتهيات الباطن والمراد المنهى عنه ولو صورة. **فهو يشمل ما قبل النبوة ولو فى حال الصغر ولا يقع منهم مكروه ولا خلاف الأولى بل ولا مباح على وجه كونه مكروها أو خلاف الأولى أو مباحًا.**

---

(١) راجع النبوة والأنبياء ص ١٢٥.

(٢) ذكر السيوطى أنه أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه (الدر المنثور جـ١ ص ٥١ طبعة طهران سنة ١٣٧٧ هـ) وذكر أنه أخرجه أحمد والبخارى فى تاريخه والبيهقى فى الشعب كما أخرجه ابن أبى مشيبة والطبرانى عنه. أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط ٣٠١/٣٠٠/٤ حديث ٤٢٥٩، ٢٢٤/٧ حديث ٧٣٣٥، وله شاهد عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أخرجه الطبرانى أيضا فى الأوسط ١٢٨/١ حديث ٤٠٣، ط/دار الحرمين. القاهرة. ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م. تحقيق: طارق عوض الله محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسينى.

(٣) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص٧٨.

(٤) شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٥٦ .

وإذا وقع صورة لذلك فهو للتشريع فيصير واجبا أو مندوبا فى حقهم فأفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب بل فى الأولياء الذين هم أتباعهم من يصل لمقام تصير حركاته وسكناته طاعة بالنيات وبهذا اندفع ما يقال قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وبال قائما وشرب قائما. أما المحرم فلم يقع منهم إجماعا. وما أوهم المعصية فمؤول بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا يجوز النطق به فى غير مورده إلا فى مقام البيان)[١].

هذا هو القول العام فى عصمة الأنبياء.

ولقد ذكر العلماء ذلك بتفصيل وقسموا ما يجب عصمة الأنبياء عنه إلى ما يأتى:

أ ـ القول فى عصمة الأنبياء عن الكذب

يقول الإيجى (أجمع أهل الملل والشرائع على عصمته عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله. وفى جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان خلاف، فمنعه الأستاذ أبو إسحاق الأسفراينى وكثير من الأئمة، وجوزه القاضى أبو بكر الباقلانى مصيرا منه إلى عدم دخوله فى التصديق المقصود بالمعجزة)[٢].

فيستحيل صدور الكذب عن الأنبياء عمدا وبخاصة فى دعوى الرسالة وتبليغ الأحكام أما سهوا ففيه خلاف (والراجح أنه أيضا يستحيل صدوره سهوا، ذلك لأنه لو جاز عليهم فى واحدة من هاتين حتى ولو سهوا لما كانت هناك ثقة فيما جاءوا به من شرائع فتبطل الحكمة من بعثتهم)[٣].

والدليل على وجوب صدقهم عليهم السلام أنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب فى خبره تعالى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى (صدق عبدى فى

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) المواقف ص ٣٥٨.

(٣)د/عبد السلام محمد عبده، د/نجاح الغنيمى: فلسفات من العقيدة الإسلامية ص ١٤٩.

كل ما يبلغ عنى) وتصديق الكاذب كذب وهو محال فى حقه تعالى، فملزومه وهو عدم صدقهم محال، وإذا استحال عدم صدقهم وجب صدقهم وهو المطلوب[١].

ب: القول فى عصمة الأنبياء عن الكفر:

(أما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه، غير أن الأزارقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب وكل ذنب عندهم كفر، وجوز الشيعة إظهاره تقية، وذلك يفضى إلى إخفاء الدعوة إذ أولى الأوقات بالتقية وقت الدعوة للضعف وكثرة المخالفين)[٢].

فالأنبياء معصومون من الكفر، والدليل على ذلك إجماع أهل الشرائع والملل على وجوب عصمة الأنبياء من الكفر قبل البعثة وبعدها فقد اصطفت السماء رجالها لنفسها وأحاطتها بعنايتها ورعايتها منذ كانوا فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات)[٣].

جـ ـ القول فى عصمة الأنبياء عن الكبائر

يقول الإيجى (أما الكبائر عمدا فمنعه الجمهور والأكثر على امتناعه سماعا.

وقالت المعتزلة ـ بناء على أصولهم ـ يمتنع ذلك عقلا، أما سهوا فجوزه الأكثرون)[٤] ذلك أنهم لو صدر منهم فعل الكبيرة لكان فعلها طاعة مأمورًا بها مع كونها من الفحشاء والله لا يأمر بالفحشاء فيكون فعلها مأمورا به غير مأمور به وهو محال لأنه جمع بين النقيضين[٥].

وكذلك أيضا لو جاز منهم ارتكاب المنهى عنه لم يوثق بقولهم فلا يلزم الحجة[٦].

---

(١) شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٤٠.

(٢) المواقف ص ٣٥٨، ٣٥٩، راجع أيضا: البداية من الكفاية فى الهداية فى أصول الدين للإمام نور الدين الصابونى ص٩٦، عصمة الأنبياء للفخر الرازى ص ٧.

(٣) فلسفات من العقيدة الإسلامية ص ١٥٠.

(٤) المواقف ص ١٥٠.

(٥) فلسفات من العقيدة الإسلامية ص ١٥٠.

(٦) البداية من الكفاية فى الهداية ص ٩٦.

د ـ القول فى عصمة الأنبياء عن الصغائر

يقول الإيجى (أما الصغائر عمدا فجوزه الجمهور إلا الجبائى، وأما سهوا فهو جائز اتفاقا إلا الصغائر الخسية كسرقة حبة أو لقمة، وقال الجاحظ بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه، وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول)[١].

فالصغائر فسمان ما يشعر بخسة كسرقة تافهة كسرقة حبة أو لقمة فيستحيل صدوره عن الرسل عمدا أوسهوا لأن صدوره منهم يوجب النفرة منهم والبعد عن الاقتداء بهم واتباعهم[٢]. أما الصغائر التى لا تشعر بخسة كعدم إلقاء السلام مثلا فرأى الجمهور أنه يجوز وقوع هذه الصغائر عمدا أو سهوا، أما الجبائى فقال: إنه لا يجوز منهم تعمد الصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل. وهناك رأى آخر وهو قول الجاحظ وكثير من المتأخرين (أنه لا يجوز صدور الكبيرة ولا الصغيرة، لا تعمدا ولا بالتأويل الخطأ، أما السهو والنسيان فجائزان عليهم، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل فكان الواجب عليهم المبالغة فى التيقظ والتحفظ)[٣].

أقوال العلماء فى العصمة قبل البعثة

هذا كله بعد الوحى أما قبله، فقال الجمهور: لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للعقل. وقال أكثر المعتزلة: تمتنع الكبيرة وإن تاب منها لأنه يوجب النفرة وهى تمنع عن اتباعه فتفوت مصلحة البعثة.

ومنهم من منع عما ينفر مطلقا كعهر الأمهات والفجور فى الآباء والصغائر الخسية دون غيرها. وقالت الروافض: لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة فكيف بعد الوحى[٤].

---

(١) المواقف ص ٣٥٩.
(٢) فلسفات من العقيدة الإسلامية ص ١٥١.
(٣) عصمة الأنبياء ص٨.
(٤) المواقف ص ٣٥٩، عصمة الأنبياء ص٨.

الأدلة العقلية والنقلية على وجوب العصمة للأنبياء.

ولقد ذكر العلماء أدلة كثيرة لوجوب عصمة الأنبياء نذكر منها[١]:

الأول: أنه لو صدر عنهم الذنب لحرم اتباعهم وأنه واجب للإجماع ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).

الثاني: لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد من حال عصاة الأمة وهذا باطل، فصدور الذنب عنهم أيضا باطل.

بيان الملازمة أن أعظم نعم الله على العباد إعطاء نعمة الرسالة والنبوة وكل من كان نعم الله عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش، وصريح العقل يدل عليه، ثم يؤكده من النقل. وجوه: أحدها: قوله تعالى ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٠).

وثانيهما: أن المحصن يرجم وغيره يجلد.

وثالثهما: العبد يحد نصف حد الحر.

فثبت بما ذكرنا أنه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاة الأمة إلا أن هذا باطل بالإجماع فإنه أحدا لا يجوز أن يقال إن الرسول أخس حالا عند الله وأقل مرتبة ومنزلة من كل واحد من اللصوص والزنوج وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم.

الثالث: لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولى الشهادة لقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ (سورة الحجرات الآية: ٦). أمر بالتثبت والتوقف فى قبول شهادة الفاسق. إلا أن هذا ـ عدم قبول شهادتهم ـ باطل فإن من لم تقبل شهادته فى الحبة. أو فى القليل من متاع الدنيا ـ كيف تقبل شهادته فى الأديان الباقية إلى يوم القيامة؟

الرابع: لو صدر عنهم الذنب لوجب زجرهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لكن زجر الأنبياء عليهم السلام غير جائز وإيذاؤهم حرام

---

(١) راجع الموقف ص ٣٥٩، ١٦٠، ٣٦١، عصمة الأنبياء ص ٨ ـ ١٢، مفاتيح الغيب جـ ٣ ص ٨، ٩، ١٠.

إجماعا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٧). فكان صدور الذنب عنهم ممتنعا.

الخامس: لو صدرت المعصية عن الأنبياء عليهم السلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب جهنم لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (سورة الجن الآية: ٢٣).

ولكانوا ملعونين لقوله تعالى ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة هود الآية: ١٨).

وبإجماع الأمة هذا باطل فكان صدور المعصية عنهم باطلا.

السادس: أنهم كانوا يأمرون بالطاعات وترك المعاصى فلو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف الآية: ٢ ، ٣) وتحت قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٤٤).

ومعلوم أن هذا فى غاية القبح، وأيضا أخبر الله عن رسوله أنه برأ نفسه عن ذلك فقال ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ (سورة هود الآية: ٨٨).

والسابع: أنه تعالى قال فى صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٩٠) والألف واللام فى صيغة الجمع تفيد العموم، فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ما ينبغى وترك كل ما لا ينبغى وذلك يدل على أنهم كانوا فعالين لكل طاعة تاركين لكل المعاصى.

الثامن: قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (سورة ص الآية: ٤٧).

وهذان اللفظان أعنى (المصطفين) وقوله (الأخيار) يتناولان جملة الأفعال والتروك بدليل جواز الاستثناء، يقال فلان من المصطفين الأخيار إلا فى كذا والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل، فدلت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الأخيار فى كل الأمور وهذا ينافى صدور الذنب عنهم، ونظيره قوله

تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (سورة الحج الآية : ٧٥).

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٣٣) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اصطفاء الأنبياء والمرسلين.

التاسع: قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة ص الآية : (٨٢، ٨٣) استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله، ثم إنه تعالى شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنهم من المخلصين حيث قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ (سورة ص الآية: ٤٦). وقال فى حق يوسف ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة يوسف الآية: ٢٤).

فلما أقر إبليس بأنه لا يغوى المخلصين، وشهد الله تعالى بأن هؤلاء من المخلصين ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصل إليهم وذلك يوجب القطع بعدم صدور المعصية عنهم.

العاشر: قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة سبأ الآية: ٢٠) فأولئك القوم الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال: إنهم كانوا هم الأنبياء والرسل عليهم السلام أو غيرهم. فإن كانوا غير الأنبياء لزم أن يكونوا أفضل من الأنبياء لقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (سورة الحجرات الآية: ١٣). وتفضيل غير النبى على النبى باطل بالإجماع فوجب القطع بأن أولئك الذين لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء عليهم السلام، وكل من أذنب فقد اتبع إبليس فدل هذا على أن الأنبياء عليهم السلام ما أذنبوا البتة.

الحادى عشر: أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين:

حزب الشيطان كما قال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (سورة المجادلة : ١٩).

وحزب الله كما قال تعالى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة المجادلة الآية: ٢٢). ولا شك أن حزب الشيطان هو الذى يفعل ما يريده

الشيطان ويأمره به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء عليهم السلام والمرسلين عليهم السلام لصدق عليهم أنهم حزب الشيطان ولصدق عليهم قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ولصدق على الواحد من آحاد الأمة قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ فحينئذ يلزم أن يكون كل واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء ولا شك فى بطلان ذلك.

الثانى عشر: أن الراجح أن الأنبياء أفضل من الملائكة، والملائكة ما أقدموا على شئ من الذنوب بدليل قوله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة النحل الآية: ٥٠) وقوله ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٢٦، ٢٧).

فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء عليهم السلام لامتنع أن يكونوا أزيد فى الفضل على الملائكة لقوله تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (سورة ص الآية: ٢٨).

الثالث عشر: قال الله تعالى فى حق إبراهيم﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٢٤) والإمام هو الذى يقتدى به، فلو صدرت الذنوب عن إبراهيم عليه السلام لكان اقتداء الخلق بإبراهيم فى ذلك الذنب واجبا وإنه باطل.

الرابع عشر: قوله تعالى ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٢٤).

وكل من أقدم على الذنب كان ظالما لنفسه لقوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ (سورة فاطر الآية: ٣٢) إذا عرفت هذا فنقول ذلك العهد الذى حكم الله تعالى بأنه لا يصل إلى الظالمين إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة. فإن كان الأول فهو المطلوب. وإن كان الثانى فالمقصود أظهر لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصى فبأن لا يصل عهد النبوة إليه أولى.

هذه هى بعض الأدلة على وجوب عصمة الأنبياء والرسل

(هذا إلى جانب أن كل الآيات التى يمتدح الله بها أنبياءه ويزكيهم أو يأمرنا فيها باتباعهم كلها أدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

ووجه دلالتها على العصمة كما تقدم: أن الله سبحانه وتعالى زكاهم وأمرنا باتباعهم مطلقا ومن زكاه الله وأمر باتباعه اتباعا مطلقا كان معصوما وليس لأحد فيه مطعن أو مغمز)[(١)].

بل مجرد وصف النبى بالنبوة دليل على العصمة ولذا قال أبو حيان فى تفسير أول سورة التحريم (يا أيها النبى) نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته وعما يقع فيه من ليس بمعصوم[(٢)].

أما ما أوهم ظاهره عدم العصمة: فلقد رد العلماء عليه بقولهم.

إن ما كان منقولا بالآحاد وجب رده لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصى إلى الأنبياء.

وما ثبت منه تواترا فما دام له محمل آخر حملناه على أنه كان قبل البعثة، أو من قبيل ترك الأولى، أو صغائر صدرت عنهم سهوا، ولا ينفيه تسميته ذنبا ولا الاستغفار منه ولا الاعتراف بكونه ظلما منهم، إذ لعل ذلك لعظمه عندهم أ و أن قصدوا به هضما من أنفسهم[(٣)]. فالأنبياء معصومون من الذنوب وما أوهم ظاهره أنه ذنب فله محمل آخر، وعلى ذلك فآدم النبى والرسول معصوم من الذنوب حيث إن العصمة واجبة له، وأما ما ثبت من أكله من الشجرة فإنه محمول على أنه كان قبل البعثة أو من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو أنها صغيرة صدرت منه سهوا. وسنزيد ذلك أيضاحا فيما يأتى:

رد الشبهات الواردة على عصمة آدم

ولقد ورد على عصمة آدم بعض الشبهات، وهى ترجع إلى شبهتين رئيستين:

الأولى: فى قصة زلة آدم بالأكل من الشجرة: تمسك بها المخالفون لعصمة الأنبياء[(٤)]. من سبعة وجوه:

---

(١) قصة آدم فى القرآن الكريم وما دار حولها من شبهات ص ٢٤٦.

(٢) تفسير البحر المحيط جـ٨ ص ٢٨٩.

(٣) المواقف ص٣٦١.

(٤) وهم الحشوية وغيرهم الذين قالوا إن الأنبياء يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر (عصمة الأنبياء ص ٧).

والحشوية: جماعة من أهل الحديث كانوا يدعون أنهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكانوا يتدافعون فى حلقة الحسن البصرى ويشوشون عليه فكان يقول ردوا هؤلاء إلى حشى الحلقة أى بطن الحلقة فسموا حشوية بفتح الشين أو تسكينها ومذهبهم التشبيه والتجسيم (هامش ص ٩٦ من كتاب البداية من الكفاية فى الهداية فى أصول الدين).

١ ـ أنه كان عاصيا لقوله تعالى ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ (سورة طه الآية: ١٢١) وإنما قالوا إن العاصى صاحب الكبيرة لوجهين الأول: أن النص يقتضى كونه معاقبا لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (سورة الجن: ٢٣) فلا معنى لصاحب الكبيرة إلا ذلك.

الثانى: أن العاصى اسم ذم فوجب أن لا يتناول إلا صاحب الكبيرة.

٢ ـ أنه كان غاويا لقوله تعالى (فغوى) والغى ضد الرشد لقوله تعالى ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٥٦)، فجعل الغى مقابلا للرشد.

٣ ـ أنه تائب والتائب مذنب، وإنما قالوا إنه تائب لقوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٣٧). وقال ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (سورة طه الآية: ١٢٢) وقالوا إن التائب مذنب لأن التائب هو النادم على فعل الذنب، والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلا للذنب، فإن كذب فى ذلك الإخبار فهو مذنب بالكذب وإن صدق فيه فهو المطلوب.

٤ ـ أنه ارتكب المنهى عنه فى قوله ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (سورة الأعراف الآية: ٢٢) ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٣٥). وارتكاب المنهى عنه عين الذنب.

٥ ـ سماه ظالما فى قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٣٥) وهو يسمى نفسه ظالما فى قوله ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ (سورة الأعراف الآية: ٢٣) والظالم ملعون لقوله تعالى ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة هود الآية: ١٨) ومن استحق اللعن كان صاحب كبيرة.

٦ ـ أنه اعترف بأنه لولا مغفرة الله إياه لكان خاسرا وذلك فى قوله ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية: ٢٣) وذلك يقتضى كونه صاحب كبيرة.

٧ ـ أنه أخرج من الجنة بسبب وسوسة الشيطان وإزلاله جزاء على ما أقدم عليه من طاعة الشيطان وذلك يدل على كونه صاحب كبيرة.

ثم قالوا: هب أن كل واحد من هذه الوجوه لا يدل على كونه فاعلا للكبيرة لكن مجموعها لا شك فى كونه قاطعا فى الدلالة عليه، ويجوز أن يكون كل واحد من هذه الوجوه وإن لم يدل على الشئ لكن مجموع تلك الوجوه يكون دالا على الشئ[١].

ولقد أجاب العلماء عن هذه الشبهة بوجوهها السبعة إجمالا فقالوا:

لم لا يجوز أن يقال إنما وقعت المعصية منه قبل النبوة[٢]، الذى يدل على ذلك وجوه: الأول: قوله تعالى ﴿ **وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴾ (سورة طه الآية: ١٢١، ١٢٢) يدل على أن الاجتباء إنما حصل بعد واقعة الذنب لأن كلمة ثم للتراخى.

والثانى: لما دلت هذه الدلائل على صدور الذنب، ودلت الدلائل التى ذكرنا على أن الأنبياء عليهم السلام لا يصدر الذنب حال كونهم أنبياء لم يبق هنا وجه فى التوفيق إلا أن تحمل هذه الواقعة على ما قبل النبوة.

الثالث: أنه لو كان رسولا قبل الواقعة لكان إما أن يقال إنه رسول إلى الملائكة وهو باطل لأن الملائكة رسل الله تعالى لقوله ﴿ **جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا** ﴾ (سورة فاطر الآية: ١) والرسول لا يحتاج إلى رسول آخر.

أو إلى البشر وهو أيضا باطل لأنه ما كان معه فى الجنة من البشر إلا حواء وأن الخطاب كان يأتيهما من غير واسطة آدم بدليل قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ** ﴾ (سورة البقرة الآية: ٣٥) فإن هذا الخطاب خطاب ابتداء.

أو كان رسولا من غير مرسل إليه وهو أيضا باطل قطعا. فثبت أنه عليه السلام قبل هذه الواقعة ما كان موصوفا بالرسالة والنبوة[٣]. هذا هو ما أجاب به العلماء إجمالا على الشبهة **ولقد أجابوا عن هذا الشبهة بوجوهها السبعة تفصيلا بما يلى:-**

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ١١ ، ١٢، المواقف ص ٣٦١.
(٢) المواقف ص ٣٦١.
(٣) فخر الدين الرازى: عصمة الأنبياء ص١٩.

فأجابوا عن الوجه الأول فقالوا: المعصية مخالفة الأمر، والأمر قد يكون بالواجب أو الندب، فإنهم يقولون: أشرت عليه فى أمر ولده فى كذا فعصانى، وأمرته بشرب الدواء فعصانى، وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم لا لكونه تاركا للواجب بل لكونه تاركا للمندوب[١].

وأجابوا عن الوجه الثانى فقالوا: أما التمسك بقوله تعالى (فغوى) فأجابوا عنه بما يلى: أنه خاب سعية للإبقاء على نعيم الجنة وذلك لأنه لما أكل من تلك الشجرة ليصير ملكه دائما ثم لما أكل زال فلما خاب سعيه وما نجح قيل إنه غوى، وتحقيقه أن الغى ضد الرشد، والرشد هو أن يتوصل بشئ إلى شئ يوصل إلى المقصود فمن توصل بشئ إلى شئ فحصل له ضد مقصوده كان غيا[٢].

يقول الفخر الرازى: وظاهر القرآن وإن دل على أن آدم عصى وغوى، لكن ليس لأحد أن يقول إن آدم كان عاصيا وغاويا ويدل على صحة قولنا أمور:

أحدها: قال العتبى: يقال لرجل قطع ثوبا وخاطه قد قطعه وخاطه، ولا يقال خائط ولا خياط حتى يكون معاودًا لذلك الفعل معروفا به، ومعلوم أن هذه الزلة لم تصدر عن آدم عليه السلام إلا مرة واحدة فوجب أن لا يجوز إطلاق هذه الاسم عليه.

ثانيها: أنه على تقدير أن تكون هذه الواقعة إنما وقعت قبل النبوة، لم يجز بعد أن قبل الله توبته وشرفه بالرسالة والنبوة إطلاق هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن أسلم بعد الكفر أنه كافر بمعنى أنه كان كافرا. بل وبتقدير أن يقال هذه الواقعة وقعت بعد النبوة لم يجز أيضا أن يقال ذلك لأنه عليه السلام تاب عنها، كما أن الرجل المسلم إذا شرب الخمر أو زنى ثم تاب وحسنت توبته لا يقال له بعد ذلك إنه شارب الخمر أو زان فكذا ههنا.

ثالثها: أن قولنا عاص وغاو يوهم كونه عاصيا فى أكثر الأشياء وغاويا عن معرفة الله تعالى، ولم ترد هاتان اللفظتان فى القرآن مطلقتين بل مقرونتين بالقصة التى

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص ١٢٧.

(٢) المرجع السابق جـ٢٢ ص ١٢٨.

عصى فيها، فكأنه قال عصى فى كيت وكيت وذلك لا يوهم التوهم الباطل الذى ذكرناه.

ورابعها: أنه يجوز من الله تعالى ما لا يجوز من غيره، كما يجوز للسيد فى عبيده وولده عند معصيته من إطلاق القول ما لا يجوز لغير السيد فى عبده وولده(١).

وأجابوا عن الوجه الثالث فقالوا: بأن التوبة تجب من الصغيرة كما تجب من الكبيرة، لأن الصغيرة إذا لم يتب منها صاحبها صار مصرا عليها، والإصرار على أى ذنب كبيرة(٢).

وقد قالوا لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار. وهذا جواب من جوز الصغيرة على الأنبياء عمدا حيث يرى أن ذلك لا يقدح فى العصمة ما دامت التوبة تعقبه. وأما من لم يجوزها فالجواب عندهم بأن التوبة تحسن ممن لم يذنب قط على سبيل الانقطاع إلى الله والرجوع إليه، ووجه حسنها استحقاق الثواب بها ابتداء بدليل أن يقال: اللهم اجعلنا من التوابين، فلو كان حسنها مسبوقا بفعل الذنب لكان ذلك من القائل سؤالا لصيرورته مذنبا وذلك لا يجوز، والتوبة هنا توبة من خلاف الأولى على اعتبار أنه معصية بالنسبة لمقام الأنبياء(٣).

وأجابوا عن الوجه الرابع فقالوا: إن النهى فى هذه الصيغة - (ولا تقربا هذه الشجرة) - لنهى التنزيه، وذلك لأن هذه الصيغة وردت تارة فى التنزيه وأخرى فى التحريم والأصل عدم الاشتراك فلابد من جعل اللفظ حقيقة فى القدر المشترك بين القسمين وما ذلك إلا أن يجعل حقيقة فى ترجيح جانب الترك على جانب الفعل من غير أن يكون فيه دلالة على المنع من الفعل أو على الإطلاق فيه لكن الإطلاق فيه كان ثابتا بحكم الأصل، فإن الأصل فى المنافع الإباحة فإذا ضممنا مدلول اللفظ إلى هذا الأصل صار المجموع دليلا على التنزيه، قالوا وهذا هو الأولى بهذا المقام لأن

---

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٢) يقول الإمام الغزالى: اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب منها الإصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار. الإحياء جـ١١ ص ٢١٢١.

(٣) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ٢٢، ٢٣.

علىٰ هذا التقدير يرجع حاصل معصية آدم عليه السلام إلى ترك الأولى، ومعلوم أن كل مذهب كان أفضى إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام كان أولى بالقبول[١].

وأجابوا عن الوجه الخامس فقالوا: إن الله سبحانه وتعالى سماه ظالما بأن كل ذنب يأتى به المكلف صغيرا كان أو كبيرا يكون به ظالما لنفسه وهذا جواب من جوز الصغيرة مع عدم الإصرار، وأما من لم يجوزها فأجاب بأن ترك الأولى ظلم لأنه أنقص حظ نفسه من الثواب بسبب ترك الأولى، فليس المراد من الظلم هنا الظلم الحرام الذى هو اقتراف ما نهى الله عنه، وإنما هو نقص الحظ وهو معنى يقابل المعنى الأول للظلم، وسمى نقص النفس حظها ظلما لأن المعنى العام للظلم يشمله وهو وضع الشئ فى غير موضعه أو حمل هذا الظلم على أنه فعل ما الأولى له أن لا يفعله ومثاله إنسان طلب الوزارة ثم إنه تركها واشتغل بالحياكة فإن يقال له ياظالم لنفسه لم فعلت ذلك؟

فإن قيل :هل يجوز وصف الأنبياء عليهم السلام بأنهم كانوا ظالمين أو كانوا ظالمى أنفسهم؟ والجواب أن الأولى أنه لا يطلق ذلك لما فيه من إيهام الذم[٢].

وأجابوا عن الوجه السادس فقالوا: إن هذا الذنب إنما صدر عن آدم قبل النبوة [٣]. أو أنه محمول على الصغيرة التى لا إصرار معها عند من يجوزها أو على ترك الأولى باعتباره ظلما منقصا للحظ عند من لم يجوزها[٤].

وأجابوا عن الوجه السابع فقالوا: إن إهباط آدم إلى الأرض وخروجه من الجنة ليس عقوبة وإنما هو تكليف، والتكليف يحصل معه المشقة، والثواب مع المشقة أفضل.

يقول الفخر الرازى: اختلفوا فى أن قوله "إهبطوا" أمر أو إباحة والأشبه أنه أمر لأن فيه مشقة شديدة لأن مفارقة ما كانا فيه من الجنة إلى موضع لا تحصل المعيشة فيه

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٥ .
(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٦.
(٣) المرجع السابق جـ١٤ ص٥٣.
(٤) قصة آدم فى القرآن الكريم وما دار حولها من شبهات ص ٢٥٠.

إلا بالمشقة والكد من أشق التكاليف، وإذا ثبت هذا بطل ما يظن أن ذلك عقوبة، لأن التشديد فى التكليف سبب للثواب، فكيف يكون عقابا مع ما فيه من النفع العظيم[(١)]؟ هذا إلى جانب أن آدم خلق ليكون خليفة فى الأرض[(٢)]. وإذا كان المقصود من خلقه الخلافة فى الأرض فكيف يكون الخروج إلى ما خلق من أجله عقوبة له؟

فهذه الشبهة بوجوهها السبعة لا تقدح فى عصمة آدم عليه السلام.



أما عن الشبهة الثانية التى وردت على عصمة آدم فهى لا تتعلق بموضوع دراستنا لذلك سنشير إليها ونحيل القارئ إلى كتب التفاسير، فى بيان هذه الشبهة والرد عليها.

فلقد تمسك المخالفون لعصمة الأنبياء بالنسبة لآدم بقوله تعالى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (سورة الأعراف الآيات: ١٨٩ ، ١٩٠) قالوا إن النفس الواحدة هى آدم وزوجها المخلوق منها حواء، فهذه الكنايات بأسرها عائدة إليهما، فوجب أيضا أن يكون قوله (جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) عائد إليهما وهذا يقتضى صدور الشرك عنهما[(٣)]. وهو ما يتنافى مع العصمة.

ولقد استدل هؤلاء ببعض الأحاديث أوردها الإمام ابن كثير فى تفسيره وبين عللها وضعفها وعدم صحتها[(٤)].

ولقد رد العلماء على هذه الشبهة وبينوا أن هذا التأويل فاسد، وقد أشار الفخر الرازى إلى أسباب فساد هذا التأويل وبين الوجه الصحيح [(٥)] فى تفسير هذه الآية وذكر منها ما يلى:

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ١٨ .
(٢) وسنزيد ذلك إيضاحا فى نهاية هذا الفصل.
(٣) راجع فى ذلك: عصمة الأنبياء ص١٩ ، المواقف ص٣٦٠، مفاتيح الغيب جـ١٥ ص ٩٠.
(٤) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٧٤.
(٥) مفاتيح الغيب جـ١٥ ص ٩٠ ، ٩١.

إن الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد الرسول ﷺ وهو آل قصى، والمراد من قوله (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) قصى (وجعل منها) أى من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة: بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصى، وعبد اللات، وجعل الضمير فى (يشركون) لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك[1]. إلى غير ذلك من الأوجه الصحيحة لمعنى هذه الآية.

والخلاصة أنه ليس فى الآية ما يخدش عصمة آدم عليه السلام التى ثبتت بالدليل القطعى، وليس فى الشبهات التى أوردها المخالفون للقول بعصمة الأنبياء ما يقدح فى عصمة آدم عليه السلام كنبى ورسول.

العصمة تنفى وراثة الذنب

والعصمة الثابتة للأنبياء - ومنهم آدم - تنفى صدور الذنب عنهم، وأما ما أوهم ظاهره أنه ذنب، أو ما شهدت به النصوص أنه ذنب، فهو محمول على أنه خلاف الأولى، أو أنه من صغائر الذنوب التى هى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وهذا يعنى أن العصمة إذا كانت تنفى الذنب عن آدم أو هى التى جعلت العلماء يؤولون حدوث الأكل من الشجرة من آدم، فإنها من باب أولى تنفى أن ينتقل ذنب آدم أو معصيته إلى أولاده بالوراثة. ذلك لأن آدم معصوم وما وقع فهو محمول على غير ظاهره.

فإن العصمة تنفى أن يبقى الذنب على آدم ويعاقب عليه وإلا لما صح أن يكون نبيا ورسولا، فإن النبوة والرسالة تقتضى العصمة فلو كان الذنب لاصقا به - وسيعاقب عليه - لما ثبت عصمته، فالعصمة تنفى الذنب عن آدم ومن باب أولى تنفى أن ينتقل هذا الذنب - الذى لا وجود له بعد العصمة - إلى أبنائه. وبسبب هذه العصمة الثابتة لآدم فقد أول العلماء ما ورد من أكل آدم من الشجرة بأنه من الصغائر التى لا تخدش العصمة أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. وإذا كان ذنب آدم من الصغائر فهل يصح القول إن هذه الصغيرة انتقلت إلى أبنائه بالوراثة؟ أو أن هذا

---

(١) المرجع السابق جـ١٥ ص ٩١ ، ٩٢ راجع أيضا: المواقف ص٣٦٢.

الذنب كان قبل النبوة والرسالة على سبيل السهو. والعصمة له بعد الرسالة تنفى عنه الذنوب التى حدثت منه قبل النبوة، ذلك لأنه تاب إلى الله والله غفر ذنبه وعصمه من الذنوب. فهل يصح القول بعد ذلك بأن الذنب انتقل إلى أبناء آدم؟ وكيف ذلك، وليس هناك ذنب أصلا بعد العصمة والتوبة؟ وعلى كل حال فإن العصمة كما ترى تنفى الذنب عن آدم فضلا عن أن ينتقل إلى غيره.

الملابسات التى صاحبت أكل آدم من الشجرة

لقد ذكر القرآن الكريم أن آدم حين أكل من الشجرة نسى قال تعالى: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (سورة طه الآية: ١١٥). وفى معنى النسيان قولان: أحدهما: المراد ما هو نقيض الذكر وإنما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة فى الضبط حتى تولد منه النسيان، وكان الحسن رحمه الله يقول والله ما عصى آدم قط.

والثانى: أن المراد بالنسيان الترك وإنما ترك ما عهد الله من الاحتراز عن الشجرة وأكل من ثمرتها، وقرئ فنسى أى فنساه الشيطان. وعلى هذا التقدير يحتمل أن يقال أقدم على المعصية من غير تأويل وأن يقال أقدم عليها مع التأويل(١).

أما المعنى الأول: فقد قال به طائفة من المتكلمين فقالوا: إن آدم أقدم على المعصية حال كونه ناسيا، واحتجوا عليه بقوله تعالى (ولم نجد له عزما) ومثلوه بالصائم يشتغل بأمر يستغرقه ويغلب عليه فيصير ساهيا عن الصوم ويأكل فى أثناء ذلك السهو لا عن قصد(٢).

وقد يعترض على هذا المعنى بوجهين.

الوجه الأول: أن قوله تعالى (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين) وقوله(وقاسهما إنى لكما لمن الناصحين)يدل على أنه ما نسى النهى حال الإقدام. وروى عن ابن عباس ما يدل على أن آدم عليه السلام تعمد لأنه قال لما أكلا منها فبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى أفرارا منى، فقال بل حياء منك، فقال له أما كان فيما منحتك من الجنة

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٢٢ ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص١٢.

مندوحة عما حرمت عليك، فقال بلى يارب ولكنى وعزتك ما كنت أرى أن أحدا يحلف بك كاذبا، فقال وعزتى لأهبطنك منها ثم لا تنال العيش إلا كدا.

الوجه الثانى: أنه لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل.

أما من حيث العقل فلأن الناسى غير قادر على الفعل فلا يكون مكلفًا به لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٨٦). وأما من حيث النقل فلقوله عليه الصلاة والسلام (رفع القلم عن ثلاث)[١]. فلما عوتب عليه دل على أن ذلك لم يكن على سبيل النسيان[٢].

أما الجواب عن هذين الوجهين فهو ما يلى:

الجواب عن الأول: يقول الفخر الرازى: لا نسلم أن آدم وحواء قبلا من إبليس ذلك الكلام، ولا صدقاه فيه؛ لأنهما لو صدقاه لكانت معصيتهما فى هذا التصديق أعظم من أكل الشجرة، لأن إبليس لما قال لهما (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) فقد ألقى إليهما سوء الظن بالله ودعاهما إلى ترك التسليم لأمره والرضا بحكمه وإلى أن يعتقدا فيه كون إبليس ناصحا لهما وأن الرب تعالى قد غشهما. ولا شك فى أن هذه الأشياء أعظم من أكل الشجرة فوجب أن تكون المعاتبة فى ذلك أشد. وأيضا كان آدم عليه السلام عالما بتمرد إبليس عن السجود وكونه مبغضا له وحاسدا له على ما آتاه الله من النعم، فكيف يجوز من العاقل أن يقبل قول عدوه مع هذه القرائن وليس فى الآية أنهما أقدما على ذلك الفعل عند ذلك الكلام أو بعده، ويدل على أن آدم كان عالما بعداوته قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ (سورة طه الآية: ١١٧).

وأما ما روى عن ابن عباس فهو أثر مروى بالآحاد فكيف يعارض القرآن[٣].

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الحدود باب لا يرجم المجنون والمجنونة جـ١٢ ص ١٢٠ ط السلفية، وكذلك أيضا رواه الدارمى والترمذى وأبو داود.

(٢) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ١٢.

(٣) المرجع السابق ص١٣ جـ٣.

ويقول (أما الجواب عن الثانى: فهو أن العتاب إنما حصل على ترك التحفظ من أسباب النسيان، وهذا الضرب من السهو موضوع عن المسلمين، وقد كان يجوز أن يؤاخذوا به وليس بموضوع عن الأنبياء لعظم خطرهم ومثلوه بقوله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٢).

ثم قال ﴿ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٠) وقال عليه الصلاة والسلام (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل)(١). وقال أيضا (إنى أوعك ما يوعك الرجلان منكم)(٢). فإن قيل يجوز أن يؤثر عظم حالهم وعلو منزلتهم فى حصول شرط فى تكليفهم دون تكليف غيرهم؟ قلنا أما سمعت (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ولقد كان على النبى ﷺ من التشديدات فى التكليف ما لم يكن على غيره(٣).

وهكذا يتبين لنا أن المعنى الأول للنسيان هو:

أن آدم أكل من الشجرة حال كونه ناسيا، وأن العتاب من الله كان بسبب ترك التحفظ الذى هو من أسباب النسيان وذلك نظرا لمقامه الرفيع وعلو منزلته عند الله.

المعنى الثانى للنسيان: وهو أن آدم ترك ما عهد إليه بعدم الأكل من الشجرة فأكل ويشمل هذا المعنى كل الأقوال التى قيلت فى كون معصية آدم عمدا سواء كانت بتأويل أم بغير تأويل وهى كما يلى(٤).

١ ـ أن آدم عصى الله فأكل من الشجرة عمدا وكان ذلك كبيرة مع أن آدم عليه السلام كان فى ذلك الوقت نبيا وهذا القول باطل بما أثبتناه من عصمة آدم عليه السلام.

---

(١) أخرجه الترمذى/كتاب: الزهد/باب: ما جاء فى الصبر على البلاء وقال: هذا حديث حسن صحيح.
وابن ماجة/كتاب: الفتن/باب: الصبر على البلاء، وأحمد فى المسند ١/١٨٥، وابن حبان فى الصحيح/كتاب: الجنائز/باب: ما جاء فى الصبر وثواب الأمراض، والحاكم فى المستدرك ١/٩٩، ١٠٠ حديث ١٢٠، ١٢١، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخارى/كتاب: المرضى والطب/باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، مسلم/كتاب: البر والصلة والآداب/باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، وأحمد فى المسند ١/٤٤١.

(٣) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ١٣.

(٤) المرجع السابق جـ٣، ص ١٤.

٢ ـ أنه عليه السلام فعله عمدا لكن كان معه من الوجل والفزع والإشفاق ما صير ذلك فى حكم الصغيرة، وهذا القول أيضا باطل بما أثبتناه من عصمة آدم عليه السلام، وذلك لأن المقدم على ترك الواجب أو فعل المنهى عنه عمدا وإن فعله مع الخوف ألا أنه يكون مع ذلك عاصيا مستحقا للعن والذم والخلود فى النار، ولا يصح وصف الأنبياء عليهم السلام بذلك، ولأنه سبحانه وتعالى وصفه بالنسيان فى قوله (فنسى ولم نجد له عزما) وذلك ينافى العمدية.

٣ ـ أنه عليه السلام أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه، وذلك لا يقتضى كون الذنب كبيرة. وبيان الاجتهاد والخطأ: أنه لما قيل له (ولا تقربا هذه الشجرة) فلفظ (هذه) قد يشار به إلى الشخص وقد يشار به إلى النوع، ويدل على ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال: (هذان حل لإناث أمتى حرام على ذكورهم) [(١)] وروى أنه عليه الصلاة والسلام توضأ مرة مرة وقال (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به) [(٢)]. وأراد نوعه. فلما سمع آدم عليه السلام قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) ظن أن النهى إنما يتناول تلك الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة أخرى من ذلك النوع إلا أنه كان مخطئا فى ذلك الاجتهاد، لأن مراد الله تعالى من كلمة (هذه) كان النوع لا الشخص، والاجتهاد فى الفروع إذا كان خطأ لا يوجب استحقاق العقاب واللعن لاحتمال كونه صغيرة مغفورة[(٣)].

وهذا التأويل وجه إليه الاعتراضات الكثيرة ذكرها الفخر الرازى فى تفسيره نذكر منها ما يلى: يقول الفخر الرازى (إن كلمة (هذا) فى أصل اللغة للإشارة إلى الشئ

---

(١) أخرجه أبو داود فى السنن/كتاب: اللباس/باب: فى الحرير للنساء، والنسائى فى الصغرى/كتاب: اللباس/باب: تحريم الذهب على الرجال، وابن ماجة فى السنن/كتاب: اللباس/باب: لبس الحرير والذهب للنساء، وأحمد فى المسند١ /١١٥، وابن حبان فى الصحيح/كتاب: اللباس وآدابه/باب: ذكر البيان بأن لبس الحرير ليس من لباس المتقين.

(٢) أخرجه ابن ماجة فى السنن/كتاب: الطهارة وسننها/ باب: ما جاء فى الوضوء مرة ومرتين وثلاثا ـ وسنده ضعيف فيه "زيد بن الحوارى العمى" قال الحافظ ابن حجر: ضعيف "وعبد الرحيم بن زيد العمى" قال الحافظ ابن حجر: كذبه ابن معين (تقريب التهذيب ١/ ٢٦٨، ٤٦٧ ط دار المعرفة ـ بيروت).

(٣) مفاتيح الغيب ص ١٤ جـ ٣.

الحاضر، والشئ الحاضر لا يكون إلا شيئا معينا فكلمة (هذا) فى أصل اللغة للإشارة إلى الشئ المعين فأما أن يراد بها الإشارة إلى النوع فذاك على خلاف الأصل - وأيضا لأنه تعالى لا تجوز الإشارة عليه - فوجب أن يكون أمر بعض الملائكة بالإشارة إلى ذلك الشخص فكان ما عداه خارجا عن النهى لا محالة. إذا ثبت هذا فنقول[١]: المجتهد مكلف بحمل اللفظ على حقيقته فآدم عليه السلام لما حمل لفظ (هذا) على المعين كان قد فعل الواجب ولا يجوز له حمله على النوع، وهذا الكلام متأيد بقوله تعالى (وكلا منها رغدا حيث شئتما) أفاد الإذن فى تناول كل ما فى الجنة إلا ما خصه الدليل، وأيضا متأيد بأن العقل يقتضى حل الانتفاع بجميع المنافع إلا ما خصه الدليل، والدليل المخصص لم يدل على ذلك المعين، فثبت أن آدم عليه السلام كان مأذونا له فى الانتفاع بسائر الأشجار وإذا ثبت هذا امتنع أن يستحق بسبب هذا عتابا وأن يحكم عليه بكونه مخطئا فثبت أن حمل القصة على هذا الوجه يوجب أن يحكم عليه بأنه كان مصيبا لا مخطئا وإذا كان كذلك ثبت فساد هذا التأويل)[٢].

هذا هو المعنى الثانى للنسيان وهو بمعنى الترك أى ترك آدم العهد وأكل من الشجرة متعمدا سواء كان هذا الأكل باجتهاد أو بغير اجتهاد وقد ظهر أن هذا المعنى مرجوح، وعليه فالمعنى الأول هو الراجح وذلك لأنه هو الذى يتفق وعصمة الأنبياء عليهم بالسلام ولأنه هو الذى دلت عليه الدلائل والإشارات ودل عليه قوله (ولم نجد له عزما) ولأنه هو الذى رجحه أكثر العلماء فدافع عنه الرازى كما ظهر مما تقدم، وصححه القرطبى[٣] وكذلك ابن العربى[٤].

أما معنى قوله تعالى (ولم نجد له عزما) أى لم نجد له عزما على القيام بالمعصية[٥]. أى أن آدم أكل من الشجرة ناسيا ولم تكن لديه العزيمة لفعل المعصية.

---

(١) الكلام لازال للفخر الرازى.
(٢) مفاتيح الغيب جـ ٣ ص ١٤.
(٣) راجع تفسير القرطبى جـ١ ص ٣٠٦ .
(٤) راجع أحكام القرآن لابن العربى القسم الثالث ص ١٢٦٢ دار المعرفة للطباعة والنشر.
(٥) مفاتيح الغيب جـ٢٢ صـ١٢٤.

النسيان ينفى وراثة الذنب

لقد تبين لنا أن آدم أكل من الشجرة ولكن كان ناسيا، والله سبحانه وتعالى عاتبه وذلك لعلو منزلته ورفعة شأنه، وكون آدم عصى الله ناسيا ينفى وراثة الذنب، فآدم لم يخالف الله إلا ناسيا، والنسيان مرفوع عن صاحبه، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يؤاخذ بالنسيان من خالف ناسيا، فكيف يؤاخذ بذلك غيره ممن لم يخالف؟، فالنسيان ينفى تعلق الذنب بآدم وبالأولى ينفى أن ينتقل هذا الذنب إلى أبنائه.

توبة آدم

على أن آدم برغم أنه عصى الله ناسيا وهذا كان قبل النبوة على سبيل السهو - كما بينا - إلا أنه تاب من ذلك، لأن الأنبياء عليهم من التشديدات فى التكاليف ما لم يكن على غيرهم.

فآدم تاب والتوبة تمحو الذنب.

تعريف التوبة:

التوبة لغة مطلق الرجوع(١).

وشرعا: ما استجمع ثلاثة أركان (٢): الإقلاع عن الذنب، فلا تصح توبة الماكث مثلا إلا إذا أقلع عن المكث.

والندم على فعلها لوجه الله تعالى، فلا تصح توبة من لم يندم أو ندم لغير وجه الله تعالى كأن ندم لأجل مصيبة حصلت له. والعزم على أن لا يعود إلى مثلها أبدا فلا تصح التوبة ممن لم يعزم على عدم العودة.

هذا إذا لم تتعلق المعصية بالآدمى فإن تعلقت به فلها شرط رابع وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه) (٣) ومن شروطها أيضا صدورها قبل الغرغرة

---

(١) جاء فى المعجم الوسيط (تاب توبا وتوبة ومتابا وتابه: أى رجع عن المعصية فهو تائب وتواب) جـ١ ص ٩٠

(٢) يقوم الإمام النووى (قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فإن كان المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط: أحدهما أن يقلع عن المعصية، والثانى: أن يندم على فعلها والثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كان مالا أو نحوه رده إليه وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منه). أ. هـ. رياض الصالحين ص٧.

(٣) راجع شرح البيجورى على الجوهرة ص ٢٣٩.

وهى حالة النزع[(١)]. وقبل طلوع الشمس من مغربها[(٢)] فإنه حينئذ يغلق باب التوبة ويسمع له دوى فتمتنع التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك[(٣)].

والتوبة واجبة من جميع المعاصى وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة. قال الله تعالى ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور الاية : ٣١).

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (سورة هود الآية : ٩٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (سورة التحريم الآية : ٨)

ويقول الرسول ﷺ : والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة)[(٤)].

ويقول ﷺ: يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة)[(٥)].

---

(١) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سورة النساء الآية: ١٨ . وقوله ﷺ إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" أخرجه الترمذى فى جامعه /كتاب:الدعوات/باب: فى فضل التوبة والاستغفار وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة فى السنن/ كتاب: الزهد/باب: ذكر التوبة، وأحمد فى المسند ١٣٢/٢ ، وابن حبان فى الصحيح /كتاب: الرقائق/باب: التوبة، والحاكم فى المستدرك ٢٨٦/٤ حديث ٧٦٥٩ . ويدل على هذا أيضا ما جاء فى القرآن الكريم عن إيمان وتوبة فرعون الذى تعقب موسى وكفر به ولكنه عند الغرق آمن وتاب ولكن إيمانه لم ينفعه وتوبته لم تنفعه لأنه كان فى النزع الأخير. (راجع سورة يونس الآيات ٩٠ ، ٩١، ٩٢).

(٢) ويدل عليه قوله ﷺ (من تاب قبل أن تطلع الشمس تاب الله عليه) أخرجه مسلم فى الصحيح/كتاب: الذكر والدعاء/باب: استحباب الاستغفار، وأحمد فى المسند٧٥/٢، ٣٩٥، وابن حبان فى الصحيح/كتاب: الرقاق/باب: التوبة.

(٣) راجع شرح البيجورى على الجوهرة ص ٢٣٩.

(٤) أخرجه البخارى فى الصحيح/كتاب: الدعوات/باب: استغفار النبى ﷺ فى اليوم والليلة، وابن ماجة فى السنن/كتاب: الأدب/باب: الاستغفار، وأحمد فى المسند ٣٤١/٢.

(٥) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد/باب: سيد الاستغفار، ومسلم فى الصحيح/كتاب: الذكر والدعاء/باب: استحباب الاستغفار، وأحمد فى المسند ٢٦٠/٤ ، وابن حبان فى الصحيح/كتاب: الرقاق/باب: الأدعية.

توبة آدم:

لجأ أدم إلى الله مستغفرا نادما منيبا إليه فلما كان كذلك تاب الله عليه. يقول سبحانه ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٣٧) أى ألهمه الله كلمات فأناب إليه بها[١].

أما الكلمات التى ألهمه الله إياها فهى كما قال مجاهد وقتادة غيرهما[٢]: قوله ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية: ٢٣) وقد روى بعض الصحابة والتابعين بعض الروايات عن هذه الكلمات.

قال عبيد بن عمير الليثى فى تفسير ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾ قال آدم لربه وذكر خطيئته: رب شئ كتبته على قبل أن تخلقنى أم شئ ابتدعته؟ فقال: بل شئ كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: فكما كتبته على فاغفره لى.قال فهؤلاء الكلمات التى قال الله عز وجل ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾[٣].

وروى عن سعيد بن جبير والسدى عن ابن عباس أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك بلا واسطة؟ قيل له بلى، قال يارب ونفخت فى من روحك؟ قيل له بلى. قال وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له بلى، وكتبت على أن أعمل هذا؟ قيل له بلى. فهو قوله ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾[٤].

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الكلمات هى قوله: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت خير الغافرين. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى إنك أنت خير الراحمين.

---

(١) تفسير المنار جـ١ ص٢٣١.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٨١.

(٣) راجع عقائد السلف ص ٣٢٤.

(٤) قال ابن كثير فى تفسيره عن هذه الرواية (رواه العوفى وسعيد بن جبير وسعيد بن سعيد بن معبد عن ابن عباس بنحوه ورواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٨١.

لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك علمت سوءا وظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم[(١)].

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين واستقبل البيت قال: اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى. اللهم إنى أسالك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى وأرضى بما قسمت لى. فأوحى الله تعالى إلى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتينى أحد من ذريتك فيدعونى بهذا الدعاء الذى دعوتنى به إلا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها)[(٢)].

هذه بعض الروايات التى رويت فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ والأوثق هو التفسير الأول الذى روى عن مجاهد وقتادة، ذلك أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا.

قبول توبة آدم:

تضرع آدم إلى الله سبحانه وتعالى ولجأ إليه بالاستغفار والتوبة فقبل الله توبته، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (سورة الشورى الآية: ٢٥).

وهو سبحانه المتصف بأن ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ (سورة غافر الآية: ٣).

قبل الله توبته (فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) (أى قبل توبته وعاد عليه بفضله ورحمته وبين سبب ذلك بأنه تعالى هو التواب الذى يقبل التوبة كثيرا، فمهما يذنب العبد ويتب يتب الله عليه، وبأنه هو الرحيم بعباده، فمهما يسئ أحدهم بما هو سبب لغضبه ويرجع إليه فإنه يحفه برحمته)[(٣)].

(١) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ٦٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١.
(٣) تفسير المنار جـ١ ص ٢٣١.

يقول الفخر الرازى (وقبول التوبة يكون بوجهين:

أحدهما: أن يثيب عليها الثواب العظيم، كما أن قبول الطاعة يراد به ذلك.

والثانى: أنه تعالى يغفر ذنوبه بسبب التوبة[١].

ويقول الإمام الغزالى: أن للتوبة ثمرتين:

إحداهما: تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له.

والثانية: نيل الدرجات حتى يصير حبيبا[٢].

فالله سبحانه وتعالى تاب على آدم وقبل توبته ويدل على ذلك قوله تعالى (فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وقبول التوبة يعنى أن الله قد غفر له زلته بسبب أكله من الشجرة ونال آدم بتوبته الدرجات العليا.

ماذا تعنى توبة آدم

وتوبة آدم تعنى أن الأساس الذى قامت عليه عقيدة الخلاص قد انهار، ذلك أن الله سبحانه وتعالى عفا عن آدم وكفر عنه الذنب فليس على آدم ذنب حتى يقال إن أبنائه ورثوا عنه وكيف يرثون ما محاه الله عنه؟

يقول صاحب تفسير المنار (وذكر توبة الله على الإنسان ترد ما عليه النصارى من اعتقاد أن الله تعالى قد سجل معصية آدم عليه وعلى بنيه إلى أن يأتى عيسى ويخلصهم منها، وهو اعتقاد تنبذه الفطرة السليمة ويرده الوحى المحكم المتواتر)[٣].

ويقول ابن تيميه (وآدم عليه السلام ـ وإن كان قد أكل من الشجرة ـ فقد تاب الله عليه واجتباه وهداه (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وليس عند أهل الكتاب فى كتبهم ما ينفى توبته وإنما قد يقول قائلهم: إنا لا نعلم أنه تاب، أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشئ ليس علما بعدمه، وعدم وجود الشئ فى كتاب لا ينفى أن يكون فى كتاب آخر)[٤]. فذكر توبة آدم ترد ما تمسك به النصارى من اعتقاد أن معصية آدم عليه

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ٢٣.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١٢ ص ٢١٤٧.

(٣) تفسير المنار جـ١ ص ٢٣٥.

(٤) الجواب الصحيح: لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ٣٦٥.

وعلى أبنائه، ذلك أن التوبة تنفى تعلق الذنب بآدم فضلا عن أبنائه. وبذلك يبطل القول بأن خطيئة آدم أضرت به وبنسله.

تحقيق لمعنى إهباط آدم إلى الأرض

قد يقول قائل : إن أكل آدم من الشجرة أضر به وبحواء وذلك لأن الله تعالى أخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض - وذلك ما يقول النصارى.

ولكن الناظر فى القرآن الكريم يجد أن نزول آدم إلى الأرض لم يكن عقوبة ويدل على ذلك أمور:

الأمر الأول: يبين القرآن الكريم أن نزول آدم إلى الأرض كان من أجل مباشرة المهمة التى خلق من أجلها، أى أن نزول آدم إلى الأرض كان من أجل الوضع الحقيقى الذى خلق لأجله آدم، ذلك أن الله تعالى أخبر ملائكته من قبل خلق آدم أنه سيكون خليفة فى الأرض، فآدم خلق من أجل أن يكون خليفة فى الأرض لا أن يكون خليفة فى الجنة. وكان دخوله فى الجنة دخول سكن لا دخول إقامة (يقول القرطبى فى تفسيره: إن بعض العلماء قال فى قوله تعالى "اسكن" تنبيه على الخروج لأن السكنى لا تكون ملكا، ولهذا قال بعض العارفين: السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع، فدخولهما الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة)[١].

فنزول آدم إلى الأرض كان وضعا طبيعيا ونزولا لمباشرة خلافته فى الأرض، وليس فيه رائحة العقوبة.

يقول د/عبد الحليم محمود: أكان نزوله إلى الأرض عقابا حقيقيا؟ أم كان نتيجة لسبب ظاهر شكلى؟ أكان أكله من الشجرة معصية حقيقة؟ أم هى مقادير رتبت من أجل نتيجة أرادها الله سبحانه وهى عمارة الأرض؟

لقد قال الله للملائكة من قبل خلق آدم (إنى جاعل فى الأرض خليفة) إنه سبحانه لم يقل إنى جاعل فى الجنة خليفة أو إنى جاعل فى السماء خليفة وإنما قال (جاعل فى الأرض خليفة) وهذه الجملة حددت مصير آدم إنه الأرض.

---

(١) تفسير القرطبى جـ١ ص ٢٩٩ ثم يقول بعد ذلك (وإن كان هذا فيكون فيه دلالة على ما يقوله الجمهور من العلماء: إن من أسكن رجلا مسكنا له أنه لا يملكه بالسكنى، وأن له أن يخرجه إذ انقضت مدة الإسكان) أ.هـ.

ومن أجل ذلك تحدث علماؤنا فى الموضوع ورويت فيه آثار. من ذلك ما رواه خالد الحذاء قال: خرجت خرجة لى فجئت وهم يقولون: قال الحسن: فلقيته فقلت يا أبا سعيد آدم للسماء خلق أم للأرض؟ فقال: ما هذا يا أبا منازل؟ للأرض خلق فقلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة قال: للأرض خلق فلم يكن بد من أن يأكل منها).

ومن أجمل الآراء فى قصة آدم وأعمقها رأى الإمام أبى الحسن الشاذلى، لقد شعر أبو العباس المرسى فى يوم بضيق شديد ولم يعلم له سببا فذهب إلى أبى الحسن الشاذلى، فلما رآه الشاذلى قال له مباشرة: آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه الجنة ثم نزل به الأرض، **والله ما نزل بآدم إلى الأرض لينقصه ولكن نزل به إلى الأرض ليكمله**، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله (إنى جاعل فى الأرض خليفة) وما قال فى الجنة ولا فى السماء فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة، فإنه كان يعبد الله فى الجنة بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف، فلما توافرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة)[1].

فآدم خلق ليكون خليفة الله فى الأرض، فنزوله من الجنة إلى الأرض كان طبيعيا لا مجال للعقوبة فيه.

وعلى ذلك يتبين لنا فساد ما قاله النصارى من أن نزول آدم إلى الأرض كان عقوبة له ولحواء، وفساد قولهم إن الله أخرج آدم من الجنة غيظا منه وحنقا عليه، لأنه أصبح نده فى المعرفة وقد تصور أن البلاء سيكون أكبر من ذلك لو أنه أكل من شجرة الخلد، وقال الرب (هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[2].

فهذه الأقوال باطلة لأن نزول آدم إلى الأرض لم يكن عقوبة ولا خوفا من الله

---

(١) د/عبد الحليم محمود: فى رحاب الأنبياء والرسل ص ٤٠ ، ٤١.
(٢) تكوين ٣ : ٢٢ .

على شجرة الحياة بل كان نزوله مقدرا له قبل أن يخلق، إن الله سبحانه تعالى خلقه ليكون خليفة له فى الأرض، فكيف نعتبر نزوله إلى الأرض عقوبة؟

الأمر الثانى: إن القرآن الكريم يبين أن الله سبحانه وتعالى أهبط آدم إلى الأرض بعد أن اجتباه وتاب عليه، وذلك فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ﴾ (سورة طه الآيات: ١٢٢ ، ١٢٣).

ونجد أيضا فى سورة الأعراف أن القرآن الكريم يذكر الإهباط إلى الأرض بعد كلمات التوبة لآدم يقول القرآن الكريم فيما يحكيه عن آدم وحواء ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (سورة الأعراف الآيات: ٢٣ ، ٢٤) وهذا يدل على أن إهباط آدم إلى الأرض كان تكريما وتشريفا. إذ أن التوبة تمحو الذنب وتجعل صاحبها من المقربين لله، وإهباط آدم بعد التوبة لابد وأن يكون له معنى آخر غير العقوبة وهو التكريم والتشريف ويستفاد ذلك من قوله تعالى (ثم اجتباه ربه).

الأمر الثالث: إن نزول آدم إلى الأرض ليكون خليفة فى الأرض وليحصل على معيشته بالكد والتعب والمشقة، ولا شك أن الثواب مع المشقة والتعب أكثر فثوابه وهو على الأرض أكثر لأنه يعبد الله ويحصل على معيشته بالتعب، وهذا يدل على أن إهباط آدم إلى الأرض ليحصل على ثواب أعظم.

يقول الفخر الرازى(إن مفارقة ما كانا ـ آدم وحواء ـ فيه من الجنة إلى موضع لا تحصل المعيشة فيه إلا بالمشقة والكد من أشق التكاليف، وإذا ثبت هذا بطل ما يظن أن ذلك عقوبة؛ لأن التشديد فى التكليف سبب للثواب، فكيف يكون عقابا مع ما فيه من النفع العظيم)[(١)].

وهذه الأمور تبرز أن نزول آدم إلى الأرض لم يكن عقوبة وإنما كان من أجل أن يباشر مهمته كخليفة لله فى الأرض. ثم إن نزول آدم إلى الأرض كان بعد توبته ولا شك أن نزوله بعد التوبة يدل على أنه بمعنى التكريم لا العقوبة؛ على أن نزوله إلى الأرض سبب فى نواله الثواب العظيم ذلك لأنه على الأرض يحصل على معيشته بالتعب ولا شك أن التعب فيه الثواب العظيم.

وبذلك يتبين فساد القول بأن نزوله إلى الأرض عقوبة.

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ١٨.

والخلاصة: ـ

أن موقف الإسلام من أكل آدم من الشجرة يتلخص فيما يلى:

١ ـ أن الإسلام يختلف عن النصرانية اختلافا كبيرًا فى نظرتيهما إلى أكل آدم من الشجرة، فبينما نرى نظرة النصرانية إلى أكل آدم من الشجرة بأنه خطيئة وخطيئة عظيمة تسببت فى أضرار كثيرة لآدم وأبنائه نجد أن الإسلام يبين أن أكل آدم من الشجرة عبارة عن فعل آدم لخلاف الأولى أو أنه نسيان، نعم إنه فى حق الأنبياء أعظم من غيرهم ولكن لا يترب عليه إضرار بآدم ولا بنسله.

٢ ـ أن آدم نبى مرسل معصوم من المعاصى، والعصمة تعنى الحفظ من الذنب أما ما أوهم ظاهره أنه معصية فإنه مؤول على أنه من قبيل ترك الأولى، أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو أنها وقعت منه قبل النبوة، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يبطل القول بانتقال ذنب آدم إلى أبنائه حيث لا يوجد ذنب يستحق الإرث ـ على فرض التسليم بأن الذنب يورث، ولقد بينا فى الباب الأول بطلانه.

٣ ـ آدم أكل من الشجرة حال كونه ناسيا، ولم يكن لديه العزيمة لفعل المعصية، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يؤاخذ عبدا على ذنب فعله وهو ناس فضلا عن أن يعاقب به غيره.

٤ ـ أن الله سبحانه وتعالى تاب على آدم وحواء، والتوبة تغسل الحوبة، أى تغفر الذنوب وتكفرها. وإذا كان الأمر كذلك فكيف نقول بعد ذلك إن هذا الذنب انتقل إلى أبنائه؟ ذلك أنه لا يوجد ذنب بعد التوبة، فالتوبة تجب ما قبلها. وإذا لم يوجد ذنب فلا يصح القول بانتقال شئ لم يوجد!!!

وبذلك تلاشت عقيدة الخلاص لتلاشى أساسها، فآدم غفر الله له وجاءت ذريته نقية بريئة نقية حين ولادتها، وليس على أحد منهم خطيئة إلا بمقدار ما تكسبه يده بعد ولادته، وما كان إهباط آدم وزوجته إلى الأرض سخطا عليهما وتحقيرًا ولكن تشريفا لهما وتكريما؛ حيث باشرا بذلك مهمة استخلافهما فى الأرض كما وعد الله من قبل فى قوله تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفة) فالخلافة هى المقصد الأسمى من خلق الإنسان"[1].

(١) د/محمد أبو الغيط الفرت: عقيدتنا الصلب والتثليث وموقف الإسلام منهما ص ١٨٨.

وما دام أن إهباط آدم وزوجته إلى الأرض كان تكريما وتشريفا وليس عقوبة وتنكيلا وذلك بعد التوبة وحسن القبول فقد أصبحت كل نفس تحمل وزر نفسها وليس للإنسان إلا ما سعى.

وهو موضوع الفصل التالى.

الفصل الثانى

موقف الإسلام
من تحمل الإنسان
لأوزار غيره

تكريم الإسلام للإنسان

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان أفضل تكريم

يقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء الآية : ٧٠).

فالإنسان مميز بالصورة الحسنة الجميلة وبالخلقة الجميلة يقول سبحانه ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (سورة التين الآية : ٤).

ويقول سبحانه ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة غافر الآية : ٦٤) وكان النبى ﷺ يكرر فى سجوده (سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين) (١).

ولقد أعلن الإسلام كرامة الإنسان فاعتبره خليفة الله فى الأرض وهى منزلة اشرأبت إليها أعناق الملائكة وتشوفت إليها نفوسهم فلم يعطوها ومنحها الله للإنسان ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية : ٣٠).

لقد كرم الله الإنسان بالخلافة فى الأرض، وهيأه لها بالعقل والعلم الذى تفوق به على الملائكة. وفوق ذلك كله كرم الله الإنسان بالروح العلوى، الذى أودعه الله بين جنبيه، فهو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله استحق به أن تنحنى له الملائكة، إجلالا وإكبارا لمقدمه بأمر الله كما قال الله تعالى ﴿ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (سورة ص الآيات ٧١ ، ٧٢).

---

١) أخرجه مسلم فى الصحيح/ كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، وأبو داود فى السنن/كتاب: الصلاة/باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء.

وهذه النفحة الإلهية ليست خاصة بآدم أبى البشر كما قد يتوهم بعض الناس فإن بنيه ونسله قد نالهم حظ منها كما قال تعالى بعد أن ذكر خلق آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة السجدة الآيات: ٨ ، ٩).

فلم يكن هذا التكريم والاحتفال لشخص آدم عليه السلام وإنما كان تكريما للنوع الإنسان فى شخصه فإن الله ميزهم بما ميزه من مواهب العقل والعلم والروح واستخلفهم كما استخلفه فى الأرض ولهذا أعلن القرآن كرامة البشر كافة[1].

ولم يقف أمر هذا التكريم عند هذا الحد بل امتد إلى العالم المادى كله، ذلك أن مركز الإنسان فيه هو مركز السيد، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الكون كله فى خدمته، وسخر لمنفعته العوالم كلها، السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والماء واليابس والبحار والأنهار والنبات والحيوان والجماد، كلها مسخرة لمصلحة الإنسان وسعادة الإنسان، كرامة من الله ونعمة منه عليه.

والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (سورة إبراهيم الآيات: ٣٢ ـ ٣٤).

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الجاثية الآيات: ١٢ ـ ١٣).

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (سورة لقمان الآية: ٢٠). فالإسلام كرم الإنسان أعظم تكريم.

---

(١) راجع د/يوسف القرضاوى: الخصائص العامة للإسلام ص ٦٩ ، ٧٠.

من كرامة الإنسان فى الإسلام: ولادته مبرأ من كل خطيئة

إن العقيدة النصرانية تعلم أن الإنسان خاطئ منذ ولادته، ذلك لأن أباه قد ارتكب الخطيئة، وأن المسيح عليه السلام صلب - حسب زعمهم - حتى يكفر عن البشر خطاياهم التى تحملها نيابة عنهم وهذا يعنى أن الإنسان غير طاهر القلب والنفس منذ نشأته بسبب وراثته الخطيئة. ومن كرامة الإنسان فى الإسلام: أنه أزال عنه وصمة التلوث بالخطيئة التى يولد عليها كل إنسان - كما تدعى المسيحية.

فقد ألغى الإسلام تلك الدعوى وأعلن أن كل مولود يولد على الفطرة(١)، غير ملوث بخطيئة أو مثقل بذنب. يولد مبرأ من كل خطيئة ومن كل معصية فالإنسان يولد بالفطرة التى فطر الله الناس عليها، والفطرة تعنى الميل إلى كل خير روحى وذلك نتيجة النفخة الروحية من الله سبحانه وتعالى للإنسان ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ (سورة ص الآية: ٧٢).

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ (سورة السجدة الآية: ٩). أو أن الفطرة هى فطرة التوحيد وهى التى جاءت نتيجة عملية الإشهاد والتى ذكرها القرآن الكريم فى قوله:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (سورة الأعراف الآية: ١٧٢).

يقول ابن كثير: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلا بهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه. قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الروم الآية: ٣٠) وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء(٢). هل تحسون فيها من جدعاء). وفى

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما حديث سبق تخريجه.

(٢) جمعاء بفتح الجيم وسكون الميم ممدودا نعت لبهيمة، أى لم يذهب من بدنها شئ، سميت بذلك لاجتماع أعضائها أى بهيمة مجتمعة الأعضاء سليمة من نقص، لا توجد فيها جدعاء، وهى مقطوعة الأذن أو الأنف أو الأطراف، ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها. وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها) أ. هـ. راجع صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٦ ص ٢٠٩، المختار من فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى للشيخ الشرقاوى المقرر على الصف الرابع الثانوى ص ٤١.

صحيح مسلم من عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم[١].

وعن الأسود بن سريع من بنى سعد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه، ثم قال: ما بال أقوام يتناولون الذرية.

فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواه يهودانه وينصرانه[٢].

ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد: إنما هو فطرهم على التوحيد[٣].

فالإنسان يولد على الفطرة (فطرة الله التى فطر الناس عليها) أى خلقهم عليها، وهى قبول الحق وتمكينهم من إدراكه، أو ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أداهم إليه، لأن حسن هذا الدين ثابت فى النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد[٤]. ولقد جزم البخارى فى تفسير سورة الروم بأن الفطرة هى الإسلام فقال: قوله (لا تبديل لخلق الله) لدين الله، خلق الأولين: دين الأولين. والفطرة: الإسلام[٥]. وسواء كان هذا المعنى أم ذاك ـ وكلاهما صحيح ـ فإن ما نبغيه هنا هو: أن الإنسان يولد طاهر القلب والنفس مبرأ من كل خطيئة ومن كل

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح/كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب: الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٤/٢٤ حديث (١٥٧١٣) والطحاوى فى مشكل الآثار/باب: مشكل ما روى عن رسول الله ﷺ من قوله (كل مولود يولد على الفطرة).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٦١، ٢٦٤..

(٤) الأحاديث المختارة من فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى المقرر على الصف الرابع الثانوى الأزهرى ص٢٤.

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى (كتاب التفسير جـ٨ ص٣٧٢).

ذنب بل يولد على الفطرة مهيئا لقبول الخير والحق ذلك أن الفطرة تهدى الإنسان إلى الخير والحق.

وبذلك يتبين فساد القول بأن الإنسان يولد بخطيئة موروثة من آدم.

من كرامة الإنسان فى الإسلام : مسئولية كل إنسان عن عمله

إن الاعتقاد المسيحى أن الإنسان تحمل خطيئة آدم وهذا يعنى أن الإنسان مسئول عن أعمال غيره، وغيره مسئول عن أعماله، ويترتب على هذا الاعتقاد أن المسئولية تضيع بين الأفراد ولا يعرف لها فردا مما يترتب عليه ملأ الأرض فسادا وجورا دون تحديد للمسئولية.

ولكن الإسلام قرر بوضوح وحسم مسئولية الإنسان عن نفسه فلا يجوز فى منطق العدل الإلهى أن يحمل الابن وزر أبيه أو الحفيد وزر جده. ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (سورة الإنعام الآية : ١٦٤).

لقد كان الإعلان الذى أعلنه الإسلام هو أن الإنسان لا يتحمل إلا مسئولية أعماله وحده، فلا يتحمل مسئولية جد ولا مسئولية ذنب أخ، أو عم، إلا إذا كانت له علاقة فى الموضوع، وأن الجيل اللاحق لا يتحمل أوزار الجيل السابق، وإنما الإنسان مسئول عن أعماله وحده صغيرها وكبيرها أمام الله فى الآخرة، وأما شريعة الله فى الدنيا فقال القرآن ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[(١)].

وقال الرسول ﷺ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[(٢)].

---

(١) وردت هذه الآية فى القرآن الكريم أربع مرات فى سورة الأنعام (آية : ١٦٤ ، وفى سورة الإسراء آية : ١٥. وفى سورة فاطر آية :١٨ ، وفى سورة الزمر الآية : ٧ هذا بجانب آية سورة النجم آية ٣٨ (ألا تزر وازرة وزر أخرى). راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٧٥٠.

(٢) أخرجه البخارى فى الصحيح/كتاب: الجمعة/باب: الجمعة فى القرى والمدن، وفى/كتاب: النكاح/باب: قوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم الآية : ٦) وفى /باب: المرأة راعية فى بيت زوجها، وفى أول كتاب: الأحكام، ومسلم فى الصحيح/كتاب: الإمارة/باب: فضيلة الإمام العادل، وأبو داود فى السنن/ كتاب: الخراج والإمارة والفئ/باب: ما يلزم الإمام من حق الرعية، والترمذى فى جامعه/كتاب: الجهاد/ باب: ما جاء فى الإمام، وابن حبان فى الصحيح/كتاب: السير/باب: الخلافة والإمارة.

وخاطب القرآن الكريم الناس ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (سورة النساء الآية: ١٢٣). فأصبح المسلم يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة حتى قال قائل المسلمين (كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام) وأصبح الذى يقدم الإنسان أو يؤخره هو عمل الإنسان حتى قال رسول الله ﷺ:

(يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا) رواه [١] البخارى ومسلم. [٢] فلقد قرر الإسلام (المسئولية الفردية) وأكدها تأكيدا بليغا فى كتاب الله وسنة رسوله، فكل إنسان مسئول عن عمله ولا يحمل وزر غيره ولا يحمل غيره وزره.

خصائص المسئولية فى الإسلام

إن الإنسان مخلوق مكلف مسئول عن أعماله وذلك باعتبار أنه خليفة الله فى الأرض وأنه هو الذى تحمل أمانة التكاليف، والله سبحانه وتعالى أهله بالمواهب والملكات الروحية والعقلية والمادية ليستطيع القيام بمهمة الخلافة وبأمانة التكاليف على أكمل وجه.

وعليه فالإنسان مخلوق مكلف مسئول، والله سبحانه وتعالى أهله لهذه المسئولية. وهذه المسئولية التى أعلنها الإسلام تتميز بعدة خصائص وهى كما يلى:-

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح/كتاب: الوصايا/باب: هل يدخل النساء والولد فى الأقارب/وفى كتاب: المناقب/باب: من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية، وفى/كتاب: التفسير/باب: قوله تعالى﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة الشعراء الآية: ٨٧)، ومسلم فى الصحيح/كتاب: الإيمان/باب: فى قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء الآية: ٢١٤)، والترمذى فى جامعه/كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الشعراء، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والنسائى فى الصغرى/ كتاب: الوصايا/ باب: إذا أوصى لعشيرته الأقربين، وابن حبان فى الصحيح/ كتاب الرقائق/ باب: الخوف والتقوى.

(٢) راجع الرسول ﷺ: لسعيد حوى جـ٢ ص ١٨٤.

١ - شمولها لكل أفراد بنى آدم:-

(مما تتميز به المسئولية فى الإسلام هو طابع الشمول الذى بسطه الكتاب الكريم على جميع المخلوقات العاقلة دون تفرقة بين عقل إنسانى وعقل فوق إنسانى بل دون أدنى تفرقة بين عامة الناس والصالحين منهم)[١].

فلو تتبعنا خطابات القرآن الكريم لوجدنا أنها موجهة إلى كل فرد مكلف من بنى آدم على تفاوت مراكزهم فى المجتمع وتباين درجاتهم فى دنيا الناس والحياة. فكل إنسان توافرت فيه شروط المسئولية والتكليف فهو ملزم برعاية أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه، وهذا ما قرره القرآن الكريم وأكده فى جميع آياته البينات وبالأخص إذا توجهنا إلى الآيات الصريحة فى ذكر المسئولية كما فى قوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الحجر الآيات: ٩٢، ٩٣).

فهذا تأكيد بالقسم وبإتيان اللفظ الدال على التأكيد (أجمعين) من الله عز وجل أنه سوف يسأل العباد كلهم وهو مرحلة المطالبة بالوجبات والفرائض وأمور الشريعة.

وذلك يسير على جميع الآيات التى نسوقها لتأكيد وتقرير أن المسئولية تعم جميع الأفراد من المكلفين الملزمين برعاية أمانة الله عز وجل.

ويقرر القرآن الكريم ذلك أيضا بقوله تعالى﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية: ٦). فهذا قسم وتأكيد أيضا من الله عز وجل بأنه سوف يسأل الأمم جميعا الذين بلغتهم دعوة الرسل[٢]. يقول العلامة أبو السعود (أى لنسألن الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبتم المرسلين)[٣].

ويقول الله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٢٥). وقوله (كل نفس) يدل على عموم المسئولية لكل إنسان مكلف، أى توفى كل نفس جزاء ما كسبت من

(١) د/محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق فى القرآن ص١٤٦ .

(٢) د/محمد إبراهيم الشافعى: المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ص٥٧.

(٣) إرشاد العقل السليم جـ٢ ص ٢٣٤.

غير نقص (وهم لا يظلمون) أى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب أو بنقص ثواب بل يصيب كل منهم مقدار ما كسبه)[١].

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٣٠) وقوله (كل نفس) يدل على عموم المسئولية كما ذكرنا سابقا.

وعموم المسئولية يشمل (الأنبياء والرسل) ويتبين ذلك من قوله سبحانه ﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف الآية: ٦). أى عما أجيبوا قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٠٩). يقول العلامة أبو السعود: فى معنى قوله (ماذا أجبتم) عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية أى أى إجابة أجبتم من جهة أممكم إجابة قبول أو إجابة رد.

وقيل عبارة عن الجواب فهو فى محل نصب بعد حذف الجار عنه أى بأى جواب أجبتم[٢]. فالأنبياء والرسل أنفسهم سوف يسئلون مع سمو مكانتهم وعلو منزلتهم.

فالله سبحانه وتعالى سوف يخاطب أنبياءه ورسله ويسألهم عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسل إليهم.

فالمسئولية تقع على كل إنسان أى أن كل إنسان مسئول وسوف يسأل ويحاسب عما نيط به من مسئولية.

فأول خاصية للمسئولية فى الإسلام أنها تتصف بصفة العموم والشمولية لكل فرد مكلف.

٢ـ شمولها لكل ما يقوم به الإنسان من أعمال

أما الجانب الآخر لشمولية المسئولية فهو أن كل عمل يعمله الإنسان تقع عليه تبعته مهما كان شأن هذا العمل جل أو دق صغيرا كان أو كبيرا.

يقول سبحانه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (سورة الزلزلة الآيات: ٧ ، ٨).

(١) المرجع السابق جـ١ ص ٣٤٤.
(٢) راجع إرشاد العقل السليم جـ٢ ص ١٠٥ والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم.

ويقول سبحانه ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف الآيات : ٤٧ ـ ٤٩).

ويقول سبحانه ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة يونس الآية : ٦١).

وفى حكاية القرآن الكريم عن قول لقمان لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة لقمان الآية : ١٦).

ويقول سبحانه ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ٤٧).

فكل هذه الآيات تدل على أن كل إنسان مسئول عن الأعمال الصغيرة والكبيرة. لقد فصلت آيات القرآن الكريم هذه الأعمال التى يسأل عنها العبد نذكر بعضا منها فيما يلى :-

أولا: فى مجال العقيدة

١ـ فلقد ذكر القرآن الكريم أن الإنسان يسأل عن التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على بنى الإنسان بالإقرار بالوحدانية وأشهدهم على أنفسهم ، لذلك فكل إنسان يسأل عن هذه الإقرار وهذا الإشهاد يوم القيامة. يقول سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ١٧٢).

(أى فعلنا ما فعلنا كراهة أن تقولوا أولئلا تقولوا أو يقولوا هم[١]. (يوم القيامة) عند ظهور الأمر (إنا كنا عن هذا) عن وحدانية الربوبية وأحكامها (غافلين) لم ننبه عليه، فإنهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك إذ لا سبيل لأحد إلى إنكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة[٢].

فالله سبحانه وتعالى يسأل كل بنى آدم عن الإشهاد بالوحدانية هل هو عمل به أم لا؟ وإذا لم يعمل به وأشرك مع الله غيره فإنه لا حجة له إلا أنه افتراه على الله، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يسأل هؤلاء الذين افتروا على الله بالشرك به.

يقول سبحانه ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (سورة النحل الآية: ٥٦).

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية (يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد بغير علم وجعلوا للأوثان نصيبا مما رزقهم الله فقالوا) ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٣٦). أى جعلوا لآلهتهم نصيبا من الله وفضلوها على جانبه فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذى افتروه وائتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازيهم أوفر الجزاء فى نار جهنم فقال (تالله لتسألن عما كنتم تفترون)[٣].

ثم يبين القرآن الكريم أن الله يسأل هؤلاء المشركين الذين نسبوا إلى الله الشريك.

يقول سبحانه ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ (سورة الزخرف الآية: ١٩). أى اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال (أشهدوا خلقهم) أى شاهدوه وقد خلقهم إناثا (ستكتب شهادتهم) أى بذلك (ويسئلون) عن ذلك يوم القيامة. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد)[٤].

---

(١) ذكر العلامة أبو السعود أن هناك قراءة "يقولوا" بالياء.
(٢) إرشاد العقل السليم جـ٢ ص ٥٧٢.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٧٢.
(٤) المرجع السابق جـ٤ ص ١٢٥.

٢ ـ ثم يبين القرآن الكريم أن الإنسان يسأل عن إجابة الرسل: هل استجاب لدعوة الرسل أم لا؟ يقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة القصص الآية: ٦٥).

ويقول سبحانه ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٣٠).

ويقول سبحانه ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ (سورة الملك الآيات ٨ ، ٩).

ويحكى القرآن الكريم قول خزنة جهنم لأصحابها ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ (سورة غافر الآية : ٥٠).

٣ ـ ويسأل العبد أيضا عن الإيمان بالكتب التى أنزلت على رسل الله.

يقول سبحانه ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الحجر الآية : ٨٩ ـ ٩٣).

ويقول سبحانه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (سورة الزخرف الآية : ٤٤).

ثانيا: السؤال عن الملكات والنعم التى وهبها الله للإنسان:ـ

لم تقتصر المسئولية على الجانب الاعتقادى فقط، بل تمتد فتشمل الكلمات والقدرات والنعم التى أعطاها الله للإنسان، ذلك أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده وجميع حواسه.

يقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (سورة الإسراء الآية: ٣٦).

ويقول سبحانه ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (سورة التكاثر الآية: ٨).

(أى ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته)[(١)].

ولقد ذكروا فى النعيم المسئول عنه وجوها منها: ما روى أنه خمس :-

شبع البطون، وبارد الشراب، ولذة النوم، وإظلال المساكن، واعتدال الخلق.

وقال ابن مسعود: إنه الأمن والصحة والفراغ.

وقال ابن عباس: إنه الصحة وسائر ملاذ المأكول والمشروب.

وقال بعضهم: الانتفاع بإدراك السمع والبصر.

وقال الحسن بن الفضيل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

وقال البعض: إنه النعيم التام كالشئ الواحد الذى له أبعاض وأعضاء فإذا أشير إلى النعيم فقد دخل فيه الكل)[(٢)].

والمعنى العام أن نعم الله لا تحصى وهى ظاهرة وباطنة، والله سبحانه وتعالى سائل كل ذى نعمة عما أنعم به عليه، كيف تصرف فى نعم الله ونحوها؟

والنبى ﷺ يعطينا فكرة عن هذه المساءلة فيقول (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن عمله فيم عمل به؟ وعن ما له من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه)[(٣)].

وروى الترمذى[(٤)] أيضا بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: (إن أول ما يسأل عنه العبد - يعنى يوم القيامة - من النعيم أن يقال له ألم نصلح لك بدنك ونروك من الماء البارد)[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥٤٥.

(٢) مفاتيح الغيب جـ٣٢ ص ٨٢.

(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه/كتاب: صفة يوم القيامة والورع/باب: فى القيامة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبرانى فى الأوسط ٣٤٨/٢ حديث (٢١٩١) وأخرج شاهدا له عن ابن عباس ١٥٥/٩، ١٥٦ حديث (٩٤٠٦).

(٤) أخرجه الترمذى فى جامعه/كتاب: التفسير/ باب: (٨٨) ومن سورة التكاثر، وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان فى الصحيح/ كتاب: إخباره عن مناقب الصحابة/باب: إخباره عن البعث، والحاكم فى المستدرك ١٣٨/٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) راجع: تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥٤٦.

ثالثا: السؤال عن الوفاء فى المعاملات: ـ

والمسئولية الإنسانية تنسحب لتشمل التعامل مع بنى البشر والوفاء بالتزامات هذا التعامل. يقول سبحانه ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (سورة الإسراء الآية: ٣٦). أى وأوفوا بالعهد الذى تعاهدون عليه الناس، والعقود التى تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه[١].

ولم يقتصر السؤال والمحاسبة على الأعمال الظاهرة فقط، بل يمتد فيشمل الأعمال الخفية يقول سبحانه ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٨٤)[٢].

(ففى هذه الآية الكريمة بيان لشمول علم الله تعالى لما أظهره الإنسان أو أخفاه من أقوال أو أعمال وأنه سيحاسبه على ذلك بما يستحقه من خير أو شر... والجملة صريحة فى أن الله تعالى يحاسب العباد على نياتهم وما تكسبه قلوبهم سواء أخفوه أو أظهروه)[٣].

وكل هذا يدل على ما تتميز به المسئولية من شموليتها لجميع البشر ولجميع الأعمال التى تتعلق بالإنسان.

(ولو أردنا أن نصوغ قولة تلخص هذه الصفة الشمولية فى جانبيها فلم نجد خيرا من تلك الكلمة المعروفة التى شبه فيها رسول الله ﷺ كل فرد فى بعض وجوهه، بالحارس أو المدير المسئول عن خير العاملين معه(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولية عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده

---

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٩.

(٢) ولقد اختلف العلماء هل نسخت هذه الآية بقوله تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أم لا؟ ولكل رأى وجهة وأدلة (راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٣٨، ٣٤٠، مفاتيح الغيب جـ٧ ص ١٣٦، ١٣٧.

(٣) د/ محمد سيد طنطاوى: تفسير سورتى الفاتحة والبقرة ص ٨٦١ نقلا عن المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ص ٨١.

ومسئول عن رعيته) [١]. فكل فرد فى مجاله مسئول عن حسن سير الأمور العامة والخاصة التى وكلت إليه) [٢].

٣ ـ الطابع الشخصى للمسئولية

إن من أهم ما تتميز به المسئولية فى الإسلام كونها شخصية فردية محضة، بمعنى أن كل شخص يحمل مسئولية نفسه عن الأعمال التى فعلها، ويدل على ذلك آيات التنزيل الحكيم.

يقول د/محمد إبراهيم الشافعى (إن القرآن الكريم يقرر ويؤكد بكل أساليب التقرير وبجميع أنواع التوكيد أن كل إنسان يحمل مسئولية نفسه قاعدة كلية ومبدأ عاما يناط به كل تكليف من تكاليف الإسلام وكل فرع من فروع مسئولياته التى حملنا الله تعالى إياها) [٣].

ويقول (وتعنى شخصية المسئولية أنه لا يعاقب أحد بجرم غيره ولا يقع عليه جريرة أحد سواه، فكل ما ينال المرء من عقاب إنما يكون جزاء له على ما باشره أو تسبب فيه من شر، وكل ما يسبغ عليه من ثواب لا يكون إلا نتيجة لسعيه الشخصى وعمله الفردى الذى باشره بنفسه أو تسبب فيه.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تدعم هذه المبدأ وتثبته تثبيتا حتى صار أصلا من أصول الإسلام العامة، بل وأثبت القرآن الكريم أنه أصل لكل الرسالات ـ السابقة التى جاءت بالهدى ودين الحق، وذلك ليحقق الله عز وجل ويؤصل العدالة التامة الشاملة التى هى هدف الإسلام وغاية جميع الشرائع) [٤].

والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة لذلك سنذكر جزءا منها

يقول سبحانه ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٨٦).

---

(١) رواه البخارى فى كتاب: الجمعة/باب: الجمعة فى المدن والقرى (سبق تخريجه).
(٢) دستور الأخلاق فى القرآن ص ١٤٨.
(٣) المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ص ٩٤.
(٤) نفس المرجع ص٩٥.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ (سورة النساء الآية: ١١١)
﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٦٤).

بمعنى أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى[١].

ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (سورة الطور الآية: ٢١) أى مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا[٢].

وقوله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (سورة المدثر الآية: ٣٨).

يقول ابن عباس وغيره (أى معتقلة) بعملها يوم القيامة[٣].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن كل إنسان مجازى بعمله ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ (سورة غافر الآية: ١٧).

ويقول سبحانه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (سورة فاطر الآية: ١٨).

(يخبر الله تعالى أنه لا تحمل نفس إثما غير إثم نفسها وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى أى ولو كان قريبا إليها حتى ولو كان أباها أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله)[٤]. لذلك يقول سبحانه ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (سورة الإسراء الآية: ١٥).

ويقول: ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (سورة لقمان الآية: ٣٣).

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ١٩٩.
(٢) المرجع السابق جـ٤ ص ٢٤٢.
(٣) المرجع السابق جـ٤ ص ٤٤٩.
(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٥٢.

ويقول: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة الأحقاف الآية: ١٩).

ويوضح القرآن الكريم أن هذا المبدأ الإلهى هو أساس كل تشريع إلهى نزل من عند الله وأرسل به رسله فلقد كان هذا المبدأ مسطرا فى صحف إبراهيم وموسى.

يقول سبحانه ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (سورة النجم الآيات: ٣٦ ـ ٤١).

يبين سبحانه ما كان أوحاه فى صحف إبراهيم وموسى وهو:

أن كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شئ من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله عنه أحد (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه)[1]. فكل إنسان مجازى بعمله بالعدالة الإلهية، ويصور القرآن الكريم ذلك أيضا فى قصة سيدنا نوح عليه السلام،

فمع كونه نبيا ورسولا إلا أن ذلك لم يشفع لولده الكافر الذى أغرق مع الغارقين لماذا؟ لأنه من الكافرين. لا محاباة فى تشريع الله، كل بعمله ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (سورة هود الآيات: ٤٥ ـ ٤٧).

وكذلك نجد أيضا أن القرآن الكريم أخبر أن امرأة نوح وامرأة لوط سيدخلان النار بسبب خيانتهما. وفى الجانب الآخر زوجة فرعون أخبر القرآن الكريم أنها ستدخل الجنة وذلك لأنها آمنت بالله وأقرت له بالوحدانية برغم أن زوجها كان كافرا بالله وكان من ألد أعداء موسى رسول الله. يقول القرآن الكريم فى تمهيده لحكاية هذا الإخبار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التحريم الآية: ٧) ثم يقول القرآن الكريم بعد آيتين ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ

(١) المرجع السابق جـ٤ ص ٢٥٨.

مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة التحريم الآية : ٧).

والقرآن الكريم يصور لنا أخذ البرئ بالمذنب لا على أنه مضاد للشريعة فحسب بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

يحكى القرآن قول يوسف لإخوته ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية : ٧٩)[١].

كل هذه الآيات تدل بوضوح على المبدأ الأساسى لكل تشريع سماوى ولكل عدالة إنسانية وهو أن كل إنسان يحمل مسئولية نفسه.

وينتج من هذا كله بوضوح أن الثواب والعقاب لا يمكن أن يتأتى فيها أى تحويل أو امتداد أو اشتراك أو التباس حتى بين الآباء والأبناء، وإذا كان آباؤنا وأجدادنا مسئولين مثلا عن الأمثلة التى لقنوها لنا والعادات التى أخذناها عنهم وإذا كنا مسئولين عن الطريقة التى استعملنا بها هذه التركة فلا يجب مطلقا أن نتحمل معهم وزر ما عملوا ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٤١)[٢] فالإنسان لا يحمل وزر غيره ولا يحمل غيره وزره وكل إنسان مجازى بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

❖ أما ما ورد من بعض الآيات والأحاديث التى يوهم ظاهرها بأن الإنسان يحمل وزر غيره فإنها لو فهمت حق الفهم لرد هذا التوهم.

من ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(سورة العنكبوت الآية : ١٣) وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ الطور الآية (٢١).

ولو فسرت هاتان الآيتان بما قبلها وما بعدها لفهم المعنى الصحيح لهما.

---

(١) دستور الأخلاق فى القرآن ص١٥٢.
(٢) المرجع السابق ص ١٤٩.

والآيتان لا ترفع المسئولية الفردية ولكنها تضيف على أعمال الإنسان بعض الأعمال الأخرى.

يقول د/ محمد عبد الله دراز (وأول ما نبدأ به أن نزيح فكرة معينة هى أنه ليست المسألة هنا مسألة تحويل كلى يحرم به الفرد الرئيسى فى المسئولية من ثمرة جهوده أو يبرأ من نتائج عمله السئ... هيهات أن يحدث هذا...

والنصوص التى عالجت هاتين الحالتين لم تكف عن تأكيد هذا الواقع، إن ثواب صاحب العمل وعقابه لا يمكن أن ينقص بهذا ﴿ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ سورة الطور الآية (٢١) ﴿ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ سورة العنكبوت الآية (١٢).

فالمسئوليات الفردية تبقى إذن كاملة، وتلك نقطة مفروغ منها، وكل ما فى الأمر أن تذييلا للثواب والعقاب يأتى ـ فيما يبدو ـ من خارج فضلا عما ينتج عن العمل الفردى)[(١)].

ويقول (ولكن برغم تحديد المسألة على هذا النحو فلا يزال هناك نوع من التعارض مع النصوص الكثيرة التى تنكر ـ فيما رأينا ـ إنكارا مطلقا أن ينسب للإنسان ما ليس من عمله)[(٢)].

ولرد هذا التعارض يجب أن نبين معنى هذين النصين:

النص الأول: وليحملن أثقالهم....

بقول ابن كثير فى تفسير الآية التى قبل هذه الآية وهى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ (سورة العنكبوت الآية: ١٢). يقول تعالى مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا (ولنحمل خطاياكم) أى وآثامكم إن كانت لكم آثام فى ذلك علينا وفى رقابنا، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيئتك فى رقبتى، قال الله تعالى

(١) ولقد رد الدكتور محمد عبد الله دراز هذا الاعتراض الظاهرى وبين أن الآيتين لو فهمتا حق الفهم لما وجد تعارض. راجع دستور الأخلاق ص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢.

تكذيبا لهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ إنهم لكاذبون) أى فيما قالوه إنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد قال الله تعالى ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ (فاطر الآية : ١٨). ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ (المعارج الآية : ١٠).

أما قوله تعالى ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ .... (العنكبوت الآية : ١٣) فهو إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزارا أخرى بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا. كما قال تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (سورة النحل الآية : ٢٥). وفى الصحيح [(١)] (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا) [(٢)].

فالقرآن الكريم يبين أن هؤلاء الكفرة كاذبون فى قولهم (اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) ذلك لأنه لا يحمل أحد وزر أحد، ثم بين القرآن الكريم أن هؤلاء الكفرة سيحملون أوزارا مع أوزراهم بسبب ما أضلوا من الناس، ولا شك أن الإضلال من عملهم لا من عمل غيرهم.

يقول الفخر الرازى (قال تعالى ﴿ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم ﴾ (العنكبوت الآية : ١٢) وقال بعد ذلك ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ فهناك نفى الحمل وهنا أثبت الحمل فكيف الجمع بينهما؟ فنقول قول القائل : فلان حمل عن فلان يفيد أن حمل فلان خف وإذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا.

فكذلك ههنا (وما هم بحاملين من خطاياهم) يعنى لا يرفعون عنهم خطيئة وهم يحملون أوزارًا بسبب إضلالهم ويحملون أوزارا بسبب ضلالتهم.

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح/كتاب: العلم (٤٨٣١)، والترمذى فى سننه/كتاب: العلم (٢٥٩٨)، وكتاب: فضائل القرآن (٢٨٣١)، وأبو داود فى سننه/كتاب: السنة (٣٩٩٣)، وابن ماجة فى سننه/المقدمة (٢٠١) وأحمد فى مسنده (٢٠٢).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٠٦.

كما قال النبى ﷺ (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزره شيئا)[١]. رواه مسلم فى كتاب الزكاة[٢].

وبذلك يتبين معنى الآية وهو باختصار كما يلى :-

أن هؤلاء الرؤساء والدعاة والمتبوعين يتحملون مسئولياتهم كاملة عقابا على ما يقومون به من أعمال خاصة، ثم يتحملون عقابا زائدا بسبب إضلالهم التابعين المضلين، فهم قد أبعدوهم بدعواهم الكاذبة عن هداية ربهم، وبذلك يصير هؤلاء الرؤساء والدعاة مذنبين من جهتين.

الأولى: ضلالهم وفسادهم فى أنفسهم.

الثانية: إضلالهم غيرهم حيث أغروهم وزينوا لهم الفساد.

ومن ثم فإنهم سوف يذوقون عقابا على ذنوبهم الخاصة وعقابا على إضلالهم وإفسادهم الآخرين[٣].

يدعم ذلك قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا[٤] فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ (سورة النحل الآية : ٨٨) أى بسبب إفسادهم وإضلالهم للآخرين. ولا شك أن إفسادهم وإضلالهم لغيرهم من أعمالهم وليس من أعمال غيرهم، فهم يستحقون بسبب هذا الإفساد والإضلال أثقالا مع أثقالهم وهى أثقال الضلال والإضلال. مع الاحتراز بأن هؤلاء الذين ضلوا لن يعفوا مطلقا من خطيئتهم والتى هى استسلامهم للضلال وهو معنى قوله تعالى (وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ) وقوله ﷺ (من غير أن ينقص من آثامهم شيئا).

وبذلك يتبين أنه ليس هناك أى أثر من التعارض، وليس هناك ما يحدد القاعدة العامة للمسئولية الفردية، فكل إنسان مسئول عن عمله سواء كان هذا العمل بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر. وعلى ذلك يفهم معنى الحديث الذى رواه الإمام

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٢٥ ص ٤١.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه/كتاب: الزكاة (١٦٩١)، والنسائى فى سننه/كتاب: الزكاة (٢٥٠٧)، وابن ماجة فى سننه/المقدمة (١٩٩)، وأحمد فى مسنده (١٨٣٦١، ١٨٣٨١، ١٨٤٠٤، ١٨٤٠٦).

(٣) راجع المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ص١٠٨.

(٤) أى عذابا على كفرهم وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ أى ينهون الناس عن اتباعه ويبتعدون هم منه أيضا (تفسير ابن كثير ص ٥٨١).

مسلم[١] فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه. (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به) فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وأن ولده من كسبه[٢]) والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة يس الآية: ١٢)والعلم الذى نشره فى الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله وثبت فى الصحيح[٣] (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا)[٤].

❖ أما النص الثانى فهو قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ (سورة الطور الآية: ٢١)، أى اتبعناهم ذرياتهم بسبب إيمانهم وسيرهم على النهج الإيمانى الذى سار عليه الآباء.

يقول د/محمد إبراهيم الشافعى (إن هذه الاية الكريمة توهم البعض بأنها تتنافى مع مبدأ شخصية المسئولية وفرديتها، ولكن الناظر المتدبر للآية يرى أنها لا تحوى أدنى تضارب أو تنافى مع المبدأ الذى أكدته ووثقته معظم آيات القرآن الكريم، ذلك لأن الآية الكريمة يخبر الله بها عن فضله وتفضيله وامتنانه وإحسانه على من آمن به وسلك طريقه بأن يضم ويجمع ذريته فى الجنة لتقر عينه بهم ويسعد بمشاهدتهم وقربهم ويطمئن بصحبتهم ورؤيتهم، ويشرط أن يكون الأبناء قد ساروا على نفس الدرب الذى سار فيه الآباء من إيمان خالص بالله عز وجل ومن سلوك طريقه واتباع هديه، وعندئذ تتحقق الأمنية التى طالما راودت قلوب الآباء المؤمنين الذين توجهوا إلى ربهم يسألونه أن تقر أعينهم بأبنائهم فى الدنيا والآخرة، وهذا هدف كل مؤمن

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح/كتاب: الوصية/باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، وأبو داود فى السنن/كتاب: الوصايا/باب: ما جاء فى الصدقة عن الميت، والترمذى/كتاب: الأحكام/باب: فى الوقف: وأحمد فى المسند (٨٤٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه فى السنن/كتاب: التجارات/باب: الحث على المكاسب، وأحمد فى المسند ٤٢/٦، وابن حبان فى الصحيح/كتاب: الرضاع/باب: النفقة والإحسان.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٢٥٨ .

صادق ومحب لأبنائه وذريته حبًا حقيقيًا، فمن أحب أحدًا حبًا حقيقيًا تمنى أن يكون معه فى الدنيا والآخرة. ولا يتحقق هذا الحب إلا بالتقاء الأرواح وامتزاج النفوس وائتلاف القلوب على حب الله تعالى وحب رسول الله والسير على الصراط المستقيم)[١].

ثم يقول (أما من كان على خلاف الإيمان بالله فإنه يقلق بال أبيه فى الدنيا والآخرة بل ويصيبه بالهم والحزن الشديد، ألا ترى ما كان من ابن نوح وما يكون من فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لهول الموقف وشدة الكرب يوم العرض والحساب ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس الآيات : ٣٤ ـ ٣٧) فقد تدابروا وتقاطعوا يوم القيامة لأنهم تدابروا وتقاطعوا عقيدة وعملا فى الحياة الدنيا)[٢].

فإيمان الأبناء شرط للحوقهم بآبائهم فى الجنة وانضمامهم إليهم فى النعيم الذى أعطاهم الله تعالى إياه.

أما إذا لم يؤمنوا وإذا لم يسيروا على النهج الإيمانى الذى سار عليه الآباء فإنهم لا يلحقون بهم، لأنهم ليسوا من أبنائهم ـ الروحيين ـ وليسوا من ذريتهم ـ تلك الذرية الإيمانية ـ لذلك يقول الله لسيدنا نوح عليه السلام وهو يدعو الله لأن ينجى ولده قال له الله ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ (سورة هود الآية : ٤٦).

ولذلك نجد أيضًا الآيات القرآنية توضح أن من اتبع وأطاع وأحب رسول الله فهو معه يقول الله تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء الآية : ٦٩)[٣] وكما ورد فى كثير من أحاديث الرسول ﷺ التى تقرر أن المتحابين فى

---

(١) المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ص ١١١.

(٢) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٣) ذكر ابن كثير فى تفسيره سبب نزول هذه الآية (عن سعيد بن جبير قال جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون فقال له النبى ﷺ يا فلان مالى أراك محزونًا؟ فقال يا نبى الله شئ فكرت فيه فقال ما هو؟ قال نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك فلم يرد عليه النبى ﷺ، فأتاه جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول ...) فبعث النبى ﷺ إليه فبشره (تفسير ابن كثير ص ٥٢٢.

الله سوف يجتمعون فى الجنة (أنت مع من أحببت) (والمرء مع من أحب) رواه البخارى فى كتاب الأدب [١].

فالالتقاء فى الجنة معا بسبب اللقاء الروحى فى الدنيا وبسبب اللقاء الإيمانى فى الدنيا، ولا يلزم أن يكونوا فى درجة واحدة من هذا النعيم، فهم فى النعيم الواحد ودرجاتهم متفاوتة.

وعليه فإن هذا الاتحاد فى جنة الله لا ينفى مطلقًا التدرج فى الجزاء ولا يستتبع بالضرورة اختلاطًا فى القيم، فنحن ندرك جيدًا أن أعضاء جمعية واحدة متدرجون فى مناصبهم مختلفون فى وظائفهم متفاوتون فى استحقاقهم شأن القطار الذى يقل مجموعة مختلفة من طوائف المسافرين [٢].

وبذلك يتبين أن المعنى لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (سورة الطور الآية: ٢١). أى أن الأولاد يلحقون بالآباء بسبب اتباعهم لنهجهم الصحيح فى السير على الطريق السوى والصراط المستقيم، فهؤلاء الأولاد لا يكتفون ببنوتهم الطبيعية حتى يضيفوا إليها بنوة روحية [٣].

(إذا فسرنا الآية على هذا النحو وقابلناها كما ينبغى بمجموع النصوص الأخرى فإنها لا تحتوى أدنى تضارب مع المبدأ العام مبدأ المسئولية الفردية) [٤].

نخلص من هذا: أنه لا تعارض بين هذه الآية ومجموع الآيات الدالة على المسئولية الفردية، وذلك لأن الأبناء الذين يلحقون بالآباء هم الذين آمنوا بالله ورسله وساروا على نهج آبائهم الإيمانى - على أنهم وإن كانوا معا فى النعيم فلا يمنع أن تتفاوت درجات هذا النعيم على حسب أعمالهم. لذلك جاء فى القرآن تكميلا لهذه الآية التأكيد على المسئولية الفردية (كل امرئ بما كسب رهين).

---

(١) أخرجه البخارى/كتاب: المناقب/باب: مناقب عمر بن الخطاب، كتاب: الأدب/باب: ما جاء فى قول الرجل "ويلك"، وباب: علامة الحب فى الله، كتاب : الأحكام/ باب: القضاء والفتيا فى الطريق، ومسلم/كتاب: البر والصلة والآداب، والترمذى فى سننه/كتاب : الزهد، وأبو داود/كتاب : الأدب.

(٢) دستور الأخلاق فى القرآن ص ١٥٩.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

وبذلك يتبين أنه مما تتميز به المسئولية فى الإسلام أنها فردية محضة كل إنسان مجازى بعمله.

ما يترتب على مبدأ المسئولية فى الإسلام بمميزاتها

ويترتب على إثبات المسئولية ـ وخاصة فى مجال دراستنا ما يلى : ـ

أولا: رد إدعاء اليهود والنصارى بأنهم أولياء لله من دون الناس وأنهم بسبب هذا يدخلون الجنة وحدهم دون غيرهم.

فأول ما يلفت نظرنا فيما يترتب على إثبات المسئولية فى الإسلام مواجهة أولئك الذين كانوا يرون أنفسهم فى مستوى خاص بهم وأنهم من أصحاب الامتيازات إنهم يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون ولا مسئولية عليهم فيما يقولون وفيما يفعلون وهؤلاء الناس على الأخص اليهود والنصارى.

يقول القرآن فيما يحكى قولهم ﴿ **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة البقرة الآية : ٨٠).

وقولهم: ﴿ **لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ (سورة البقرة الآية: ١١١).

وقولهم: ﴿ **نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٨).

وتبين الآيات بأنها أمانى كاذبة وأنها افتراء على الله بدون علم ولا برهان وأنهم يقولون ما لا يعلمون.

يبين الله سبحانه وتعالى بطلان أقوالهم وذلك على طريق الإلزام والتبكيت أى إن صح قولكم إنكم أولياء الله ـ أو أبناء الله وأحباؤه ـ فلأى شئ يعذبكم فى الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم فى النار أياما معدودة بعدد أيام عبادة العجل أى لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه فلم عبدتم غير الله. ولم أعد

لكم نار جهنم على كفركم وافترائكم. لذلك يقول الله (بل أنتم بشر) عطف مقدر ينسحب عليه الكلام أى لستم كذلك (بل أنتم بشر ممن خلق). أى من جنس خلق الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله (ويعذب من يشاء) أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) من الموجودات لا ينتمى إليه سبحانه شئ منها إلا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة وإثابة وتعذيبا فأنى لهم ادعاء ما زعموا؟؟ (وإليه المصير) فى الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسئ مما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه)[١].

فالله سبحانه وتعالى يبين لهم أن المدار كله فى دخول الجنة إنما هو بقدرته وبحكمته فهو الذى يجازى ويحاسب كلا من المحسن والمسئ على حسب عمله.

ولذلك يقول القرآن الكريم ـ على سبيل التحدى ـ ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة الآيات: ٩٤ ـ ٩٦)

أى إن كانت لكم الجنة أو نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة أى سالمة لكم خاصة بكم ـ كما تدعون ـ وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ـ من دون الناس (فتمنوا الموت) فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة الأكدار لا سيما إذا كانت خالصة له.[٢] (إن كنتم صادقين) هذا أمر معلق على شرط مفقود وهو كونهم صادقين فلا يكون الأمر موجودا والغرض منه التحدى وإظهار كذبهم فى دعواهم[٣].

---

(١) إرشاد العقل السليم جـ٢ ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق بتصرف ص١٥٨.

(٣) مفاتيح الغيب جـ٣ ص ٢٠٧.

(ولئن يتمنوه أبدا) كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم فى دعواهم (بما قدمت أيديهم) أى بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى ﷺ والقرآن وتحريف التوراة.

(والله عليم بالظالمين) أى بهم، وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون فى جميع الأمور التى من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم، والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى إلى ذلك[1]. ثم يقول سبحانه (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة). أى على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السئ وعاقبتهم عند الله الخاسرة لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم.

وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم من باب عطف الخاص على العام (والله بصير بما يعملون) أى خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازى كل عامل بعمله)[2].

وعلى ذلك يتبين كذب اليهود والنصارى فى ادعائهم أنهم أولياء الله وأنهم يدخلون الجنة وأن لهم من الامتيازات ما ليس لغيرهم حيث إن القرآن الكريم يبين أن المدار فى دخول الجنة والولاية هو المحاسبة والمجازاة والمسئولية الفردية كل بعمله وعلى حسب أعماله التى عملها.

وهم قد حرفوا شرع الله وأشركوا بالله ولم يؤمنوا بالرسول وبالقرآن، وعليه فهم أصحاب النار ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ** ﴾ (سورة البقرة الآية: ٨١).

ثانيا ـ ومما يترتب على ما قرره الإسلام من شخصية المسئولية.

فساد القول بالخطيئة الأصلية وفساد ما يسمى بوراثة الخطيئة ذلك أن كل إنسان مسئول عن أعماله التى عملها.

---

(١) إرشاد العقل السليم جـ١ ص ١٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٢٨، ١٢٩.

فالإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ؛ إذ يبين أنه لا يحاسب أحد بذنب أحد ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (سورة الزلزلة الآيات: ٧ ، ٨) ذلك أن العدالة الإلهية تقرر أن ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (سورة المدثر الآية : ٣٨).

إن الإسلام يقرر أن كل ذنب أو إساءة أية نفس باشرته أو تسببت فيه يقع وباله عليها وحدها لا يتعداها إلى غيرها وأن كل عمل صالح طيب باشره الإنسان أو تسبب فيه ينال ثوابه بنفسه لا ينسحب إلى غيره.

وأن الثواب والعقاب كلاهما لا يمكن أن يطرأ عليهما تحويل أو تغيير فكل عامل يقع عليه تبعة عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر[١].

وأن الأبناء لا يحملون من وزر الآباء ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (سورة لقمان الآية: ٣٣)وإنما كل على حسب أعماله. وبذلك يتبين فساد القول بوراثة الخطيئة.

ومبدأ المسئولية الفردية له أثره القوى على اتقاء الإنسان للوقوع فى الأخطار وله أثره القوى فى تهذيب النفس والمجتمع.

بل إن هذا المبدأ هو الذى يتفق مع الكرامة الإنسانية التى كرم الله بها الجنس البشرى. أما القول بوراثة الخطيئة فإنه ولا شك قول يؤثر تأثيرا سيئا على الإنسان فى نظرته لنفسه. فهو يوحى بالمهانة الإنسانية ويثير القلق والفزع فى النفوس بل ويؤثر تأثيرا سيئا على المجتمع حيث إن الإنسان كما ورث الخطيئة ولم يخطئ فسيعتمد على غيره فى حمل خطاياه ومادام غيره مسئولا عن ذنوبه فإنه لن يبالى بهذه الذنوب وعندئذ تملأ الخطيئة الأرض[٢].

ولقد تحدث أحد النصارى عن هذا القلق النفسى التى تثيره الخطيئة الموروثة.

يقول د/نظمى لوقا (وإن أنسى لا أنسى ما واكبنى صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم، ذلك الوصف المثير مخيلة الأطفال وكيف تتجدد فيها الجلود كلما أكلتها النيران جزاء وفاقا

(١) سعيد حوى : الرسول ﷺ جـ٢ ص١٨١.

(٢) المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم ص ١٠٢.

على خطيئة آدم بإيعاز من حواء..، وأنه لولا النجاة على يد المسيح الذى فدى البشرية بدمه الطهور لكان مصير البشرية الهلاك المبين)[١].

ويقول (وإن أنسى لا أنسى القلق الذى ساورنى وشغل خاطرى عن ملايين البشر قبل المسيح أين هم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة؟ فكان لابد من عقيدة الإسلام ـ ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة وتطمئنهم إلى العدالة التى لا تأخذ البرئ بالمجرم أو تزر الولد بوزر الوالد وتجعل للبشرية كرامة مضمونة)[٢].

ويقول (إن المسئولية هى أساس الكرامة الإنسانية وأساس كل حرية وكل أخلاق ممكنة وهذا ما قطع به الإسلام ووضع به الحجر الإساسى لكرامة بنى آدم. يقول سبحانه ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (سورة النجم الآيات ٣٩ـ٤١).

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٦٤).

هذه المسئولية الإنسانية التى هى أساس كل كرامة الإنسان)[٣].

ويقول (إن الخطيئة الأولى الموروثة والتى تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء فيمضى فى حياته مضى المريب المتردد ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .. إن هذه الفكرة تسمم ينابيع الحياة كلها)[٤].

وهكذا يتبين أن إثبات المسئولية الفردية يبطل القول بوراثة الخطيئة تلك الفكرة الموجبة للقلق والشك أو على حد التعبير السابق تسمم ينابيع الحياة كلها.

ثالثا: يتبين لنا مما قرره الإسلام من المسئولية الفردية:

أنه لا يخلص الإنسان سوى عمله لا عمل غيره، وأنه لا يفدى الإنسان سوى عمل الإنسان لا الفداء عن طريق صلب نبى أو رسول.

فلكى ينجو الإنسان من عذاب الله لابد من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وعمل الصالحات وذلك حيث بينت آيات القرآن الكريم أن النجاة الأخروية والسعادة

---

(١) د/نظمى لوقا: محمد الرسالة والرسول ص ٧٥.
(٢) المصدر السابق ص٧٦.
(٣) المصدر السابق ص٧٧.
(٤) المصدر السابق ص٧٨.

الأبدية إنما تتوقف على إيمان المرء بالله وعلى ما يقدمه لنفسه من علم الصالحات، وآيات القرآن الكريم فى ذلك صريحة.

يقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية (٦٢). ولما قال اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة إلا من كان هود أو نصارى) رد عليهم القرآن بقوله ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١١١ ـ ١١٢). أى من أسلم وأخلص العمل لله وحده لا شريك له ضمن له تعالى على هذا الإيمان تحصيل الأجور وآمنهم مما يخافونه من المحذور (ولا خوف عليهم) فيما يستقبلونه (ولا هم يحزنون) على ما مضى مما يتركونه[1].

فلقد بين سبحانه أن إسلام الوجه لله والإخلاص فى العمل هو سبب النجاة، فلا يخلص الإنسان ولا يفديه ـ إن صح هذا ـ سوى عمله لا عمل غيره وبذلك يبطل الاعتقاد بوراثة الخطيئة ويبطل الاعتقاد أيضا بأن المسيح صلب من أجل هذه الخطيئة وأن صلب المسيح من أجل البشر هو طريق النجاة والسعادة، إن طريق النجاة الصحيح هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى والعمل الصالح. والسعادة الحقة بعمل الإنسان لا بعمل غيره.

من تكريم الإسلام للإنسان: إلغاء الواسطة بين الله والإنسان

ثم ننتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى مهمة وهى: القول بأن الخطيئة تبعد الإنسان عن الله وتفصله عن الله وأنه لكى تتصل حلقات المودة بين الإنسان والله لابد من الخلاص عن طريق الإيمان بفداء المسيح، أو الخلاص من الخطيئة على يد كاهن وذلك باعتراف المخطئ بذنبه للكاهن فيحصل على المغفرة على يد الكاهن[2] ـ كما بينا فى الفصل الخاص بالشعائر.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ١ صـ١٥٥ .

(٢) فالكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية تعتقد أنه إذا لم يعترف الخاطئ بكل خطية من الخطايا لا يغفر له. يقول المطران أفلاطون: الاعتراف سر به يغفر الله على يد الكاهن خطايا المؤمنين متى اعترفوا بها بإخلاص وآمنوا دون شك بالمسيح أ. هـ (الخلاصة الشهية فى أخص العقائد الأرثوذكسية ص ١٣٤). وفى علم اللاهوت النظامى عن عقيدة الكاثوليك (وأنه لا يمكن أن تغفر خطيئة ترتكب بعد المعمودية بدون أن يعترف بها مرتكبها للكاهن الذى له سلطان الحل والربط) علم اللاهوت النظامى ص ٩٨٣ ، ١١٣٩.

يبين الإسلام فساد هذا الاعتقاد.

ذلك أن الإسلام يقرر أن الإنسان إذا زلت قدمه وعصى ربه فإن الله سبحانه وتعالى فتح له باب التوبة والتقرب إليه سبحانه.

يقول سبحانه ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة الزمر الآية: ٥٣).

يقول د/ يوسف القرضاوى (لقد كان من دلائل تكريم الله للإنسان فى نظر الإسلام أن فتح له باب التقرب إليه سبحانه وتعالى أنى شاء، ومتى شاء، ولم يحوجه إلى وسطاء يتحكمون فى ضميره ويقفون حجابا بينه وبين ربه.

يقول الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٨٦).

ويقول فى آية أخرى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (سورة غافر الآية: ٦٠).

وقوله﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٥٢).

ويعلن الحديث القدسى :(أن من تقرب إلى الله شبرا تقرب الله إليه ذراعا ومن تقرب إلى الله ذراعا تقرب الله إليه باعا) من حديث رواه البخارى[(١)].

لا حاجة بالإنسان إذن إلى وساطة كاهن يصل عن طريقه إلى الله، ولا يقبل الله منه عبادة من غير توسطه، فليس فى الإسلام كاهن ولا كهنوت) [(٢)]. ويقول: (وبهذا يستطيع الإنسان المسلم أن يقرع باب ربه متى شاء وأين شاء بعيدا عن سيطرة طبقة الدجاجلة المدعين للسمسرة بين الله وعباده، وليس هذا لخاصة الأتقياء الصالحين دون العصاة المذنبين. كلا فإن باب الله مفتوح على مصراعيه لكل من دعاه ورجاه ووقف على عتبته ضارعا مستغفرا وإن اقترف قبل ذلك كبائر الإثم وفواحش الذنوب.

---

(١) أخرجه البخارى/كتاب: التوحيد/باب: قول الله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ سورة آل عمران الآية: (٢٨)، وقوله ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١١٦). ومسلم/كتاب: الذكر والدعاء والتوبة/باب: الحث على ذكر الله، والترمذى/كتاب: الدعوات، وابن ماجة/ كتاب: الأدب.

(٢) الخصائص العامة للإسلام ص ٧٤.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٣٥).

وفى الحديث القدسى الصحيح[١]: (ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم) رواه مسلم من حديث أبى ذر[٢].

وعلى ذلك يتبين مدى أصالة المسئولية الفردية التى قررها الإسلام فكل إنسان مسئول عن عمله، وإن زلت قدمه وعصى ربه فإنه لكى يتخلص من عقوبة هذه المعصية يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ويتقرب إليه، فهو غفار الذنوب، وقابل التوب، لمن تاب وأناب إليه، وهذا من تكريم الإسلام للإنسان. فالاعتراف بالمعصية يكون لله لا لكاهن فليس بين الله وبين الناس حجاب، ولا واسطة، فهو سبحانه قريب من عباده متى دعوه، وسألوه، أجابهم.

---

(١) أخرجه مسلم/كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) المرجع السابق ص ٧٥.

الفصل الثالث

القول الحق
فى عيسى بن مريم

عيسى بن مريم[1]

لقد تحدث القرآن عن عيسى بن مريم، وأبرز الجوانب التى تهم المؤمنين فى إيمانهم وعقيدتهم، وصحح العقائد الفاسدة التى اعتقدها الناس فى عيسى بن مريم.

فلقد رسم القرآن الكريم صورة صادقة عن عيسى بن مريم تتفق مع كونه عبد الله ورسوله، فعيسى إنما هو ابن مريم، أى ولد من مريم الطاهرة البريئة التى اصطفاها الله سبحانه وتعالى على نساء العالمين ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: (٤٢).

يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة النسية ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به اليهود ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ ﴾ آخرًا ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء[2].

نشأت مريم نشأة طاهرة حيث التبتل والعبادة. ويحكى القرآن الكريم أنها بينما هى على حالة من العبادة إذ تمثل لها الملك بشرا سويا ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ

(١) إن القرآن الكريم قد أطلق على المسيح عيسى بن مريم ليقرع آذان النصارى بأنه ابن مريم لا ابن الله. راجع الأديان فى القرآن ص ٢٩٥.
(٢) الكشاف جـ١ ص ٤٢٩.

تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ (مريم الآيات: ١٨ ـ ٢٧).

ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم سواء فى ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ومن لا يعرف، لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهى المعروفة بينهم بأنها عذراء وليس لها بعل، فكانت المفاجأة داعية الاتهام لأن عند المفاجأة تذهب الروية ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضى والحاضر وخصوصا أن دليل الاتهام قائم وقرينته أمر عادى لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله ويأتى على قواعده، ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذى لا يأتيه الريب ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه فى نسكها وعبادتها ولذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة[(١)].

(فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال) ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[(٢)] (سورة مريم الآيات: ٢٩ ـ ٣١).

نطق السيد المسيح فى المهد ليكون كلامه إعلاما صريحا ببراءة أمه، وأنه لم يكن إلا عبد الله ولد من غير أب.

فالمسيح بشر ولد من مريم لذلك نسب إلى مريم.

يقول الزمخشرى فى تفسير قول الله تعالى (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) فإن قلت: لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم؟ قلت: لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه)[(٣)].

(١) محاضرات فى النصرانية ص١٩.
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص٥٧٦.
(٣) الكشاف جـ١ ص ٤٣٠.

عيسى بن مريم رسول الله

ولقد حدد القرآن الكريم رتبة عيسى بن مريم بأنه رسول الله أرسله الله إلى نبى إسرائيل لدعوتهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ولتصحيح عقيدتهم التى انحرفوا بها عن رسالة موسى عليه السلام. (ذلك أن بنى إسرائيل قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وحرفوا شريعة الله التى جاءهم بها موسى عليه السلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوى وخرجوا إلى الإفراط والتفريط)[١]. لذلك أرسل الله عيسى بن مريم عبده ورسوله ليدعوهم إلى التوحيد الخالص إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (سورة النساء الآية : ١٧١). أى أن القول فى عيسى بن مريم أنه رسول الله.

يقول أبو السعود (أى أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها)[٢].

ثم يبين القرآن الكريم أنه رسول من جنس رسل الله لا فرق بينه وبين رسل الله فى مهمة الرسالة.

يقول سبحانه ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٧٥). أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها[٣]. فالمسيح ابن مريم ما هو إلا رسول كرسل الله السابقين المؤيدين بالمعجزات تأيدا من الله وتصديقا لهم فى دعوى الرسالة.

ثم يحدد القرآن الكريم رسالة عيسى بن مريم - أى يحدد القوم الذين أرسل إليهم عيسى. يقول سبحانه ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٤٩).

ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الصف الآية : ٦).

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٩٢.
(٢) إرشاد العقل السليم جـ١ ص ٦١٢.
(٣) مفاتيح الغيب جـ١٢ ص٦٥ ، إرشاد العقل السليم جـ١ ص٧٦.

أى أنه رسول الله لبنى إسرائيل مصدقا لما جاءت به التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعده وهو النبى الأمى العربى أحمد.

أول شئ فى دعوة الرسل توحيد الله

يبين القرآن الكريم أن الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادة الله وحده لا شريك له هى دعوة الأنبياء والرسل جميعا.

يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ٩٢).

يقول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير فى تفسير هذه الآية (إن دينكم دين واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له)[١].

فالدعوة الأساسية لرسل الله جميعا هى التوحيد الخالص.

يقول سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ٢٥).

ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ (سورة النحل الآية : ٣٦).

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ (سورة النحل الآية : ٢).

﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ (سورة الزخرف الآية : ٤٥).

فالسمة الأساسية للرسالات السماوية توحيد الله عز وجل، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلى :-

يقول سبحانه عن نوح ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ٥٩).

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٩٣.

وعن رسول الله هود ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ٦٥).

وعن رسول الله صالح ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ٧٣).

وعن رسول الله شعيب ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ٨٥).

ورسول الله موسى دعا بنى إسرائيل إلى توحيد الله عز وجل يحكى القرآن الكريم قول موسى لقومه ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (سورة طه (٩٨).

فدين الأنبياء والرسل واحد ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (سورة الشورى الآية : ١٣) ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٣٦).

عيسى بن مريم ما دعا إلا إلى التوحيد

إن عيسى بن مريم يتفق مع سائر الأنبياء والرسل فى دعوته إلى التوحيد الخالص والتنزيه الذى لا يشوبه شائبة.

ولقد دلت آيات القرآن الكريم على أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد.

ذلك أن آيات القرآن الكريم تنص فى صراحة ووضوح على أن عيسى دعا قومه إلى توحيد الله عز وجل وعبادة الله وحده لا شريك له فلا رب غيره ولا معبود سواه.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلى :-

١ - من ذلك قوله تعالى على لسان المسيح : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران الآيات (٥٠ - ٥١).

ومقصود من قوله (إن الله ربى وربكم فاعبدوه) - إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولون إنه إله وابن إله، لأن إقراره لله بالعبودية يمنع ما تدعيه جهال النصارى عليه.

ثم قال (فاعبدوه) والمعنى أنه تعالى لما كان رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه، ثم أكد ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم)(١).

٢ - من ذلك أيضا قول المسيح ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٣).

لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب كمثلهم.

ثم قال (إنه من يشرك بالله) فى عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التى هى دار الموحدين(٢).

(والحال أن المسيح قال لهم ضد ما يقولون أمرهم بعبادة الله وحده معترفا بأنه ربه وربهم، فاعترف بأنه عبد مربوب لله تعالى، ودعا بنى إسرائيل الذين أرسل إليهم أن يعبدوا الله وحده الذى يعبده هو "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة" أمرهم عليه السلام بالتوحيد الخالص، وقفى عليهم بالتحذير من الشرك والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئا ما، من ملك أو بشر أو كوكب أو حجر أو غير ذلك بأن يجعله ندا لله أو متحدا به - من يشرك بالله هذا الشرك ونحوه فإن الله يحرم عليه الجنة فى الآخرة، بل هو قد حرمها عليه فى سابق علمه وبمقتضى دينه الذى أوحاه إلى جميع رسله فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوى إليه إلا النار دار العذاب والهوان، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم)(٣).

٣ - من ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (سورة الزخرف الآية: ٦٣ - ٦٤).

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٨ ص ٦٦.
(٢) الكشاف جـ١ ص ٦٣٤.
(٣) تفسير المنار جـ٦ ص ٤٠٠.

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أى بالنبوة ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ قال ابن جرير يعنى من الأمور الدينية لا الدنيوية ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فيما أمركم به ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما جئتكم به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى أنا وأنتم عبيد له فقراء إليه مشتركون فى عبادته وحده لا شريك له ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده[1].

٤ ـ ما ذكره القرآن الكريم عما سيكون يوم القيامة بين الله وعيسى بن مريم والتى يعترف فيها عيسى بن مريم بأنه ما دعا قومه إلا إلى التوحيد الخالص أى عبادة الله وحده لا شريك له. يقول سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة المائدة الآيات: ١١٦ ـ ١١٧).

يقول الفخر الرازى (وهذا الكلام إنما يذكره الله لعيسى يوم القيامة، ومنهم من قال إنه تعالى قال هذه الكلام لعيسى حين رفعه إليه، وتعلق بظاهر قوله (وإذ قال الله) وإذ تستعمل للماضى.

والقول الأول أصح لأن الله تعالى عقب هذه القصة بقوله (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) والمراد به يوم القيامة)[2]. وأيضا لأن الله قدم هذه القصة بقوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم).

والاستفهام فى قوله (أأنت قلت للناس ....) لا يقصد به حقيقته لأن الله عليم بكل شئ وإنما يقصد به أمران:.

أولهما: توبيخ النصارى الذين غيروا عقيدة المسيح الحقه وادعوا عليه ما لم يقله، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ فى تكذيبهم وأشد فى توبيخهم وتقريعهم.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ١٣٣.
(٢) مفاتيح الغيب جـ١٢ ص ١٤٢.

ثانيهما: تعريف عيسى عليه السلام أن قومه غيروا بعده وزاغوا عن مبادئه[١].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٧).

(ثم تذكر الآيات أن عيسى عليه السلام يبادر فيدفع عن نفسه ما نسب إليه - زورا وبهتانا - وينزه ربه عن الشريك والند والصاحبة والولد فيقول (سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) أى ليس لى أن ادعى لنفسى ما ليس من حقها فعيسى إذًا مربوب وليس برب ولهذا أسند ما نسب إليه إلى علم ربه فقال.

(إن كنت قلته فقد علمته) فلو صدر منى شئ مما نسب إلى لعلمته يارب فلا يخفى عليك ما قلته أوردته فى نفسى وأضمرته ولم أظهره، ولذا قال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى إنك تعلم سرى وما انطوى عليه ضميرى الذى خلقته ولا أعلم شيئا مما استأثرت به من غيبك وعلمك (إنك أنت علام الغيوب) ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن.

ومنطوق هذا التذييل تقرير لقوله (تعلم ما فى نفسى) لأنه يفيد أن الله يعلم الغيوب كلها، ومفهومه تقرير لقوله (ولا أعلم ما فى نفسك) لأنه يفيد أنه لا يعلم الغيب غيره تعالى، وتصدير الجملة بـ (إن)وتوسيط ضمير الفصل (أنت) وبناء المبالغة فى (علام) والجمع المعرف باللام (الغيوب) كل ذلك يدل على أنه لا يعزب عن علم الله شئ البتة)[٢].

(ثم صرح عيسى بأن ما دعا قومه إلا إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة فقال: (ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به) أى بإبلاغه لهم، ثم فسره بقوله (أن اعبدوا الله ربى وربكم).

ثم يخبر عيسى عليه السلام بأنه ظل قائما بحراستهم ورقابتهم وتذكيرهم بكلمة التوحيد والبعد بهم عن كل مظاهر الشرك مدة وجوده بين أظهرهم فيقول (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) أى الحفيظ

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢١١.

(٢) الفتوحات الإلهية جـ١ ص ٥٤٦. نقلا عن المرجع السابق ص ٢١١.

لأعمالهم وأقوالهم وسائر ما يصدر منهم من توحيد أو شرك (وأنت على كل شئ شهيد)[١].

والشاهد من هذه الآيات: أن عيسى عليه السلام يعترف بالعبودية لله وحده لا شريك له ويعلن براءته التامة من قول الشرك واعتقاد النصارى بذلك لأنه يعلن أنه ما دعا إلا إلى التوحيد الخالص.

هذه هى رسالة المسيح الحقة: دعوة بنى إسرائيل إلى وحدانية الله وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد، ولا شك أن المسيح فى دعوته إلى التوحيد يتفق مع سائر الأنبياء والمرسلين. وهذا يدل على أن المسيحية وما تدعيه من أن المسيح إله تجسد فى صورة بشرية ليست هى مسيحية المسيح.

ذلك أن المسيح دعا إلى التوحيد الخالص، دعا إلى توحيد الله عز وجل المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص بشرى، والمنزه عن الشريك والولد والصاحبة.

ولقد تبرأ المسيح عيسى بن مريم من معتقدات النصارى وأعلن أنه أقر بالعبودية لله وحده لا شريك له.

إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى بألوهية المسيح وأدلة البطلان

لقد دل القرآن الكريم على أن عيسى بن مريم بشر رسول وأنه كسائر الرسل ما دعا إلا إلى التوحيد، ولكن القوم حرفوا عقيدته وشوهوا رسالته فأطلقوا العنان لأنفسهم وادعوا أن المسيح عيسى بن مريم ليس بشرا عاديا إنما هو إله تجسد فى صورة بشرية.

ولقد رد القرآن الكريم على هذا التحريف الذى أفسد وشوه الديانة التى جاء بها عيسى عليه السلام وجعلها أشبه بمعتقدات المشركين والوثنيين.

وفى بياننا لرد القرآن الكريم على النصارى نحب أن ننبه:

إلى أن النصارى ادعوا أن المسيح إله وابن إله أى أنه الله الابن.

والقرآن الكريم أبطل كون المسيح إلها، وأبطل كونه ابن الله أو ولد الله.

وقبل أن نورد الآيات التى تبطل ألوهية المسيح نبين أن القرآن الكريم قطع على المسيحيين حجة الاستشهاد بالأناجيل وبأقوال المسيح، ذلك أن القرآن الكريم يبين

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٢.

أن الأناجيل قد حرفت فلذلك لا يصح الاستشهاد بها على ألوهية المسيح. وكذلك أيضا فإن المسيح ما دعا الناس إلا إلى الله وحده لا شريك له.

١ ـ إشارة القرآن الكريم إلى تحريف الإنجيل.

من المسلم به أننا نعترف بأن الله أنزل على عيسى الإنجيل.

يقول سبحانه ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٤٦).

فالقرآن الكريم يحدثنا أن الإنجيل الذى أنزل على عيسى هو كتاب هداية ونور لما فيه من دعوة الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له ولذلك فهو موعظة للمتقين لأنهم هم الذين يهتدون بهدايته.

هذه هى مواصفات الأناجيل الذى أنزل على عيسى ، ولكن أين هذا الإنجيل؟

إن الأناجيل الموجودة حاليا ليست هى الإنجيل الذى أنزل على عيسى لذلك فهى منسوبة إلى إصحابها (متى ـ مرقس ـ لوقا ـ يوحنا) لا إلى عيسى.

وكذلك أيضا التعاليم والمعتقدات التى توجد فيها ليست هى تعاليم الإنجيل الذى أنزل على عيسى.

لذلك نجد أن آيات التنزيل الحكيم تبين أن أهل الكتاب قد حرفوا كتبهم وكتموا الحق وأخفوه.

يقول ابن القيم: قد وبخ الله اليهود والنصارى وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والإخفاء فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٧١).

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٥٩).

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٧٤).

وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٥).

أما التحريف فقد أخبر سبحانه عنه فى مواضع متعددة، وكذلك لى اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه فهذه خمسة أمور.

أحدها: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثانى: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان:

تحريف لفظه - وتحريف معناه.

الخامس: لى اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.

وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك[1].

فالقرآن الكريم قد أخبر أن أهل الكتاب قد أوتوا نصيبا من الكتاب فنسوا حظا مما ذكروا به وحرفوا جزءا آخر.

وفى ذلك يقول فى حق اليهود ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٣)[2].

وفى حق النصارى يقول ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٤).

---

(١) هداية الحيارى ص ١٠٥.

(٢) إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فى تحريف اليهود للتوراة ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٧٥) ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٧٩).

﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٧٥).

وقوله ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (سورة النساء الآية: ٤٦).

ويقول مخاطبا كلا الفريقين ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٥).

يقول د/إبراهيم سلامة (وهنا نحب أن ننبه إلى حقيقة هامة هى أن الآيات التى تحدثت عن تحريف أهل الكتاب لما أتوا من كتب الله كلها واردة فى حق اليهود خاصة، ولم يرد فى حق النصارى إلا قوله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به) [١]. فلم يصفهم القرآن الكريم صراحة بالتحريف كما وصف أسلافهم من اليهود فى كثير آياته... فهل معنى هذا أن النصارى لم يحرفوا الإنجيل كما حرفت اليهود التوراة؟.

الجواب على ذلك: أنهم حرفوه أكبر تحريف وأفحشه، حيث أزالوه من الوجود رأسا وأضاعوه كله واستعاضوا عنه بما كتبوا لأنفسهم من الأناجيل ورسائل مشتملة على قليل من الحق الذى جاء به المسيح وكثير من أباطيلهم وأكاذيبهم.

على أن هذه الأناجيل والرسائل المعتمدة لدى النصارى قد حرفت هى الأخرى أو بعبارة أدق قد حرف ما فيها من حق كما حرفت كتب اليهود. وإذا كان حذف كلمة واحدة من كتاب سماوى يعتبر تجديفا على الله وتحريفا للكتاب السماوى فما بالنا بحذفه كله وإضاعة أصله من الوجود!! وإنما لم يصف القرآن النصارى بالتحريف صراحة لأنهم لا ينسبون أناجيلهم هذه إلى الله ورسوله وإنما إلى من ألفها.

وأما اليهود فإنهم ينسبون كتبهم إلى الله ورسله ويدعون أنها منزلة من السماء.

ومن هنا عنى القرآن بإثبات تحريفهم لهذه الكتب وتبديلهم لها وبيان أنهم كتبوها بأنفسهم ونسبوها إليه زورا وبهتانا﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ

---

(١) يقول صاحب تفسير المنار فى معنى هذه الآية (فنسوا حظا مما ذكروا به) أى تركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به على لسان المسيح كما فعل الذين من قبلهم (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) الفاء للسببية أى فكان نسيان حظ عظيم من كتابهم سببا لوقوعهم فى الأهواء والتفرق فى الدين الموجب بمقتضى سنتنا فى البشر للعداوة البغضاء. والإغراء: التحريش وإسناده إلى الله تعالى مع كونه من أعمالهم الاختيارية سببا ومسببا لأنه من مقتضى سنته فى خلقه فهذا جزاؤهم فى الدنيا (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) عندما يحاسبهم فى الآخرة ينبئهم بحقيقة ضلالهم ويجازيهم عليه بعد ذلك ليعلموا أنه حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة جـ ٦ ص ٢٣٧.

يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية: ٧٩).

فعدم وصف النصارى بالتحريف الصريح ليس راجعا لسلامة الإنجيل منه، بل لأنهم أضاعوه رأسا ووضعوا لأنفسهم غيره ونسبوه إلى من ألفه فبعدت صلة هذه الأناجيل بالوحى السماوى لاعترافهم بأنها من وضعهم بخلاف اليهود الذين يزعمون أن ما بأيديهم منزل من عند الله[١].

فالنصارى نسبوا الأناجيل إلى أنفسهم وهذا يدل على أنها ليست من عند الله.

يقول ابن حزم (لسنا نحتاج إلى تكلف برهان فى أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك فى التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام التى عند اليهود، لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التى بأيديهم منزلة من عند الله عز وجل على موسى فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم فى ذلك.

وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤنة كلها، لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم وآخرهم لا يختلفون من أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة)[٢].

وعلى ذلك فالأناجيل المعتمدة بين النصارى ليست من عند الله، وليست هى عين الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام، بل هى من تأليفهم ووضعهم حسب أهوائهم وشهواتهم.

وإذن فلا سند لهم من نص سماوى يؤيد دعواهم في نسبة الألوهية إلى المسيح، ذلك أن هذه الأناجيل ليست من عند الله وما دام الأمر كذلك فلا حجة فى الاستدلال بها.

٢- إثبات القرآن الكريم لتحريف النصارى أقوال المسيح

ولقد قطع القرآن الكريم على النصارى حجة الاستشهاد بأقوال المسيح حتى لا يقول قائلهم: إنه وإن كان الإنجيل الذى أنزل على عيسى قد ضاع فإننا نقول بأقوال المسيح وتعاليمه.

---

(١) راجع القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٥١.

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ٢ ص ٢.

ذلك أن القرآن الكريم يبين خطأ هذا القول، فالمسيح عيسى بن مريم رسول الله ما دعا إلا إلى توحيد الله عز وجل وعبادة الله وحده لا شريك له.[1]

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٢)

ولقد تبرأ المسيح من أقوالهم واعتقاداتهم فقال ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١١٧)

فالمسيح برئ مما نسب إليه، فهو لم يقل إنه الله أو ابن الله.

وإذن فلا سند لهم من نص سماوى ولا من قول للمسيح يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح وعلى ذلك فإنهم بهذه العقيدة لا يقولون بتعاليم المسيح ولا بأقواله.

إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى بأن المسيح هو الله

إن النصارى يعتقدون ـ كما بينا فى الباب السابق ـ أن المسيح هو الله الابن[2].

ولقد أبطل القرآن الكريم اعتقاد النصارى بكون المسيح هو الله

وأبطل اعتقادهم أيضا بأن المسيح هو ابن الله.

أما الاعتقاد بأن المسيح هو الله، فإنه يبطله تلك الآيات الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى وتنزيه من الشريك يقول سبحانه ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٦٣).

ولقد شهد الله والملائكة وأولوا العلم بهذه الوحدانية.

يقول سبحانه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٨).

بل إن الكائنات تقر له بالعبودية والخضوع له وحده لا شريك له.

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ (سورة مريم الآيات: ٩٣ ـ ٩٥).

(١) راجع ما قلناه فى بداية هذا الفصل ص ٦٨٧ وما بعدها.

(٢) وهذا الاعتقاد كما ترى متناقض، فكيف يكون المسيح هو الله ـ وفى الوقت ذاته هو ابن الله؟

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآيات: ١٨ ـ ١٩).

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الحديد الآية : ٣).

فالأول هو الفرد السابق. يقول الفخر الرازى (لما وصف الله تعالى نفسه بكونه أولا وجب أن يكون فردا سابقا فوجب أن لا يكون له شريك)[١].

والله سبحانه وتعالى هو وحده العالم بالغيب قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (سورة الأنعام الآية: ٥٩) فالنص يقتضى أن لا يكون أحد سواه عالما بالغيب ولو كان له شريك لكان عالما بالغيب وهو خلاف النص.

والله سبحانه وتعالى صرح بكلمة ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فى سبعة وثلاثين موضعا من كتابه، وصرح بالوحدانية فى مواضع كثيرة نحو قوله ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٦٣) وقوله[٢] ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (سورة الإخلاص الآية: ١). وكل ذلك دال على التوحيد وإبطال الشرك.

ويقول سبحانه ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (سورة القصص الآية: ٨٨) حكم بهلاك كل ما سواه ومن عدم بعد وجوده لا يكون قديما ومن لا يكون قديما لا يكون إلها.

والله سبحانه هو وحده الذى يضر وينفع. يقول سبحانه ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ (سورة يونس الآية : ١٠٧).

وقال فى آية أخرى ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ (سورة الزمر الآية: ٣٨).

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٢٢ ص ١٥٤.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ويقول سبحانه ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ (سورة الأنعام الآية: ٤٦) وهذا الحصر يدل على نفى الشريك.

والله سبحانه وتعالى هو المتصف بأنه خالق كل شئ ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (سورة الزمر الآية : ٦٢) فلو وجد الشريك لم يكن خالقا فلم يكن فيه فائدة.

وآيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله عز وجل وعلى إبطال الاعتقاد بالشرك بالله ـ غير هذه الآيات ـ كثيرة ولا يتسع المجال لذكرها.

لذلك سنقتصر هنا فى هذا البحث على بعض الأدلة التى أوردها القرآن الكريم والخاصة بمناقشة النصارى فى اعتقادهم بأن المسيح هو الله.

أولا : بعد أن بينا أن القرآن الكريم قطع على النصارى حجة الاستشهاد بالنص السماوى ـ سواء كان هذا النص هو الإنجيل أو قول المسيح ـ نورد هنا مناقشة القرآن الكريم لهؤلاء مناقشة عقلية.

يبين القرآن الكريم أن المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الهلاك أو عن والدته كما أنه لا يستطيع غيره أن يدفعه عنه إذا أراد الله تعالى إنزاله به فكيف يكون هو الله الذى بيده ملكوت كل شئ؟

هل يستطيع أن يدفع عن نفسه الهلاك إن أراد الله أن يهلكه؟ إذا لم يستطع أن يدفع هذا الهلاك فكيف يكون هو الله؟

يقول سبحانه ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٧).

يقول الإمام الرازى (هذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط، والتقدير: إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا فمن الذى يقدر على أن يدفعه عن مراده ومقدوره.

وقوله (فمن يملك من الله شيئا) أى فمن يملك من أفعال الله شيئا، والملك هو القدرة. يعنى فمن الذى يقدر على دفع شئ من أفعال الله تعالى ومنع شئ من مراده. وقوله (ومن فى الأرض) يعنى أن عيسى مشاكل لمن فى الأرض فى الصورة والخلقة. والجسمية والتركيب وتغيير الصفات والأحوال.

فلما سلمتم كونه تعالى خالقا للكل مدبرًا للكل وجب أن يكون أيضا خالقا لعيسى عليه السلام (١). ويقول صاحب تفسير المنار فى معنى الآية (قل يا أيها الرسول لهؤلاء النصارى المتجرئين على مقام الألوهية بهذا الزعم الباطل !! من يملك من أمر الله وإرادته شيئا يدفع به الهلاك والإعدام عن المسيح وأمه وعن سائر أهل الأرض إن أراد الله أن يهلكهم ويبيدهم؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتجهيل، أى أن المسيح وأمه من المخلوقات التى هى قابلة لطروء الهلاك والفناء عليها كسائر أهل الأرض، فإذا أراد الله أن يهلكهما ويهلك أهل الأرض جميعا لا يوجد أحد يستطيع أن يرد إرادته لأنه هو المالك لأمر الوجود كله، ولا يملك أحد من أمره شيئا يستطيع به أن يصرفه عن عمل يريده أو يحمله على أمر لا يريده أو يستقل بعمله دونه.

وقوله تعالى (فمن يملك من الله شيئا) نفى أن يملك أحد بعض أمره تعالى فضلا عن ملك أمره كله، فصار المعنى أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يرد أمره أو يحوله عن إرادته بوجه ما ولو بالدعاء والشفاعة، إذ لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه لمن ارتضاه، فالأمر فى ذلك كله له وحده عز وجل ويدخل فى عموم ذلك المسيح نفسه وغيره من الأنبياء وكذا الملائكة عليهم السلام.

فإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الهلاك أو عن والدته كما أنه لا يستطيع غيره أن يدفعه عنه إذا أراد الله تعالى إنزاله به فكيف يكون هو الله الذى بيده ملكوت كل شئ (٢).

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١١ ص ١٩٦.
(٢) تفسير المنار جـ٦ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

ثانيا: يذكر القرآن الكريم أن المسيح متصف بأوصاف بشرية لا يمكن ان يتصف بها الإله. يقول سبحانه ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٥). أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله، وما أمه أيضا إلا صديقة كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم، فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبى، والآخر صحابى، فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموها بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تمييز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه.

ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما فى قوله (كانا يأكلان الطعام) لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم[١]. وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام.

(انظر كيف نبين لهم الآيات) أى الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله.

فان قلت: ما معنى التراخى فى قوله (ثم انظر).

قلنا: معناه ما بين العجبين، يعنى أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه)[٢].

فقوله سبحانه (كانا يأكلان الطعام) تنبيه على سمة الحدوث، لأن من احتاج إلى الطعام وما يتبعه من العوارض لم يكن إلا جسما مركبا، وهذا يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام[٣].

ولقد زاد الإمام الرازى على ذلك معان أخرى فقال:

---

(١) جاء فى المعجم الوسيط. (قرم الفحل قرما: صار قَرْما، وقرم اللحم وإليه: اشتدت شهوته إليه. فهو قرم) جـ ٢ ص ٧٣٠.

(٢) الكشاف جـ١ ص ٦٣٥.

(٣) أبو حيان الأندلسى: البحر المحيط جـ٣ ص ٥٣٧.

اعلم أن المقصود من ذلك الاستدلال على فساد قول النصارى، وبيانه من وجوه:.

الأول: أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن ،وكل من كان كذلك كان مخلوقا لا إلها.

الثاني: أنهما كانا محتاجين، لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة، والإله هو الذى يكون غنيا عن جميع الأشياء. فكيف يعقل أن يكون إلها؟

الثالث: قال بعضهم عن قوله (كانا يأكلان الطعام) كناية عن الحدوث، لأن من أكل الطعام فإنه لابد وأن يحدث، وهذا عندى[١] ضعيف من وجوه.

الأول: أنه ليس كل من أكل أحدث، فإن أهله الجنة يأكلون ولا يحدثون.

والثاني: أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله، فأى حاجة بنا إلى جعله كناية عن شئ آخر.

الثالث: أن الإله هو القادر على الخلق والإيجاد، فلو كان إلها لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلها للعالمين؟

وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج إلى دليل)[٢].

فكون المسيح له أم يدل على أنه مخلوق، ثم إن المسيح وأمه كانا محتاجيين إلى الطعام والشراب، والمحتاج إلى غيره لا يمكن أن يكون إلها؛ إذ من لوازم الإله أن يكون غنيا[٣].

وأما حقيقتهما ـ أى المسيح وأمه ـ الشخصية والنوعية فهى مساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما، بدليل أنهما كانا يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام فهو مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، لئلا ينحل بدنه وتضعف قواه فيهلك ـ دع ما يستلزمه أكل الطعام من الحاجة إلى دفع الفضلات ـ وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن

---

(١) الكلام لازال للرازى.

(٢) مفاتيح الغيب جـ١٢ ص ٦٥.

(٣) ابن القيم: مختصر الصواعق المرسلة على الجهيمة والمعطلة ص٧٩.

مساو لسائر الممكنات المخلوقة فى حاجتها إلى غيرها، فلا يمكن أن يكون ربا خالقا ولاينبغى أن يكون ربا معبودا وإن من سفه الإنسان لنفسه واحتقاره لجنسه أن يرفع بعض المخلوقات المساوية له فى ماهيته ومشخصاته بمزية عرضية لها، فيجعل نفسه لها عبدا ويسمى ما يفتتن بخصوصيته منه إلاها أو ربا.

(انظر كيف نبين لهم الآيات) انظر أيها الرسول أو أيها السامع نظر عقل وفكر كيف نبين لهؤلاء النصارى الآيات والبراهين على بطلان دعواهم فى المسيح.

ثم انظر ذلك كيف يصرفون - بالفتح - عن استبانة الحق بها والانتقال من مقدماتها إلى نتائجها كأن عقولهم قد فقدت بالتقليد وظيفتها)[1].

فالمسيح إنسان متصف بأوصاف الإنسان حيث إنه وأمه كانا يحتاجان إلى الطعام والاحتياج دليل الحدوث لأن الله غنى عن العالمين.

والخلاصة: أنه قد تبين لنا من الأدلة السابقة أن المسيح إنسان وليس إلها، لأنه لا يستطيع أن يرد عن نفسه الهلاك أى عاجز عن أن يدفع عن نفسه الهلاك، والإله لا يوصف بالعجز.

ثم إن المسيح كان يحتاج إلى الطعام، والإله لا يوصف بالاحتياج.

وهذه أدلة يجب التسليم بها، لأنها أدلة تستقيم مع صحيح العقول والفكر المستقيم الذى لا التواء فيه من تقليد أعمى أو تعصب بدون علم .

ثالثا: إن القرآن الكريم يبين أنه لو كان فى الوجود آلهة غير الله لفسدت السموات والأرض وما فيهن ولفسد الوجود كله.

يقول سبحانه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٢٢).

قال أهل النحو (إلا) ههنا بمعنى غير أى لو كان يتولاهما ويدبر أمورهما شئ غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا، ولا يجوز أن يكون بمعنى الاستثناء لأنا لو حملناه على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله لفسدتا، وهذا يوجب

---

(١) تفسر المنار جـ٦ ص ٤٠٣، ٤٠٤.

بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله أن لا يحصل الفساد وذلك باطل لأنه لو كان فيهما آلهة سواء لم يكن الله معهم أو كان فالفساد لازم.

ولما بطل حمله على الاستثناء ثبت أن المراد ما ذكرنا)[1].

إنه سبحانه لما أقام الأدلة القاطعة على التوحيد قال بعده (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى هو منزه لأجل هذه الأدلة عن وصفهم بأن معه إلها"[2].

فلو كان فى السماء والأرض آلهة غير الله تقول بإلهيتها عبدة الأوثان والنصارى للزم فساد العالم، لأنه هُو وحده سبحانه القادر الخالق البارئ المصور النافع الضار الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وهو سبحانه وحده القادر على تدبير أمور العالم لأنه الخالق. ويدل على ذلك أيضا قول الله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (سورة المؤمنون الآية: ٩١).

ينزه الله تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك فى الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ..... ﴾ أى لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوى والسفلى مرتبط بعضه ببعض فى غاية الكمال ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (سورة الملك الآية: ٣).

ثم لكان كل منهم يطالب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض، والمتكلمون ذكروا هذا[3] المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع وهو: أنه لو فرض صانعان فصاعدا فأراد واحد تحريك جسم والآخر أراد سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزا، ويمتنع اجتماع مراديها للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالا، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكنا لأنه لا يليق

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص ١٥٠.

(٢) المرجع السابق جـ٢٢ ص ١٥٤.

(٣) راجع مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص ١٥١ ـ ١٥٤.

بصفة الواجب أن يكون مقهورا، ولهذا قال تعالى (ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) أى عما يقول الظالمون المعتدون فى دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا) [١].

فلو كان مع الله آلهة أخرى لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض أى لانفرد على ذلك كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلق واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخر، ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون، وحيث لم تروا أثر التمايز فى الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شئ.

سبحان الله عما يصفون من إثبات الولد والشريك [٢].

رابعا: بعد أن تبين بطلان الاعتقاد بالشرك بالله عامة - والاعتقاد بأن المسيح هو الله خاصة - بالأدلة العقلية والنقلية،

يصرح القرآن الكريم بأنهم - بعد هذا - لا دليل معهم على هذا الإفك وهذا الافتراء، ويتحدى القرآن الكريم هؤلاء - على سبيل الإنكار والتوبيخ - بأن يأتوا بالدليل والبرهان على كذبهم وافتراءهم إذا كان معهم.

يقول سبحانه ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية ٢٤).

يقول الزمخشرى فى معنى هذه الآية: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ ﴾ استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أى وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك.

إما من حهة العقل وإما من جهة الوحى فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأنبياء الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهى عنه متوعد عليه.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٥٤.

(٢) مفاتيح الغيب جـ٢٣ ص ١١٨.

أى ﴿ هَـٰذَا ﴾ الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ﴿ذِكْرُ﴾ أى عظة للذين معى ـ يعنى أمته ـ وذكر للذين قبلى يريد أمم الأنبياء عليهم السلام)[١].

وذلك لأن توحيد الله هو الوحى الذى نزل على جميع الأنبياء والمرسلين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ٢٥).

يقول الرازى (إنه سبحانه لما ذكر دليل التوحيد وطالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين أنهم لا دليل لهم البتة عليه لا من جهة العقل ولا من جهة السمع ذكر بعده أن وقوعهم فى هذا المذهب الباطل ليس لأجل دليل ساقهم إليه بل ذلك لأن عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو عدم العلم ثم ترتب على عدم العلم الإعراض عن استماع الحق وطلبه فقال سبحانه (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون)[٢].

فلا دليل من العقل والنقل مع هؤلاء النصارى فى اعتقادهم أن المسيح هو الله ـ أى الأقنوم الثانى من الأقانيم الثلاثة لأن توحيد الله هو دعوة الأنبياء والرسل.

فلا دليل معهم يؤيدهم ولا سند لهم فى دعواهم.

يقول الله سبحانه : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون الآيات ١١٦ ـ ١١٧).

إن الله سبحانه وتعالى لما بين أنه هو الملك الحق لا إله إلا هو أتبعه بأن من ادعى إلها آخر فقد ادعى باطلا من حيث لا برهان لهم فيه ونبه بذلك :

أن كل ما لا برهان فيه لا يجوز إثباته.

ثم ذكر أن من قال بذلك فجزاؤه العقاب العظيم بقوله (فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)[٣].

---

(١) الكشاف جـ٢ ص ٥٦٩.

(٢) مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص ١٥٨.

(٣) المرجع السابق جـ٢٣ ص ١٢٩.

فلا دليل معهم لا من جهة ولا من جهة النقل يؤيد افتراءهم، ومن لا برهان له لا يجوز إثباته لذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ (سورة الحج الآية: ٧١) ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية: ٣٣).

خامسا: الحكم القرآنى على اعتقاد النصارى بأن المسيح هو الله.

لقد بين القرآن الكريم أن هؤلاء القوم بتأليههم للمسيح قد كفروا بالله عز وجل.

يقول سبحانه ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٧).

ويقول سبحانه ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٢).

أكد تعالى بالقسم كفر قائلى هذا القول من النصارى إذْ غلوا فى إطراء نبيهم المسيح ابن مريم غلوّاً ضادوا به غلوّ اليهود فى الكفر وقولهم عليه وعلى أمه الصديقة بهتانا عظيما ثم صار هو العقيدة الشائعة فيهم)[(١)].

فالنصارى باعتقادهم أن المسيح هو الله كافرون بالله عز وجل.

ولقد صرح القرآن الكريم بكفرهم - مع أنه كان يعلم من قولهم - دفعا لما قد يتوهم أنهم ينسبون أنفسهم إلى المسيح، وأن نسبتهم إلى المسيح صحيحة وأنهم يقولون بأقواله ويدعون بدعوته، أو دفعا لتوهم أن نسبتهم إلى المسيح ترفع عنهم أى قول. صرح القرآن الكريم بكفرهم ليبين أن نسبتهم إلى المسيح غير صحيحة وأنهم افتروا واجترؤا على الله باعتقادهم أن المسيح هو الله. وهم بهذا الافتراء استحقوا الحكم عليهم بأنهم كافرون.

---

(١) تفسير المنار جـ٦ صـ٣٩٩.

إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى بأن المسيح ابن الله

إن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله وهذا يعنى أن النصارى فى اعتقادهم أن المسيح ابن الله ليس لهم من نص سماوى أو دليل نقلى يستدلون به على اعتقادهم.

ولقد أبطل القرآن الكريم هذا الاعتقاد أيضا بالأدلة العقلية نذكر بعضها فيما يلى :-

أولا : أنه سبحانه وتعالى لا ينبغى له الولد ، لأن ولادة هذا الولد المزعوم لله - عز وجل - إن كانت عن طريق التقائه سبحانه بزوج له فهو غير صحيح ، لأنه تعالى منزه عن ذلك.

يقول سبحانه ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام: (١٠١).

والمعنى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى مبدعهما وخالقهما ومنشئهما ومحدثهما على غير مثال سبق - كما قال مجاهد والسدى - ومنه سميت البدعة بدعة ، لأنه لا نظير لها فيما سلف ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾أى كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبه.

أى والولد إنما يكون متوالدا بين شيئين متناسبين ، والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شئ من خلقه ، لأنه خالق كل شئ فلا صاحبة له ولا ولد - كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ (سورة مريم الآيات: ٨٨ - ٨٩) ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فبين تعالى أنه الذى خلق كل شئ وأنه بكل شئ عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذى لا نظير له فأنى يكون له ولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؟[١] وفى هذه الآية إبطال الولد من ثلاثة وجوه.

أحدها : أنه مبدع السموات والأرض وهى أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة ، لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا.

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ صـ١٦٠.

الثانى: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة.

الثالث: أنه ما من شئ إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد إنما يطلبه المحتاج"[١].

فالله سبحانه وتعالى منزه عن الولد لأنه سبحانه مبدع السموات والأرض ولأنه منزه عن الصاحبة ولأنه سبحانه وتعالى خالق كل شئ وهو بكل شئ عليم.

ويقول سبحانه ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (سورة الجن الآيات: ١ ـ ٣) يأمر الله تعالى رسوله بأن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له ونفوا عن أنفسهم الشرك فقالوا آمنا به ولن نشرك بربنا أحدا، ونزهوا ربهم عن الصاحبة والولد فقالوا ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾.

يقول الفخر الرازى (وفى "الجد" قولان) :-

الأول: الجد فى اللغة العظمة يقال جد فلان أى عظم.

ومنه الحديث (كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جد فينا [٢])أى جد قدره وعظم، لأن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها والولد للتكثر به والاستئناس وهذه من سمات الحدوث وهو سبحانه منزه عن كل نقص.

القول الثانى: الجد الغنى، ومنه الحديث (لا ينفع ذا الجد منك الجد) [٣].

قال أبو عبيدة: أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه.

وكذلك الحديث الآخر (قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء وإذا أصحاب الجد محبوسون) [٤]. يعنى أصحاب الغنى فى الدنيا.

---

(١) الكشاف جـ٢ ص٤١.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (١١٧٦٩).

(٣) أخرجه البخارى فى الصحيح/كتاب: الأذان/باب: الذكر بعد الصلاة/ وكتاب: القدر/باب: لا مانع لما أعطيت/ وكتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة/باب: ما يكره من كثرة السؤال، ومسلم/كتاب: الصلاة (٧٢٥ ، ٧٣٦، ٧٣٧) والترمذى/كتاب: الصلاة (٢٧٥) .. وغيرهم.

(٤) أخرجه البخارى/كتاب : النكاح/ باب: الجنة عامة من دخلها المساكين، والنار عامة من دخلها النساء، مسلم/كتاب: الرقاق/باب/ أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، أحمد (٢٠٧٨٣) .

فيكون المعنى وأنه تعالى غنى عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد.

وهناك قول ثالث[(١)] : وهو أن جد الإنسان أصله الذى منه وجوده فجعل الجد مجازا عن الأصل، فقوله تعالى (جد ربنا) معناه تعالى أصل ربنا وأصل حقيقته المخصوصة التى لنفس تلك الحقيقة من حيث إنها هى تكون واجبة الوجود فيصير المعنى : -

أن حقيقته المخصوصة متعالية من جميع جهات التعلق بالغير، لأن الواجب لذاته يجب أن يكون واجب الوجود من جميع جهاته، وما كان كذلك استحال أن يكون له صاحبة وولد.

وقرئ "جدا ربنا" بالنصب على التمييز "وجد ربنا" بالكسر أى صدق ربوبيته وحق إلاهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد، وكأن هؤلاء الجن لما سمعوا لقرآن تنبهوا لفساد ما عليه كفرة الجن فرجعوا أولا عن الشرك وثانيا عن دين النصارى)[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى منزه عن الحاجة للصاحبة والولد وذلك لعظمته وقدرته وجلاله ولأنه سبحانه غنى عن العالمين.

ونخلص من هذا إلى أن الله تعالى لا ينبغى أن يكون له ولد لأنه إن كان هذا الولد عن طريق الالتقاء بزوج فهو باطل لأنه سبحانه منزه عن الصاحبة.

وكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟!!!

ثانيا: أنه سبحانه لا ينبغى له الولد، لأن ولادة هذا الولد المزعوم - لله عز وجل إن كانت عن طريق الخلق والإبداع فهو سبحانه مبدع السموات والأرض وخالق كل شئ فلماذا التخصص بولد واحد دون سائر المخلوقات[(٣)].

فهو سبحانه خالق كل شئ ومالكه، وكل شئ فقير إليه خاضع ذليل لديه، وجميع سكان السموات والأرض عبيده هو ربهم لا إله إلا هو ولا رب سواه.

---

(١) الكلام لازال للفخر الرازى.

(٢) مفاتيح الغيب جـ ٣٠ ص١٥٥.

(٣) راجع العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ١٩٣.

يقول الله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة البقرة الآيات ١١٦ ـ ١١٧).

اشتملت هاتان الآيتان على الرد على النصارى وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركى العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فأكذب الله جميعهم فى دعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ أى تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى ليس الأمر كما افتروا وإنما له ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له.

فكيف يكون له ولد منهم والولد إنما يكون متوالدا من شيئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك فى عظمته وكبريائه ولا صاحبة له فكيف يكون له ولد(١).

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ أى منقادون لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد.

والتنوين فى ﴿ كُلٌّ ﴾ عوض عن المضاف إليه أى كل ما فى السموات والأرض، ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم.

فإن قلت: كيف جاء بـ ﴿ مَا ﴾ التى لغير أولى العلم مع قوله قانتون؟

قلنا: هو كقوله سبحان ما سخركن لنا، وكأنه جاء بـ ﴿ مَا ﴾ دون (من) تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم)(٢).

فالآية ناطقة بأن ما فى السموات والأرض ملك لله تعالى ومسخر لإرادته ومشيئته لا فرق بين العاقل وغيره، فقد حكم على الجميع بالملكية وبالقنوت الذى يراد به التسخير وقبول تعلق الإرادة والملك.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٦٠ .

(٢) الكشاف جـ١ ص ٣٠٧.

ثم أكد سبحانه الحكمين السابقين وهما: تنزيهه عن اتخاذ الولد وملكيته لما فى السموات وما فى الأرض وخضوع الكل له بقوله تعالى:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ومعناه أنه سبحانه هو المخترع للسموات والأرض لا على مثال سابق لأن الإبداع كما قالوا هو إيجاد الشئ على غير مثال، وإذا كان هو المبدع للسموات والأرض والموجد لجميع ما فيها: فكيف يصح أن ينسب إليه شئ منهما على أنه شبيه له؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1].

وفى هذا المعنى وردت آيات أخرى كثيرة منها. قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (سورة النساء الآية: ١٧١).

وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (سورة الفرقان الآية: ٢).

وقوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (سورة الأنعام الآيات: ١٠١ ـ ١٠٢).

فالله سبحانه هو الموجد والخالق لجميع المخلوقات فلا يمكن أن ينسب إليه مخلوق على أنه ولده دون الأخرى ـ إذا كانت ولادة هذا الولد عن طريق الخلق والإبداع. فالله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض ومبدعهما فلماذا التخصص بولد واحد دون سائر المخلوقات؟ وهذا باطل فالمخلوقات كلها خاضعة قانتة لله سبحانه وتعالى وهو سبحانه مالك كل شئ وخالق كل شئ لا إله إلا هو رب كل شئ ومليكه.

---

(١) د/هاشم جوده: العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ١٨٨، ١٨٩.

على أن الله سبحانه وتعالى ليس محتاجا للولد لأنه سبحانه غنى عن العالمين. يقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (سورة فاطر الآية: ١٥).

ويقول سبحانه ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة يونس الآ ية: ٦٨) والمعنى يقول الله تعالى منكرا على من ادعى أن له ولدا ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ أى تقدس عن ذلك هو الغنى عن كل ما سواه وكل شئ فقير إليه ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أى فكيف يكون له ولد مما خلق وكل شئ مملوك له عبد له ﴿ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ ﴾ أى ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان.

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ إنكار ووعيد أكيد وتهديد شديد[١].

يقول الزمخشرى: قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ علة لنفى الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد، وما يطلبه له السبب فى كله الحاجة، فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فهو مستغن بملكه لهم من اتخاذ أحد منهم ولدا ﴿ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ ﴾ أى ما عندكم من حجة بهذا القول[٢].

فالله سبحانه وتعالى لا ينبغى له الولد لأنه هو المالك المتصرف لما فى السموات وما فى الأرض فهو سبحانه مستغن بملكه عن اتخاذ الولد يقول سبحانه ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (سورة الحج الآية : ٦٤). وقوله ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (سورة لقمان الآية: ٢٦).

ثالثا: أنه سبحانه لا ينبغى له الولد، لأن ولادة هذا الولد المزعوم إن كانت عن طريق التولد والصدور فهو غير صحيح أيضا، لأنه سبحانه وتعالى لم يلد أى لم يسبق له أن ولد مولودا لا عن طريق التزاوج ولا عن طريق التولد والصدور[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٢٤.
(٢) الكشاف جـ٢ صـ ٢٤٤.
(٣) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ١٩٣.

يقول سبحانه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (سورة الإخلاص الآيات: ١ ـ ٤).

قال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزيزا ابن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله وقال المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله تعالى على رسوله هذه السورة[١].

والمعنى أنه سبحانه الأحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ وهو السيد الذى كمل فى علمه وحكمته ورحمته وبلغ جميع صفاته ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أى لم يوجد منه ولد ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أى ولم يتولد عن شئ قبله.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أى وليس له عدل ولا مكافئ ولا مساو فقطع النظير المدانى والأعلى والمساوى فانتفى أن يكون له ولد[٢].

فالله سبحانه وتعالى منزه عن الشبيه والنظير جل سبحانه عن النظائر وتقدس عن الأشباه والولد.

والخلاصة: أن القرآن الكريم أبطل اعتقاد النصارى بأن المسيح ابن الله بالأدلة العقلية أيضا، ذلك أن المسيح إذا كان ابن الله:

فإما أن يكون ابنا لله عن طريق التقائه سبحانه بزوجة له.

أو عن طريق الخلق والإبداع.

أو عن طريق التولد.

وكلها باطلة لأنه سبحانه وتعالى منزه عن الصاحبة، ولأنه تعالى خالق السموات والأرض وما فيهن ـ وهو سبحانه واحد أحد لم يلد ولم يولد، واحد فى الذات والصفات والأفعال تنزه عن التوالد والتولد.

وكيف يكون له ولد ـ والولد إنما يكون للاحتياج ـ والله سبحانه هو الغنى عن العالمين؟ وكيف يكون له ولد وهو الواحد الأحد الفرد الصمد؟

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥٧٠

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٨١.

رابعا: الحكم القرآنى على الاعتقاد بأن المسيح ابن الله ويتبين ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن آيات التنزيل تبين أن نسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى منكر وإثم وإفك عظيم وأن النصارى وغيرهم[١] الذين نسبوا الولد إلى الله ـ قد افتروا إثما عظيما ومنكرا فظيعا وقولا شنيعا ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية: ٤٨).

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (سورة النساء الآية: ١١٦).

وإنه من فظاعة هذا ـ نسبة الولد إلى الله ـ كادت السموات أن تنفطر والجبال أن تنشق والأرض أن تخر هدّا.

يقول سبحانه ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ (سورة مريم الآيات: ٨٨ ـ ٩٥).

لقد وصف القرآن الكريم نسبة الولد إلى الله بأنه منكر (لقد جئتم شيئا إدّا) أى شيئا عظيما ومنكرا من القول وزورا[٢].

يروى عن ابن عباس قوله إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين حتى كادت أن تزول منه لعظمة الله[٣].

يقول الزمخشرى: فإن قيل: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال، ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات؟

قلت: فيه وجهان أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها

(١) ذلك أن الذين أثبتوا الولد لله تعالى ثلاث طوائف: أحدهما كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله، وثانيهما: النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله، وثالثهما: اليهود الذين قالوا عزيزا ابن الله.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٨١.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٣٩.

لولا حلمى ووقارى وأنى لا أعجل بالعقوبة كما قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (سورة فاطر الآية: ٤١).

والثانى: أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها فى الدين وهدمها لأركانه وقواعده[١].

فنسبة الولد إلى الله من المنكرات الشنيعة والإفك العظيم.

وأن هذا القول كذب صراح وافتراء عظيم على الله وفى مثل هذا يقول سبحانه ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ سورة الصافات الآيات: ١٥١، ١٥٢.

الوجه الثانى: الحكم عليهم بأنهم مشركون بالله وأن اعتقادهم بنسبة الولد إلى الله يضاهى قول الكافرين فى إثباتهم الولد لله.

وهذايعنى أنهم مشركون وعقيدتهم عقيدة وثنية.

يقول سبحانه ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة التوبة الآية: ٣٠).

يقول الرازى فى مناسبة هذه الآية لما قبلها (اعلم أنه تعالى لما حكم فى الآية المتقدمة[٢] بأنهم لا يؤمنون بالله شرح ذلك فى الآية، وذلك بأن نقل عنهم أنهم أثبتوا لله ابنا، ومن جوز ذلك فى حق الإله فهو فى الحقيقة قد أنكر الإله، وأيضا بين تعالى: أنهم بمنزلة المشركين فى الشرك وإن كانت طرق القول بالشرك مختلفة؛ إذ لا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره لأنه لا معنى للشرك إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبودا، فإذا حصل هذا المعنى فقد حصل الشرك، بل إنا لو تأملنا لعلمنا أن كفر عابد الوثن أخف من كفر النصارى؛ لأن عابد الوثن لا يقول إن هذا الوثن خالق العالم وإله العالم بل يجريه مجرى الشئ الذى يتوسل به إلى طاعة الله.

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٥٢٥.

(٢) ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ سورة التوبة الآية: ٢٩.

أما النصارى فإنهم يثبتون الحلول والاتحاد وذلك كفر قبيح جدا.

فثبت أنه لا فرق بين هؤلاء الحلولية وبين سائر المشركين وأنهم إنما خصهم بقبول الجزية منهم لأنهم فى الظاهر ألصقوا أنفسهم بموسى وعيسى وادعوا أنهم يعملون بالتوراة والإنجيل فلأجل تعظيم هذين الرسولين المعظمين وتعظيم كتابيهما وتعظيم أسلاف هؤلاء اليهود والنصارى بسبب أنهم كانوا على الدين الحق حكم الله تعالى بقبول الجزية منهم وإلا فالحقيقة لا فرق بينهم وبين المشركين[(١)].

فهذه الآية الكريمة تبرز أمرين :-

الأمر الأول : أن اعتقاد النصارى بأن المسيح ابن الله قول بدون دليل. فلا دليل عليه يؤيده ولا برهان يسنده ، ويستفاد ذلك من قوله تعالى (ذلك قولهم بأفواههم) أى قول لا يعضده برهان ، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته ، كالألفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم ولا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر فى القلب. وما لا معنى له مقول بالفم لا غير.

أو أن يراد (بالقول) المذهب ، كقولهم قول أبى حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به ، كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواهم لا بقلوبهم ، لأنهم لا حجة معه ولاشبهة حتى يؤثر فى القلوب ، وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة فى انتفاء الولد[(٢)].

الأمر الثانى : أنهم بمنزلة المشركين بالله - على أن المشركين بالله أخف وطئا منهم لأنهم لا ينسبون أنفسهم إلى رسول وإلى دين يدعون أنه من عند الله ، أما النصارى فإنهم ينسبون أنفسهم إلى المسيح ويدعون أنهم يدعون بدعوته بأنه إله متصف بصفات الألوهية وذلك أقبح من اعتقاد المشركين ، وإن كان كل منهما مشرك بالله - وأن هذه العقيدة عقيدة وثنية إذ أن النصارى يقولون بأقوال المشركين بالله الذين سبقوهم. ويستفاد ذلك من قوله (يضاهئون[(٣)] قول الذين كفروا من قبل).

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١٦ ص ٣٤.

(٢) الكشاف جـ٢ ص ١٨٥.

(٣) المضاهاة : المشابهة. قال الفراء : يقال ضاهيته ومضاهاة هذا قول أكثر أهل اللغة فى المضاهاة. وقال شمر المضاهاة المتابعة يقال فلان يضاهى فلانا أى يتابعه. راجع مفاتيح الغيب جـ١٦ ص ٣٧.

يقول الرازى فى تفسير هذه الآية وجوه:

الأول: أن المراد أن هذا القول من اليهود والنصارى يضاهى قول المشركين بأن الملائكة بنات الله.

الثانى: أن الضمير للنصارى أى قولهم المسيح ابن الله يضاهى قول اليهود عزيز ابن الله لأنهم أقدم منهم.

الثالث: أن هذا القول من للنصارى يضاهى قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم فهو غير مستحدث[١].

والرأى الأول هو الأوجه، لأن الآية تقول (يضاهئون قول الذين كفروا) أى قولهم يشبه قول الكافرين والمشركين بالله قبل اليهود والنصارى.

لذلك يبين القرآن الكريم أن هؤلاء المشركين بالله ليس لهم دليل أيضا فى نسبة الولد إلى الله، يقول سبحانه عن مشركى العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾[٢] (سورة الكهف الآيتان: ٤ ،٥). أى بهذا القول الذى افتروه وائتفكوه (ولا لآبائهم) أى لأسلافهم (كبرت كلمة تخرج من أفواهم) أى ليس لهم مستند سوى قولهم ولا دليل عليهم إلا كذبهم وافترائهم ولهذا قال (إن يقولون إلا كذبا)[٣].

فالمشركون ادعوا أن لله ولدا وهذا الادعاء إفك وكذب.

واليهود والنصارى فى ادعّاهم أن لله ولدا يشبهون قول المشركين بالله قبلهم. لذلك يقول الله تعالى (قاتلهم الله أنى يؤفكون) أى هم أحقاء بأن يقال هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم. (أنى يؤفكون) الإفك: الصرف.

يقال أفك الرجل عن الخير أى قلب وصرف، ورجل مأفوك أى مصروف عن الخير.

---

(١) المرجع السابق جـ١٦ ص ٣٧.

(٢) يقول الزمخشرى (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه، يعنى أن قولهم هذا لم يصدر من علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد استملته آباؤهم من الشيطان وتسويله. فإن قلت: اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم؟ قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشئ إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به. أ. هـ "الكشاف" جـ ٢ ص ٤٧٢.

(٣) تفسير ابن كثير ص ٧١.

فقوله تعالى (أنى يؤفكون) معناه كيف يصدرون ويصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ندا.

وهذا التعجب إنما هو راجع إلى الخلق، والله تعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم والله تعالى عجب نبيه من تركهم الحق وإصرارهم على الباطل[1].

أى كيف يصرفون عن اتباع المسيح فى قول الحق ويتبعون المشركين بالله فى الباطل.



ونخلص من هذا: إلى أن القرآن الكريم أبطل اعتقاد النصارى بأن المسيح هو الله، وأن المسيح ابن الله، وبين أن هذا الاعتقاد ليس له دليل نقلى ولا عقلى وإنما هو اعتقاد ما أنزل الله به من سلطان ولا يستقيم مع صحيح العقول لذلك فهم كافرون بالله ومشركون وأن عقائدهم عقائد وثنية يرددون أقوال المشركين بالله قبلهم.

وبذلك يبطل اعتقاد النصارى بأن المسيح هو الله الابن.

بقى بعد ذلك أن نبطل الشبهات التى تمسكوا بها فى إثبات الألوهية.

إبطال القرآن الكريم للشبهات التى استدل بها النصارى على ألوهية المسيح.

لقد أبطل القرآن الكريم ما يدعيه النصارى من ألوهية المسيح وأبطل أيضا ما يتمسكون به من شبهات للاستدلال على ألوهيته.

ولقد بينا فى الباب الخاص بعقيدة النصارى أن أهم هذه الشبهات.

١ ـ ولادة المسيح من عذراء.

٢ ـ معجزات المسيح.

ولما كان شبهتهم على ألوهيته هو أنه خلق على غير السنة العامة فى خلق البشر حيث ولد من عذراء من غير نطفة رجل، وأنه أتى أعمالا غريبة لا تصدر عن عامة البشر فقد جاء القرآن الكريم بإبطال كلتا الشبهتين[2].

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٦ ص ٣٨.

(٢) تفسير المنار جـ٦ ص ٢٥٨.

أولا: إبطال الاستدلال بولادة المسيح من عذراء على ألوهيته:

١ ـ أما ولادته عليه السلام من عذراء فقد بين القرآن الكريم أنها لا تدل على ألوهيته لأن الله هو المالك للكون كله، الخالق له حسب مشيئته وإرادته، فقد يخلق بعض الأحياء بدون أب وأم، وقد يخلق بعض الأحياء بدون أم، أو بدون أب، ولا يدل شكل الخلق ولا سببه على أن هذا المخلوق إله، لأن الله سبحانه هو الخالق يخلق ما يشاء بقدرته وإرادته، ويميز بعض المخلوقات على بعض بقدرته ومشيئته، ولا يخرج المخلوق بهذه الميزة عن كونه مخلوقا لله.

قال تعالى فى رد هذه الشبهة ـ بعد أن رد القول بألوهية المسيح :ـ

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١٧).

فى قوله تعالى "يخلق ما يشاء" وجهان :ـ

الأول: يعنى يخلق ما يشاء فتارة يخلق الإنسان من الذكر والأنثى كما هو معتاد، وتارة لا من الأب والأم كما فى خلق آدم عليه السلام، وتارة من الأم لا من الأب كما فى حق عيسى.

والثانى: يخلق ما يشاء يعنى أن عيسى إذا قدر صورة الطير من الطين فالله تعالى يخلق فيه اللحمية والحياة والقدرة معجزة لعيسى، وتارة يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص معجزة له ولا اعتراض على الله تعالى فى شئ من أفعاله[١].

والمعنى : أنه سبحانه لما كان له ملك السموات والأرض وما بينهما كان من المعقول أن يكون خلقه للأشياء تابعا لمشيئته، فقد يخلق بعض الأحياء من مادة لا توصف بذكورة ولا أنوثة كأصول أنواع الحيوان ومنها أبو البشر عليه السلام، وقد يخلق بعضها من ذكر فقط أو أنثى فقط، وقد يخلق بعضها بين ذكر وأنثى، ولا يدل

(١) مفاتيح الغيب جـ١١ ص ١٩٦، راجع أيضا: الكشاف جـ ١ صـ ٦٠٢.

شكل الخلق ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات على بعض ألوهيتها أو حلول الإله الخالق فيها - كما زعم النصارى فى عيسى عليه السلام - فامتياز الأرض على عطارد أو زحل بوجود الأحياء فيها من البشر وغيرهم لا يعد دليلا على كون الأرض إلها لذلك الكوكب الذى فضلته بهذه المزية، كذلك سنة الله فى خلق المسيح ومزاياه لا تدل على كونه إلها أو ربا لمن لم توجد فيهم هذه المزايا، لأن المزايا فى الخلق كلها بمشيئة الخالق فلا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقا نسبته إلى خالقه كنسبة سائر المخلوقات إليه تعالى.

لذلك يقول الله بعد ذلك (والله على كل شئ قدير) فكل ما تعلقت به مشيئته ينفذ بقدرته، وإنما يعد بعض خلقه غريبا بالنسبة إلى علم البشر الناقص لا بالنسبة إليه تعالى)[١].

٢ - أن المشاهد أن عيسى بن مريم حملت به مريم، أى أن الله صوره فى الرحم وخلقه كما يشاء، فعيسى بن مريم مخلوق.... فكيف يكون إلها؟

يقول سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٦).

عن سعيد بن جبير: هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا.

كأنه نبه بكونه مصورا فى الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله[٢].

يقول ابن كثير فى معنى هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ أى يخلقكم فى الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقى وسعيد ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أى هو الذى خلق وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له وله العزة التى لا ترام والحكمة والإحكام.

---

(١) تفسير المنار جـ٦ ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) الكشاف جـ١ ص ٤١١.

وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر، لأن الله صوره فى الرحم وخلقه كما يشاء فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى وقد تقلب فى الأحشاء وتنقل من حال إلى حال [1] كما قال تعالى:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ (سورة الزمر الآية: ٦) [2].

فقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ رد لشبهتهم فى ولادة عيسى من غير أب، أى أن الولادة من غير أب ليست دليلا على الألوهية فالمخلوق عبد كيفما خلق وإنما الإله هو الخالق الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء!! وعيسى لم يصور أحدا فى رحم أمه ولذلك صرح بعد هذا بكلمة التوحيد وبوصفه تعالى بالعزة الحكمة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ولا يخفى ما فى ذكر الأرحام من التعريض بأن عيسى تكون وصور فى الرحم كغيره من الناس [3].

٣ ـ أن خلق عيسى يشبه خلق آدم من غير أب، فالذى خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء الألوهية أو النبوة فى عيسى لكونه مخلوقا من غير أب فجواز آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فداعواهم فى عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا.

قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٥٩).

يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية: أى أن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم، وقوله ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم: أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى.

---

(١) الظلمات الثلاث: البطن والرحم والمشيمة، وقيل: الصلب والرحم والبطن (راجع الكشاف جـ١ ص ٣٨٨)

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٤٤.

(٣) تفسير المنار جـ٣ ص ١٣٥.

فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم؟

قلت: هو مثيله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف، ولأنه شبه به فى أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه.

وعن بعض العلماء: أنه أسر بالروم فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له. قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له[١].

فلو كان عيسى إلها لأنه ولد من غير أب فآدم أولى بالألوهية، لأن ولد بدون أب وأم، وهو باطل، فدعواهم فى عيسى أشد بطلانا.

٤ ـ أن القرآن الكريم قبل أن يذكر قصة ميلاد المسيح من مريم يذكر قصة ولادة يحيى بن زكريا[٢] من أبوين قد انقطع كل أملهما فى الإنجاب لذلك يقول زكريا فيما يحيكه القرآن ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٤٠).

وذلك كمقدمة لولادة المسيح، وللدلالة على أن هذه الولادة لا تدل على ألوهيته وإنما تدل على أن الله سبحانه هو الذى يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء.

فبالنسبة ليحيى عليه السلام، قد انقطعت كل الأسباب العادية لأنجابه، فزكريا قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا وامرأته عاقر ـ ومع ذلك فقد أنجبا برغم عدم توافر الأسباب العادية التى يكون بها الإنجاب لذلك قال الله لزكريا.

﴿ **كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾ أى يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر، أو كذلك الله مبتدأ وخبر أى على نحو هذه الصفة الله يفعل و ﴿ **يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾ بيان له: أى يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات"[٣].

(١) الكشاف جـ١ ص ٤٣٣.
(٢) سورة آل عمران الآيات ٣٨ ـ ٤٧ وسورة مريم الآيات (٢١، ٧).
(٣) الكشاف جـ١ ص ٤٢٨.

إننا لا نقلل من شأن معجزة ولادة عيسى من عذراء ـ ولكننا نقول إن القرآن الكريم حين ذكر ـ والله أعلم ـ ولادة يحيى مقدمة لولادة عيسى وكلاهما على غير المعهود وذلك لتقرير أن ولادة عيسى من عذراء لا تدل على ألوهيته.

ذلك أننا لو نظرنا إلى ولادة يحيى بالمنطوق المادى أى أن التلقيح هو سبب الإنجاب فإننا نقول إنه بهذا المعنى لا يوجد فرق بين الحالتين، فكما أن عيسى ولد من مريم بدون تلقيح مادى. فإن يحيى ولد من أبوين قد انقطع كل أملهما فى الإنجاب فالوالد قد بلغ من الكبر عتيا والأم عاقر.

لذلك قال الملك لزكريا ﴿ **كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٤٠). وقال لمريم ﴿ **كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٤٧).

وقال الملك لزكريا ﴿ **قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا** ﴾(سورة مريم الآية : ٩). وقال لمريم ﴿ **قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ** ﴾ (سورة مريم الآية : ٢١).

إننا لا نقلل من شأن كون ولادة عيسى من مريم آية للناس ولكننا نبين أنها قدرة الله سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه متى شاء أمرا أوجد له الأسباب ـ كما فى ولادة جميع الناس ـ أو خلقه بدون الأسباب المعروفة ـ كما فى ولادة يحيى وعيسى ـ فإنه سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون بسبب أو بدون سبب.

وعلى هذا فإن ولادة المسيح من عذراء لا تدل على كون إلها لأنه مخلوق بقدرة الله ومشيئته.

الحكمة من ولادة المسيح بدون أب:ـ

بعد ذلك نقول: إذا لم تكن ولادة المسيح من عذراء تدل على ألوهيته فما المعنى الذى تشير إليه؟ إن السبب الذى من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير أب إنه لابد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلت قدرته وقد أشار إليها سبحانه فى قوله تعالى ﴿ **وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ أى دلالة على قدرة الله سبحانه التى لا تتوقف على مجرد السبب والمسبب بل إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون "ولنجعله آية" تعليل معلله محذوف: أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر: أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية.

والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله.

وبالرحمة: الشرائع والألطاف[(١)].

يقول الشيخ أبو زهرة: وإنا نتلمس تلك الآية الدالة فى ولادة عيسى من غير أب فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا أمران جليان:-

أحدهما: أن ولادة عيسى من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه الفاعل المختار المريد، وأنه سبحانه لا يتقيد فى تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها فى نظامه الذى أبدعه الله، والذى خلقه، فالأسباب الجارية لا تقيد إرادة الله، لأنه خالقها، وهو مبدعها ومريدها، فإن الأشياء لم تصدر عن الله جلت قدرته، كما يصدر الشئ عن علته، والمسبب عن سببه، من غير أن يكون للعلة إرادة فى معلولها، بل من كانت بفعله سبحانه وبإرادته التى لا يقيدها شئ مهما يكن شأنه، وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب إعلان لهذه الإرادة الأزلية بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية، وفى عصر ساده نوع من الفلسفة، أساسها أن خلق الكون كان من مصدره الأول كالعلة عن معلولها.

فكان عيسى آية الله على أنه سبحانه لا يتقيد بالأسباب الكونية، وأن العالم كان بإرادته، ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من المعلول، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)[(٢)].

الأمر الثانى: أن ولادة المسيح عليه السلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه، وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التى يتكون منها... فلما جاء عيسى من غير أب، وكان إيجاده بروح من خلق الله كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٩١).

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٥٠٥.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٢١.

كان ذلك الإيجاد الذى لم يكن العامل فيه سوى ملك من الأرواح نفخ فى جيب مريم، فكان الإنسان من غير بذرة الإنسان وجرثومته، كان ذلك إعلانا لعالم الروح بين قوم أنكروها ولم يعرفوها، فكان هذا قارعة قرعت حسهم ليدركوا الروح، وكان آية معلمة لمن لم يعرف الإنسان إلا أنه جسم لا روح فيه، وهذه آية الله فى عيسى وأمه عليهما السلام"[1].

فولادة المسيح من غير أب تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه لا يتقيد بالأسباب الكونية، فهو سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون.

وأنها إعلان لعالم الروح بين اليهود الذين غلبت عليهم النزعات المادية حتى أنكروا الروح.

ثانيا: إبطال الاستدلال بمعجزات المسيح على ألوهيته:-

المعجزة لغة: مأخوذة من العجز وهو ضد القدرة

وعرفا: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة.

وقال السعد: المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله[2].

فالرسل وهم صفوة الخلق، أيدهم الله تعالى بالمعجزات، حيث أظهرها على أيديهم تصديقا لهم فى دعوى النبوة والرسالة، وفيما بلغوه عن الله تعالى، لأنها نازلة منزلة قوله تعالى (صدق عبدى فيما يبلغ عنى).

والرسل لا ينسبون فعل الخوارق إلى أنفسهم بل إلى قدرة الله سبحانه وتأييده[3].

ومعجزات المسيح التى ذكرها القرآن تتلخص فى خمسة أمور ذكر القرآن الكريم أربعة منها فى سورة آل عمران.

١ - يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢.

(٢) شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣.

٢ ـ إحياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله.

٣ ـ إبراؤه عليه السلام الأكمه والأبرص.

٤ ـ إخباره عن بعض الغيبيات.

والخامسة فى سورة المائدة: وهى إنزال المائدة ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة المائدة الآيات : ١١٢ ـ ١١٥).

ولقد بين القرآن الكريم أن معجزات المسيح لا تدل على الألوهية، وذلك لأن المسيح ـ شأنه كالأنبياء والرسل ـ لم ينسبها إلى نفسه بل إلى قدرة الله وإذنه.

يقول سبحانه عن المسيح ابن مريم ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٤٩).

ويستبين من هذه الآية: ـ

١ ـ أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله، أى أن الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرا من الطين، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى ولكن جرى الخلق على يد عيسى ـ عليه السلام ـ وبنفخ من روحه عليه السلام بإذن الله.

٢ ـ إحياؤه الموتى عليه السلام بإذن الله جلت قدرته، والمحيى فى الحقيقة هو الله العلى القدير، ولكن أجرى الإحياء على يد المسيح عليه السلام ليكون ذلك برهان نبوته ودليل رسالته.

٣ ـ إبراؤه عليه السلام الأكمه[١] والأبرص، وهما مرضان تعذر على الطب العثور على دواء لهما والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما فكان ذلك دليلا قائما على رسالته عليه السلام.

٤ ـ إنباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ولم يعاينها، فقد كان ينبئ أصحابه وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم، للدلالة على النبوة والرسالة أيضا[٢].

وهنا نلاحظ أن عيسى عليه السلام فى هذه الآية لم يقل فى معجزتى الإبراء والإخبار بالغيب ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣]. وعلة ذلك أنهما ليس فيهما كبير غرابة بالنسبة إلى الآخرين فتوهم الألوهية فيهما بعيد فلا يحتاج للتنبيه على نفيه خصوصا وكان فيهم أطباء كثيرون[٤].

وعلى ذلك يكون السر فى ذكر ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فى معجزتى خلق الطير من الطين وإحياء الموتى هو نفى توهم الألوهية فى عيسى عليه السلام، لأن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية، بخلاف إبراء الأكمه والأبرص، وكذلك الأمر بالنسبة لخلق الطير من الطين[٥].

فالمسيح لم ينسب المعجزة إلى نفسه بل نسبها إلى الله حين قال ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

ومعنى قوله ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى بتكوين الله تعالى وتخليقه.

وإنما ذكر عيسى هذا القيد إزالة للشبهة وتنبيها على أنى أعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل[٦].

---

(١) ذهب أكثر أهل اللغة: أن الأكمه هو الذى ولد أعمى، وقال الخليل وغيره: هو الذى عمى بعد أن كان بصيرا. وعن مجاهد: هو الذى لا يبصر بالليل. راجع مفاتيح الغيب جـ٨ ص ٦٣.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٢٣ ، ٢٤.

(٣) ولقد ذكرت (بإذن الله) فى آيات سورة المائدة يقول الله لعيسى وهو يذكره بنعمة عليه ....(وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى).

(٤) الفتوحات الإلهية جـ١ ص ٢٧٤. نقلا عن القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٠٨.

(٥) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٠٩.

(٦) مفاتيح الغيب جـ٨ ص ٦٣.

وأعاد سبحانه وتعالى قوله ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ - تأكيدا لكون ذلك واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى وإيجاده[١].

وكرر ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية[٢].

فالمسيح عليه السلام يبين أن الخالق والمحيى فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، حيث لم ينسب لنفسه أى قدرة على فعل هذه المعجزات.

وإنما نسبها إلى الله سبحانه وتعالى وذلك دفعا لتوهم أن هذه المعجزات تدل على ألوهيته.

وكذلك أيضا فإن عيسى نسب نزول المائدة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى فقال عيسى ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (سورة المائدة الآية : ١١٤).

وناداه باسم الذات الجامع لمعنى الألوهية والقدرة والحكمة والرحمة فقال عيسى ﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾ معناه يا الله، ثم باسم الرب الدال على معنى الملك والتدبير والتربية والإحسان خاصة فقال ﴿ رَبَّنَآ ﴾ أى ياربنا ومالكنا ومتولى أمرنا ومربينا أنزل علينا مائدة سماوية[٣].

فهذه المعجزات لا تدل على ألوهية المسيح وإنما تدل على نبوته ورسالته ولذلك قال عيسى بعد أن حكى المعجزات لقومه ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٤٩). أى أنها آية ودليل صدق لكى تؤمنوا بأنى رسول من عند الله.

وقال عيسى بعد أن سأل الله المائدة ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ (سورة المائدة الآية : ١١٤). أى تكون آية وعلامة منك على صحة نبوتى ودعوتى.

ولعل المراد بنص قوله ﴿ مِّنكَ ﴾ مع العلم بأن كل شئ من الله تعالى ولا سيما الآيات النص على أن الآيات إنما تكون من الله وحده[٤].

---

(١) المرجع السابق جـ١٢ ص ١٣٤.
(٢) الكشاف جـ١ ص ٤٣١.
(٣) تفسير المنار جـ٢ ص ٢١١.
(٤) نفس المرجع، نفس الصفحة.

فظهور المعجزات على يد المسيح لا تدل على الألوهية بأى حال من الأحوال.

يقول د/بركات دويدار: إن ظهور المعجزات على يديه لا يدل على أنه هو المؤثر لأنها من فعل الله سبحانه وتعالى، فمعجزة الطير وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى .... كل ذلك ليس لعيسى فيها عمل بل الله سبحانه وتعالى هو الذى أجرها على يديه... والذين ألهوا عيسى بسبب هذا الكائن كالذين ألهوا الشمس لما رأوا فيها من فوائد فسجدوا لها، فنبههم الله سبحانه إلى أن الحق هو السجود لخالق الشمس لا الشمس، كذلك هنا فى عيسى، الحق هو عبادة خالقه لا عبادته.

وأما المعجزات فإنها ليست بأعظم من غيرها فإن إحياء العصا لموسى [1] ـ وهم يعترفون بذلك ـ أدل على القدرة من إحياء الميت فهل نقول كذلك بأن موسى إله؟!! [2].

فالمعجزات بقدرة الله وإذنه ومشيئته أجراها سبحانه على يد مدعى النبوة والرسالة للدلالة عليها، والمعجزة ليست خاصة بعيسى وحده حيث أجراها الله على يد جميع الأنبياء والرسل.

الحكمة فى كون معجزات المسيح من هذا النوع: ـ

يقول العلماء: إن معجزة عيسى من جنس ما برع فيه القوم، ذلك أنهم كانوا على علم بالطب الطبيعى وفلاسفة فى ذلك. فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون ليكون عجزهم حجة عليهم وعلى غيرهم ممن هم دونهم فى معرفة الطب.

يقول ابن كثير فى تفسيره: قال كثير من العلماء بعث الله كل نبى من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند الله العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذى شرع الشريعة.

---

(١) ولقد فصلنا القول فى ذلك فى الباب الثانى.

(٢) د/بركات دويدار: الوحدانية ص ٣٨٦ ط أولى.

فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد؟ أو على مداواة الأكمه والأبرص؟ وبعث من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد؟

وكذلك محمد ﷺ بعث فى زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وما ذاك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا) (١).

فالمعجزة إذا جاءت من جنس ما برع فيه القوم كانت أبلغ فى التحدى والإعجاز. ومعجزة المسيح عليه السلام كانت من جنس ما برع فيه القوم من الطب الطبيعى، وذلك ليكون عجزهم حجة عليهم وعلى غيرهم ممن هم أقل منهم فى معرفة ما برعوا فيه.

ولكن الفيلسوف الفرنسى (رينان) يقرر أن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعى فيقول (كانت صناعة الطب فى المشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم، فإن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبى الطب موضوعه العلة المقدسة يعنى الهستريا وفيه وصف هذه العلة وذكر دواءها إلا أن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب، وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين وربما كان ذلك ناشئا من شدة الحماسة الدينية) (٢).

فهو يقرر أن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعى.

وهذا القول ليس دقيقا ذلك أن التاريخ يذكر أن من الطوائف اليهودية التى عاصرت الميلاد "الآسين" أو "الآسينين" ـ كما يكتبها رواة الأخبار عنها فى عصر الميلاد.

يقول العقاد: (واسم هذه الطائفة مختلف عليه، ولكن الراجع من الأقوال المتعددة أن الاسم مأخوذ من كلمة (أسى) بمعنى الطبيب أو النطاس فى اللغة

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٦٤، ٣٦٥.
(٢) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص٢٥.

الآرامية وهى تفيد هذا المعنى فى اللغة العربية، ومن المعقول أن يتسمى أصحاب هذا المذهب بالآسين لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد، كما يدعون العلم بخصائص العقاقير. وقد نشأت هذه الطائفة على الأغلب بالإسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد واقتبست من مدارس الإسكندرية كثيرا من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كمذهب فيثاغورس[١].

فالآسينيون شيعة دينية يهودية ظهرت فى القرن الثانى قبل الميلاد[٢].

ويظن أن عدد الآسينين فى تلك الفترة قد بلغ حوالى أربعة آلاف، كانت غالبيتهم فى وادى القمران، ويظن أن بعضهم كان فى مصر وسوريا[٣].

ويعلم من هذا : أنه كان هناك عدد كبير من اليهود على علم بالطب الذى درسوه فى الإسكندرية التى كانت مسرحا للأفكار الفلسفية.

وإذا كان قد بلغ عددهم فى القرن الثانى قبل الميلاد أربعة آلاف ـ فلا شك أن عددهم زاد بعد ذلك فى عصر ميلاد المسيح.

مما يصح معه القول بأن القوم كانوا على علم بالطب، وكانت معجزات المسيح من جنس ما برع فيه القوم حتى يكون أبلغ فى التحدى والإعجاز.

ولا مانع من أن نقول أيضا إن معجزات المسيح جاءت فى زمان كان قد ساد بينهم إنكار الروح فى أقوال بعضهم وأفعال جميعهم، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعادة مصدق لما يأتى به الرسل وهى فى الوقت ذاته إعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها)[٤]. مع الاحتفاظ بأن التعليل الأول أبلغ وأظهر.

وسواء كان هذا التعليل أم ذاك فإن المعجزات لا تدل على ألوهية المسيح بل تدل على كونه رسولا من عند الله، اصطفاه الله سبحانه وتعالى وأيده بالمعجزات لتكون

---

(١) حياة المسيح ص ٤١ ، ٤٢.
(٢) د/حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحى ص ١٦.
(٣) المرجع السابق ص ٨٨.
(٤) محاضرات فى النصرانية ص ٢٦.

دليل صدق نبوته وبرهان رسالته مثله كمثل الأنبياء الآخرين، وهذه المعجزات لا تخرجهم عن طوق البشرية، ذلك أنهم اعترفوا بأن الخوارق من عند الله، وكذلك عيسى اعترف بأن الخوارق التى تقع على يديه إنما هى بإذن الله وقدرته جلت حكمته، وبين لهم أن هذه المعجزات ليست مقصوده لذاتها وإنما الهدف منها حمل التاس على التصديق بالرسالة (إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين).

واعترف بالعبودية لله عز وجل ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٢) ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (سورة مريم الآية: ٣٠).

وقد تبين بذلك المعنى الصحيح من ولادته عليه السلام من عذراء ومعجزاته فلا دلالة فيهما على الألوهية بأى حال من الأحوال.

ما معنى المسيح كلمة الله وروح منه؟

بقى أن نبين معنى إطلاق القرآن الكريم على المسيح كلمة الله وروح منه وذلك فى قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٤٥).

وقوله ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟[١] فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (سورة النساء الآية: ١٧١).

ذلك أنه لا شبهة فى إطلاق القرآن الكريم على المسيح (كلمة الله) و (روح منه) حيث إن هذا الإطلاق لا يدل على الألوهية ولا يشعر بكون المسيح خارجا عن طوق البشرية.

معنى كلمة الله ـ

يقول الزمخشرى: قيل لعيسى كلمة الله، وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة،[٢].

(١) يقول الزمخشرى. غلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته، حيث جعلته مولودا لغير رشده ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية: ١٥٦) وغلت النصارى فى رفعة عن مقداره حيث جعلوه إلها. أ. هـ الكشاف جـ١ ص ٥٨٤.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٥٨٤ .

وهذا المعنى هو المشهور بين العلماء ويدل عليه قوله ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة يس الآية : ٨٢).

وقوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٥٩). فخلق عيسى وآدم بقوله كن[١].

ولقد توسع بعض العلماء فى معانى إطلاق "كلمة الله" على المسيح.

يقول صاحب تفسير المنار: وفى لفظ (كلمة) أربعة وجوه:-

الوجه الأول: أن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحى ؛ ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن البارى عز وجل مما يعلو عقول البشر عبر عنه سبحانه بقوله ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة يس الآية: ٨٢).

فكلمة (كن) هى كلمة التكوين.

ويقال: إن كل شئ قد خلق بكلمة التكوين، فلماذا خص المسيح بإطلاق الكلمة عليه؟

وأجيب عن ذلك: بإن الأشياء تنسب فى العادة والعرف العام فى البشر إلى أسبابها، ولما فقد فى تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سببا للعلوق، وهو تلقيح ماء الرجل لما فى الرحم من البويضات التى يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله، وأطلقت الكلمة على المكون إيذانا بذلك، أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة، وهذا هو الوجه المشهور.

الوجه الثانى: أنه أطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به، فهو قد عرف بكلمة الله أى بوحيه لأنبيائه ـ قاله الأستاذ الأمام ـ والكلمة تطلق على الكلام كقوله ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة الصافات الآية: ١٧١).

الوجه الثالث: أنه أطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذى حرفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين ماديا محضا ـ قاله الرازى[٢]

---

(١) كتاب خلق الأفعال للبخارى (عقائد السلف) ص ١٣٦.

(٢) راجع مفاتيح الغيب جـ٢ ص ٥٢.

وجعله من قبيل وصف الناس للسلطان العادل بظل الله ونور الله؛ لما أنه سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان قال: فكذلك كان عيسى سببا لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته له وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

الوجه الرابع: - أن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه فقوله (بكلمة منه) معناه: بخبر من عنده أو بشارة وهو كقول القائل: ألقى إلى فلان كلمة سرنى بها، بمعنى أخبرنى خبرا فرحت به، قاله ابن جرير[١]. واستشهد له بقوله ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ (سورة النساء الآية: ١٧١). يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها.

قال فتأويل القول فى قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[٢] (سورة آل عمران الآية: ٤٥). أى وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده هى ولد لك اسمه المسيح عيسى بن مريم.

ثم قال مستدلا على هذا ما نصه: ولذلك قال الله عز وجل ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ﴾ فذكرَّ ولم يقل اسمها فيؤنث و"الكلمة" مؤنثة ؛ لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان، وإنما هى بمعنى البشارة، فذكرت كنايتها كما تذكر كناية الذرية والدابة والألقاب إلى آخر ما أطال به فى المسألة من جهة العربية)[٣].

والوجه الأول هو المشهور بين العلماء.

فالكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال له ﴿ كُن ﴾، فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقا[٤].

ومعنى ﴿ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أى أوصلها إليها وبلغها إليها[٥].

---

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٩٠.

(٢) وتفسير الجمهور - القائل بالوجه الأول لهذه الآية (أن الله يبشرك بولد يكون وجوده بكلمة من الله أى يقول له كن فيكون) راجع المرجع السابق جـ١ ص ٣٦٣.

(٣) تفسير المنار جـ٣ ص ٢٥٠.

(٤) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لابن حنبل (عقائد السلف) ص ٨٣.، راجع الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ صـ١٧٣.

(٥) تفسير المنار جـ٦ ص ٦٨.

يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه (كذبت النصارى على الله فى أمر عيسى حيث قالوا إن عيسى روح الله من ذات الله وكلمته من ذات الله كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة)[١]. فعيسى خلق بالكلمة (كن) وليس هو الكلمة.

وهذا هو معنى إطلاق الكلمة على عيسى عليه السلام.

معنى (وروح منه): -

أما معنى قوله تعالى عن عيسى ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أى من أمره سبحانه كان الروح فيه[٢]. فالروح عبارة عن نفخة جبريل (ومنه) يعنى أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه.

ولقد ذكر الفخر الرازى معانى أخرى لإطلاق الروح على عيسى.

يقول وأما قوله "وروح منه" ففيه وجوه: -

الأول: أنه جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح. فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وإنما تكون من نفخة جبريل عليه السلام لا جرم وصف بأنه روح.

والمراد من قوله (منه) التشريف والتفضيل، كما يقال هذه نعمة من الله، والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة.

الثانى: أنه كان سببا لحياة الخلق فى أديانهم، ومن كان كذلك وصف بأنه روح. قال تعالى فى صفة القرآن ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ سورة الشورى الآية: ٥٢.

الثالث: روح منه أى رحمة منه، قيل فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ سورة المجادلة الآية: ٢٢). أى برحمة منه

قال عليه الصلاة والسلام (إنما أنا رحمة مهداة)[٣]. فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث إنه كان يرشدهم إلى مصالحهم فى دينهم ودنياهم لا جرم سمى روحا منه.

---

(١) عقائد السلف ص ٨٧.
(٢) المرجع السابق ص ٨٣.
(٣) رواه الدارمى فى مسنده جـ١ باب كيف كان شأن النبى ﷺ ط ـ دار المحاسن. وبرواية أخرى (أنا محمد نبى الرحمة) فى صحيح مسلم فى باب: الفضائل، والترمذى فى باب: الدعوات.

الرابع : أن الروح هو النفخ فى كلام العرب ، فإن الروح والريح متقاربان.

فالروح عبارة عن نفخة جبريل ، وقوله (منه) يعنى أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو منه ، وهذا كقوله ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ٩١).

الخامس : ـ قوله (روح)أدخل التنكير فى لفظ (روح) وذلك يفيد التعظيم ، فكان المعنى : وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية.

وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم)[1].

والمعنى الواضح والتى تدل عليه الآيات هو أن المسيح خلق بالنفخ ، وأن هذه النفخ كان من جبريل بأمر الله.

ويوضحه قوله تعالى عن مريم ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ٩١) وقوله ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (سورة التحريم الآية : ١٢).

ويدل عليه أيضا : أن القرآن الكريم بين أن آية الله تعالى فى خلق عيسى كآية خلقه لآدم ؛ إذ خلق كل منهما بكلمة (كن).

ولما كان معنى المسيح (كلمة الله) أى خلق بكلمة كن ، مثله فى ذلك كمثل آدم ، فـإن معنى (وروح منه) أى بنفخ من روح الله أيضا ، كما كان آدم أيضا بنفخ من روح الله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ (سورة الحجر الآية : ٢٩).

وعلى ذلك فإن معنى (من) فى قوله تعالى (وروح منه) : لابتداء الغاية مجازا وهى متعلقة بمحذوف وضع صفة لروح ، أى كائنة من جهته تعالى جعلت منه وإن كتنت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره سبحانه[2].

زعم بعض النصارى أن (من) للتبعيض ، بمعنى أن عيسى جزء من الله ، بمعنى أنه ابنه ، وهو باطل.

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١١ ص ١١٧.
(٢) إرشاد العقل السليم جـ١ ص ٦١٢.

وقد نقل المفسرون أن طبيبا نصرانيا للرشيد ناظر على بن حسين الواقدى المروزى ذات يوم فقال له: إن فى كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية، فقرأ له الواقدى قوله تعالى:-

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (سورة الجاثية الآية: ١٣).

وقال: يلزم إذن أن تكون جميع هذا الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى، فانقطع النصرانى وأسلم، ففرح الرشيد بإسلامه، ووصل الواقدى بصلة فاخرة[(١)].

وبذلك يتبين المعنى الصحيح لقول الله عن عيسى (وروح منه) أى بأمره سبحانه وتعالى كان الروح فى عيسى.



وبذلك يتبين أن عيسى بن مريم رسول الله أيده الله ببعض الآيات لتكون دليلا على رسالته، ولم يخرج عيسى عن طوق البشرية.

فهو بشر مثله كمثل الأنبياء، وأن ما أطلق عليه من كلمة الله وروح منه لا تدل على الألوهية، وإنما تدل على أن عيسى خلق بكلمة الله (كن)، وكان الروح فيه بأمر الله سبحانه وتعالى.

وعلى ذلك بطل القول بألوهية المسيح، ذلك أن القوم لا دليل معهم - نقلى ولا عقلى على هذا الاعتقاد.

فهم قد اعتقدوا بما لم ينزل الله به سلطانا، واتبعوا أهواءهم فضلوا، وأضلوا، وضلوا عن سواء السبيل.

إبطال دعوى صلب المسيح

كان يكفى أن نعرف أن إبطال ألوهية المسيح يترتب عليه إبطال الصلب وما يتبعه ولكن القرآن الكريم بين أن المسيح لم يصلب، وذلك دفعا لتوهم القائل:

إذا لم يكن المسيح إلها فكيف نفسر صلبه؟

يبين القرآن الكريم أن المسيح ليس إلها ولم يصلب.

---

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ذلك أن القرآن الكريم كما أبطل الأسس التى بنى النصارى عليها عقيدة الخلاص فبين أن آدم تاب من ذنبه ، وأن كل إنسان يحمل وزر نفسه وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فإنه كذلك أبطل النتيجة التى رتبوها عليها ، وهى : أن صلب المسيح كان فداء عن البشرية ، فأبطل الصلب ، وبإبطال الصلب يبطل أن يكون فداء عن البشرية.

ولقد نفى القرآن الكريم الصلب فى موضعين من آى الذكر الحكيم.

الموضع الأول : بيان أن اليهود اجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانه الله من ذلك ، فلقد بين القرآن الكريم أن اليهود تآمروا على قتل المسيح وصلبه ولكن الله نجاه.

يقول سبحانه ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۝ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۝ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآيات : ٥٢ ـ ٥٥).

والآيات تفيد أن اليهود الذين أحس عيسى منهم الكفر قد دبروا المؤمرات لقتله واتخذوا كل الوسائل لتنفيذ هذا المأرب الذميم ؛ محاربة منهم لله ولرسوله عيسى عليه السلام كما فعل أسلافهم بالأنبياء الآخرين ، فأبطل الله تدبيرهم ، وأحبط كيدهم ، فلم ينجحوا فيما أرادوا بل نجى الله نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ من شرورهم.

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ (١).

---

(١) قال الفخر الرازى : أصل المكر فى اللغة : السعى بالفساد فى خفية ومداجاة ، قال الزجاج يقال : مكر الليل وأمكر إذا أظلم ، وقال الله تعالى **(وإذ يمكر بك الذين كفروا)** وقال **(وما كانت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)** وقيل أصله من اجتماع الأمر وإحكامه ومنه : امرأة ممكورة أى مجتمعة الخلق وإحكام الرأى يقال له الإجماع والجمع قال الله تعالى ﴿ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمى مكرا) مفاتيح الغيب جـ٨ ص ٧٢. =

أى مكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به فحاولوا قتله، وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا فيه، وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكلة، كذا قاله الجمهور وأقره الأستاذ الإمام[(١)].

﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ أى أحكمهم تدبيرا أو أنفذهم كيدا وأقدرهم على عقاب الآثمين من حيث لا يشعرون وإنجاء الشرفاء المصلحين بله الأنبياء والمرسلين من أيدى الطغاة المفسدين العابثين[(٢)].

فالآيات تفيد أن المسيح وإن قصد وطلب فإنه ما قتل وصلب؛ لأن الله نجاه من أيدى هؤلاء الماكرين.

الموضع الثانى: ينفى القرآن الكريم أقوال اليهود الذين شهدوا الصلب وقالوا إنا قتلنا المسيح ـ وأقوال النصارى الذين أخذوا عن اليهود ـ ويبين أن المسيح لم يقتل ولم يصلب يقينا لا شك فيه.

يقول سبحانه عن اليهود وتاريخهم الأسود ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٨).

والآيات السابقة تنفى القول بقتل المسيح وصلبه عامة، سواء كان هذا القول من اليهود أو النصارى، وهو موجه أولا وفى المقام الأول إلى اليهود ـ ذلك أنه إذا انتفى

= ثم يقول (والمكر عبارة عن الاحتيال فى إيصال الشر، والاحتيال على الله محال فصار لفظ المكر فى حقه من المتشابهات وذكروا فى تأويله وجوها: أحدها: أنه تعالى سمى جزاء المكر بالمكر، كقوله(وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى جزاء المخادعة بالمخادعة وجزاء الاستهزاء بالاستهزاء. والثانى: أن معاملة الله معهم كانت شبيهة بالمكر فسمى بذلك.

الثالث: أن هذا اللفظ ليس من المتشابهات؛ لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل، ثم اختص فى العرف بالتدبير فى إيصال الشر إلى الغير، وذلك فى حق الله غير ممتنع والله أعلم) المرجع السابق جـ٨ ص ٧٣.

(١) تفسير المنار جـ٣ ص ٢٥٩.

(٢) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ٢٧٦.

قول اليهود فبالأولى ينتفى قول النصارى - فى قولهم (إنا قتلنا المسيح) وذلك لأنهم هم الذين شهدوا الصلب ويدعون أنهم صلبوه وقتلوه، لذلك نجد أن القرآن الكريم يمهد إلى نفى قولهم بصلب المسيح ببيان تاريخهم الأسود وبيان خصال السوء المتأصلة فيهم - من نقض الميثاق، والكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء، وقولهم قلوبنا غلف[(١)] والحق أن الله طبع عليها بسبب كفرهم، وكذلك أيضا. القول الزور الذى قالوه عن مريم وبرأها الله سبحانه وتعالى منه، وكذلك أيضا قولهم بقتل المسيح وصلبه، ورد الله عليهم بأنهم ما قتلوه وما صلبوه - وذلك لبيان أن ديدنهم الكذب والافتراء، فكذبهم فى قولهم "إنا قتلنا المسيح" ليس غريبا على طبيعتهم، التى تحمل فى طياتها الكذب والافتراء والكفر بالله والبعد عن الحق والصواب والميل إلى الافتراء والقول الزور.

فاليهود بقولهم "إنا قتلنا المسيح" ساروا على الطريق الذى ساروا فيه مع أنبيائهم من الكفر بهم وبرسالاتهم والكذب عليهم.

ومعنى الآيات السابقة: أى فسبب نقض أهل الكتاب الميثاق الذى واثقهم الله به إذ نكثوا فتله، وأحلوا ما حرم، وحرموا ما أحل، وكفرهم بآيات الله التى أراهم منها ما لم يره سواهم، وقتلهم الأنبياء الذين بعثوا لهدايتهم كزكريا ويحيى عليهما السلام، وقولهم قلوبنا غلف، وغير ذلك من سيئاتهم - التى يذكر أهم كبائرها فى الآيات - أى بسبب هذا كله فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والغضب وضرب الذلة والمسكنة وإزالة الملك والاستقلال؛ لأن هذه الذنوب قد فرقت نسيج وحدتهم،

---

(١) ذكر المفسرون وجهين لمعنى هذا القول: أحدهما: أن "غلف"جمع أغلف وهو الذى عليه غلاف يمنع نفوذ الشئ أى أن قلوبهم لا ينفذ إليها شئ مما جاء به الرسول فهى لا تدركه وهو لا يؤثر فيها كما حكى الله تعالى عن المشركين ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ (سورة فصلت الآية: ٥).

وثانيهما: أنه جمع (غلاف) ككتاب وكتب، وسكنت اللام فيه كما تسكن فى الكتب والرسل، والمعنى: أنهم أوعية وغلف للعلوم والمعارف، فهى لا تحتاج إلى شئ جديد تستفيده من الرسول أو من غيره. وقد رد الله تعالى هذا الزعم بقوله "بل طبع الله عليها بكفرهم" أى ليس ما وصفوا به قلوبهم هو الحق الواقع بل طبع الله عليها بكفرهم أى كان كفرهم الشديد وما له من الأثر القبيح فى أخلاقهم وأعمالهم سببا للطبع على قلوبهم. راجع: مفاتيح الغيب جـ١١ ص ٩٩، تفسير المنار جـ٦ ص ١٥.

وفرقت شمل أمتهم، وذهبت بريحهم وقوتهم، وأفسدت جميع أخلاقهم، فكل ما حل بهم من البلاء هو أثر ذلك النقض والكفر والعصيان[١].

ومن سيئاتهم التى تذكرها هذه الآيات (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أى وبسبب قولهم هذا، فإنه قول يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل والضرورة بارتكاب الجرائم والاستهزاء بآيات الله ورسله، ووصفه هنا بصفة الرسالة[٢] للإيذان بتهكمهم به عليه السلام، واستهزائهم بدعوته، وهو مبنى على أنه إنما ادعى النبوة والرسالة فيهم لا الألوهية، ويجوز أن يكون قوله (رسول الله) منصوبا على المدح أو الاختصاص، للإشارة إلى فظاعة عملهم ودرجة جهلهم وشناعة زعمهم (وما قتلوه وما صلبوه) أى والحال أنهم ما قتلوه كما زعموا تبجحا بالجريمة وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس (ولكن شبه لهم) أى وقع لهم الشبهة أى الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى وإنما صلبوا غيره[٣].

فالمسيح لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم.

اختلف العلماء فى معنى قوله (ولكن شبه لهم).

فقيل المعنى: ولكن شبه لليهود الذين صلبوه بأن ألقى الله شبهه على غيره فصلبوا الشبه.

وقيل المعنى: ولكن شبه للنصارى ـ أى حصلت لهم الشبهة فى أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وصلب، ولكن لما قال أعداؤه ـ اليهود ـ أنهم قتلوه وصلبوه صدقهم النصارى فى صلبه[٤].

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ١٤.

(٢) يقول الإمام الرازى: فإن قيل اليهود كانوا كافرين بعيسى أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة، الفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله؟ والجواب عنه من وجهين.

الأول: أنهم قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (سورة الشعراء الآية: ٢٧) وكقول كفار قريش لرسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (سورة الحجر الآية: ٦).

والثانى: أنه يجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به/مفاتيح الغيب جـ١١ ص ١٠١.

(٣) تفسير المنار جـ٦ ص ١٦.

(٤) هداية الحيارى ص ٣١٤.

والقول الأول هو قول الجمهور[١]. وهو الذى تدل عليه الآيات حيث إنها تنفى قول اليهود "إنا قتلنا المسيح" بأنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بأن ألقى الله شبهه على غيره فصلبوا الشبه ولم يصلبوا عيسى عليه السلام.

وعلى هذا القول فإن نفى القرآن الكريم لقول اليهود بصلب المسيح نفى أيضا من باب أولى لاعتقاد النصارى بصلب المسيح. ذلك أن المسيح لم يقتل ولم يصلب.

ثم تذكر الآيات بعد ذلك ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ أى وإن الذين اختلفوا فى شأن عيسى من أهل الكتاب فى شك من حقيقة أمره أى فى حيرة وتردد، ما لهم به من علم ثابت قطعى لكنهم يتبعون الظن[٢]. ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ أى وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين[٣].

يقول صاحب تفسير المنار (وما قتلوا عيسى مريم قتلا يقينا أو متيقنين أنه هو بعينه، لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة، وهذه الأناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن الذى أسلمه إلى الجند هو يهوذا الإسخريوطى، وأنه جعل لهم علامة أن من قبله هو يسوع المسيح فلما قبله قبضوا عليه .. فالجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية. وقيل إن الضمير فى قوله تعالى (وما قتلوه يقينا) للعلم الذى نفاه عنهم.

والمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن وما قتلوا العلم يقينا وتثبيتا بل رضوا بتلك الظنون التى يتخبطون فيها. يقال : قتلت الشئ علما وخبرا إذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا ارتياب.

روى عن ابن عباس أنه راجع إلى الظن الذى يتبعوه قال (لم يقتلوا ظنهم يقينا) رواه ابن جرير، أى أنهم يتبعون ظنا غير ممحص ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التى توصل إلى الحكم)[٤].

---

(١) راجع الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ٣١٣.
(٢) تفسير المنار جـ٦ ص ١٦.
(٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥٧٤.
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٦ ص١٧.

والحاصل أن جميع روايات المسلمين متفقة على أن عيسى عليه السلام نجا من أيدى مريدى قتله فقتلوا آخر ظانين أنه هو.

فالحق الذى لا مرية فيه أن المسيح لم يقتل ولم يصلب حيث نجاه الله من أيديهم ورفعه إليه.

وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الرفع.

فالجمهور: أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه إليه وأخذوا بظاهر قوله تعالى فى مقابل القتل (بل رفعه الله إليه) وببعض الأحاديث التى وردت فى ذلك وفريق آخر قالوا: إنه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى الأنبياء ورفع روحه إليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء وأخذوا فى ذلك بظاهر قوله تعالى ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٥٥) وبظاهر قوله ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة المائدة الآية: ١١٧).

ولكن منهما وجهة هو موليها[١].

ولا نحب أن ندخل هنا فى تفصيل أدلة كل منهما وترجيح أحدهما على الآخر، لأن الشئ الذى يهمنا هنا أن الله سبحانه وتعالى نجى المسيح من أيدى الأعداء ورفعه إليه، ولكن هل الرفع بالجسد والروح معا؟ أو بالروح فقط؟ فهذا قد اختلف فيه.

ولترجيح رأى أحد الفريقين موضع ليس هذا مقامه.

ما يترتب على نفى الصلب

يترتب على نفى الصلب نفى الغاية التى ألصقها النصارى بدعواهم بصلب المسيح فداءً عن البشرية.

فالمسيح لم يصلب ولم يفد أحد، فالكل مسئول عن عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وبإبطال الصلب يبطل الاعتقاد بقيامة المسيح.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٢٦.

وعلى ذلك فإن موقف الإسلام من عقيدة الخلاص المسيحية.

أنها عقيدة فاسدة لأنها قامت على أسس فاسدة.

فآدم تاب من ذنبه والله سبحانه وتعالى تاب عليه.

والإسلام يجلى هذا فيبين أن آدم مسئول عن ذنبه ـ على فرض أنه أذنب ـ وحده وأن كل إنسان مسئول عن عمله يحاسب عليه وحده لا غير، فكل إنسان على نفسه بصيرة، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

فآدم وحده هو المسئول عن عمله لا الجنس البشرى المتناسل منه، ذلك لأن كل إنسان بعمله يحاسب ويجازى.

ثم يتجلى موقف الإسلام أكثر وأكثر حينما يتبين موقفه من النتيجة التى افتعلوها وأخذوها من الوثنية وهى جعل المسيح إلها وصلبه وقيامته من أجل البشرية.

فيبطل الإسلام ذلك فيبين أن المسيح ما دعا إلا إلى توحيد الله وحده لا شريك له وأن الذين يقولون بغير التوحيد هم قوم كافرون بالله وبرسوله؛ حيث لم يقل المسيح ذلك فالنصارى قد كفروا بالله حين قالوا إن المسيح هو الله وإنه ابن الله حيث إنهم تقولوا على الله ورسوله ما لم ينزل به سلطانا.

ثم يبين الإسلام أن المسيح لم يصلب، وذلك ليهدم العقيدة فى أسسها ونتائجها، وليبين لهم فساد عقيدتهم من بدايتها إلى نهايتها.

الخاتمة

وتتضمن :

١ـ البديل الإسلامى للخلاص المسيحى

٢ ـ أهم النتائج

البديل الإسلامى للخلاص المسيحى

لقد بينا فى صلب هذا البحث أن الخلاص عقيدة وثنية لأنه يقوم على أفكار ومعتقدات وثنية، فالتجسد الإلهى، والصلب، والقيامة، ما هى إلا معتقدات وثنية انتقلت إلى المسيحية.

أما البديل الإسلام للخلاص المسيحى بمعناه العام وهو غفران الخطايا فهو على النحو التالى : ـ

إن الله سبحانه وتعالى يوصف بأنه غفور رحيم، ومغفرته ورحمته وسعت كل شئ.

ولكن القرآن الكريم وضع أمارات وعلامات بها يعرف من سينال هذه المغفرة وهى مترتبة على زمن وقوع المعصية، ونوع هذه المعصية.

والقرآن الكريم يوضح لنا أن المؤمن بالله هو الذى ينال هذه المغفرة ، أما المشرك والكافر فلا.

يقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (سورة النساء الآية : ١١٦).

ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ (سورة النساء الآية : ١٣٧).

ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ (سورة النساء الآية : ١٦٧ ـ ١٦٨). فالمشرك بالله لا ينال المغفرة، أما المؤمن بالله المطيع فإن الآيات القرآنية تدل على أن الله يغفر له ما وقع منه من الهفوات والهنات.

يقول سبحانه ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٦٥). وقوله ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا ﴾ (سورة طه الآية: ٧٣).

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآية: ٥١).

﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (سورة الأحقاف الآية: ٣١).

أما المؤمن العاصى فإن كانت معصيته قبل الدخول فى الإسلام، فإنه بمجرد دخوله فيه فإن الإسلام يجب ما قبله.

يقول سبحانه ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (سورة الأنفال الآية: ٣٨).

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ ﴾ عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلون فى الإسلام والطاعة والإنابة يغفر لهم ما قد سلف أى من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم.

كما جاء فى الصحيح من حديث أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من أحسن فى الإسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية ومن أساء فى الإسلام أخذ بالأول والآخر)[1].

وفى الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال (الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها)[2]، [3].

فالإيمان بالله سبحانه وتعالى يكفر الذنوب الماضية.

(١) رواه مسلم جـ١ كتاب الإيمان ـ باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية، ورواه أحمد بن حنبل جـ١ ص ٣٧٩ ورواه ابن ماجة جـ١ كتاب: الزهد باب: ذكر الذنوب.

(٢) رواه أحمد بن حنبل ص ٢٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣٠٨.

أما إذا كان كانت هذه المعصية بعد الدخول فى الإسلام فإما أن تكون كبيرة أو صغيرة. فإن كانت كبيرة فإنها تغفر بإذن الله بأمرين.

١ ـ التوبة ٢ ـ عمل الصالحات والإكثار من الحسنات.

١ - أما بالنسبة للأمر الأول فالآيات الدالة على ذلك كثيرة منها :

يقول سبحانه ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ (سورة الزمر الآيات : ٥٣ ، ٥٤).

ويقول سبحانه ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية : ١١٠).

ويقول ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٣٩).

ويقول ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ١٥٣).

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (سورة طه الآية : ٨٢).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الشورى الآية : ٢٥).

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ (سورة الفرقان الآيات : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١).

ويقول سبحانه ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (سورة غافر الآيات : ٢ ، ٣).

فهذه الآيات دعوة لجميع العصاة إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر[١].

٢ ـ عمل الصالحات والإكثار من الحسنات:ـ

إن الآيات القرآنية توضح أن عمل الصالحات والإكثار من الحسنات سبيل إلى المغفرة.

يقول سبحانه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٣١.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (سورة الصف الآيات: ١٠، ١١، ١٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة الملك الآية: ١٢).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (سورة الفتح الآية ٢٩).

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة فاطر الآية: ٧).

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة سبأ الآية: ٤).

ويقول سبحانه ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٩).

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (سورة محمد الآية: ٢).

---

(١) المرجع السابق جـ ٤ ص ٥٨.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ (سورة العنكبوت الآية : ٧).

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الحج الآية : ٥٠).

ويتبين من هذه الآيات أن عمل الصالحات وفعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة.

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (سورة هود الآية : ١١٤).

روى الإمام البخارى فى سبب نزول هذه الآية عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى ﷺ فأخبره فأنزل الله﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (سورة هود الآية : ١١٤). فقال الرجل يارسول الله إلى هذا؟ قال لجميع أمتى كلهم)[١]. أى أن الإكثار من الصلاة والحسنات يذهبن السيئات إذا كثرت رجحت على السيئات فى الميزان ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (سورة القارعة الآيتان : ٦ ، ٧). هذا فضلا عن أن الحسنة فى ذلك تمحو السيئة.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل أبواب الحسنات متعددة وكثيرة جدا حتى لا يعجز أى إنسان عن الاستكثار منها، القوى ، والضعيف، والغنى ، والفقير، كل هؤلاء لهم طرق لا تحصى للحصول على الثواب.

والأحاديث فى هذا المجال كثيرة خاصة تلك التى تبين فضائل العبادات وأعمال البر والخير[٢].

روى الإمام مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه أن أناسا من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : ذهب أهل الدثور[٣] بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال أو ليس قد جعل لكم

---

(١) أخرجه البخارى /كتاب : مواقيت الصلاة باب الصلاة/كفارة/كتاب : التفسير/باب : وأقم الصلاة طرفى النهار ، ومسلم/كتاب : التوبة/باب : قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (سورة هود الآية : ١١٤)

(٢) راجع فى ذلك : ابن الديبع الشيبانى فى كتابه مكفرات الذنوب وموجبات الجنة).

(٣) الدثور بضم الدال جمع دثر بفتحها وهو المال الكثير (راجع صحيح مسلم بشرح النووى جـ٧ ص ٩٢).

ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهى عنه منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر : قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر) [(١)].

فالتوبة وعمل الصالحات يكفران الذنوب والسيئات التى فعلها المؤمن. أما من لم يتب فأمره مفوض إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه [(٢)]. يقول سبحانه ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة الآية : ١٠٢).

أما إذا كانت هذه المعصية صغيرة فإنها تغفر بإذن الله باجتناب الكبائر يقول سبحانه ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية : ٣١).

أى إذا اجتنبتم كبائر الآثام التى نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة [(٣)].

ويقول سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ (سورة النجم الآية : ٣٢).

وقال ﷺ "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهم إن اجتنبت الكبائر" [(٤)].

---

(١) أخرجه البخارى/كتاب : الأذان/باب : الذكر بعد الصلاة، كتاب : الدعوات/باب : الدعاء بعد الصلاة، مسلم/كتاب : الزكاة/باب : أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٢) شرح البيجورى على الجوهرة ص ٢٣٩ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٨٠.

(٤) رواه الإمام مسلم من حديث أبى هريرة/كتاب : الطهارة/باب : فضل الوضوء.

أهم النتائج:ـ

١ ـ عدم الثقة بمصادر المسيحيين، لما تتصف به من فقدان السند المتصل، هذا إلى جانب أنها مليئة بالتناقضات والاختلافات والأغلاط والتى لا يصح معها نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ أن الخلاص المسيحى يختلف عن الخلاص اليهودى، الذى يقوم على الاعتقاد بمخلص يخلصهم من الوهدة السياسية، ويخلصهم من الخضوع للأجنبى، ويعيد إليهم سيطرتهم على الشعوب المجاورة، لذلك لما جاء المسيح عيسى بن مريم رفضه اليهود لأنه لم يحقق لهم الملك المادى الذى كانوا يحلمون به.

٣ ـ المسيح لم ينسب إلى نفسه الخلاص، كذلك لم ينسب الحواريون إلى عيسى الخلاص وإنما الذى نسب إلى المسيح أنه مخلص هو بولس، الذى كان من ألد أعداء المسيحية، ثم انقلب فجأة وبدون مقدمات إلى المسيحية، وأصبح عقلها المفكر وراعيها المدبر، وكان أول إعلان له أن المسيح ابن الله، ونسب إلى المسيح أنه الإله المتجسد الذى نزل ليصلب ويخلص البشرية على غرار الآلهة المخلصين الوثنيين.

ولقد انتشرت عقيدة بولس فى الخلاص بسبب الأسلوب الذى استخدمه فى نشر دعوته، والطريقة التى سار عليها إذ رأى أن يخرج بالمسيحية من دائرتها الضيقة فى بيت المقدس إلى الميدان الواسع فى البيئات غير اليهودية، ولكى تناسب دعوته هذا المجتمع الجديد أجرى بعض التعديلات للعقائد التى لا يرضى عنها هذا المجتمع الجديد.

٤ ـ أن عقيدة الخلاص المسيحية ـ التى هى من وضع بولس قائمة على أسس باطلة وهى أن آدم عليه السلام أخطأ، وهذه الخطيئة انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه، والطريق الوحيد للخلاص منها هو ما زعموه من أن الله نزل وتجسد فى صورة بشرية ليصلب ويتغلب على الموت فيقوم، وبذلك ينال الناس الخلاص.

وبطلان ذلك مما يأتى:

أولا: أن أكل آدم من الشجرة لا يعتبر خطيئة يترتب عليها العقاب، ذلك آدم كان نبيا والأنبياء معصومون من الخطأ، وما وقع منه ـ من الأكل من الشجرة ـ إنما هو من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين التى لا يؤاخذ عليها آدم.

على أن آدم عليه السلام ـ أكل من الشجرة ناسيا، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يؤاخذ عبدا على ذنب فعله ناسيا.

هذا إلى جانب أن آدم تاب، والتوبة تغسل الحوبة وتغفر الذنب، والله سبحانه وتعالى قبل توبته فهو سبحانه التواب الرحيم، كل ذلك ينفى الذنب عن آدم وبالتالى ينفى وراثته حيث إنه لا يوجد ذنب.

وأحب أن أسجل هنا أنه لا يصح وصف آدم ـ تأدبا ـ بلفظ العصيان وإن وصف الله سبحانه وتعالى له بذلك إنما هو من قبيل أنه يجوز من الله ما لا يجوز من غيره كما يجوز للسيد فى عبيده وولده عند معصيته من إطلاق القول ما لا يجوز لغير السيد فى عبده وولده.

وإهباط آدم إلى الأرض ليس عقوبة ـ كما يتوهم النصارى ـ بل تكريما وتشريفا حيث باشر مهمة استخلافه فى الأرض كما وعد الله من قبل فى قوله تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفة).

وعلى حد قول سيدى أبى الحسن الشاذلى (والله ما نزل بآدم إلى الأرض لينقصه ولكن نزل به إلى الأرض ليكمله، ولقد أنزله إلى الأرض قبل أن يخلقه بقوله (إنى جاعل فى الأرض خليفة) وما قال فى الجنة ولا فى السماء، فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة، فإنه كان يعبد الله فى الجنة بالتعريف فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف، فلما توافرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة).

ويدل على ذلك أيضا أن القرآن الكريم أشار إلى أن إهباط آدم إلى الأرض كان بعد التوبة فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا ﴾ (سورة طه الآيتان: ١٢٣، ١٢٢).

وهذا يدل على أن إهباط آدم إلى الأرض كان تكريما وتشريفا، إذ أن التوبة تمحو الذنب فلابد أن يكون لإهباط آدم معنى آخر غير العقوبة على ذنب، وأقرب المعانى إلى الاجتباء هو التكريم والتشريف.

هذا إلى جانب أن نزول آدم إلى الأرض ليكون خليفة فى الأرض وليحصل على معيشته بالكد والتعب والمشقة، ولا شك أن الثواب مع المشقة والتعب أكثر، فثوابه وهو على الأرض أكثر، وهذا يدل على أن إهباط آدم إلى الأرض ليحصل على ثواب أعظم أى للتكريم.

ثانيا: أن الإنسان لا يحمل وزر غيره.

فالإنسان يولد مبرأ من كل خطيئة ومن كل ذنب وإنما يولد على الفطرة مهيئا لقبول الحق ـ ذلك أن الفطرة هادية إلى الخير والحق فالإنسان يولد نظيفا لا يحمل شيئا من أوزار من سبقه.

وإذا كان الإنسان لا يحمل وزر غيره، فإن غيره لا يحمل وزره وإنما كل إنسان مسئول عن عمله ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٦٤).

والشرائع السماوية اتفقت على هذا المبدأ.

يقول سبحانه ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ (سورة النجم الآيات: ٣٦ ـ ٤١).

وإن القرآن الكريم ليصور لنا أخذ البرئ بالمذنب لا على أنه مضاد للشريعة فحسب بل هو مع ذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية: ٧٩).

ثالثا: أن طريق الخلاص الذى رسموه بتجسد الإله وصلبه .. إلى آخره باطل أيضا.

ذلك لأن عيسى عليه السلام رسول الله ما دعا الناس إلا إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وأنه عليه السلام لم يدع لنفسه منصبا أكثر من أنه عبد الله ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ (سورة مريم الآية: ٣٠).

﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (سورة المائدة الآية: ٧٢).

ولقد بين القرآن الكريم أنه عليه السلام سيتبرأ من معتقدات النصارى الحالية يوم القيامة وذلك حين سؤال الله له.

﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا

فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ (سورة المائدة الآية ١١٦).

وعليه فإن النصارى خرجوا عن دائرة الإيمان حينما اعتقدوا بألوهية المسيح فهم كفرة كافرون ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (سورة المائدة الآية ٧٢) والمسيح أيضا لم يصلب لأن الله نجاه من أيدى الأعداء حين هموا بالقبص عليه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم﴾ (سورة النساء الآية ١٥٧).

ولما كانت القيامة مترتبة على الصلب فهى منتفية بانتفاء الصلب، وعليه فعقيدة الخلاص المسيحية باطلة من أولها إلى آخرها.

رابعا: أن مغفرة الخطايا لا تتوقف على الفداء وانما هى تأتى نتيجة لإيمان الفرد بالله عز وجل، وتوبته، وعمل الصالحات، واجتناب الكبائر والمنكرات.

خامسًا: أن الخلاص المسيحى عقيدة وثنية ذلك، لأنه قائم على عقائد وثنية، فالتجسد الإلهى من أجل الخلاص من المعتقدات الوثنية التى كانت منتشرة فى البلاد اليونانية ثم الرومانية قبل ظهور المسيح بمئات السنين وكان لظهورها فى هذه البلاد أكبر الأثر فى تأثر دعاة المسيحية بها.

كما أن صلب وتعذيب الإله من أجل الخلاص صورة وثنية أخرى كانت سائدة فى المجتمعات الوثنية قبل المسيحية.

وقيامة المخلص من أجل الخلاص صورة وثنية ثالثة ظهرت بين الوثنيين قبل المسيحية.

وعليه فالخلاص عقيدة وثنية انتقلت إلى المسيحية بفضل بولس وأتباعه، ولم يفعلوا شيئا سوى وضع اسم المسيح عيسى بن مريم بدلا من هؤلاء الآلهة المخلصين الوثنيين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم بحمد الله

أهم المراجع

أولا: المراجع الإسلامية

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ السنة النبوية الشريفة

م	اسم المؤلف	اسم الكاتب والناشر
١	إبراهيم البيجورى	شرح البيجوى على الجوهرة. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة سنة ١٩٧١.
٢	إبراهيم خليل أحمد	محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن. مكبة الوعى العربى. الطبعة الرابعة ـ القاهرة.
٣	ابن تيمية	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. مكتبة المدنى. جدة
٤	ابن حزم	الفصل فى الملل والنحل. دار المعارف للطباعة والنشر بيروت.
٥	ابن الديبع الشيبانى	مكفرات الذنوب وموجبات الجنة. هذبه وزاد عليه : عبد القادر أحمد عطا. الثانية سنة ١٩٧٦.
٦	ابن العربى	أحكام القرآن. تحقيق على محمد البجاوى. دار المعرفة بيروت.
٧	ابن القيم	هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى. تقديم وتحقيق: د/أحمد السقا. المكتبة القيمة الطبعة الثانية. سنة ١٣٩٩ هـ القاهرة.
٨	ابن كثير	تفسير القرآن العظيم. مطبعة عيسى الحلبى القاهرة.
٩	ابن كثير	البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت

١٠	ابن كثير	قصص الأنبياء. دار عمر بن الخطاب. القاهرة.
١١	أبو السعود	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. إدارة طباعة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية. سنة ١٩٢٨ القاهرة.
١٢	أبو حيان الأندلسى	تفسير البحر المحيط. دار الفكر. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٨م بيروت.
١٣	أبو عبيدة الخزرجى	بين الإسلام والمسيحية، تحقيق وتعليق: د/محمد شامة. مكتبة وهبة. الطبعة الثانية ـ القاهرة.
١٤	أحمد بن حنبل	الرد على الزنادقة والجهمية (عقائد السلف) جمع: د/على سامى النشار، وعمار الطالبى. منشأة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٧١م.
١٥	د/أحمد حجازى السقا	الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام. دار النهضة العربية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٨.
١٦	د/أحمد حجازى السقا	يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية، دار التراث العربى. القاهرة.
١٧	الألوسى	روح المعانى. دار الفكر. بيروت.
١٨	د/بركات عبد الفتاح دويدار	الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى. القاهرة.
١٩	البخارى	صحيح البخارى. دار مطابع الشعب.
٢٠	البخارى	كتاب أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل (ضمن مجموعة عقائد السلف)
٢١	الجاحظ	رسالة فى الرد على النصارى. خاتمة كتاب الفكر الدينى الجاهلى للدكتور/محمد إبراهيم الفيومى. الطبعة الأولى. دار المعارف. القاهرة.
٢٢	جلال الدين شمس أحمدى	البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح. مطبعة ابن زيدون بدمشق سنة ١٩٢٩م.
٢٣	الدارمى	الرد على الجهمية (عقائد السلف)

٢٤	د/رؤوف شلبى	المسيحية الرابعة. مكتبة الأزهر. الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٩ القاهرة.
٢٥	د/رؤوف شلبى	يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. مكتبة الأزهر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٤. القاهرة.
٢٦	رحمت الله الهندى	إظهار الحق. تقديم وتحقيق: د/أحمد السقا. دار التراث العربى. القاهرة.
٢٧	د/رفقى زاهر	قصة الأديان دراسة تاريخية ومقارنة. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٠ القاهرة.
٢٨	الزمخشرى	الكشاف. مطبعة مصطفى الحلبى. (القاهرة)
٢٩	د/سعد الدين صالح	مشكلات العقيدة النصرانية. مطبعة دار البيان. الطبعة الثانية. سنة ١٩٨٣ القاهرة.
٣٠	سعيد حوى	الرسول ﷺ. دار الكتب العلمية. الطبعة الرابعة. سنة ١٩٧٩ بيروت.
٣١	عباس العقاد	إبراهيم أبو الأنبياء. دار الهلال. القاهرة.
٣٢	عبد الكريم الخطيب	المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل. دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية. بيروت سنة ١٩٧٦م.
٣٣	عبد الله الترجمان	تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب. تقديم وتحقيق: د/محمود على حماية. دار الثقافة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. القاهرة.
٣٤	عبد الوهاب النجار	قصص الأنبياء. مؤسسة الحلبى. الطبعة الثانية. القاهرة.
٣٥	د/عبد الحليم محمود	فى رحاب الأنبياء والرسل. كتاب أخبار اليوم رقم ١٢٨. الطبعة الأولى. سنة ١٣٩٧ هـ.
٣٦	د/ عبد السلام عبده د/نجاح الغنيمى	فلسفات من العقيدة الإسلامية. بدون ذكر اسم الناشر.

٣٧	عبد الله الشرقاوى	فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى. الأحاديث المختارة المقررة على الصف الرابع الثانوى ط الأزهر سنة ١٩٧٢م القاهرة.
٣٨	عضد الدين الإيجى	المواقف. عالم الكتب. بيروت.
٣٩	علاء الدين الباجى	على التوراة. تحقيق: د/أحمد حجازى السقا. دار الأنصار. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٠م القاهرة.
٤٠	الغزالى	إحياء علوم الدين. مطبعة الشعب. القاهرة.
٤١	الغزالى	الرد الجميل. تحقيق: عبد العزيز عبد الحق. مجمع البحوث الإسلامية. سنة ١٩٧٣م القاهرة.
٤٢	الفخر الرازى	مفاتيح الغيب. دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.
٤٣	الفخر الرازى	عصمة الأنبياء. مطبعة الصاوى الحديثة. القاهرة.
٤٤	القرطبى	الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام. تقديم وتحقيق: د/أحمد السقا. دار التراث العربى. القاهرة.
٤٥	القرطبى	الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربى. سنة ١٩٦٥م بيروت.
٤٦	د/محمد إبراهيم الشافعى	المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم. مطبعة السنة المحمدية الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٢م . القاهرة.
٤٧	محمد أبو زهرة	محاضرات فى النصرانية. دار الفكر العربى. الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ القاهرة.
٤٨	محمد بن على الموصولى	مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. لابن القيم. مكتبة المتنبى. القاهرة.
٤٩	محمد رشيد رضا	تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٧٢ القاهرة.
٥٠	محمد رشيد رضا	عقيدة الصلب والفداء. مطبعة دار المنار. الطبعة الأولى. سنة ١٣٣١ هـ القاهرة.

٥١	د/محمد عبد الله دراز	دستور الأخلاق فى القرآن الكريم. تعريب وتحقيق: د/عبد الصبور شاهين. دار البحوث العلمية. الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ الكويت.
٥٢	محمد عزت الطهطاوى	النصرانية والإسلام. دار الأنصار. القاهرة.
٥٣	محمد على الصابونى	النبوة والأنبياء. الطبعة الثانية. سنة ١٩٨٠م
٥٤	محمد مجدى مرجان	المسيح إنسان أم إله. دار النهضة العربية. القاهرة.
٥٥	محمد مجدى مرجان	الله واحد أم ثالوث. دار النهضة العربية. القاهرة.
٥٦	د/محمد وصفى	المسيح والتثليث. المطبعة الرحمانية بمصر. الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧م.
٥٧	د/محمود بن الشريف	الأديان فى القرآن. دار المعارف. الطبعة الرابعة. سنة ١٩٨٠م القاهرة.
٥٨	د/محمود محمد مزروعة	دراسات فى النصرانية. لم يذكر اسم الناشر.
٥٩	الإمام مسلم	صحيح مسلم بشرح النووى. المطبعة المصرية ومكتبتها. القاهرة.
٦٠	مصطفى الحديدى الطير	أقباس من نور الحق جـ٢. مجمع البحوث الإسلامية. مايو سنة ١٩٨٠ القاهرة.
٦١	النووى	رياض الصالحين. مكتبة الجمهورية العربية. القاهرة.
٦٢	نور الدين الصابونى	البداية من الكفاية فى الهداية فى أصول الدين. تحقيق د/فتح الله خليف. دار المعارف. سنة ١٩٦٩. القاهرة.
٦٣	ونسنك	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى. مكتبة بريل فى مدينة ليدن. سنة ١٩٣٦م
٦٤	د/هاشم جودة	العقائد المسيحية بين القرآن والعقل. مطبعة الأمانة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٠م . القاهرة.
٦٥	د/ يوسف القرضاوى	الخصائص العامة للإسلام. مكتبة وهبة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٧م.

ثانيا ـ المراجع المسيحية

الكتاب المقدس

م	اسم المؤلف	اسم الكاتب والناشر
١	إبراهيم سعيد	ونخبة من اللاهوتين (الدين المسيحى للمرحلة الثانوية) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. سنة ١٩٦١. القاهرة.
٢	إبراهيم لوقا	المسيحية فى الإسلام. دار النشر القبطية ، دار الكتاب القبطى. الطبعة الثانية.
٣	إثناسيوس الرسولى	(تجسد الكلمة). نقله إلى العربية : مرقس داود. صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. طبعة خامسة (القاهرة) .
٤	أسبيروجبور	سر التدبير الإلهى (التجسد). المنشورات الأرثوذكسية طبعة أولى سنة ١٩٨٠. طرابلس.
٥	أفلاطون مطران موسكو :	الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية عربه بتصرف. يوحنا حزبون.
٦	إميل لودفيع	(ابن الإنسان) ترجمة : عادل زعيتر. دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى. سنة ١٩٤٧م القاهرة.
٧	أمين نخلة	أمثال الإنجيل. مطبوعات دار الكتاب اللبنانى. ط أولى سنة ١٩٦٧م بيروت.
٨	الأنباساويرس	الدر الثمين فى إيضاح الدين ، إصدار أبناء البابا كيرلس السادس. القاهرة.
٩	د/اندراوس وطسون	شرح أصول الإيمان. أتمه وراجعه : د/إبراهيم سعيد. صدر من مطبعة النيل القاهرة سنة ١٩٣٠م.

١٠	إلياس مقار	رجال الكتاب المقدس. المجلد الأول. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧٩ القاهرة.
١١	إلياس مقار	إيمانى أو قضايا المسيحية الكبرى. دار الثقافة المسيحية طبعة ثالثة. القاهرة.
١٢	الفريد مارتن	دراسة أسفار الكتاب المقدس "الكتاب الأول" تاريخ العهد القديم" نقله إلى العربية: لبيب ميخائيل. المطبعة التجارية الحديثة. طبعة أولى سنة ١٩٧٨ القاهرة.
١٣	إنسطاسى شفيق	الفداء فى إنجيل لوقا. مكتبة كنيسة مارجرجس، ومكتبة المحبة (القاهرة).
١٤	إنسطاسى شفيق	اللاهوت فى إنجيل يوحنا. مكتبة كنيسة مارجرجس، ومكتبة المحبة (القاهرة).
١٥	أنسلموس اللاهوتى	لماذا تجسد الكلمة؟ تقديم: د/إبراهيم سعيد، مطبعة النيل المسيحية. الطبعة الثانية. سنة ١٩٢٨ القاهرة.
١٦	باسيلوس (رئيس أساقفة بروكسل)	سر الفداء حسب الإنجيل والآباء. ترجمة وإضافات: بيت التكريس لخدمة الكرازة مؤسسة القديس أنطونيوس. سنة ١٩٨٢م القاهرة.
١٧	بخيت متى	قضاء الله ومسئولية الإنسان. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
١٨	بنيامين بنكرتن	تفسير إنجيل متى. مطبعة كنيسة الإخوة بجزيرة بدران. طبعة ثالثة منقحة سنة ١٩٨١ القاهرة.
١٩	بولس إلياس اليسوعى	على خطى المسيح. منشورات المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

٢٠	بيت الشمامسة القبطى بالجيزة	استفانونس أول الشهداء. صدر فى عيد استشهاده سنة ١٩٦٨م القاهرة.
٢١	جوهاردوس فوس	علم اللاهوت الكتابى. ترجمة : عزت زكى. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٢٢	جرانت	سفر التكوين فى ضوء العهد الجديد. مطبعة كنيسة الإخوان. طبعة ثانية. سنة ١٩٨٢م القاهرة.
٢٣	جون ستوت	المسيحية فى جوهرها. تعريب : الأستاذ نجيب غالى. كنيسة الملاك. دار يوسف كمال للطباعة. القاهرة.
٢٤	د/جورج حبيب	المعمودية فى الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية. الكتاب الأول. سلسلة مصادر العقيدة والطقس (الكلية الإكليرية للأقباط الأرثوذكس)
٢٥	جون لويمر	تاريخ الكنيسة. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٢٦	د/جورج بوست	فهرس الكتاب المقدس. منشورات مكتبة المشعل. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٨١ بيروت.
٢٧	حبيب سعيد	تاريخ المسيحية فجر المسيحية. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. القاهرة.
٢٨	حبيب سعيد	أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة.
٢٩	د/حنا جرجس الخضرى	تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٣٠	دنيس كلارك	سيرة المسيح وتعاليمه. دار منهل الحياة. بيروت.
٣١	دوم كولومبامرميون	المسيح حياة النفس. ترجمة : المطران نصر الله الصغير. المطبعة الكاثوليكية. بيروت سنة ١٩٦٦.

٣٢	الأب/ديلى	تاريخ شعب العهد القديم. عربه: الأب جرجس مارديني. المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦١ بيروت.
٣٣	د/ راغب عبد النور	شجرة الحياة. الأربعين المقدسة سنة ١٩٧٥. مكتبة المحبة القاهرة.
٣٤	شارل جنيبير	المسيحية نشأتها وتطورها. ترجمة: د/عبد الحليم محمود. المكتبة العصرية. صيدا بيروت.
٣٥	شنودة السريانى	فى ذكرى شهداء المسيحية. منشورات لجنة النشر والتأليف كنيسة مارجرجس القبطية. سنة ١٩٧١ القاهرة.
٣٦	صموئيل حبيب	الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٣٧	صموئيل مشرفى	المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد. طبعة أولى. صدر عام ١٩٧٩ القاهرة.
٣٨	د/عزت زكى	الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات. دار التأليف والنشر الأسقفية. القاهرة.
٣٩	عوض سمعان	طريق الخلاص. دار الثقافة المسيحية. ط ثانية. القاهرة.
٤٠	عوض سمعان	الخلاص بين الوحى والمفاهيم البشرية. مكتبة كنيسة الإخوة (القاهرة).
٤١	فهد حبيب	يسوع المسيح إنسانيته ولاهوته. سلسلة البحوث الدينية دار الثقافة المسيحية. ط أولى. سنة ١٩٦٧ القاهرة.
٤٢	د/فهيم عزيز	الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس. دار الثقافة المسيحية سنة ١٩٧٧ القاهرة.

٤٣	د/فهيم عزيز	المدخل إلى العهد الجديد. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٤٤	د/فهيم عزيز	ملكوت الله. دار الثقافة المسيحية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٠ القاهرة.
٤٥	د/فهيم عزيز	مواهب الروح القدس. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٤٦	فيكتور هبكو	تاريخ الخلاص. تعريب: القس روفائيل صبحى. مكتبة المحبة.
٤٧		كتاب الحياة ترجمة تفسيرية للإنجيل. دار الثقافة القاهرة.
٤٨	كاثرين هنرى	التاريخ فى الكتاب. ترجمة: حبيب سعيد. دار التأليف والنشر الأسقفية بمصر. القاهرة.
٤٩	كلايدتارنر	هذه عقائدنا. المنشورات المعمدانية. طبعة ثانية. سنة ١٩٧٢.
٥٠	كنيسة مارجرجس	القديس كيرلس الكبير عمود الدين. القاهرة.
٥١	كيزيتش	المسيح فى الأناجيل. تعريب: ميشال نجم. منشورات النور سنة ١٩٨١ بيروت.
٥٢	لبيب ميخائيل	صوت الاختبار. المطبعة التجارية الحديثة. الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ القاهرة.
٥٣	لبيب ميخائيل	يقين الخلاص. لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى. طبعة أولى سنة ١٩٦٢.
٥٤	متى المسكين	التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير. دير القديس أنبا مقار. ط أولى سنة ١٩٨٧ القاهرة.

٥٥	متى المسكين	التبرير بين الماضى والحاضر - رسالة بيت التكريس بحلوان. دير القديس أنبا مقار . سنة ١٩٧٣ القاهرة.
٥٦	متى المسكين	القيامة والصعود. مطبعة دير القديس أنبا مقار. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ القاهرة.
٥٧	متى المسكين	مع المسيح فى آلامه حتى الصلب. طبعة رابعة. سنة ١٩٨١م.
٥٨	مرقس عبد المسيح	الخلاص. دار الثقافة المسيحية. ط ثانية. القاهرة.
٥٩	منسى يوحنا	تاريخ الكنيسة القبطية. مكتبة المحبة. القاهرة.
٦٠	منسى يوحنا	حياة آدم. مكتبة المحبة. القاهرة
٦١	نادية منيس	الخلاص فى الكتاب المقدس دار الثقافة المسيحية القاهرة.
٦٢	د/نظمى لوقا	على مائدة المسيح. مكتبة غريب. القاهرة.
٦٣	د/نظمى لوقا	محمد الرسالة والرسول. دار الكتب الحديثة. الطبعة الثانية سنة ١٩٥٩ القاهرة.
٦٤	نخبة من خدام الإنجيل	ما معنى المسيح ابن الله؟ طبعة ثانية.
٦٥	نخبة من اللاهوتين	قاموس الكتاب المقدس. من منشورات مكتبة المشعل الطبعة السادسة سنة ١٩٨١ بيروت.
٦٦	الهيئة القبطية الإنجيلية	علم اللاهوت النظامى. دار الثقافة المسيحية. الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ القاهرة.
٦٧	وليم باركلى	تفسير العهد الجديد (رسالة رومية). ترجمة: د/منيس عبد النور. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٦٨	وليم باركلى	(تفسير أعمال الرسل) ترجمة. جوزيف صابر. دار الثقافة المسيحية القاهرة.

٦٩	وليم باركلى	(تفسير إنجيل لوقا). ترجمة: مكرم نجيب. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.
٧٠	وليمسن	تفسير أصول الإيمان جـ١ ، جـ٢. ترجمة: الشيخ فايز فضيل. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.

ثالثا: المراجع العامة

م	اسم المؤلف	اسم الكاتب والناشر
١	د/إبراهيم محمد نجا	المعاجم اللغوية. مطبعة السعادة. سنة ١٩٧٨ القاهرة.
٢	د/أحمد حجازى السقا	أقانيم النصارى. دار الأنصار. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٧ القاهرة.
٣	د/أحمد شلبى	اليهودية. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الخامسة. سنة١٩٧٨ القاهرة.
٤	د/أحمد شلبى	المسيحية. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة السادسة. سنة ١٩٧٨ القاهرة.
٥	أحمد عبد الوهاب	المسيح فى مصادر العقائد المسيحية. مكتبة وهبة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨١ القاهرة.
٦	إدريس بل	الهلينية فى مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى. دار المعارف. القاهرة.
٧	ابن منظور	لسان العرب. ط دار المعارف. القاهرة.
٨	أدولف ارمان	ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها. ترجمة د/عبد المنعم أبو بكر، د/محمد أنور شكرى. مصطفى الحلبى. القاهرة.
٩	د/بدران محمد بدران	التوراة العقل والعلم والتاريخ. دار الأنصار. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٩م القاهرة.

١٠	برتراند رسل	تاريخ الفلسفة الغربية. ترجمة: د/زكى نجيب محمود، أحمد أمين، الطبعة الثالثة. لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٨م القاهرة.
١١	برتراندرسل	حكمة الغرب. الجزء الأول. ترجمة: د/ فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفة. فبراير سنة ١٩٨٣. الكويت.
١٢	برستيد	فجر الضمير. ترجمة : د/سليم حسن. سلسلة الألف كتاب. مكتبة مصر. القاهرة.
١٣	بطرس البستانى	دائرة المعارف. دار المعرفة. بيروت.
١٤	توماس كارليل	الأبطال وعبادة البطولة. ترجمة: محمد السباعى. دار الهلال فبراير سنة ١٩٧٨ القاهرة.
١٥	توملين	فلاسفة الشرق. ترجمة: على إبراهيم سليم. دار المعارف سنة ١٩٨٠ القاهرة.
١٦		التوراة السامرية. ترجمة : الكاهن أبو الحسن إسماعيل إسحاق السامرى. نشرها: د/أحمد السقا. دار الأنصار القاهرة.
١٧	جيمس فريزر	الغصن الذهبى. ترجم بإشراف: د/أحمد أبو زيد الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. الجزء الأول سنة ١٩٧١ القاهرة.
١٨	جيمس فريزر	الفلكور فى العهد القديم. ترجمة: د/نبيلة إبراهيم. دار المعارف. الطبعة الثانية.
١٩	د/رأفت عبد الحميد	الدولة والكنيسة. الجزء الثانى. دار المعارف. الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢القاهرة.

٢٠	الزمخشرى	أساس البلاغة. دار بيروت للطباعة والنشر. سنة ١٩٦٥.
٢١	سبينوزا	رسالة فى اللاهوت والسياسة. ترجمة: د/ حسن حنفى دار وهدان للطباعة والنشر.
٢٢	سعد بن منصور بن كمونة اليهودى	تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام. دار الأنصار. القاهرة.
٢٣	سهل ديب	التوراة تاريخها وغاياتها. دار النفائس. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٧بيروت.
٢٤	سيد عويس	الخلود فى التراث الثقافى المصرى. دار المعارف. سنة ١٩٦٦ القاهرة.
٢٥	شوقى عبد الحكيم	مدخل لدراسة الفلكور والأساطير العربية. دار ابن خلدون. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٨ بيروت.
٢٦	عباس محمود العقاد	حياة المسيح. دار الهلال. القاهرة.
٢٧	عباس محمود العقاد	الله. دار المعارف. الطبعة السادسة. القاهرة.
٢٨	عباس محمود العقاد	إبليس. دار نهضة مصر. الطبعة الخامسة. القاهرة.
٢٩	عبد الأحد داود	الإنجيل والصليب. نقله من التركية إلى العربية مسلم عراقى. طبع فى القاهرة. سنة ١٣٥١ هـ.
٣٠	عصام الدين حنفى	اليهودية فى العقيدة والتاريخ. دار العالم الجديد. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٧م.
٣١	د/على عبد الواحد وافى	الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام. دار نهضة مصر. القاهرة.
٣٢	د/ على عبد الواحد وافى	اليهودية واليهود. دار نهضة مصر. القاهرة.

٣٣	د/علي زيغو	(الفلسفات الهندية). دار الأندلس للطباعة والنشر. الطبعة الأولى مارس سنة ١٩٨٠.
٣٤	على مبارك	علم الدين. الجزء الثالث. طبع فى مطعبة جريدة المحروسة بالإسكندرية سنة ١٨٨٣م.
٣٥	غوستاف لوبون	اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى. ترجمة: عادل زعيتر: مطبعة عيسى الحلبى القاهرة.
٣٦	فتحى عثمان	مع المسيح فى الأناجيل الأربعة. دار القومية للطباعة والنشر. الطبعة الثانية. سنة ١٩٦٦م القاهرة.
٣٧	فيشر	(تاريخ أوربا) العصور الوسطى. ترجمة: محمد مصطفى زيادة. السيد البار العرينى. دار المعارف. الطبعة السادسة القاهرة.
٣٨	د/كامل سعفان	اليهود تاريخا وعقيدة. كتاب الهلال. العدد ٣٦٤ سنة ١٩٨١ القاهرة.
٣٩	مايكل هارت	الخالدون مائة أعظمهم محمد. المكتب المصرى الحديث. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨١ القاهرة.
٤٠	د/ محمد إسماعيل الندوى	الهند القديمة حضاراتها ودياناتها. دار الشعب. القاهرة. سنة ١٩٧٠م.
٤١	د/ محمد أبو الغيط الفرت	بولس والمسيحية. دار الطباعة المحمدية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٩ القاهرة.
٤٢	محمد حبيب	مصادر المسيحية وأصول النصرانية. مكتبة بابل فى مصر.
٤٣	محمد جابر عبد العال	فى العقائد والأديان. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. سنة ١٩٧١ القاهرة.

٤٤	محمد طاهر التنير	العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية. بيروت سنة ١٣٣٠ هـ.
٤٥	د/محمد كامل عياد	تاريخ اليونان. الجزء الأول. دار الفكر. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٨٠ بيروت.
٤٦	مجمع اللغة العربية	المعجم الوسيط. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٣ القاهرة.
٤٧	مجمع اللغة العربية	المعجم الفلسفى. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٩ بالقاهرة.
٤٨	د/ مراد وهبة	المعجم الفلسفى. دار الثقافة الجديدة. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٧٩ القاهرة.
٤٩	مصفى عبد اللطيف درويش	المتناقضات العلمية فى أسفار العهد القديم والجديد. جماعة دعوة الحق. مطابع دار الشعب القاهرة.
٥٠	موريس بوكاى	دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف. بالقاهرة.
٥١	نديم مرعشلى، أسامة مرعشلى	تجديد صحاح العلامة الجوهرى. دار الحضارة العربية. الطبعة الأولى. بيروت سنة ١٩٧٤.
٥٢	نورمان كانتو	التاريخ الوسيط. ترجمة وتعليق د/قاسم عبده قاسم. دار المعارف سنة ١٩٨١ القاهرة.
٥٣	ولز	معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الثانى والثالث. ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد. لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٦٩ القاهرة.
٥٤	ولز	موجز تاريخ العالم. ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة النهضة المصرية. سنة ١٩٥٨ القاهرة.

٥٥	ول ديورانت	قصة الحضارة. المجلد الأول، والثانى، والثالث. ترجمة : د/ زكى نجيب محمود، د/محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٧٣ القاهرة.

رابعا : المخطوطات

م	اسم المؤلف	اسم الكاتب والناشر
١	د/إبراهيم عبد الحميد سلامة	القرآن وعقائد أهل الكتاب. رسالة دكتوراة مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة تحت رقم ٥٢١.
٢	د/ على محمد نصر	قصة آدم فى القرآن الكريم وما دار حولها من شبهات. رسالة دكتوراة مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة تحت رقم ٧١٥.
٣	د/ محمد أبو الغيط الفرت	عقيدتنا الصلب والتثليث فى المسيحية وموقف الإسلام منها. رسالة دكتوراة مخطوط بكلية أصول الدين تحت رقم ٤٧٩.

المحتويـات

المقدمة	٥
المدخل مصادر المسيحيين فى إثبات عقائدهم	١٣
العهد القديم	١٥
أهمية العهد القديم لدى النصارى	١٨
العهد الجديد	١٩
اعتقاد النصارى بأن الكتاب المقدس موحى به من عند الله	٢١
نقد المصادر النصرانية	٢٥
أولا : نقد العهد الجديد	٢٥
ثانيًا : نقد العهد الجديد	٣٣
الباب الأول الخلاص وصورة الإنسان لدى المسيحية	٤١
الفصل الأول : معنى الخلاص ونشأته	٤٣
تعريف الخلاص	٤٥
الخلاص فى اللغة	٤٥
المعنى الاصطلاحى	٥٠
تعريف الفداء	٥٦
الفداء فى اللغة	٥٦
الفداء فى اصطلاح المسيحيين	٥٧
نشأة الخلاص	٥٦
تمهيد	٥٩
الخلاص اليهودى	٦٠
أسباب قول اليهود بالخلاص على يد مخلص	٦١
تعليق عام على الخلاص اليهودى	٧١
أساس عقيدة الخلاص المسيحى	٧٢
الأساس الأول : وحدة الجنس البشرى	٧٢

الأساس الثانى: التوافق بين صفتى العدل والرحمة	٧٤
نشأة الخلاص المسيحى	٧٦
انتشار عقيدة بولس فى الخلاص	٧٩
التبشير بالمسيحية بين غير اليهود	٨٩
بعض الاصطلاحات التى أدخلها بولس فى المسيحية لتخدم عقيدته	٩٢
دعوى أن الخلاص هبة الله	١٠٠
تعقيب	١٠٣
طريقة نوال الخلاص	١٠٥
الفصل الثانى: حالة الإنسان قبل السقوط فى الخطيئة فى التصور	١١٦
تمهيد	١١٧
خلق الله للعالم	١١٧
خلق الله للإنسان "آدم"	١٢١
طبيعة آدم الجسدية	١٢٤
طبيعة آدم الروحية	١٢٦
خلق الإنسان على صورة الله وشبهه	١٢٧
مسكن آدم بعد خلقه قبل المعصية	١٣٨
وصف الجنة التى عاش فيها آدم قبل السقوط	١٤٠
شجرة الحياة	١٤١
شجرة معرفة الخير والشر	١٤٥
عمل الإنسان (آدم) فى الجنة	١٤٩
المسئولية الأولى	١٤٩
المسئولية الثانية	١٥٢
حالة الإنسان المخلوق على صورة الله قبل المعصية	١٥٣
١ـ الإنسان على صورة الله فى المعرفة	١٥٤
٢ـ الإنسان على صورة الله فى القداسة	١٥٦
٣ـ الإنسان على صورة الله فى البر	١٥٨
خلاصة تعليم الكتاب المقدس فى حالة الإنسان الأصلية	١٦١
التعليم البيلاجى فى حالة الإنسان الأصلية	١٦٢

الفصل الثالث : سقوط الإنسان فى الخطيئة فى التصور المسيحى ١٦٧
تمهيد ١٦٩
معنى السقوط ١٦٩
تعريف الخطيئة ١٧٠
الخطيئة فى اصطلاح المسيحيين ١٧١
أقسام الخطيئة ١٧٣
عامل السقوط فى الخطيئة فى التصوير المسيحى ١٧٦
الحية فى الكتاب المقدس ١٧٦
الشيطان ١٨٤
طبيعة الشيطان وصفته ١٨٩
عداوة الشيطان لآدم وأسبابها فى التصور المسيحى ١٩٧
الأساليب التى استخدمها الشيطان من أجل إغواء آدم ٢٠٠
أولا : إخفاء شخصيته ٢٠٠
ثانيا : بذر الشك فى محبة الله ٢٠٣
ثالثا : استخدام المرأة ٢٠٤
تعقيب على ما سبق ٢٠٦
ما حدث لآدم وحواء بعد السقوط فى التصور المسيحى ٢١٣
١ـ الخجل ٢١٤
٢ـ الخوف ٢١٥
٣ـ العداوة ٢١٥
العقوبات التى حكم الله بها نتيجة السقوط فى الخطيئة ٢١٦
أولا : عقوبة الحية ٢١٨
ثانيًا : عقوبة آدم وحواء ٢٢١
أـ عقوبة حواء ٢٢١
ب ـ العقوبات المشتركة بين آدم وحواء ٢٢٣
جـ ـ العقوبات المشتركة بين آدم وحواء ٢٢٣
أولا : أن الله حكم عليهما بالموت ٢٢٣
ثانيا : طرد آدم وحواء من الجنة ٢٣٢

العقوبات للجنس البشرى فى التصور المسيحى	٢٣٤
المذاهب اللاهوتية فى الخطية	٢٣٨
المذهب الأوغسطينى فى الخطية	٢٣٨
المذهب البيلاجى فى الخطية	٢٣٩
المذهب النصف البيلاجى	٢٤٠
القضية الأولى: تعليل حسبان خطية آدم على نسله	٢٤١
القضية الثانية: فساد الطبيعة الموروثة من آدم	٢٤٤
القضية الثالثة: عجز الإنسان الساقط عن كل خير روحى	٢٤٥
لماذا كل هذه العقوبات	٢٤٥
ما الطريق إلى الخلاص من خطيئة آدم لدى المسيحيين	٢٦١
أولا: طريق الخلاص الظنى	٢٦٢
ثانيًا: طريق الخلاص البشرى	٢٦٧
ثالثًا: طريق الخلاص الإلهى	٢٦٩
الفصل الرابع: عهد الله للإنسان بعد السقوط بالخلاص	٢٧٥
تمهيد	٢٧٧
تعريف العهد	٢٧٧
أقسام العهد	٢٨٠
عهد الأعمال	٢٨٠
عهد النعمة	٢٨٢
العصور المختلفة لعهد النعمة	٢٨٣
العصر الأول	٢٨٣
العصر الثانى	٢٨٧
العصر الثالث	٣٠٤
العصر الرابع	٣٠٩
الباب الثانى الخلاص والمسيح	٣١٣
الفصل الأول ألقاب المسيح باعتباره مخلصا	٣١٥
تمهيد	٣١٧
المسيح	٣١٨

ابن الله ٣٢٤
كلمة الله ٣٣٦
الرب ٣٤٤
بعض الألقاب التى ذكرت فى العهد القديم وإسنادها إلى المسيح ٣٤٩
عمانوئيل ٣٥٠
ابن ادود ٣٥٦
الفصل الثانى: دعوى التجسد الإلهى وأهميتها بالنسبة للخلاص ٣٦٦
معنى التجسد ٣٦٩
ما يحتويه معنى التجسد ٣٦٩
أولا: الحقيقة الإنسانية ٣٦٩
أهمية كون المسيح جسدا بالنسبة للخلاص المسيحى ٣٧١
ثانيًا: الحقيقة الثانية فى المسيح المتجسد: كون المسيح إلهًا ٣٧٣
دعائم النصارى فى دعوى ألوهية المسيح ٣٨٧
أولا: الميلاد العذراوى ٣٨٧
ثانيًا: معجزات المسيح ٣٨٨
أهمية كون المسيح إلها بالنسبة للخلاص المسيحى ٣٩٨
كيفية التجسد عند القائلين بالطبيعة الواحدة ٤٠٥
كيفية التجسد عند القائلين بالطبيعتين ٤٠٨
أسباب تجسد المسيح ٤١٠
السبب الأول: التجسد من أجل الخلاص ٤١٠
السبب الثانى: التجسد من أجل إعلان الله عن ذاته ٤١٢
أهمية التجسد بالنسبة للخلاص المسيحى ٤١٤
مناقشة عقيدة التجسد المسيحية ٤١٨
أولا: إبطال دعوى ألوهية المسيح ٤١٨
ميلاد المسيح من عذراء لا يدل على الألوهية ٤٢٣
الفهم الصحيح لمعجزات المسيح ٤٢٤
أبطال ما ذهب إليه النصارى من اتحاد اللاهوت بالناسوت ٤٣٠
مناقشة أسباب التجسد فى المسيحية ٤٣٥

مصدر عقيدة التجسد فى المسيحية ٤٤٠
الفصل الثالث: دعوى صلب المسيح وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى ٤٤٧
تمهيد ٤٤٩
مقدمات الصلب ٤٥٢
القبض على المسيح ٤٥٤
دعوى محاكمة يسوع ٤٥٧
المحاكمة الأولى: أمام مجمع اليهود ٤٥٧
المحاكمة الثانية: أمام والى الإمبراطورية الرومانية بيلاطس ٤٦٣
موقف تلاميذ المسيح ٤٦٧
الصلب ٤٧٣
ما فعله المسيح على الصليب فى الاعتقاد المسيحى ٤٧٦
ما حدث أعقاب الصلب ٤٧٨
شهود الصلب من النصارى ٤٨١
لماذا صلب المسيح ٤٨٣
الصلة بين الكفارة وتحمل الآلام ٤٨٤
الكفارة وما تعنيه ٤٨٩
أوجه كفارة المسيح ٤٩٠
مناقشة دعوة صلب المسيح ٤٩٨
مناقشة أسباب صلب المسيح ٥٠٦
مصدر عقيدة الصلب من أجل خلاص البشرية ٥١٩
الفصل الرابع: دعوى قيامة المسيح وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى ٥٢٥
تمهيد ٥٢٧
ماذا بعد صلب المسيح فى التصور المسيحى ٥٢٨
أولا: الدفن ٥٢٨
ثانيًا: ما قيل من زيارة النساء للقبر واكتشافهن لقيامة المسيح ٥٣١
موقف التلاميذ إزاء ما قيل من قيامة المسيح ٥٣٦
أدلة المسيحيين على قيامة المسيح ومناقشتها ٥٣٩
أولا: إنباء المسيح نفسه بها ٥٣٩

ثانيًا : القبر الفارغ ووجود الأكفان ٥٤٢
ثانيًا : القبر الفارغ ووجود الأكفان ٥٤٢
ثالثًا : دعوى ظهور المسيح لكثيرين ٥٤٤
رابعًا التغير الذى حدث فى حياة التلاميذ ٥٥٣
أهمية قيامة المسيح فى المسيحية وصلتها بالخلاص ٥٥٥
١ـ قالوا إن قيامة المسيح دليل على ألوهيته ٥٥٥
٢ـ ارتباط الصلب بالقيامة ٥٥٧
٣ـ القيامة وترتيبها فى عمل الخلاص ٥٥٩
مناقشة دعوى قيامة المسيح وبيان مصدرها ٥٦٠
الفصل الخامس : الشعائر المصاحبة لعقيدة الخلاص ٥٧١
أهمية الأسرار فى المسيحية ٥٧٣
الأسرار المتفق عليها بين الكنائس ٥٧٦
أولا : المعمودية ٥٧٨
المعمودية فى اليهودية ٥٧٩
نوع المعمودية (بأى صورة تتم) ٥٨١
معمودية الصغار أو الكبار ٥٨٦
غاية المعمودية وأهميتها بالنسبة للخلاص المسيحى ٥٨٩
العشاء الربانى ٥٩٢
العناصر التى تستعمل فى العشاء الربانى ٥٩٣
معنى تناول العشاء الربانى أو فاعلية تناوله ٥٩٤
أهمية العشاء الربانى بالنسبة للخلاص ٦٠١
التشابه بين الشعائر المسيحية والشعائر الوثنية ٦٠٢
الباب الثالث : موقف الإسلام من عقيدة الخلاص ٦٠٧
تمهيد ٦٠٩
الفصل الأول : موقف الإسلام فى أكل آدم من الشجرة ٦١١
آدم وكيف أكل من الشجرة ٦١٣
نبوة آدم ورسالته ٦١٦
عصمة الأنبياء والرسل ٦١٨

الأدلة العقلية والنقلية على وجوب العصمة ٦٢٢
رد الشبهات الواردة على عصمة آدم ٦٢٦
العصمة تنفى وراثة الذنب ٦٣٣
الملابسات التى صاحبت أكل آدم من الشجرة ٦٣٤
النسيان ينفى وراثة الذنب ٦٣٩
توبة آدم ٦٤١
قبول توبة آدم ٦٤٢
تحقيق لمعنى إهباط آدم إلى الأرض ٦٤٤
الفصل الثانى: موقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره ٦٤٩
تكريم الإسلام للإنسان ٦٥١
من كرامة الإنسان فى الإنسان: ولادته مبرأ من كل خطيئة ٦٥٣
من كرامة الإنسان فى الإسلام: مسئولية كل إنسان عن عمله ٦٥٥
خصائص المسئولية فى الإسلام ٦٥٦
١ـ شمولها لكل أفراد آدم ٦٥٧
٢ـ شمولها لكل ما يقوم به الإنسان من أعمال ٦٥٨
أولا: فى مجال العقيدة ٦٥٩
ثانيًا: السؤال عن الملكات والنعم التى وهبها الله للإنسان ٦٦١
ثالثًا: السؤال عن الوفاء فى المعاملات ٦٦٣
ما يترتب على مبدأ المسئولية فى الإسلام بمميزاتها ٦٧٤
من تكريم الإسلام للإنسان: إلغاء الوساطة بين الله والإنسان ٦٧٩
الفصل الثالث: القول الحق فى عيسى بن مريم ٦٨٣
عيسى بن مريم ٦٨٥
عيسى بن مريم رسول الله ٦٨٧
أول شىء فى دعوة الرسل توحيد الله ٦٨٨
عيسى بن مريم ما دعا إلا إلى التوحيد ٦٨٩
إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى بألوهية المسيح وأدلة البطلان ٦٩٣
إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى بأن المسيح هو الله ٦٩٨
إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى بأن المسيح ابن الله ٧٠٩

إبطال القرآن الكريم للشبهات التى استدل بها النصارى على ألوهية	٧٢٠
إبطال الاستدلال بولادة المسيح من عذراء على ألوهيته	٧٢١
الحكمة من ولادة المسيح بدون أب	٧٢٥
إبطال الاستدلال بمعجزات المسيح على ألوهيته	٧٢٧
الحكمة فى كون معجزات المسيح من هذا النوع	٧٣١
ما معنى المسيح كلمة الله وروح منه	٧٣٤
إبطال دعوى صلب المسيح	٧٣٩
ما يترتب على نفى الصلب	٧٤٥
الخاتمة	٧٤٧
البديل الإسلامى للخلاص المسيحى	٧٤٩
أهم النتائج	٧٥٥
أهم المراجع	٧٥٩
أولا : المراجع الإسلامية	٧٥٩
ثانيًا : المراجع المسيحية	٧٦٤
ثالثًا : المراجع العامة	٧٧٠
رابعًا : المخطوطات	٧٧٥
المحتويات	٧٧٦